

محتويات العدد ٥٦

ت	البحث	الباحث	الصفحة
١	أعلام وزراء البلاط المغولي الوزير "هجير" و"قطب الدين حبش عميد الملك" -إنموذجاً-	أ.د.سعاد هادي حسن الطائي	٢٦-١
٢	الدور الريادي للشيخ محمد مهدي الأصفي دراسة في توجهاته التوعوية والثقافية رؤى وتحليلات معاصرة	أ. د علي محمد كريم	٥٢-٢٧
٣	التبادل الحضاري بين الشرق والغرب أبان الحروب الصليبية	أ.د. عبد الرحمن حسين العزاوي م.د. محمد عبد مرزوك بشير	٧٩-٥٣
٤	أحكام اللقطة والشفعى في الإسلام	د. ورقاء يونس	٩٥-٨٠
٥	الموقف الرسمي والشعبي لدول المغرب العربي من قيام ثورة ١٤ تموز في العراق ١٩٥٨ في وثائق مجلس السيادة العراقي	م. د. سعد محمد علي حسين	١٢٣-٩٦
٦	حقيقة الزواج المقدس (البغاء المقدس) في بلاد الرافدين	م.د.أحمد ناجي سبع	١٣٤-١٢٤
٧	الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية في سنوات الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨	م. د. أحمد مريح المنصراوي	١٥٧-١٣٥
٨	دور الولايات المتحدة الأمريكية وباكستان في دعم التنظيمات الأفغانية المقاومة للاحتلال السوفيتي لأفغانستان ١٩٧٩-١٩٨٩.	ا.م. د. مي فاضل مجيد الربيعي	٢٠٦-١٥٨
٩	دور المجالس المحلية في المواد القانونية في العراق القديم	د. جيا فخري عمر	٢٤٤-٢٠٧
١٠	البيئة وتأثيرها على الإنسان من خلال كتاب مسالك الممالك للأصطخري	د. كلارا عزيز فرنسيس	٢٨٠-٢٤٥
١١	نماذج لبعض الأحجار المستخدمة في النصوص المسمارية والشواهد الأثرية	م.م شيماء عصام البلداوي	٣١٠-٢٨١
١٢	النهضة النسائية في مصر (١٨٦٣ - ١٨٧٩) دراسة تاريخية	م. وفاء خالد خلف	٣٢٨-٣١١
١٣	مرويات وقعة بئر معونة من خلال كتب السير والمغازي (دراسة تحليلية)	م. م . حنان شهاب احمد	٣٥٨-٣٢٩
١٤	تأسيس جامعة الدول العربية ١٩٤٥	م. عبد السلام محمد السعدي	٣٩٠-٣٥٩
١٥	موقف الحكومة البريطانية من أزمة المجاعة الأيرلندية ١٨٤٥-١٨٥٢	م.د. سهيلة شندي عوان	٤٢٤-٣٩١
١٦	نظام الاقطاع في مصر في العصر الايوبي	م. د. ا. زهار غازي مطر	٤٤٢-٤٢٥
١٧	الموقف الامريكي من انقلاب سامي الحناوي ١٩٤٩ اب/	م.م حكمت ناصر حسين	٤٦٢-٤٤٣
١٨	التطورات الاقتصادية الألمانية ١٨٧٠-١٩١٤م	م. م . نوال زغير عذاب	٤٨٢-٤٦٣

١٩	سياسة التربية والتعليم في عهد عبدالكريم قاسم واثرها على النظام التربوي في العراق (١٩٥٨- ١٩٦٣)	أ.م.د. احمد جودة جبار	٥٣٧-٤٨٣
٢٠	آداب الشيخ والتلميذ (المريد) في كتاب الحكم الرفاعية للإمام الرفاعي ت٥٧٨هـ/١١٨٢	أ.م.د. نوال ناظم محمود	٦١٨-٥٣٨
٢١	ضبط الفيروز آبادي للألفاظ بحث في نحو اللغة العربية	د. سري قحطان حمدان	٦٥٢-٦١٩

أعلام وزراء البلاط المغولي
الوزير "هجير" ، و" قطب الدين حبش
عميد الملك" -إنموذجاً-

أ.د.سعاد هادي حسن الطائي
جامعة بغداد/ كلية التربية -ابن رشد للعلوم الانسانية
قسم التاريخ

أعلام وزراء البلاط المغولي الوزير "هجير" ، و
" قطب الدين حبش عميد الملك " -إنموذجاً-

أ.د. سعاد هادي حسن الطائي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الرسول الكريم ،وعلى
آله وصحبه الكرام أجمعين .

تُعَدّ دراسة سيرة عدد من وزراء البلاط المغولي من الدراسات المهمة؛ لذا
حظيت باهتمام باحثين عدة.

تكمّن الأهمية التاريخية لدراستي في أن هذين الوزيرين " هجير " ، و " قطب
الدين عميد الملك" ، لم يُسلط الضوء عليهما سابقاً على الرغم من أهمية دورهما
السياسي والاداري وإن كان محدوداً، فالمصادر التاريخية الام لاسيما تلك التي اهتمت
بتاريخ المغول لم تُشر اليهما بشكلٍ واضح وواسع ؛نظراً لكونها لم يُمارسا دوراً مهماً في
بلاط الحاكم الرئيس للبلاد وإنما في واحدة من الممالك التابعة للامبراطورية المغولية.

تناولت في بحثي هذا السيرة الذاتية للوزير " هجير " ، و " قطب الدين حبش
عميد الملك " وتدرجها في المناصب الادارية، وأشارت الى إهتمام خانات المغول بهما،
ودورهما في ادارة البلاد وما تركاه من بصماتٍ سياسيةٍ مهمة في البلاط المغولي؛ مما
كان له أثر كبير في تأجيج الصراع على منصب الوزارة، فكان لهما اسهام واضح في
كثير من عمليات التصفية والتآمر للانفراد بالسلطة ، وإبعاد المنافسين لهم فيها.

*** أولاً: الوزير هجير:**

لم تشر المصادر التاريخية الى الاسم الكامل للوزير هجير بعكس ما ذكر عن وزراء البلاط المغولي المعاصرين له.

يُعد هذا الوزير من اهم وزراء جغتاي خان ^(١) (ت ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م) ^(٢)، بل كان أثيراً عنده مقارنةً مع الوزراء الآخرين ^(٣).

تعود أصوله الى الاتراك ^(٤)، وذكر بالتحديد الى قبيلة الخطا ^(٥). ^(٦)، ولم تشر المصادر التاريخية الى ديانة هذا الوزير غير إنه من الواضح لنا انه لم يكن مسلماً؛ لكونه من قبيلة الخطا الوثنية.

من أهم ما اتصف به هذا الوزير انه كان قصير القامة، قبيح المنظر، غير انه كان شجاعاً جداً، وحاد الذهن، ذكي الفؤاد، فصيح اللسان ^(٧)، ومن صفاته اسرافه في المأكل والمشرب ^(٨).

يؤكد هذا الامر انه على الرغم من الصفات الجسدية التي اتصف بها هذا الوزير، فقد اثبت بذكائه وحكمته جدارته بمنصب الوزارة لهذا حظي برعاية جغتاي خان وثقته.

ونظراً لكفائه فقد تولى إدارة معظم أمور الدولة في أواخر حياة جغتاي خان لاسيما مرضه وملازمته للفراش لمدة طويلة ^(٩).

كان الوزير هجير يعمل في بداية أمره في خدمة طبيب من قبيلة الخطا، وكان هذا الطبيب من الملازمين لجغتاي خان، وبعد وفاة هذا الطبيب أصبح هجير راعياً لـ " قوشون نويان " ^(١٠) الذي كان من أهم أمراء جغتاي خان ومن المقربين اليه. ^(١١)

كان قوشون من قبيلة الجلاير، وهو شيخ كبير ذو خبرة وتجربة واسعة، لهذا كان مُطلعاً على الاحداث السالفة ^(١٢)، لهذا كان جغتاي خان يسأله باستمرار عن أخبار أبيه جنكيز خان وما خاضه من حروب، غير أن هذا الشيخ وبسبب تقدمه في السن بدأ بنسيان أخبار كثيرة، ولم يعد يتذكر منها سوى القليل، وهذا ما حدث عندما سأله

أعلام وزراء البلاط المغولي الوزير "هجير" ، و "قطب الدين حبش عميد الملك" -

إنموذجاً-.....

جغتاي خان في أحد الأيام عنها فلم يستطع التذكر فطلب منه ان يعطيه الأذن للعودة الى المنزل وأخذ يستفسر ويسأل كل شخص من أتباعه عن ذلك، فبدأوا بأخباره عن كل معلوماتهم عن ذلك، وكان الوزير هجير الذي كان يعمل في ذلك الوقت راعياً لدى قوشون يُصغي الى ما كان يُذكر خارج المنزل ،محاولاً معرفة الاخبار الصحيحة من الكاذبة، لهذا أصبح الجميع يقررون له كل أقواله. (١٣)

فاستدعاه قوشون داخل منزله وسأله: (كيف توفر لك هذه المعلومات؟!.. فاخرج دفتراً كان قد دون فيه جميع القضايا والتواريخ السالفة التي كانت مطلوبة يوماً بعد يوم. فابتهج قوشون، وأصطحب وزير ومعه الدفتر الى حضرة جغتاي) (١٤)

ومن الجدير بالذكر ان جغتاي خان كان يعشق المعارف والحكم الى حد كبير، لهذا استحسن منه ذلك (١٥)، ولشدة اعجابه بما سمعه منه طلب جغتاي خان من قوشون أن يتنازل له عن هذا الراعي، وجعله من حشمه. (١٦)

لهذا دخل هجير في خدمة جغتاي خان، وأصبح محترماً، ومشهوراً بين حاشيته (١٧)، اذ أصبح نائباً عنه (١٨)، وادرك اوكتاي خان (١٩) (٦٢٦ - ٦٣٩ هـ/ ١٢٢٨ - ١٢٤١ م) ما كان يتمتع به هجير من ذكاء وخبرة، ولما وجده مقرباً الى جغتاي خان أطلق عليه اسم " وزير " (٢٠)، ولهذا عُرف في المصادر التاريخية بأسم وزير.

ونظراً لذلك بلغت مرتبته أسمى الدرجات وأعلاها، وأصبح يتصدر معظم الأمراء في البلاط المغولي (٢١)، إذ أصبح مجلسه في المآدب أعلى من مجالسهم وأهمها (٢٢).

هذه المكانة المهمة التي حازها الوزير هجير جعلته جريئاً في إبداء رأيه، واتخاذ القرارات.

اذ كان أكثر الأمراء المغول جرأة في الحديث في حضرة جغتاي خان الى درجة إنه يوم ما، رفع صوته أمام زوجة جغتاي خان عندما بدأت بالحديث مقاطعة إياه

أعلام وزراء البلاط المغولي الوزير "هجير" ، و "قطب الدين حبش عميد الملك" -

إنموذجاً-.....

خلال حديثه وإبداء وجهة نظره في مسألة ما ^(٢٣)، قائلاً لها بصوت عالٍ: (إنكِ سيدة، ولا يجوز لك الكلام في هذا الموضوع). ^(٢٤)

ولم تشر المصادر التاريخية الى أية ردة فعل لجغتاي خان حيال تصرفه هذا لاسيما وأنه رفع صوته أمام زوجته حتى وإن كانت اقتربت خطأ ما. زاد هذا الأمر قوة هجير ونفوذه، وأعطاه الشجاعة أكثر ليتجرأ بعدها على إتخاذ قرارات إنفرادية تخص الدولة.

وقام الوزير هجير بإصدار أمر يقضي بإصدار حكم الاعدام بحق واحدة من كنائن جغتاي خان لاتهامها بارتكاب عمل مشين، من غير ان يستشير جغتاي خان بذلك، أو حتى يُعلمه بالامر ^(٢٥).

وعندما علم جغتاي خان بهذا الامر بعد مدة قال له الوزير هجير: (كيف يجوز لكنتك أن ترتكب عملاً شائناً ، تُسئ الى سمعة السيدات الاخريات؟! .. فاستحسن جغتاي منه ذلك). ^(٢٦)

واتصف هذا الوزير بالحكمة وعدم خلط الامور، او استعجالها، فكان يتانى دائماً في التذكير للحيلولة دون الوقوع في الخطأ.

فحين اشتد الخلاف بين صاحب محمود يلواج ^(٢٧) وجغتاي خان بسبب الولاية على بلاد ماوراء النهر ^(٢٨)، قدم صاحب محمود يلواج الى حضرة جغتاي خان، وبدأ بالحديث عنه بالسوء ^(٢٩).

ولم يسمعه أحد سوى الوزير هجير، فقال صاحب محمود يلواج له: (أن لي مك كلاماً في الخلوة) ^(٣٠)، فجلسا على انفراد وقال له: (أنا نائب القآن، فلم يستطع جغتاي قتلي دون استشارته، أما اذا انا شكوتك الى القآن، فسوف يقتلك، فانت اذا تداركت امرك، ولم تتعرض لي بسوء فيها، والا فسأشي بك في حضرة القآن. ولو تفوهت بهذا الكلام في حضرة جغتاي فسوف انكره مهما سُئلت عنه وليس لك عليّ أي شاهد). ^(٣١)

أعلام وزراء البلاط المغولي الوزير "هجير" ، و "قطب الدين حبش عميد الملك" -

إنموذجاً -
.....

ولهذا السبب أضطر الوزير هجير الى عدم البوح بكل ما قاله الصاحب محمود يلواج بحق جغتاي خان لاي أحد، وكف الكيد منه لئلا يُوقع نفسه في مأزق. (٣٢)

يؤكد هذا الامر ما كان يتمتع به هذا الوزير من ذكاء سياسي محاولاً من خلاله المحافظة على مكانته التي وصل اليها، فضلاً عن اداركه بما كان يتمتع به الصاحب محمود يلواج من مكانة كبيرة لدى الخان اوكتاي نظراً لكفاءته وخبرته في السياسة والادارة، ولعدم امتلاكه أي دليل إدانة ضده، إذ لم يسمعه أحد سواه، ولم يكن هناك معه أي شاهد، لهذا قرر الصمت ليحافظ على حسن علاقته معه، وليدفع البلاء عنه.

كان الوزير هجير يدون كل ما كان جغتاي خان يقوله ويفعله (٣٣)، وأشار بارتولد الى ذلك قائلاً: (ولما جرت العادة آنذاك بتدوين اقوال الملوك يوماً فيوماً، فقد كان من عادة الخان لهذا السبب أن يتحدث بقول مسموع ويضرب الامثال ويسوق الاقوال المأثورة...، وكان وزير يقوم بمهمة التدوين لجغتاي بينما كان يوم بها لاوكداي، -اوكتاي-.. جينغاي (٣٤). وذات مرة في احدى المآدب شرع الاخوان يتحدثان بكلام من هذا النوع، وكان على وزير ان يحفظ تماماً في ذاكرته الفاظها ويدونها عقب المآدبة، ولقد قام بمهمته خير قيام مما اضطر القآن الى الاعتراف بتفوقه على جينغاي). (٣٥)

وسأل أوكتاي خان أخاه جغتاي خان يوماً قائلاً له: (أوزيرك افضل ام وزيري؟! ... فأجاب جغتاي لابد وان يكون جينقاي، -جينغاي - افضل). (٣٦)

هذه المفاضلة بين الوزيرين ليست مطلقة تماماً فكل من اوكتاي خان وجغتاي خان يرى ان وزيره افضل من الآخر، غير أن جغتاي خان لم يرد هنا أن يحط من شأن الوزير جينغاي الذي كان فعلاً يتمتع بكفاءة كبيرة لا تقل عن كفاءة وزيره هجير.

واختبر اوكتاي خان وجغتاي خان الوزير هجير يوماً عندما كانا يتحدثان عن الحكم والامثال في إحدى المآدب، فحفظ هذا الوزير ما دار بينهما من الكلام ودونه بعدما غادر المآدبة، وعندما اختبراه أحضر لهما ما كتبه، فقرأه اوكتاي خان وجغتاي

أعلام وزراء البلاط المغولي الوزير "هجير" ، و "قطب الدين حبش عميد الملك" -

إنموذجاً-.....

خان وتبين لهما انه مطابق للحديث الذي دار بينهما ،وانه احاط بكلامهما ماعدا قليلاً من التقديم والتأخير في كلام اوكتاي خان. ^(٣٧)،لهذا انصف اوكتاي خان هذا الوزير حين قال:(ان الحق في جانب جغتاي اذ ان وزيره افضل من وزيري). ^(٣٨)

وعلى الرغم من براعة هذا الوزير في شؤون السياسة والادارة غير انه فشل في التأمين على حياته،ولم يستمر طويلاً في منصبه.

وكان الوزير هجير يُصرح لجغتاي ولمراتٍ عدة قائلاً له:(إني لم ادع لك أي شخص من الاصدقاء. ولهذا فلن يرحمني أحد من بعدك). ^(٣٩)

ترسم هذه الكلمات صورة حية عن الملامح الرئيسة لادارة هذا الوزير، أو على أقل تقدير توضح لنا رأي معاصرين فيه. ^(٤٠)،لهذا عندما توفي جغتاي خان سنة ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م قُضي على الوزير هجير بتهمة انه سقاه سُماً. ^(٤١)

وورد في عدد من المصادر التاريخية ان السبب الرئيس في توجيه هذه التهمة له هو ان الوزير والطبيب المسلم الخاص بجغتاي خان ،والشخص المدعو مجد الدين فشلا في ايجاد العلاج الشافي لمرضه، لهذا وجهت اليهما زوجة جغتاي خان بيسولون، او "يسُلون" ، "yesulun" التهمة اليهما وبأنهما قد سقياه سُماً، فاصدرت بحقهما حكم الاعدام، وأعدم أيضاً معظم اولادهما. ^(٤٢)

غير ان المؤرخ فامبري ارمينوس كان له رأي آخر في السبب الرئيس الذي دفع بزوجة جغتاي خان لاتهامها لهما بهذه الجريمة قائلاً:(ولم تلق عليهما في الحقيقة تبعة موت زوجها الا لتخلص منهما، اذ كانت تخشى ان يقفا في سبيل اطاعها). ^(٤٣)

وارى ان الوزير هجير كان على علاقة غير ودية مع زوجة جغتاي خان ولتضارب مصالحهما معاً، ولأدراكه بأنها كانت تسعى الى الاستقلال بالادارة والحكم بعد ان كانت معظم الصلاحيات في يده هو.

*ثانياً: الوزير قطب الدين حبش عميد الملك:

أعلام وزراء البلاط المغولي الوزير "هجير" ، و "قطب الدين حبش عميد الملك" -

إنموذجاً -
.....

تعود اصول الوزير قطب الدين حبش عميد الملك الى مدينة اترار (٤٤). (٤٥)،
وذكر بل ان مسقط رأسه مدينة كرمينيا (٤٦). (٤٧)

وأرى ان الآراء التي ذكرت عن ان اصوله من مدينة اترار أقرب الى الصواب
من مدينة كرمينيا لأجماع المؤرخين عليه.

ولم تُشر المصادر التاريخية الى قوميته غير انني أرى انه كان تركياً؛ نظراً
لأن مسقط رأسه مدينة اترار التي يسكنها عدد كبير من القبائل التركية.

كان هذا الوزير مسلماً (٤٨)، وكان يعمل في بداية حياته تاجراً (٤٩)، ثم سرعان
ما إلتحق بخدمة المغول بعد ان فرضوا سيطرتهم على معظم مدن بلاد ماوراء
النهر. (٥٠)

وصف بأنه كان قاسياً وطموحاً (٥١)، اذ بدأ يتدرج في المناصب حتى أصبح
كاتباً لدى جغتاي خان (٥٢)، ثم اصبح نائبه ووزيره. (٥٣)

وتمتع هذا الوزير بنفوذ كبير، اذ بدأت الأسر الحاكمة في الاقاليم الخاضعة
لسلطة المغول تسعى الى مصاهرته، فالامير قطب الدين (٥٤) حاكم كرمان (٥٥) زوجه
من احدى قريباته (٥٦).

ان المكانة الكبيرة والمهمة التي حازها الوزير قطب الدين حبش عميد الملك
لدى جغتاي خان تؤكد لنا ان الكراهية الشخصية، والمطلقة التي كان يضمها جغتاي
خان حيال المسلمين عامة كانت مبالغ فيها الى حد كبير (٥٧)، وأشار بارتولد الى ذلك
قائلاً: (صحيح انه لم تُعرف عن حبش عميد غير خاصة على الاسلام، ولكن رجال
الدين المسلمين على أية حال لم يكونوا راضين عن ادارته). (٥٨)

وأضاف بارتولد ان هذا الامر يمكن التوصل اليه من خلال القصيدة التي
وجهها اليه الصوفي سيف الدين الباخري (٥٩)، فبعد عبارات المدح والتفخيم التي ذكرها
بحق هذا الوزير فإنه سرعان ما يوجه اليه عبارات التحذير من عذاب الله سبحانه
وتعالى. (٦٠)

أعلام وزراء البلاط المغولي الوزير "هجير" ، و "قطب الدين حبش عميد الملك" -

إنموذجاً-.....

وأشار بارتولد لها وهي: (بما ان ربّ العزة قد أوكل اليك في هذه الدولة ان تنصر الحق فماذا سيكون عذرك يوم الحشر اذا انت لم تقم بذلك؟ وفي ملتنا الاسلامية - نصرها الباري يوم الدين - شروط الرئاسة ثلاثة هي العلم والسنة والاسلام. فإذا اراد شاب لا خبرة له ان يتولى الرئاسة فإنه في نظر العقلاء لا يعيب المسنين ان يُحرموا منها وحيث يصبح الهدد.... ملكاً فإنه لا عار على البازي في ايام دولته ان يكون بغير تاج. ومن الافضل للعقلاء ان ينأوا بأنفسهم اذا ما تولى السفهاء الرئاسة. ذلك ان القصر عندما يصبح منبراً فإنه من الخير البقاء بلا منبر).^(٦١)

وللمكانة الكبيرة التي احتلها الوزير حبش عميد الملك لدى جغتاي خان أهدى له واحدة من الاميرات من بنات السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه^(٦٢)، بعد ان وقعن في الاسر، اذ اهدى جنكيز خان اليه اثنتين فخص لنفسه إحداهن وأهدى الأخرى لوزيره حبش عميد الملك^(٦٣).

واحتفظ الوزير حبش عميد الملك بمكانته بعد وفاة جغتاي خان في سنة ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م، اذ تولت زوجته ييسولون الحكم ويساعدها في ذلك الوزير حبش عميد الملك، ورشحوا قراهورلاكو، أو "قراغول" بن موكن جغتاي خان ليتولى حكم خانية جغتاي^(٦٤).

ولكن سرعان ما تبدلت الامور وتغيرت الاوضاع بعد تولي كيوك خان^(٦٥) (٦٤٤-٦٤٧هـ / ١٢٤٦-١٢٤٩م) العرش، وبسبب صداقته الحميمة مع ابن جغتاي خان والمدعو ييسومنكو اصدر اوامره بتوليته حكم خانية جغتاي خان، اذ لا يجوز تولي الحفيد الحكم مع وجود الابن^(٦٦)، وكان ييسومنكو قليل الذكاء والخبرة، ومنهمكاً في شرب الخمر^(٦٧).

وأبدى ييسومنكو غضبه من الوزير حبش عميد الملك لكونه كان مناصراً لـ "قراهورلاكو" ومؤيداً له، فبدأ بسحب سلطاته ووزرع أولاده على أبناء جغتاي خان كل

أعلام وزراء البلاط المغولي الوزير "هجير" ، و "قطب الدين حبش عميد الملك" -

إنموذجاً -.....

واحد تسلم ولداً لخدمته ^(٦٨) ، غير أن الامير بهاء الدين المرغيناني ^(٦٩) حاول إصلاح الأمور بينهما نظراً للعلاقة الطيبة التي كانت تربط بينه وبين جغتاي خان ، وتقديراً لعلمه وفضله، إذ قام بهاء الدين المرغيناني بإعادة أولاد حبش عميد الملك الى ييسكو منكو مرة ثانية. ^(٧٠)

وأشار باتولد الى أن الامير بهاء الدين المرغيناني وقف الى جانب الوزير عميد الملك تقديراً لمساندته فيما مضى، إذ أن الامير بهاء الدين المرغيناني فقد والده وهو طفل صغير، فتبناه الوزير حبش عميد الملك، ووقع اختياره عليه ؛ليكون ملازماً لـ "ييسو منكو" عندما وضع اولاده في خدمة جغتاي خان. ^(٧١)، لهذا سعى الامير بهاء الدين المرغيناني للتخفيف من حدة كراهية ييسومنكو حيال الوزير حبش عميد الملك، واناقد ولي نعمته وحفظاً لجميله. ^(٧٢)

ولأعجاب ييسومنكو بكفاءة بهاء الدين المرغيناني ونظراً لقدم خدماته ولاء منصب الوزارة بدلاً عن الوزير حبش عبد الملك ^(٧٣)، وأثار هذا الامر حفيظة الوزير حبش عميد الملك حياله، ولم يغفر له ذلك. ^(٧٤)

ولهذا كان الوزير بهاء الدين المرغيناني يطلب مراراً من ييسومنكو أن يمنع حبش عميد الملك من ايدائه على الرغم من كونه كان يؤدي واجباته الملكية على أحسن وجه. ^(٧٥)

وسرعان ما تبدلت الامور لصالح الوزير حبش عميد الملك بعد تولي منكوخان ^(٧٦) (٦٤٩ - ٦٥٨ هـ / ١٢٥١ - ١٢٥٩ م) العرش المغولي، فعزل ييسو منكو عن حكم خانية جغتاي وعين بدلاً عنه قراهورلاكو ومنحه عنايته واهتمامه، غير أن قراهورلاكو توفى في الطريق فتولت زوجته اورغنه خاتون ^(٧٧) الحكم وصيةً على ابنها مباركشاه. ^(٧٨)

واصدرت أورغنه خاتون أوامرها بإعادة جميع سلطات وصلاحيات الوزير حبش عميد الملك التي كان يمارسها سابقاً، ويشاركه ابنه نصير الدين في ذلك. ^(٧٩)

أعلام وزراء البلاط المغولي الوزير "هجير" ، و "قطب الدين حبش عميد الملك" -

إنموذجاً -.....

وكان أول عمل قام به الوزير حبش عميد الملك هو الانتقام من الوزير بهاء الدين المرغيناني الذي لقي مصرعه على غير انتظار بيد غريمه، على الرغم من ما كان يظهره له من مودة.^(٨٠) فأمر في سنة ٦٤١هـ / ١٢٤٣م بمصادرة امواله وسجن اولاده، اذ قيده بخشبة ذات فرعين لتعذيبه، وأمر بلفه في داخل اللباد وان يُشد عليه بقوة حتى تتكسر عظامه ويموت.^(٨١)

وأشار بارتولد الى ذلك قائلاً: (تم تسليم بهاء الدين مرغيناني وفقاً لتقاليد المغول الى خصومه فقتلوه قتلة لا تقل في بشاعتها عن اسلوب المغول في مثل هذه الاحوال، فقد خاطوا حول جسمه اللباد ثم انهالوا عليه بالضرب كما يفعل باللباد حتى تحطت جميع عظامه).^(٨٢)

وانشد بهاء الدين المرغيناني هذه الرباعية عندما قبض عليه الوزير حبش عميد الملك وسجنه قائلاً^(٨٣):

إِنَّ مِنْ حَبَسُوا عُمَرِي انْقُدُونِي مِنْ مِحَنِ الدُّنْيَا وَالْأَمِيهَا
تَكْسَرُ جَسَدِي مِنْ دُئُوبِي وَهُمْ بِهَذَا أَعَادُوا لِحِسْمِي وَصَلَهُ
وبعث بهاء الدين المرغيناني هذه الرباعية الى الوزير حبش عميد الملك على سبيل الاستعطاف منشداً^(٨٤):

خُذْ أَيُّهَا الْمَلِكُ لُحْمَةً نَسِيجِي وَخُيُوطِي وَإِنْ احْتَجْتُ إِلَى رُوحِي فَخُذْهَا
فَقَدْ بَلَغْتُ رُوحِي التَّرَاقِي وَبَلَغَ صَدْرِي الْآخِرَةَ فَلَا قَائِدَةَ مِنْ النَّصَرِ وَالْتَوَجِعِ
وأشار الجويني قائلاً: (وبقي للامير بهاء الدين اولاده واطفال ، وكم كان بود الامير حبش العميد ان يلحق ابناؤه الذكور به).^(٨٥) وهذا يعني ان الوزير حبش عميد الملك لم يقض على جميع ابناء بهاء الدين المرغيناني بل اكتفى بسجن عدد منهم. ولم يكتف الوزير حبش عميد الملك بما فعل مع الوزير بهاء الدين المرغيناني، بل انه لم يسمح لأي احد أن ينافسه، أو يشاركه في عطف جغتاي خان له واهتمامه به.

أعلام وزراء البلاط المغولي الوزير "هجير" ، و "قطب الدين حبش عميد الملك" -

إنموذجاً -.....

ودخل الوزير حبش عميد الملك في صراع مع الفقيه أبي يعقوب السكاكي^(٨٦) الذي أصبح من أهم المقربين من جغتاي خان، لاسيما بعد أن أوصى به حبش عميد الملك في بداية الامر.^(٨٧)

وشعر الوزير حبش عميد الملك بالخطأ الذي اقترفه لاسيما بعد أن احتل أبو يعقوب السكاكي منزلة كبيرة لدى جغتاي خان، فقد أثار هذا الحقد والغيرة والحسد في نفسه حياله، فعقد العزم على القضاء عليه، غير أن الفقيه أبا يعقوب السكاكي اكتشف هذا الامر فخطط للقضاء عليه قبل أن يفعل هو ذلك به.^(٨٨) فتوجه الى جغتاي خان وقال له: (يتضح من النجوم أن كوكب دولة حبش عميد وإقباله قد أقل وبلغ حد النحس وأنا أخشى أن يؤثر ذلك على سعادة وإقبال دولتك).^(٨٩) فصدق جغتاي خان كلامه وعزل الوزير حبش عميد الملك عن منصبه، وبعد مرور عام كامل على عزله إختلت أحوال الدولة بسبب ذلك.^(٩٠)

فقال جغتاي خان لأبي يعقوب السكاكي: (إن النحس في طالع الناس ليس بالشئ الدائم، فلعل كوكب إقبال حبش قد قوي من جديد، ولخوف السكاكي من عاقبة خيانتة قال له: ان هذا ممكن ، فأعاد جغتاي حبش عميد الى كرسي الوزارة).^(٩١)

وبعد أن استعاد حبش عميد الملك منصب الوزارة عقد العزم على الانتقام من السكاكي، فبدأ يغتابه عند جغتاي خان للايقاع به، وأخبره بأنه يسعى لنيل السلطة وانتزاعها منه، فصدق جغتاي خان، وأصدر أوامره بإلقاء القبض على السكاكي وأودعه في السجن وبقي فيه لمدة ثلاث سنوات حتى توفي.^(٩٢)

ومن خلال مجريات هذه الاحداث نلاحظ مدى تأثر جغتاي خان بحاشيته من خواصه ووزرائه، ومما لاشك فيه إن روح التنافس، والصراع على المناصب قد أثرت بشكل كبير في تأجيج الفتن الداخلية وهذا كان له آثار سلبية على أحوال البلاد وعامة الناس.

أعلام وزراء البلاط المغولي الوزير "هجير" ، و "قطب الدين حبش عميد الملك" -

إنموذجاً -.....

ولم يكتف الوزير حبش عميد الملك بتكوين أرضية صلبة لنفسه فقط، واشترك معه ابنائه في السلطة، وفي أركان الدولة المهمة.

وكان لابنه نصير الدين دور مهم في ادارة شؤون البلاد من خلال مساندته لابييه^(٩٣)، اما ابنه الآخر سليمان، وكان من أبرز رجال الانشاء في البلاد. ^(٩٤)

الخاتمة

توضح من خلال دراستي هذه لهذين الوزيرين نتائج مهمة من أبرزها:

١- اهتم خانات المغول وامراؤهم باختيار العناصر الكفوة لادارة البلاد مع التنوع في أجناسهم ودياناتهم، فمنهم الوثنيون ومنهم المسلمون.

٢- حظي هذان الوزيران بصلاحيات واسعة الادارية منها والسياسية، مما دفع بهما في المستقبل الى التجاوز على جغتاي خان في أحيان كثيرة من غير ان يتخذ أي إجراء حازم حيالها.

٣- كان للصراعات الداخلية بين الامراء المغول ،وخاناتهم حول العرش أثر كبير في استغلال هذين الوزيرين هذه الظروف لتحقيق أهدافهما ونجحا في ذلك.

٤- لجأ الوزير قطب الدين حبش عميد الملك الى الحيلة والدهاء، لتحقيق أهدافه، منها تأمره ضد الوزير بهاء الدين المرغيناني، والفقير ابو يعقوب السكاكي، لينفرد هو بالسلطة لوحده، وليحظى بأهتمام جغتاي خان ورعايته.

٥- اشرك الوزير قطب الدين حبش عميد الملك ابنائه معه في السلطة ومؤسسات البلاد المهمة.

*هوامش البحث ومصادره:

- ١- جغتاي خان :وهو الابن الثاني لجنكيزخان ،والدته هي زوجة جنكيزخان الكبرى وهي بورته فوجين من قبيلة قنقرات ابنة دي نويان ملك القبيلة، كان جغتاي خان ملكاً عادلاً كفوءاً ومهيباً ، كانت ممالك الخطا وبلاد ما وراء النهر قد آلت اليه بعد وفاة جنكيزخان وكانت حدود مملكته تشتمل على بلاد الأويغور، وسمرقند ،وبخارى، والمالغ، وتورفان ،وقرة شهر، وكاشغر، وباركند، وختن، وفرغانة ،واترار، وبناكلت، وبذخشان وغيرها ،وكانت عاصمته مدينة "قناس"،أو "قوناس" ،وبنى في هذا المكان قرية اسمها قتلغ التي تقع بجوار مدينة المالغ، توفي في سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م بعد اصابته بمرض عضال . لمزيد من التفاصيل ينظر: الجويني ،علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد بن محمد ، تاريخ جهانكشاي ، نقله عن الفارسية وقارنه بالنسخة الانكليزية : د. محمد التونجي ، دار الملاح للطباعة والنشر ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، ١م ، ج ١ ، ص ٧٢وص ٧٤وص ١٠١وص ١٣٢وص ١٣٣وص ١٣٥وص ١٣٩ ؛ الهمذاني ، رشيد الدين فضل الله ، جامع التواريخ، نقله الى العربية: د. فؤاد عبد المعطي، الصياد، راجعه وقدم له: د. يحيى الخشاب ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ببيروت، ط ١ ، ١٩٨٣ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيزخان، ص ١٣٥- ص ١٥٠وص ١٥٥- ص ١٥٨ ؛ اقبال، عباس، تاريخ المغول منذ حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية ،ترجمة د:عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافي، ابو ظبي، الامارات العربية المتحدة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م ، ص ١٠١- ص ١٠٤وص ١٣٧؛ بارتولد، فاسيلي فلاديميروفيتش، تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، أشرف على طبعه قسم التراث العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ، ص ١٣وص ١٥وص ١٢٧وص ١٢٩وص ٥٥٩وص ٥٦٢وص ٥٨٦؛ الصياد، د. فؤاد عبد المعطي، المغول في التاريخ ، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، بلا.ت ، ص ١١٢وص ١٣٨وص ١٦٣وص ١٦٥ ؛ العريني، د. السيد الباز، المغول، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م ، ص ١٢٢وص ١٥٨وص ١٥٩.
- ٢- الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٥٥.
- ٣- فامبري،ارمينوس، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمه وعلق عليه: د. احمد محمود الساداتي، راجعه وقدم له: د. يحيى الخشاب، مطابع شركة الاعلانات الشرقية، القاهرة، بلا. ت ، ص ١٨٨.
- ٤- بارتولد، تركستان، هاش ص ٦٧٢.

٥- الخطا: وهم واحدة من القبائل التركية الوثنية، وكلمة الخطا مشتقة من كلمة "خطاي"، وهو الاسم الذي أطلقه المغول على الصين، وأطلقوا عليهم اسم "قراخطاي"، أو "قطاي"، أو "ختا"، أما الصينيون فقد أطلقوا عليهم اسم "سي - ليو"، أو "سي - ليائو"، وبلاد الخطا تُعدُّ القسم الثالث من مملكة توران، نزحت قبائلهم منها بعد أن طردتهم اسرة كين الحاكمة في الصين فلجأوا الى تركستان واستوطنوا مدن أخرى مثل كاشغر، وختن، وبلاساغون وأصبحت مركزاً لهم، اعتنق الخطا ديانات عدة منها البوذية، والمانوية، والمجوسية، والمسيحية وغيرها، انتهت دولتهم سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٣م، بموت آخر ملوكهم المدعو "تشي - لو - كو". لمزيد من التفاصيل ينظر: عوفي، سعيد الدين محمد، لباب الالباب، بسعى واهتمام وتصحيح: ادوارد بروز انكليسي، مطبعة بريل، ليدن، ج ١، ص ٣٢١ - ص ٣٢٢ وص ٣٤١ وص ٣٤٥؛ ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه: د. محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٤، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج ٩، ص ٣١٩ وص ٣٢١ - ص ٣٢٢ وص ٣٢٣ وج ١٠، ص ٣٣٩ - ص ٣٤٠؛ الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ج ٢، ص ٢٣٩ - ص ٣٣٦؛ الهمذاني، جامع التواريخ، مج ٢، ج ١، ص ١١٠ - ص ١١١ وص ١١٥ وص ١١٧ - ص ١١٩ وص ١٢١؛ الفلقشندي، أحمد بن علي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م، ج ٤، ص ٣٨٧ - ص ٤١٤.

٦- الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٥٥.

٧- الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، صص ١٥٦؛ بارتولد، تركستان، ص ٦٦٩.

٨- الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٥٦.

٩- الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ج ٢، ص ٢٤٩.

١٠- نويان، أو "نويين": هي كلمة مغولية معناها رئيس تومان اي رئيس فرقة مكونة من عشرة آلاف رجل، اذ ان الامراء عند المغول أربع طبقات أعلاها نويين، وهو امير عشرة آلاف ويُدعى امير تومان، اذ ان تومان تعني عندهم عشرة الاف، ثم امير الف ثم امير مائة ثم أمير عشرة، لمزيد من التفاصيل ينظر: الهمذاني، جامع التواريخ، ترجمة: محمد صادق نشأت، محمد موسى هندواوي وفؤاد عبد المعطي الصياد، راجعه وقدم له: يحيى الخشاب، دار أحياء

- الكتب العربية ، القاهرة ، بلايت، مج ٢، ج ١ ، هامش ص ٢١٤ ؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٤، ص ٤٢٣.
- ١١- الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٥٥؛ بارتولد، تركستان، ص ٦٦٨.
- ١٢- الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٥٥.
- ١٣- الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيزخان، ص ١٥٥؛ بارتولد، تركستان، ص ٦٦٨.
- ١٤- الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيزخان، ص ١٥٥ - ص ١٥٦؛ بارتولد، تركستان، ص ٦٦٨.
- ١٥- الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٥٦؛ بارتولد، تركستان، ص ٦٦٨.
- ١٦- بارتولد، تركستان، ص ٦٦٩.
- ١٧- الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٥٦.
- ١٨- ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، م ٥، ص ١٣٦.
- ١٩- اوكتاي خان (٦٢٦-٦٣٩هـ/١٢٢٨-١٢٤١م): هو الابن الثالث لجنكيزخان، اشتهر بالعقل والكفاءة وسداد الرأي والتدبير والثبات والوقار والفتوة والعدل ، كان نصيبه من أملاك أبيه ينحصر في مناطق جبال تارباغاي وأطراف بحيرة الآجول وحوض نهر ايميل الذي يصب في تلك البحيرة، تولى العرش سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨ م ، حارب في جبهات عدة منها في شمال الصين، وبلاد فارس ،والكرج وآسيا الصغرى وأوربا ،قام بأصلاحات ادارية عدة فقد انشأ مدينة جديدة في "أوردو باليغ" شمال منغوليا قرب جبال قراقورم لتكون عاصمة" له ، وبنى قصر شامخ فيها ، واهتم بنظام البريد وانشأ العديد من المحطات البريدية ،توفي في سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م نظراً لأدمانه على الخمر .لمزيد من التفاصيل ينظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي ، م ١، ج ١، ص ١٧٢-٢٢١؛ الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيزخان، ص ١٧-٩٤؛ اقبال، عباس، تاريخ المغول، ص ١٣٧ و ص ١٧٢ و ص ١٧٣؛ بارتولد، تركستان، ص ٦٤٩-٦٧١؛ الصياد، د. فؤاد عبد المعطي، المغول في التاريخ، ص ١٦٥-١٦٧ و ص ١٧٩-١٩٤؛ العريني، د. السيد الباز، المغول، ص ١٥٩-١٨٨.

٢٠-الهمذاني، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص١٥٦؛ بارتولد، تركستان، ص٦٦٩.

٢١-الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيزخان، ص١٥٦؛ بارتولد، تركستان، ص٦٦٩.

٢٢-بارتولد، تركستان، ص٦٦٩.

٢٣-الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص١٥٦؛ بارتولد، تركستان، ص٦٦٩.

٢٤-الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص١٥٦.

٢٥-الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص١٥٦؛ بارتولد، تركستان، ص٦٦٩.

٢٦-الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص١٥٦؛ بارتولد، تركستان، ص٦٦٩.

٢٧-الصاحب محمود يلواج: هو فخر الدين ابو القاسم محمود بن محمد، وهو من اهم اعيان دولة جنكيزخان واهم وزرائه ، وهو حاكم البلاد الشرقية من شاطيء نهر جيحون الى منتهى بلاد الخطا ، وبقي في منصبه هذا حتى عهد منكوخان ، فرتب الممالك ونظم امور الدولة ، كان كاتباً سديداً وكان يتقن لغات عدة منها الخطائية والمغولية والايغورية والتركية والفارسية والهندية والعربية ، كانت وفاته في شهر ربيع الاول من سنة ٦٥٢هـ/١٢٥٤م ، ودفن في مدينة خان باليق . لمزيد من التفاصيل ينظر : النسوي، محمد بن أحمد ، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، نشر وتحقيق: حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، مصر ١٩٥٣م ، ص٨٣- ص٨٥ ؛ الجويني ، تاريخ جهانكشاي ،م٢، ج١، ص ١١٤ وص١٣١ او ص١٤٣ او ص١٥٢ ؛ ابن الفوطي ، كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق بن تاج الدين احمد ، تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب، حققه عن نسخته المؤلف الفريدة المحفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق، د. مصطفى جواد، وزارة الثقافة والارشاد القومي، مطبوعات مديرية احياء التراث العربي، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٦٣م ، ق٣، ج٤، ص٢٩٨ و ص٢٩٩ ؛ خواندمير ، غياث الدين بن همام الدين الحسني، دستور الوزراء، تأليف وترجمة وتعليق: د. حربي امين سليمان، تقديم: د. فؤاد عبد المعطي الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،

١٩٨٠م، ص ٣٣٠ - ص ٣٣١ ؛ بارتولد ، تركستان ، ص ٥٦٦ - ص ٥٦٧ وهامشها وص ٦٥٤

وهامشها ، هامش ص ٦٥٩ ، وص ٦٦٤ و ص ٦٧٥ و ص ٦٧٧ .

٢٨-بلاد ما وراء النهر: يُعد هذا الاقليم من أخصب أقاليم الارض منزلةً وانزهها وأكثرها خيراً، لا يخلو هذا الاقليم من مدن وقرى تسقى، أو مباحس، أو مراعي لدوابهم، اما مياههم فانها اعذب المياه وابردها، وهوؤها صحي، يكثر في هذا الاقليم معادن عدة منها الذهب والفضة وغيرها، وفي بلاد ما وراء النهر كور عظام واعمال جسام منها بخارى وسمرقند واشروسنة والشاش وفرغانة وكش ونسف والصغانيان واعمالها والختل وما يمتد على نهر جيحون من ترمذ والقوذايان واخيسك وخوارزم. لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي ، صورة الأرض، بريل، ليدن، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٣٨م ، ج٢، ص ٤٦٣ - ص ٥٢٥؛ الحموي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت ، بلايت ، ج٢، ص ٣٥١؛ لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية، وأضاف إليه تعليقات بلدانية وتاريخية وأثرية ووضع فهرسه: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م ، ص ٤٧٦ - ص ٤٨٨ .

٢٩-الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٥٧.

٣٠-الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٥٧.

٣١-الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٥٧؛ بارتولد، تركستان، ص ٦٦٩.

٣٢-الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٥٧؛ بارتولد، تركستان، ص ٦٦٩.

٣٣-الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٥٩.

٣٤-جينغاي، او " جينقاي" :هو الوزير الاعظم لاوكتاي خان، تعود اصوله الى قبيلة الكراييت، وتذكر انه ينتسب الى الاويغور، حظي ايضاً بثقة جنكيز خان، لهذا وصف بانه مستشار الامبراطورية المغولية، فما من مرسوم يصدر من الصين الشمالية الا مقترناً بخطه وبالكتابه الاويغورية، وقد حاولت تواركينا خاتون زوجة اوكتاي خان القضاء عليه وتقويض نفوذه بعد وفاة زوجها، غير انه حظي بدعم كبير في عهد كيوك خان فولاه الوزارة وشمله بعطفه ورعايته، قُتل في عهد منكو خان وعلى يد دانشمند الحاجب في رمضان من سنة ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢م. لمزيد من التفاصيل ينظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، م٢، ج١، ص ١١٣ وص ١١٤ وص ١٢٤ وص ١٢٥

وص ١٢٩ وص ١٣١؛ الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان،
ص ٧٠ وص ١٧٦ وص ١٧٧ وص ١٧٩؛ اقبال، عباس، تاريخ المغول، ص ١٧٣ وص ١٧٥
وص ١٧٧؛ العريني، د. السيد الباز، المغول، ص ١٦٢ وص ١٦٣ وص ١٨٨ وص ١٩٢
وص ٢٠٥.

٣٥- تركستان، ص ٦٦٩.

٣٦- الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٥٦.

٣٧- الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٥٧.

٣٨- الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٥٧.

٣٩- الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٥٨؛ بارتولد،
تركستان، ص ٦٧٥.

٤٠- بارتولد، تركستان، ص ٦٧٢.

٤١- الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٥٨.

٤٢- الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ج ٢، ص ٢٤٩؛ بارتولد، تركستان، ص ٦٧١ وص ٦٧٢؛
فامبري، ارمينوس، تاريخ بخارى، ص ١٨٨.

٤٣- تاريخ بخارى، ص ١٨٨.

٤٤- اترار: وهي ذاتها مدينة اطرار بند، أو " طرار "، كانت تسمى سابقاً فاراب، أو " باراب" ثم اصبحت
اسمها عبر المراحل التاريخية اطرار بند، أو " طرار "، أو " اترار "، وهي مدينة من وراء نهر
سيحون من أقصى بلاد الشاش مما يلي تركستان، واطرار اسم لرستاق، وتعد اترار اكبر مدنه،
وتقع اسواقها في الرض، ولها قهندز، وتعد مدينة اترار ناحية سبخة لها غياض ومزارع في
عرض الوادي الآخذ مياهه من نهر الشاش، اما قصبته فهي مدينة كدر، ومن اهم مدنها وسيح.
لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن حوقل، صورة الارض، ج ٢، ص ٥١٠- ص ٥١١؛ الاصطخري،
أبو اسحاق ابراهيم بن محمد، مسالك الممالك، بريل، ليدن، دار صادر، بيروت، ١٩٢٧ م،
ص ٢٩٥ وص ٣٤٦؛ المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد، احسن التقاسيم في معرفة
الأقاليم، بريل، ليدن، دار صادر، بيروت، ١٩٠٦، ج ٢، ص ٦٣ وص ٢٧٣؛ ياقوت الحموي،
معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٧.

٤٥- الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٥٨؛ بارتولد،
تركستان، ص ٦٦١.

٤٦-كرمينيا: هي من مدن بلاد ما وراء النهر، وهي اكبر من مدينة الطواويس واعمر وأكثر عدداً وخصوبة، وخديمنكن من كرمينيا وهي تقع ضمنها، ولكرمينيا قرى كثيرة. ينظر: الاصطخري، مسالك الممالك، ص ٣١٤ وص ٣٢٠؛ ابن حوقل، صورة الارض، ج ٢، ص ٤٨٩.

٤٧-بارتولد، تركستان، هامش ص ٦٦١.

٤٨-الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٥٨؛ بارتولد، تركستان، ص ٦٠٩؛ فامبري، ارمينوس، تاريخ بخارى، هامش، ص ١٨٩.

٤٩-فامبري، ارمينوس، تاريخ بخارى، هامش ص ١٨٩.

٥٠-بارتولد، تركستان، ص ٦٦١-٦٦٢.

٥١-فامبري، ارمينوس، تاريخ بخارى، هامش ص ١٨٩.

٥٢-الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٥٨.

٥٣- ميرخواند، مير محمد بن سيد برهان الدين خواوندشاه ، تاريخ روضة الصفا، شيوه شرو نكارش كم نظير دراد بيات فارسي درسده نهم هجري ، كتابفروشيهاي ، تهران ، ١٣٣٩ هـ ، م ٥، ص ١٣٦.

٥٤-الأمير أبو الفتح قطب الدين: وهو ابن أخ براق الحاجب القراخطائي ومؤسس اماره كرمان (٦١٩- ٧٠٣هـ / ١٢٢٢- ١٣٠٣ م)، تولى قطب الدين هذه الامارة بعد وفاة براق الحاجب سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٤ م وبوصية منه، واستمر في منصبه حتى سنة ٦٣٣هـ / ١٢٣٥ م، غير انه عزل بأمر من اوكتاي خان، ثم تولى اماره كرمان مرة اخرى بأمر من منكو خان سنة ٦٥٠هـ / ١٢٥٢ م، وبقي في منصبه حتى وفاته سنة ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧م. لمزيد من التفاصيل عنه ينظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ٢، ج ١، ص ١١٣ وص ١١٤ وص ١١٥؛ الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ٦٦.

٥٥-كرمان: وهي ولاية مشهورة وناحية كبيرة ومعمورة لها قرى عدة شرقها مكران وغربها فارس وشمالها خراسان وجنوبها بحر فارس، تُنسب الى كرمان بن طهمورث، وهي مدينة منيعة، جبلية، مدينتها العظمى السيرجان، يُكثر فيها النخيل، والجوز، والزرع والمواشي، وهي متجر يسار، من اهم مدنها: الشيرجان، أو " السيرجان"، جيرفت، بُم، هرموز، السوقان، جيروقان، مرزقان وغيرها. لمزيد من التفاصيل ينظر: اليعقوبي ، البلدان، وضع حواشيه: محمد امين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، ص ١١٤-١١٥؛ ابن حوقل، صورة الارض، ج ٢،

ص ٣٠٨ - ٣١٥؛ المقدسي، احسن التقاسيم، ج ٢، ص ٤٥٩ - ٤٧٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٥٤ - ٤٥٥.

٥٦- بارتولد، تركستان، ص ٦٦٢.

٥٧- بارتولد، تركستان، ص ٦٦٢.

٥٨- تركستان، ص ٦٦٢.

٥٩- سيف الدين الباخريزي سيف الدين ابو المعالي سعيد بن المطهر بن سعيد بن علي القائدي الباخريزي: وهو نزيل بخارى، كان اماماً، محدثاً، ورعاً زاهداً، تقياً، ثرياً، له وقع في القلوب ومهابة في النفوس، هو المحدث الحافظ الزاهد الواعظ، كان شيخاً فصيحاً تقياً، صحب عدد من العلماء والفقهاء منهم بهاء الدين السلمي وتاج الدين محمود الاشنهي وغيرهم، قرأ في خراسان على المؤيد الطوسي، وفضل الله بن محمد بن احمد النوقاني، وقرأ على الخطيب جلال الدين بن الشيخ شيخ الاسلام بن برهان الدين المرغيناني. لمزيد من التفاصيل ينظر: الذهبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، سير اعلام النبلاء، تحقيق: د. بشار عواد معروف ود. محيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ج ٢٣، ص ٣٦٣ و ص ٣٦٨.

٦٠- تركستان، ص ٦٦٢.

٦١- تركستان، ص ٦٦٢ - ٦٦٣.

٦٢- السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه: : تولى الامارة بعد وفاة والده سنة ٥٦٩هـ / ١١٩٩م، كانت نهمته في الملك وتدبيره وحفظه وحفظ رعيته، وكان فاضلاً عالماً بالفقه والاصول وغيرهما، وكان يكرم العلماء ويحب مناظرتهم بين يديه ويعظم اهل الدين، امتدت سلطته من حد العراق الى تركستان وفرض سيطرته على غزنة وجزء من الهند وسجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبل وخراسان، توفي في احدى الجزر في جنوبي بحر قزوين سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م. لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الاثير، الكامل، ج ١٠، ص ٢٧٧ و ص ٤٠٦ - ٤٠٨؛ سبط بن الجوزي، شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزاوغلي، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط ١، ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م، ق ٢، ج ٨، ص ٥٩٩ - ٦٠٠؛ العبود، د. نافع توفيق، الدولة الخوارزمية نشأتها. علاقاتها مع الدول الاسلامية. نظمها العسكرية والادارية ٤٩٠ - ٦٢٨هـ / ١٠٩٧ - ١٢٣١م، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٧٨، ص ١٣٢ - ١٤٩ و ص ٢١٧.

٦٣- بارتولد، تركستان، ص ٦٠٩ و ص ٦٦٢.

٦٤- الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ج ١، ص ٥٠؛ الشيرازي ، اديب شرف الدين عبد الله بن فضل الله ، تاريخ وصاف الحضرة، تحرير: عبد المحمد آيتي ، انتشارات بيناد فرسك ايران ، ١٣٤٦هـ، م ٤، ص ٣٣٣؛ بارتولد، تركستان، ص ٦٧٢.

٦٥- كيوك خان (٦٤٤-٦٤٧هـ/١٢٤٦-١٢٤٩م): هو الابن الأول لأوكتاي خان ، امه تواركينا خاتون ، تولى العرش سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م وكان لوالدته تواركينا خاتون دور كبير في اقناع الأمراء المغول على توليته للعرش بعد ان كان أوكتاي خان قد رشح للعرش حفيده شيرامون ، كان ملكاً له عظمة الملوك وشوكة البحر مع اتصافه بالعظمة والكبرياء ، توفي كيوك خان لأصابته بالمرض سنة ٦٤٩هـ/ ١٢٥١ م. لمزيد من التفاصيل ينظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي ، م ١، ج ١، ص ٢٢٩- ٢٤٠؛ الهمذاني، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيزخان، ص ١٨- ١٩ و ص ١٧٦- ١٨٨ ؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج ٥، ص ١٧١- ١٧٦؛ اقبال، عباس، تاريخ المغول، ص ١٧٣- ١٧٥؛ بارتولد، تركستان، ص ٦٧٥- ٦٨١.

٦٦- الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ج ١، ص ٢٥٠ و ص ٢٣٥.

٦٧- الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ج ١، ص ٢٥٠.

٦٨- الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ج ١، ص ٢٥٠.

٦٩- بهاء الدين المرغيناني هو ذو نسب عالٍ وشرف مكتسب، فقد جمع بينهما فأحسن، كان عالماً بعلوم عدة، له فضل على كل انسان، فكان باراً، فهو يمثل مجمع فضلاء العالم، كان ابوه شيخاً للاسلام في فرغانة، وكانت اسرته تتوارث هذا المنصب أباً عن جد، أما أمه فكانت من القراخانيين وينحدر نسبها الى الامير طغان خان، كان يجمع في ثقافته بين العلوم الدينية والدينية، لهذا استعادت العلوم الاسلامية مكانتها وتم احيائها من جديد خلال حكم هذا الوزير. لمزيد من التفاصيل ينظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ج ١، ص ٢٥٠- ٢٥٢؛

بارتولد، تركستان، ص ٦٧٨ و ص ٦٨٤.

٧٠- الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ج ١، ص ٢٥٠.

٧١- تركستان، ص ٦٧٨.

٧٢- بارتولد، تركستان، ص ٦٧٨.

٧٣- الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ج ١، ص ٢٥٠.

٧٤- بارتولد، تركستان، ص ٦٧٨.

٧٥- الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ج ١، ص ٢٥٠.

٧٦- منكوخان: (٦٤٩-٦٥٨ هـ/ ١٢٥٠-١٢٥٩ م): هو الابن الأكبر لتولوي خان بن جنكيزخان ، والدته سيورقو قيتيتي بيكي ابنة جاكمبو أخي أونك خان ملك قبيلة الكرايت ، تولى منكوخان العرش بعد وفاة كيوك خان ، توفي منكوخان في سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م بعد أصابته بالمرض. لمزيد من التفاصيل ينظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي ، م ٢، ج ٣، ص ١٩١-٢٤٧ ؛الهذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيزخان، ص ١٩٥-٢٢٥ ؛ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج ٥، ص ١٧٦-١٩٤ ؛اقبال، عباس، تاريخ المغول، ص ١٧٥-١٨١ ؛ بارتولد، تركستان، ص ٦٨٢-٦٩١ ؛ الصياد، د. فؤاد عبد المعطي، المغول في التاريخ، ص ٢٠٥-٢١٦ ؛ العريني، د. السيد الباز، المغول، ص ١٩٤-٢٠٠.

٧٧- اورغنه خاتون: هي ابنة تورالجي كوركان من قبيلة اويرات، هي زوجة قرا هولكو حفيد جغتاي خان، تسلمت الحكم في معظم املاك زوجها بعد وفاته باسم ابنها مباركشاه وصيةً عليه لأنه كان صغير السن، ثم تزوجت الامير الغو بن بايدار بن جغتاي، وسيطر سيطرة تامة على عرش آلوس جغتاي، وفي سنة ٦٦٢ هـ/ ١٢٦٣ م، توفي الغو، فأجلست اورقنة خاتون ابنها مباركشاه على العرش. لمزيد من التفاصيل ينظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ج ١، ص ٢٥٠ و ص ٢٥١ وهامشها؛الهذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٤٣ و ص ١٥٠ - ١٥٢ ؛ بارتولد، تركستان، ص ٦٨٤ و ص ٦٩٠ و ص ٦٩٩ و ص ٧٠٢.

٧٨- الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ج ١، ص ٢٥٠ و ص ٢٥١ ؛ طقوش، د. محمد سهيل، تاريخ المغول العظام والايلاخانيين (٦٠٢-٧٧٢ هـ/ ١٢٠٦-١٣٧٠ م) ، (٦٥١-٧٥٦ هـ/ ١٢٥٣-١٣٥٥ م)، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧ م، ص ١٢٥.

٧٩- بارتولد، تركستان، ص ٦٨٤.

٨٠- فامبري، ارمينوس، تاريخ بخارى، ص ١٨٩.

٨١- الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ج ١، ص ٢٥١ ؛ فامبري، ارمينوس، تاريخ بخارى، ص ١٨٩ ؛ طقوش، د. محمد سهيل، تاريخ المغول العظام، ص ١٢٥.

٨٢- تركستان، ص ٦٨٤.

٨٣- الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ج ١، ص ٢٥١.

- ٨٤- الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ج ١، ص ٢٥١.
- ٨٥- تاريخ جهانكشاي، م ١، ج ١، ص ٢٥٥.
- ٨٦- الفقيه ابو يعقوب السكاكي: هو العالم الفاضل صاحب المؤلفات البليغة ومن بينها كتاب "المفتاح في علم المعاني والبيان"، كانت لديه معرفة جيدة بالعلوم الغربية والفنون العجيبة مثل التي هي اشبه بالخرافات اذ كان يدعي انه بأستطاعته السيطرة على الكواكب والطلسمات ،والسحر وغيرها ،اصبح من اهم المقربين لجغتاي خان ،فأجتهد السكاكي على الدوام في ان يظهر له غرائب الاشياء ،فحظي بالمزيد من تكريمه واحترامه له. ينظر :بارتولد ،تركستان ،هامش ص ٦٦٣ و ٦٦٤.
- ٨٧- ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، م ٥، ص ١٣٦؛ بارتولد، تركستان، هامش ص ٦٦٣.
- ٨٨- ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، م ٥، ص ١٣٧؛ بارتولد، تركستان، هامش ص ٦٦٣ و ص ٦٦٤.
- ٨٩- ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، م ٥، ص ١٣٦؛ بارتولد، تركستان، هامش ص ٦٦٤.
- ٩٠- ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، م ٥، ص ١٣٦؛ بارتولد، تركستان، هامش ص ٦٦٤.
- ٩١- ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، م ٥، ص ١٣٦؛ بارتولد، تركستان، هامش ص ٦٦٤.
- ٩٢- ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، م ٥، ص ١٣٦؛ بارتولد، تركستان، هامش ص ٦٦٤.
- ٩٣- بارتولد، تركستان، ص ٦٨٤؛ طقوش، د. محمد سهيل، تاريخ المغول العظام، ص ١٢٥.
- ٩٤- بارتولد، تركستان، ص ٧٠٠.

قائمة المصادر والمراجع :

* أولاً المصادر الأصلية العربية وغير العربية المعربة:

- * ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م):
- ١- الكامل في التاريخ، راجعه وصححه: د. محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط ٤، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.
- * الاصطخري ، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م) :
- ٢- مسالك الممالك ، بريل ، لندن ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٢٧ م .
- * الجويني ، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) :

- ٣- تاريخ جهانكشاي ، نقله عن الفارسية وقارنه بالنسخة الانكليزية : د. محمد التونجي ، دار الملاح للطباعة والنشر ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- * الحموي، أبوعبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) :
- ٤- معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت ، بلايت .
- * ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م) :
- ٥- صورة الأرض، بريل، ليدن، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٣٨م .
- * خواندمير، غياث الدين بن هماد الدين الحسني (ت ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م) :
- ٦- دستور الوزراء، تأليف وترجمة وتعليق: د. حربي امين سليمان، تقديم: د. فؤاد عبد المعطي الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٠م،
- * الذهبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) :
- ٧- سير اعلام النبلاء، تحقيق: د. بشار عواد معروف ود. محي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ٨- سبط بن الجوزي، شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزاوغلي (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م):
- مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط١، ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م.
- * ابن الفوطي ، كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق بن تاج الدين احمد (ت ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م) :
- ٩- تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب، حققه عن نسخته المؤلف الفريدة المحفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق، د. مصطفى جواد، وزارة الثقافة والارشاد القومي، مطبوعات مديرية احياء التراث العربي، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٦٣م .
- * القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) :
- ١٠- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٠هـ / ١٩٢٢م.
- * المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد (ت ٣٧٥هـ / ٩٨٥م) :
- ١١- احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بريل ، ليدن ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٠٦.
- * النسوي، محمد بن أحمد (ت ٦٣٩هـ / ١٢٤١م) :
- ١٢- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، نشر وتحقيق: حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، مصر ١٩٥٣م .
- * الهمذاني، رشيد الدين فضل الله (ت ٧١٨هـ / ١٣١٨م) :

١٣- جامع التواريخ، ترجمة: محمد صادق نشأت، محمد موسى هندواوي وفؤاد عبد المعطي الصياد، راجعه وقدم له: يحيى الخشاب ، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، بلات، وطبعة الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان من اوكتاي قآن الى تيمور قآن. نقلها الى العربية: د. فؤاد عبد المعطي، الصياد، راجعه وقدم له: د. يحيى الخشاب ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، ط١، ١٩٨٣.

* اليعقوبي، احمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م) :

١٤- البلدان، وضع حواشيه: محمد امين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

*ثانياً:المصادر الفارسية الأصلية غير المعربة:

* الشيرازي، اديب شرف الدين عبد الله بن فضل الله (توفي في النصف الاول من القرن ٨هـ/١٤م) :
١- تاريخ وصاف الحضرة، تحرير: عبد المحمد آيتي ، انتشارات بيناد فرسك ايران ، ١٣٤٦هـ.

* عوفي، سديد الدين محمد (ت في حدود النصف الاول من ق ٧هـ/ ١٣م):

٢- لباب الالباب، بسعي واهتمام: ادوارد بروان انكليسي ، مطبعة بريل، ليدن ، ١٩٠٦م .

* ميرخواند، مير محمد بن سيد برهان الدين خواوندشاه (ت ٩٠٤هـ/١٤٩٨م) :

٣- تاريخ روضة الصفا، شيوه شرو نكارش كم نظير دراد بيات فارسي درسده نهم هجري ، كتابفروشيهاي ، تهران ، ١٣٣٩هـ .

* ثالثاً: المراجع الثانوية:

* اقبال، عباس :

١- تاريخ المغول منذ حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية ،ترجمة د:عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافي، ابو ظبي، الامارات العربية المتحدة، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .

* بارتولد، فاسيلي فلاديميروفتش :

٢- تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، أشرف على طبعه قسم التراث العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م

* الصياد، د. فؤاد عبد المعطي :

٣- المغول في التاريخ ، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، بلات .

* طقوش ، د.محمد سهيل:

٤- تاريخ المغول العظام والایلخانیین (٦٠٢-٧٧٢هـ / ١٢٠٦-١٣٧٠م)، (٦٥١-٧٥٦هـ) /
١٢٥٣-١٣٥٥م، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٨هـ /
٢٠٠٧م.

* العبود، د. نافع توفيق:

٥- الدولة الخوارزمية نشأتها. علاقاتها مع الدول الإسلامية. نظمها العسكرية والادارية ٤٩٠-
١٠٩٧-١٢٣١م، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٧٨.

* العريني، د. السيد الباز :

٦- المغول، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م.

* فامبري، أرمينوس:

٧- تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمه وعلق عليه: د. احمد محمود
الساداتي، راجعه وقدم له: د. يحيى الخشاب، مطابع شركة الاعلانات الشرقية، القاهرة، بلا. ت.

* لسترنج، كي :

٨- بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية، وأضاف إليه تعليقات بلدانية وتاريخية وأثرية ووضع
فهارسه: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م .

Summary of Research

The study of a number of the Mongol court Ministers is considered one of the most important studies for Several researchers

The historical importance of this study is that no one previously has highlighted these two ministers "Hugair and Gotb al ddin Omaid Almulk " .Despite of the importance of their political and administrative role

In this papers I've dealt with the biography of both Ministers Hugair and Gotb al ddin Habash Omaid Almulk and their administrative posts, also I've pointed to the attention of Mongols khans to them, their role in managing the country and their important political hallmarks in the Mongol court, which has had a significant impact in fueling the conflict over premiership , so they had clear contributions of many filtering and plotting to autocrat the power . and keep their competitors away

الدور الريادي للشيخ محمد مهدي الاصفى
دراسة في توجهاته التوعوية والثقافية
رؤى وتحليلات معاصرة

أ.د. علي محمد كريم
جامعة بغداد/كلية التربية للعلوم الانسانية
ابن رشد/ قسم التاريخ

الدور الريادي للشيخ محمد مهدي الآصفي دراسة في توجهاته التوعوية والثقافية رؤى وتحليلات معاصرة

أ . د علي محمد كريم

المقدمة

تدل أحداث التاريخ وعبره انه مثلما للفئات والطبقات الاجتماعية في المجتمع دور مهم وأساسي في صياغة الحدث التاريخي ، فأن للفرد في أحيان عديدة دور لا يقل عن ذلك .

اختياري لشخصية محمد مهدي الآصفي لتكون عنوان بحثي لم يتأتى من فراغ ، ما يمر به العراق اليوم من تداعيات فكرية خطيرة كان ورائها مسميات وعناوين مختلفة توحدت جميعها لتلقي بسمومها على العراق وشعبه سواء كانت داخلية ام من خارج الحدود ، هادفة الى تمزيق وحدة النسيج الاجتماعي والذي لطالما عرفناه موحدا متراحما متماسكا ، ولذلك اننا اليوم ما أحوج الى الالتفاف حول الخطاب المعتدل الذي يدعوا الى العدل والمساواة وإزالة البغي والظلم ، وهو ما وجدته في افكار وطروحات الشيخ محمد مهدي الآصفي ، اذ كان يركز في كتاباته وتحليلاته لمواجهه خطر الفتنة الطائفية ، حول الوحدة ولاسيما بين المسلمين عادا اياها مشروع عمل فقهي وسياسي واجتماعي وليست مجرد شعار او خطاب ، فهي تحتاج الى تضافر الجهود في سبيل تحقيق التعايش الاسلامي المطلوب ، وهو ما تم تسليط الضوء عليه في ثنايا البحث ، فضلا عن ذلك تناولنا دور الشيخ الآصفي في التقريب بين المذاهب الاسلامية ولاسيما فيما يخص الحديث النبوي المشترك والقواعد المشتركة والرواة المشتركون في اسناد الروايات وغيرها ، كذلك تناولنا في البحث مهمه التدريس وما تمثله بالنسبة للشيخ الآصفي ، اذ حرص على تأديتها على افضل وجه عاداً اياها واجب شرعي واخلاقي وانساني وهو ما لمسناه من خلال طريقة تعامله مع طلابه وتأثرهم بأسلوب إلقاءه ، فهو

لم يكن ناقلاً للنصوص وسردها وإنما تميز بتحليلها واستنباطها ، مما يبعد الطالب عن الملل الشroud الذهني.

ولد آية الله الشيخ محمد مهدي بن علي الملقب بالآصفي ، في مدينة النجف الأشرف وتحديدًا محلة تسمى الحويش عام ١٩٣٩ من عائلة دينية علمية معروفة^(١) ، إذ كان جده مرجعاً دينياً في إيران ، وأبوه آية الله الشيخ علي محمد الآصفي من مجتهدي النجف وعلمائها ، إذ تتلمذ على يد مجموعة متميزة من علماء النجف ولاسيما السيد الخوئي^(٢) ، والسيد محسن الحكيم^(٣) ، مما اسهم في صقل شخصيته وزيادة معرفته ، فكانت له مؤلفات عدة في الفقه والتفسير فضلاً عن أصول الدين^(٤) .

أما والدته فهي فاطمة بنت الشيخ محمد تقي البروجردي الذي كان احد علماء النجف وممن تتلمذ على يد الشيخ ضياء الدين العراقي^(٥) ، والسيد أبو الحسن الاصفهاني^(٦) فضلاً عن الميرزا النائيني^(٧) ، ولذلك عد احد الأعلام الذين تشهد لهم آثارهم الفكرية والعلمية ولاسيما العلوم الفقهية في مدينة النجف.

ولدت السيدة فاطمة في النجف الاشرف ، وعرف عنها نقاء القلب وكثرة العبادة ، إذ كانت مواضبه على زيارة عاشوراء ، كما وردت في كتب المرويات ، وهذه الزيارات كان لها اكبر الأثر في تغذية فكر الشيخ الآصفي في صباه ، والتي راح يكتب عنها وعن أبعادها التوحيدية والسياسية في كبره^(٨) .

لذلك كان الشيخ محمد مهدي الآصفي يصفها بمعلمته الأولى لذلك ساهمت هي الأخرى في صقل منابع تكوينه الفكري والثقافي ، و كان للشيخ خمس أخوات فضلاً عن أخ واحد اسمه محمد رضا^(٩) .

تزوج الشيخ محمد مهدي الآصفي عام ١٩٦٩ وكانت زوجته من بيت المظفر^(١٠) ، إذ عرف عنهم العلم والمعرفة والفضل ، وتعد من العاملات الإسلاميات النشاطات ، ولاسيما في مساعدة ومساندة الجالية العراقية المهاجرة والمهجرة ، شأنها شأن الكثير من النسوة اللاتي عملن في هذا الاتجاه^(١١) .

جمع الشيخ محمد مهدي الآصفي بين الدراستين الدينية والأكاديمية اذ انتمى إلى كلية الفقه في دورتها الأولى في النجف الأشرف ليتخرج منها بعد أن أتم الدراسة فيها وحصوله على شهادة البكالوريوس عام ١٩٦٢^(١٢) ، ثم درس الماجستير في جامعة بغداد في معهد الدراسات الإسلامية عام ١٩٦٩، وتتلّمذ في دراسته الدينية في الحوزة العلمية في النجف الأشرف على يد كبار الفقهاء ومراجع الدين ، ففي مرحلة السطوح كان من أبرز أساتذته العلامة الشيخ محمد رضا المظفر^(١٣)، فضلاً عن السيد محسن الحكيم والسيد الخوئي والسيد الخميني^(١٤)، حتى مكّنته ملكاته العلمية من الحصول على درجة الاجتهاد في سن مبكرة ، وكان أحد أبرز وكلاء السيد الخوئي في العراق ثم الكويت وإيران بعد هجرته إليهما في سبعينات القرن الماضي ، عمل العلامة الآصفي أستاذاً للفلسفة لأكثر من ١٥ سنة في كلية أصول الدين^(١٥) ببغداد وكلية الفقه في النجف الأشرف ، فضلاً عن تدريسه الفقه والأصول والفلسفة في الحوزة العلمية في النجف الأشرف ، وكان أسلوبه في التدريس مميزاً ، إذ كان يجمع بين المنهجية الأكاديمية والمنهجية الدينية ، كما كان يقيم المحاضرات الأسبوعية والدورية الإسلامية في أكثر من مكان منذ أواخر الخمسينات^(١٦).

في عام ١٩٦٢ انتمى إلى حزب الدعوة الإسلامية ، و أصبح من كوادره المتقدمة ومسؤولاً عن تنظيم الحوزة العلمية في النجف الأشرف وهذا قلما ما يحدث في ارتقاء احدثهم للقيادة دون التدرج في سلم النظام الحزبي ، ولعل السبب يكمن في القيادة التي امتاز بها الشيخ فضلاً عن الكفاءة والتوجه نحو العمل الإصلاحي من المنظور الإسلامي^(١٧).

عمل أيضاً مع جماعة العلماء في النجف الأشرف خلال هذه الفترة ، إلا انه بعد عام ١٩٧١ بدأت السلطة البعثية تتابع نشاطه وتحركاته ، و ثم تحولت المتابعة إلى ملاحقة دائبة ، مما اضطر الشيخ الآصفي إلى التخفي بعد صدور أمر إلقاء القبض عليه ، و جرت محاولات إلقاء القبض عليه أثناء مناقشته رسالة الماجستير الموسومة (ملكية الأرض والثروات الطبيعية في الفقه الإسلامي دراسة فقهية مقارنة) لكنه علم

بذلك الكمين مما دفعه إلى عدم الحضور للمناقشة^(١٨)، وبقي متخفياً عن الأنظار حتى مغادرته العراق متوجهاً إلى الكويت عام ١٩٧٤ ، ثم حملته ظروف العمل الإسلامي على السفر إلى إيران ، إلا أن سلطات شاه إيران بدأت بملاحقته ، نظراً لعلاقاته مع المقربين من السيد الخميني في إيران واتصالاته بهم ، وحاول السافاك (الأمن الإيراني) إلقاء القبض عليه ، مما أدى إلى احتجازه مع جواز سفره ، إلا أنه عاد إلى الكويت متخفياً خلال عام ١٩٧٥ ، واستقر فيها مرة أخرى ، إذ ساهم في قيادة العمل الإسلامي من هناك ، وبعد انتصار الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ هاجر إلى إيران ، وساهم في إعادة بناء تنظيمات حزب الدعوة التي تعرضت لضربات شديدة ولاسيما في العراق ، فضلاً عن ذلك انتخب ناطقاً رسمياً لحزب الدعوة خلال عام ١٩٨٠ ، كما انتخب عضواً في الهيئة الإدارية لجماعة العلماء المجاهدين^(١٩) في العراق عام ١٩٨٢ ، علاوة على ذلك شغل منصب نائب رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق لسنتين ، ثم استقال منه مع ممثلي الحزب الآخرين في المجلس ولعل السبب في ذلك هو اختلافات تنظيمية واليات العمل من جهة وموضوع زعامة المجلس وقيادته من جهة ثانية^(٢٠) .

بقي يعمل في صفوف قيادة حزب الدعوة حتى عام ١٩٩٩ ، إذ جمّد عضويته فيها بعد ذلك ، إلا أنه بقي على تواصل مع الحزب ، وكان يعد أحد أبرز حكماء الدعوة ، وظل يساهم في حل التصدعات التي تحصل داخل الحزب حتى وفاته ، تجدر الإشارة إلى تسنم العلامة الآصفي منصب أمين عام المجمع العالمي لأهل البيت في عام ٢٠٠٠ ، وبعد ثلاث سنوات تقريباً استقال منه ليتفرغ للعمل العلمي والخيري ، وذلك امتداداً لنشاطاته في هذين المجالين ، إذ كان من أساتذة الفقه والأصول والأخلاق والعقائد في الحوزة العلمية في قم منذ وصوله إليها ، كما كان يرعى آلاف الفقراء والمعوزين ومن مختلف الجنسيات ، ولا سيما العراقيين والأفغانيين والباكستانيين ، وذلك عبر مؤسسات خيرية كبيرة ، أهمها مؤسسة الإمام الباقر^(٢١) .

بعد انهيار الحكم في العراق عام ٢٠٠٣ عاد الشيخ الآصفي إلى النجف الأشرف ، وشرع فوراً بتدريس الفقه والأصول على مستوى البحث الخارج في الحوزة العلمية ، وكان من الشخصيات المعتمدة والبالغة الاحترام لدى السيد علي السيستاني^(٢٢) ، كما كان يحظى باحترام جميع الحركات والتيارات الإسلامية الشيعية العراقية ، وساهم عبر بياناته وفتاواه وتوجيهاته وتحركاته للمساهمة في استقرار الأوضاع في العراق الجديد ومحاربة الإرهاب^(٢٣) .

يعد الشيخ الآصفي أحد المفكرين الإسلاميين المعاصرين ، ولعل مؤلفاته المطبوعة التي تجاوزت الثلاثين مؤلفاً والموزعة في مجالات عدة ما يدل على ذلك ولاسيما في الفلسفة والفكر والفقه والتفسير والاقتصاد منها على سبيل المثال لا الحصر ((الدعاء عند أهل البيت)) و ((حقيقة الحرية)) و ((في رحاب القرآن)) و ((في رحاب عاشوراء)) و ((الإمامة في التشريع الإسلامي)) و ((المدخل إلى دراسة التشريع الإسلامي)) و ((دور الدين في حياة الإنسان)) و ((ملكية الأرض - رسالته في الماجستير)) و ((تداول الثروة)) و ((ولاية الأمر)) و ((تاريخ الفقه الإسلامي)) و ((آية التطهير)) و ((الشيخ المظفر وحركته الإصلاحية في النجف الأشرف)) ، و أثر العلوم التجريبية في الإيمان بالله)) و ((الدعاء)) و ((بحوث في الحضارة الإسلامية)) و ((الموقف من الفتنة الطائفية)) و ((بحوث في مشروع الوحدة الإسلامية))^(٢٤) .

كان أهم ما يميز العلامة الآصفي هو تواضعه الجم وأخلاقه العالية ، وانطباق وعضه ونصائحه وإرشاداته مع تفكيره وسلوكه وأسلوب حياته ، ولذا كان أنموذجاً للداعية والمفكر والسياسي الإسلامي الحقيقي ، ولكن أكثر ما كان يلفت النظر في سلوكه هو زهده العجيب ، في ظاهره وباطنه ، في مسكنه ومركبه وملبسه ومأكله ، على الرغم من وضعه الديني والعلمي والسياسي والاجتماعي ، الذي يسمح له أن يكون من الأثرياء وأصحاب المظاهر ، ولكنه فضّل أن يعيش عيشة الفقراء ، الذين كان يحبهم ويرعاهم ويخدمهم بنفسه ، إذ كان الشيخ الآصفي يشتري المواد الغذائية والسلع

المنزلية وبمأ سيارته بها ، ويخرج كل ليلة مع مرافقه ليوزعها بنفسه على الفقراء في بيوتهم ، توفي العلامة الشيخ الآصفي في مدينة قم ، إذ كان يخضع لدورة العلاج الكيميائي ، وذلك في صبيحة يوم الخميس ١٦ شعبان ١٤٣٦ هـ الموافق ٤ حزيران ٢٠١٥ عن عمر ٧٦ عاماً بعد أدائه صلاة الفجر مباشرة (٢٥)

آراء وطروحات الشيخ محمد مهدي الآصفي التوعوية من التطرف الديني

بلا شك ، يعد الدين ركيزة أساسية في تغيير الواقع الاجتماعي المنحرف والتخطيط لبناء حياة اجتماعية سليمة من الاستغلال والظلم ، وربما دور التعاليم الدينية لا يقتصر في حياة الإنسان على العدل والنصيحة وإصلاح وشجب الفساد ، وإنما الدور الرئيسي هو التخطيط لتفسير الواقع الاجتماعي الفاسد ، وبناء مجتمع أنساني متكامل ، ولاسيما في ضوء شريعة الله ورسالته ، فالإسلام حاول تفسير الواقع الجاهلي وما يشوبه من انحراف وظلم وسوء توزيع الفوارق الطبقيّة ، لاغياً تلك الفوارق والطبقات التي كانت تمثل ركناً أساسياً في حياة المجتمع الجاهلي ، معتمداً على مقياس واحد تمثل بالفضيلة والتقوى ، فضلاً عن الأمر بالجنوح الى السلم وإقامة العدل وإزالة البغي والظلم من المجتمع .

الحقيقة يجب أن نقال ، الفتنة بين المسلمين اليوم حقيقة قائمة على وجه الأرض ولا يمكن تجاهلها ولا يجوز التغاضي عنها ، والتسامح معها ، ومن الخطأ ان ننظر الى هذه الفتنة نظرة تجريدية سطحية بمعزل عن اللعبة السياسية الدولية التي تمارسها القوى الاستعمارية ولاسيما في العراق لاستغلالها العامل الديني ، اذ كانت تعدّه محورا أساسياً في تمزيق وحدة النسيج الاجتماعي العراقي مما يشير الى تداعيات خطيرة على ابناء الوطن ، فمن السهولة ان يحمل اختلاف الدين مسؤولية الأزمة بين ابناء الوطن ، لكن التراخي واهمال المشكلة وعدم قراءة لإحداث تاريخية وقعت قبل ذلك يحمل في طياته اهمالاً للمشكلة وهروباً من الحل الجذري لها ولذلك يتطلب الاتفاق ابتداء على جذور المشكلة التي نعتقد انها جذور سياسية بامتياز ألبست لباس الدين وحملت شعاره

وهو ما يعني ان الحل يفترض ان يكون سياسياً ايضاً ، وفي طور ذلك كان للشيخ الاصفي آراء وطروحات بهذا الخصوص ، اذ بين الشيخ ان الانقسام الطائفي اذا كانت جذوره سياسية فان تجلياته سياسية ايضاً مرتبطة بشكل وثيق بسياسة الدول العربية والإسلامية وطريقة تعاطيها مع التنوع الطائفي بين ابناء شعبها وفشلها الذريع بتحقيق مفهوم الدولة القومية التي تتسع لكل مواطنيها بغض النظر عن انتماءاتهم العقائدية ، ويشير الشيخ الاصفي ايضا في هذا الخصوص الى انعدام شعور المواطنة عند ابناء أي دولة وعدم اعطاء كافة الحقوق المدنية والسياسية والدينية بشكل كامل ومتساوي لكل مكونات الشعب يجعل الانتماء الطائفي ملاذاً إجبارياً بديلاً عن الوطن (٢٦) .

وصف الشيخ الاصفي الفتنة الطائفية ، كأية فتنة أخرى ، تنشأ وتتمو في غياهب الجهل والجهالة والفتن في حياة الناس كثيرة ، وكلها يتكون ويظهر وينمو في ظلمات الجهل ، موعزا علاجها إلى التقوى والوعي ، فهما يحصنان المجتمع من كل فتنة ويمنحان صاحبهما بصيرة وفرقانا (٢٧) .

وفي تحليل دقيق وموضوعي لأداء الشيخ الاصفي في مواجهته لهذه الفتنة الطائفية ، يتبين إلى إن أهم وجوه الوعي اليوم هو الوعي السياسي ، فان عامل الاستكبار العالمي والمخابرات والمنظمات الجاسوسية العالمية، فضلا عن المؤسسات الإعلامية التي تبث هذه الفتنة بين الناس، وتقوم بتأجيج حرائق الفتنة الطائفية بين المسلمين ، تجد فرصة ثمينة لبسط نفوذها في العالم الإسلامي وتمكنها من التلاعب بمقدرات المسلمين ولاسيما الاقتصادية (٢٨) ، والأداة المفضلة لمواجهه هذه الفتنة تكمن في انتشار الوعي السياسي ، الذي يمكن الناس من معرفة خلفيات هذه الفتنة وجذورها، وهنا يبرز دور العلماء والخطباء والمثقفين الإسلاميين في نشر الوعي السياسي بين الناس، وتمكينهم من اختراق الغطاء الإعلامي للجماعات والمنظمات التي تقع وراء هذه الفتنة (٢٩) ، ولابد من الإشارة إلى إن آراء وطروحات الشيخ الاصفي في هذا الخصوص لا تقف عند النخبة في نشرها للوعي السياسي فقط على الرغم من الاعتراف

بأهميتها في نشر الوعي ، ولكن ذهب إلى أبعد من ذلك في إشارة واضحة لتفعيل دور الجمهور في نشر الوعي قائلًا في هذا الخصوص إذ قل الوعي في الشارع الذي يتحرك فيه الجمهور ولم يتسلح الجمهور بالوعي ، تعد هذه اللعب السياسية والفضائيات المضللة قادرة على تضليل الناس و نشر العنف في وسط الناس كالذي يحصل اليوم في العراق وفي بعض الأقطار الإسلامية ، فأن الوعي عندما ينزل إلى مستوى الشارع ويثقف الجمهور يحصنه من أمثال هذه الفتن ، والجمهور الذي يمتلك درجة عالية من الوعي السياسي يمتلك درجة عالية من الحصانة تجاه العوامل الإعلامية والسياسية المضللة (٣٠) .

إن هذا الوعي يمنح ساحتنا حصانه تحفظها من الكثير من الانزلاقات السياسية التي تتعرض لها الأمم التي لا تمتلك هذا الوعي ويحفظ لها مواقعها ويحافظ على وحدتها ، والحقيقة فأن مثل هذا الوعي لا يكون إلى في قاعدة الهرم ، أما وعي النخبة في قمة الهرم فلا يمتلك هذه القدرة على حماية الساحة وتحسينها ولعل وعي النخبة هو مصدر الوعي في الشارع ، ولكن لا يكون له هذا الدور الكبير في تحصين الأمة وحمايتها ما لم ينزل من قمة الهرم إلى قاعدة الهرم الاجتماعي (٣١)

ركز الشيخ الاصفي في كتاباته وتحليلاته لمواجهه خطر الفتنة الطائفية حول الوحدة ولاسيما بين المسلمين عاداتاً إياها مشروع عمل فقهي وسياسي واجتماعي ، وليست مجرد شعار وخطاب ، فهي تحتاج إلى تضافر العقول والجهود في سبيل تحقيق التعايش الإسلامي المطلوب (٣٢) ، ولعل تحقيق هذا المشروع بحسب رأي الشيخ الاصفي يكمن في البحث عن مساحات عامة مشتركة بين المسلمين ولاسيما في الأصول والفروع والثقافة العامة ومصادر التشريع وهي ساحات واسعة في العقائد والفقه والتفسير وعلوم القرآن وأصول الفقه (٣٣) .

وتجدر الإشارة الى ان الشيخ الاصفي كان له دور كبير في التقريب بين المذاهب الإسلامية الى تحقيق الكثير من ذلك فعلى سبيل المثال لا الحصر (الحديث النبوي المشترك ، القواعد المشتركة ، التفسير المقارن ، الرواة المشتركون في إسناد الروايات)

فضلاً عن الفقه المقارن ، وغيرها مما أثمر عن ذلك مزيداً من التقارب والتكاتف بين المسلمين و علمائهم ولاسيما المؤمنين بالتعايش السلمي وعدم نكران الآخر^(٣٤)

طروحات الشيخ الآصفي تجاه مشروع الوحدة الإسلامية

حرص الشيخ الآصفي في كتاباته وطروحاته جلياً على مواجهه التحديات الحضارية والسياسية والاقتصادية الكبيرة التي يواجهها العالم الإسلامي عن طريق مشروع الوحدة الإسلامية باعتباره ركيزة أساسية في ترسيخ دعائم الاستقرار السياسي والثقافي فضلاً الاقتصادي للحاضر والمستقبل ، دعا الشيخ الآصفي الى التمسك بمشروع الوحدة الإسلامية الذي عده مشروعاً للتحدي في مواجهه العالم ، كونه يحمل للبشرية خيراً كثيراً بعكس المشاريع الغربية في تحدي العالم الإسلامي الذي يحمل للمسلمين خراب وفساد حضاري وثقافياً و تبعية سياسية واقتصادية بحسب رأيه^(٣٥) ، لذلك دعا المفكرين والعلماء والمتقنين الإسلاميين للنظر في المشروع ودراسته بشكل جدي فهو يحتاج الى تخطيط شامل وتحليل موضوعي لكافة جوانبه ، وليس خطاباً إنشائياً وشعاراً يطرح في المناسبات لاستمالة قلوب وعواطف المسلمين ، ويعتقد الشيخ الآصفي ان مشروع الوحدة لا يستطيع تحقيق أهدافه المتوخاة بدون وجود عناصر أساسية تتجسد بـ (الثقة والأمل والأخلاق فضلاً عن آليات علمية وعملية)^(٣٦) ، ولا يمكن الانفتاح والتعاون والتعامل والتعايش المشترك بين المسلمين من دون هذه العناصر ، فضلاً عن ذلك لا يمكن تحقيق المسلمين غاياتهم وأهدافهم المستقبلية لهذا الدين في مواجهه التحديات الكبيرة التي تعصف بوحدة المسلمين ، وعلى الرغم من الاختلاف في الأصول والفروع والانتماء والولاء ، فيجب ان لا يؤدي الى التقاطع بين المسلمين ، فإن هذه الأمة بكل اتجاهاتها امة واحدة^(٣٧) انطلاقاً من الآية الكريمة (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)^(٣٨) فبقوة الأمة ووحدتها يمكن مواجهه اكبر التحديات التي تحاول النيل منها وتفتيتها وتمزيقها .

طرح الشيخ محمد مهدي الآصفي بعض الآليات التي تصب في هذا الاتجاه من خلال خلق مساحات علمية مشتركة بين المسلمين ولاسيما في الأصول والفروع والثقافة العامة ومصادر التشريع ، وهي مساحات واسعة في العقائد و الفقه و التفسير وعلوم القرآن وآيات الاحكام والحديث والجرح والتعديل وأصول الفقه فضلا عن بسط الكلام ، كان من شأنها تذليل الكثير من الخلافات وأسهمت الى حد كبير في التقريب بين المذاهب الإسلامية ولاسيما بين الشيعة والسنة (٣٩) ، فكانت للشيخ الآصفي إسهامات حقيقية وجهود مباركة في هذا الإطار بحسب كتاباته وطروحاته فضلا عن أراء زملائه من المفكرين والعلماء في هذا الاتجاه.

كما عدّ الشيخ الاصفي عملية الترافد والتقارب بين المذاهب المختلفة في إطارها العلمي والثقافي بشكل موضوعي غير متشنج يكون سببا للإثراء والتفاعل بين المذاهب وبالتالي تقف عائقا أمام تحقيق أهداف مثيري الفتن الطائفية (٤٠) .

وفي تحليل موضوعي لما سبق ، يبين الشيخ الاصفي إلى إن مواضع الخلاف التي قد تواجه حياتنا اليومية العملية مرتبطة بالوحدة اصلاً ومنهجاً ولاسيما التعامل مع نقاط الخلاف ، وهذا ليس معناه إلغاء الخلاف وإنما التعامل معه بمنهجية علمية واقعية(٤١) ، والقرآن الكريم يقرر هذا الأصل بوضوح في أكثر من موضع بقوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) (٤٢) كذلك يقول الله تعالى (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) (٤٣) .

الاختلاف حقيقة واقعة لا يمكن نفيها ولا يصح إنكارها والاختلاف في الرأي والدليل والاجتهاد أمر واقع لا يصح التنازل عنه ، لان التنازل عنه معناه التفريط بالدليل والرأي وهذا واقعياً غير ممكن إلا بوجود رأي قائم على الدليل والحجة ، ولذلك يشير الشيخ الاصفي مع وجود هذا الاختلاف وضع الإسلام (أصلاً) في طريقة التعامل مع الاختلاف وهو يتمثل بأصل الوحدة فهي تعد درجة كبيرة من الأهمية (٤٤) ولذلك يمكن تطبيق هذا الطرح في الاجابة عن بعض التساؤلات ومنها كيف نتعامل مع الاختلاف في الرأي ؟ هل يجوز أن يطرد بعضنا بعضا ، إذا اختلفنا في الرأي ؟ وهل الاختلاف

في الرأي (في الفقه والأصول والسياسية) بمعنى التقاطع ، والرفض والطرْد والنفي ،
أم بمعنى الحوار والتفاهم ؟^(٤٥) .

ممارسته لمهنة التدريس

مارس الشيخ الاصفي مهنة التدريس في كليات متعددة ككلية أصول الدين في
بغداد وكلية الفقه في النجف ، فضلا عن ذلك التدريس في حوزة النجف الاشرف ،
ففي اختصاص الفقه كان يدرس كتاب (المكاسب) وعلى صعيد اختصاص الأصول
كان يدرس كتاب (الكفاية) إضافة لتدريسه مواد الفلسفة والتفسير والعقائد ، ومن جهة
أخرى حرص الشيخ على القيام بإلقاء محاضرات وندوات عامة تستهدف معالجة
ظروف الفتنة السياسية والاجتماعية ، فضلا عن انتهاج الوعي الفكري والثقافي
للمجتمع^(٤٦) .

بعد هجرة الشيخ الاصفي الى إيران ، انشغل بتقديم النصح فضلا عن الخدمات
الاجتماعية للعوائل المتعففة والفقيرة ولاسيما العراقية والأفغانية والإيرانية التي تحتاج إلى
الرعاية والعون المادي والروحي ، لذلك كانت له نشاطات تبليغية بتدريس البحث
الخارج فقها وأصولا واستمر بهذا النشاط طيلة مدة عشرة سنوات حتى سقوط النظام في
العراق عام ٢٠٠٣ ليعود الشيخ إلى النجف الاشرف ، وفور عودته بدأ بممارسة عمله
في حوزة النجف ليدرس مادة الفقه مكملا ما توقف عنده قبل خروجه من العراق^(٤٧) .

وتجدر الإشارة إلى إن الشيخ الاصفي تتلمذ على يديه العديد من الطلاب الذين
تأثروا بأفكاره وطروحاته وبدون أي مقابل سوى الحصول على العلم والمعرفة الإسلامية
، إذ كان العديد من الشيوخ يدفعون الاموال لطلبتهم كي يواظبوا على الحضور في
الحلقات التدريسية^(٤٨) ، ومن الجدير بالذكر إن اغلب طلاب الشيخ الاصفي من
الطلاب الحركيين والسياسيين الذين لهم اهتمامات الاجتماعية والجهادية الأمر الذي
جعل من حلقات الشيخ الاصفي لا تضج بالدارسين ، إذ إن الكثير منهم ينقطع عن
الدروس لظروف العراق الصعبة آنذاك^(٤٩) .

تميز الشيخ الاصفي عند ألقاء المحاضرات والتعامل مع طلابه بسعة الصدر إذ كان يقدم كل ما لديه حتى يصل المتلقي غاية الرضا والقناعة ، فضلا عن استخدامه لغة بسيطة في تعامله مع طلبته .

لم يكن الشيخ الآصفي ناقلا للنصوص وسردها وإنما تميز بتحليلها واستنباطها مما يبعد الطالب عن الملل او الشرود الذهني وكثيرا ما كان ليمزج في محاضراته بين المنهجية العلمية في متن الكتب وبين الواقع ولاسيما ضربه للأمثلة التي تتناول بعض الأمور الأخلاقية والروحية التي هي على تماس مع حياة الطالب اليومية .

كان للشيخ الاصفي مؤلفات عديدة وفي كافة المجالات سواء في مجال الفقه ام السياسة ام المال والاقتصاد فضلا عن مؤلفات تتعلق بالفكر الإسلامي ، إذ عرف بين الأوساط الدينية والثقافية بأنه موسوعي لذلك فقد حظي باحترام واضح لدى مرجعية النجف الاشرف فضلا عن جميع الحركات السياسية والدينية في العراق الامر الذي دفع طلاب العلم والمعرفة يتوافدون عليه لاستشارته والاستئناس برأيه (٥٠) .

مساهمته في تأسيس جماعة العلماء في النجف

من الجدير بالذكر ان الشيخ الاصفي قد انغمس في نشاطه السياسي والثقافي نتيجة المتغيرات التي طرأت على المشهد السياسي العراقي آنذاك ، لذلك ساهم مع مجموعة من كبار العلماء لتأسيس جماعة العلماء في النجف الاشرف في ٢ / ٩ / ١٩٥٨ ، لغرض إيصال صوت الجماعة إلى مدن العراق كافة وبمباركة المرجعية الدينية ممثلة بالسيد محسن الحكيم ، والحقيقة يجب الإشارة الى إن فكرة تأسيس جماعة العلماء في النجف تعود الى السيد محمد باقر الصدر (٥١) الذي طرحها وناقشها داخل أروقة حزب الدعوة الإسلامية معتبرا إياها خطوة ضرورية لمواجهة المد الشيوعي ، فضلا عن مجموعة من العلماء ومنهم الشيخ مرتضى آل ياسين والشيخ عباس الرميثي والشيخ محمد طاهر الكرمي والسيد باقر الشخص والشيخ محمد رضا المظفر ، والسيد إسماعيل الصدر فضلا عن الشيخ محمد مهدي الاصفي ، وقد اقام جماعة العلماء

احتفال في الجامع الهندي في النجف الاشرف بمناسبة مولد الإمام الحسين (ع)
لغرض التعريف عن تشكيل جماعة العلماء (٥٢) .

أصدرت جماعة العلماء مجلة (الأضواء) (٥٣) لتكون ناطقة باسمها إذ تولى
السيد محمد باقر الصدر الاشراف عليها وكان يتولى بنفسه كتابة عمود ثابت تحت
عنوان (رسالتنا) وفيه نقد لاذع لكثير من القضايا سواء داخليا أم خارجيا ، مما أدى
الى حدوث انشقاق داخل الحوزة العلمية بسبب مواقف المجلة تجاه بعض القضايا ومنها
الموقف من شاه إيران بعد اعترافه بإسرائيل ، إذ علقت الأضواء حول الموضوع بجرأة
قل نظيرها متمثلة بشخص السيد محمد باقر الصدر مما دفع المخابرات الإيرانية (
السافاك) للضغط على الصدر لإيقاف الكتابة فيها من خلال عناصرها الموجودين
داخل الحوزة ، الأمر الذي أدى إلى انقسام الحوزة بين مؤيد ومعارض لها ، مما
اضطر السيد محمد باقر الصدر الى التوقف عن كتابه موضوع رسالتنا في الاضواء
بعد ان صدر منها خمسة أعداد لكنه لم يمتنع عن إبداء رأيه (٥٤) .

وفي سياق الموضوع نفسه ، يظهر دور الشيخ الاصفي في هذه الجماعة من خلال
مشاركاته الفاعلة في المجلة والتي كان لها دور فاعل وبارز في تثقيف الشباب وحثهم
على التعمق في فهم الأفكار الدخيلة على المجتمع العراقي ، وهنا المقصود بحسب رأيه
صد التيار الماركسي ، فبدأ الشيخ بنقد وتفنيد مفهوم الأخلاق عند ماركس والذي كان
يعد الأخلاق عاملا من العوامل التي تؤثر على تجميد المجتمع في إطار واحد ، اذ
أشار الشيخ الاصفي إلى ان الأخلاق لا علاقة لها بالإطار الحضاري ، مهما كان
شكلها ولا بزمان فاصل مهما كان أمره وحينه ، فلا يصح ان يقال ان الأخلاق تعمل
على تجميد الوضعية الاجتماعية وربطها بإطار فكري قديم ، فلا صلة للأخلاق بما
كان او ما هو كائن او سيكون (٥٥) .

استمر الشيخ الاصفي بإبداء آراءه وطروحاته ونشرها في الأضواء لمواجهة الفكر
الماركسي والعلماني والرأسمالي من خلال استعانتة بالأدلة العقلية التي يطرحها
وبمستوى يفهمه القارئ ويقتنع به بحسب رأيه ، ويظهر ذلك جليا من خلال كتاباته عن

المقارنة بين السياسة المالية في الإسلام والاشتراكية ، والحرية بين الإسلام والرأسمالية^(٥٦) .

ويظهر للباحث إن أهم ما يميز كتابات الآصفي ، أنها كانت ذات طابع ايماني أخلاقي فيها عاطفة روحية كبيرة تشد السامع اليها وتجذب انتباهه لدرجة انه ينغمس ويتفكر في معانيها ومفاهيمها التربوية والإنسانية والإيمانية

الخاتمة والاستنتاجات

لم يكن فكر الشيخ الاصفي تقليديا جامدا ، بل كان فكرا يمتاز بصفة التفاعل مع الاحداث وتطوراتها ويتناغم مع روح الاسلام والعقيدة الجهادية التي اظهرت صورة التضحيات التي قدمها حزب الدعوة ، خلال مقاومته نظام السلطة آنذاك ، الامر الذي لاقى توجهاً جدياً من الشباب العارف لعقيدته والتمسك بدينه اذ اصبح الشيخ مدرسة علمية وثقافية جهادية نهلت من منابعها الصافية ، ثلة خيرة من المؤمنين .

تربى على فكر الشيخ الآصفي اجيالا من الدعاة والحركيين والطلبة من جنسيات متعددة من خلال محاضراته وكتبه فضلاً عن دوره في نشر الوعي الرسالي والحركي بالمجتمع ومساهمته الفاعلة في مساندة الفقراء والمحتاجين والمهجرين العراقيين .

لم يكن الشيخ الآصفي ناقلاً للنصوص وسردها وانما تميز بتحليلها واستنباطها مما يبعد الطالب عن الملل والشروذ الذهني وكثيراً ما كان يمزج في محاضراته بين النهضة العلمية في متن الكتب وبين الواقع ولاسيما ضربه للأمثلة في تناول بعض الامور الاخلاقية والروحية التي هي على تماس مع حياة الطالب اليومية .

جمع الشيخ الآصفي بين الدراستين الاكاديمية والدينية ، اذ انتمى الى كلية الفقه في دورتها الاولى في النجف الاشرف ، ثم درس الماجستير في جامعة بغداد في معهد الدراسات الاسلامية عام ١٩٦٩ ، اما الدراسات الدينية فهي كانت مرحلة مهمة في حياته ، اذ اسهمتا في صقل شخصيته الدينية التوعوية ولاسيما تاثره بأساتذته الذين

تتلذ على ايديهم وعلى وجه الخصوص السيد محسن الحكيم والسيد الخوئي والسيد
الخميني .

اهم ما يميز العلامة الاصفى هو تواضعه الجم واخلاقه العالية وانطباق وعضه
ونصائحه وارشاداته مع تفكيره وسلوكه واسلوب حياته ن لذلك كان انموذجاً للداعية
والمفكر والسياسي الاسلامي الحقيقي.

تجلت اكثر كتابات الشيخ الاصفى في مواجهه خطر الفتنة الطائفية ولاسيما بين
المسلمين ، عاداً اياها آفة خطيرة زرعته قوى الاستعمار لغرض تمزيق وحدة المجتمع
، لذلك رفع شعار الوحدة الاسلامية لمشروع عمل فقهي وسياسي واجتماعي لمواجهه
خطر التفرقة الطائفية .

الهوامش والمصادر

(١) لقاء الشيخ محمد مهدي الآصفي ، قناة الفرات الفضائية ، برنامج (معهم) في
١١ / ٥ / ٢٠١١.

(٢) السيد أبو القاسم بن علي بن اكبر بن هاشم الموسوي الخوئي ولد عام ١٨٩٩
في مدينة خوي في أذربيجان ، هاجر مع عائلته إلى النجف عام ١٩١٢ ، ودرس
العلوم الدينية على كبار علماء الدين ، وبعد وفاة السيد الحكيم انشطرت
المرجعية بينه وبين السيد محمود الشهرودي والذي توفي عام ١٩٧٦ لكن
مرجعية السيد الخوئي كانت أكثر انتشاراً ، ثم أصبح من ابرز مراجع الشيع ،
عاصر السيد الخوئي مرحلة حرجة من تاريخ العراق الحديث إذ عاصر فترة حكم
حزب البعث ثم انتصار الثورة الإسلامية في إيران وانعكاساتها على الساحة
العراقية ثم الحرب مع إيران والانتفاضة الشعبانية ضد النظام في ١٩٩١ حيث
اعتقل بعدها ثم أطلق سراحه توفي في ١٩٩٢ ودفن في النجف الاشرف في
مسجد الخضراء ، للمزيد ينظر: عبد الحسن الأمين وطراد حمادة ، الإمام أبو

القاسم الخوئي زعيم الحوزة العلمية ، مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية ، لندن ،
٢٠٠٤.

(٣) هو السيد محسن بن السيد مهدي بن السيد صالح الطباطبائي ولد في عام
١٨٨٩ في النجف الاشرف ، تتلمذ على عدد من كبار مراجع الدين في الحوزة
العلمية النجفية ، كالشيخ محمد كاظم الخراساني ، والشيخ ضياء الدين العراقي ،
والميرزا محمد حسين النائيني ، اشترك في معارك الشيعية في البصرة عام
١٩١٤ ضد الاحتلال البريطاني ، حصل على الاجتهاد في عام ١٩١٩ ، تولى
المرجعية بعد وفاة النائيني ، غير انه أصبح زعيم الطائفة الشيعية منفردا بعد
وفاة حسين الطباطبائي البروجردي عام ١٩٦٠ وامتدت زعامته إلى خارج العراق
، عمل على إصلاح الحوزة العلمية وازداد عدد طلبة الحوزة العلمية حتى بلغ
٧٠٠٠ طالب ، كان يؤمن بالولاية المحددة للفقهاء وهي درجة اضعف من الولاية
الثابتة ، لكنه كان يؤيد إقامة حكومة إسلامية تطبق أحكام الشريعة الإسلامية ،
عرف عنه مواقفه المتشددة إزاء الحكومة الملكية إذ رفض استقبال الملك فيصل
الثاني عام ١٩٤٩ ، وفي عام ١٩٦٠ اصدر فتى بتحريم الانتماء للشيوعية ، قام
بمسيرة احتجاجية ضد حكومة البعث الأولى حيث وصل إلى سامراء ومنها عاد
إلى بغداد والنجف ، وتوترت علاقته مع عبد السلام عارف ورفض اللقاء به ،
وساءت علاقته بنظام البكر - صدام نتيجة معاداة هذا النظام للإسلاميين واتهام
نجله السيد مهدي الحكيم بالتجسس ، توفي في بغداد عام ١٩٧٠ ودفن في
النجف ، للمزيد ينظر: وسن سعيد الكرعوي ، السيد محسن الحكيم: دراسة في
دورة السياسي والفكري في العراق ١٩٤٦ - ١٩٧٠ ، ط ١ ، مؤسسة آفاق
للدراسات والأبحاث العراقية ، النجف ، ٢٠٠٩.

(٤) عبد الإله نعمه الشبيب ، الشيخ الاصفي حركة مباركة في الأمة ، بحث في المؤتمر العلمي جامعة بغداد كلية الآداب حول الشيخ الاصفي في ١١/١٠/٢٠١٥ ، ص ٤ - ٥ .

(٥) ضياء الدين علي بن المولى محمد العراقي ولد في سلطان آباد العراق عام ١٨٦١ وكان والده من الفقهاء الأجلاء ثم هاجر من مسقط رأسه إلى أصفهان للدراسة ثم هاجر الى النجف وتصدى لتدريس السطوح العليا وخارج الفقه والأصول ، واشتغل بالتدريس على منبر الدراسات العليا بحث الخارج أكثر من ثلاثين سنة بعد وفاة أستاذه الشيخ محمد كاظم الخراساني ، وتخرج خلالها على يديه المئات من الفقهاء والمجتهدين والفضلاء ، وقد تولى جمع منهم مرجعية الطائفة وزعامتها في عصره ، وقد استمر في التدريس إلى آخر عمره ، له العديد من المؤلفات منها روائع الامالي في فروع العلم الإجمالي ، أحكام الرضاع ، مقالات الأصول ، وغيرها الكثير ، توفي في ١٩٤٢ ودفن في الجانب الغربي من صحن مرقد الإمام علي (ع) ، للمزيد ينظر : ضياء الدين العراقي ، مقالات الأصول ، ج ١ ، تحقيق محسن العراقي ومنذر الحكيم ، ط ١ ، مجمع الفكر الإسلامي ، قم ، ١٩٩٤ ، ص ١٥ - ٢٥ .

(٦) هو السيد أبو الحسن محمد عبد الحميد الموسوي ، ولد في ١٨٦٨م في أصفهان ، درس المراحل الأولية من البحث الخارج عند آية الله الجهار سوقي وآية الله أبو المعالي الكلباسي ، هاجر إلى النجف في ١٨٨٩ ، لحضور دروس آية الله حبيب الله الرشتي (صاحب بدائع الأصول) والاخوند الخراساني (صاحب كفاية الاصول) وآية الله محمد كاظم اليزدي (صاحب العروة الوثقى) ، له خلافات مع حكومة الملك فيصل الاول واعترض على اجراء الانتخابات ولاسيما في ظل تدخل بريطانيا في الشأن الداخلي للبلاد ، فأبعدته حكومة عبد المحسن السعدون عام ١٩٢٣ من العراق ثم عاد بعد ذلك ، بعد تعهده بعدم التدخل

بالشؤون السياسية ، انفرد بالمرجعية بعد وفاة الميرزا النائيني ، وساند رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١ وأفتى بجهاد البريطانيين ، توفي في الكاظمية ودفن في النجف عام ١٩٤٦ ، للمزيد ينظر: عبد الله احمد اليوسف ، المرجعية المتميزة السيد أبو الحسن الموسوي الاصفهاني أنموذجا ، ط ١ ، مؤسسة البلاغ ، بيروت ، ٢٠١١.

(٧) محمد حسين النائيني ، ولد في ١٨٥٦م في أصفهان ، ثم هاجر إلى العراق عام ١٨٨٥ ودرس في سامراء ثم كربلاء والنجف ، تعد أطروحته الشهيرة (تنبيه الأمة وتنزيه الملة) والتي صدرت عام ١٩٠٩ أساس نظرية في الديمقراطية بشروط إسلامية انطلاقا من فكرة تحرير الإنسان من الاستبداد ، كما انه وضع مخطط تفصيلي لما ستكون عليه الدولة الدستورية الإسلامية ، عارض المجلس التأسيسي الذي شكله فيصل الأول فأبعدته الحكومة إلى إيران مع لفيف من العلماء ثم عاد إلى العراق ، آلت إليه المرجعية بعد وفاة شيخ الشريعة الاصفهاني ، توفي في ١٩٣٦ ، للمزيد ينظر: حسن لطيف الزبيدي ، موسوعة السياسة العراقية ، العارف للمطبوعات ، بيروت ، ٢٠١٣ ، ص ٥٤٦.

(٨) محمد مهدي الآصفي ، الزيارة أبعادها التوحيدية والسياسية ، سلسلة الثقافة الإسلامية (٦١)، مطبعة مجمع أهل البيت ، النجف ، ٢٠١٠ ، ص ٣٦.

(٩) لقاء الشيخ محمد مهدي الآصفي ، قناة الفرات الفضائية ، برنامج (معهم) في ١١ / ٥ / ٢٠١١.

(١٠) أسرة آل المظفر من الأسر العلمية العربية عرفت باسم جدها الأعلى مظفر بن أحمد بن محمد بن علي من قبيلة حرب القحطانية ، عرفت في النجف بحدود عام ١٧٥٠م ، و سكن بعض رجالها في منطقة الجزائر التابعة للواء البصرة ، وهي كثيرة العدد منتشرة في النجف والبصرة والقرنة وفي مدينة بغداد ، ووالد الشيخ المظفر هو المجتهد الشيخ محمد بن عبد الله كان من علماء النجف

ومراجع التقليد فيها ، للمزيد ينظر: محمد رضا المظفر ، عقائد الأمامية ، تحقيق عبد الكريم الكرمانى ، ط ٢ ، دار الغدير ، قم ، ٢٠٠٧ ، ص ١٥ - ٣٠ .
(١١) محمد صادق الشيخ كاظم الحلفي ، صهر الشيخ الاصفي ، النجف ، اتصال هاتفي في ١٨/١١/٢٠١٥ .

(١٢) عبد الإله نعمه الشبيب ، المصدر السابق ، ص ٢٣ - ٢٤ .
(١٣) ولد آية الله الشيخ محمد رضا المظفر في سنة ١٩٠٤ م في النجف الأشرف في أسرة علمية ، كان أبوه الشيخ محمد بن عبد الله من علماء عصره ومراجع التقليد ووالدته بنت العلامة عبد الحسين الطريحي ولم يكتب للشيخ المظفر أن يشاهد أباه فقد ولد بعد وفاة أبيه بخمسة أشهر، يعد من ابرز مؤسسي الحركة الإصلاحية وروادها ، إذ قام مجموعة من العلماء في الحوزة بحركة إصلاحية لمناهج الدراسة والتربية والتعليم، وكان الشيخ المظفر واحداً منهم ، وقد تبنى الشيخ هذه الفكرة الإصلاحية وبذل جهده في هذا السبيل ، وتكثرت تلك الجهود المباركة بتأسيس جمعية منتدى النشر، لتعميم الثقافة الإسلامية والعلمية ، ومنها أسس كليه الفقه في النجف الاشرف ، وكان من (جماعة العلماء) في النجف ، وانتخب عام ١٩٦٣ عضواً عاملاً في المجمع العلمي العراقي في بغداد وحضر عدة مؤتمرات إسلامية منها : مؤتمر باكستان المنعقد سنة ١٩٥٦ ومؤتمر جامعة (القرويين) بمراكش سنة ١٩٥٩ توفي في ١٩٦٤ ، للمزيد ينظر: حسين كاظم عزيز خوير ، الشيخ محمد رضا المظفر وجهوده العلمية ، رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة الكوفة ، كلية الفقه ، ٢٠٠٦ .

(١٤) هو السيد روح الله بن مصطفى بن أحمد الموسوي الخميني ، ولد في مدينة خمين في إيران عام ١٩٠٢ ، أتقن القراءة والكتابة منذ وقت مبكر ، وبعد ذلك واصل تعلم الأدب الفارسي ، سافر إلى مدينة أصفهان ، لغرض مواصلة دراسته ، ثم ذهب إلى مدينة أراك لاشتجار الدراسة الحوزوية فيها ، بزعامة آية الله

العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري ، وبعد هجرة الشيخ الحائري إلى مدينة قم المقدسة بأربعة أشهر ، رحل إليها السيد الخميني ، وسكن في مدرسة دار الشفاء ، وواصل دراسته فيه ، وبعد فترة وجيزة نال درجة الاجتهاد ، وأصبح من العلماء البارزين ، ومن مدرّسي الحوزة العلمية المعروفين ، استطاع أن يقود الشعب الإيراني لثورة ضد حكم الشاه ، وإقامة النظام الإسلامي في ١١ / ٢ / ١٩٧٩ م ، توفي في عام ١٩٨٩ ، للمزيد ينظر : احمد حسين يعقوب ، الإمام الخميني الثورة الإسلامية في إيران : القصة الكاملة ، الغدير للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٠.

(١٥) كلية أصول الدين تأسست في عام ١٩٦٤ ، كان تأسيسها من قبل جمعية الصندوق الخيري الإسلامي في بغداد والتي سبق أن أسسها السيد هبة الدين الشهرستاني ، تم اختيار السيد مرتضى العسكري أول عميد للكلية عام ١٩٦٤ ، ومقرها في الكرادة ، للمزيد ينظر : حسن لطيف الزبيدي ، المصدر السابق ، ص ٥٧٧.

(١٦) علي المؤمن ، سنوات الجمر مسيرة الحركة الإسلامية في العراق ١٩٥٧ - ١٩٨٦ ، ط ٣ ، المركز الإسلامي المعاصر ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ٥١٧ - ٥١٨.

(١٧) عبد آلله نعمة الشبيب ، المصدر السابق ، ص ٩.

(١٨) حسين بركة الشامي ، محمد مهدي الآصفي المفكر الداعية والإنسان محطات ومواقف ، ط ١ ، دار الإسلام بغداد ، ٢٠١٥ ، ٦٧ - ٦٨ .

(١٩) تأسست في طهران أواخر عام ١٩٨٠ وهي امتداد لجماعة العلماء في النجف الاشرف ، ابرز مؤسسيها السيد محمد باقر الحكيم الذي كان أول أمين عام لها ، باعتبارها مشروعاً بالدرجة الأساس ، والمحور الذي سعى من خلاله تجميع الجماهير العراقية في المهجر حوله ، فضلا عن الفصائل الإسلامية ، ظلت

الجماعة قائمة حتى عام ١٩٨٢ محورا لنشاط السيد محمد باقر الحكيم ، ثم تخطى عنها بعد انتخاب الهيئة الإدارية الجديدة وأصبح الشيخ محمد باقر الناصري أمينا عاما للجماعة ، كان للجماعة نشاطات سياسية وعسكرية وإعلامية وتبليغية ، وبقي نشاط الجماعة لكن بصورة اقل بسبب انسحاب الكثير من أعضائها لانشغالهم بتنظيماته الحزبية ، للمزيد ينظر : حسن لطيف الزبيدي ، المصدر السابق ، ص ١٧٤ - ١٧٥ .

(٢٠) علي المؤمن ، المصدر السابق ، ص ٥١٨ .

(٢١) وكالة أنباء المستقبل نيوز ، الشيخ محمد مهدي الاصفي ، ٧ حزيران ٢٠١٥ ،

<http://www.almustaqbalnews.net/204006>

(٢٢) السيد علي السيستاني ولد في مشهد - إيران عام ١٩٣٠ ، تلقى علومه الأولية فيها ثم انتقل إلى قم ، ثم انتقل إلى العراق ليستقر في النجف عام ١٩٥١ ، حيث أكمل دراسته الحوزوية على يد السيد محسن الحكيم والشيخ حسين الحلي والسيد أبو القاسم الخوئي ، آلت إليه المرجعية أو جزء منها عام ١٩٩٤ بعد وفاة السيد السبزواري حيث كانت هناك توجد مرجعية السيد محمد محمد صادق الصدر ، عرف السيد علي السيستاني بالاعتدال والورع ورجاحة العقل ، حظي باحترام الجميع حتى قوات الاحتلال الأمريكي ، لذلك أخذت ملاحظاته ولاسيما بمسألة إجراء الانتخابات لكي يختار كل عراقي مؤهل لانتخاب من يمثله في مجلس تأسيس لكتابة الدستور ، ثم يجري التصويت العام على الدستور الذي يقره هذا المجلس ، كما إن له مواقف كثيرة تدعو إلى التهدئة ونبذ العنف والطائفية ورفض تقسيم العراق ، للمزيد ينظر : سليم الجبوري ، السيد السيستاني مرجعية الانسانية والعيش المشترك ، دار الزافدين للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠١٣ .

- (^{٢٣}) وكالة أنباء المستقبل نيوز ، الشيخ محمد مهدي الاصفي ، ٧ حزيران ٢٠١٥ ،
<http://www.almustaqbalnews.net/204006> ،
- (^{٢٤}) ألاء سالم حاتم ، منهج التفسير الموضوعي عند الشيخ محمد مهدي الاصفي
في كتابة في رحاب القرآن ، ط ١ ، دار الإسلام ، بغداد ، ٢٠١٥ ، ص ٣٥ .
- (^{٢٥}) حسين بركة الشامي ، المصدر السابق ، ٢٦٤ - ٢٦٧ .
- (^{٢٦}) محمد مهدي الاصفي ، التحديات الثلاث الكبرى ، مطبعة اهل البيت ، النجف ،
٢٠١٠ ، ص ٤١ ؛ محمد مهدي الاصفي ، الاخطار التي تهدد ثقافتنا ،
القسم الاول ، مجمع اهل البيت ، النجف ، ٢٠١٠ ، ص ٩ .
- (^{٢٧}) محمد مهدي الاصفي ، الامة الواحدة والموقف من الفتنة الطائفية ، مجمع اهل
البيت ، النجف ، ٢٠١٠ ، ص ٤٧ .
- (^{٢٨}) محمد مهدي الاصفي ، الامة الواحدة والموقف من الفتنة الطائفية ، المصدر
السابق ، ص ٤٨ ؛ محمد مهدي الاصفي ، الأخطار التي تهدد ثقافتنا ، القسم
الأول ، المصدر السابق ، ص ١٣ .
- (^{٢٩}) محمد مهدي الاصفي ، حوار في التسامح والعنف ، مطبعة أهل البيت ،
النجف ، ٢٠١٠ ، ص ٣ .
- (^{٣٠}) محمد مهدي الاصفي ، الامة الواحدة والموقف من الفتنة الطائفية ، المصدر
السابق ، ص ٤٩ .
- (^{٣١}) محمد مهدي الاصفي ، الموقف من العنف والإرهاب والفتنة الطائفية ، مطبعة
مجمع أهل البيت ، النجف ، ٢٠١٠ ، ص ٥٤ ؛ محمد مهدي الاصفي ،
الأخطار التي تهدد ثقافتنا ، القسم الثاني ، مطبعة أهل البيت ، النجف ، ص
٢٠١٠ ، ص ١٤ .
- (^{٣٢}) محمد مهدي الاصفي ، الخطاب السياسي الثقافي الموجه إلى أنصار الحسين (ع)
(ع) ، بلامط ، النجف ، ٢٠٠٥ ، ص ٢٢ .

- (٣٣) محمد مهدي الاصفي ، مشروع الوحدة الإسلامية ثقافيا واجتماعيا ، مطبعة مجمع أهل البيت ، النجف ، ٢٠١٠ ، ص ٢٨ .
- (٣٤) محمد مهدي الاصفي ، مشروع الوحدة الإسلامية ثقافيا واجتماعيا ، المصدر السابق ، ص ٢٩ .
- (٣٥) محمد مهدي الاصفي ، الأمة الواحدة والموقف من الفتنة الطائفية ، المصدر السابق ، ص ٤٤ .
- (٣٦) محمد مهدي الاصفي ، مشروع الوحدة الإسلامية ثقافيا واجتماعيا ، المصدر السابق ، ص ١٣ .
- (٣٧) محمد مهدي الاصفي ، الأمة الواحدة والموقف من الفتنة الطائفية ، المصدر السابق ، ص ٤١ .
- (٣٨) سورة الأنبياء آية ٩٢ .
- (٣٩) فعلى سبيل المثال يمكن الإشارة الى بعض منها (الحديث النبوي المشترك ، القواعد المشتركة ، التفسير المقارن ، الرواة المشتركون في إسناد الروايات وغيرها) محمد مهدي الاصفي ، مشروع الوحدة الإسلامية ، المصدر السابق ، ص ٢٩ .
- (٤٠) محمد مهدي الاصفي ، الأمة الواحدة والموقف من الفتنة الطائفية ، المصدر السابق ، ص ٤٥ .
- (٤١) محمد مهدي الاصفي ، الأمة الواحدة والموقف من الفتنة الطائفية ، المصدر السابق ، ص ٤٥ .
- (٤٢) ال عمران آية ١٠٣ .
- (٤٣) الانعام آية ١٥٩ .
- (٤٤) محمد مهدي الاصفي ، مشروع الوحدة الإسلامية ثقافيا وسياسيا ، سلسلة الثقافة الإسلامية رقم (٧) ، مطبعة أهل البيت ، النجف ، ٢٠١٠ ، ص ٨ .

- (^{٤٥}) المصدر نفسه ، ص ٩ .
- (^{٤٦}) عبد الحسين الشيخ خضير ابو تقى البهباني ، الدعاء وصلاة الليل وآثارهما علة الفرد والمجتمع ، ط ١ ، مطبعة بخاشيش ، قم ، ٢٠١٢ ، ص ١٩ .
- (^{٤٧}) عبد الإله نعمة الشبيب ، المصدر السابق ، ص ١١ .
- (^{٤٨}) المصدر نفسه ، ص ١٢ .
- (^{٤٩}) المصدر نفسه ، ص ١٢ .
- (^{٥٠}) عدي هاشم عبد الزهرة ، النجف الاشرف وحركة التيار الاصلاحى ١٩٠٨ - ١٩٣٢ ، ط ١ ، المواهب للطباعة ، بيروت ، ٢٠٠٥ ، ص ٤٦ - ٤٧ .
- (^{٥١}) السيد محمد باقر بن حيدر بن إسماعيل الصدر، أحد علماء الأمامية ، ولد في مدينة الكاظمية بالعراق سنة ١٩٣٥، نشأ في أحضان أسرة عرفت بعلمها وفقاهتها ، وزعامتها الروحية ، فقد أبوه في أيام طفولته ، فعاش يتيماً، ابتداءً حياته الدراسية في منتدى النشر في الكاظمية ، فظهرت عليه أمارات النبوغ والعبقرية، حيث اتجه نحو الدراسات الحوزوية ، فدرس المقدمات والسطوح على أخيه السيد إسماعيل الصدر في الكاظمية ، حتى أتمها ثم أخذ يدرس الكتب الدراسية وحده وبدون أستاذ فأكمل معظمها بهذه الطريقة، وقد اشترط على أستاذه في الفلسفة الشيخ صدر البادكوبي أن يدرس عليه الأسفار بطريقة خاصة، بحيث يقرأ هو المطالب ويسأل أستاذه الإشكاليات التي يواجهها فقط ، وقد أكمل الأسفار بهذه الطريقة في مدة ستة أشهر، هاجر إلى النجف الأشرف سنة ١٩٤٨ ، وهو لم يبلغ الرابعة عشر من عمره فحضر دروس البحث الخارج لجملة من أعلامها، منهم : خاله الشيخ محمد رضا آل ياسين، والسيد الخوئي (قده) أصبح علماً من علماء الحوزة في وقت مبكر، يعد من ابرز المفكرين والفلاسفة الإسلاميين ، ابرز مؤلفاته ، فلسفتنا ، اقتصادنا ، اعتقل اكثر من مرة ، اعدم مع شقيقته بنت الهدى عام ١٩٨٠ ، للمزيد ينظر : احمد عبد الله ابو زيد

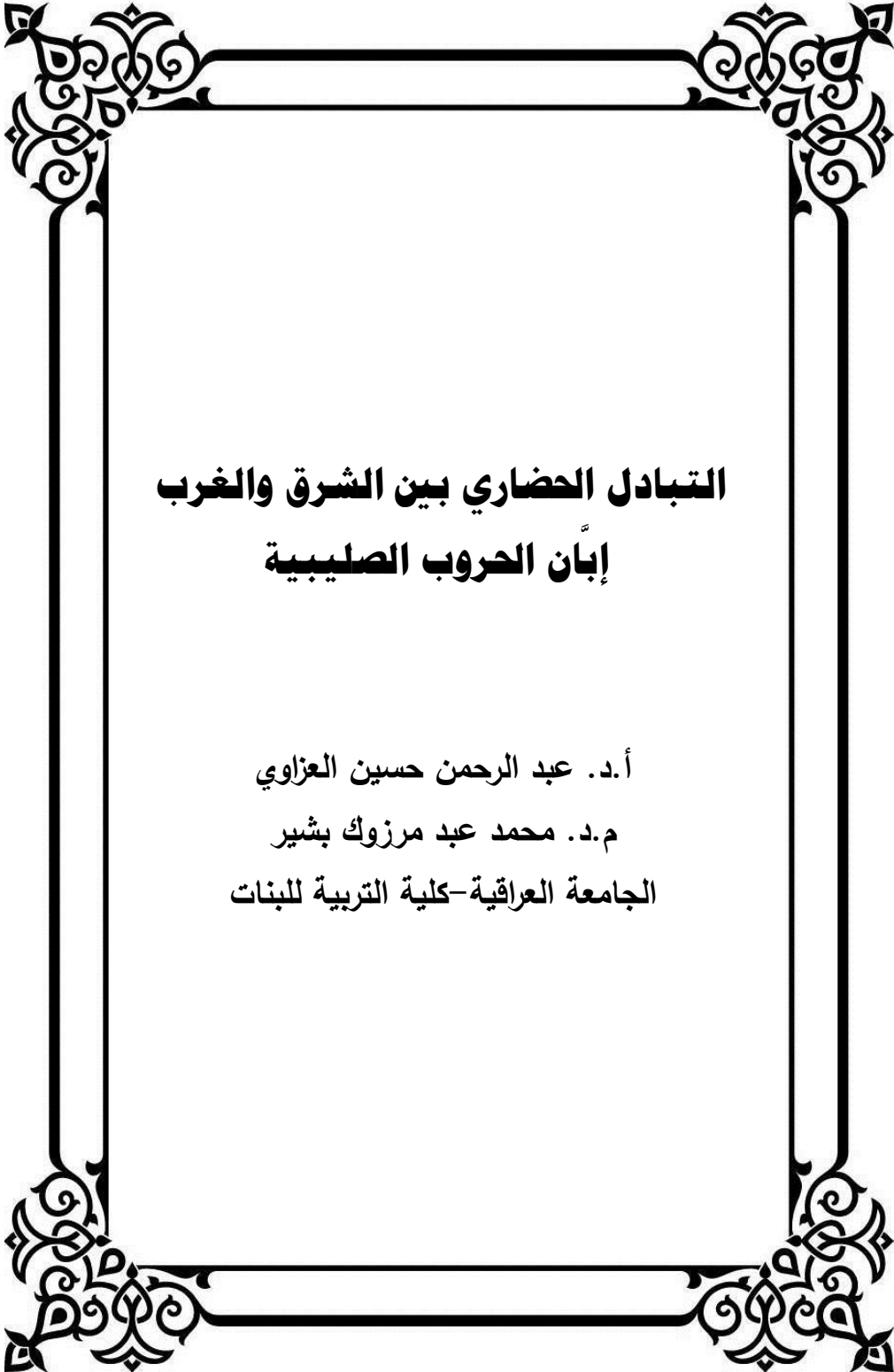
- العالمي ، محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق ، ٥ أجزاء ،
العارف للمطبوعات ، بيروت ، ٢٠٠٨ .
- (^{٥٢}) محمد حسين فضل الله ، خواطر وذكريات ، مجلة الجهاد ، العدد ٢٣٣ ، ١٤
/ ٤ / ١٩٨٦ ؛ محمد محمد الحيدري ، تاريخ العراق السياسي المعاصر ١٩٥٨
- ١٩٦٨ دراسة وتحليل ، المركز العراقي للمعلومات ، بيروت ، ٢٠١٣ ،
ص ١٢٧ .
- (^{٥٣}) مجلة الأضواء ، مجلة إسلامية ثقافية عامة تشرف عليها اللجنة التوجيهية
لجماعة العلماء في النجف الاشرف ، صدر العدد الأول لها في ٩ حزيران
١٩٦٠ كتب السيد محمد باقر الصدر افتتاحية العدد الأول منها بعنوان رسالتنا ،
وكان في المجلة عدة أبواب هي صوت الطلبة المسلمين وصوت المعلمين
المسلمين وأسئلة وأجوبة وركن المرأة المسلمة وغيرها من المواضيع الهادفة ،
للمزيد ينظر : حسن شبر ، تاريخ العراق السياسي المعاصر ج ٣ حزب الدعوة
الإسلامية الكتاب الأول ١٢/١٠/١٩٥٧ - ١٧/٧/١٩٦٨ تاريخ مشرق وتيار
في الأمة ، ط ١ ، الباقيات للنشر والتوزيع ، قم ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٤٣ - ٢٤٥ .
- (^{٥٤}) محمد طاهر الحسني ، محمد باقر الصدر حياة حافلة فكر خلاق ، دار السلام
، بيروت ، ٢٠١٠ ، ص ١٥٢ - ١٦٣ ؛ محمد حسين فضل الله ، خواطر
وذكريات ، مجلة الجهاد ، المصدر السابق ، ص ٢٤٤ .
- (^{٥٥}) محمد مهدي الاصفي ، الأخلاق عند ماركس ، مجلة الأضواء ، العدد الرابع ،
السنة الثانية ، النجف ، تشرين الثاني / ١٩٦١ ، ص ٥١ .
- (^{٥٦}) مجلة الأضواء ، العدد الثامن ، السنة الثانية ، النجف الاشرف ، آذار ، ١٩٦٢
، ص ٣٦ .

ABSTRACT

The events of history are demonstrated and through that just as groups and social classes in society an important and essential role in the formulation of the historical event, the individual in many cases, the role of not less than that.

My optional for personal Mohammad Mehdi Alasfi to be my research title did not come from a vacuum, what Iraq is going through the day of the serious implications of thought was behind the names and addresses of various united all of them to receive their toxicity on Iraq and its people, whether internal or from outside the border. These works are targeted to disrupt the unity of the social fabric, which has always we knew unified Mitrahma together, so today we are in dire need to rally around the moderate discourse that call to justice and equality and the removal of oppression and injustice, which is what I found in the ideas and proposals of Sheikh Mohammad Mehdi Alasfi.

He focused in his writings and analyzes to face the threat of sectarian strife, about unity, especially among Muslims. It considered them project jurisprudential and political action and social, not just a slogan or a speech, which was highlighted in the folds of the search, as well as, the role of Sheikh Alasfi in the rapprochement between Islamic sects is taken, especially with regard to the Hadith and common rules and common narrators participants assign novels and other, as well as we approached the task of teaching in the research and what it represents for Sheikh Alasfi, as it was keen to be performed in the best way they returned it of religious duty and moral and humane.



التبادل الحضاري بين الشرق والغرب إبان الحروب الصليبية

أ.د. عبد الرحمن حسين العزاوي
م.د. محمد عبد مرزوك بشير
الجامعة العراقية-كلية التربية للبنات

التبادل الحضاري بين الشرق والغرب أبان الحروب الصليبية

أ.د. عبد الرحمن حسين العزاوي

م.د. محمد عبد مرزوك بشير

ملخص البحث:

تتناول هذه الدراسة التبادل الحضاري الذي نتج عن النقاء الغرب الأوربي المسيحي بالشرق العربي الإسلامي لزهاء قرنين من الزمان وذلك فيما اصطلح على تسميته بالحروب الصليبية، إذ شاعت الأقدار أن يلتقي الطرفان وسط أجواء صراع مرير وعلى كل المستويات .

ولقد عمدت هذه الدراسة على تبيان التأثير المتبادل للفريقين على بعضهما، والذي حصل نتيجة الاحتكاك المباشر وغير المباشر بينهما ومن ثم الوقوف على حجمه وآلياته ومجالاته وذلك بوضعه على بساط البحث والاستقراء والاستكناه والاستنتاج .

حيث شمل البحث حجم التبادل الأهم الذي حدث بين الشرق والغرب اذ وقفت الدراسة فيه على محاور التبادل في مجالات اللغة والدين وكذلك التبادل في المجال الطبي(العلوم الصرفة) .

وأوردت الدراسة حوادث عديدة وحيثيات وحقائق أوضحت بمجملها كنه هذا التبادل ومستواه بين مجتمعين مختلفين في جل مفاصل الحياة والحضارة والتاريخ اجتماعيا واقتصاديا ودينيا ، مما أعطى لهذه الدراسة نكهة خاصة من خلال وقوفها على منتج حضاري اتسم بالتنوع .

ثم خلصت الدراسة إلى مجموعة نتائج أوضحتها طبقا لرؤيتها وما وقفت عليه ورشح لها من معلومة.

Abstract:

This study addresses the cultural exchange that resulted from the confluence of the West European Christian Arab-Islamic Middle approximately two centuries and has been termed the Crusades, as a quirk of fate that the parties meet Amid a bitter struggle and at all levels.

And it has actually this study demonstrate the mutual influence of the two teams on each other, which happened as a result of direct contact and direct them and then stand on the size and dynamics of the fields and placing it on the table and extrapolation, Alacetknah and conclusion.

Where research involved the size of the most important exchanges occurred between East and West as it stood study in which the axes exchanges in the areas of language and religion (ideological exchange), as well as exchanges in the medical field (pure science).

The study reported numerous incidents and the merits and facts explained as a whole, but this exchange between two different level in almost all the joints of life, civilization and history, socially, economically and ideologically, which gave the study a special flavor by standing on the product of civilization marked by diversity.

Then study concluded group results clarified in accordance with the vision and informed and nominated her information obtained

المقدمة:

ينكامل الجهد البشري في نتاجه بمختلف المجالات عندما تتلاقى التجمعات البشرية تحت أية مظلة، وإن كانت حربا طاحنة تأتي في أحيان كثيرة على جهود قرون أو عقود من البناء الحضاري لإحدى القوى المتصارعة ، وإذا كان مجرد اللقاء بين التجمعات البشرية ولفترات طويلة نسبيا متمماً لتلاقح الأفكار وتصاورها بين المشارب المختلفة من البشر ، فإن الذي يجمع الجيوش المتقاتلة تنصده في كثير من الأحيان مهمة ابتزاز الآخر واستغلاله وفي كافة المجالات ، إما للحاجة المباشرة من قبل احد المتقاتلين ميدانيا أو لنقل ذلك الجهد والنتاج إلى بلديهما ليفادا منه هناك، ناهيك عن الاستفادة المباشرة اليومية في حياة مدنية يلتقي فيها الفريقين سيما أوقات الهدنة بينهما.

ففي نهاية القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي شهد الشرق الإسلامي حملات متتالية لاحتلاله من قبل الغرب المسيحي وفق آلية غربية معدة سلفا تطلب القيام بها جهدا بشريا واقتصاديا وأفكار ألقت بظلالها على تلك الحملات حتى سميت دون سواها من فترات الصراع بين الشرق والغرب بـ(الحروب الصليبية) ،ذلك أنها رفعت شعار الصليب كناية عن هذه النزعة ومعضدة بتوجيه مباشر من الكنيسة .

ومما ساعد هذه الأفكار في أن ترسم طريقها سريعا لتتسيد مشهد هذه الحروب أن هذه الحروب قد دارت رحاها على أراض يقدها اليهود والنصارى والمسلمين وفق نضرة مختلفة للأديان الثلاثة في أحقية حيازة هذه الأرض والسيطرة عليها ، ولقد نتج عن هذا القدر من الاختلاف تأثيرات متبادلة كان لها وقع على حياة الشرق والغرب وفي مختلف نواحي الحياة^(١)

ولقد اختلفت آراء المؤرخين شرقيين ومستشرقين في قيمة التبادل الحضاري بين الشرق والغرب وآلياته وماهية نتائجه وحجم قطافه على الفريقين، وفي هذا السياق يورد المستشرق برنارد لويس كلاما لراهب فرنسي كان ممن قدم مع الحملات الصليبية فأرخ لها وهو فوشيه دي شارتر (١٠٥٨- ١١٢٧م) حيث يبين فيه حجم التغيير الذي طرأ على حياة القادمين الجدد إلى الشرق الإسلامي إذ يقول "الآن صرنا نحن الذين كنا غربيين، شرقيين ومن كان منا ايطاليا أو فرنسا ، أصبح في هذه البلاد جليليا أو فلسطينيا ، والذي كان من مواطني ريمس أو شارتر أصبح الآن سوريا أو إنطاكية ، لقد نسينا الأماكن التي ولدنا فيها ..."^(٢) .

والذي يقف على هذا النص يدرك أن ما استحوذ عليه الصليبيون في بلاد الشام وغيرها هو أفضل من مستقراتهم الأولى في أوروبا ، وإن هذه الأفضلية وهذا التمايز بحد ذاته مدعاة للاقتباس الحضاري من الديار الجديدة.

ووفق هذا وغيره ستمضي هذه الدراسة بما يعضد رؤيتها والتي بنيت على ما خلص لها من معلومة في أن قيمة ما اقتبسه الغرب من الشرق يفوق بيون شاسع ما أخذه الشرق من الغرب في مختلف مفاصل التبادل ،ذلك أن حضارة الشرق - وعلى اضطراب أمور ساستها وأهلها في تلك الفترة- كانت حديثة عهد برفعه ورقى فاقت به كثيرا الانحدار الذي انتاب الغرب والكنيسة وانعكاساته عل مجمل حياة الأوربيين .

ولهذا فقد انسابت حضارة الشرق برفعتها عبر هذا المعبر المضطرب ببلاد الشام وبفترة زمنية ليست بالقصيرة فمضت هذه الدراسة وغدت سيرها جاهدة لتبين بصورة مجملّة أهم محاور هذا الانسياب والتلاقح للحضارتين على الفارق واليون الشاسع بينهما ساعة التقائهما عشية الحروب الصليبية.

على أن هذه الدراسة جهدت وهي تحاول الوقوف على تأثيرات حضارية صليبية حملها الغرب المسيحي - بقصد أو بدونه- لتفاد منه شعوب الشرق الإسلامي فلم تكد تعثر على ظآلتها إلا لاماما وكان ما أورده الدراسة في هذا السياق هو استنتاجات لحوادث أو بعض التأثيرات الحضارية التي وجدت في مضان كتب المستشرقين والمصادر العربية وبعض المراجع لتجعلها ضمن دائرة البحث والتحليل ،فلا يجد القارئ الكريم على هذه الدراسة أنها أوردت تأثير الشرق الإسلامي على من غزاه وتداعيات ذلك التأثير بصورة فاقت بكثير ما أورده عن اثر الغرب على الشرق في تلك الفترة وذلك لما ذكرته من أسباب سألقة .

أولاً: التبادل الحضاري في مجال اللغة :

لعل من أهم دواعي التعلم والاكتساب والذي تُؤسس عليه المدنية والحضارة هي الحاجة الملحة لذلك التعلم ، فكثيرا ما يقطع المتعلمون لتوفير حاجاتهم الملحة أشواط سنين عديدة ويختصرون بتكثيف جهودهم مدد التعلم

ليصلوا سريعا إلى مرادهم الذي فرضته عليهم الحاجة ،ولا يغيب عن حصيد أن أعظم حاجات الإنسان وأكثرها إلحاحا في الطلب هو حاجاته وقت الحرب ،فبرغم مساوئ الحروب وتداعياتها والتي لا تقارن بمحاسنها ،فإنها ميدان إبداع في محطات كثيرة منها يستطيع صاحب الحاجة فيها تلبية ما يحتاجه عن طريق إبداعه .

وعلى هذا فانه من دواعي الاختلاط الناتج عن الحرب هي كيفية تعلم لغة الغير للتعلم معه في مراحل الصراع المختلفة كالهدنة والأسرى وعقد الصلح وما إلى ذلك ناهيك عن اكتساب العلوم ، حيث برزت أثناء فترة الحروب الصليبية ضرورات تعلم اللغة لكلا الفريقين على حد سواء كون هذا الاحتياج هو القاعدة الأهم والمنطلق لجميع تداعيات الاختلاط وما يبنى عليه ولقد أجبرت ضرورات التعايش السياسي والاجتماعي والفكري بعض كبار النبلاء والأمراء والقادة الصليبيين أن يتعلموا العربية ليسهل عليهم التعامل مع المسلمين والتفاهم معهم^(٣)

وقد كانت الطبقات المتنفذة في الغرب الأوربي هي السبابة لتعلم العربية وآدابها ويصف (Lamb) جانبا من حياة الإقطاعي الغربي بعد مجيئه للشرق في الترويض الذي لامس حدة طباعه بعد عقود عاشها في الشرق فكانت ممهدة ومروضة له فيقول "لقد أدى ذلك إلى انهيار خشونة السيد الإقطاعي المؤلف عند الغرب الأوربي أمام كياسة الشرق ولباقتة فتحول إلى رجل مهذب ذو ثقافة وعادات طيبة"^(٤)، وبصرف النظر عن صحة ما ذهب إليه (Lamb) فان النص يعضد بجانب مهم منه أن الطبقة الأهم بما توفر لها من مقومات التعلم كانت السبابة لذلك التعلم فانعكس في اقتباسها ذاك كياسة الشرق ولباقتة.

ولقد كانت فترات الاختلاط بين المسلمين والصليبيين تتم في وقت السلم والذي تطول فتراته بين الفريقين إذ تفوق دائما فترات الحروب ،وأُتاحت

هذه الفترات فرصة الاختلاط بين الفريقين سواء على مستوى الأفراد وعامة الناس أو على مستوى كبار القادة والأمراء^(٥).

وعن التعلم الناتج عن الاختلاط المباشر وصوره وفوائده بين الفريقين يورد لنا وليم الصوري أن كونت طرابلس (ريموند) قد أسر عند نور الدين زنكي للفترة من (١١٦٤-١١٧٢م) فاستغل ريموند هذه الفترة واستطاع بجهد وانكباب على التعلم أن يتقن العربية والكثير من طبائع المسلمين وطرق عيشهم^(٦)

وقد تجسدت ثمار تعلم العربية وقطافها على متعلميها من قادة الصليبيين في الشرق الإسلامي، وإذا كان اختلاط ريموند وتعلمه قد تم في ظرف قاهر وهو الأسر ومع ذلك لم يشأ هذا الأسير إمضاء فترة أسره دون فائدة فتعلم العربية فيها فان هناك صورة أخرى من الاختلاط الذي توفرت له مقومات التعلم المريح ، فقد كان لتعلم اللغة العربية من قبل الإمبراطور فريدريك الثاني (١١٩٨-١٢٥٠م) في جزيرة صقلية أثره وتداعياته في بلاد الشام فقد كان هذا الإمبراطور "محباً للحكمة والمنطق والطب مائلاً إلى المسلمين"^(٧) وكان بلاطه مهوى العلماء الغربيين والبيزنطيين بالإضافة لاشتغال قسم من اليهود بترجمة كتب الفلسفة العربية تحت رعايته^(٨)

ومن أساليب هذا التعلم للعربية وآدابها ما كان يصنعه ارتباط صاحب صيدا فقد كان فيه ولع خاص للآداب واللغة العربية وتعلمهما ، وكان عنده مسلم يقرأ له ويفهمه وقد نال إعجاب صلاح الدين الأيوبي^(٩) .

وكان لفرط تميز رهبان الإفرنج عن سواهم بحرصهم على تعلم العربية وآدابها، دور مهم في سني الحروب الصليبية إذ كانوا ممن ساعدوا في نقل الترجمات في المخاطبات والرسائل من وإلى العربية فعندما أراد (لويس التاسع) إرسال سفير للإسماعيلية في قلاعهم وقع اختياره على أحد الرهبان الدومينيكانيين وكان ذلك الراهب ممن يجيد العربية ويتقنها^(١٠)

ومع ما يخال للقارئ من حرص تمتعت به طبقة النبلاء والفرسان والقادة في تعلم اللغة العربية كأحد مجالات الحاجة الملحة في فترة حروبهم مع الشرق، فإنهم لم يهتموا بمن قدم معهم من الفرنجة وان الإمارات اللاتينية في الشرق الفرنجي لم تقم بإنشاء مراكز ثقافية لرعاياها وان التعليم لا يعدو كما كان في الغرب عبارة عن مدارس ملحقة بالكاتدرائيات الكبيرة أو ببلاط الأمراء والملوك وكما هو موجود وقتذاك في أوربا^(١١)، وعلى ما يبدو فانه يؤشر لاضطراب الأحوال أو الانشغال بما هو أهم ألا وهو إدارة دفة الصراع مع الشرق وان مؤسسات تعليمية متخصصة لتعلم العربية تحتاج لبيئة تتميز باستقرار عجزت بيئة الحرب عن توفيرها .

وعلى هذا فان بعض المستشرقين يوعز الضعف في سرعة الاقتباس من الشرق إلى حالة العداء التي ما انفكت تنشب بين الفريقين إما على شكل معارك مباشرة أو هي حرب باردة يحاول كل فريق فيها التكتيل بغريمه بأي صورة من الصور وقد ترتب على ذلك أن إسهامات الحروب الصليبية كانت مخيبة للآمال في تثقيف غرب أوربا^(١٢)

ووسط هذا الحرص من قسم من أمراء الإفرنج ورهبانهم وتجارهم - وعلى محدودية مَنْ جَهِدوا لتعلم العربية منهم - فان أهل الشام من المسلمين وغيرهم في غالبيتهم لم يكن لهم رغبة حقيقية في تعلم لغة عدوهم ،وهناك بعض الإشارات التي تومئ لضعف هذه الرغبة عند أهل الشرق ،وقد يكون كلام لأسامة بن منقذ وهو يصف احد نساء الفرنجة معضدا لهذه الرؤية، إذ يصفها وهي تتكلم "تبرير بلسانهم ما ندري ما تقول" ويقول في مكان آخر وهو يستمع لكلامهم "إنهم لا يتكلمون إلا بالإنجليزي ما ندري ما يقولون"^(١٣) .

على أن بعض المصادر أوردت أحداثا متفرقة وحالات تؤشر رغم قلتها أن قسما من المسلمين ونتيجة طبيعة أعمالهم التي يؤدونها فإنهم أتقنوا لغة الغرب وفي هذا الصدد يُروى أن ارناط صاحب صيدا كان لديه مسلم يقرأ

له^(١٤) ولا شك أن هذا المسلم قد أتقن لغة ارناط وفقهها ، كما أن القصور الخاصة والعائدة للأمراء الصليبيين كانت لا تخلو من تواجد العرب فيها^(١٥)، وهذا التواجد للعرب في قصور الصليبيين بحد ذاته لا شك مدعاة لتعلم لغتهم .

وإذا كان هذا التلاقح اللغوي على ضيق مساحته بين الفريقين قد حدث نتيجة التعايش بينهما إذ جمعهم قدر الحرب بمختلف فصولها فان دورا حضاريا آخر اضطلعت به العشائر العربية النصرانية في بلاد الشام إذ ساعدت الديانة المشتركة بينهم وبين الوافدين من الغرب المسيحي على تجاوز الموانع الإيديولوجية والتي كانت العامل الأهم في إذكاء الصراع بين الفريقين ، وكان لهم بذلك فضل نشر العربية بين المسيحيين القادمين فضلا عن تعلم لغاتهم مما زاد من مساحة التبادل الحضاري بين الفريقين في مجال اللغة^(١٦) .

وقد لا يبعد عن هؤلاء من كان ذا أصول غربية لكنه ولد في الشرق الإسلامي من مثل ولیم الصوري والذي يعد من ابرز من كتب في الحروب الصليبية إذ ساعدته كثرة تنقلاته ما بين فرنسا وإيطاليا ودراساته في الفلسفة واللاهوت والقانون الكنسي والمدني الروماني بالإضافة لإتقانه العربية التي تعلمها في فلسطين منذ ولادته فيها إذ هو من أسرة فرنسية الأصل استوطنت هناك، كما انه كان يجالس العلماء المسلمين ليتزود منهم في مختلف المسائل ، كل هذا ساعده وأعانه كثيراً على نظرتة للتاريخ الإسلامي إذ هو من نعت صفات نور الدين زنكي بالحكمة والفطنة^(١٧) ولعل معرفة العربية لها حصة الأسد وهي المحرك الأساس لكل هذا فجاءت نضرتة وطروحاته وأعماله منصفة لحد ما.

وينحى بعض كتاب الشرق منحىً قريباً مما ذهب إليه المستشرقون في تفسير ضعف تلقي المسلمين لثقافة الصليبيين ومعارفهم ومنها لغتهم، وأنهم - أي المسلمين - ونظرا لعدم استقرارهم وكثرة القلاقل التي عاشوا بها وخاصة ممن قُدِّرَ له أن يكون تحت السيطرة المباشرة للصليبيين فان الحياة العقلية

عندهم انحطت كثيراً^(١٨) . ليس فقط في تلقيهم لبعض علوم الغرب وما جاء به الصليبيون بل في ذات علمهم. حتى أن الناس صارت تأخذ (النحو) في حلب من حائك فيها اسمه أبو السخاء إذ ظلت المدينة حيناً لا عالم بها فرضي الناس بما عند أبو السخاء والذي فهم شيئاً من أوليات النحو^(١٩) . ناهيك عن النضوب الفكري الذي أصاب الشرق الإسلامي عصر الحروب الصليبية فقد قلَّ الإقبال على الفلسفة بوفاة ابن سينا عام ٤٢٩ هـ، وإحراق مؤلفاته الفلسفية مع ما أحرق في حملة الخليفة العباسي لإحراق الكتب الفلسفية عام ٥٤٥ هـ فضعت معها فرصة الاستفادة من المسلمين وعلومهم من قبل الغرب المسيحي^(٢٠).

على أن هذا لا يتعارض مع المنتج الحضاري المتقادم الذي كرسه المسلمون على مدى قرونهم السالفة وتعزو الدراسة انحطاط مستويات المعرفة ببلاد الشام التي أشارت لها المصادر في جانب اللغة والأدب لهجرة العقول والطبقات المتعلمة والتي تستشعر قيمة الاقتباس اللغوي ومحاولة تعلمه نتيجة الاضطراب الحاصل من تداعيات الحرب وقد تعضد جانباً من هذه الرؤية حادثة أبي السخاء الحائك الآتفة الذكر.

ولذلك لم تكن الحروب الصليبية ومن قام بها من جهة وبلاد الشام المضطربة وأحوال أهلها من جهة أخرى هي الطريق الأهم للتفاعل الثقافي بين الشرق والغرب فلم يكن في ممالك الصليبيين في المشرق مراكز للمعارف الإسلامية - ومنها اللغة والأدب - يستطيع المسيحيون أن يستمدوا منها المعارف ولم تتوفر مقومات الامتزاج الثقافي المستمر والعميق بين الفريقين كما كان في إسبانيا وصقلية^(٢١).

وبرغم كل إرهابات الحروب الصليبية وتداعياتها التي انعكست سلباً على التبادل الحضاري في مجال اللغة بين الجانبين فإننا نلاحظ استخدام كثير من الكلمات والمصطلحات العربية في اللغات الغربية وإن كنا لا نستطيع

تحديد نسبة الذي انتقل منها عن طريق بلاد الشام لان معابر الحضارة في الأندلس وصقلية وغيرها قد ساهمت بالحصة الأهم في انتقال هذه المفردات^(٢٢).

وإذا كان التبادل الحضاري في مجال اللغة مدعاة للتفاعل في مجال الأدب والذي لا يقوم أو يُتَذَوَّقُ إلا بلغة سليمة، فقد أشارت المصادر إلى مرافقة شعراء الغرب للحملات الصليبية ووصفوا في بواكير مجيئهم الحروب مع المسلمين كما وصفوها وقت السلم^(٢٣).

ثانياً: التبادل الحضاري في المجال الديني:

حملت بواكير الحملات الصليبية رؤى وتصورات متشددة أوغرت بها صدور جيوشها ، ومنها صوراً مشوهة عن حقيقة الإسلام والمسلمين ، ومن جملة تلك الصور أن الإسلام دين كفر يدعو إلى الإباحية وأن المسلمين أناس كفار يعبدون محمد والذي يصورونه شيطانا تارة أو ساحرا تارة أخرى، ثم أن بعضهم كان ينعت النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بـ (موهاوند - Mohound) والتي تعني الشيطان عند الاسكتلنديين^(٢٤).

وكثيراً ما كان هؤلاء الصليبيون يثيرون مشاعر المسلمين عن طريق التعريض بعقيدتهم ودينهم كما فعل احدهم مع معين الدين أنر في القدس بما يرويه لنا أسامة بن منقذ إذ يروي انه كان بصحبة معين الدين فجاءه صليبي وقال له: هل تريد أن ترى الله في صورة مصغرة ؟!! ثم اخذ بيد معين الدين إلى صورة تمثّل فيها المسيح في حضن مريم العذراء وقال له: هذا هو الله...؟^(٢٥)

وإذا كانت بطون كتب التاريخ تسجل لنا ما هو مهم وبارز من أحداث تلك الفترة فان اضراب هذه الحوادث لا شك كثير وذلك للاختلاف الشامل في معظم طبائع الغرب فضلا عن عقائده ، وهذا التباين لا شك انه كان على أوجه

وفي أعلى مستوياته في بواكير الحملات الصليبية وذلك للشحن الفكري الذي مارسه الكنيسة على من جاء للشرق محاربا ولهول الصدمة وغرابة الحدث الذي أضحى الصليبيون متغلبون فيه على أربع ممالك في الشرق الإسلامي.

ولما كانت فترة الحروب الصليبية طويلة نسبيا فان الحوادث تشير إلى انحسار وطأة هذا التباين بين الفريقين، وان هناك تسامحا مضطربا نشأ بين الناس بمختلف جنسياتهم فيما يتعلق بالجانب الديني، فمن مظاهر هذا التسامح والنتاج عن الاختلاط أن العملة التي كان يتعامل بها الصليبيون كانت تحمل آيات من القرآن الكريم ونقوشا عربية وبجانبيها التاريخ الهجري للمسلمين ، ولما اصدر البابا أنوست الرابع في سنة ١٢٤٩م قرارا بتحريم التعامل بهذه العملة تحايل التجار الصليبيون فسكّث عملة جديدة بنقوش نصرانية وتاريخ ميلادي ولكن باللغة العربية^(٢٦).

والذي يستقرئ هذه الحادثة سواء من ذوي الاختصاص من المؤرخين أو القراء يدرك مسحة التقارب والتنازل عن ثوابت البابا وقراراته التي طغت على تصرف التجار وإن قد تكون لمصالح مادية ولكنها تؤثر بلا شك محاولة كسر قيد الكنيسة ذات المكانة الروحية وهي الراعي الأول لهذه الحروب وادبياتها ، إذ أن العملة وعلى مدار تاريخها ترسخ هوية متداوليها حكومات وشعوب وغالبا ما يشار بها لرفعة المعتقد والاعتزاز بالقومية والوطن، وان التجاوز على مدلولات صنعتها لا شك يعني الكثير.

ومن مثل صنيع التجار الصليبيين ما قد يكون شبيها به من قبل بعض الطوائف في بلاد الشام ومنها الإسماعيلية إذ يروي ستيف رانسيما في كتابه تاريخ الحروب الصليبية أن راشد بن سنان زعيم الإسماعيلية عرض على عموري الأول عن طريق وفد أرسله له سنة ٥٦٩هـ أن يترك -راشد بن سنان- الإسماعيلية ويدخل في النصرانية مقابل إعفائه من الضريبة المفروضة عليه وقومه ، فما كان من عموري الأول إلا أن يوافقه بعد أن سرّه هذا العرض من

راشد بن سنان إلا أن خلافات بين الطرفين حالت دون إتمام الصفقة بل أدت في نهاية المطاف للتكيل بالوفد المفاوض واغتيالهم جميعاً من قبل عموري الأول وذلك بعد خروجهم منه^(٢٧) .

وبيان من مثل هذه الحوادث أن أصحاب الفرق والمذاهب وبرغم ادعائهم الإخلاص لها إلا أنهم على استعداد للتنازل عنها عندما تصطدم بتطلعاتهم المالية والاقتصادية مما ينبئ بوجه آخر لقطاف الاختلاط الوضيعة والتي أفرزتها تداعيات الحروب الصليبية.

ومن مظاهر انحسار التضاد والاختلاف والتي أوجدتها على ما يبدو ضرورات التعايش واستمرارية الحياة هو أن بعض الكنائس في ممالك الشرق الصليبية كان يجتمع فيها المسلمون والمسيحيون ليصلوا معا تحت سقف واحد ولكن كل حسب معتقده^(٢٨) .

وهذا بحد ذاته تطور هام يستحق الوقوف عنده إذ يجتمع الناس في أهم مفصل خلافي بينهما والذي بنيت عليه جل حملات التحريض الأولى من قبل الكنيسة حيث سعت جاهدة من خلال هذا المنفذ لإغراء رعاياها وإيغار صدورهم بما يمكنها من إدامة زخم الصراع وإشعاله، واجتماع على هذا النحو وان قد تكون ضاقت دائرته وقل مجتمعيه سواء كان بعلم البابا او بدونه له دلالات كثيرة على الأثر العقدي في التبادل الحضاري بين الفريقين .

وبغض النظر عن شرعية هذا العمل في ادبيات اديان الفريقين فانه لا شك يعكس جانبا هاما بل حساسا من جوانب الاختلاط المفضي لتبادل الآراء في الجانب العقدي والذي أفضى لنتائج سجل قسم منها المؤرخون.

فمن ثمار هذا الاتصال إدراك قسم من المسيحيين الذين عايشوا المسلمين عن كثب -كما هو حال اجتماعهم في الكنيسة- أن المسلمين يؤدون عباداتهم واتصالاتهم مع الله دون وسيط وقد أفضى هذا إلى أن قسما منهم قد تجرأ على الكنيسة ورجالها بقوله أنهم- أي رجال الكنيسة- لا يستطيعون بما

أوتوا بزعمهم من الاتصال مع الله "أن يضعوا عن مخلوق ذنباً واحداً" (٢٩) وأيقنوا أن الذي يقدر على هذا هو الله وحده سبحانه (٣٠).

والمتعمّن بهذا الاستنتاج يدرك ملياً أن الذي توصل إليه المسيحيون ممن كان لهم حظ الاختلاط مع المسلمين في الشرق هو شوط بعيد من الفناعة بأدبيات المسلمين وبديهيّات شريعتهم والتي كان في ركانزها الأولى جزء كبير من هذا التصور الذي قد يكون الاختلاط المجرد هو من أوصل المسيحيين إليه وذلك بمشاهدتهم إفراد المسلمين الله في عبادتهم له وعدم دعوتهم غيرة بما يتناقض مع قواعد شرعة النصاري الذين يؤمنون بالتثليث، وعلى هذا فإن اعتراض مَنْ تعايش مع المسلمين من النصاري ضد رجال كنيستهم إنما هو اعتراض على أصل شرعتهم وأدبياتها وهو لا شك تطور هام في حيثيات التبادل الحضاري بين الفريقين .

وتشير المصادر التاريخية إلى مساحة مهمة من العلاقات بين الطائفة الإسماعيلية في بلاد الشام وبين الصليبيين وبمفاصل متعددة تذكر هذه الدراسة منها ما تراه يحمل في مساره تأثيراً متبادلاً بين الفريقين، وبصرف النظر عن أهداف هذا الاتصال ومسوغاته في كونه لإغراض نفعية أو هو للاطلاع على ما يعتقد غير أو هو تأثير عقدي صرف، فمن ضروب هذا التأثير ما يروى أن أحد الفرسان الصليبيين واسمه (جيوم دو موبنار) قد تلقى تعاليم الإسماعيلية على يد أحد شيوخها في أحد مغارات جبل لبنان (٣١).

ويبدو أن من مثل هذا التأثير وأضرابه تسالت إلى أوروبا أساليب وطرق الإسماعيلية في التعامل مع أتباعهم، فقد كان للهيكلين تعاليم مشابهة للإسماعيلية ومنها التعاليم الموجهة للعامة والتعاليم الموجهة للخاصة وللخاصة الخاصة، ومنها الامتحان الذي يتعرض له الداعية للوصول إلى مرتبة الزعامة كالقسم على اليمين المغلظ لكتم الأسرار وغيرها (٣٢).

كما أن قسما من الصليبيين قد حملوا إلى بلادهم من عقائد الشرق غير الإسلامية كالمنوية إذ وصف قسم من القساوسة كالقس (بيتر والدو) هذه العقائد ومن جاء بها وحملها بأنهم "أنبياء كذابون" (٣٣).

ومقابل هذا فقد استغل الصليبيون تواجدهم في الشرق وجهدوا لتتصيره تارة بالقوة والتي لم تفلح في نشر الصليبية ثم باللين والكلام الحسن والذي فطن له الصليبيون بعد أن فشلوا في تجربة أساليب القوة والقهر وقد اهتموا لهذه الطريقة بعد قراءاتهم لمسيرة الدعوة الإسلامية، إذ استهوت قساوستهم فكرة الدعوة الحسنة للنصرانية حتى أن وليم الطرابلسي -أسقف عكا- دعا لهذا الأسلوب في الدعوة بقوله "ينبغي أن نرسل مبشرين لا جنودا لإرجاع الأرض المقدسة" (٣٤).

ومن ثمار هذه الإستراتيجية ومظاهرها هو الإرساليات التبشيرية وتأسيس الرهبنيات من مثل (الرهبنة الفرنسيسكانية) التي أسسها القديس (فرانشيسكو داسيسي) بعكا وطرابلس وبيروت عام ١٢١٩م (٣٥)، وكذا الإرسالية التبشيرية التي وصلت الشام للقيام بنشر النصرانية في عام ١٢٣٠م إذ وجدت لها صدى في فلسطين (٣٦).

على أن ما أوردته هذه الدراسة من التأثير المتبادل في المجال العقدي هو مقتطفات بارزة شكلت الدراسة بها نضرة مقتضبة لطبيعة التأثير بين عقائد الشرق سواء الإسلامية منها أو غيرها وبين عقائد الغرب المسيحي وتأثيراتها حيث وقفت على مشاهد من هذا التأثير المتبادل.

ثالثاً: التبادل الحضاري في مجال الطب:

قبلولوج في تبيان التبادل الحضاري في المجال الطبي (العلوم الصرفة) فإن مما ينبغي الإشارة إليه أن الهوة الكبيرة التي اضطرت في وسعها بعد مجيء الإسلام بين ما وصل إليه الشرق الإسلامي من تقدم في مجال الطب وبين الانحطاط الذي عاشه الغرب في تلك الحقبة كان قد ألقى بظلاله

على كثرة المعلومة التي تؤثر فضل الشرق على الغرب في هذا المجال وان رواد هذا المجال من الغربيين كانوا يجهدون أنفسهم للاقتباس من علوم الطب في الشرق.

ويبدو أن تواتر المعلومة في هذا المجال من التبادل وتميزها في غناها عن غيرها كان نتيجة حاجة الفريقين المتقاتلين لهذا المجال من المعرفة في العلوم الصرفة وذلك لاستمرارية الحروب وكثرة الجرحى مما انعكس إيجابا على الفريقين في تطوير قدراتهما الطبية وذلك لفرط حاجتهما إليها، لذلك كثر روادها وتشعبت تخصصاتها وعبر الاهتمام بها .

وإذا كانت هذه الدراسة قد أشارت إلى ثمة تبادل حضاري وان كان غير متوازن ويجنح بفضل الشرق على الغرب وان هناك بعض ما استطاع الشرق أن يأخذه من الغرب في مجال العلوم الإنسانية فإنه من الصعوبة بمكان الوقوف على تبادل حضاري ذو صدى وتأثير كان الشرق قد اخذه من الغرب في مجال الطب .

ولا غرابة في هذه المعادلة الغير متوازنة إذا علمنا أن العلوم الطبية كانت عند الصليبيين لا تتعدى الشعوذة والخرافات ، وعلى وفق هذا السياق من الرؤيا يروي أسامة بن منقذ أن احد الفرسان الصليبيين مرض مرضا شديدا، فاستدعوا له قسا ذا مقام كبير فجاءه وصنع له أصابع من الشمع ووضعها في انفه ليسده ثم وضع يده على فمه ، ولفرط سيطرة خرافات الكنيسة على عقول الناس كان الحاضرون يتوقعون شفاء هذا الفارس فورا ، ووسط دهشة الحاضرين التفت إليهم القس وقال :لقد سددت انفه لكي يموت ويستريح^(٣٧).

ويبدو أن الكنيسة في أوربا هي التي كانت تخلق هذه الخزعبلات وتسوقها لأتباعها من سذج الناس وعوامهم ، ولقد وثَّق المستشرقون بعضا من

توجهات رجال الكنيسة ومنهم (برناردي كليرفو) وهو مؤسس دير كليرفو وكان أول رئيس له .

وقد كان كليرفو يؤمن بـ(المعجزات الشفائية) والتي منها انه حرّم على أتباعه من الرهبان ممن يمرضون من أن يتعاطوا أي نوع من العلاج!!؟ بل الأكثر من هذا انه حرم عليهم أن يتصلوا بأي من الأطباء ليتداووا أو يتطبّبوا او حتى يحترزوا من المرض وان عليهم فقط أن يموتوا هكذا دون تناول أي من العقاقير^(٣٨)

ومن مثل هذا التوجه في أدبيات الكنيسة قبل مجيء الإسلام رأي الأب طاطيان (١٢٠-١٧٣م) في أن علوم الأدوية والعقاقير على مختلف أشكالها يرجع إلى الفن الباطل أصلا وهو خادع يقوم على المادة^(٣٩)، إذ تبدو جذور تعاليم الكنيسة بهذا الخصوص قد انسحبت إلى زمن الحروب الصليبية ولم تتغير .

وتتربص المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه بأخطاء الكنيسة وكابوسها الثقيل على حياة الأوربيين في المشرق أيام الحروب الصليبية فتكشف عن صنيع قومها ليكون شاهدهم منهم عليهم، ولئلا يتهم أهل الشرق بالانحياز لشرقهم، فتروي هونكة أن رجال الحروب الصليبية من الجنود المثخنون بالجراح النازفة كانوا ينتظرون في طوابير على ما بهم من جراحات في مستشفى القديس يوحنا في القدس وكل ذلك استعدادا لأداء تعاليم الكنيسة التي يملئها القس عليهم في الاستعداد للتقرب من سر الاعتراف والإقرار بالخطايا ثم تناول خبز القربان وذلك كله قبل البدء بإسعافهم.^{(٤٠)!!؟}

وإذا كان علم الطب علم صرف لا علاقة له بالخزعبلات التي تحاول الكنيسة إلصاقها به لتضفي عليه صبغة روحية فان هذه الاستقلالية للطب كونه علم راق لا يدخل مجاله إلا أذكى الناس وصفوتهم علميا قد جنحت به -على وفق متطلبات نجاحه- بعيدا عن الكنيسة إذ يبدو أن الكنيسة أرادت

ربطه بفلكها بالكلية في القرون الوسطى لئلا يؤثر على هيبتها- بما يحمله من أسباب الشفاء الملموسة للناس- في نفوس الناس فصارت تحاول أن تصدر الأحكام لمنع الناس من النزوع إليه وقت حاجتهم لئلا تُتْرَك الكنيسة أو تخف وطمئنتها على أتباعها فتتفقد بالتالي نفوذها الذي كانت تسير به دفة الصراع .

ويبدو ان الصليبيين في المشرق تجاهلوا تعاليم الكنيسة في الجانب العلمي بما يتعلق بأهم مفصل يمس حياتهم اليومية، فقد لجأ المرضى من الأمراء والفرسان والمقاتلين وغيرهم من عامة الفرنجة إلى الأطباء في الشرق برغم مواقف الكنيسة التي أسلفت الدراسة تبيان قسم منها، إذ تروي لنا المصادر المختلفة مشاهد من حالات مرضية لجأ فيها الأمراء والفرسان الصليبيين إلى أطباء الشرق ومن مثل هذا أن ابن ملك مملكة بيت المقدس عموري كان قد أصيب بالجذام، فما كان من عموري إلا أن استقدم طبيباً من الديار المصرية هو داود بن أبي المنى- وقد كان فاضلاً في الصناعة الطبية خبير بها وبعلمها - لعلاج ابنه (بودوان)^(٤١) .

ولقد شهد وليم الصوري لهذه الاستعانة بالأطباء الشرقيين من قبل الأمراء الصليبيين إذ كان معاصراً لها حيث قال في ذلك "إن أمرائنا... لا يؤمنون إلا بالأطباء اليهود والسامريين والسوريين والعرب"^(٤٢) .

وكانت شواهد تقدم علم الطب عند أهل الشرق من المسلمين وغيرهم على الفرنجة تتجسد عملياً في بعض المشاهد فيروى أن أحد الأطباء المسلمين واسمه ثابت قد جمعته متطلبات المهنة وضرورتها مع أحد الأطباء الصليبيين على حالة مرضية تمثلت في جندي صليبي كان يشكو دملّة في قدمه وعندما أعطاه ثابت جملة أدوية استند بها على خبرته ودرايته، اتهم الطبيب الصليبي ثابت بالجهل ثم التفت للمريض وكان أحد فرسان الصليب ثم خيره بين قطع رجله المصابة أو أنه سيلقى حتفه، فاختر المسكين أحلى الأمرين وهو القطع لرجله المصابة فما كان من الطبيب الصليبي إلا أن استدعى فارساً قوياً

وأحضر له فأسا وأمره بضرب رجل المريض فتطاير مخ رجله ثم ما لبث أن مات ذلك المريض ^(٤٣) .

وحتى تستكمل المعادلة تفاعلاتها لتخرج بنتيجة للتفاعل الحضاري في مجال الطب فإنه لا مناص لهذه الدراسة بعد أن وقفت على بعض أحوال علم الطب عند الفرنجة في الشرق والذي هو على صلة وثيقة بمثيله في الغرب حيث سيطرة الكنيسة وتعاليمها التي وقفت الدراسة على قسم منها ، لامناص من أن يرنو بصرها لأحوال الطب في المشرق لتقف على مستواه في ذلك الوقت وليتسنى لها بلورة تصور عن حجم التبادل الحضاري في هذا المجال.

ومن واقع مستوى الطب في الشرق برغم ما كان يمر به من اضطرابات يسوق لنا أسامة بن منقذ حادثة لجندي مسلم أصيب بوجهه إصابة بليغة لضربة تلقاها من جندي صليبي في المعركة فشج وجهه بجرح غائر، فحمل إلى الطبيب وكان مَنْ يُعْنَى بالجراحة من أطباء الشرق يسمى بالجرائحي فأخاط الجرائحي وجهه والتحم كما كان ^(٤٤).

ولفرط اهتمام الشرق بالطب وأهله فقد اشترط القائمون عليه، أن على من يتولى منصب رئيس الأطباء أن يحلف انه لا يجيز مهنة الطب التي يجيدها لغيره إلا أن يستوفي شروط المعرفة التامة فيها وان يكون أمينا على أسرار مرضاه ^(٤٥) . وفي ذلك من تاريخ الشرق شاهد إذ كان أبو المنصور شرف الدين بن سديد المبارك والذي كان لرعاية علمه وعلو كعبه في علم الطب يلقب بـ (الشيخ السديد) وشغل وفقا لذلك منصب رئيس الأطباء في الديار المصرية، ولتميزه بمهنته أختير للعمل طبيباً لخمس خلفاء فاطميين وقدم خدماته الطبية لصالح الدين الأيوبي كذلك، وهو من بيت علم وطب وكذا كان أبوه من قبله ^(٤٦) .

وقد حذا جل أمراء الشام المسلمين هذا الحذو في الاهتمام بالطب من خلال الاهتمام بالقائمين عليه من أصحاب الاختصاص من الأطباء فقد عين

الملك العادل الطبيب مهذب الدين عبد الرحيم بن علي والمعروف بـ(الدخوار) رئيساً لأطباء مصر والشام وهو من اكبر الأطباء سنا وقد قرّبه الملك العادل وأغدق عليه لما يعلم من غزارة علمه^(٤٧) .

ومن تدابير أهل الشرق في الطب وحسن صنيعهم معه واهتمامهم به أنهم كانوا يكلفون المحتسب ومعه فريق من المراقبين ممن له معرفة بالطب أن يمرّون بدوريات أسبوعية على الصيدليات للتأكد من سلامة الأدوية وخلوها من الغش وكذلك كان المحتسب مسئولا عن التفتيش عن مصانع الأدوية لذات الغرض^(٤٨) .

وعلى وفق ما تقدم من بيان أحوال الطب عند الفريقين فإنه ليبدو مما سبق ذكره أن البون الشاسع بين تقدم الطب في الشرق وتخلفه في الغرب قد جعل من الاحتكاك الحاصل بينهما في الحروب الصليبية ميدانا اشعر أهل الرأي وحصفاء القوم من الغربيين بهذه الهوة.

ومن تداعيات هذا الشعور على ما يبدو هي فطنة بعض الطلاب الأوربيين المحبين للمعرفة لأساليب الكنيسة وخرافاتها وأنها احد أسباب التخلف الرئيسة في هذا المجال بما تمليه عليهم من تعاليم تنافي مقومات العلم في مجال الطب وأسبابه ،لذلك كانوا يفدون إلى الشام لدراسة العلوم ومنها الطب في مدرسة طرابلس إذ درجوا على أن يبدؤوا أولا بإتقان العربية ثم يتوجهون لدراسة العلوم الأخرى^(٤٩).

ويبدو أيضا أن أمراء الغرب قد استشعروا ذلك أيضا ونزلوا عند رغبة من أوفدوهم من طلابهم إلى الشرق للدراسة بعد عودتهم إذ اقترحوا على أمراء الغرب أن تبني لهم المستشفيات ليمارسوا ما تعلموه في الشرق ويطبقوه بديارهم .فأنشأ عام ١٢٠٤م مستشفى روح القدس في روما وعلى غرارهِ أنشأت عدة مستشفيات في أوروبا،ففي ألمانيا لوحدها انشأ بحدود مئة مستشفى وذلك في القرن الثالث عشر الميلادي وكذا فرنسا التي أنشأت فيها العديد من

المستشفيات حيث يوجد فيها اليوم أهم المراكز الطبية في باريس والذي كانت نواته مأوى للمكفوفين ثم طوره لويس التاسع وجعل منه (ملجأ الثلاثمائة) ثم أصبح مستشفى للرمم^(٥٠)، ناهيك عن مستشفيات لندن التي أنشأت على تداعيات التأثير بالشرق وتقدم الطب فيه، من مثل مستشفى القديس (بورثولميو) الذي انشأ عام ١١٢٣م، ومستشفى القديس توماس عام ١٢١٥م^(٥١).

وفي مجال ترجمة الكتب الطبية فقد تم ترجمة العديد من الكتب والتي كان من أبرزها كتاب ألفه عالم وطبيب احوازي اسمه علي بن عباس، وكان قد تتلمذ على يد موسى بن يوسف بن سيار المتوفي سنة ٣٨٤هـ وقد احتضنه عضد الدولة البويهية^(٥٢) واسم هذا الكتاب (الملكي كامل الصناعة الطبية) وقد قام بترجمته من العربية ستيفن الانطاكي عام ١٢١٧م اثناء وجوده في انطاكية واطلق عليه اسم (الكتاب الملكي) وهو ما درجت اوربا على تسميته^(٥٣).

ولقد درّس هذا الكتاب في الجامعات الاوربية من مثل الجامعة الطبية في (سالرنو) اذ قويّ الأثر العربي بهذه الجامعة بوساطة الطلاب الصليبيين الذين حملوا علمهم من الشرق الى هذه الجامعة، وبقيت فصول من هذا الكتاب مرجعا طبيا لهذه الجامعة لقراءة قرن من الزمان^(٥٤).

على ان الغرب بعد ذلك لم يقتصر على ترجمة كتاب او كتابين فقد تجسدت الصحة الاوربية في جانب مهم منها عن طريق ترجمة اكثر من ثلاثمئة كتاب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين وهذا يعني أنها اتكات على ما اقتبسته في دينك القرنين من علوم الشرق والمّت به لريادة النهضة العلمية الحديثة^(٥٥).

الخاتمة:

- توصلت هذه الدراسة لمجموعة نتائج توجزها بالنقاط التالية:
- ١- أن أمراء الفرنج ورهبانهم وفرسانهم كانوا السباقين للاقتباس الحضاري وفي مجال اللغة بصورة رئيسة لحاجتهم اليها في تعاملاتهم مع واقع الأحداث . وان التبادل الحضاري اقتصر إلى حد ما على الطبقة المتنفذة المترفة من الصليبيين وتُرك عامة الجند يعتمدون على جهدهم الذاتي بلا رعاية.
 - ٢- أثرت بيئة الحرب والصراعات بين الطرفين المتنازعين على مجريات التبادل الحضاري بصورة سلبية بينهما مع بعض التداعيات الايجابية والتي هي نواتج عرضية لسلبيات الحروب بين الطرفين.
 - ٣- ان الكثير من التبادل الحضاري الذي تم بين الفريقين كان قد حدث تحت وطأة الحاجة الملحة ولم تكن له مؤسسات تعنى به أو جهود توظف لتطبيقه إلا بمقدار الحاجة الفعلية له.
 - ٤- كان وقع التبادل الحضاري في المجال الطبي (العلوم الصرفة) عاليا في مستواه نسبة لبقية المحاور وانه-أي المجال الطبي- ذا صلة بالتبادل في المجال العقدي لان الكنيسة اتخذت من الأخير وسيلة لتدس انفها فيما ليس لها علم به إلا من إضفاء الجانب الروحي الذي حاولت الكنيسة فيه برقعة الجانب العلمي الطبي والذي تمثل في اغلب مفاصله بشيوع الخرافات والشعوذات في محاولة من الكنيسة للسيطرة على كل شيء بما في ذلك المجال الطبي وقد مثلت الدراسة لهذا التدخل بحالات حية جسدت هذا التدخل السلبي وتداعياته.

٥- بروز الكثير من الحالات التي تمثلت فيها الافكار الداعية لمخالفة
تعاليم الكنيسة او تجاهل توجهاتها وخاصة التعاليم التي يغلب عليها
التعصب والخرافة .وقد جاء هذا التجاهل في غالبية من الطبقة
المتعلمة والتي تستشعر قيمة التبادل الحضاري والذي يؤثر على آلية
تلك التعاليم المملوءة بالخرافة والتعصب الديني ، مما يؤثر لإنسانية
التبادل الحضاري كونه نتاج بشري يتجاوز مجاله الاطر الجغرافية
والقومية والتعصبات الدينية

هوامش البحث :

- (١) النقاش ، زكي، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية، دار الكتاب ،بيروت/١٩٥٨م، ص ١٣٣ .
- (٢) لويس، برنارد ،العرب في التاريخ، ترجمة: نبيه فارس ومحمود زايد، دار العلم ،بيروت/١٩٥٤م، ص ٢١٧ .
- (٣) سعداوي،نظير حسان، الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي، القاهرة/١٩٥٧م، ص ١٨٤
- (٤) Lamb.H;The Crusades (the flame of Salam).London,1931.p.56
- (٥) حتي، فيليب موجز تاريخ الشرق الادنى،ترجمة :انيس فريحه،مطبعة الغرب، بيروت/بلا.تا،ص ٢٢٣
- (٦) رانسمين، ستيف، تاريخ الحروب الصليبية،ترجمة: السيد الباز العريني،دار الثقافة،بيروت/١٩٨١م، ٦٥٣/٢
- (٧) ابو الفداء، اسماعيل بن عماد الدين،(ت:٧٣٢هـ)، المختصر في اخبار البشر، القاهرة/١٩٠٧م، ١٤١/٣
- (٨) عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية ،ط٢، سجل العرب، القاهرة/١٩٧١م، ١٢٧٥/٢ .
- (٩) ينظر: ابو المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغري بردي ،(ت:٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة ١٩٧١م، ٤٣/٦

(10) Gransset.R:Histoire des Croisades et du Royaume Franc de
Jerusalem,Paris. 1943,Vol.III,p511

- (11) رانسمين ، تاريخ الحروب الصليبية، ٨١٨/٢
- (12) ينظر: رانسمان ، تاريخ الحروب الصليبية، ٨٢٢/٣
- (13) أسامة ابن منقذ، أبو المظفر بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر، ت: ٥٨٤هـ، كتاب الاعتبار، نشره وحققه: فيليب حتي، برنستون/١٩٣٠م، ص. ص ٦٦، ١٤٠
- (14) ابن شدّاد، بهاء الدين يوسف بن رافع، (ت: ٦٣٢هـ)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين)، تحقيق: جمال الدين الشيال، الدار المصرية، القاهرة/١٩٦٤م، ص ٩٧ .
- (15) البُنداري، أبو ابراهيم الفتح بن علي بن محمد، (ت: ٦٤٣هـ)، سنا البرق الشامي، تحقيق: فتحه النبراوي، مطبعة الجبلاوي، القاهرة/١٩٧٩م، ص ٩٠ .
- (16) عاشور، الحركة الصليبية، ١٢٧٠/٢ .
- (17) توفيق، عمر كمال، المؤرخ وليم الصوري، مجلة كلية الآداب-جامعة الاسكندرية، ٢١ع، الاسكندرية/١٩٦٨م .
- (18) بدوي، احمد احمد، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية، القاهرة/بلا. تا، ص ٢٥
- (19) المصدر نفسه.
- (20) عاشور ، النهضة الأوربية في العصور الوسطى وبداية الحديثة ، القاهرة / ١٩٦٠م، ص ٣٧٣
- (21) احمد ، محمد خلف الله ، الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة، القاهرة/١٩٥٥م، ص ٢٢٥
- (22) Lamb.H: op.cit.p.380
- (23) الغمراوي، علي، اثر الثقافة الاسلامية في الفكر الاوربي، الرياض/١٩٨٢م، ص ٩ .
- (24) واط، مونتكيري، أثر الحضارة العربية الإسلامية على أوروبا، ترجمة: جابر أبي جابر ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق/١٩٨١م، ص ١٤٤ .
- (25) ابن منقذ، أسامه، الاعتبار ، ص ١٣٥ .
- (26) الحويري، محمود محمد علي، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، دار المعارف، القاهرة/١٩٧٩م، ص ١٤٢ .
- (27) رانسمين ، تاريخ الحروب الصليبية، ٦٤١/٢ .
- (28) حداد، جورج، المدخل إلى تاريخ الحضارة، دمشق/١٩٥٣م، ص ٤٧٩ ؛ ريسلر، جاك. س، الحضارة العربية، ترجمة: غنيم عبدون، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة/بلا. تا، ص ١٣١ .

- (٢٩) السامرائي، قاسم، أصول الماسونية التاريخية وموقفها من الإسلام، مطبعة جامعة محمد بن سعود الرياض/ ١٩٨٢م، ص ٣.
- (٣٠) المصدر نفسه .
- (٣١) زيد، أسامه زكي، الصليبيون وإسماعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية، مطبعة الإسكندرية، الإسكندرية/ ١٩٨٠م، ص ٣٠٢ .
- (٣٢) السامرائي، أصول الماسونية، ص ٥ .
- (٣٣) وول، ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، ط ٢، القاهرة/ ١٩٦٧م، ٧٤/٥ .
- (٣٤) حتي، فيليب، تاريخ لبنان، ترجمة: أنيس فريحه، مطبعة الغريب، بيروت/ بلا. تا، ص ٣٩٤ .
- (٣٥) حتي، تاريخ لبنان، ص ٣٩٤
- (٣٦) المصدر نفسه
- (٣٧) ابن منقذ، الاعتبار، ص ١٣٧.
- (٣٨) هونكه، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ط ٥، ترجمة: فاروق بيضون، دار الافاق، بيروت / ١٩٨١م، ص ٢٢٢ .
- (٣٩) المصدر نفسه، ص ٢١٩
- (٤٠) المصدر نفسه، ص ٢٢٤-٢٢٥
- (٤١) ابن ابي اصيبعة، موفق الدين ابو العباس بن احمد بن القاسم السعدي، (ت: ٦٦٨هـ)، عيون الانباء في طبقات الاطباء، تحقيق: نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت/ ١٩٦٥م، ص ٥٨٧ .
- (٤٢) حتي، تاريخ لبنان، ص ٣٨٩ .
- (٤٣) ابن منقذ، الاعتبار، ص ١٣٢-١٣٣
- (٤٤) المصدر نفسه، ص ١٦٣ .
- (٤٥) ابن بسام، محمد بن احمد المحتسب، (ت: بعد سنة ٨٤٤هـ)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: حسام الدين السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد/ ١٩٦٨م، ص ١٠٨ .
- (٤٦) ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن احمد بن محمد العسكري الحنبلي
- الدمشقي، (ت: ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق: محمود الارنؤط، دار ابن كثير، بيروت/ ١٩٩٣م، ٥٠٦/٦ .
- (٤٧) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء، ص ٧٣١؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ٢٢٤/٧ .
- (٤٨) الشيزري، عبد الرحمن بن عبدالله الشافعي، (ت: ٥٨٩هـ)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: السيد الباز العريني، القاهرة/ ١٩٤٦م، ص ٥٧، ٤٢

- (٤٩) تدمري، عمر عبد السلام، الحياة الثقافية في طرابلس خلال العصور الوسطى، دار فلسطين، بيروت/١٩٧٣م، ص ٦٩ .
- (٥٠) وول، ديورانت، قصة الحضارة، ١٩٦٦ .
- (٥١) جارلند، جوزيف، قصة الطب، ترجمة: سعيد عبده، دار المعارف، القاهرة/١٩٥٩م، ص ٧٥ .
- (٥٢) الزركلي، خير الدين، الاعلام، دار العلم، بيروت/١٩٨٦م، ٤/٢٩٧ .
- (٥٣) مايروهوف، ماكس، العلوم والطب، ترجمة: جرجس فتح الله الحامي، ط ٢، دار الطلبة، بيروت/١٩٧٢م، ص ٤٩٩ .
- (٥٤) منتصر، عبد الحميد، تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، دار المعارف، القاهرة/١٩٨٠م، ص ٢٣٠ .
- (٥٥) مظهر، جلال، اثر العرب في الحضارة الاوربية، دار الرائد، بيروت/١٩٦٧م، ص ١٩٢ .

قائمة المصادر والمراجع

- ١- ابن ابي اصيبعة، موفق الدين ابو العباس بن احمد بن القاسم السعدي، (ت: ٦٦٨هـ)، عيون الانباء في طبقات الاطباء، تحقيق: نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت/١٩٦٥م
- ٢- احمد، محمد خلف الله، الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة، القاهرة/١٩٥٥م
- ٣- أسامة ابن منقذ، أبو المظفر بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر، ت: ٥٨٤هـ، كتاب الاعتبار، نشره وحققه: فيليب حتي، برنستون/١٩٣٠م
- ٤- البُنداري، ابو ابراهيم الفتح بن علي بن محمد، (ت: ٦٤٣هـ)، سنا البرق الشامي، تحقيق: فتحيه النبراوي، مطبعة الجبلاوي، القاهرة/١٩٧٩م
- ٥- بدوي، احمد احمد، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية، القاهرة/بلا.تا.
- ٦- ابن بسام، محمد بن احمد المحتسب، (ت: بعد سنة ٨٤٤هـ)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: حسام الدين السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد/١٩٦٨م
- ٧- توفيق، عمر كمال، المؤرخ وليم الصوري، مجلة كلية الآداب-جامعة الاسكندرية، ع ٢١، الاسكندرية / ١٩٦٨م .
- ٨- تدمري، عمر عبد السلام، الحياة الثقافية في طرابلس خلال العصور الوسطى، دار فلسطين، بيروت / ١٩٧٣م

- ٩- جارلند، جوزيف، قصة الطب، ترجمة: سعيد عبده، دار المعارف، القاهرة/١٩٥٩م
- 10- Gransset.R: Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jerusalem, Paris. 1943, Vol. III
- ١١- حداد، جورج، المدخل إلى تاريخ الحضارة، دمشق/١٩٥٣م
- ١٢- الحويري، محمود محمد علي، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، دار المعارف، القاهرة/١٩٧٩م
- ١٣- حتي، فيليب موجز تاريخ الشرق الأدنى، ترجمة: أنيس فريحه، مطبعة الغرب، بيروت/بلا.تا
- ١٤- حتي، تاريخ لبنان، ترجمة: أنيس فريحه، مطبعة الغرب، بيروت/بلا.تا
- ١٥- ريسلر، جاك.س، الحضارة العربية، ترجمة: غنيم عبدون، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة/بلا.تا
- ١٦- رانسمين، ستيف، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت/١٩٨١م
- ١٧- زيد، أسامه زكي، الصليبيون وإسماعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية، مطبعة الإسكندرية، الإسكندرية/١٩٨٠م
- ١٨- الزركلي، خير الدين، الاعلام، دار العلم، بيروت/١٩٨٦م.
- ١٩- سعداوي، نظير حسان، الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي، القاهرة/١٩٥٧م
- ٢٠- السامرائي، قاسم، أصول الماسونية التاريخية وموقفها من الإسلام، مطبعة جامعة محمد بن سعود، الرياض/١٩٨٢م
- ٢١- ابن شدّاد، بهاء الدين يوسف بن رافع، (ت: ٦٣٢هـ)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين)، تحقيق: جمال الدين الشيال، الدار المصرية، القاهرة/١٩٦٤م
- ٢٢- الشيزري، عبد الرحمن بن عبدالله الشافعي، (ت: ٥٨٩هـ)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: السيد الباز العريني، القاهرة/١٩٤٦م
- ٢٣- عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، ط٢، سجل العرب، القاهرة/١٩٧١م.
- ٢٤- عاشور، النهضة الأوربية في العصور الوسطى وبداية الحديثة، القاهرة / ١٩٦٠م

- ٢٥- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن احمد بن محمد العسكري الحنبلي
الدمشقي، (ت: ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق: محمود الارنؤط، دار ابن
كثير، بيروت/ ١٩٩٣م.
- ٢٦- الغمراوي، علي، اثر الثقافة الاسلامية في الفكر الاوربي، الرياض/ ١٩٨٢م.
- ٢٧- ابو الفداء، اسماعيل بن عماد الدين، (ت: ٧٣٢هـ)، المختصر في اخبار
البشر، القاهرة/ ١٩٠٧م
- ٢٨- لويس، برنارد، العرب في التاريخ، ترجمة: نبيه فارس ومحمود زايد، دار العلم
بيروت/ ١٩٥٤م.
- 29- Lamb.H;The Crusades (the flame of Salam).London,1931
- ٣٠- مايرووف، ماكس، العلوم والطب، ترجمة: جرجس فتح الله الحامي، ط٢، دار
الطلبة، بيروت/ ١٩٧٢م.
- ٣١- مظهر، جلال، اثر العرب في الحضارة الاوربية، دار الرائد، بيروت/ ١٩٦٧م.
- ٣٢- منتصر، عبد الحميد، تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، دار
المعارف، القاهرة/ ١٩٨٠م.
- ٣٣- ابو المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغري بردي، (ت: ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك
مصر والقاهرة، القاهرة ١٩٧١م
- ٣٤- النقاش، زكي، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال
الحروب الصليبية، دار الكتاب، بيروت/ ١٩٥٨م.
- ٣٥- هونكه، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ط٥، ترجمة: فاروق بيضون، دار الافاق،
بيروت / ١٩٨١م
- ٣٦- وول، ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، ط٢، القاهرة/ ١٩٦٧م
- ٣٧- واط، مونتكيري، أثر الحضارة العربية الإسلامية على أوروبا، ترجمة: جابر أبي جابر ،
منشورات وزارة الثقافة، دمشق/ ١٩٨١م

أحكام اللقطة والشفعى في الإسلام

د. ورقاء يونس

أحكام اللقطة والشفعى في الإسلام

د. ورقاء يونس

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وسيد المرسلين وشفيعنا يوم الدين سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى اله وصحبه وسلم.
تناولنا في هذا البحث الكلام عن اللقطة التي هي من ابواب الفقه الاسلامي. واللقطة هي كل مال ضائع عن مالكه، ولم يكن عليه يد من احد، وهي اما حيوان واما غيره. وهذا الدين الحنيف جاء بحفظ المال ورعايته، وجاء باحترام مال المسلم والمحافظة عليه، ومن ذلك اللقطة.

ان الفقهاء والعلماء وضعوا احكاما خاصة للقطة وفي هذا البحث المتواضع سأذكر بعض هذه الاحكام المستندة على السنة النبوية المطهرة.
كما وتناولنا الشفعة التي هي حق تملك قهري يثبت للشريك القديم على الحادث فيما ملك بعوض.

اما المصادر التي اعتمدت عليها فكان في مقدمتها: كتب الحديث والفقه التي افادتنى فائدة كبيرة في هذا البحث وذلك لما حوته من المعلومات القيمة الخاصة بمسألة اللقطة منها: كتاب (الام) للشافعي (ت ٢٠٤هـ)، وكتاب (شرح معاني الآثار) للطحاوي (ت ٣٢١هـ)، وكتاب (المغني) لابن قدامة (ت ٦٢٠هـ).

ومن كتب الحديث التي شكلت منبعاً ثراً فأغنت هذا البحث بالاحاديث النبوية الشريفة التي وردت في هذا البحث منها كتاب (صحيح البخاري) للبخاري (ت ٢٥٦هـ)، وكتاب (صحيح مسلم) لمسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)، وكتاب (سنن ابن ماجه) لابن ماجه (ت ٢٧٥هـ)، وكتاب (سنن ابي داود) لابي داود (ت ٢٧٥هـ).

كما استفدت من كتب اللغة في توضيح وشرح المصطلحات التي وردت في ثنايا هذا البحث، ويأتي في مقدمتها: (لسان العرب) لابن منظور (ت ٧١١هـ)، و (تاج العروس من جواهر القاموس) للزبيدي (ت ١٢٠٥هـ).

اولا/ اللقطة:

اللقطة لغة واصطلاحاً:

اللقطة في اللغة: هو اخذ الشيء من الأرض، يقال: لقطه يلقطه لقطاً: أخذه من الأرض، فهو ملقوط ولقيط (١)، واللقطة بتسكين القاف: اسم الشيء الذي تجده ملقى وتأخذه (٢). والالتقاط: أن يعثر على الشيء من غير قصد وطلب (٣).

أما في الاصطلاح: فقال فيها الأنصاري الشافعي (٤): "ما وجد من حق ضائع محترم، لا يعرف الواجد مسنقه". وعرف الخرشي المالكي (٥) اللقطة: "مال معصوم عرض للضياع". ونقل عن الحنفية (٦) إن اللقطة هي: "رفع شيء ضائع للحفظ، لا للمليك". وزاد ابن حجر العسقلاني (٧) التعريف وضوحاً، فقال: اللقطة: "الشيء الذي يلتقط". وأضاف: "وهو إن كل من يراها يميل لأخذها".

والأصل في اللقطة بالسنة النبوية الشريفة، ما ورد عن زيد بن خالد الجهني (٨) انه جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، فسأله عن اللقطة، فقال: "اعرف عفاصها (٩) ووكاءها (١٠) ثم عرفها (١١) سنة، فان جاء صاحبها، وإلا فشأنك بها" قال: فضالة الغنم (١٢)؟ قال: "لك، أو لأخيك، أو للذئب" (١٣) قال: فضالة الإبل؟ قال: "ما لك ولها معها سقاؤها (١٤) وحذاؤها (١٥)، ترد الماء، وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها" (١٦).

وفي رواية أخرى عن زيد بن خالد الجهني أيضاً، انه قال: أتى رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وأنا معه، فسأله عن اللقطة. فقال: "اعرف عفاصها ووكاءها، ثم عرفها سنة" قال: "فان لم يأت لها طالب فاستنقها" قال: فضالة الغنم؟

قال: "لك، أو لأخيك، أو للذئب" قال: فضالة الإبل؟ قال: "ما لك ولها معها سقاؤها وحذاؤها، ترد الماء، وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها" (١٧).

وفي حديث زيد بن خالد الجهني ما يدل على إن من وجد لقطة يحاول أن

يعرف عفاصها ووكاءها وعددها، ثم يحاول أن يعلن عنها في الأسواق، والمساجد، ويكون أكثر تعريفه حيث وجدها، فإذا ظهر مالکها، دفعها إليه، وإن لم يظهر فله أن يملكها، فيأكلها، ويستمتع بها، سواء كان فقيراً أو غنياً، وإذا ما ظهر مالکها بعد حين، دفع قيمتها إليه، وهو قول بعض أهل العلم من أصحاب النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ومن بعدهم (١٨)، وبه قال الشافعي (١٩)، وأحمد (٢٠).

وذهب جماعة من العلماء إلى أنه بعد ما عرفها سنة يتصدق بها، ولم يكن له أن ينتفع بها إذا كان غنياً، وبه قال سفيان الثوري، وعبد الله بن المبارك (٢١)، وأصحاب الرأي (٢٢).

وفي رواية عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - أنه قال: التقطت على عهد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) مائة دينار، فأتيته بها، فقال: "عرفها" فعرفتها حولاً (٢٣). ثم أتيتها، فقال: "عرفها" فعرفتها حولاً. ثم أتيتها، فقال: "عرفها" فعرفتها حولاً. ثم أتيتها فقال: "أعلم عددها ووكاءها، فإن جاء أحد يخبرك بعددها ووعائها ووكائها، فأعطه إياها، وإلا فاستمتع بها" (٢٤).

والجمع بين حديث أبي بن كعب وحديث زيد بن خالد الجهني - المذكور فيه سنة فقط . : إن حديث أبي بن كعب محمول على الورع والمبالغة في التعفف عن اللقطة، وحديث زيد بن خالد الجهني على ما لا بد منه، ويحتمل أن يكون - عليه الصلاة والسلام - عرف إن تعريفها لم يقع على الوجه المطلوب الذي ينبغي أن يكون عليه، فأمر ثانياً بإعادة التعريف، ويحتمل ذلك على عظم اللقطة وحقارتها (٢٥).

ومذهب عامة الفقهاء إن تعريف اللقطة سنة واحدة، كما جاء في خبر زيد بن خالد، والثلاث في حديث أبي بن كعب شك لم يصر إليه احد من أهل العلم(٢٦). وظاهر الحديث يدل على إن قليل اللقطة وكثيرها سواء في وجوب تعريفها سنة، واليه ذهب بعض أهل العلم ومنهم الشافعي(٢٧). وذهب قوم إلى إن القليل لا ضرورة بتعريفه كالإمام مالك الذي نقل لنا رأيه المالكي(٢٨)، وهو قول الإمام أبي حنيفة(٢٩). إن اللقطة وإن أتى عليها أعوام هي لصاحبها دون الملتقط. وعليه أن يردها على صاحبها أو يرد قيمتها، وإن أكلها أو استنفقها، انطلاقاً من قول رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): "من التقط لقطة، فليشهد ذوي عدل، ثم لا يكتم، ولا يغير، فإن جاء صاحبها، فهو أحق بها، وإلا فهو مال الله يؤتية من يشاء"(٣٠).

ولا يجوز التقاط لقطة الحاج للتملك وأما التقاطها للحفظ فقط فلا مانع منه، استناداً إلى نهى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عن لقطة الحاج(٣١) (٣٢). وفي هذه المسألة قال الإمام الشافعي(٣٣): إن كانت في الحرم لم يجز أن يأخذها إلا للحفظ ليردها على صاحبها. بينما ذهب بعض الفقهاء ومنهم أبو حنيفة(٣٤) وأحمد بن حنبل(٣٥) إلى أنه لا فرق بين لقطة الحرم والحل.

الضالة:

الضالة: ما يحصل للحيوان خاصة، دون سائر اللقطة، والجمع ضوال، ويقال لها الهوامي والهوافي والهوامل(٣٦).

إن من وجد شاة ضالة فليأخذها، انطلاقاً من قول رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في ضالة الغنم: "هي لك، أو لأخيك، أو للذئب". فقله (صلى الله عليه واله وسلم): "هي لك، أو لأخيك، أو للذئب"، فهذا رخصة في أخذها، معناه: إنها طعمة لكل آخذ، فإن لم تأخذها أنت يأخذها غيرك، أو يأكلها الذئب(٣٧). وحكم ضالة الغنم، أنه إن وجدها في صحراء أو مهلكة، فله أن يأكلها، والقيمة في ذمته لمالكها إن

ظهر لها مالك، وهو قول أكثر أهل العلم (٣٨)، بينما قال الإمام مالك (٣٩): إن وجد الشاة في الصحراء، فأكلها، لا غرم عليه. وإن وجد الضالة في قرية، وبين ظهري عمار، فعليه أن يعرفها سنة، كسائر الأموال.

وأما البعير فالمرء ممنوع عن اخذ ضوال الإبل دون غيرها من سائر الضوال، استنادا إلى قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ضالة الإبل: "ما لك، ولها معها سقاؤها وحذاؤها، ترد الماء، وتأكل الشجر، حتى يلقاها ربها" (٤٠). وهو رأي الإمام مالك (٤١) الذي قال: "وضالة الإبل لا ينبغي لواجدها أن يتعرض لها وليتركها"، وهو قول الشافعي (٤٢)، وأحمد (٤٣). بينما أجاز أبو حنيفة (٤٤) الالتقاط في الإبل.

وإن من آوى (٤٥) ضالة ولم يعرفها أدت به إلى النار استنادا إلى ما رواه الجارود (٤٦) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال: "ضالة المسلم حرق النار" (٤٧). أي إذا أخذها إنسان ليمتلكها أدت به إلى النار (٤٨). وروى زيد بن خالد الجهني إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "من آوى ضالة فهو ضال" (٤٩) ما لم يعرفها" (٥٠). وفي حديث زيد بن خالد الجهني دليل على لزوم تعريف اللقطة مطلقا سواء أراد تملكها أو حفظها ليردها على صاحبها (٥١).

ثانيا/ الشفعة:

. الشفعة لغة واصطلاحا:

الشفعة لغة: بضم الشين وسكون الفاء اسم مصدر بمعنى طلب التملك، وتأتي اسما للملك المشفوع كما قال الفيومي. وهي من الشفع الذي هو ضد الوتر، لما فيه من ضم عدد إلى عدد أو شيء إلى شيء، يقال: شفع الرجل الرجل شفعا إذا كان فردا فصار له ثانيا وشفع الشيء شفعا ضم مثله إليه وجعله زوجا (٥٢).

أما اصطلاحاً: هي حق تملك قهري يثبت للشريك القديم على الحادث فيما ملك بعوض (٥٣).

مشروعية المطالبة بالشفعة:

الشفعة حق ثابت بالسنة والإجماع ولصاحبه المطالبة به أو تركه (٥٤)، لكن إن ترتب على ترك الشفعة معصية كأن يكون المشتري مشهوراً بالفسق والفجور، فينبغي أن يكون الأخذ بها مستحباً بل واجباً أن تعين طريقاً لدفع ما يريده المشتري من الفجور (٥٥).

واستدلوا من السنة بحديث أبي هريرة، قال: قال النبي (صلى الله عليه واله وسلم): "الشفعة فيما لم يقسم، فإذا وقعت الحدود، وصرفت الطرق، فلا شفعة" (٥٦). وعن جابر بن عبد الله، قال: "إنما جعل رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) الشفعة في كل مال ما لم يقسم، فإذا وقعت الحدود، وصرفت الطرق، فلا شفعة" (٥٧). وروى انس بن مالك إن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) قال: "جار الدار أحق بالدار" (٥٨).

وروي عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) انه قال: "الجار أحق بسقبة" (٥٩) (٦٠).

قال ابن المنذر (٦١): اجمع أهل العلم على إثبات الشفعة للشريك الذي لم يقاسم فيما بيع من ارض أو دار أو حائط.

وإن الشفعة لا تثبت إلا في العقار والأراضي، فعن جابر بن عبد الله إن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) قال: "الشفعة في كل ربة (٦٢) أو حائط (٦٣)، لا يصح له أن يبيع حتى يعرض على صاحبه، فإن شاء اخذ، وإن شاء ترك" (٦٤). وعن جابر بن عبد الله أيضاً إن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قال: "من كان له شريك في ربة أو نخل، فليس له أن يبيع حتى يؤذن شريكه، فإن رضي اخذ، وإن كره ترك" (٦٥). في هذه المسألة قال البغوي (٦٦): إن الشفعة لا تثبت إلا في العقار

والأراضي هو قول عامة أهل العلم. وذهب بعض أهل العلم إلى إن الشفعة تثبت في جميع الأموال المشتركة من العروض والحيوان وغيرها.

الخاتمة

نستطيع ان نقول ان هذا الجهد استهدف دراسة احكام اللقطة في الاسلام وقد توصلت الى:

ان اللقطة هي مال ضل عن صاحبه لا يعرف الواجد مستحقه.
وان من وجد لقطة يحاول أن يعرف عفاصها ووكاءها وعددها، ثم يحاول أن يعلن عنها في الأسواق، والمساجد، ويكون أكثر تعريفه حيث وجدها، فإذا ظهر مالکها، دفعها إليه، وان لم يظهر فله أن يملكها، فيأكلها، ويستمتع بها، سواء كان فقيرا أو غنيا، وإذا ما ظهر مالکها بعد حين، دفع قيمتها إليه، وهو قول بعض أهل العلم.
وذهب جماعة من العلماء إلى انه بعد ما عرفها سنة يتصدق بها، ولم يكن له أن ينتفع بها إذا كان غنيا.

ومذهب عامة الفقهاء إن تعريف اللقطة سنة واحدة.
كما إن اللقطة وان أتى عليها أعوام هي لصاحبها دون الملتقط. وعليه أن يردّها على صاحبها أو يرد قيمتها، وان أكلها أو استنفقها.
ولا يجوز النقاط لقطة الحاج للتملك وأما النقاطها للحفظ فقط فلا مانع منه.
وان الشفعة لا تثبت إلا في العقار والأراضي هو قول عامة أهل العلم. وذهب بعض أهل العلم إلى إن الشفعة تثبت في جميع الأموال المشتركة من العروض والحيوان وغيرها.

الهوامش

- (١) الزبيدي، تاج العروس، ج ٢٠، ص ٧٥.
- (٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ٣٩٢.
- (٣) ابن الأثير، النهاية، ج ٤، ص ٢٦٤.
- (٤) الغرر البهية، ج ٣، ص ٣٩٣.
- (٥) شرح مختصر خليل، ج ٧، ص ١٢١.
- (٦) داماد أفندي، مجمع الأنهر، ج ١، ص ٧٠٤؛ ابن عابدين، رد المحتار، ج ٤، ص ٢٧٦.
- (٧) فتح الباري، ج ٧، ص ٣١٨.
- (٨) زيد بن خالد الجهني المدني (ت ٧٨هـ): صحابي. شهد الحديبية، وكان معه لواء جهينة يوم الفتح. له ٨١ حديثاً. (ينظر: الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ٥٨).
- (٩) عفاصها: العفاص بالكسر هو الجلد الذي يلبسه رأس القارورة. (ينظر: ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج ١١، ص ٢٥٠؛ الرازي، مختار الصحاح، ص ٢١٣).
- (١٠) الوكاء: ما يشد به رأس القرية. (ينظر: ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج ١١، ص ٢٥٠؛ الرازي، مختار الصحاح، ص ٣٤٤).
- (١١) عرفها: من التعريف أي بينها للناس كأن ينادي في المجتمعات من ضاع له شيء فيطلبه عندي. (ينظر: البخاري، صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٢٤).
- (١٢) أي ما حكم التقاط الغنم الضالة. (ينظر: المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠).
- (١٣) أي إما أن تأخذها أو يلتقطها غيرك أو يأكله الذئب إن تركت. (ينظر: المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠).
- (١٤) سقاؤها: أي جوفها، فحيث وردت الماء شربت ما يكفيها حتى ترد ماء آخر، والغنم لا يقوى على ذلك. (ينظر: ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج ١١، ص ٢٥١).

(١٥) حذاؤها: يعنى بالحذاء اخفافها، ويقول: إنها تقوى على السير وقطع البلاد البعيدة. (ينظر: المصدر نفسه، ج ١١، ص ٢٥١).

(١٦) ينظر: الشافعى، المسند، ص ٢٢١؛ البخارى، صحيح البخارى، ج ١، ص ٣٠؛ مسلم، صحيح مسلم، ج ٣، ص ٣٤٦؛ المزنى، أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى (ت ٢٦٤هـ / ٨٨٦م)، السنن المأثورة للشافعى، تحقيق: عبد المعطى أمين قلعجى، (بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٦هـ)، ص ٣٨١؛ ابن ماجه، السنن، ج ٢، ص ٨٣٦؛ الترمذى، السنن، ج ٣، ص ٦٤٧). (والمقصود بلفظة ربها بهذا الحديث . مالکها).

(١٧) ينظر: ابن أبى شيبة، المصنف، ج ٤، ص ٤١٥؛ ابن حنبل، المسند، ج ٢٨، ص ٢٩٢؛ البخارى، صحيح البخارى، ج ٣، ص ١٢٤؛ مسلم، صحيح مسلم، ج ٣، ص ٣٤٨).

(١٨) البغوى، شرح السنة، ج ٨، ص ٣١٠.

(١٩) الشافعى، الأمر، ج ٧، ص ٢٣٨.

(٢٠) نقل لنا قوله ابن قدامة، المغنى، ج ٦، ص ٧٣.

(٢١) الحافظ شيخ الإسلام أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء التميمي المروزي (ت ١٨١هـ) الذي أفنى عمره فى الأسفار حاجا ومجاهدا وتاجرا. وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء. من آثاره: كتاب فى "الجهاد" وهو أول من صنف فيه، و "الرقائق" فى مجلد. (ينظر: الزركلى، الأعلام، ج ٤، ص ١١٥).

(٢٢) ينظر: السمرقندى، تحفة الفقهاء، ج ٣، ص ٣٥٥؛ المرغينانى، الهداية، ج ٣، ص ١٧٨؛ البغوى، شرح السنة، ج ٨، ص ٣٠٩.

(٢٣) حولا: سنة حسب عادة الناس وعرفهم فى مثل هذه الأمور. (ينظر: البخارى، صحيح البخارى، ج ٣، ص ١٢٤).

- (٢٤) ينظر: الطيالسي، المسند، ج ١، ص ٤٤٧؛ البخاري، صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٢٤؛ أبو داود، السنن، ج ٢، ص ١٣٤).
- (٢٥) الشوكاني، نيل الاوطار، ج ٤، صص ١٥٧ . ١٥٨.
- (٢٦) البغوي، شرح السنة، ج ٨، ص ٣١٠.
- (٢٧) الأُم، ج ٤، ص ٦٩.
- (٢٨) المعونة، ج ٢، ص ٢٢٢.
- (٢٩) المرغيناني، الهداية، ج ٣، ص ١٧٥.
- (٣٠) الطيالسي، المسند، ج ٢، ص ٤٠٨؛ ابن حنبل، المسند، ج ٢٩، ص ٢٧؛ النسائي، السنن الكبرى، ج ٥، ص ٣٤٤؛ الطحاوي، شرح مشكل الآثار، ج ٨، ص ١٦٣؛ البيهقي، السنن الكبرى، ج ٦، ص ٣٠٩؛ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ / ١١٩٣م)، معجم الشيوخ، تحقيق: وفاء تقي الدين، (دمشق، دار البشائر، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م)، ج ١، ص ٣٩؛ الهيثمي، موارد الظمان، ص ٢٨٤).
- (٣١) ابن حنبل، المسند، ج ٢٥، ص ٤٧١؛ مسلم، صحيح مسلم، ج ٣، ص ٣٥١؛ أبو داود، السنن، ج ٢، ص ١٣٩؛ ابن أبي عاصم، الآحاد والمثاني، ج ٢، ص ١٠؛ النسائي، السنن الكبرى، ج ٥، ص ٣٤٣؛ أبو عوانة، المستخرج، ج ٤، ص ١٨٧؛ الحاكم، المستدرک، ج ٢، ص ٧٤؛ البيهقي، معرفه السنن والآثار، ج ٩، ص ٨٨).
- (٣٢) نهى عن لقطة الحاج: يعني عن التقاطها للتملك. وأما التقاطها للحفظ فقط فلا مانع منه. (ينظر: مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٣٥١).
- (٣٣) الشيرازي، المهذب، ج ٢، ص ٣٠٣؛ الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٦، ص ٢٠٢؛ المرغيناني، الهداية، ج ٢، ص ٤١٩؛ النووي، المجموع، ج ١٥، ص ٢٤٩؛ ومنهاج الطالبين، ص ١٧٥؛ البابرتي، العناية، ج ٦، ص ١٢٨؛ العيني، البناية، ج ٧، ص ٣٣٧؛ الأنصاري، الغرر البهية، ج ٣، ص ٣٩٩؛ الشربيني، مغنى المحتاج،

- ج ٣، ص ٥٨٣؛ ملا خسرو، درر الحكام، ج ٢، ص ١٣٠؛ داماد أفندي، مجمع الأنهر، ج ١، ص ٧٠٦؛ الهيتمي، تحفة المحتاج، ج ٦، ص ٣٤٠ .
- (٣٤) البغوي، شرح السنة، ج ٧، ص ٢٩٩؛ الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٦، ص ٢٠٢؛ المرغيناني، الهداية، ج ٢، ص ٤١٩، البابرتي، العناية، ج ٦، ص ١٢٨؛ العيني، البنية، ج ٧، ص ٣٣٧؛ ملا خسرو، درر الحكام، ج ٢، ص ١٣٠؛ داماد أفندي، مجمع الأنهر، ج ١، ص ٧٠٦ .
- (٣٥) ابن قدامة، المغني، ج ٦، ص ٨٢؛ ابن تيمية، المحرر، ج ١، ص ٣٧١؛ المقدسي، الشرح الكبير، ج ٦، ص ٣٥٣؛ المرداوي، الإنصاف، ج ٦، ص ٤١٣؛ البهوتي، كشاف القناع، ج ٤، ص ٢١٨؛ التميمي، مختصر الإنصاف، ص ٦١٢؛ السيوطي، مصطفى بن سعد (ت ١٢٤٣هـ / ١٨٦٥م)، مطالب أولى النهى في شرح غاية المنتهى، (بيروت، المكتب الإسلامي، د.ت)، ج ٤، ص ٢٣٠ .
- (٣٦) ابن قدامة، المغني، ج ٦، ص ٧٣؛ المحقق الحلبي، شرائع الإسلام، ج ٢، ص ٤٣٩ .
- (37) البخاري، صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٢٤؛ مسلم، صحيح مسلم، ج ٣، ص ٣٤٨ .
- (٣٨) البغوي، شرح السنة، ج ٨، ص ٣١٥ .
- (٣٩) الشافعي، الأم، ج ٤، ص ٦٨؛ الشيرازي، المهذب، ج ٢، ص ٣٠٨؛ البغوي، شرح السنة، ج ٨، ص ٣١٥؛ السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج ٣، ص ٣٥٦؛ ابن رشد الحفيد، ج ٤، ص ٩١؛ ابن قدامة، المغني، ج ٦، ص ١٠٣؛ النووي، المجموع، ج ١٥، ص ٢٥١ .
- (٤٠) المدونة، ج ٤، ص ٤٥٧؛ ابن البراذعي، التهذيب، ج ٤، ص ٣٧٦؛ المالكي، المعونة، ج ٢، ص ٢٢٣؛ أبو عبد الله المالكي، منح الجليل، ج ٨، ص ٢٤٠؛ التميمي، مختصر الإنصاف، ص ٦١٠ .

(٤١) ابن أبي شيبة، المصنف، ج ٤، ص ٤١٥؛ ابن حنبل، المسند، ج ٢٨، ص ٢٩٢؛ البخاري، صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٢٤؛ مسلم، صحيح مسلم، ج ٣، ص ٣٤٨).
 (٤٢) ابن البراذعي، التهذيب، ج ٤، ص ٣٧٦؛ النفري، متن الرسالة، ص ١٢٠؛ المالكي، المعونة، ج ٢، ص ٢٢٣؛ السرخسي، المبسوط، ج ١١، ص ١٠؛ ابن رشد، البيان والتحصيل، ج ١٥، ص ٣٦١؛ العبدري، التاج والإكليل، ج ٨، ص ٥٠؛ النفراوي، الفواكه الدواني، ج ٢، ص ١٧٤؛ العدوي، حاشية العدوي، ج ٢، ص ٢٨٢.
 (٤٣) الأم، ج ٤، ص ٦٨. (ينظر: الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٦، ص ٢٠٠؛ العيني، البنية، ج ٧، ص ٣٣٣؛ ابن عابدين، رد المحتار، ج ٤، ص ٢٨١؛ الغنيمي، اللباب، ج ٢، ص ٢٠٩).

(٤٤) ابن قدامة، عمدة الفقه، ص ٦١؛ والكافي، ج ٢، ص ٢٠٠؛ والمغني، ج ٦، ص ١٠٣؛ العيني، البنية، ج ٧، ص ٣٣٣؛ التميمي، مختصر الإنصاف، ص ٦٠٨؛ السيوطي، مطالب أولى النهى، ج ٤، ص ٢١٩؛ ابن عابدين، رد المحتار، ج ٤، ص ٢٨١؛ الغنيمي، اللباب، ج ٢، ص ٢٠٩).

(٤٥) السرخسي، المبسوط، ج ١١، ص ١٠؛ الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٦، ص ٢٠٠؛ المرغيناني، الهداية، ج ٢، ص ٤١٨؛ الموصلي، الاختيار، ج ٣، ص ٣٤؛ العيني، البنية، ج ٧، ص ٣٣٣؛ ابن عابدين، رد المحتار، ج ٤، ص ٢٨١؛ الغنيمي، اللباب، ج ٢، ص ٢٠٩).

(٤٦) آوى: من الإيواء، أي: أخذها إلى بيته. (ينظر: ابن حنبل، المسند، ج ٢٨، ص ٢٩٠).

(٤٧) بشر بن عمرو بن حنش بن المعلى العبدري (ت ٢٠هـ): سيد عبد القيس (وهم بطن من أسد ربيعة). كان شريفا في الجاهلية. قيل لقب (الجارود) بعد وقعة أغار بها على بني بكر بن وائل، فظفر. وأدرك الإسلام، فوفد على النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ومعه جماعة قومه، وكانوا نصارى، فاسلم، وعاش إلى زمن الردة

فثبت على عهده. استشهد يوم سهرى في عقبة الطين (موضع بفارس). (ينظر: الزركلى، الأعلام، ج ٢، ص ٥٥).

(٤٨) ينظر: الصنعاني، المصنف، ج ١٠، ص ١٣٠؛ الطيالسى، المسند، ج ٢، ص ٦٢٤؛ الدارمى، السنن، ج ٣، ص ٦٩٥؛ ابن ماجه، السنن، ج ٢، ص ٨٣٦؛ الترمذى، السنن، ج ٤، ص ٣٠١؛ ابن أبى عاصم، الأحاد والمثانى، ج ٣، ص ٢٦٤؛ النسائى، السنن الكبرى، ج ٥، ص ٣٣٧؛ أبو يعلى، المسند، ج ٢، ص ٢٢٠.

(٤٩) ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج ١١، ص ٢٤٨.
(٥٠) فهو ضال: أى عن طريق الصواب أو آثم. (ينظر: المصدر نفسه، ج ١١، ص ٢٤٨).

(٥١) ينظر: ابن حنبل، المسند، ج ٢٨، ص ٢٩٠ مسلم، صحيح مسلم، ج ٣، ص ٣٥١؛ النسائى، السنن الكبرى، ج ٥، ص ٣٩٣؛ الطحاوى، شرح معانى الآثار، ج ٤، ص ١٣٤؛ الطبرانى، المعجم الكبير، ج ٥، ص ٣٥٨؛ البيهقى، السنن الكبرى، ج ٦، ص ٣١٦؛ الحاكم، المستدرک، ج ٢، ص ٧٣؛ أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج ٨، ص ٣٢٥؛ البغوي، شرح السنة، ج ٨، ص ٣١٧.

(٥٢) ينظر: السرخسى، المبسوط، ج ١٤، ص ٩٠؛ الفيومى، المصباح المنير، ج ١، ص ٣١٧؛ الفيروزآبادى، القاموس المحيط، ص ٧٣٤؛ الحسينى، كفاية الأخيار، ص ٢٨٤ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص ٤٤٧.

(٥٣) الرافعى، فتح العزيز، ج ١١، ص ٣٦٢؛ الأنصارى، أبو يحيى زكريا بن محمد (ت ٩٢٦هـ / ١٥٤٨م)، اسنى المطالب فى شرح روض الطالب، (بيروت، دار الكتاب الإسلامى، د.ت)، ج ٢، ص ٣٦٣؛ الشريينى، الإقناع، ج ٢، ص ٣٣٥؛ الرملى، نهاية المحتاج، ج ٥، ص ١٩٤؛ الجمل، سليمان بن عمر (ت ١٢٠٤هـ / ١٧٩٠م)، فتح الوهاب بتوضيح شرح منهاج الطلاب المعروف بحاشية الجمل، (

- بيروت، دار الفكر، د.ت)، ج ٣، ص ٤٩٨؛ الهيثمي، تحفة المحتاج، ج ٦، ص ٥٣؛ الجاوي، محمد بن عمر الشافعي (ت ١٣١٦هـ)، نهاية الزين في إرشاد المبتدئين، (بيروت، دار الفكر، د.ت)، ص ٢٥٦.
- (٥٤) ابن قدامة، المغني، صص ٤٥٩ . ٤٦٠؛ الرملي، نهاية المحتاج، ج ٥، ص ٢٣٩؛ البجيرمي، حاشية البجيرمي، ج ٣، ص ١٣٣.
- (٥٥) الرملي، نهاية المحتاج، ج ٥، ص ١٩٣.
- (٥٦) ينظر: الشافعي، المسند، ص ١٨١؛ البخاري، صحيح البخاري، ج ٣، ص ٨٧؛ الطحاوي، شرح معاني الآثار، ج ٤، ص ١٢١؛ البجلي، أبو القاسم تمام بن محمد (ت ٤١٤هـ / ١٠٣٦م)، الفوائد، (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٢هـ)، ج ٢، ص ٢٤٢؛ البيهقي، السنن الكبرى، ج ٦، ص ١٧٠؛ البغوي، شرح السنة، ج ٨، ص ٢٤٠.
- (٥٧) ينظر: ابن حنبل، المسند، ج ٢٢، ص ٦٢؛ البخاري، صحيح البخاري، ج ٣، ص ٧٩؛ النسائي، السنن الصغرى، ج ٧، ص ٣٢٠).
- (٥٨) ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج ١١، ص ٥٨٥). ينظر: الطيالسي، المسند، ج ٢، ص ٢٢٣؛ ابن أبي شيبه، المصنف، ج ٤، ص ٥١٨؛ ابن حنبل، المسند، ج ٣٢، ص ٢٠٩؛ الترمذي، السنن، ج ٣، ص ٦٤٢؛ البزار، المسند، ج ١٠، ص ٣٩٩؛ النسائي، السنن الكبرى، ج ١٠، ص ٣٦٤؛ الروياني، أبو بكر محمد بن هارون (ت ٣٠٧هـ / ٩٢١م)، مسند الروياني، (القاهرة، مؤسسة قرطبة، ١٤١٦هـ)، ج ٢، ص ٤٢؛ الطحاوي، شرح معاني الآثار، ج ٤، ص ١٢٢).
- (٥٩) قال البغوي في شرح السنة: السقب: القرب، يريد بما يليه، وبما يقرب منه، يقال: سبقت الدار واسقبت: أي قربت، وليس في الحديث ذكر الشفعة، فيحتمل أن يكون المراد منه الشفعة، ويحتمل انه أحق بالبر والمعونة، والأول أقوى. (شرح السنة، ج ٨، ص ٢٤٢).

(٦٠) ينظر: أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ/ ٧٩٩م)، الآثار، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت)، ص ١٧٦؛ الشافعى، المسند، ص ١٨٢؛ البخاري، صحيح البخاري، ج ٣، ص ٨٧؛ ابن ماجة، السنن، ج ٢، ص ٨٣٣؛ أبو داود، السنن، ج ٣، ص ٢٨٦؛ الترمذي، السنن، ج ٣، ص ٦٤٤؛ النسائي، السنن الصغرى، ج ٧، ص ٣٢٠.

(٦١) نقل لنا قوله ابن قدامة، المغنى، ج ٥، ص ٢٢٩. (ينظر: الشربيني، مغنى المحتاج، ج ٢، ص ٢٩٦). ويقصد بالحائط هنا: البستان. (مر تعريفه).
(٦٢) الربعة: المنزل الذي يربع به الإنسان ويتوطنه. (ينظر: البغوي، شرح السنة، ج ٨، ص ٢٤٤).

(٦٣) حائط هنا تعني: بستان.
(٦٤) ينظر: ابن أبي شيبة، المصنف، ج ٦، ص ٧؛ الصنعاني، المصنف، ج ٨، ص ٨٢؛ ابن حنبل، المسند، ج ٢٢، ص ٢٩٥؛ الدارمي، السنن، ج ٣، ص ٧١٥؛ مسلم، صحيح مسلم، ج ٣، ص ٢٢٩؛ أبو داود، السنن، ج ٣، ص ٢٨٥؛ النسائي، السنن الصغرى، ج ٧، ص ٣٠١؛ ابن الجارود، المنقلى، ص ١٦٢؛ مجموعة من المؤلفين، الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، (المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٤هـ)، ص ٢٤٦.

(٦٥) ينظر: ابن الجعد، المسند، ص ٣٨١؛ ابن حنبل، المسند، ج ٢٢، ص ٢٤٤؛ مسلم، صحيح مسلم، ج ٣، ص ٢٢٩؛ أبو يعلى، المسند، ج ٤، ص ١٢٣؛ أبو عوانة، المستخرج، ج ٨، ص ٤١٣؛ البغوي، شرح السنة، ج ٨، ص ٢٤٤).

(٦٦) شرح السنة، ج ٨، ص ٢٤٤. (ينظر: السرخسي، المبسوط، ج ١٤، ص ٩٣؛ ابن عبد البر، الكافي، ج ٢، ص ٨٥٢؛ الشيرازي، التنبيه، ص ١١٦؛ الجويني، نهاية المطلب، ج ٧، ص ٣٠٣؛ السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج ٣، ص ٥١؛ الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٥، ص ١٠؛ المرغيناني، الهداية، ج ٤، ص ٣١٨؛ أبو المعالي

البخاري، المحيط البرهاني، ج ٧، ص ٢٥١؛ ابن قدامة، الكافي، ج ٢، ص ٢٣٢؛
المقدسي، العمدة، ص ٣٠٥؛ الموصلي، الاختيار، ج ٢، ص ٤٢؛ الزيلعي، تبيين
الحقائق، ج ٥، ص ٢٥٢؛ البابرتي، العناية، ج ٩، ص ٤٠٣؛ العدوي، حاشية
العدوي، ج ٢، ص ٢٥١).

**الموقف الرسمي والشعبي لدول المغرب العربي
من قيام ثورة ١٤ تموز في العراق ١٩٥٨
في وثائق مجلس السيادة العراقي**

م . د . سعد محمد علي حسين
كلية التربية الاساسية / جامعة ديالى / قسم التاريخ

الموقف الرسمي والشعبي لدول المغرب العربي من قيام ثورة ١٤ تموز في العراق ١٩٥٨ في وثائق مجلس السيادة العراقي

م . د . سعد محمد علي حسين

الملخص :

لم تكن ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق حدثاً بسيطاً او عارضاً ، إذ كانت محصلة نضال طويل ومزير أسهمت به قوى الشعب المختلفة مدنية وعسكرية حزبية وغير حزبية ، ومن ثم فهي نتيجة حتمية بعد أن استنفذ النظام الملكي قدرته على البقاء، ولم يعد بإمكانه الاستمرار مع حركة المجتمع العراقي وتقدمه .
إن الثورة في العراق كانت ذا أهمية كبيرة على صعيد المشرق العربي ودول المغرب العربي، التي أيدت تلك الثورة بقضائها على النظام الملكي ورفعها شعارات التحرر السياسي والاقتصادي، للدول العربية كافة.

Abstract

Were not July 14 Revolution in Iraq, a simple event or exhibitors , if the outcome of the struggle of a long and bitter contributed by different people , the forces of civilian and military-partisan and non-partisan , and therefore an investable result after the monarchy has exhausted its ability to survive , could no longer continue with the movement of society Iraqi offer .

The Revolution in Iraq was of great importance in terms of the Levant and Maghreb countries which that revolution supported by eliminating the monarchy and brought slogans political and economic liberalization because it was found to get rid of the control of the colonial perched on the chest of the Arab nation .

المقدمة :

أن القراءة الصحيحة والدقيقة للوضع القائم في العراق قبل قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، لابد أن تشير إلى الواقع المتخلف للمجتمع العراقي في اتجاهاته تشير المختلفة ، وقد أسهمت عوامل وأطراف عديدة في تكريس ذلك الوضع ، كان للسيطرة البريطانية الدور الكبير في بقاء العراق متخلفاً من الناحية الاقتصادية والاجتماعية مما أدى إلى تدمير الشعب من النظام الحاكم في العراق ، وعليه لم تكن ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ حدثاً بسيطاً أو عارضاً ، إذ كان محصلة نضال طويل ومرير أسهمت به قوى الشعب المختلفة ، مدنية وعسكرية وحزبية وغير حزبية ، ومن ثم فهي نتيجة حتمية بعد أن استنفذ النظام الملكي قدرته على البقاء ، ولم يعد بإمكانه الاستمرار مع حركة تطور المجتمع العراقي وتقدمه ، بحيث أصبح التناقض والحاجات الجديدة للمجتمع يشكل فجوة كبيرة لا يمكن تجاوزها ، وعليه بادرت القوى الوطنية وفي مقدمتهم ضباط الجيش العراقي الذي أخذوا يشعرون بضرورة التوازن بين شعوره الوطني وبين كونهم يمثلون مؤسسة رسمية لنظام ينبغي القضاء عليه ، ولاسيما أنهم كانوا يشعرون بحجم التخلف الذي كان يعاني منه الشعب العراقي بفئاته المختلفة ، فمثلاً عن ذلك الواقع الفكري الذي رسم هؤلاء الضباط ، إذ كان هناك النقاء فكري بين الضباط العراقيين (الأحرار) وبين زعماء الأحزاب الوطنية السياسية في إسقاط النظام الملكي الأمر الذي تحقق في ١٤ تموز ١٩٥٨ .

أن قيام هذه الثورة كان لها صداها الكبير لا على صعيد المشرق العربي فحسب ، إذ امتد ليتفاعل معها أبناء المغرب العربي ، لأن إسقاط النظام الملكي لم يكن من الأمور البسيطة لحكم دام أكثر من سبعة وثلاثين عاماً التي تمر من دون عناء كبير في الوقت الذي كانت دول المغرب العربي منكفئة على نفسها بسبب

الصراعات المحلية ، أو في صراعها مع الاستعمار الفرنسي الذي كان مهيمناً عليها
بالكامل.

وعليه أن قيام ثورة ١٤ تموز في العراق له صداه الواسع والكبير في أقصى
المغرب العربي وبشكل كبير ، ولتسليط الضوء على تلك المظاهر تم اختيار موقف دو
المغرب العربي من ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق كعنوان لمبحثنا هذا واقتضت
الضرورة أن نقسم البحث على مبحثين، تناول الأول : دور ضباط الجيش العراقي في
قيام ثورة ١٤ تموز في العراق . اما المبحث الثاني : فقد أضفنا فيه الموقف الرسمي
لدول المغرب العربي من ثورة ١٤ تموز الذي اختلف من دولة إلى أخرى ، إلا أنه في
النتيجة مثل حالة واحدة من الثورة كونها امتداد لحركة التحرر العربية في تلك المرحلة
للتخلص من الاستعمار وقواه الرجعية في الداخل ، فضلاً عن ذلك أن مواقف هذه
الدول قد ارتبط بحسب ظروفها الداخلية واختلاف انظمتها السياسية ، ومدى متابعتها
للأحداث السياسية في العراق التي كان المغرب العربي متمثلاً بدوله الأربع آنذاك
المملكة المغربية والجزائر وتونس وليبيا .

المبحث الأول : دور ضباط الجيش العراقي في قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨

أسهمت مجموعة من العوامل في أن يكون للضباط العراقيين دوراً سياسياً في
تاريخ العراق الحديث والمعاصر ، إذ إن اشتراك معظم الرعيل الأول من الذين تخرجوا
من الكلية العسكرية في الأستانة في أثناء الحرب العالمية الأولى ، وانضوائهم تحت
قيادة الأمير فيصل أثناء تحريره لعدد من المناطق العربية ودخوله دمشق في الأول من
تشرين الأول ١٩١٨ مع (١٢٠٠)^(١) من رجاله من بينهم الضباط العراقيين الذين
احتكوا بشكل مباشر مع الساسة البريطانيين وتعرفوا على مناوراتهم منذ وقت مبكر^(٢) .
وحين قامت الحكومة العربية في دمشق في ٥ تشرين الأول ١٩١٨ ، وكلف
الضباط العراقيون بعدة مسؤوليات منها عملهم مستشارين سياسيين للملك فيصل بن
الحسين ورافقوه إلى أوروبا أثناء محاولته عرض القضية العربية على الحلفاء ، وكان

من أبرز هؤلاء المرافقين نوري السعيد^(٣) ، فضلاً عن اشتراكهم في تأسيس جمعية العهد العراقية برئاسة ياسين الهاشمي في نهاية عام ١٩١٨ وبداية عام ١٩١٩ التي كانت تدعو إلى الاستقلال ووحدة الأمة العربية أثراً واضحاً في هذا الجانب^(٤) .

جاءت التطورات التي أعقبت قيام الحكومة المؤقتة في العراق عام ١٩٢٠ ، وتبوء الأمير فيصل بن الحسين عرش العراق في ٢٣ آب ١٩٢١ ليعود أولئك معه ويتسلموا المناصب الأساسية في الدولة العراقية الناشئة وتهيأت لعدد منهم الظروف لينخرطوا في العمل السياسي في الوقت الذي كان الاعتقاد السائد لدى أطراف الحركة الوطنية والقيادات السياسية في العراق أن الجيش سيستخدم لخدمة أغراض الانتداب البريطاني تبعاً للمسؤولية التي حددت واجباته وهي حماية الوضع الداخلي ، وهذا يعني الحد من تحرك قوى المعارضة الوطنية وفي الوقت نفسه أداة لتنفيذ المخططات البريطانية^(٥) ، إلا أن تطورات الأحداث ومجرباتها أكدت عكس ذلك ، إذ أن خلفية الضباط العراقيين وتكوينهم الاجتماعي تناقضت مع مصالح بريطانيا ، فضلاً عن ذلك ان نتائج الحرب العالمية الأولى كشفت عدم التزام بريطانيا بوعودها ، فلم يبق لدى هؤلاء ما يغريهم بالاتفاق معها من جهة أخرى^(٦) .

إن السلطات البريطانية ألغت الرتب العسكرية السابقة للضباط الذين كانوا في الجيش العثماني ، وأعادت تقييمهم برتب اقل باستثناء ما وردت باسمه توجيهات خاصة من جهات بريطانية^(٧) ، وكان لابد أن يترك ذلك الإجراء أثره السلبي على نفسية الضباط ويطبع موقفهم من السلطة البريطانية في طابع الريبة والعداء^(٨) .

أدت وفاة الملك فيصل في الثامن من أيلول ١٩٣٣ إلى خلق فراغ في الحياة السياسية العراقية إلى ظهور الانقسامات والخلافات التي لم تكن بارزة في المرحلة السابقة وبشكل واضح ، مما أدى إلى بروز دور المؤسسة العسكرية وتلتف حولها بعض الشخصيات السياسية العراقية من أجل استخدامهما ورقة ضغط للوصول إلى أهدافها ، وأسهمت بعض التطورات السياسية ، مثل تمرد الآثوريين في آب ١٩٣٣^(٩)

وحوادث عشائر الفرات الأوسط بين ١٩٣٥-١٩٣٦ ، في تعزيز دور الجيش في الحياة السياسية العراقية ، فضلاً عن ظهور نزعة لدى كبار الضباط إلى أحداث تغيرات سياسية لإسقاط الحكومات ، وتنامت تلك النزعة بعد ازدياد قوة الجيش عام ١٩٣٦ ، إذ اهتمت الحكومة بالجيش في تلك المرحلة بوصفه من مقومات الدولة القوية وذلك للمحافظة على كيائها من التهديد الخارجي وسلامة البلد ، وقد أسهم الملك غازي (١٩٣٣-١٩٣٩) شخصياً في تلك التوجهات ، إذ تابع توجهاتهم ودعم الكفاءات العسكرية ، ولاسيما الضباط منهم^(١٠) ، وهو ما شجع عدد من الضباط الطموحين لإقحام الجيش بالسياسة وفي مقدمتهم بكر صدقي^(١١) الذي توج بانقلاب عام ١٩٣٦ ضد وزارة ياسين الهاشمي الثاني التي تشكلت ١٧ آذار ١٩٣٥ ليدخل الجيش العراقي عالم السياسة ومناوراتها من أوسع أبوابها^(١٢) ، وتتويجاً لما سمي بتدخل الجيش في الحياة السياسية ، كونه شكل بداية التدخل الحقيقي للمؤسسة العسكرية وتسلمها الحكم من السياسيين المدنيين^(١٣) .

برز اتجاه وطني وقومي في صفوف الجيش العراقي بعد مقتل بكر صدقي عام ١٩٣٦ أمثال ، صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد ومحمود سليمان ، وكامل شبيب ، وغيرها من التطورات، إلا أن دور الجيش العراقي في الحياة السياسية لم يكن بالمستوى المطلوب ، إذ لم يتمكن من تقديم قائد عسكري سياسي يتفوق على السياسيين التقليديين الموجودين في الساحة ، وحتى القادة الأربعة (صلاح الدين الصباغ ، فهمي سعيد ، محمود سلمان ، كامل شبيب) كانت أفكارهم لا تزال عامة ينقصها النضج السياسي فهي خليط من مواقف وطنية ومواقف قومية ، وكان التعبير عن هذا لا يخرج عن نطاق الوسط السياسي التقليدي والملكية والملك^(١٤) .

إن بروز الاتحاد السوفيتي السابق كقوة مناهضة للاستعمار ومناصرة للشعوب الداعية للحرية والاستقلال وبروز ظاهرة ما يسمى الأجواء الديمقراطية التي سادت العالم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، دفع الضباط لمعاودة نشاطهم السياسي

السابق وبأساليب جديدة حتمتها عليهم طبيعة المرحلة ، وكانت صحيفة الأهالي هي التي تقوم بتثوير الرأي العام العراقي وهي من أبرز القنوات التي وظفها الضباط فكانوا يقتنوها على الرغم من اتهامها بالشيوعية ، فضلاً عن ذلك أن البعض منهم أسهم في كتاباتها لغرض مقارعة السلطات البريطانية^(١٥) .

انضم قسم من الضباط الى صفوف حزب الاستقلال بجناحه العسكري السري في عام ١٩٤٦ ، وكان من بينهم الرائد صلاح عبد المجيد السامرائي والعقيد المهندس رجب عبد المجيد الذي أعطى اسماً حركياً هو عبد الرزاق عبد المجيد وأصبح مسؤولة السيد داود السعدي وكان آنذاك برتبة نقيب وتغلغلت مجموعة أخرى إلى صفوف الحزب الشيوعي كونه يحظى بدعم ومساندة الاتحاد السوفيتي ، وقد نشرت مديرية الامن العامة قائمة تضمنت أسماء العسكريين الأعضاء في الحزب الشيوعي مبنية على التحقيقات التي أجرتها مع أعضاء اللجنة المركزية خلال العامين ١٩٤٧-١٩٤٨^(١٦) .

جاءت التطورات التي نجمت عن حرب ١٩٤٨ مع الكيان الصهيوني لتكشف حجم الضعف في البنية السياسية للفئة الحاكمة في العراق وعدم استعدادها لمواجهة العصابات الصهيونية وانغماسها في المناورات السياسية وانقيادها الى بريطانيا الأمر الذي دفع بعدد من الضباط العراقيين للتفكير جدياً في القضاء على النظام الذي عد مسؤولاً عن ضياع فلسطين أسوة بغيره من الأنظمة العربية الأخرى ، فبدأت تظهر مرحلة جديدة في حياة هؤلاء الضباط^(١٧) .

عد عام ١٩٥٢ البداية الحقيقية لتنظيم الضباط الأحرار^(١٨) ، وهو تاريخ يمتد لأربع سنوات بعد نكبة فلسطين ١٩٤٨ ، الأمر الذي يدل على حجم المعاناة التي كانت تتخرب في نفوس الضباط بوصفهم شريحة اجتماعية مهمة من أبناء الشعب العراقي تعمل على التغيير ، إذ توجهت الأنظار في القضاء على النظام الملكي^(١٩) ، ومع ذلك أن الجيش لم يكن قوة وطنية خالصة فقد كانت فيه عناصر ارتضت الارتباط

بالبريطانيين من جهة وكان على الجيش كذلك أن يوازن بين شعوره الوطني وعواطفه وبين كونه مؤسسة رسمية لنظام يجب ان يدافع عنه من جهة ثانية^(٢٠).

إن تدخل الجيش في قمع الانتفاضات ، ولاسيما انتفاضة تشرين عام ١٩٥٢ التي نزل فيها الجيش إلى الشوارع كان لها^(٢١) ، الأثر الكبير في نفوس الضباط الشباب الذين أدركوا أن حكاهم يحاولون جعلهم أداة قمع ضد الشعب الذي ينتمون إليه ، وعليه اخذ الضباط العراقيون الوطنيون بتشكيل خلايا وتنظيمات على غرار تنظيم الضباط الأحرار المصري ، فبدأ الرائد رفعت الحاج سري والمقدم المهندس رجب عبد المجيد في أيلول عام ١٩٥٢ بمفاتيحة الضباط الذين يثقون بهم ويدعونهم للانضمام الى الخلايا التي قررا تشكيلها لتأخذ على عاتقها عملية التغيير التي يصبوا إليها الشعب عن طريق ثورة يقوم بها الجيش^(٢٢) .

كان الضباط يشعرون بحالة التخلف التي يعاني منها الشعب العراقي^(٢٣) ، وتزامنت توجهاتهم مع ظهور الاحزاب السياسية ذات الأفكار الثورية التي تدعوا إلى التغيير وازدياد نشاطها في صفوف الشعب والقوات المسلحة الذي أدى الى زيادة الوعي الثوري لدى الضباط والجنود وأخذوا يدركون أهمية الاعتماد على الجيش وطلائعه الثورية للقيام بالتغيير المطلوب الذي باتت الاحزاب السياسية غير قادرة على تنفيذه^(٢٤). كان لبروز شخصية جمال عبد الناصر بعد قيام ثورة ١٩٥٢ في مصر أثراً بارزاً في ذلك وتأثيرها في أوساط المثقفين^(٢٥) ، فضلاً عن ذلك في توجهات الضباط العراقيين، إذ أججت مشاعرهم الوطنية مما أدى بدوره إلى تبلور وعيهم شيئاً فشيئاً والدعوة للقيام بعمل عسكري ضد النظام الملكي على غرار التنظيم المصري^(٢٦) ، واقتبسوا اسم تنظيمهم من تنظيم الضباط الأحرار في مصر^(٢٧) .

عانى الشعب العراقي في المرحلة التي سبقت قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ كان أداة مطيعة للاستعمار البريطاني الذي كان يحركهم لتنفيذ سياسته المعادية للشعب العراقي بصورة خاصة والشعب العربي بصورة عامة قائم على استغلال الشعب ونهب

ثرواته ، وفي الوقت التي تظاهر هذا النظام بتأمين العدل والنظام عن طريق المنظمات الحكومية الرسمية كمجلس الوزراء والمجالس ذات الصلة الديمقراطية (مجلس النواب) و(مجلس الأعيان) وبعض الجمعيات وال نقابات المجردة من معانيها والتي أحسن ما يمكن وصفها به قول شاعرنا المرحوم معروف الرصافي حين قال:

علم ودستور ومجلس امة كل عن المعنى الصحيح محرف
كثرت دوائرها وقل فعالها كالطبل يضرب وهو خال أجوف

فالوزراء ورؤساء الدوائر لا يملكون أي قرار ، إذ كان المستشارون البريطانيون المنسوبون في كل دائرة مهمة يحكمون من وراء ستار الاستشارة ولم تقف السياسة البريطانية على ذلك فقط ، إذ عمدت إلى التفريق بين أبناء الشعب الواحد من خلال ورقة التعصب القومي والورقة الطائفية والمذهبية (سياسة فرق تسد)^(٢٨) ، لذا كان ضمن محاور سياستها الاهتمام بشمال العراق وسعيها الدائم لإيقاع المنطقة الكردية في حال من القلق الدائم والاضطراب المتواصل والتوتر حتى أنهم اغفلوا الخصائص المشتركة التي تجمع بين العرب والاكرد^(٢٩) .

حين أضحى الشعب عاجزاً عن التعبير على الرغم من التظاهرات والاحتجاجات المتكررة برزت الحاجة الماسة إلى تدخل القوات المسلحة ممثلة بالعناصر الوطنية الحرة التقدمية الموجودة داخلها للقيام بواجبها للقضاء على ذلك النظام القائم الذي تلاعب بمقدرات الشعب السياسية والاقتصادية والاجتماعية^(٣٠) ، وإنهاء المأساة التي يعيش فيها الشعب العراقي ، فضلاً عن ذلك القضاء على الفساد الذي كان ينخر في المؤسسات السياسية^(٣١) والحكومية المختلفة ، الأمر الذي تحقق عندما استطاعت حركة الضباط الأحرار عبر تنظيمها المحكم وامتدادها في مفاصل حيوية للجيش العراقي من تفجير ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، الثورة التي أذهلت الولايات المتحدة الأمريكية وكان البريطانيون يعلمون بقيام الثورة وقد أكد لهم بأن الثورة لن تمنح المصالح البريطانية ، وأن التعامل سيستمر ومن أجل ذلك لم تتدخل وسمح بقيام

الجمهورية^(٣٢) لتقضي على النظام الملكي وتقيم بدلاً عنه نظاماً جمهورياً ينتقل العراق به إلى مرحلة من مراحل تطوره السياسي .

إن المرحلة السابقة للثورة أكدت وبشكل واضح على الصراع القوي بين قوى الشعب التي تمثلت بالضباط الأحرار من القوى الوطنية ومع من يعمل بالصد ، وجاءت الثورة لتحسم هذا الصراع^(٣٣) .

المبحث الثاني : الموقف الرسمي والشعبي لدول المغرب العربي من قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق في وثائق مجلس السيادة العراقي

اختلفت مواقف دول المغرب العربي من قيام ثورة ١٤ تموز في العراق ، إلا أنها أفرزت جميعها الموقف المساند للثورة وقادتها ، وباركتها ، إذ عدتها امتداد لحركة الاستقلال العربية ، منددة في الوقت نفسه بالقوى الرجعية ومن ورائها الدول الاستعمارية ، وسنعرض موقف كل دولة منفصلة وكما يلي :

١ - المملكة المغربية :

أيدت المملكة المغربية ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ منذ بداية قيامها ضد الحكم الملكي ، وبعد مرور عشرة أيام على قيام الثورة صرح ناطق رسمي بلسان السفارة المغربية في القاهرة بتاريخ الرابع والعشرين من تموز ١٩٥٨ : "بأن حكومة المملكة المغربية تدرس مسألة الاعتراف بالحكومة العراقية ومن المنتظر أن تصدر قرارها خلال ٢٤ ساعة ، وذكر أن مجلس الوزراء المغربي خصص اجتماعه في تلك الليلة لدراسة الوضع في الشرق الأوسط بصفة عامة ، ومسألة الاعتراف بالجمهورية العراقية بصفة خاصة"^(٣٤) ، وفي وقتها استقبل وكيل وزارة الخارجية المغربية القائم بأعمال السفارة العراقية في المغرب ، وابلغه الأخير قيام الجمهورية العراقية وطلب منه أن تعترف حكومة المغرب بها^(٣٥) .

على صعيد آخر أصدرت سفارة المملكة المغربية في بغداد في السادس والعشرين من تموز بياناً تضمن زيارة سفير المملكة المغربية السيد الفاطمي بن سلمان

إلى وزير الخارجية العراقية حيث اخبر وزير الخارجية السيد عبد الجبار الجومرد ان المملكة المغربية قررت الاعتراف بالجمهورية العراقية ، وأنه ينتظر وصول برقية رسمية من بلاده بذلك ، ولفت السفير المغربي أنظار الوزير إلى ان المملكة المغربية كانت من أوائل المرشحين بالحركة الشعبية المباركة التي قام بها الجيش العراقي الباسل ، إذ كتبت صحفها ، وفي مقدمتها جريدة الاستقلال لسان الحزب الوطني الحاكم في عددها الصادر بعد يوم واحد من قيام ثورة تموز مؤيدة الحركة العراقية الموفقة ومستتكرة سياسة بريطانها وعملائها في البلد الشقيق ، والذي أدى بالسفير البريطاني في الرباط الى تقديم احتجاج يوم السادس عشر من تموز ١٩٥٨ إلى وزير الخارجية المغربي نشرته جريدة الأخبار العراقية في عددها الصادر بتاريخ السابع والعشرين من تموز ١٩٥٨^(٣٦) ، وفي الوقت نفسه اخبره بأنه بلغ بأن كاتب الدولة للشؤون الخارجية في الرباط قد قابل يوم الثاني والعشرين من تموز ١٩٥٨ القائم بأعمال السفارة العراقية الذي اعلمه قيام الجمهورية العراقية وبأنه وجميع موظفي السفارة اعترفوا أو انظموا إلى الحكم الجديد ، فأجابه كاتب الدولة: "لا أن السفارة يمكن لها من الآن أن تبدأ نشاطها وانه في القريب ستعترف الحكومة المغربية بالجمهورية العراقية ، وإذا تأخر الاعتراف إذا جاز لنا أن نقول أن هنالك تأخيراً يرجع لصعوبة الاتصالات البريدية بين بغداد والرباط"^(٣٧) .

ولم تمض مدة طويلة حتى وصلت برقية من الحكومة المغربية إلى سفيرها في بغداد نصت على ((تبليغ الحكومة العراقية بأن مجلس الوزراء الذي يجتمع تحت رئاسة صاحب الجلالة الملك محمد الخامس ، قرر الاعتراف بالجمهورية العراقية ونرجوكم أن تسرعوا بالقيام بهذا المسعى))^(٣٨) .

رفع سفير المملكة المغربية الى وزير خارجية الجمهورية العراقية نص البرقية التي وردت إلى السفارة من وزارة الخارجية المغربية التي تعلمها فيها بقرار حكومة صاحب الجلالة بالاعتراف بالجمهورية العراقية ، وقال السفير : "إني أبلغكم هذا الاعتراف الرسمي ، أرجوكم ان تفضلوا مرة أخرى بقبول تهنئتي الخالصة مقرونة

بأصدق تمنياتي الطيبة بازدهار الجمهورية العراقية"، وقد انتهز السفير هذه الفرصة وأعرب عن وافر التقدير وكامل الاحترام^(٣٩).

أما موقف المؤسسات الحزبية المغربية فقد أيد البعض الثورة العراقية عبر تصريحات الزعماء السياسيين ومنهم السيد علال الفاسي رئيس حزب الاستقلال والسيد المهدي بن بركة رئيس المجلس الاستشاري الوطني الذين وصفوا الثورة بالمباركة^(٤٠). ولتعزيز العلاقات بين الطرفين وجه الملك محمد الخامس دعوته إلى الحكومة العراقية لزيارة المغرب، فلبت الدعوة بزيارة وفد عراقي برئاسة وزير الخارجية العراقي عبد الجبار الجومرد والشيخ خالد النقشبندي عضو مجلس السيادة، ومحمد صديق شنشل وزير الارشاد، وفؤاد الركابي وزير الأعمار، ومصطفى علي وزير العدل وبابا علي الشيخ محمود وزير المواصلات^(٤١).

وصل الوفد العراقي الى المملكة في ليلة ٢٩-٣٠ آب ١٩٥٨ واستقبل الوفد بحفاوة واضحة من وزير الخارجية المغربي أحمد بلافريج^(٤٢) الذي كان يشغل منصب رئيس الوزراء وعدد من المسؤولين المغاربة^(٤٣)، وفي اليوم الثاني للزيارة أي في الأول من أيلول قابل رئيس الوفد العراقي والوفد المرافق له جلالة ملك المغرب محمد الخامس وبصحبته رئيس وزراء المغرب في القصر الملكي وولي العهد المغربي الأمير الحسن، فرحب الملك بالوزير والوفد المرافق له وقال لرئيس الوفد: "إننا مسرورين باستقبالكم ولا نعتقد إنكم تحتاجون إلى ترحيب فأنتم في وطنكم وبين أهلكم ولا نرحب بالإنسان في وطنه وبين ذويه وعشيرته، وأتينا نتمنى الازدهار للشعب العراقي" فأجابه رئيس الوفد: "إنه لشرف عظيم أن أحمل إلى جلالتم وإلى الشعب المغربي تحية الشعب العراقي وحكومته"، وأكمل الحديث بشأن العلاقات بين البلدين والتضامن العربي^(٤٤).

إن النتائج الطيبة التي انتهت بها زيارة وزير الخارجية العراقية للمغرب أصبحت معروفة في الأوساط السياسية العربية، وذلك للدور الذي قام به الوفد في انضمام المملكة المغربية إلى جامعة الدول العربية، إذ عد ذلك الانضمام نصراً كبيراً

للعراق ، ولاسيما بعد أن كانت السياسة القائمة فيما مضى تقضي بأبعاد المغرب عن الجامعة العربية ، إذ كسبت بها الجمهورية العراقية موقفاً جيداً على صعيد السياسة الخارجية الحسنة ، وكان فرح الشعب بها كبير ، وكانت الزيارة موضع اهتمام كثير من الدول الأجنبية ، وكان لعلاقات الوزير العراقي أثر مهم في نجاح مهمته في بناء أسس صحيحة للعلاقة بين الجانبين ، ونستطيع أن نقول إن الزيارة كانت ناجحة لعدم تجاهلها أي طرف في المغرب لأن الوزير اتصل برجال المعارضة وأيدوا ذلك^(٤٥) .

وعليه بعثت الحكومة المغربية في العاشر من أيلول ١٩٥٨ بكتاب شكر الى عبد الجبار الجومرد لجهوده التي بذلها من اجل انضمام المغرب الى جامعة الدول العربية جاء فيها "شكراتنا الخالصة على ما قمتم به أثناء زيارتكم القصيرة لبلادنا من العمل المفيد الذي عجل بإنضمام المغرب للجامعة العربية" ، كما ورد للجومرد كتاب شكر آخر في ١٨ تشرين الأول ١٩٥٨ من قبل عبد الرحمن نجاي مدير الديوان الملكي المغربي باسم ملك المغرب ، جاء فيه : "إن جلالة الملك يذكر دائماً وبكل اغتباط زيارتكم الميمونة للمملكة المغربية بأنها الزيارة الميمونة والتي تركت بنفس جلالتها الأثر الطيب"^(٤٦) .

المهم في ذلك أن العلاقات العراقية المغربية بعد قيام ثورة ١٤ تموز في العراق أخذت بالتطور سياسياً في تلك المدة وأخذت تسير بشكل حسن ، إذ بعث رئيس مجلس السيادة (محمد نجيب الربيعي) بريقة تهنئة بمناسبة عيد تولي جلالة الملك محمد الخامس العرش في ١١ تشرين الثاني ١٩٥٨ ورد عليه ملك المغرب في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٥٨ على رئيس مجلس السيادة في بغداد ، إذ قال : " تأثرت كثيراً للعواطف والتمنيات التي تضمنتها برقيتكم لنا بمناسبة عيد عرشنا وأننا نشكر فخامتكم نتمنى لكم وللشعب العراقي الشقيق دوام السعادة والهناء"^(٤٧) .

يتضح مما تقدم أن اعتراف المملكة المغربية في الثورة العراقية وباركتها لها والتحول السياسي الذي طرأ في العراق عن طريق الزيارة التي ذكرت والمخاطبات

الرسمية بين الدولتين من جهة فضلاً عن الدور الكبير الذي أدّنه الجمهورية العراقية
الفتية في انضمام المملكة المغربية للجامعة العربية اذ يعد انجازا سياسيا عظيماً .
٢- الجزائر:

كان التفاعل بين ثورتي ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق والثورة الجزائرية التحررية
التي انطلقت عام ١٩٥٤ واضحا وقويا منذ البداية^(٤٨) , إذ كانت الثورتان متلازمتين
لأنهما جزء من حركة التحرر العربي , وكان لنباثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ في العراق
صداه الكبير لدى أوساط الشعب الجزائري وجيش التحرير الجزائري^(٤٩) . فقد صرح
السيد فرحات عباس^(٥٠) رئيس جمعية التحرير الجزائري غداة نجاح ثورة ١٤ تموز : "
إن هذا يساوي عشرين فرقة عربية مدرعة دخلت الجزائر لأنها تخدم الثورة في
الجزائر بهذه النسبة نفسها , وقال لقد وجهت ثورة ١٤ تموز ضربة حاسمة للنفوذ
الملكي الذي يعد المنطلق الأساس للمؤامرات ضد حركة التحرر العربية ولاسيما بعد
ارتباطه بحلف بغداد ضد الحركات الوطنية والثورية في الدول العربية , إذ أن الرجعية
العراقية بما تملكه من قوة وثروة كانت استناداً للرجعيات العربية وعائقاً لمسيرة
التطور الاقتصادي والسياسي والاجتماعي للأمة العربية وعليه ان انهيار هذه
الرجعية ونظامها يعني في الوقت نفسه انهيار ركن قوي من أركان الرجعية العربية
وفتت عضدها وزعزع مركزها"^(٥١) .

وكتبت صحيفة المجاهد احدى الصحف الجزائرية مقالاً بشأن قيام الثورة في
العراق بافتتاحيتها بهذا الصدد: " ليس غريباً أن تكون الجزائر من أشد الدول العربية
فرحاً , وحماساً لثورة العراق فالجزائر تشعر من سجنها الحديدي المظلم , ان قطراً
عربياً شقيقاً قد حطم القيود , وخرج من سلاسل العبودية وظلام الاستعمار الى أجواء
الحرية , ان تحرير العراق الشقيق سيقوي من عوامل انتصارنا", وفي مقال آخر
بعنوان (الثورة الجزائرية والقومية العربية), أكدت الصحيفة نفسها : "إن الحدث يعد في
نظر الشعب الجزائري عيداً قومياً سعيداً يهنئ الناس فيه بعضهم بعضاً"^(٥٢) .

كتبت صحيفة الجمهورية الجزائرية في ٢٣ تموز مقالاً بعنوان (ثورة العراق ونضال الشعب الجزائري) : "عدت ثورة تموز في العراق سنداً للثورة الجزائرية , وان الإنتصار العظيم الذي حققه الشعب العراقي سيدعم نضال الشعب الجزائري ضد الإستعمار" (٥٣) .

بادرت الحكومة العراقية الى الاعتراف كأول دولة بالحكومة الجزائرية المؤقتة التي أعلنت في ١١ أيلول ١٩٥٨ , أرسل رئيس مجلس السيادة (محمد نجيب الربيعي) برقية تهنئة الى الرئيس فرحات عباس بمناسبة تأليف حكومة الجزائر المؤقتة جاء فيها : " نهني أنفسنا جميعاً بإشراق نور كوكب الحرية في سماء الجزائر المجاهدة بتأليف حكومتها الحرة الأولى ونرجو أن تتحقق في المستقبل العاجل أمانكم وأمان العرب لنيل اخواننا الجزائريين الاستقلال والسيادة الكاملة وفقكم الله في مساعيكم ونصركم في جهادكم" (٥٤) .

كان ذلك الموقف الرسمي الصريح بالاعتراف بالحكومة الجزائرية المؤقتة صدق إيجابياً في الجزائر إذ أرسل فرحات عباس برقية قال فيها: " انني اغتنم هذه الفرصة لإرسل لكم باسم الشعب الجزائري وباسمي الخاص تشكراتي الحارة على ما يلقاه كفاح الجزائر لدى الجمهورية العراقية والشعب العربي في العراق من مساندة وتأييد وأسأل الله (عزوجل) أن يحقق آمال العرب في السيادة والكرامة والوحدة" (٥٥) .

وتبعاً لذلك أوفدت حكومة الجزائر المؤقتة وفداً رسمياً الى العراق في تشرين الأول ١٩٥٨ برئاسة وزير المالية أحمد فرنسيس ووزير الشؤون الثقافية توفيق المدني ووزير التسليح محمود شريف لتقديم التهنئة بقيام الجمهورية العراقية ونجاح ثورة ١٤ تموز , وشكر العراق على اعترافه بالحكومة الجزائرية المؤقتة وأجرى الوفد الجزائري مع المسؤولين العراقيين عما يتصل بإسناد الثورة الجزائرية مادياً وعسكرياً ودبلوماسياً (٥٦) , وقد أشاد نائب رئيس الحكومة كريم بلقاسم (٥٧) بموقف العراق من تقديم المساعدات المالية والمعنوية للحكومة الجزائرية المؤقتة إذ قال: " إن مساندة العراق ومساعدته

للجزائر من الناحيتين المادية والمعنوية ملموسة وبصورة مستمرة " فيما أذاعة راديو صوت الجمهورية الجزائرية الذي يبث من تونس بياناً حول المساعدات العراقية للجزائر الذي أكد في مجمله : " إن المساعدات المادية والمعنوية التي قدمها العراقيون إلى الثورة الجزائرية يدل على ان الشعب العراقي وحكومته لم يضعفا في التعبير عن تأييدهم العملي , ومشاركتهم الفعلية للجزائر في كفاحها بما لا يحتاج الى ايضاح ومنذ أن تبذلت الأوضاع بالعراق " , وأضاف البيان أن الشعب العراقي وحكومته أوفت بكل تعهداتها للثورة الجزائرية المؤقتة سواء أكان ذلك في المجال الدبلوماسي أو الدعم المادي^(٥٨).

مما تقدم يظهر جلياً وجود ترابط جدلي بين ثورتي الجزائر ١٩٥٤ وثورة العراق ١٩٥٨ حيث ترابط الأهداف وتحقيق طموحات الشعب العربي , وكان موقف الجزائر متطابقاً مع الثورة واضحاً في جميع الميادين.

٣- تونس :

أيدت الجمهورية التونسية الثورة العراقية وأعلنت سفارة الجمهورية التونسية في العراق بانه يشرفها إبلاغ العراق اعتراف الجمهورية التونسية بها منذ الثاني والعشرين من شهر تموز ١٩٥٨ وهذا ما اعلنته الحكومة التونسية رسمياً في ٢٣ تموز ١٩٥٨^(٥٩).

أعربت السفارة التونسية في بغداد في ٢٥ من الشهر نفسه بمناسبة هذا الحدث السعيد عن عظيم ابتهاجها قائلة : " ان هذا الحديث العظيم سيكون له ابعاد الأثر في زيادة توطيد أسس القوة وروابط التضامن بين الجمهوريتين في سبيل تحقيق الأهداف القومية المشتركة "^(٦٠)

رد العراق على السفارة التونسية في بيان رسمي جاء فيه : " تأكدوا من أن العراق الذي تربطه بتونس الشقيقة روابط الإخوة والصداقة يحرص على تعزيز وتوثيق هذه الروابط والتعاون من أجل خدمة العرب وقضاياهم المشتركة".

وعلى الرغم من موقف تونس الصريح لقيام الجمهورية العراقية , إلا أن موقفها من أحداث الشرق الأوسط اتسم بالحذر إذ أحاز الى المعسكر الغربي وهذا الموضوع جعل بعض الساسة التونسيين غير مطمئنين الى هذا التناقض في الموقف ووجهوا الانتقاد للرئيس الحبيب بورقيبة لإنحيازه الى الغرب وبهذا الصدد نشرت جريدة الاستقلال لسان حزب الحر الدستوري التونسي تناولت فيه سياسة الحكومة التونسية وموقفها في أحداث (الشرق الأوسط) فأشادت بالحركات الثورية التي قامت في تلك المنطقة ومن ضمنها العراق وثورته^(٦١).

كان لموقف تونس الرسمي والشعبي من قيام الثورة في العراق أثره في تطوير العلاقات بين البلدين ولا أدل من ذلك الزيارة التي قام بها وزير الخارجية العراقية عبد الجبار الجومرد في الرابع من أيلول ١٩٥٨ الى تونس في زيارة رسمية حين التقى هناك بالسيد الصادق المقدم وزير الخارجية التونسية وبعدها بالحبيب بورقيبة رئيس الجمهورية التونسية وكبار المسؤولين التونسيين الذين احتفلوا به , وذلك لمعرفتهم بنشاطه القومي في سبيل استقلال تونس منذ أن كان تلميذاً في باريس , وخلال عمله في الجامعة العربية , وتقليداً لجهوده قلده بورقيبة وسام الاستقلال الأكبر التونسي ثم اجتمع الجومرد مع الحبيب بورقيبة أكثر من ثلاث ساعات تناولت العلاقات الأخوية وضرورة انضمام تونس الى الجامعة العربية لغرض وحدة الصف العربي , الأمر الذي يحقق التضامن العربي^(٦٢).

تمكن الجومرد الذي عرف بقدراته الدبلوماسية من اقناع الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة بانضمام تونس للجامعة العربية , اذا اسفر هذا الاجتماع على موافقة تونس على الانضمام الى الجامعة العربية^(٦٣) .

٤ - ليبيا:

تأخر الاعتراف الليبي بالنظام السياسي الجديد في العراق بعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بعض الوقت، وقد ارتبط ذلك بموقف الحكومة الليبية من قتل العائلة الملكية في العراق أثناء قيام الثورة، إذ عد هذا العمل يتنافى مع الأعراف العربية والاسلامية وغير صحيح ، لاسيما ان العائلة الملكية لم تعمل شيء باتجاه الأحداث التي قادت الى الثورة^(٦٤) ، الأمر الذي دفع الملك الليبي السنوسي الى التوجيه باعلان الحداد في ليبيا لمدة اسبوعين اعتبارا من ٢١ تموز ١٩٥٨ ، فضلاً عن تأجيل الإعتراف بالنظام الجديد في العراق لمدة معينة^(٦٥) ، الا انه سرعان ما تم الاعتراف في الخامس من آب ١٩٥٨ ، وفق البرقية التي وردت الى وزارة الخارجية العراقية من بنغازي التي أشارت الى اعتراف الحكومة الليبية بحكومة الجمهورية العراقية الجديدة^(٦٦).

أشاد ولي العهد الليبي في ٧ تشرين الأول ١٩٥٨ بأخبار العراق وهو يرى ان سير الحكومة العراقية بروح الاعتدال في الداخل والمصلحة القومية في الخارج انما يدل على حسن نية وتبصر ، وأضاف بأنه طالما وجد الفساد في البلد فلا بد للمخلصين ان يقوموا بواجب الاصلاح ، وان التأييد الشعبي يدل على رغبة الشعب العراقي في طلب الاصلاح على يد رجال جيشه واضاف بأنه مطمئن لمستقبل العراق على يد هؤلاء المخلصين من أبنائه^(٦٧).

على الرغم من ذلك لم يكن للعراق علاقات واسعة مع ليبيا سوى بعض الأسلحة المرسلة الى الجزائر التي كانت تنتقل عن طريق ليبيا لتسلم الى ثوار الجزائر ، ولشدة تعلق الرأي العام الليبي بقيام ثورة ١٤ تموز في العراق فإن الوفد الذي زار دول المغرب العربي في ٢٥ تشرين الأول ١٩٥٨ ووصله الى ليبيا استقبل الوفد بمظاهرة شعبية وطنية تهتف لثورة العراق وأحراره، الأمر الذي استوجب استقدام الجيش للسيطرة على الموقف واعتقال عدد كبير من المتظاهرين ، مما أدى الى توسط رئيس الوفد

عضو مجلس السيادة خالد عبد الغفار النقشبندي الذي كان رئيس الوفد , إذ امتنع عن تناول طعام العشاء , إلا إذا أطلق سراح المعتقلين الأمر الذي تحقق له^(٦٨).
استمرت العلاقات جيدة بين البلدين , إذ تبادل رئيس مجلس السيادة محمد نجيب الربيعي البرقيات وبعث تهاني بمناسبة استقلال المملكة الليبية المتحدة في ٢٤ كانون الأول ١٩٥٨^(٦٩), وشكر الملك ادريس الحكومة العراقية في بغداد وتمنى للشعب العراقي الشقيق السعادة والرفاهية حسب ماجا في البرقية التي ارسلت في السابع والعشرين من كانون الأول ١٩٥٨^(٧٠).

الخاتمة :

توصل البحث إلى أن الاهتمام الذي أبدته دول المغرب العربي من التطورات السياسية التي شهدتها العراق أثر قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ , وكان من الطبيعي أن يكون لقيام هذه الثورة صدها الكبير بين هذه الدول رغم اختلاف انظمتها السياسية لأنها كانت تدرك بأن تقويض النظام الملكي في العراق من شأنه أن يسهم في تعزيز كفاحها ضد الاستعمار الفرنسي بعد مجيء نظام تقديمي وثورة اقل ما يقال عنها أنها أهشت القوى الاستعمارية , وكانت في الوقت نفسه مبعث صدمة عنيفة تعرضت لها التي جاء في مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا التي استطاعت ان تقضي على النظام الملكي وتعلن قيام النظام الجمهوري وتنقل العراق الى مرحلة جديدة من مراحل تطوره السياسي.

فضلا عن ذلك ان تعاطف دول المغرب العربي مع الثورة العراقية عكس الى حد كبير أن هذه الدول وجدت في هذه الثورة انعكاساً واضحاً لأوضاعها بسبب تشابه ظروفها مع ظروف العراق آنذاك بسبب وجود سيطرة استعمارية متحالفة مع قوة رجعية داخلية فيها الأمر الذي أكد هذه المواقف بشكل واضح ودقيق وعليه نجد ان هذه المواقف لم تقتصر في بعض هذه الدول على الموقف بشكل واضح ودقيق , وعليه نجد

ان هذه المواقف لم تقتصر في بعض الدول على الموقف الرسمي فحسب بل امتد ليشمل الشخصيات السياسية والاحزاب السياسية المعروفة فضلاً عن موقف الصحافة الذي لا بد ان يعكس موقف الرأي العام لهذه الدول من قيام هذه الثورة ونجاحها في تلك المرحلة .

ولا خلاف أن صدى قيام هذه الثورة كان من السعة والشمول أن جعل امتدادات هذه الثورة يسهم في انضمام المملكة المغربية وتونس الى جامعة الدول العربية , بعد مدة قصيرة من قيامها وبعد ان كانت السياسة القائمة آنذاك تقضي بأبعادها في هذا التجمع العربي وهو في حد ذاته يدل على العمق الفكري والسياسي الذي أحدثته هذه الثورة في هذه الدول , وهذا يعني ان قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ شكل ان صح التعبير نقطة تحول سياسي في هذه الدول , لأنها عدت الخطوة المهمة في سبيل دعم نضال هذه الدول ضد الاستعمار وقواه الداخلية لتغير أوضاعها التي كانت سائدة فيها.

وعليه إن حدثاً كبيراً مثل قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق التي قضت على النظام الملكي والأحلاف الدولية كحلف بغداد فضلاً عما قامت به على الصعيد الداخلي حال قيامها، ورفعت شعارات التحرر والاستقلال السياسي والاقتصادي , كان لا يمكن تجاهله في الدول العربية , فكان من الطبيعي أن يحدث هذا الموقف والتفاعل مع هذه الثورة وتطوراتها.

المصادر والهوامش :

- (١) سليمان موسى، الحركة العربية المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة ١٩٠٨-١٩٢٤ ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ٣٤١.
- (٢) في حين يرجع قسم من الباحثين دخول الضباط العراقيون حقل العمل السياسي الى أبعد من هذا التاريخ ، وذلك عندما كانوا يعملون في الجيش العثماني وبقيمون في الأستانة في وقت ظهور العنصرية التركية الأمر الذي دفع بهم الى البحث عن السبل والوسائل للحفاظ على الهوية العربية والوقوف ضد سياسة التتريك فأسهم هؤلاء الضباط بفعالية في تأسيس جمعية العهد السرية ١٩١٣ بزعامة عزيز علي المصري بحيث وصف هؤلاء الضباط بأنهم المحركون لكثير من التحركات التي وقعت في الجيش العثماني. للمزيد من التفاصيل عن الملك فيصل الأول ودوره السياسي ينظر: علاء جاسم محمد ، الملك فيصل الأول حياته ودوره السياسي في الثورة العربية وسورية والعراق ١٨٨٣-١٩٣٣ ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ٥٥-٥٨؛ جاسم كاظم العزاوي ، ثورة ١٤ تموز أسرارها ، أحداثها ، رجالها حتى نهاية عبد الكريم قاسم ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ١١.
- (٣) محمد طاهر العمري ، تاريخ مقدرات العراق السياسية ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ج ٢ ، ص ٢٣٨.
- (٤) فؤاد قزانجي ، العراق في الوثائق البريطانية ١٩٠٥ - ١٩٣٠ ، مراجعة عبد الرزاق الحسني ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ١١٥ .
- (٥) رجاء حسين حسني الخطاب ، تأسيس الجيش العراقي وتطور دوره السياسي ١٩٢١-١٩٤١ ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ١٧٣.

(٦) عبد الرزاق الهلالي , تاريخ التعليم في العراق , ١٦٣٨-١٩٧١ , بغداد ١٩٥٩ ,
ص ١٦٢ ؛ قحطان أحمد عبوش , ثورة تلغفر ١٩٢٠ والحركات الأخرى في منطقة
الجزيرة , بغداد ١٩٦٩ .

(٧) F.O371,20015E 19th January 1937,p.237.

(٨) رجاء حسين , المصدر السابق , ص ١٤٩ .

(٩) للتفاصيل عن ثورة الأثوريين ينظر : رياض رشيد ناجي الحيدري , الأثوريين في
العراق ١٩١٨-١٩٣٦ , ط ١ , القاهرة , ١٩٧٧ .

(١٠) رجاء حسين الخطاب , المصدر السابق , ص ٦٢-٧٧ ؛ لطفي جعفر فرج , الملك
غازي ودوره في سياسة العراق في المجالين الداخلي والخارجي , مطبعة سومر ,
بغداد , ١٩٨٧ , ص ٧٣ .

(١١) كردي القومية , برز من أوساط الجيش بعد القضاء على تمرد الأثوريين عام
١٩٣٣ وتمردات عشائر الفرات الأوسط عام ١٩٣٥-١٩٣٦ فتقرب منه الزعماء
السياسيين ومنهم , حكمت سليمان وجعفر ابو التمن وجماعة الأهالي بزعامة كامل
الجادرجي , مما جعله يخطط للوصول الى السلطة كامل الجادرجي , أوراق كامل
الجادرجي , دار الطليعة , بيروت , ١٩٧١ , ص ١٠١ ؛ حازم المفتي , العراق بين
عهدين ياسين الهاشمي وبكر صدقي , ١٩٩٠ , ص ٨٥ وللمزيد من التفاصيل عن
انقلاب بكر صدقي ينظر : صفاء عبد الوهاب المبارك , انقلاب عام ١٩٣٦
ممهدات وأحداثه , ونتائجه , رسالة ماجستير (غير منشورة) , كلية الآداب , جامعة
بغداد , ١٩٦٢ .

(١٢) صفاء المبارك , المصدر السابق , ص ٣٠١ ؛ قيس جواد على الغزيري , رشيد
عالي الكيلاني ودوره في السياسة العراقية حتى عام ١٩٤١ , رسالة ماجستير (غير
منشورة) كلية التربية , ابن رشد , جامعة بغداد , ١٩٨٩ , ص ١١٠ .

- (١٣) كمال مظهر أحمد , صفحات في تاريخ العراق المعاصر , دراسات تحليلية ,
بغداد , ١٩٨٧ , ص ١١٩ .
- (١٤) رجاء حسين , المصدر السابق , ص ٢٠٨ .
- (١٥) محمد حمدي الجعفري , العراق وبريطانيا حقبة من الصراع ١٩١٤-١٩٥٨ , دار
الشؤون الثقافية , بغداد , ٢٠٠٠ .
- (١٦) المصدر نفسه , ص ٩٤ .
- (١٧) كريم مراد عاتي , نجيب الربيعي , ودوره السياسي والعسكري في العراق من عام
١٩٦٣ , مطبعة النرجس , بغداد , ٢٠١٣ , ٢١-٢٢ .
- (١٨) فاضل حسين , سقوط النظام الملكي في العراق , بغداد , ١٩٨٦ , ص ٤٠-٤١ .
- (١٩) المصدر نفسه , ص ٤٠-٤١ .
- (٢٠) ليث عبد الحسن الزبيدي , ثورة ١٤ تموز في العراق , بغداد , ١٩٨١ , ص ١٠٥ .
- (٢١) محمد حمدي الجعفري , المصدر السابق , ص ١٩٥ ؛ وللمزيد عن انتفاضة ١٩٥٢
, ينظر مها عبد اللطيف حسن , انتفاضة تشرين الثاني في العراق ١٩٥٢ رسالة
ماجستير (غير منشورة) كلية القانون والسياسة , جامعة بغداد , ١٩٨٤ .
- (٢٢) ليث عبد الحسن , المصدر السابق , ص ١٠٥ .
- (٢٣) المصدر نفسه , ص ١٠٥ .
- (٢٤) جاسم كاظم العزاوي , المصدر السابق , ص ١٨ .
- (٢٥) مظهر عارف , لعبة الدومينو , بغداد ١٩٨١ , ص ١٢١ .
- (٢٦) جاسم كاظم العزاوي , المصدر السابق , ص ٣٣ .
- (٢٧) ذكر المهندس رجب عبد المجيد سكرتير اللجنة العليا للضباط الأحرار : " ان
تنظيما لم يتأثر بتنظيم الضباط الأحرار في مصر لأن الوضع عندنا في العراق
يختلف عن الوضع في مصر , كما ان تنظيما قرر منذ اليوم الأول على ضرورة

- اسقاط النظام الملكي وقيام الجمهورية في حين ثورة مصر لم تلغ الملكية الا بعد مدة طويلة " صحيح ان لثورة يوليو ١٩٥٢ تأثير فعال الا اننا لم نفتبس من التنظيم سوى الاسم فقط ليث عبد الحسن , المصدر السابق , ١٠٥.
- (٢٨) جاسم كاظم العزاوي , المصدر السابق , ص ٢٤.
- (٢٩) فاضل البراك , مصطفى البارزاني الأسطورة والحقيقة , بغداد ١٩٨٩ , ص ٢٥.
- (٣٠) ليث عبد الحسن , المصدر السابق , ص ١٥٠.
- (٣١) المصدر نفسه , ص ١٢٥.
- (٣٢) علاء موسى كاظم نورس , ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في تقارير الدبلوماسيين البريطانيين والصحافة العربية , بغداد , ١٩٩٠ , ص ٥٢.
- (٣٣) ابراهيم شريف , الشرق الأوسط دراسة تحليلية لأتجاهات سياسة الاستعمار حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق , بغداد , ١٩٦٥ , ص ٢٠٤.
- (٣٤) (الحرية) , جريدة , العدد (١٢٣٥) , بغداد , ٢٤ تموز ١٩٥٨.
- (٣٥) المصدر نفسه .
- (٣٦) (الأخبار) , جريدة , العدد (٩) , بغداد , ٢٧ تموز ١٩٥٨.
- (٣٧) د.ك.و , ملفات مجلس السيادة , ملف (٢٧٨) ت ٤١١ , من سفارة المغرب بالعراق الى دائرة الشؤون الخارجية العراقية في بغداد , و (٤٨) , ص ٤٦.
- (٣٨) د.ك.و , ملفات مجلس السيادة , ملف (٢٧٨) ت ٤١١ , بريقة من كتاب الدولة لشؤون الخارجية المغربية الى سفارة المملكة المغربية بالعراق , و (٢٢) , ص ٢٩ .
- (٣٩) د.ك.و , ملفات مجلس السيادة , ملف (٢٧٨) ت ٤١١ , كتاب من السفير المغربي في العراق الى وزارة الخارجية العراقية في ٢٩ تموز ١٩٥٨ , و (٢١) , ص ٣٧-٣٨.

(٤٠) د.ك.و , ملفات مجلس السيادة , ملفه (٢٧٨) ت ٤١١ , موقف تونس والمغرب من احداث الشرق الأوسط من كتاب سفارة العراق في تونس الى وزارة الخارجية العراقية في ١٤ آب ١٩٥٨ , و(٩٢) , ص ٢١٦-٢١٧.

(٤١) جاسم كاظم عزوي , المصدر السابق , ص ١٨١-١٨٣.

(٤٢) أحمد بلافريخ : ولد عام ١٩٠٨ في الرباط وتابع دراسته الابتدائية والثانوية فيه درس في القاهرة عام ١٩٢٧ لكي يزيد ثقافته ومعلوماته العربية بالدراسة والمطالعة , درس في باريس عام ١٩٢٨ لأجل الإلتحاق بجامعة السوربون وحصل فيها على دبلوم الدراسات العليا في الأدب في عام ١٩٣٢ , أسس أول خلية وطنية في تاريخ المغرب في الرباط عام ١٩٢٦ , وأسس في عام ١٩٣٤ مدرسة جسوس , أسهم في تأسيس الحزب الوطني عام ١٩٣٦ , سافر عام ١٩٣٧ الى عدد من الدول الأوروبية لأجل بحث القضية المغربية والدفاع عنها وبقي ينتقل مابين العواصم الأوروبية وطنجة الى ان عاد الى الرباط عام ١٩٤٣ واخذ يفكر بالاعداد لوثيقة الاستقلال الذي يعد من ابرز المساهمين فيها واسهم في تأسيس حزب الاستقلال عام ١٩٤٤ , اعتقل ونفي الى جزيرة كورسيا بعد تقديم وثيقة الاستقلال عاد الى المغرب عام ١٩٤٦ بعد أبدى المقيم العام الجديد ايريك لايون رغبته في اقامة نوع من التقارب مع الوطنيين حين اطلق سراح احمد بلافريخ الأمين العام لحزب الاستقلال الذي عاد من منفاه في جزيرة كورسكيا واطلق سراح علاء الفاسي ومحمد حسن الوزاني , والسماح للصحف الوطنية بالظهور مرة الثانية , بعد خلع السلطان محمد الخامس عام ١٩٥٣ قام أحمد بلافريخ بتنظيم حملة تأييد واسعة للملك محمد الخامس والعمل على تقديم قضية المغرب أمام هيئة الأمم المتحدة بعد استقلال المغرب عام ١٩٥٦ أصبح اول وزير للخارجية تولى رئاسة الوزراء ١٩٥٨ , اصبح للمرة الثانية وزيرا للخارجية عام ١٩٦٢ , أصبح ممثلا شخصيا للملك الحسن الثاني عام ١٩٦٣ ,

- اعتزل العمل السياسي عام ١٩٧٢ ، توفي عام ١٩٩٠ ، رسالة ماجستير كلية التربية ، جامعة سامراء ، ٢٠١٤ .
- (٤٣) عدنان سامي نذير ، عبد الجبار جومرد نشاطه الثقافي ودوره السياسي ، بغداد ، ١٩٩١ ، ص ٢٦٢ .
- (٤٤) عدنان سامي نذير ، المصدر نفسه ، ص ٢٦٢ ؛ (الحرية) ، (جريدة) ، العدد (١٢٦٧) ، بغداد ، ١ أيلول ١٩٥٨ .
- (٤٥) د. ك. و ملفات مجلس السيادة ملفه ٣٧٧ ، ت ٤١١ ، موضوع نتائج زيارة سيادة وزير الخارجية العراقي للمغرب في ٢٩ أيلول / ١٩٥٨ ، و (٢٩) ص ١٠٤-١٠٦ .
- (٤٦) عدنان سامي نذير ، المصدر السابق ، ص ٢٦٤ .
- (٤٧) د. ك. و ملفات مجلس السيادة ، ملف ٦/ت ٤١١ ارسال برقية تهنئة من وزارة الخارجية العراقية في ١١ تشرين الثاني ١٩٥٨ ، و (٤٥) ، ص (٥١) ؛ ملفه ١٦ تسلسل ٤١١ برقية الى دار الإذاعة في ١٩ تشرين الثاني ١٩٥٨ ، و (٤٣) ، ص ٤٩ ، ملفه ١٦ ، ت ٤١١ ، برقية جواب من محد الخامس على البرقية في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٥٨ ، و (٣٢) ، ص ٣٧ .
- (٤٨) عدنان سامي نذير ، المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .
- (٤٩) خزان مسعود بن موسى ، العراق والثورة الجزائرية ١٩٤٥-١٩٦٢ ، رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة بغداد ١٩٨٣ ، ص ١٧٠ .
- (٥٠) فرحات عباس : من الزعماء الجزائريين الذين برزوا في العمل السياسي أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها ولد يوم الرابع والعشرين من تشرين الأول عام ١٨٩٩ في سطيف ينتمي الى اسرة فلاحية درس الابتدائية في الطاهر والثانوية في جيجل وانتقل الى العاصمة ونال شهادة الصيدلة منها أنشأ جمعية الطلبة المسلمين عام ١٩٢٤ واشرف عليها حتى عام ١٩٣٠ شارك كمتطوع اثناء الحرب العالمية الثانية

مع الجيش الفرنسي بعدها شكل حزب احباب البيان والحرية وبعد مذبحه عام
١٩٤٥ أعتقل وافرج عنه عام ١٩٤٦ شكل حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري
في سطيف عز الدين معزة , فرحات عباس ودره في الحركة الوطنية ومرحلة
الاستقلال ١٨٩٩-١٩٨٥ , رسالة ماجستير (غير منشورة) , جامعة منتوري
قسنطينة , كلية العلوم الانسانية , ٢٠٠٥.

(٥١) ليث عبد الحسن الزبيدي , المصدر السابق , ص ٢٣٤.

(٥٢) الجمهورية (جريدة) , الجزائر , العدد (٦) , ٢٣ تموز ١٩٥٨.

(٥٣) المصدر نفسه .

(٥٤) د. ك. و , ملفات مجلس السيادة . ملفه ١٦ , ت ٤١١ , برقية من رئاسة
الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية الى السيد نجيب الربيعي رئيس مجلس السيادة
و (٩٣) , ص ١٠٨ ; ملفه ٢٩٠ , ت ٤١١ تقرير سفارة العراق في تونس الى وزارة
الخارجية العراقية , و (٨١) , ص ٢٠٧ ; ملفه ٣٧٧ , ت ٤١١ , تقرير من السفارة
العراقية في الرباط : الى وزارة الخارجية العراقية , و (٨٦) , ص ٢٠٨ ; (المجاهد
الجزائرية) , جريدة , الجزائر , ١٩ ايلول ١٩٥٨.

(٥٥) د. ك. و , ملفات من مجلس السيادة , ملفه ١٦ , ت ٤١١ , برقية من رئاسة
الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية الى السيد محمد نجيب الربيعي في ٢٥ ايلول
١٩٥٨ , و (٩٢) , ص ١٠٧.

(٥٦) د. ك. و , ملفات من مجلس السيادة , ملفه ١٦ , ت ٤١١ , برقية من رئاسة
الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية الى السيد محمد نجيب الربيعي في ٢٥ ايلول
١٩٥٨ , و (٩٢) , ص ١٠٧.

(٥٧) خزان مسعود بن موسى , المصدر السابق , ص ١٤١.

- (٥٨) كريم بلقاسم : ولد في الجزائر عام ١٩٢٢ في منطقة قبيلة ونشأ في حمى التيار الديني الوطني وخدم في الجيش الفرنسي وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أظهر حماسه الشديد بالعقيدة الاتحادية التي رفع لوائها أصدقاء البيان الجزائري ، وكان احد الأعضاء الستة حكمت عليه السلطات الفرنسية بالأعدام غيابيا مرتين ثم ترك الجزائر وانظم الى ثوار الخارج عمل وزير الحربية في الحكومة المؤقتة ونائبا لرئيس مجلس الوزراء عام ١٩٥٨ اغتيل في فرانكفورت عام ١٩٧٠ . بسام العسلي الصراع على نهج الثورة الجزائرية ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ١٩٥ .
- (٥٩) الجمهورية ، بغداد ، العدد (٧) ، ٢٤ تموز ١٩٥٨ ؛ خليل إبراهيم الزوبعي ، اللغز المحير ، عبد الكريم قاسم ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ج ٧ ، ص ٢٤٧ .
- (٦٠) د . ك . و ، ملفات مجلس السيادة ، ملف ٢٧٨ ، ت ٤١١ ، من سفارة الجمهورية التونسية في بغداد إلى وزارة الخارجية العراقية في ٢٥ تموز ١٩٥٨ ، و(٢٩) ، ص ٤٨ ، د . ك . و ، ملفات مجلس السيادة ، ملف ٢٧٨ ، ت ٤١١ ، رد من وزارة الخارجية العراقية في ٢٦ تموز ١٩٥٨ و (٦٥) ، ص ١٠٥ .
- (٦١) د . ك . و ، ملفات مجلس السيادة ، ملف ٢٩٠ ، ت ٤١١ ، تقرير عن موقف تونس والمغرب من أحداث الشرق الأوسط من سفارة العراق في تونس من وزارة الخارجية في ١٤ آب ١٩٥٨ ، و (٩٢) ، ص ٢١٦-٢١٧ .
- (٦٢) عدنان سامي نذير ، المصدر السابق ، ص ٢٦٣ .
- (٦٣) د . ك . و ، ملفات مجلس السيادة ، ملف ٢٩٠ ، ت ٤١١ ، تقرير عن الوفد التونسي لدى مجلس الجامعة العربية واستمرار توتر العلاقات بين تونس ومصر من سفارة العراق في تونس إلى وزارة الخارجية العراقية في ١٠/١٠/١٩٥٨ ، و(٨٤) ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(64) Khadduri, Magid, Modern Libyp. A study in political development, the Johns Hopk in spress Baltimore, second Printing,1968,P.296 .

(65) Ibid, P.297 .

(٦٦) في وقتها ماطل الملك الليبي في استقبال السفير العراقي الجديد ، مما دفع الحكومة العراقية على بقاء السفير العراقي السابق (عبد المنعم الكيلاني) كسفير لها في طرابلس ، (الجمهورية)، العدد (١٧) ، بغداد، ٥ آب ١٩٥٨ .

(٦٧) د . ك . و ، ملفات مجلس السيادة ، ملفه ٢٧٧ ، ت ٤١١ ، تقرير مقابلة وزير العراق المفوض لولي عهد ليبيا من سفارة العراق في طرابلس الغرب إلى وزارة الخارجية العراقية في ٢١ أيلول ١٩٥٨ ، و(٢٦) ، ص٦٢ .

(٦٨) جاسم كاظم العزاوي ، المصدر السابق ، ص١٨٣ .

(٦٩) د . ك . و ، ملفات مجلس السيادة ، ملفه ١٦ ، ت ٤١١ ، برقية من محمد نجيب الربيعي إلى الملك محمد إدريس في ٢٣ كانون الأول ١٩٥٨ ، و (٩) ، ص١٠ .

(٧٠) د . ك . و ، ملفات مجلس السيادة ، ملفه ١٦ ، ت ٤١١ ، برقية من الملك محمد إدريس إلى رئيس مجلس السيادة في العراق في ٢٧ كانون الأول ١٩٥٨ ، و(٣) ، ص٣-٤ .

حقيقة الزواج المقدس (البغاء المقدس)
في بلاد الرافدين

م.د. أحمد ناجي سبع
جامعة بابل / كلية الاداب / قسم الآثار

حقيقة الزواج المقدس (البغاء المقدس) في بلاد الرافدين

م.د. أحمد ناجي سبيع

يعد موضوع الزواج المقدس أو كما يطلق عليه بعض الباحثين (البغاء المقدس) واحداً من المواضيع الشائكة والمعقدة لما يتمتع به من أهمية كبيرة ، إذ أنه لم يتم ألجزم بكنهه وحقيقته حتى الآن ، و إذا أردنا أن نخوض في تفاصيل هذا الطقس يجب علينا أن نجيب على عدد من الأسئلة التي من شأنها أن تُسلط الضوء عليه :-

- ماهو مفهوم كلاً من البغاء والبغاء المقدس (الزواج المقدس) في بلاد الرافدين ، وهل هناك فرق بين هذين المفهومين ؟.
- هل خلف لنا سكان بلاد الرافدين أدلة كتابية أو فنية تُخبرنا أو تُرينا حقيقة مايمثله هذا الطقس الديني (البغاء او الزواج المقدس) داخل المعبد ؟.
- هل المصطلح السومري (KAR.KID) يمثل عنواناً خاصاً بالمرأة البغية التي تمارس الجنس ؛ ام انه مصطلح عام يحتوي في طياته عدداً من الفروع والانواع ويتعامل مع عدد من الحالات والنساء سواء كُن من عامة الناس أو حتى كاهنات ؛ كما هو الحال مع مصطلح " ألفن " الذي يمثل عنواناً شمولياً لأنماطاً وفروعاً فنية متنوعة.؟

تعريف البغاء :-

على الرغم من وجود اكثر من نوع وتعريف للبغاء منذ اقدم العصور ألا انها تشترك مع بعضها من حيث المضمون

- البغاء هو عملية اتصال المرأة جنسياً مع الرجل بصورة غير قانونية وغير مشروعة من أجل المال أو بدونه وانما من أجل الحب والمتعة الجنسية ^١.

إلا أن هناك انواعاً واشكالاً أخرى من البغاء ولكنها تخضع لشروط اخرى مغايرة لما ذكرنا آنفاً ؛ فقد اشار عدد من الباحثين بوجود " البغاء التجاري "

الذي يتبناه شخص معين من خلال تشغيل عدد من النساء في حانة أو ماخور والغرض منه هو الربح المادي . وكذلك " بغاء الغرمين " ، للنساء اللاتي يقعن تحت طائلة الدين ؛ الأمر الذي يدفعهن لممارسة البغاء للتخلص من هذه الديون ، كذلك " بغاء الرقيق " للتخلص من حالة العبودية وهلم جرة .^٢

وقد أطلق على هذا النوع من النساء المصطلح السومري (KAR.KID) الذي يعني (بغية ؛ زانية) .

تعريف الزواج المقدس :-

• الزواج المقدس هو نوع من الطقوس والمراسيم الدينية السيمائية والتي تتعلق بالخصب والنماء ؛ ويتم بمشاركة الملك أو كاهن ألاله الاعظم إلى جنب الكاهنة العليا متقمصين دور الالهة لمحاكاة أحداث هذا الطقس . يختلف هذا النوع من البغاء في المعنى والمضمون عن النوع السابق لأنه وان افترضنا جدلاً انه قد تم فعلاً إلا انه لم يتم مقابل المال أو المتعة الجنسية وإنما تم لأغراض دينية ؛ إلا أن جميع الدلائل تشير إلى عدم وقوع أي إتصال جنسي ضمن هذا الطقس داخل المعبد .

يمتد اصل طقس الزواج المقدس إلى عصور قديمة ، فقد كانت مراسيمه من الطقوس المهمة في بلاد الرافدين خاصةً وأنها تتعلق بالخصب والنماء ومايرافقها من تقرير مصير البلاد والملك ، وكنتيجة لأهميته كان يتم بمشاركة اهم شخصوس المدينة كما بينا أنفاً ، في اجواء احتفالية مهيبه ، حيث الكاهنة تلعب دور الالهة إنانا الهة الحب ويلعب الملك او الكاهن دور زوجها الاله دموزي وبأتصال الاثنين ينتج عنهما خير كبير يعم على كل البلاد .^٣

رغم اهمية هذا الطقس الديني التي بلغت مكانة عظيمة في ثقافة بلاد الرافدين، وعلى الرغم من انتشار المعابد والمزارات الخاصة بالالهة إنانا على طول نهري دجلة والفرات إلا إننا لا نمتلك دليلاً واضحاً سواءً كان نصاً كتابياً أو حتى منحوتات تبين لنا حقيقة ما يحدث فعلاً داخل الغرفة المقدسة

للمعبد، ولا يمكن ألجزم والبت بأن المشاركون في هذا الطقس الديني " داخل الغرفة المقدسة " هم من البشر فلربما كانوا تماثيلاً ، ومع ذلك، يعتقد بعض العلماء خطأً أنه على الأقل في العصور الأولى كان المشاركون في هذا الطقس بشرًا ، إذ كانت الكاهنة العظمى الانتو (NIN.DINGIR) (Entu) والتي يتم اختيارها عن طريق الفأل لخدمة الإله^٥ ؛ تشارك الملك أو الكاهن الأعظم في هذا الطقس المقدس ؛ إلا أن هذا لا يؤكد وقوع الاتصال الجنسي بصورة فعلية كون هذه الكاهنة قد امتازت بعفتها وعذريتها التي تمثل سمة خاصة بها ، فتذكر لنا ملحمة اتراخاسيس الحوار الذي دار بين الإله انكي و اتراخاسيس إذ بين له الإله انكي كيفية تقليل السكان^٦ ، حيث جاء في العبارة:

(šukni ugbakkâti . ênti . egisiati ikkibûšina) والتي تترجم ضع

مكانها الكاهنات أو كاباتو والانتو والايقشتوم ، لأن الجنس محرّم عليهن^٧.

كما أن كاهنات الانتو ينتمين إلى الطبقات الرفيعة في مجتمع بلاد الرافدين وكانت تخضع لمعايير اخلاقية صارمة^٨ ، وقد تبين من دراسة تاريخ ونسب معظم الكاهنات من صنف ألاتو انهن كُن من السلالات الملكية ويتمتعن بمركز اجتماعي عالٍ جداً^٩ ؛ وهذا بدوره يشير إلى النسب الطاهر الذي تتمتع به هذه الكاهنة ، الامر الذي يدفع عنها الشكوك التي افتعلها بعض الباحثين من انها تمثل اداة او وسيلة لتلبية اغراض المعبد الجنسية .

كما دأب ملوك بلاد الرافدين منذ القدم على التنافس في تكريس و تنصيب بناتهم و اخواتهم لخدمة الإله في المعبد وكان البعض منهم يتقاهر بأن أبنته أو أخته تعمل كاهنة عليا في معبد الإله مما حدا بالبعض منهم إلى أن يؤرخوا سني حكمهم بتكريس كاهنة عليا للمعبد^{١٠}.

توجه عدد من الكُتّاب والمؤرخين القدماء والمعاصرين صوب تشويه حقيقة هذا الطقس الديني مستنديين على اراء ضعيفة أبتدعها بعض المؤرخين

الذين أصروا على أن البغاء يمثل المهنة الأقدم في العالم القديم و أنها بدأت في بلاد الرافدين ، الامر الذي دفع بعض الباحثين القدماء والمعاصرين ألى إصدار عدد كبير من الكتب و المؤلفات ألتى كانت مسؤولة في نهاية المطاف عن ترويج مفهوم "البغاء المقدس" ، وكان على رأسهم ألكاتب اليوناني هيرودوتس (425-480 ق.م) ، إذ أشار في كتاباته الى وجود عادة " دينية مخزية " في بلاد الرافدين تفرض على كل امرأة ان تمارس الجنس " ولو لمرة واحدة في حياتها " بالقرب من معبد (أفروديت / عشتار) خلال مراسيم الزواج المقدس مع اول رجل غريب يلقى "قطعة نقدية فضية" إلى حضنها ^{١١}

يذكر في رواية أخرى أنه كان في أعلى زقورة بابل ، معبد فيه سرير واسع مزخرف ، ومصطبة ذهبية ، ولا يوجد فيه تمثال ، ولا يوجد فيه ليلاً سوى فتاة بابلية اختارها الاله ، حيث كان يأتي إلى المعبد ليستريح في هذا السرير ^{١٢} .

كذلك فعل كل من سترابو ولوسيان والكتبة المسيحيين الذين اثروا بالكتاب من بعدهم ^{١٣} ، الأمر ألتى شجع على ترسيخ فكرة أن بلاد الرافدين كانت تمثل " بؤرة الحرية الجنسية الساذجة والبدائية " ^{١٤} .

من خلال تحليل مضمون هذه الروايات أكد عدد من ألباحثين أن رواية هيرودوتس تفتقر إلى الدقة و لايمكن ربط مراسم الزواج المقدس مع مضمون هذه الرواية ^{١٥} ، لأن مراسم طقس الزواج المقدس خلال العصر البابلي كانت تتم بمشاركة تمثالي الالهين مردوخ وزوجته صربانيتوم أألذان كانا يحملان إلى داخل الغرفة المقدسة في المعبد .

كما أن كاهنة أالـ (NIN.DINGIR) بأنواعها أالثلاث (ugubatu En , Entu) لم يدخلن في خدمة الاله مردوخ وإنما خصصت كاهنة أخرى تدعى أالناديتوم لخدمته .

أما خلال القرن التاسع عشر فقد تبني عدد من الباحثين هذه الفكرة وروج لها من خلال اصدار كتب ومقالات تؤكد هذه النظرية ، وقد أستند بعض الباحثين في رأيه على ترجمة عدد من المفردات السومرية او الاكدية ومقارنتها مع مفردات اخرى ؛ وهذا ما ذهب إليه الباحث (Jensen) في ترجمته للمصطلح السومري (GAGU) إذ ربط بينه وبين المصطلح السرياني (gagujaa) والذي يعني " ألمومس " ^{١٦} ، ولكن الدراسات الحديثة اثبتت أن الجذر السومري (GAGU) ربما يكون مشتق من المصطلح السومري (GA₂.GI₄.a) والذي يعني " البيت المغلق ، أدير " ^{١٧} .

كما توجه عالم الأنثروبولوجيا السير James Frazer صوب تشويه هذه الطقوس أيضا عن طريق إصداره كتاب " The Golden Bough fame " الذي عمد من خلاله تقديم ألبهة الزائفة للقراء ^{١٨} ، إذ بين ان اصل هذه الطقوس هو المتعة الجنسية الدينية البدائية والمتمثلة بطقوس الخصب والنماء ، وكانت النتيجة ظهور شريحة كبيرة من العلماء والباحثين والقراء الذين سلموا وبدون تفكير بفكرة " البغاء المقدس " ^{١٩} ، والتي روجت على ان معظم الكاهنات في بلاد الرافدين سواء كُن من صنف " Entu ,Qadištu ,Naditu " قد كُن بغيات مقدسات ^{٢٠} خاصات بالمعبد ، وقد كُن يشاركن بانتظام في عمليات الجماع الجنسي مقابل كسب الفائدة والربح لمعابدهن ^{٢١} .

ظلت هذه الفكرة حتى الان راسخة في عقول بعض العلماء واصبحت أمراً مفروغا منه، بينما رفضها البعض الآخر مستندين الى حقائق ملموسة بينتها المصادر المسمارية فيما يتعلق بأصل هذا النوع من الكاهنات .

كما ان كاهنات الناديتوم اللواتي شاع ظهورهن خلال العصر البابلي القديم (١٨٨٠-١٥٥٠ ق.م) كُن ذوات مكانة اجتماعية عالية ومرموقة في المجتمع ويمثلن رموزاً للعفة والطهارة ^{٢٢} ، حيث تبين لنا نصوص من مدينة

سبار خلال العصر البابلي القديم أنهن من العوائل الملكية والنبيلة^{٢٣}، ولا يوجد أي دليل على أن واجباتهن قد أشتملت طقوس البغاء المقدس^{٢٤}؛ إنما على العكس فقد كان لكاهنات الناديتوم الحق في الزواج وتكوين أسرة على شرط أن لا تلد هي الاطفال، وإنما يمكنها ان تقدم خادماتها أو كاهنة أخرى أقل شأنًا منها لزوجها كعروس لتتجب له الاطفال، كما بينه قانون حمورابي .

١٤٤ إذا تزوج رجل كاهنة من صنف الناديتو واعطت هذه الكاهنة لزوجها امة وانجبت (الامة) اطفالاً له، فاذا عزم الرجل الزواج من الشوكيتوم . فلا يسمح لذلك الرجل (بالزواج)، وعليه ان لايتزوج من الشوكيتوم .

1. šum-ma a-wi-lum	2. nadītam i-ḥu-uz-ma
3. nadītum ši-i	4. amtam a-na mu-ti-ša
5. id-di-in-ma	6. mārī uš-tab-ši
7. a-wi-lum šu-ú	8. a-na ^{mi} šu-ge-tim
9. a-ḥa-zi-im	10 pa-ni-šu
11. iš-ta-ka-an	12 a-wi-lam šu-a-ti
13. ú-ul i-ma-ag-ga-ru-šu	14 ^{mi} šu-ge-tam
15. ú-ul i-iḥ-ḥa-az . ²⁵	

١٤٥ . إذا تزوج رجل كاهنة من صنف ناديتوم ولم تجهزه بالاولاد وعزم ان يتزوج من الشوكيتوم، فيمكن لذلك الرجل الزواج من الشوكيتوم^{٢٦}، وادخالها في بيته، على ان لا تساوي الشوكيتوم نفسها مع الناديتوم .

1 šum-ma a-wi-lum	2 nadītam i-ḥu-uz-ma
3 mārī la ú-šar-ši-šu-ma	4 a-na ^{mí} šu-ge-tim
5 a-ḥa-zi-im	6 pa-ni-šu
7 iš-ta-ka-an	8 a-wi-lum šu-ú
9 ^{mí} šu-ge-tam	10 i-iḥ-ḥa-az
11 a-na bītī-šu	12 ú-še-ir-ri-ib-ši
13 ^{mí} šu-ge-tum ši-i	14 it-ti nadītīm
15 ú-ul uš-ta- ma-aḥ-ḥa-ar	

١٤٦ . إذا تزوج رجل كاهنة الناديتو واعطت الناديتوم لزوجها امة فولدت
 ١٤٧ (الامة من زوجها) اطفالاً، وبعد ذلك ساوت الامة نفسها مع
 سيدتها ، فبسبب انجابها الاطفال لايحق لها ان تبيعها بالمال ،
 ولكن لها ان تضع عليها شارة العبودية وتعدّها من الاماء . واذا
 لم تلد له الاولاد فيحق لسيدتها ان يبيعها مقابل الفضة .

1. šum-ma a-wi-lum	2. nadītam i-ḥu-uz-ma
3. amtam a-na mu-ti-ša	4. id-di-in-ma
5. mārī it-ta-al-la-ad	6. wa-ar-ka-nu-um
7. amtum ši-i	8. it-ti be-el-ti-ša
9. uš-ta-tam-ḥi-ir	10. aš-šum mārī ul-du
11 be-le-sà	12. a-na kaspim
13 ú-ul i-na-ad-di-iš-ši	14. ab-bu-ut-tam
15 i-ša-ak-ka-an-ši-ma	16. it-ti amātīm
17 i-ma-an-nu-ši	18. šum-ma mārī

19 la ú-li-id

20. be-li-sà

21 a-na kaspim

21. i-na-ad-di-b iš-ši .

من خلال تسليط الضوء على فحوى المواد القانونية أنفة الذكر يعتقد الباحث أن هناك إشارة يمكن ان نستدل من خلالها ان هذا النوع من الكاهنات كان مقدراً لها ان تحافظ على نقائها وعذريتها ؛ ربما لأن طقوس المعبد " طقوس الزواج المقدس " تتطلب عذارى الكاهنات اللاتي لم يقعن في الخطايا ولم يمارسن الجنس مع أي رجل ، ويمكن ألقول ان زواجها هذا كان شكلياً ويبدو هذا واضحاً من حقيقة أنها لم تعط زوجها اطفالاً وانما أهدت لزوجها خادمتها لتمنحه الاطفال ، وفي حالات أخرى تلجأ للتبني وفي معظم الحالات التبني هذه تكون لطفلة ^{٢٧}.

كما قد ذكرت بعض المصادر المسمارية أن بعض الكاهنات قد دخلن المعبد منذ مرحلة الطفولة ^{٢٨}، وذلك لمنعهن من الاختلاط مع الناس ولاعطاء الاله والمعبد كاهنات نقيات خاليات من الذنوب تليق بمثل هكذا طقوس دينية .

اما فيما يخص كاهنة القادشتوم (NU.GIG) والتي تعني " المعزولة ، المحرمة " ^{٢٩} ويرادفها بالاكديّة (qadištu) التي تعني " المقدسة ، المكرسة " ^{٣٠}، أما حديثاً فقد توجهت الدراسات صوب تسميتها " خادمة المعبد " ^{٣١}.

تعد القادشتو واحدة من الكاهنات المرموقات في المجتمع العراقي القديم حيث كن ينذرن لخدمة الاله ، إلا أن اشتراك اسم هذه الكاهنة مع جذر الكلمة العبرية " قديشو " ^{٣٢}، بمعنى " زانية " ^{٣٣} ، جعلهم يعتقدون ان القادشتوم " زانية أو ملوثة " فقط بسبب اقتران اسمها بهذه الكلمة ^{٣٤} ، حيث ان المعاجم ترجمتها بـ " بغية المعبد او المقدسة " ^{٣٥} . ولكن بعد تسليط الضوء على اصل تسمية

هذه الكاهنة " NU.GIG " فقد تبين أن هذا الاسم أستخدم للإشارة لعدد من الالهات وعلى رأسهن الالهة عشتار^{٣٦} ، فضلاً عن استخدامه من قبل عدد كبير من سيدات المجتمع وزوجات الملوك أيضاً^{٣٧} ؛ وقد تبين انها تختلف عن معنى الجذر العبري " قديشو " فهي لم تكن زانية وانما كانت كاهنة في المعبد^{٣٨} ، كما هو الحال لمعظم الكاهنات في بلاد الرافدين .

يعتقد بعض العلماء أن هذه الاشارات التي ابتدعها هيرودوتس وغيره من الكتاب ربما تشير الى حالات معينة ظهرت بعد سقوط بابل على يد كورش ومن ثم دخول الاسكندر اليها ، الامر الذي أدى إلى انتقال عادات وتقاليد كانت شائعة في بلدان اخرى ، وهو مادفع البعض إلى الاعتقاد أن هذه العادات كانت شائعة في بلاد الرافدين .

لذلك، فإن الباحث يعتقد بأن طقوس ومراسيم الزواج المقدس كانت مجرد طقوس سيميائية رمزية أو اقرب ما تكون لعملية محاكاة أو تشبيه للزواج المقدس على ان لا تتطوي على الفعل الجنسي على الإطلاق، خصوصاً أن العناصر المشاركة في هذا الطقس " الملك أو الكاهن والكاهنة العظمى " والمكان الذي تجري فيه التحضيرات " المعبد "، تمثل رموز العفة والطهارة والنقاء في المدينة، الأمر الذي ينفي ماأصطلح على تسميته بالبغاء المقدس .

المصادر والمراجع :

¹ - Henshaw,R,. Female and male:The Cultic Personnel,the Bible and the Rest of theAncient Near East,Princeton Theological Monograph Series 13,Alison Park ,P.225-228 ,1994 . ;

² - Beatrice A Brooks. "Fertility Cult Functionaries in the Old Testament." JBL 60 (1941): 53-227.

³ - Frayne, Douglas "Notes on the Sacred Marriage Rite," Bibliotheca Orientalis , p.14 , 1985.

⁴ - Ibid,p.14 .

- ⁵ - Renger,J., Untersuchungen Zum Priestertum In Der Altabyylonischen Zeit , ZANF ,Vol.24, 1967,p.126
- ⁶ -Landsberger,B, zu den frauenklassen des kodex Hammurabi,ZA 30,1940,p.75.
- ^٧ عبد الاله فاضل ، المرأة فوق البرج ، بحث منشور . ينظر كذلك:
الذهب،اميرة عيدان، الكاهنات في العصر البابلي القديم (دراسة في ضوء النصوص المسمارية المنشورة) ،رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب /جامعة بغداد/قسم الآثار، ١٩٩٩، ص٢٨ .
- ⁸ - Hooks, Stephen M. ,Sacred Prostitution in Israel and the Ancient Near East. Cincinnati, OH:
Hebrew Union College Ph.D. dissertation, unpublished, p.13, 1985.
- ⁹ - Renger,Jp.116 .
- ^{١٠} - أذهب ، أميرة عيدان ، مصدر سابق ، ص ٣٢ .
- ¹¹ - Henshaw,R,. Op.Cit ,P.225-228 ; Oden, Robert A., Op.Cit p.140-147 .
- ¹² - Herodotus , The History of Herodotus , Vol,1,pr.181 -182 .
- ¹³ - Henshaw,R,. Op.Cit ,P.225-228
- ¹⁴ - Frymer-Kensky, Tikva., In the Wake of the Goddesses: Women, Culture, and the Biblical Transformation of Pagan Myth. New York, p.200, 1992.
- ¹⁵ - Frankfort,H,. The Kingship and the Gods ,Chicago-London , 1984 ,p331 .
- ¹⁶ - Harris, Rivkah ., "The Nadiu Woman," Studies Presented to A. Leo Oppenheim, edited E. Reiner. Chicago: University of Chicago,p. 109-123 ff , 1960.
- ¹⁷ - Renger,J., Op.Cit ,p.155
- ¹⁸ - Oden, Robert A., The Bible Without Theology. Urbana, IL: University of Illinois, p.136 , Jr 2000 (1987).
- ¹⁹ - Stuckey, Johanna H. 2005. "Ancient Mother Goddesses and Fertility Cults," Journal of the Association for Research on Mothering 7/1: 32-44
- ²⁰ - Lambert, Wilfried G., "Prostitution," in Aussenseiter und Randgruppen: Beitrage zu einer Sozialgeschichte des Alten Orients, edited V. Haas. Konstanz: Universitatsverlag , p.137-141 , 1992 ; Oden, Robert A., Op.Cit p.148-150
- ²¹ - Assante, Julia ., "The kar.kid/harimtu, Prostitute or Single Woman? A Reconsideration of the Evidence," Ugarit-Forschungen 30, p.6 , 1998.

- ²² - Assante, Julia .,1998 , Op.Cit , p 38-39 . ; Henshaw,R.,Op.Cit, p.92-95 .
- ²³ - Harris, Rivkah ., Op.Cit ,p.106
- ²⁴ - Oden, Robert A.,Op.Cit , p148
- ²⁵ - H.Dieter Viel .,Der Codex Hammurapi ,p.535-536 , 2002
- ²⁶ - Martha ,T.Roth., Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor , p.108-109, 1995 .
- ^{٢٧} - فهد ، سعد سلمان ، نصوص مسمارية من العهد البابلي القديم (ديالى/ تل حرمل) رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ١٩٩٦ ، ص ٦١ .
- ^{٢٨} - الجنابي ، سمراء حميد، نصوص مسمارية غير منشورة من العصر البابلي القديم (سبار/تل ابو حبة) رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب/جامعة بغداد / قسم الآثار ، ٢٠٠٦ ، ص ٣٣ .
- ²⁹ - Harris.R ., Ancient Sippar ,A Demographic Study of the Old Babylonian City (1844-1546 B.C) Istambul , 1975 , p.322 .
- ³⁰ - Zgoll , A , Op.Cit , p.181 .
- ³¹ - Edzard, D, O., Sumerische Kumposita Mit Dem Nominalprafix – nu "ZA".55,1963,p.104 .
- ³² - Assante, Julia .,1998 , Op.Cit , p 44-45 . ; Henshaw,R.,Op.Cit, p.207-213
- ³³ -Driver,G.R. and Miles,J.C. The Babylonian Laws,Vol.I,II,oxford,(1952-1968),p.373.
- ³⁴ - Assante, Julia,1998,Op.Cit, p.11
- ³⁵ - Assante, Julia.,"From Whores to Hierodules:The Historiographic Invention of Mesopotamian Female Sex Professionals," in Ancient Art and Its Historiography, A.A. Donahue and Mark D. Fullerton. Cambridge/New York: Cambridge University, p.32,2003.
- ³⁶ - Zgoll , A ., Inana als nugig ,ZA , 1996, p.181 .
- ^{٣٧} - أذهب ، أميرة عيدان ، مصدر سابق ، ص ١٢٥ – ١٢٦ .
- ³⁸ - Gruber, Mayer I., "Hebrew Qedeshah and her Canaanite and Akkadian Cognates," Ugarit-Forschungen 18, p.139, 1986.

**الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية
في سنوات الحرب العالمية الأولى
١٩١٤ – ١٩١٨**

**م. د. أحمد مريح المنصراوي
كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية الجامعة**

الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية في سنوات

الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨

م. د. أحمد مريح المنصراوي

الملخص

أثر اندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ في الطبقة العاملة في دول العالم كافة ، منها الولايات المتحدة الأمريكية ، وعلى الرغم من المكاسب العمالية المتحققة ، من قبيل زيادة الأجور ووفرة العمل ، لكن دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب في نيسان ١٩١٧ أثر ، على نحو كبير ، في أحوال العمال وظروفهم ، فازدادت ساعات العمل وانخفضت الأجور واستغلت الشركات وأصحاب المصانع ظروف الحرب في تحقيق أرباح ومكاسب على حساب الحركة العمالية، التي قيدتها قوانين الإدارة الأمريكية التي حاولت الحفاظ على الأوضاع في الداخل مستقرة . فجاء هذا البحث ليدرس موقف العمال من إعلان الحرب ، والتشريعات العمالية التي أقرت في ظروف الحرب ، وأثر الحرب في أوضاع العمال ، منها الإضرابات والهجرة وأحوال العمال الزوج ، اعتماداً على مصادر ووثائق أجنبية مهمة تناولت تاريخ تلك المدة ، فضلاً عن المصادر العربية ذات الصلة .

Abstract

The outbreak of the First World War in 1914 effected on the working class in all countries of the world, including the United States of America, despite the gains from such as the increase in wages and an abundance of work, but the entry the United States of America into war in April 1917 effected the conditions of workers, increased Work hours and wages declined, companies and the factory owners exploited conditions of war in profits and gains at the expense of the labor movement, which constrained by

the laws of the America administration that tried to maintain the internal situations stable.

المقدمة

عندما اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى في أيلول ١٩١٤م كانت نظرية ((الحياد الحقيقي)) هي الأكثر انتشاراً في أوساط الشعب الأمريكي ، بل حتى بين رجال السياسة الأمريكية آنذاك ، والحياد الحقيقي - في مفهوم ذلك الوقت- كان يعني ان تظل العلاقات السياسية والاقتصادية بين الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوربية الكبرى المتقاتلة على ما كانت عليه قبل الحرب^(١) من دون تطور باتجاه معين، منعاً لإثارة حساسيات هنا وهناك ، وقد أبدى الرئيس وودرو ويلسون Woodrow Wilson (١٨٥٦-١٩٢٤ / ١٩١٣-١٩٢١) إيمانه بتلك السياسة عندما صرح قائلاً ((على الولايات المتحدة الأمريكية البقاء على الحياد نظرياً وعملياً، وان على الأمريكيين ان يكونوا محايدين في أفكارهم كما في أفعالهم...))^(٢).

وعلى الرغم من ان سنوات الحياد (١٩١٤-١٩١٧) حملت للولايات المتحدة الأمريكية ازدهاراً لا عهد لها به ، لكن التوسع الرأسمالي الأمريكي كان في غير صالح العمال الأمريكيين^(٣)، في حين كان للحركة العمالية نفسها موقفاً ثابتاً ضد الحرب والروح العسكرية، وعلى الرغم من إنها كانت تضم في منظماتها عناصر متعددة من جنسيات وأعراق وأصول أوربية وآسيوية مختلفة ، لكنها أبدت ثباتاً في موقفها ضد الاستبداد الألماني ، ورأت ان آمال العمال ترتكز على قوات تكافح من اجل الديمقراطية ومن اجل جعل العالم آمناً^(٤) .

وبدى موقف العمال أكثر وضوحاً من الحرب عندما أعلن الاتحاد الأمريكي للعمل American Federation of Labor^(٥) ورئيسه صموئيل غومبرز Samuel Gompers (١٨٥٥-١٩٢٤ / ١٨٨٦-١٩٢٤) أن النقابات العمالية تعد جزءاً من الأمة الأمريكية ، وتسهم، على نحو كبير، في أساسيات الحياة ، فيجب عليها ان

تستعد لظروف الحرب بصفتها أمر واقع، وأن الحرب تختلف عن الحروب التي سبقتها في أوروبا، وذلك للتطور الذي حصل في أساليب الحرب الحديثة والتسليح والاستعدادات العسكرية ، وأنه وجب على شعب الولايات المتحدة الأمريكية حماية الجمهورية والدفاع عن المثل العليا التي تقف وراءها مؤسسات الدولة الديمقراطية، وإن الحركة العمالية تهدف الى تحقيق تلك المثل^(٦)، ووجوب أن تحسب الحركة العمالية قوتها وإسهامها في المجتمع ، والإفادة من خبراتها لتخطي الظروف الاقتصادية للحرب، ومراقبة المستغلين في الداخل لمنح الدولة طاقتها الكاملة في الدفاع الخارجي ، وإن لا تستغل ظروف الحرب في سلب حقوق العاملين بأجر ، ومصادرة حقوقهم المشروعة ، فالحركة العمالية المنظمة تقف بالضد من الاستغلال والأساليب الجشعة والترح غير المسؤول للشركات وأرباب العمل ، وإن العمال لا يأمنون جانب تلك الشركات من استغلالهم خلال مدة الحرب واستغلال ظروفها في صالحها، ومن مصلحة الحكومة التعاون مع الحركة العمالية للحفاظ على الإنتاج وتطويره^(٧).

وقبل إعلان الولايات المتحدة الحرب على ألمانيا ، اجتمع قادة الحركة العمالية في واشنطن في الثاني عشر من آذار ١٩١٧، بحضور ممثلين من النقابات الدولية والوطنية المختلفة وأصدروا بياناً جاء فيه: ((نحن قادة نقابات العمال الوطنية والدولية الأمريكية، نجتمع في مؤتمر وطني في عاصمة بلدنا ، نلزم أنفسنا في السلم والحرب بالحفاظ على المؤسسات والمثل العليا لجمهوريتنا في هذه الساعة الحرجة من حياة امتنا.. وإن أملنا في ان تكون جمهوريتنا مصونة وشعبنا بمنأى عن أهوال وأعباء الحرب .. وإننا نقدم خدماتنا لبلادنا في كل ميدان من ميادين النشاط بالدفاع والحفاظ على جمهورية الولايات المتحدة ضد أعدائها أيّاً كانوا))^(٨).

موقف العمال من إعلان الولايات المتحدة الأمريكية الحرب :

في مطلع عام ١٩١٧ قامت الغواصات الألمانية بإغراق عدد من السفن الأمريكية ، وأودت أساليب الألمان الحربية بحياة مائتين وتسعة من الأمريكيين في عرض البحار ،

وعلى الرغم من تمسك الأمريكيين بالحياد، إلا ان الولايات المتحدة الأمريكية لا تطيق ان ترى دولة قوية تهدد سلامة أمنها القومي في المحيط الأطلسي^(٩). فبعد الخطاب الذي ألقاه الرئيس ويلسون في الكونغرس ، وافق الأخير على إعلان الحرب على ألمانيا في السادس من نيسان ١٩١٧ وعلى النمسا في السابع من أيلول من العام نفسه^(١٠).

وعلى الرغم من قناعة قادة الحركة العمالية الأمريكية أن أعباء الحرب ستقع بالدرجة الأساس على العمال أكثر من أي فئة أخرى ، سواء في الانخراط في القوات المسلحة أو في دعم المجهود الحربي^(١١)، فأنهم أدركوا ، في الوقت نفسه، أهمية دخول بلادهم الحرب. فقد جاء على لسان غومبرز أن من أعلن الحرب هو الكونغرس الأمريكي الذي هو ممثل الشعب للدفاع عن البلاد ، وان الحرب كانت موجودة منذ كانون الثاني ١٩١٦، عندما تعرضت المنشآت الصناعية للخطر وخطوط النقل للتدمير وقتل النساء والأطفال الأمريكيين ، مشيراً الى ان الحرب لها معنى يختلف تماماً عن أي حرب أخرى في التاريخ ، فمنذ دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب أصبحت الغاية هي الحرية والعدالة^(١٢). واستناداً الى تلك المسوغات ، وافق الاتحاد الأمريكي للعمل على الدفاع الوطني ، لكنه اشترط بصورة خاصة ان يكون له مقعد في كل مجلس من المجالس التي تألفت من اجل الحرب ، وان يكون له الحق في تمثيل العمال كافة^(١٣).

وعلى وفق ذلك تألفت لجنة برئاسة رئيس البلاد من اجل تسوية المشكلات الصناعية، ضمت ممثلين عن الاتحاد وممثلين عن أصحاب الشركات ، وتألفت مكاتب تحكيمية ثلاثية في الصناعات المختلفة ، واتخذ غومبرز لنفسه مركزاً في اللجنة الاستشارية للعمل التي كانت تقوم بمهامها إلى جانب مجلس الدفاع الوطني الذي تألف بعد إعلان الحرب^(١٤) ، فدعا ، بعد أن أصبح عضواً في مجلس الدفاع الوطني في السابع من حزيران ١٩١٧، إلى ضرورة انتباه المجلس إلى مطالب العمال ، وان لا يسمح ان تكون الحرب فرصة لتحقيق مكاسب خاصة وتراكم للأرباح ، ووجوب تمثيل

العمال مع أرباب العمل في تحديد السياسات الاقتصادية الوطنية، وهو ما دعا إلى التزامه الرئيس ويلسون وأعضاء المجلس الآخرون^(١٥).

بدأت فعالية ممثلي العمال واضحة في اللجان التي ألفها مجلس الدفاع الوطني، مثل لجنة الصحة والرعاية الاجتماعية، إلى جانب اشتراك العمال في اللجان العامة، مثل اللجان التعليمية ولجان الطاقة التي كانت تجتمع مرة في الأسبوع في الأقل ، وشهدت الأشهر الثلاث الأولى من المشاركة الأمريكية في الحرب نشاطاً ملحوظاً للجنة إنتاج الفحم^(١٦).

والمميز في تلك اللجان اشتراك النساء فيها إلى جانب الرجال من ممثلي الحركة العمالية وبحسب المناطق أو المهن، فضلاً عن رجال الأعمال وقادة الصناعة وأساتذة الجامعة، وقد خرجت بقرارات مهمة في ظروف الحرب، مثل منع انتقال عمال مناجم الفحم من منطقة إلى أخرى خلال مدة الحرب ، كون ذلك يزعزع الأوضاع الصناعية^(١٧)، ناهيك عن أن قادة الحركة العمالية قد أجمعوا على ضرورة اتخاذ الحكومة الخطوات الآتية لتحقيق السلم الصناعي وتجاوز الظروف التي تسببها الحرب^(١٨):

١. التعاون مع الحركة العمالية في جميع مجالات الدفاع والنشاط الصناعي

والتجاري والسياسي والاجتماعي.

٢. حظر استخدام الميليشيات في قمع الإضرابات.

٣. المساواة في التعليم لأبناء العمال مع المواطنين الآخرين .

٤. جعل التعليم الصناعي والتدريب المهني جزءاً من نظام التعليم في الولايات

المتحدة الأمريكية وتقديم المساعدات المالية لدعم التعليم.

وعلى أية حال، طالب قادة الحركة العمالية ان تكون هناك معايير في كل صناعة

تشارك في الإعداد للحرب ، ولاسيما صناعة الصلب التي يقضي بها العمال أكثر من

١٢ ساعة عمل يومياً ، مشيرين الى ان الإرهاق الذي عانى منه العمال في بريطانيا في السنة الأولى من الحرب لن يتكرر في الولايات المتحدة الأمريكية ، كما حرصوا على تخفيض أسعار المواد الغذائية من خلال إنشاء إدارة الغذاء . وعلى الرغم من أنهم أعلنوا صراحة عدم زيادة الأجور لمواجهة ارتفاع تكاليف المواد الغذائية والملابس، فإنهم أرادوا من الحكومة القيام بتسعير الضروريات التي تمس حياة المواطن الأمريكي^(١٩).

ولابد من الإشارة هنا إلى انه على الرغم من الجهد الذي بذله ممثلي العمال في اللجان الحكومية التي تألفت بعد إعلان الحرب، فإن الأحداث اللاحقة أظهرت انه ليس لها صلاحيات فاعلة، وان أعضاء اللجنة الاستشارية الاقتصادية لمجلس الدفاع الوطني كانوا خاملين باستثناء غومبرز ، والتي ضمت فرانك موريسون Frank Morrison، جيمس أوكونيل James O'Connell، جيمس لورد James Lord ، وارن سي ستون Warren S. Stone، وجاس دبليو سلفن Jas W. Sullivan ناهيك عن غومبرز نفسه^(٢٠).

والملفت للنظر ان التماسك العمالي جعل للعمل صوت حقيقي ، ليس في إدارة الهيكل الصناعي للحرب بل في التدخل في الدبلوماسية الدولية ، ففي العشرين من نيسان ١٩١٧ في مدة حكومة بافل مليكوف Pavel Milyakov (١٨٥٩ - ١٩٤٣)^(٢١) المؤقتة في روسيا ، ابرق غومبرز ، من خلال وزارة الخارجية الامريكية ، إلى رئيس مجلس بتروغراد Petrograd من العمال والجنود ، نداءاً من اجل الاعتدال في السياسة بوصفه وسيلة لحماية مستقبل روسيا ، وفي وقت لاحق، أدى ترشيح اليهو روت Elihu Root (١٨٤٥ - ١٩٣٧) رئيساً للبعثة الأمريكية إلى روسيا الى موجة احتجاجات من الاشتراكيين هناك، وساعد غومبرز مرة أخرى وزارة الخارجية بمراسلة مجلس بتروغراد من أن أي بعثة أمريكية لن تهدف بطبيعتها زعزعة الجبهة الداخلية في روسيا^(٢٢).

ويبدو ان تدخل غومبرز بالأمر جاء بوصفه عضواً في مجلس الدفاع الوطني ، فضلاً عن إحساسه بحراجة الموقف وإمكانية تأثيره في أعضاء مجلس بتروغراد من العمال ، إلى جانب موقفه الراض للاشتراكيين وأفكارهم ومعاداته لهم وتقويت الفرصة عليهم .

موقف الاشتراكيين من الحرب :

أكد الحزب الاشتراكي الأمريكي The Socialist Party of America ^(٢٣)، الممثل الأبرز للحركة الاشتراكية في الولايات المتحدة الأمريكية، التزامه بمبادئ الاشتراكية الدولية، فمنذ أول يوم أعلنت فيه الحرب في أوروبا حدد الحزب موقفه الراض لها ، وطالب بالحياد التام ، وعند دخول الولايات المتحدة الحرب احتج بقوة على ذلك ورفض توريط البلاد فيها ودعا إلى سلام عام وفوري ^(٢٤) . وقد استندت معارضة الاشتراكيين للحرب لا على أسباب إنسانية قوية ومقنعة حسب، بل على قناعة عميقة الجذور من ان الحروب الحديثة تخدم أصحاب الشركات وهي كارثية لقضية العمال وحقوقهم وحياتهم أيضاً ، وان أخطائها لا تعوض ، فتأثيرها يقع على حياة ملايين من الشباب ومعظمهم من العمال ^(٢٥) .

ورأى الحزب الاشتراكي أيضاً ان الحرب تولد الروح الشريرة والكراهية العرقية وتقيّد نضالات العمال من اجل الحياة والحرية والعدالة الاجتماعية كما إنها تؤدي إلى قطع أواصر التضامن بينهم وبين إخوانهم في البلدان الأخرى وتقلص حقوقهم وحياتهم المدنية والسياسية ، مبدياً معارضة قاطعة لنظام الاستغلال، لذلك دعا العمال من البلدان جميعاً إلى رفض دعم حكوماتهم، معلناً ان حروب الجماعات القومية المتنافسة من الرأسماليين ، ليست هي الشغل الشاغل للعمال، فالنضال الوحيد الذي يسوغ للعمال حمل السلاح هو صراع الطبقة العاملة في العالم لتحرير نفسها من الاستغلال الاقتصادي والقمع السياسي ، وحذر العمال ضد ما أسماها " الحرب الدفاعية " ^(٢٦) .

لم يكتف الاشتراكيون بذلك الموقف بل نشطوا في الولايات الأمريكية محاولين ثني الإدارة الأمريكية عن المشاركة في الحرب ، ففي ولاية اوكلاهوما *Oklahoma* نشط أعضاء الحزب الاشتراكي واتحاد العالم الصناعيين واجتمعوا في آب ١٩١٧ ووضعوا خطة لتحطيم السكك الحديدية وقطع أسلاك التلغراف في محاولة لإعاقة التجنيد ، وفي واشنطن وضعوا خطة لعمل مسيرة لمناهضة التجنيد في أنحاء البلاد جميعاً سميت باسم " حركة تمرد الذرة الخضراء " ، لأنهم قرروا أكل الذرة الخضراء أثناء المسيرة ، ولكن قبل تنفيذها استطاعت قوات الأمن محاصرتها وإلقاء القبض على أعضائها^(٢٧) .

وفي نيويورك *New York* نظم أكثر من ٨٠٠٠ شخص ، بينهم ٤٠٠٠ عنصر من اتحاد العمل المركزي في المدينة و ٢٠٠٠ من الاشتراكيين ، مسيرة ، لكن الجنود استطاعوا تفريقها . وقالت الاشتراكية كيت ريتشاردز *Kate Richards* في حديث لها في ولاية داكوتا الشمالية *North Dakota* في حزيران ١٩١٧ : ((ان نساء الولايات المتحدة الأمريكية لسن أكثر من حاضنات للبذور ، إنهن يربين أبنائهن لكي يلتحقوا بالجيش ويصبحوا سماداً للأرض)) ، وهو ما كان سبباً في إلقاء القبض عليها ومحاكمتها والحكم عليها بالسجن مدة خمسة سنوات^(٢٨) .

وإزاء ذلك وجدت الادارة الأمريكية في الحرب فرصة لتقويض نشاط الاشتراكيين والمعارضين للسياسة الخارجية ، فطبق قانون التجسس الصادر في العام ١٩١٧ بشدة على الاشتراكيين ومنظمات العمال المؤيدة لهم، والقي القبض على يوجين دبس *Eugene Debs* واستخدمت الشرطة رجال الأمن على نطاق واسع^(٢٩) ، حيث هاجمت وفي توقيت واحد ثمان وأربعين صالة اجتماعات لاتحاد عمال العالم الصناعيين *Industrial Workers of the World* في أنحاء البلاد جميعاً ، وعثرت على مراسلات وكتب تصلح ان تكون دليلاً في المحاكمة ، والقي القبض على

مائة وخمسة وستين من قادة وأعضاء الاتحاد بتهمة التآمر وإعاقة عملية التجنيد عن طريق تشجيع الشباب على الهروب من الخدمة العسكرية ، وقدم أكثر من مائة وواحد من أعضاء الاتحاد إلى المحكمة في نيسان ١٩١٨ واستمرت محاكمتهم خمسة أشهر وكانت أطول محاكمة جنائية في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية حتى ذلك الوقت^(٣٠).

والملاحظ ان أعضاء اتحاد عمال العالم الصناعيين استغلوا المحاكمة للإعلان عن أفكارهم وأنشطتهم ، حيث وقف ٦١ عضواً للإدلاء بشهادتهم، فتحدث احدهم قائلاً : ((تسألونني لماذا لا يشعر اتحاد عمال العالم الصناعيين بالشعور الوطني تجاه الولايات المتحدة ؟ .. ان هذه الحرب حرب رجال الأعمال ولا نرى سبباً يدفعنا للذهاب إليها والتعرض لطلقات الرصاص للحفاظ على ما نحن فيه ..))^(٣١).

وفي تلك الظروف قدم الاتحاد الأمريكي للعمل خدماته للحكومة في هذا الجانب من خلال مواقفه المناوئة للاشتراكيين والمنظمات العمالية التي وقفت بالصد من الاشتراك في الحرب ، ففي السابع عشر من حزيران ١٩١٧ وافق المجلس التنفيذي للاتحاد على بريقة غومبرز التي أرسلها إلى رئيس المؤتمر المزمع عقده في ستوكهولم Stockholm في السابع عشر من أيلول ١٩١٧ ، والذي يضم قادة العمال من دول وسط أوروبا وفنلندا Finland ، وقد جاء فيها: ((ان هذه المؤتمرات هي سابقة لأوانها ولا يمكن أن تؤدي الغرض الذي طلب منها بصورة جيدة ، لذلك فأن الاتحاد الأمريكي للعمل يرفض المشاركة في المؤتمر))^(٣٢).

ولعل موقف الاتحاد الأمريكي للعمل هذا جاء فرصة ملائمة لقادته لإظهار حسن نيتهم أمام الحكومة والفئات الاجتماعية المختلفة ، ومن جانب آخر ضربة لأعدائهم الاشتراكيين ومنافسيهم في العمل النقابي ويقصد عمال العالم الصناعيين .

التشريعات العمالية

تعد المدة (١٩١٤ - ١٩١٧) من أكثر السنوات تقدماً في تشريعات حماية العمال في كل أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية ، مثل تشريعات السلامة الصناعية والتأمين الصحي وقوانين الحد الأدنى للأجور ، وقانون التعليم المهني للأطفال العاملين وقانون التلمذة الصناعية الحديثة، وقوانين عمل الأطفال والنساء في معظم الولايات الأمريكية^(٣٣)، فكان أهم قانون صدر خلال مدة الحرب " قانون كلايتون " The Clayton Act الذي صدر عام ١٩١٤ والذي نص ضمناً على أنه لا يجوز ان يطبق أي نص من " قانون شيرمان المناهض للاحتكار " The Sherman Antitrust Act الصادر في عام ١٨٩٠ على النقابات العمالية^(٣٤)، وقد وجد ذلك ترحيباً كبيراً لدى قادة الحركة العمالية^(٣٥)، الذين سعوا الى تطبيقه بين عامي ١٩١٧ و ١٩١٨ وتخليص العمال من العقوبات التي نص عليها قانون التجارة بين الولايات^(٣٦).

وعند إعلان الحرب في نيسان ١٩١٧ كان الخوف بادياً في نفوس قادة الحركة العمالية ، فذلك الوضع يمكن ان يفيد منه أصحاب العمل في كسر قوانين العمل التي تم تأمينها خلال السنوات السابقة ، ولاسيما ان الكثير من أصحاب الشركات ابلغوا عمالهم أنهم إذا اضرِبوا يعدون خائنين في نظر القانون^(٣٧).

وفي ذلك السياق نوقشت قوانين في ولايات فيرمونت *Vermont* ، نيوهامبشير

New Hampshire ، كونيتيكت *Connecticut* ، مساشوستس

Massachusetts تجيز تعليق قوانين العمل وحظر الإضراب ، وعلى الرغم من إقرار مجلس الدفاع الوطني القرار الذي صاغته اللجنة الاستشارية للعمل في السابع والعشرين من نيسان ١٩١٧، والذي حث المجالس التشريعية للولايات والأجهزة الإدارية المكلفة بإنفاذ قوانين العمل والصحة وجوب الحفاظ وبصرامة على الضمانات الموجودة لصحة ورفاهية العمال ، نجد أن عدداً من المجالس التشريعية وحكام الولايات عملوا خلاف ذلك ، فمجلس ولاية نيويورك التشريعي اتخذ قراراً في التاسع والعشرين من

نيسان ١٩١٧ بتعليق العمل بقانون ثمان ساعات عمل في اليوم واعتماد يوم واحد للراحة كل سبعة أيام ، وفي السادس والعشرين من آيار من العام نفسه صدر قانون في ولاية مساشوسستس بتأليف " لجنة طوارئ الحرب الصناعية " تتألف من اثنين من العمال واثنين من أرباب العمل ومفوض العمل رئيساً، مهمتها مناقشة طلبات تعليق قوانين العمل في حالات طوارئ الحرب ، وفي ولاية اوهايو Ohio تألفت لجنة في المجلس التشريعي فوضت الحاكم، في الأول من آب من العام ١٩١٧، بتعليق القانون الذي يحظر تشغيل الأطفال دون سن السادسة عشر من العمل خلال مدة الحرب ، وبحث حاكم ولاية كارولينا الشمالية North Carolina ومجلس شيوخ الولاية مسألة تعليق قانون العمل الخاص بالأطفال في الأول من أيلول من العام نفسه^(٣٨) .

لكن كل ذلك لا ينفي وجود بعض المواقف للولايات تؤكد حرصها على إنفاذ قوانين العمل، ففي الثالث والعشرين من آيار ١٩١٧، اتخذ مجلس ولاية ويسكونسن Wisconsin قراراً تمسك بموجبه بقوانين العمل، ونص على: ((صيانة حقوق العمال ، وان لا توضع جانباً حتى ولو على نحو مؤقت بسبب الحرب وتعزيز تلك القوانين من أجل المصلحة العامة))، وفي السادس والعشرين من آيار من العام نفسه دافع غومبرز عن قوانين عمل الأطفال ، وأشار الى وجوب عدم التلاعب بضمانات العمل إلا في الحالات الخطرة^(٣٩) ، مستنداً في ذلك على أحوال الحرب نفسها مسوغاً لدفاعه ، تلك الاحوال التي استندت اليها أيضاً المجالس التشريعية في الولايات، فوقع النقل الأكبر على العمال الذين تحتم عليهم تحمل العمل لساعات طويلة وشاقة في ظل ظروف صحية وبيئية غير ملائمة .

وفيما يخص وزارة العمل ، فقد اختار لها الرئيس ويلسون وزيراً ، هو وليام ب. ويلسون William B. Wilson (١٨٦٢ - ١٩٣٤) في الرابع من آذار ١٩١٣ ، وقد حرص ذلك الوزير، في سنوات الحرب، على تحسين ظروف العمل ، والقضاء على أي تمييز بين العمل المنظم والعمل غير المنظم وخدمة جميع العاملين على حد

سواء^(٤٠) . وفي غضون تلك السنوات، كانت مهمة الوزارة كبيرة ، فقد تعددت مهامها ونشاطها ، ولاسيما تطبيق قرارات مجلس الدفاع الوطني ، وتنظيم العلاقة بين الصناعات الحربية والمدنية ، وتدريب العاملين وألوية الطلب على الايدي العاملة وتوزيع الايدي العاملة الماهرة منها بحسب الحاجة ، ومراقبة النزاعات العمالية والحيلولة دون توقف العمل، وجمع البيانات اللازمة لاتخاذ إجراءات تنفيذية فاعلة، وغيرها من المهام الأخرى . وتمكنت الوزارة من التدخل وتسوية قرابة ٣٢٠٠ من منازعات العمال سواء عن طريق التحكيم أو التوفيق بين الأطراف^(٤١) من أصل ٣٨٠٠ قضية اوكلت إليها خلال المدة نفسها^(٤٢).

وتطلبت ظروف الحرب توسيع الوزارة ، فجرى فتح أربعة أقسام لإحصاء العمل والهجرة وعمل الأطفال والتجنيس ، مع دائرة لفض منازعات العمل الكبيرة ، وفتح مكتب وطني للتوظيف من وزيرها لحالات الطوارئ العامة جرى توسيعه قبل الهدنة في تشرين الثاني ١٩١٨، وتتوعدت مهام الجهاز الإداري لتنفيذ سياسة مجلس الحرب ، مثل توظيف الزوج والنساء في الصناعة وخدمة المعلومات العامة والتدريب، ومكتب الإسكان الصناعي والنقل والظروف المعيشية^(٤٣)، وهو ما يوجب القول أن الوزارة أدت واجبها على نحو فاعل ، وتمكنت من مواجهة انعكاسات الحرب على العمل والعمال ، ولاسيما ان مواجهة الظروف الاقتصادية وقع على عاتقها على نحو خاص ، فلم يقتصر دورها على معالجة مشكلات العمل في داخل البلاد وإنما سد حاجة الجيوش المحاربة في خارجها.

تأثير الحرب في العمال وأحوالهم

تطلبت ظروف الحرب إعداد جيش من العمال للعمل الصناعي وتوفير السلع الأساسية في الداخل ودفع الصناعة الحربية وتجهيز المقاتلين في الجبهة ، ناهيك عن انخراط الآلاف منهم في صفوف القوات المسلحة ، وقد تجاوز الطلب على العمال في كسب الأجور المعروض منهم، وقل عدد العمال المهرة في الصناعات المختلفة^(٤٤).

وعلى الرغم من نقص الأيدي العاملة في الصناعات المختلفة وارتفاع الأجور نسبياً قبل دخول البلاد في الحرب^(٤٥) ، فإن تدني الأجور كان السمة البارزة في سنوات الحرب ، لذلك عمل قادة العمال جهدهم على رفع الأجور وتقليل ساعات العمل ، وتطلب ذلك في بعض الأحيان وفي ظروف معينة القيام بإضرابات^(٤٦).

الإضرابات :

على الرغم من مشاطرة العمال الرأي العام الشعبي والرسمي بشعور الوطنية والظروف الاستثنائية التي تمر بها البلاد ، لكن الظروف القاسية دعت عدد من النقابات العمالية إلى الخروج عن طورها والمطالبة بتحسين أحوال منتسبيها وزيادة أجورهم^(٤٧)، ليتبين هنا أن صناعة السفن الكبيرة كانت الأكثر أهمية في سنوات الحرب ، لارتباطها بالصناعة الحربية، فكانت الظروف القاسية التي تعرض لها عمال أحواض السفن سبباً في إضرابات متفرقة اختلفت بشدتها من صناعة إلى أخرى ، فلم يعترف أصحاب العمل بالنقابات التي مثلت العمال لتنوع المهن التي يعملون بها في تلك الصناعة^(٤٨) ، ففي تشرين الثاني ١٩١٧ وقع حادث في أحواض السفن الكبيرة في مدينة سان فرانسيسكو *San Francisco* في ولاية كاليفورنيا *California*، إذ اضرب عمال اللحام في مصنع المعادن بسبب ظروف العمل القاسية وساعاته الطويلة التي كانت بين ١٤ - ١٨ ساعة في اليوم الواحد ، ناهيك عن انخفاض مستوى معيشتهم ، يقابله زيادة كبيرة في أرباح أصحاب المصانع ، لكنه أمكن تفادي نتائج الإضراب الذي استمر ثلاثة أيام، بعد ان تدخلت وزارة العمل وتداركت المشكلة وتوصلت إلى حل بالاتفاق بين الأطراف المتنازعة^(٤٩).

وفي السياق نفسه، كان عمال صناعة وإنتاج الفحم عرضة إلى الحيف من أصحاب العمل والمشغلين ، ففي آب ١٩١٧، أدلت لجنة الفحم برأيها أمام مجلس الدفاع الوطني ، أشارت فيه إلى النقص الكبير في الأيدي العاملة في مناجم الفحم وانخفاض مستوى أجور العاملين فيها . وعلى الرغم من تعهد المشغلين بدعمهم

للحكومة في الحرب ، أعترض اتحاد عمال المناجم المتحدة الأمريكية *The United Mine Workers of America* على الظروف القاسية التي يمر بها أعضائه، مما دفع الرئيس ويلسون إلى التدخل شخصياً وإرسال رسالة إلى الاتحاد يطلب منه فيها التعاون وتجاوز ظروف الحرب^(٥٠) .

ولم تمض سنة واحدة على ذلك حتى دعا قادة الاتحاد إلى اجتماع عام مع مشغلي المناجم في إنديانا بولس *Indianapolis* في الثالث والعشرين من تشرين الأول ١٩١٨ ، لكن المشغلين لم يستجيبوا ، مما دفع القادة إلى الإعلان عن إضراب كبير في الأول من تشرين الثاني من العام نفسه ، فكان المفروض ان يصل عدد المضربين إلى ٤٠٠,٠٠٠ من عمال المناجم في خمس وعشرين ولاية منتجة للفحم ، ف شعر الرئيس ويلسون بالعواقب الوخيمة لذلك للإضراب ولاسيما ان البلاد مقبلة على موسم الشتاء ، فأبدى معارضته له وهو على فراش المرض قائلاً: ((هو ليس غير مسوغ فحسب ، بل غير قانوني)) أيضاً، مشيراً الى أنه سوف يتم تطبيق القانون والوسائل الأمنية لحماية المصالح الوطنية من أي طارئ^(٥١) ، فقام وزير العمل وليام ويلسون - كان عامل مناجم ورئيس سابق للاتحاد - بالسعي لتفادي الإضراب بالوسائل الممكنة، وألقى اللوم على قادة النقابات ومشغلي المناجم على حد سواء، وتمكن ، أخيراً ، من التدخل والتوصل إلى اتفاق بين الطرفين^(٥٢) .

دفعت ظروف الحرب الكونغرس الى ان يمنح الرئيس سلطات أوسع ليراقب وينظم ويشرف على الموارد الطبيعية والصناعات، فوضع حرية الكلام والصحافة تحت الرقابة تخوفاً من أعمال الجاسوسية والتخريب، وكانت من أشد أنواع الرقابة التي عرفتھا البلاد^(٥٣) ، وبدوره استغل الرئيس ويلسون تلك الصلاحيات في ضبط الإضرابات ، فقد أمر الجنود بالتدخل ضد عمال المعادن، وأعلن ان إضرابات عمال المناجم غير قانونية ، وأقنع الكونغرس بالتصويت على " قانون وب " *Webb Act* في عام ١٩١٨ ، والذي أضفى المرونة على " قانون شيرمان " ليسمح للمصدرين بالانتظام في

شركات أحتكارية (الكارتل) كي يتمكنوا من مقاومة منافسيهم الأجانب مقاومة أشد فعالية في الأسواق العالمية ، مما أثر بدوره على العمال بصورة عامة^(٥٤).

ووجب القول ان سلاح العمال الفاعل، ويقصد به الإضراب فقد أهميته على نحو كبير في سنوات الحرب ، فالظروف الحساسة التي مرت بها البلاد وقوانين التجسس وغيرها، والصلاحيات التي منحت للرئيس والتي استخدمت على نحو أساسي في وأد أي حركة إضراب أو احتجاج على قوانين العمل، قيدت الحركة العمالية في وسائلها، وبالتالي لم نلاحظ إضرابات يعتد بها على المستوى العام للبلاد ، فالجميع كان مترقباً لما ستؤول إليه الحرب.

الهجرة وأوضاع العمال الزنوج

منذ آب ١٩١٤ عُرضت على الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية فرص غير عادية لتعزيز مكانتها في المجتمع ، وحاول قادة الحركة استثمار تلك الفرص، التي تمثلت بانحسار الهجرة وندرة الأيدي العاملة، ولاسيما الأيدي العاملة الماهرة منها وارتفاع الأجور على نحو غير مسبوق، مما دعا أصحاب العمل إلى الشكوى من ذلك ومحاولة إيجاد البدائل^(٥٥) . وعندما اشتركت الولايات المتحدة الأمريكية ، أخيراً ، في الحرب في نيسان ١٩١٧، لوحظ التأثير الفوري للحرب في العمل داخل البلاد ، الذي عبر عن نفسه في النقص في الأيدي العاملة ، وهو نقص كان محسوساً حتى قبل اشتراكها في الحرب - كما توضح قبل قليل - بدليل انخفاض التدفق الطبيعي للهجرة من معدل سنوي مقداره ١٠٠, ٦٦٢ مهاجر في المدة بين عامي ١٩١٢ و ١٩١٤ إلى ٨٧٧,٢٥٧ مهاجر في المدة بين عامي ١٩١٥ و ١٩١٧^(٥٦).

وبدا الأمر أكثر تعقيداً بعد اشتراك الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب ، فلم يؤثر نقص الأيدي العاملة القادمة من أوروبا على سوق العمل حسب ، بل ان انخراط أكثر من أربعة ملايين عامل في الجيش وذهاب عدد كبير منهم إلى القتال وتحول

قسم منهم إلى مصانع الإنتاج الحربي ، أثر في أحوال العمال على نحو كبير أيضاً^(٥٧) .

لكن يبدو ان تلك الظروف قد هيأت فرصة ملائمة للعمال الزواج لتحسين أحوالهم ، فعلى الرغم من قضائهم سنوات طويلة في العمل الزراعي والخدمة في المنازل ، نشطوا في هجرة كبيرة من الجنوب إلى الشمال ، حيث غادر بين ٦٥٠٠٠ إلى ٧٠٠٠٠ عامل زنجي في عام ١٩١٦ إلى ولايات الشمال ، فالفرص كانت متاحة أمامهم للعمل في الصناعات الحربية، ووظفت أعداد كبيرة منهم في الصناعات الإنتاجية أيضاً^(٥٨) ، وهو ما كان سبباً في اضطراب كبير في علاقات العمل في الجنوب ، بعد توافر العمل الصناعي والأجور الجيدة في الشمال وارتفاع قيمة الايدي العاملة غير الماهرة^(٥٩) .

قابل الشماليون تلك الهجرة بالرفض وراحت صحفهم تحذر منها ، ولجأ عدد منهم الى أعمال شغب واعتداء ضد الزوج ، كما هو الحال في مدينة سينت لويس St. Louis بولاية مونتانا عام ١٩١٧ ، إذ تعرض أكثر من ١٥٠ زنجي إلى القتل والإصابة بجروح بليغة ، فضلاً عن أعمال الاعتداء المتكررة في ولايات الشمال طوال سنوات الحرب^(٦٠) ، في حين وجد العمال الزوج أنفسهم، الانخراط في القوات المسلحة سوف يحسن من أوضاعهم ويضع حداً للتمييز العنصري بينهم وبين العمال البيض ، لكن اتضح ان ذلك لم يغير شيئاً ، إذ اشترك ٢٠٠,٠٠٠ عامل زنجي في جبهات القتال في أوروبا ، وهناك عملوا في أعمال وضيعة في الجيش وقضوا أوقات طويلة في العمل مثل الشحن والتفريغ والحفر وغيرها ، وازدادت أحوالهم الصحية سوءاً وتعرضوا إلى أمراض الالتهاب الرئوي والأنفلونزا في فصل الشتاء لعام ١٩١٧ - ١٩١٨ ، وقلة الاهتمام والتمييز في التجهيزات العسكرية والملابس والسكن والرعاية الصحية^(٦١) .

وفي الأحوال جميعاً، يمكن الإشارة إلى ان إدارة الرئيس ويلسون، خلال سنوات الحرب، كانت ايذاناً بمرحلة جديدة في تاريخ الحركة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد اعترفت الادارة بحق العمل المنظم بالاشتراك في الشؤون السياسية

والصناعية في البلاد ، وبدوره حرص العمل المنظم على ضبط غاياته وأساليبه للتوافق مع العهد الجديد ، لكن ما يؤسف له انه منذ إعلان الهدنة في تشرين الثاني ١٩١٨ ، بدأ الصراع بين العمل ورأس المال وبدأت سلسلة طويلة من الإضرابات مع نهاية عام ١٩١٨ ، بسبب انعكاسات الحرب^(٦٢) ، وهو ما يستدعي دراسة أخرى مفصلة وشاملة .

الخاتمة

على الرغم من تأخر الولايات المتحدة الأمريكية في إعلانها للحرب على ألمانيا ودول الوسط، فإن تأثيرات الحرب في الشعب الأمريكي، ولاسيما الحركة العمالية كانت واضحة ، سواء في الجانب السياسي أو الاقتصادي، فقد كان لها نصيب من تلك الأوضاع، فتأثرت بإجراءات الحرب على نحو كبير والقي على عاتقها مهمات كثيرة ، فلم يقتصر دورها على الإسهام في دفع الصناعة الحربية ووسائل الإنتاج الأخرى حسب ، وإنما بالمشاركة الفعلية في الحرب والقرار السياسي أيضاً.

ووجد قادة الحركة العمالية في الحرب فرصة للتقرب إلى إدارة الرئيس ويلسون وإظهار حسن نيتهم وخوفهم على أمن البلاد القومي، فسهلوا مهمتها في تجنيد العمال والاشتراك في اللجان الحكومية المختلفة، إلى جانب ان اشتراك عدد من أولئك القادة في مجلس الدفاع الوطني أكسبهم أهمية في المجتمع وعزز من موقفهم تجاه أعدائهم، ولاسيما الاشتراكيين منهم، الذين بدا موقفهم مناقضاً لسياسة الدولة على نحو عام .

واستبشر العمال خيراً في التشريعات التي صدرت متزامنة مع اندلاع الحرب، ولاسيما " قانون كلايتون " الذي استثنى النقابات العمالية من تطبيق " قانون شيرمان " المناهض للاحتكار ، لكن آمالهم تبددت مع دخول البلاد الحرب ، فقد شرعت قوانين جديدة وصلاحيات منحت للرئيس حدث من نشاط الحركة العمالية وسعيها الى تحقيق مطالبها.

الملاحظ ان ثمة فرصة تهيأت لوزارة العمل لبذل جهودها في تأمين ودفع الصناعة الحربية والإنتاجية الأخرى، وفي تذليل العقبات التي تواجهها، ولاسيما نقص الأيدي

العاملة والمشكلات التي تتمخض عنها ، وقد ساعد على ذلك التعاون بين وزيرها وليم ويلسون الذي كان، في بداية حياته، عاملاً وأحد قادة الحركة العمالية .

واجه العمال ظروف قاسية في سنوات الحرب من قبيل انخفاض الأجور وازدياد ساعات العمل واستغلال أصحاب الشركات والمصانع الحرب في مضاعفة أرباحهم مستفيدين من تعطيل القوانين الخاصة بحقوق العمال وانشغال الحكومة بتهيئة متطلبات الجيش في جبهات القتال وتأمين الجبهة الداخلية ، ناهيك عن ظروف العمال الزوج الذين تعرضوا إلى المشاق والتمييز العنصري على نحو كبير خلال تلك المدة .

الهوامش

(١) للاطلاع على تفاصيل أكثر عن موقف الولايات المتحدة الأمريكية من الحرب ونتائجها ، ينظر : حسن علي سبتي الفتلاوي ، موقف الولايات المتحدة الأمريكية من الحرب العالمية الأولى ونتائجها ١٩١٤ - ١٩٢١، بغداد ، ٢٠٠٠ .

(٢) عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين ، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية من القرن السادس عشر حتى القرن العشرين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ١٤٥ - ١٤٦ .

(٣) كلود جوليان ، الحلم والتاريخ أو مئتا عام من تاريخ أمريكا ، ترجمة نخلة كلاس ، ط ٢ ، دار طلاس للدراسات ، دمشق ، ١٩٨٩ ، ص ١١٩ .

(4) Frank Tracy Carlton , Organized Labor in American History, D. Appleton Company , New York , 1920, Pp. 283- 284.

(٥) الممثل الحقيقي للحركة العمالية الأمريكية ، تأسس في عام ١٨٨٦ ، وأصبح صموئيل غومبرز رئيساً له حتى وفاته عام ١٩٢٤ ، ضم الاتحاد معظم النقابات والاتحادات الوطنية والدولية في الولايات المتحدة الأمريكية ، وحقق مكاسب مهمة للحركة العمالية مثل تقليص ساعات العمل ورفع الأجور وتحسين المستوى الاجتماعي والثقافي لأعضائه ، وعلى الرغم من عدم إيمانه بالعمل السياسي لأعضائه ، لكنه وجد له فرصة ملائمة = لاشتراك في العمل مع الحكومة عام ١٩١٤ لتجاوز ظروف الحرب . للمزيد من التفصيل عن عمل الاتحاد والاتحادات التابعة له ينظر :

American Federation of Labor , History Encyclopedia Reference Book,
A.F.L . Press , Washington, D.C., 1919.

(6) Alexander Trachtenberc, The American Labor Year Book 1917-18, New
York , Pp. 43- 44.

(7) Ibid., Pp. 44- 45.

(8) Frank Tracy Carlton ,Op. Cit., P. 284.

(٩) ستيفن فنسنت بنيه ، أمريكا ، ترجمة عبد العزيز عبد المجيد، مكتب الولايات المتحدة
للاستعلامات ، القاهرة ، ١٩٤٥، ص ١٧٣.

(١٠) عبد الفتاح حسن أبو عليه، تاريخ الأمريكيتين والتكوين السياسي للولايات المتحدة الأمريكية ،
دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٧، ص١٦٨ - ١٦٩.

(11) Samuel Gompers, American Labor and the War ,George H. Doran
Company New York, 1919, P. 75.

(12) Committee on Public Information the Secretary of State the Secretary of
War , Labors Attitude , Special Service for Employers , Bulletin, No. 3,
March , 1918 Washington D. C., 1918 , Pp. 4-5.

(١٣) جورج لوفران ، الحركة النقابية في العالم ، ترجمة الياس مرعي ، ط٣ ، منشورات عويدات،
بيروت ، ١٩٨٦، ص٥٥.

(١٤) المصدر نفسه.

(15) Alexander Trachtenberc, Op. Cit., P. 11.

(16) Samuel Gompers, Op. Cit., Pp. 83- 84.

(17) Alexander Trachtenberc, Op. Cit., P. 12 ; Samuel Gompers, Op. Cit.,
P. 84.

(18) Samuel Gompers, Op. Cit., Pp.66 - 67.

(19) Alexander Trachtenberc, Op. Cit., P. 13.

(20) Ibid., P. 13.

(٢١) مؤرخ وسياسي روسي ليبرالي ، مؤسس وزعيم وأكثر الأعضاء البارزين في الحزب الديمقراطي الدستوري (كاديت) في الحكومة المؤقتة الروسية ، وكان المسؤول عن السياسة الخارجية ، حاول جاهداً منع خروج روسيا من الحرب العالمية الأولى . أصبح وزيراً للشؤون الخارجية في الحكومة المؤقتة . عارض بشدة المطالبة الشعبية من أجل السلام بأي ثمن وتمسك بقوة بتحالفات روسيا في زمن الحرب . في العشرين من نيسان أرسلت حكومته مذكرة الى بريطانيا وفرنسا (أصبحت تعرف باسم ملاحظة مليكوف) تعلن فيها ان روسيا ستقي بالتزاماتها تجاه الحلفاء وشن الحرب طالما كان ذلك ضرورياً ، وطالب الجنود والمواطنين في بتروغراد باستقالته . ينظر :

https://en-Wikipedia.org/wiki/Pavel_Milyukov.

(22) Alexander Trachtenberc, Op. Cit., P. 14.

(٢٣) تأسس عام ١٩٠١ من قبل يوجين دبس Eugene V. Debs (١٨٥٥-١٩٢٦) > انتقد الحزب منذ تأسيسه سياسة الإدارة الأمريكية الخارجية، ورأى أن الحروب الاستعمارية تؤثر في العمال وأحوالهم الاجتماعية والاقتصادية، كما أعلن رفضه لما اسماه " التوسع الامبريالي الاستعماري لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية "، وأن على الطبقة العاملة أن تسعى، من خلال قوتها في التصويت، الى أن تنتقل إلى نفسها القوى الصناعية الكبرى من أيدي فئة صغيرة متسلطة، ومنعها من مراكمة البضائع ورأس المال الفائض وإرساله إلى الخارج، في ظل الإفادة من الحروب الاستعمارية . للتفصيل عن الحزب وبرنامجه ينظر :

Ethelwyn Mills, Legislative Program of the Socialist Party , Chicago, 1934;

James Oneal , Labor and the Next War , Published by the Socialist Party of the United States , Chicago , 1905.

(24) Alexander Trachtenberc, Op. Cit., P. 47.

(25) Ibid., P. 48.

(26) Ibid., P. 51.

(٢٧) هوارد زن ، التاريخ الشعبي للولايات المتحدة من ١٤٩٢ ، ج ٢ ، ترجمة شعبان مكاي ، ط ٢ ، القاهرة ، ٢٠٠٩ ، ص ٢١-٢٢ .

(٢٨) المصدر نفسه ، ص ٢٢-٢٤ .

- (٢٩) كلود جوليان ، المصدر السابق ، ص ١١٧ .
- (٣٠) هوارد زن ، المصدر السابق ، ص ٢٥ .
- (٣١) المصدر نفسه ، ص ٢٦ .
- (32) Alexander Trachtenberc, Op. Cit., P. 15.
- (33) Edwin E. Witte , The Development of Labor Legislation and its Effect upon the Welfare of the American Workmen, The University of Illinois , 1954, P. 3.
- (٣٤) " النقابات في الولايات المتحدة الأمريكية " ، إعداد مكتب العمل الدولي بجنيف، ترجمة مصطفى حسني ، مطابع الدار القومية ، القاهرة ، د . ت ، ص ٢٢ .
- (35) Morgan O. Reynolds, Power, and Privilege Labor Unions in America, New York, 1984., P. 94.
- (36) Charles Norman Fay , *Labor in Politics or Class versus Country*, New York, 1920, P. 41.
- (37) Alexander Trachtenberc, Op. Cit., P. 15.
- (38) Ibid., Pp. 16-19.
- (39) Ibid., P.19.
- (40) Henry Elmer Hoagland , Wage Bargaining on the vessels of the Great Lakes, University of Illinois Studies in the Social Sciences, Vol. VI, No. 3, September 1917, P. 332.
- (٤١) لمزيد من التفصيل عن تلك المنازعات وأسبابها ونتائجها ، ينظر :
- Joseph P. Goldberg and William T. Moye , The First Hundred Years of the Bureau of Labor Statistics, 1884 - 1984 , U.S. Government Printing Office , Washington, D.C., 1984 , Pp. 321- 398.

- (42) Louis F. Post , The Work of the Department of Labor of the United States during the War, The Scientific Monthly , Vol. 8 , No. 4 , April 1919 , Pp. 333-334.
- (43) Ibid., Pp.331- 333.
- (44) Ibid., P. 334.
- (45) Ibid., P. 332.
- (46) Charles A. Beard and William C. Bagley, The History of the American People, The Macmillan Company , New York , 1920, P. 512 .
- (47) Frank Tracy Carlton , Op. Cit., P. 284.
- (48) Henry Elmer Hoagland , Op. Cit., P. 100.
- (49) Walter V. Woehlk, Union Labor *in Peace* and War. San Francisco, 1918, Pp.86- 87.
- (50) Cecil Carnes , Johan L. Lewis Leader of Labor , New York , 1936, Pp..16- 17.
- (51) Ibid., P.24 .
- (52) Ibid., P. 24.
- (٥٣) تشارلز وماري بيرد ، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية ، ج ٢ ، منشورات مكتبة أطلس، دمشق ، د.ت ، ص ٢١٦.
- (٥٤) كلود جوليان ، المصدر السابق ، ص ١١٩.
- (55) Frank Tracy Carlton , Op. Cit., Pp. 285- 286.
- (٥٦) كريم صبح ، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية وموقفها من الهجرات الوافدة : الإجراءات التشريعية ونتائجها ومسوغاتها ١٩١٧-١٩٢٧ ، " الآداب " (مجلة)، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد ٩٩ ، ٢٠١٢ ، ص ٨-٩.
- (57) Marshall Olds , The High Cost of Strikes , New York and London, 1921, P.18.

-
- (58) Elizabeth Lawson , History of American Negro People (1619-1918),
Second Printing , New York , 1941, P. 96 .
- (59) Ibid., P. 96 .
- (60) Eric Arnesen , Encyclopedia of U. S . Labor and Working-Class
History, Vol. 1 , New York , 2007, P. 1293 .
- (61) Elizabeth Lawson, Op. Cit., Pp. 97-98.
- (62) Frank Tracy Carlton , Op. Cit., P. 288.

**دور الولايات المتحدة الأمريكية وباكستان
في دعم التنظيمات الأفغانية المقاومة
للاحتلال السوفيتي لأفغانستان**

١٩٧٩-١٩٨٩

**ا.م. د. مي فاضل مجيد الربيعي
وزارة التربية**

دور الولايات المتحدة الأمريكية وباكستان في دعم التنظيمات الأفغانية
المقاومة للاحتلال السوفيتي لأفغانستان ١٩٧٩-١٩٨٩

د.م. د. مي فاضل مجيد الربيعي

مقدمة :

ساهم الموقع الاستراتيجي لأفغانستان في تطور علاقاتها الدولية , والتي كان لها تأثير على أوضاعها الداخلية , فأصبحت مسرحاً لتدخل القوى الكبرى فيها سواء من جيرانها أم من قوى خارج آسيا , وتاريخها مزيج من الاجتياح والحروب من القوى الخارجية , وثورات وتنافس القبائل والعشائر في الداخل , وازدهار مؤقت , ثم تخريب ودمار لمقومات حياة الدولة والشعب.

شكلت أفغانستان المنطقة الأمنية الأكثر أهمية للاتحاد السوفيتي , وعَدَ الزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف Lyoneed E Bregenev (١٩٦٤-١٩٨٢) أن إقليم هندوكوش احد ثوابت سياسته الخارجية , وأن أية دولة ترغب في السيطرة على ربع سكان العالم , وعلى ثلاثة أرباع النفط العالمي عليها إن تسيطر على هذا الإقليم .

تسلط هذه الدراسة الضوء على دور الولايات المتحدة الأمريكية من خلال وكالة المخابرات المركزية (السي أي آية) والحكومة الباكستانية من خلال جهاز المخابرات الباكستانية في دعم تنظيمات المقاومة الأفغانية ضد الاحتلال السوفيتي لأفغانستان , وأهداف السوفييت الاستراتيجية في أفغانستان . وموقف الحكومتان الأمريكية والباكستانية من هذا الاحتلال , ثم تناولت تفاصيل التعاون السري بين جهازي المخابرات الأمريكي , والباكستاني لدعم التنظيمات الأفغانية لشن الحرب بالنيابة عنهم , وإجبار السوفييت على الانسحاب من أفغانستان .

الاحتلال السوفيتي لأفغانستان :-

مثلث أفغانستان أهمية كبرى لدى الاتحاد السوفيتي (سابقاً) , فاعتمد السوفيت على سياسة بعيدة المدى قائمة على الترقب وتحريك الأحداث الداخلية , وتقديم المعونات الاقتصادية والفنية والعسكرية للحكومة الأفغانية , ومن خلال الحزب الشيوعي الأفغاني الذي تأسس في الستينيات من القرن العشرين , استطاع الشيوعيون استغلال الخلافات الداخلية , والقيام بانقلاب عسكري والإطاحة بالملك محمد ظاهر شاه (١٩٣٣-١٩٧٣) وتسلم السلطة محمد داود خان (١٩٧٣-١٩٧٨) الذي واجه صعوبات داخلية , وتأرجحت سياسته الخارجية ما بين التقارب مع موسكو وسياسة الحياد من عام ١٩٧٤ حتى عام ١٩٧٧ , ثم على تمسك بلاده بسياسة الحياد , وأرسل مندوباً خاصاً للصين لشرح موقف بلاده , وحصل بذلك على دعم صيني ومعونة اقتصادية , وحسن علاقاته مع جارته إيران التي قدمت له مساعدات اقتصادية مع بعض الدول الخليجية لتقليل اعتماده على موسكو , فعملت المخابرات السوفيتية على إثارة القلاقل والمظاهرات والاضطرابات الداخلية^(١) , واستطاع زعماء حزب خلق بتدبير انقلاب على محمد داود خان وقتله مع عائلته في ٢٧ نيسان ١٩٧٨ , وأعلن قيام الجمهورية الديمقراطية , وتسلم السلطة زعيم حزب خلق نور محمد طراقي , لكن أعمال العنف استمرت في البلاد , فاضطر إلى الذهاب إلى موسكو , وتوقيع معاهدة معهم في الخامس من كانون الأول ١٩٧٨ للحصول على الدعم العسكري ولنجدة حكومته^(٢) , وقد أثار هذا الانقلاب نقمة الأفغان نتيجة التغيرات الاجتماعية , وضرب الحركة الإسلامية وقساوة الأساليب القمعية التي زادت من هذه المقاومة , فنشب الخلاف بين رئيس الجمهورية نور محمد طراقي ورئيس وزرائه حفيظ الله أمين, تطور الصراع بينهما إلى ان استطاع حفيظ الله أمين اعتقال نور محمد طراقي وتسلم رئاسة الحكومة في ١٤

دور الولايات المتحدة الأمريكية وباكستان في دعم التنظيمات الأفغانية المقاومة للاحتلال السوفيتي لأفغانستان ١٩٧٩-١٩٨٩.....

أيلول ١٩٧٩ فضلاً عن رئاسة الوزراء , وقد حمل سلفه مسؤولية الأخطاء التي وقعت بها الحكومة السابقة^(٣) .

وعلى الرغم من الإجراءات التي اتخذتها السلطات الحكومية لتهدئة الأوضاع في البلاد , إلا أن حكومة حفيظ الله أمين واجهت مشاكل داخلية تمثلت بالصراع بين الطبقات في المجتمع للسيطرة على مناطق النفوذ في البلاد , فضلاً عن التقاليد الدينية القوية في البلاد , التي أصبحت مصدراً لمعارضة النظام , الذي سعى إلى فصل الدين عن الدولة , وأبعاد الدين عن السياسة , هذا بالإضافة إلى وجود النزعة الاستقلالية لدى بعض الجماعات القبلية التي قامت بنشاطات معادية عبر الحدود الباكستانية - الأفغانية ضد النظام السياسي . الأمر الذي أدى إلى أن يفقد النظام السياسي الأفغاني سيطرته على نصف البلاد , وأصبحت القوات الحكومية متواجدة في المراكز السكانية الرئيسية , وبعض المواقع المهمة والطرق وبعض المناطق الزراعية^(٤) .

كانت القيادة السياسية السوفيتية تراقب تطور الأحداث الداخلية في أفغانستان وخشية حصول حكومة حفيظ الله أمين على الدعم الخارجي من دول غربية أو إسلامية أو من الصين ولأسباب سياسية وإستراتيجية وأمنية , أتحذو قرارهم التاريخي في ٢٧ كانون الأول ١٩٧٩ بالتدخل العسكري المباشر , فبعد معلومات قدمها جهاز المخابرات السوفيتي (كي . جي . بي) عن تضعف الموقف السياسي في البلاد , قامت قوة من القوات الخاصة الفاويزينيث قوامها ٧٠٠ فرد منهم ٥٧ من أفراد جهاز المخابرات السوفيتي مرتدين للباس الأفغاني الرسمي باحتلال الأبنية الحكومية والعسكرية الإذاعة الرسمية في العاصمة كابول بما فيهم قصر الأمان الرئاسي , واشتبكت مع القوات الحكومية الأفغانية المتواجدة هناك , واستمرت المعركة في القصر حوالي ٤٥ دقيقة قتل فيها حفيظ الله أمين , كما قامت قوة أخرى باحتلال مبنى وزارة الداخلية^(٥) .

وفي الصباح اليوم التالي أعلنت القيادة العسكرية في ترمز من راديو كابول أنه تم تحرير أفغانستان من حكم حفيظ الله أمين . وأن ذلك تم على يد اللجنة الثورية المركزية الأفغانية , وأن اللجنة اختارت النائب السابق لرئيس الحكومة بابر ككارمال ليكون رئيساً للجمهورية . الذي دخل العاصمة كابول على دبابة روسية نموذج تي ٧٢ , تزامن ذلك مع اجتياح عسكري سوفيتي للأراضي الأفغانية بدأ بعملية نقل جوي عسكري ضخم , استخدمت فيه أكثر من ثلاثمئة طائرة نقل ضخمة لنقل الجنود والمعدات والمؤن إلى كابول , لنقل حوالي ثمانين ألف جندي سوفيتي , تم توزيعهم على المدن الأفغانية , واستمر تدفق القوات العسكرية ليصل العدد إلى حوالي ٨٥ ألف جندي يدعمهم ٣٠ ألف جندي على الحدود بين البلدين , وأعلنت موسكو " أن هذا التدخل العسكري جاء بناءً على دعوة من الحكومة الأفغانية لحماية نظام صديق من الاعتداءات الخارجية "

وقد أشارت التقارير الواردة من وكالات الأنباء العالمية بأن عملية الاجتياح قامت من خلال جسر جوي وبري للقوات السوفيتية التي عبرت الحدود , وكانت عملية احتلال العاصمة الأفغانية سريعة وحاسمة , جاءت حصيلة هذا الاجتياح سقوط ما يزيد على مائة وخمسين ألف قتيل من المدنيين الأفغان , كما أشارت التقارير الصحفية إلى تدفق مئات الآلاف من اللاجئين عبر الحدود إلى باكستان وإيران على شكل موجات بشرية هرباً من جحيم قوات الاحتلال , كما شن السوفيت غارات على قواعد التنظيمات الأفغانية الإسلامية بالدبابات والطائرات اعقبوه بهجوم على القرى الأفغانية , مما اضطر عشرات الآلاف من الأفغان إلى الهجرة الجماعية قطعوا فيها مئات الأميال سيراً على الأقدام للوصول إلى الحدود الباكستانية , وقد توغل بعضهم إلى سهول البنجابي وبلوچستان الباكستانية ^(٦).

أهداف الاتحاد السوفيتي من الاحتلال العسكري لأفغانستان :-

سجل الاحتلال السوفيتي لأفغانستان تغييراً جذرياً في السياسة السوفيتية ، وكشف عن استعداد لاستخدام قواتهم العسكرية مرة أخرى ، وعلى نحو مباشر لتحقيق أهدافهم . واطماعهم من مناطق خارج الكتلة السوفيتية ، والواقع أن الأهداف الأساسية لسياسة السوفيت الخارجية خلال تاريخهم كانت متناغمة وقد جاء ذلك نتيجة موقعهم الجغرافي من الاتحاد السوفيتي (سابقاً) وهوليد شاسع امتد عبر قارتي آسيا وأوروبا وبالرغم من التغيرات العميقة التي حدثت منذ أن احتل الاتحاد السوفيتي مركز دولة عالمية كبرى ظلت أهداف السياسة الخارجية الرئيسة على ما كانت عليه من قبل حتى بعد التغيرات التي حثت في أوروبا الشرقية بعد الحرب العالمية الثانية، فما زالت الدولة مطوقة من جهات ثلاث وبعيدة عن مياه المحيط الهندي الدافئة .

ولهذا كان لموقع أفغانستان الجغرافي والاستراتيجي وأهميتها السياسية يمكن أن يكونان حاسمين في تحقيق هدف في السياسة الخارجية السوفيتية في هذه المنطقة ، وهذان الهدفان هما:

أولاً :- الوصول إلى مياه المحيط الهندي الدافئة وأبار النفط في الخليج العربي ، المنطقة ذات الأهمية الاقتصادية والإستراتيجية بالنسبة للغرب والدول الصناعية ، إذا أنها تمول حوالي ٦٠ % من احتياجات العالم البترولية .

ثانياً:- هو احتواء جمهورية الصين الشعبية وكبح جماحها ، لتحقيق هذه الأهداف كان لأبد من النفاذ إلى أفغانستان عن طريق تقديم معونة اقتصادية ، فمنذ خمسينيات القرن العشرين حاول السوفيت إحداث تغيرات أساسية فيها ، إذ استثمروا أكثر من ثلاثة ملايين دولار لتطوير وسائل النقل والمواصلات وتدريب المدنيين والعسكريين والفنيين بواسطة خبراء سوفيت^(٧) الذين وصل عددهم إلى حوالي ألف خبير عسكري ، فضلاً عن ٢٥٠٠ خبير مدني^(٨) ، ولهذا نجد إن الانقلاب الذي خطط له السوفيت جاء

لتشديد القبضة على أفغانستان للحفاظ على حزام امني عقائدي يحميها من انهيار الإيديولوجية الماركسية , ونشر الفكر الشيوعي لإيجاد نظام مدعوم قادر على مواجهة التنظيمات الإسلامية التي كانت تنافس الأحزاب الشيوعية في البلاد , فضلاً عن ما تملكه أفغانستان من ثروات . يمكن استغلالها من غاز طبيعي وفحم وحديد بأسعار بخسة , هذا فضلاً عن أن الامر يمكنها من حماية أمن الاتحاد السوفيتي من أية محاولة للولايات المتحدة لاستحالة بعض الزعماء الأفغان , بنصب أجهزة التحسس شمال أفغانستان^(٩).

كانت حكومة نور محمد طوافي تواجهه مشاكل مع الأحزاب الإسلامية المعارضة للنظام الشيوعي , وكانت الحكومة السوفيتية تدرك ذلك , ولضمان تحقيق أهدافهم وإنجاح الثورة لم يترددوا باستبدال حكم حفظ الله أمين بنظام يكون أكثر قبولاً في الأوساط الإسلامية , لتحقيق هدفهم بإيجاد حكومة حليفة لهم تضمن لهم بقاء نفوذهم فيها , والهيمنة على البلاد^(١٠).

حاولت الحكومة الأفغانية تطبيق إصلاحات اقتصادية بدعم من السوفييت , فاستصلحت الأراضي الزراعية , واتخذت إجراءات تتعلق بالتعليم والمرأة , وألغت امتيازات الإقطاع الخاصة ظناً منها أن ذلك سيحل مشاكل أفغانستان الاقتصادية , ويحقق النهوض الاجتماعي والاقتصادي فيها , وخصصت تبرعات سخية لدعم الاقتصاد الأفغاني، الا أن هذا التوجه واجه ردة فعل سلبية من ملاك الأراضي ورجال الدين , والقوة المحركة لهذه المعارضة، كان ثابتاً عند الشعب الأفغاني أن الشيوعية كانت ضد الإسلام , الأمر الذي أدى إلى تنامي المعارضة الإسلامية , وأتساع قاعدة الكفاح المسلح والنزاعات الداخلية وعدم قدرة نظام حزب الشعب الديمقراطي (خلق) على السيطرة على الأوضاع الداخلية , مما أدى إلى صدام مسلح بين السلطات الحكومية وحركة المعارضة الإسلامية , الأمر الذي دفع السوفيت إلى الاعتقاد بضرورة

إجراء بعض التغييرات لتثبيت حكومة موالية وقاموا ببعض الخطوات لتوسيع قواعد السياسة لسلطتهم لتشمل الجماهير , وتركزت هذه المعالجات على اعتقادهم بإيجاد جذور المشاكل بهدف حماية مصالحهم في أفغانستان , فالإصلاحات المتعلقة بالأراضي والتطبيق الخاطئ لها هي الأساس في ثورة الشعب , حاول السوفيت إجراء إصلاحات زراعية مع السماح لبعض التنازلات للقطاع الخاص لكبح جماح الثورة وضبط عدم الاستقرار في البلاد , إلا أن برامج الإصلاح ساهمت في تنامي العداء الداخلي ضد الحكومة الأفغانية المدعومة من السوفيت . أدركت الحكومة الأفغانية والسوفييت أن التوجه الماركسي لحزب (خلق) هو الأساس في المعارضة الإسلامية , فحاولوا اتخاذ سلسلة نشاطات إعلامية أعلن فيها المسؤولون الحكوميون بأن الحكومة الأفغانية ليست ضد الإسلام , وصدر بيان موقع من حوالي مئة عالم ديني أفغاني " أن نظام جمهورية أفغانستان الديمقراطية يدعم الإسلام " . أن الدعم السياسي والعسكري والاقتصادي الذي قدمه السوفييت لإنقاذ الحكومة الأفغانية من الثورة المضادة لم تكن كافية للاستقرار الأوضاع الداخلية في البلاد, فاضطر السوفييت إلى التدخل العسكري المباشر في أفغانستان^(١١).

برر السوفييت الاحتلال العسكري لأفغانستان على أساس مقتضيات معاهدة الصداقة والتعاون الموقعة مع الحكومة الأفغانية في ٥ كانون الأول ١٩٧٨ هو تبرير هش لسبب جوهري هو أن هذا التدخل جاء ضد النظام السياسي الأفغاني الذي يفترض أن التدخل يأتي لصالحه ولحمايته بمقتضى بنود المعاهدة , هذا من جانب ومن جانب آخر , أتاح الاحتلال السوفيتي لأفغانستان الفرصة للولايات المتحدة الأمريكية للتدخل في مناطق أكثر أهمية كالخليج العربي , فالولايات المتحدة ترتبط مع دول المنطقة بمعاهدات واتفاقيات عسكرية واقتصادية وغيرها وهي لن تكون عاجزة عن تقديم المبرر

دور الولايات المتحدة الأمريكية وباكستان في دعم التنظيمات الأفغانية المقاومة للاحتلال السوفيتي لأفغانستان ١٩٧٩-١٩٨٩.....

الأيدلوجي والسياسي للغزو ولاسيما تجاه أقطار ضعيفة القدرات مثل قطر والبحرين والإمارات العربية والمملكة العربية السعودية .

وبهذا يمكن تحديد ثلاثة أهداف للاتحاد السوفيتي في احتلالها العسكري لأفغانستان

هي:-

أولاً:- حماية الاستثمارات الضخمة على صعيد الأسلحة والمعدات والأموال التي قدموها للحكومة الأفغانية لنجاح ثورة نيسان ١٩٧٨

ثانياً :- تأمين استمرار النظام الاشتراكي في أفغانستان

ثالثاً:- منع تشكيل قوة من الدول الإسلامية المتشددة (إيران, أفغانستان, باكستان) على حدودها الجنوبية

رابعاً:- ضمان توسع نفوذهم في المنطقة.

ولتحقيق هذه الأهداف كان لابد من استبدال نظام الحكومة بنظام يكون أكثر قبولاً من الأغلبية الإسلامية في البلاد وموالية لموسكو^(١٢).

وبهذا يمكن تحقيق هدفهم الأساسي, هو الحفاظ على سلامة حدودها الجنوبية, والحصول على منفذ إلى الموانئ الباكستانية الدافئة في بحر العرب, وإنشاء قاعدة عسكرية هناك يستطيعون من خلالها الانطلاق بقوتهم البحرية للسيطرة على الخطوط التي تتحرك عليها إمدادات العالم النفطية.

موقف الولايات المتحدة الأمريكية من الاحتلال السوفيتي لأفغانستان :-

كانت الحكومة الأمريكية تراقب تطور الأوضاع في أفغانستان من خلال سفارتها في كابول , وحاول القائم بأعمال السفارة الأمريكية في كابول اليوت eliot توضيح خطورة النفوذ السوفيتي في أفغانستان للحكومة الأفغانية ففي لقاء مع الرئيس الأفغاني نور محمد طراقي في ٦ أيار ١٩٧٨ , أوضح له " أنه منذ رحيل البريطانيين عن الهند فأن البلد الوحيد الذي يستطيع تهديد استقلال أفغانستان هو الاتحاد السوفيتي , نتيجة

دور الولايات المتحدة الأمريكية وباكستان في دعم التنظيمات الأفغانية المقاومة للاحتلال السوفيتي لأفغانستان ١٩٧٩-١٩٨٩

موقع أفغانستان الجغرافي ومتطلباتها الاقتصادية ، وأن حكومته ستكون منزعة إذا اتبعت الحكومة الأفغانية سياسة محلية وخارجية غير مميزة عن سياسة الاتحاد السوفيتي لأن ذلك سيمحو هوية أفغانستان الوطنية وسيزيد من حدة التوتر في هذا الجزء من العالم ويعرض السلام للخطر " ونصح القائم بالأعمال الرئيس الأفغاني بإتباع سياسة عدم الانحياز^(١٣) .

شعرت الحكومة الأمريكية بخطر الموقف فبادرت إلى دعوة قيادات حلف الشمال الأطلس إلى اجتماع في حزيران ١٩٧٨ في مدينة انابوليس الأمريكية لمناقشة الوضع في أفغانستان ، ثم سعت وكالة المخابرات المركزية (السي . آي . ايه) بتنشيط الصلات مع قادة التنظيمات الأفغانية المعارضة المتواجدين على الحدود الأفغانية الباكستانية ، وأرسلت إلى العاصمة الباكستانية أسلام آباد مجموعة من عملائها لتنسيق العمل مع هؤلاء القادة ، وللقيام بإعمال تجسسيه في تلك المنطقة الحدودية^(١٤) .

تدهورت العلاقات الأمريكية الأفغانية على أثر تعرض السفير الأمريكي ادولف دويس Adolph Dubs إلى محاولة اختطاف في ١٤ شباط ١٩٧٩ ، وقتل إنشاء مواجهات بين الشرطة الأفغانية والخطافين ، ورفضت الحكومة الأفغانية طلب الحكومة الأمريكية إجراء تحقيق في الحادث ، مما أثار غضب الإدارة الأمريكية ، وبدأت بالانسحاب من أفغانستان ، كرد فعل على اغتيال السفير الأمريكي، ثم اتخذت إجراءات عدة لخفض برنامج المساعدات الإنسانية من ١٥ مليون دولار إلى النصف ، وألغت برنامج المساعدات العسكرية البالغ ٢٥٠ الف دولار^(١٥) ، وأصدر الرئيس الأمريكي (جيمي كارتر Jimmy carter ١٩٧٧-١٩٨١) ، توجيهات إلى وكالة المخابرات المركزية في ٣ تموز ١٩٧٩ لدعم التنظيمات الإسلامية المعارضة للحكومة الأفغانية ، وزيادة تمويلهم وتسليحهم وتحفيزهم معنويًا تحت شعارات " الجهاد ضد الشيوعيين الملحدون الذين يريدون سوءاً بالإسلام في أفغانستان "^(١٦) .

بدأت الحكومة الأمريكية بخفض عدد أفراد البعثة الأمريكية الدبلوماسية في أفغانستان. وسحبت حوالي مائة شخص حتى ٢٤ تموز ١٩٧٩ الأمر الذي أثار استياء الحكومة الأفغانية التي عبرت عن رغبتها في الحفاظ على علاقات صداقة طبيعية مع الولايات المتحدة الأمريكية، ونظرت إلى الأمر على أنه عمل سياسي معادي لها^(١٧). ثم قررت الإدارة الأمريكية وقف برنامج المساعدات الأمريكية كلياً في ١٤ آب ١٩٧٩، وطالبت الحكومة الأفغانية بالاعتذار رسمياً وتحمل مسؤولية وفاة السفير الأمريكي^(١٨). وبرزت إذاعة صوت أمريكا عملية جلاء الرعاية الأمريكيان بالاتهامات أن الحكومة الأفغانية عاجزة عن فرض النظام في أفغانستان، ولاسيما بعد حوادث طرق عدة، كما بثت برنامج تصف فيها اتهامات حول خرق لحقوق الإنسان في البلد وإعدام لثلاثة الألف سجين سياسي أفغاني^(١٩).

كانت الولايات المتحدة الأمريكية تراقب تنامي النفوذ السوفيتي في أفغانستان تحت ذريعة دعم الحكومة الأفغانية ضد التنظيمات الإسلامية التي قادت العمل المسلح ضد الحكومة الأفغانية، فتبنت إستراتيجية متعددة المستويات لمواجهة هذا التدخل وضمن إطار الحرب الباردة بينهما، واتخذت طابع الحرب غير المعلنة، فبدأت وكالة المخابرات المركزية (السي أي ايه) بتقديم مساعدات للتنظيمات الإسلامية قبل ستة أشهر من الاحتلال السوفيتي وبدأت بإدارة عملية استنزاف واسعة للاتحاد السوفيتي في أفغانستان، خشية امتداد هذا النفوذ إلى الدول المجاورة أي باكستان، إذ عدته تهديد لمصالحها في المنطقة وفي الخليج العربي^(٢٠).

وعندما حدث الاحتلال السوفيتي لأفغانستان يوم ٢٧ كانون الأول ١٩٧٩ وبعدما أكدت التقارير في السفارة الأمريكية في كابول أن الاحتلال قد بدأ، انعقد مجلس الأمن القومي الأمريكي في مبنى ايزنهاور المقابل للبيت الأبيض، ضم كلاً من الرئيس جيمي كارتر ونائبه والتر مونديل walter Mondale ومستشار الأمن القومي زبغينو

دور الولايات المتحدة الأمريكية وباكستان في دعم التنظيمات الأفغانية المقاومة للاحتلال السوفيتي لأفغانستان ١٩٧٩-١٩٨٩.....

بريجنسكي Zbigniew Brzezinski ووزير الخارجية سايروس فانس cyrus vance ووزير الدفاع هارولد براون Harold Brown ورئيس هيئة الأركان المشتركة ديفيد جونز David Jones ومدير وكالة المخابرات المركزية ستانسفيلد Stansfield Turner وبعض المستشارين المتخصصين المرافقين لأعضاء المجلس , حدد فيه المجتمعين هدفين مهمين يجب العمل على تحقيقهما الأول هو ردع الاتحاد السوفيتي بكل الوسائل كي لا يطمح فيه قادته ويفكروا في ما وراء أفغانستان , أما الهدف الثاني هو أن تعمل الولايات المتحدة الأمريكية على دحر السوفييت في أفغانستان لإخراجهم منها مهزومين , وفيما يخص الهدف الأول فعلى الحكومة الأمريكية أن تنبه السوفييت بالوسائل الدبلوماسية السياسية أولاً , ثم بفرض عقوبات اقتصادية مالية ثانياً , ثم تفعيل الاتفاقيات الأمنية العسكرية السرية المبرمة مع رؤساء الدول في الشرق الأوسط , بما يؤمن للولايات المتحدة الأمريكية استخدام القواعد العسكرية الأمريكية فيها لأغراض حربية .

أثناء نقاشات مجلس الأمن عرض مدير المخابرات المركزية (السي أي أية) ستانسفيلد بيريز كيف نجحت الوكالة مع حلفائها الباكستانيين في اختراق قيادات من القبائل الأفغانية وجدت عناصر من رجال القبائل للقيام بحرب عصابات ضد الحكومة الأفغانية وضد الجنود والمستشارين السوفيت الداعمة لها . وكما وضح جهود الوكالة في دعم التنظيمات , المقاومة الأفغانية وتمويلهم وتسليحهم وتحفيزهم وتوفير البيئة المساعدة إقليمياً وإسلامياً وغطاء الدعاية الإعلامية ومدهم بالمتطوعين الراغبين في الشهادة في سبيل الله وتزويدهم بالمال والسلاح ليكونوا الإدارة لتحقيق الهدف الثاني باستنزاف القوات السوفيتية في أفغانستان .

كان مستشار الأمن القومي زبغينو بريجنسكي قد قدم مذكرة سرية إلى الرئيس الأمريكي جيمي كارتر في اليوم الذي سبق الاحتلال أوضح فيه " ان الثوار الأفغان

غير منظمين وقيادتهم ضعيفة جداً وليس لديهم ملجأ أو جيش منظم أو حكومة مركزية , وإن الدعم الأجنبي محدود ولا بد من رسم سياسة أفغانية جديدة , ولأبد من إتباع معظمها في السر وتحديد الخطط التي تم تطويرها منذ سنوات في البيت الأبيض ووكالة الاستخبارات المركزية لمد الثوار بالمعدات الطبية والمساعدات الأخرى . كما أكدت المذكرة على " أنه من الضروري استمرار المقاومة الأفغانية , الأمر الذي يعني تزويد رجالها بالمزيد من الأموال وشحنات الأسلحة وبعض النصائح التقنية عن طريق دول الجوار أي باكستان والصين , الأمر الذي تطلب إعادة النظر في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الحكومة الباكستانية , وتشجيعها على مساعدة رجال المقاومة الأفغانية , وتقديم الضمانات والمساعدات لها , واتخاذ قرار يقضي بعدم إخضاع السياسة الأمنية الأمريكية تجاه باكستان لسياسة عدم انتشار الأسلحة النووية , وكان لا بد من تشجيع الصينيين على مساعدته فصائل المقاومة الأفغانية , لتحقيق الهدف الأساسي وهو إجبار القوات السوفيتية على الانسحاب من أفغانستان " وفي حال عدم تحقيق ذلك فعلياً أن نجعل التدخل السوفيتي مكلفاً قدر الإمكان " وهذا الأمر يتم بالتعامل مع الرئيس الباكستاني محمد ضياء الحق (١٩٧٧-١٩٨٨) كشريك استراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية^(٢١) .

ولتنفيذ ما ورد في المذكرة تم تشريع قانون رئاسي وقعه الرئيس جيمي كارتر أواخر كانون الأول ١٩٧٩ سمح لوكالة المخابرات المركزية (السي أي أيه) بشحن الأسلحة سراً لرجال المقاومة الأفغانية , واستعمال القانون كلمة تحرش لوصف أهداف (السي أي أيه) ضد القوات السوفيتية في أفغانستان , ورفعت العمليات السرية لوكالة المخابرات المركزية نسبة النفقات المالية , خشية قيام السوفييت بعلميات غزو أخرى في مناطق العالم الثالث , وأوضح القانون أن الوكالة ستعمل بالتعاون مع جهاز المخابرات الباكستانية^(٢٢) .

بدأت الحكومة الأمريكية بحشد المواقف وحث الحكومات الحليفة لها في الشرق الأوسط لاتخاذ مواقف ايجابية ومسانده للمقاومة الأفغانية , فأوفدت مستشار الأمن القومي زيجينو بريجنسكي في جولة للشرق الأوسط في كانون الثاني ١٩٨٠ زار خلالها القاهرة ثم الرياض ثم إسلام آباد , وهي العواصم التي أستقر عليها الخيار لتخوض الحرب في أفغانستان بالنيابة عنها , والتقى في الثالث من كانون الثاني عام ١٩٧٩ الرئيس المصري محمد أنور السادات (١٩٧٠-١٩٨١) , وكانت مهمته محدودة وشديدة الوضوح لكسب تأييد الحكومة المصرية لدعم المقاومة الأفغانية ولاسيما أن قسم من زعماء التنظيمات الأفغانية كانوا من خريجي جامعة الأزهر والسبب الآخر هو مد مقاتلين الأفغان بالسلح السوفيتي المتوفر في مصر , مقابل الحصول على اتفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية على تعويض ذلك السلح بصفقات من السلح الأمريكي ومعونة عسكرية للجيش المصري^(٢٣) والواقع أن الدافع الرئيس المهم الذي جعل الولايات المتحدة الأمريكية تتجه نحو مصر فضلاً عن امتلاكها السلح السوفيتي , هو ثققتها بحليفها بعد توقيع معاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية عام ١٩٧٩ , وخشية التورط المباشر بالحرب أبان الحرب الباردة بين القوتين , وبالتالي الخوف من اتخاذ الاتحاد السوفيتي ذلك ذريعة لشن حرب عالمية ثانية .

ركزت وجهة النظر الأمريكية على ترك الغزو السوفيتي لأفغانستان يتم على ارض الواقع ثم استغلال نتائجه للإضرار بالسوفيت سياسياً ودعائياً على مستوى العالم , وبين دول العالم الثالث التي كانت معظم شعوبها ترى في السوفييت نصيراً لها , وعلى مستوى العالم الإسلامي والعربي .

استمرت مناقشات الرئيس الأمريكي مع مساعديه في الرابع من كانون الثاني ١٩٨٠ حول مقدار المساعدات التي يمكن إرسالها لباكستان , وبالتالي إلى المقاتلين الأفغان , وحشد المواقف من عدد كبير من الدول للانضمام إلى الولايات المتحدة

دور الولايات المتحدة الأمريكية وباكستان في دعم التنظيمات الأفغانية المقاومة للاحتلال السوفيتي لأفغانستان ١٩٧٩-١٩٨٩.....

الأمريكية , والعمل على جعل الحكومة الباكستانية تابعة للولايات المتحدة الأمريكية ,
وقررت إرسال أسلحة دفاعية إلى باكستان لصد الهجمات التي يمكن أن تكون مؤثرة
أيضا داخل أفغانستان ضد الغزو السوفيتي .

والواقع أن التدخل السوفيتي في أفغانستان وفر فرصة إستراتيجية للولايات المتحدة
الأمريكية للتدخل , فبعد أن أصبحت إيران مكاناً محظوراً لها بعد الثورة الإسلامية عام
١٩٧٩ , ألقت إلى باكستان جارة أفغانستان , إذ ايقنت الحكومة الأمريكية أن من
الضروري أن يدفع السوفيت ثمناً غالياً لغزو , إذ اعتبر الاحتلال تجاوزاً لخط خطير
عن طريقة إدارة الحرب الباردة , عندما زار زبغينو بريجنسكي منطقة الحدود الباكستانية
أعلن إمام المقاتلين المحتشدين هناك " ان الله معكم "(٢٤) .

قبل الاحتلال السوفيتي لأفغانستان بالاستهجان والاستنكار العالمي , وأعتبر من
أكثر التهديدات جدية للسلام العالمي منذ الحرب العالمية الثانية , لم يستطع الرئيس
الأفغاني بابر ككارمال من الحصول على الدعم الدولي لحكومته , وقد وضحت هذه
الإدانة في المحافل الدولية التي كان للولايات المتحدة الدور الرئيس فيها , ومنها
الجمعية العامة للأمم المتحدة التي أصدرت قرارها المرقم ٣٧٧ (٥) في ١٤ كانون
الثاني ١٩٨٠ , الذي دعا فيه الاتحاد السوفيتي إلى الانسحاب التام والفوري وغير
المشروط للقوات الأجنبية في أفغانستان , ولكن قيام مجلس الأمن بأي عمل حقيقي
كان أمراً مستحيلاً لأن الاتحاد السوفيتي كان يملك حق النقض (الفيتو), وعلى الرغم
من ذلك مرت الجمعية العامة للأمم المتحدة وبشكل متكرر قرارات تعارض الاحتلال
السوفيتي لأفغانستان(٢٥) .

أوضح الرئيس الأمريكي جيمي كارتر موقف حكومته الواضح من الاحتلال
السوفيتي لأفغانستان خلال الخطاب السنوي إمام الكونغرس الأمريكي في ٢٣ كانون
الثاني ١٩٨٠ " ان أي محاولة تقوم بها قوة خارجية لبسط هيبتها على منطقة الخليج

العربي سنعتبرها اعتداءً موجهاً ضد المصالح الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية
وسنصده بكل الوسائل اللازمة ومن بينها القوة العسكرية" (٢٦).

حدد الرئيس الأمريكي ثلاث أحداث هامة برزت في المنطقة ودفعت الولايات المتحدة
لأن ترتاب منها وهي :-

١- النمو الدائم للقوة العسكرية السوفيتية واتساع رقعة تغلغلها في مناطق بعيدة عن
الحدود الجغرافية لروسيا .

٢- اعتماد الدول الغربية المطلق على إمدادات النفط من منطقة الشرق الأوسط .

٣- حدوث تغيرات اجتماعية ودينية واقتصادية وسياسية في عدد من بلدان العالم
الثالث كالثورة الإيرانية ١٩٧٩ . كما أن هناك مسألة مهمة تتعلق بمنطقة الخليج العربي
وجنوب غرب آسيا ، هي تركيز مصالح الأمريكية الحيوية في هذا الجزء من العالم ،
الذي أخذ يتعرض للتحديات من خلال النشاطات العسكرية السوفيتية في المنطقة ،
ويمكن تحديد طبيعة التهديد السوفيتي الذي أصبح حقيقة واضحة بعد الاحتلال
السوفيتي لأفغانستان

لأنها استفزت من قدرته على ممارسة شتى أنواع الضغوط على الحكومات المجاورة
لأفغانستان وبما يجلب الخراب والدمار . وأكد أنه على استعداد للعمل مع دول أخرى في
المنطقة والمسالمة معها في وضع إطار من التعاون الأمني يحترم القيم والمعتقدات
السياسية المتباينة بما يقرر استقلال وأمن ورفاهية الدول كافة" (٢٧).

عدت الحكومة الأمريكية المنطقة التي وقعت فيها النشاطات العسكرية السوفيتية
منطقة ذات أهمية إستراتيجية عالية لأنها تحوي أكثر من ثلثي الصادرات البترولية
العالمية ، وأن محاولات السوفيت الهيمنة على أفغانستان يعني أنهم أصبحوا على بعد
٣٠٠ ميل فقط عن المحيط الهندي ، وأصبحوا قريبين أيضاً من مضيق هرمز الممر
المائي الحيوي الذي تمر منه معظم شحنات النفط المصدرة إلى أرجاء العالم ، وبهذا

فإن الأمر شكل تهديداً لحرية نقل شحنات النفط من منطقة الشرق الأوسط , ولهذا السبب اتخذت الحكومة الأمريكية قرارات عدة في كانون الثاني ١٩٨٠ بفرض عقوبات اقتصادية على الاتحاد السوفيتي, منها وقف الترخيص التي تسمح للسفن السوفيتي بالصيد بالقرب من المياه الساحلية للولايات المتحدة الأمريكية , وحظر تزويد السوفيت بالمعدات التكنولوجية المتطورة أو بيعهم المنتجات الزراعية الأمريكية , كما أصدرت امرا يتعلق بالتجارة معهم في مجالات أخرى , وطلبت من الحكومات الحليفة لها والصديقة الانضمام إليها , والعمل على الحد من المتاجرة مع السوفيت , أو بيع السلع والمواد التي يتضمنها قرار الحظر الأمريكي , كما أبلغت اللجنة الأولمبية بقرار مقاطعتها لدورة الألعاب الأولمبية في موسكو ما دامت الجيوش السوفيتية باقية في أفغانستان , وابلغ الرئيس الأمريكي جيمي كارتر في ٢٨ كانون الثاني ١٩٨٠ الصحفيين بان الغزو السوفيتي يمثل تهديداً خطيراً للسلام وانتهاكا صارخاً للقانون الدولي , وفي اليوم التالي بعث برسالة إلى الزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف بواسطة الخط الساخن (الخط الورقي المباشر بين البيت الأبيض في واشنطن والكرملن في موسكو) طالب فيها بسحب قواته من أفغانستان , أو مواجهة عواقب وخيمة , وحذر من ان هذا الأمر سيؤثر بطريقة عسكرية وقاسية على العلاقات الأمريكية - السوفيتية^(٢٨). ولحماية مصالحها الحيوية في منطقة الخليج العربي , قامت بدفع عدد لا يستهان به من سفنها التابعة إلى الأسطولين السادس والسابع في المنطقة على حساب قوتها في منطقة البحر المتوسط ومنطقة المحيط الهادي , وأنشأت في الأول من آذار ١٩٨٠ هيئة حربية عرفت باسم " وحد الانتشار السريع المشتركة " مهمتها تحريك القوات لكي تتدخل عسكرياً في حال عرض المصالح الأمريكية الحيوية للتهديد ولتأمين خدمات إسناد للسفن والطائرات من محيطات تجهيز جديدة من كينيا والصومال وعمان

فضلاً عن توسيع قاعدة دباغو كارسيا في المحيط الهندي (تقع إلى الجنوب من الساحل الجنوبي للهند وسيريلانكا) (٢٩) .

حددت المصالح الأمريكية في أفغانستان بأربعة أهداف هي أخراج القوات السوفيتية من أفغانستان ، والحفاظ على استقرار باكستان واستقرار إقليم آسيا الوسطى ، وإقامة علاقات صحيحة مع باكستان ولاسيما أنها تملك فيها مصالح هامة (٣٠) .

ولتأمين تلك المصالح أعلن وزير الخارجية الأمريكية سايروس فانس ، في خطابه في آذار ١٩٨٠ عن استعداد بلاده لتقديم مساعدات عسكرية واقتصادية لدول المنطقة ، واعتبارها ضرورية لمواجهة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية فيها ، والواقع أن الدافع الرئيس من تقديم المساعدات لباكستان ودول المنطقة هو لتقويمها وتعزيز موقفها الإقليمي ، وذلك لأن النشاطات السوفيتية خلقت وضعاً جديداً يهدد أمن دول المنطقة مثلما يهدد دول العالم الحر وحرية في الوصول إلى مصادر الثروة الطبيعية التي هي مصادر حيوية لاقتصاديات دول العالم ، ويهدد حرية الملاحة الدولية في المنطقة .

وعليه عينت أهدافاً لا بد من تحقيقها أولها جعل السوفيت يدفعون ثمناً باهظاً لقاء عملهم العدواني في أفغانستان ، ومعاقبة السوفيت بكل الوسائل المتاحة ، ودعم المقاومة الأفغانية المتصاعدة التي أخذت على عاتقها التصدي للقوات السوفيتية الغازية ، وشن حملات الإدانة من دول العالم استنكاراً للعدوان ، وأخيراً ممارسة الضغط على السوفيت لسحب قطعاتهم منهم العسكرية من أفغانستان ، كما أكد أن العقوبات التي فرضتها حكومته على السوفيت ستستمر لحين سحب الاتحاد السوفيتي قطعاته العسكرية من الأراضي الأفغانية (٣١) .

أظهرت النشاطات الأمريكية في منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي ردود أفعال سلبية من جانب الحكومة السوفيتية واتهمت الحكومة الأمريكية في مقال نشر في جريدة البرافدا الحكومية في ٢٥ آذار ١٩٨٠ " باختلاق بدعة التهديد العسكري

السوفيتي لمنطقة الخليج العربي كغطاء لأطماعها وطموحاتها هناك , وادعت وكالة تأس السوفيتية في اليوم التالي بأن النشاط العسكري الأمريكي في المنطقة ما هو الاجزاء من سياسة " فرض الهيمنة العسكرية والسياسية للامبريالية الأمريكية في الشرقيين الأقصى والأوسط" (٣٢) .

نتيجة الضغوط الدولية أعلن السوفيت في ٢٢ حزيران ١٩٨٠ عن انسحاب جزئي لقواتهم من أفغانستان, إلا أن الكونغرس الأمريكي طلب انسحاباً فورياً كاملاً غير مشروط من الأراضي الأفغانية , ويكون الانسحاب تحت إشراف قوات من دول عدم الانحياز في الأمم المتحدة على أن تكون منها أقطار إسلامية , إلا أن السوفيت رفضوا ذلك , وتجاهلوا جهود عالمية أخرى لجعلهم يسحبون قواتهم من أفغانستان في بيانات ليست ذات معنى "

لخراجه الموقف السوفيتي , لجأت الحكومة السوفيتية إلى استدعاء الرئيس الأفغاني باتراك كارمال في ١٥ تشرين الأول ١٩٨٠ إلى موسكو للتداول بينهما في الأمر وحاولا التظاهر بأن الواضح من أفغانستان طبيعي , وأن جميع ما يقال عن قتل وتدمير وبربرية ليست سوى دعاية امبريالية , وأعلنت عن دعمها للحكومة الأفغانية , ورفض جميع طلبات الانسحاب (٣٣).

من جانب آخر قامت وزارة الدفاع الأمريكية بزيادة عدد قطعاتها البحرية المنتشرة في منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي لمنع السوفيت من القيام بأي عمل عدواني في جنوب غرب آسيا , لزيادة الضغط على السوفيت لحملهم على سحب قواتهم من أفغانستان , ودخلت في مباحثات مع دول المنطقة للوصول إلى اتفاقيات رسمية تحصل بموجبها على حرية واستخدام وتطوير المرافق والتسهيلات على أرضيها , وتسهيل استخدام الطرف البرية والبحرية المودية إلى المنطقة , لمجابهة إية حال طوارئ , كما

دور الولايات المتحدة الأمريكية وباكستان في دعم التنظيمات الأفغانية المقاومة للاحتلال السوفيتي لأفغانستان ١٩٧٩-١٩٨٩

سعت إلى بناء إستراتيجية اندماجية خاصة بمنطقة جنوب غرب آسيا لدعم المواقف العسكرية الأمريكية في المنطقة^(٣٤).

بعد تسلم الرئيس (رونالد ريغان Ronald Reagan ١٩٨١-١٩٨٩) إدارة الحكم في الولايات المتحدة أوائل عام ١٩٨١ ، أعلن في آذار ١٩٨١ عن استعداد الولايات المتحدة الأمريكية لتقديم السلاح الأمريكي إلى رجال المقاومة الأفغانية ، وأكد مرات عدة عن عزم حكومته على زيادة المساعدات العسكرية ، وأنشأت لجنة التضامن للتنسيق مع رجال المقاومة الأفغانية في الخارج لإمدادهم بالسلاح والعتاد اللازم لاستمرار مقاومتهم للاحتلال السوفيتي لبلادهم ، واستمر الدعم الأمريكي للمقاتلين الأفغان ، وزار زعماء تنظيمات المقاومة الولايات المتحدة الأمريكية ، وعقدوا الندوات والمؤتمرات لحشد التأييد لهم وللتباحث في مسألة تنشيط أعمال المقاومة ضد القوات السوفيتية .

عمل مدير وكالة الاستخبارات الأمريكية وليام كايسي (William j. Casey ١٩٨١-١٩٨٧) على تجنيد المهاجرين الأفغان في أوروبا ، وتدريبهم للعمل على دعم المقاومة الأفغانية حتى ربيع عام ١٩٨٢ إذ تم تدريب حوالي ١٠٠ أفغاني في مقرات وكالة المخابرات المركزية، وزودوا بجوازات سفر ومبالغ مالية ، وأوكلت لهم مهمة العمل في شركات صغيرة لنقل الشحنات إلى آسيا ونقل المعدات الالكترونية ، وصناديق من السلاح إلى رجال المقاومة الأفغانية عبر ميناء كراتشي ، وقدر عدد الشحنات التي أرسلت إلى الميناء حوالي حمولة ٥٠٠ سفينة . وقد عبر وليم كايسي عن وجهة النظر الأمريكية ولخص فلسفته في الحرب "باعتبار أفغانستان هي المكان المناسب الذي يمكن للولايات المتحدة الأمريكية أن تنتقم لهزيمتها في فيتنام ، وأن على السوفييت أن يدفعوا ثمنًا باهظاً لدعمهم الفيتناميين الشماليين"^(٣٥) .

أدى استمرار تدفق السلاح وزيادة كمية ونوعيته إلى استمرار حركة المقاومة , واشتداد المعارك ولاسيما خلال سنوات الحرب التسع , وكانت قناة إمداد المقاتلين الأفغان تتم عن طريق منطقة (تبري مجال) الواقعة على الحدود الأفغانية , إذ كان المئات من هؤلاء المقاتلين يعبرون الحدود الباكستانية إلى الأراضي الأفغانية مسلحين ببنادق الكلاشنكوف التي تحمل العلامات الصينية والمصرية أو بنادق معدله عيار ٣٠٣ من إنتاج كندي أو أمريكي , وكانوا يستلمونها من مبنى صغير في باراتشينار الذي استخدم كمركز لتوزيع الأسلحة^(٣٦).

الواقع ان البرنامج الواسع الذي تبنته الحكومة الأمريكية , كان برنامجاً واسع التدابير السياسية والدعائية والاقتصادية والعسكرية , هدف إلى استغلال الوضع في جنوب غرب آسيا لإلحاق أكبر قدر من الخسارة السياسية والاقتصادية بالاتحاد السوفيتي وزعزعة النظام السياسي في أفغانستان وعزلة على الصعيد الدولي .

موقف الحكومة الباكستانية من الاحتلال السوفيتي لأفغانستان :-

كان من أهم ثوابت سياسة باكستان الخارجية منذ الاستقلال عام ١٩٤٧ , وهي المحافظة على سلامة أراضيها واستقلالها السياسي من أن تضعفه الجارة الهند , والأمر الآخر هو دحض الادعاءات الأفغانية بضم أراض البشتون في باكستان , والاعتراف بشرعية الحدود الباكستانية الأفغانية , (خط ديوراند) التي حددت عام ١٨٩٣ , وللحصول على دعم الخارجي لجأت الحكومة الباكستانية في الخمسينات نحو الولايات المتحدة , ثم اتجهت نحو الصين في الستينات أملاً في الحصول على الدعم , ولتحقيق توازن مع جارتها الهند , وحل قضية منطقة كشمير المتنازع عليها بين الدولتين , ولاسيما بعد أن خاضت حرباً خاسرة معها عام ١٩٦٥ , ومن ثم انفصال بنغلادش عنها عام ١٩٧١ , والواقع أن الصين كانت تعوزها القوة اللازمة لإحداث

توازن في الوفاق الهندي - السوفيتي ، إما الولايات المتحدة الأمريكية فكانت تعوزها الرغبة والقدرة على أن تقدم ضمانات معقولة لأمن باكستان من الهند ، إذ كان الاتحاد السوفيتي القوة الدولية العظمى القادرة على إيذاء باكستان . وبهذا لم يكن إمام باكستان سوى اللجوء للولايات المتحدة لحمايتها من الهند^(٣٧).

كان على الحكومة الباكستانية صياغة علاقة قوية مع الولايات المتحدة لتطوير عداء السوفيت عن طريق تقديم حلف لا حرب الهند ، ولكن الهند رفضت ذلك ، فلجأت إلى مؤازرة سياسة الولايات المتحدة ومساندة التنظيمات الأفغانية المعارضة ، وفتح اراضيها أمامهم^(٣٨) . والواقع أن السبب المهم الرئيس الذي دفع بالحكومة الباكستانية إلى تبني هذا الموقف هو تصريحات الزعماء السوفيت المتكررة بأن الحدود الأفغانية يجب أن تقع على الهندوكوش الأمر الذي يعني أن مناطق البشتون في باكستان يجب أن تضم إلى مناطق البشتون في أفغانستان ، هذا يعني عدم اعترافهم بخط ديوراند الحدودي بين أفغانستان وباكستان ، وأضحت الحدود الباكستانية تحت التهديد السوفيتي .

كان هذا جوهر مفهوم ليونيد برجنيف عن نظام الأمن الجماعي الآسيوي الذي تبناه بصورة تدريجية مع الهند وأفغانستان ، إذ كانت الهند الشريك التجاري للاتحاد السوفيتي و ٥٠ % من معداتها الحربية من أصل سوفيتي في حين أن اقتصاد أفغانستان كان كله بيد السوفيت ، ونظراً لأن الاتحاد السوفيتي يحتل ثلثي مساحة قارة آسيا ، فهو دولة آسيوية تتمتع بالتفوق في التوجيه الاستراتيجي في جنوب وجنوب غرب آسيا^(٣٩) . وباكستان دولة إسلامية صغيرة مواردها محدودة ، ولم تكن لديهم إيه نية للقيام بأعمال عدوانية ضد الهند أو أي قوة دولية كبرى ، وكانت دوماً ترغب في تقديم أية ضمانات ضرورية بان قوتها العسكرية لن تستعملها ضد الهند باستثناء الدفاع عن سيادتها^(٤٠) .

بعد الانقلاب العسكري ضد الملك محمد ظاهر شاه عام ١٩٧٣ ، ومجيء حكومات مدعومة من قبل السوفيت ، تبنت الحكومة الباكستانية سياسة خفيفة مساندة للتنظيمات الإسلامية المعارضة للحكومات الشيوعية في كابول ، ووفرت لقيادات تلك التنظيمات اللجوء السياسي الواسع في مناطق الحدود الباكستانية الأفغانية ، وقدمت مساعدات مالية ، وفتحت لهم مكتباً في بيشاور وإسلام آباد ، وسمحت لهم ما بإصدار النشرات وكتبات دعائية ضد النظام الأفغاني ، قدمت لهم تسهيلات في الرحلات الجوية والبحرية إلى الغرب والدول العربية ، للحصول على مساعدات مالية وسياسية ، إلا أنها لم تكن ترغب بأي تصعيد عسكري داخل الأراضي الأفغانية خوفاً من السوفيت حلفاء النظام الأفغاني ، لأن ذلك سيضع باكستان بين فكي كماشة بين الهند والسوفيت ولهذا كانت معارضة لأي عمل عسكري من جانب التنظيمات الإسلامية المعارضة ، وبذلت وسعها لحظر حركة الأسلحة عبر الحدود^(٤١).

ساعدت السلطات الباكستانية بإنشاء معسكرات للتدريب في بلدة بارساك ضمت عدد من الضباط الأفغان المعارضين للنظام الشيوعي وكانت تلك لإنشاء معسكرات في محيط بيشاور تقع في المنطقة الشمالية الغربية في باكستان وتعد امتداداً جنوبياً وبشرياً لأفغانستان وفي بارتشينا وميرنشا وشامان في الولاية الشمالية الغربية على الحدود مع أفغانستان^(٤٢).

أصبح الاحتلال السوفيتي لأفغانستان عام ١٩٧٩ كابوساً وخشي المسؤولون الباكستانيون من أن يقدم الاتحاد السوفيتي بعد بضع سنوات من التحرك نحو باكستان بلوشستان الإيرانية من طريقهم إلى المحيط الهندي ، وذلك لتعزيز نفوذه باتجاه الجنوب للوصول إلى الخليج العربي ، كان لأبد من منع السوفيت من تحويل أفغانستان إلى دولة تابعة له ، فتبنت سياسة ذات مسارين تجمع بين الدبلوماسية المتفتحة ، تقديم معونات حربية للشوار الأفغان لتفويض نظام بابرارك كارمال ، لإعادة أفغانستان إلى

دور الولايات المتحدة الأمريكية وباكستان في دعم التنظيمات الأفغانية المقاومة للاحتلال السوفيتي لأفغانستان ١٩٧٩-١٩٨٩

وضعه كدولة غير متجاوزة . فأجرت محادثات مع قادة التنظيمات الإسلامية , الذين أوضحوا فيها حاجاتهم الملحة إلى مساعدات حربية متقدمة لتحسين وسائل دفاعهم بما فيها اسلحه مضادة للدبابات , وكان لأبد من تسريب تلك الأسلحة عن طريق باكستان , وهدفها من وراء ذلك تضخيم التكاليف الحربية للقوات السوفيتية , وبالتالي حمله على الانسحاب من أفغانستان^(٤٣).

سعت الحكومة الباكستانية دبلوماسياً إلى إدانة الاحتلال من خلال حث الدول الإسلامية على تبني موقف معارض للاحتلال في مؤتمر لوزراء خارجية الدول الإسلامية دورة استثنائية الذي عقد في إسلام آباد ما بين ٢٧ - ٢٩ كانون الثاني ١٩٨٠ شارك فيه ست وثلاثين دولة إسلامية وعربية , وأعلن فيه إدانة العدوان العسكري , وطالبوا بالانسحاب الفوري غير المشروط لجميع القوات السوفيتية الموجودة في الأراضي الأفغانية , إلا أن السوفيت رفضوا اقتراحات المؤتمر واشترطوا الاعتراف بحكومة بابرار كارمال قبل الشروع بأية مناقشات^(٤٤).

حاول وزير الخارجية الباكستاني (أغا شاهي) إتباع الطرق الدبلوماسية لعقد مباحثات مع الحكومة الأفغانية في بداية عام ١٩٨١ , ضمن إطار قرارات مؤتمر الدول الإسلامية والجمعية العامة للأمم المتحدة والتي أكدت على وجوب عدم مس المجاهدين الأفغان بأي سوء , إلا أن تلك المفاوضات لم تبلغ مبلغ الاعتراف , إذ تدخل السوفيت لمنع الحكومة الأفغانية من الرضوخ لقرارات المؤتمرات الإسلامية أو مؤتمر عدم الانحياز الذي عقد في دلهي في ٩ شباط ١٩٨١ , والذي طالب السوفيت بالانسحاب وعودة اللاجئين إلى ديارهم , فرفض القرار من قبل وزير الخارجية الأفغاني محمد دوست^(٤٥). الأمر الذي سبب انزعاجاً وقلقاً شديدين للحكومة الباكستانية , وذلك من احتمال حدوث تخريب في البلاد بتحريض وتوجيه من السوفيت في منطقة الحدود التي كانا في نزاع بشأنها لسنوات عدة , وتستغل الجماعات القبلية ذات النزعة

الاستقلالية والمنتشرة في مناطق الحدود ولتصبح مصدر تهديد لأمن باكستان , هذا فضلاً عن تخوفها من النظام الأفغاني الموالي للسوفيت من أن ينتهج سياسة تخريب بين الجماعات الباكستانية العرقية (البلوش والبشتون) لتهديد أمن المنطقة^(٦٦). ونتيجة لهذا التهديد الذي فرضه الاتحاد السوفيتي اتجه المسؤولين الباكستانيين نحو الولايات المتحدة للحصول على الدعم العسكري والاقتصادي.

التعاون الأمريكي - الباكستاني لدعم تنظيمات المقاومة الأفغانية :-

أشاع الغزو السوفيتي المخاوف من أن تكون باكستان الهدف اللاحق للسوفيت , ووجدت الحكومة الباكستانية نفسها كدولة تتوسط بين الهند وأفغانستان , وساد الاعتقاد بأن السوفيت سيجعلون من بلاد الأفغان منصة للوثوب عليها للحصول على موطئ قدم أكثر اقتراباً من المياه الدافئة للمحيط الهندي , كان لابد الولايات المتحدة الأمريكية من التحرك لنجدة باكستان ومنع السوفيت من تحقيق ذلك , فتحركت لفتح حوار مع الحكومة الباكستانية بعد فترة من ركود في العلاقات بين الدولتين , أوضح الرئيس جيمي كارتر في خطابه السنوي أمام الكونغرس الأمريكي في ٢٣ كانون الثاني ١٩٨٠ بأننا مستعدون لتجهيز دول المنطقة بالمواد العسكرية التي تساهم جدياً من تحسين وتطوير قدرتها الدفاعية , وعد برامج المساعدات الخارجية جزءاً مهماً من الجهود الأمريكية الرامية إلى تحقيق الاستقرار في المنطقة , ولهذا جددت الحكومة الأمريكية التزامها باتفاقية عام ١٩٥٩ مع باكستان , وتعهدت بموجبها باتخاذ الإجراءات المناسبة لحماية باكستان ضد أي عدوان خارجي قد يمارس ضدها , ومساعدتها في حماية استقلالها وسيادتها^(٦٧). وقد إتاحت هذه الاتفاقية لوكالة المخابرات المركزية باتخاذ مواقع جديدة لإنشاء محطات تنصت أمريكية في باكستان موجهة ضد الاتحاد السوفيتي بدل المحطات التي خسرتها في إيران نتيجة الثورة

دور الولايات المتحدة الأمريكية وباكستان في دعم التنظيمات الأفغانية المقاومة للاحتلال السوفيتي لأفغانستان ١٩٧٩-١٩٨٩.....

الإيرانية عام ١٩٧٩ ، وقد وجدت الحكومة الباكستانية في التعاون السري مع الولايات المتحدة الأمريكية هو الوسيلة الأضمن لمتابعة سياستها الخارجية الإقليمية وأهدافها العسكرية^(٤٨).

اضطرت الحكومة الباكستانية إلى تحمل تبعات تدهور الوضع الداخلي في أفغانستان من قتال واضطراب نتيجة الاحتلال السوفيتي لأفغانستان فبحلول كانون الثاني ١٩٨٠ عبر أكثر من ٤٠ ألف لاجئ الحدود الأفغانية إلى مناطق المجاورة الباكستانية ، كما فر ما لا يقل عن ٣٠ ألف إلى إيران ، فاضطرت السلطات الباكستانية إلى إنشاء ١٢ معسكراً على طول الحدود لإيواء هؤلاء اللاجئين وقدمت لهم مساعدات إنسانية بمساعدة الأمم المتحدة^(٤٩).

لم تكتف السلطات الباكستانية بذلك بل وافقت على عملية نقل السلاح إلى المقاتلين الأفغان على امتداد حدودها البالغة ١٤٠٠ ميل مع أفغانستان بالتعاون مع وكالة المخابرات المركزية بشرط ألا تعترف البلدان التي تصدر السلاح إلى أفغانستان بدور باكستان في هذه العملية ، وأن يتم إعادة نقل السلاح الوارد إليها عبر الحدود على وجه السرعة دون تخزينها في أية مخازن ، كما اشترطت أن لا تزيد كمية السلاح المرسل أسبوعياً عبر أراضيها عن حمولة طائرتين ، وهكذا أصبحت باكستان ممراً لتوريد الأسلحة على هيئة شحنات عادية بالطائرات ، ويتم تغير علاماتها المميزة باستمرار ، تحت إشراف ومتابعة ممثلين من جهاز المخابرات الباكستاني ، ثم يتم تسليم السلاح إلى زعماء التنظيمات الأفغانية الذين ينقلونه عبر الحدود على البغال إلى منطقة المعابر الجبلية ، إذ يجري توزيعه على المقاتلين الأفغان ، مقابل ذلك حصلت على وعود من الحكومة الأمريكية بتقديم قروض طويلة الأجل مقدارها ٣,٢ مليار دولار.

كانت العمليات تتم بسرية وتنسيق عالي بين جهاز المخابرات الباكستانية ووكالة المخابرات المركزية (السي أي أيه) حرصاً على إبقاء حكومة ضياء الحق بعيدة عن الأمر , والذي حاول نفيه مراراً في تصريحاته التي أكدت على أن بلاده ليس لها إيه علاقة بإمداد المتمردين الأفغان بالسلاح^(٥٠).

سعت الولايات المتحدة الأمريكية للسيطرة على خط الإمداد السري وتوزيع الأسلحة وتدريب المقاتلين الأفغان ضد السوفييت , وترأس هوارد هارت Howard Hard مركز السي أي أيه في أسلام آباد (١٩٨١ - ١٩٨٤) , وقد ركز جهوده على الحرب الأفغانية السرية , وسعى إلى تشجيع رجال المقاومة على محاربة السوفييت في مجموعات صغيرة غير منتظمة من خمسين أو مائة رجل , وقد قدر عدد رجال المقاومة آنذاك في الميدان حوالي ما بين عشرين ألفاً وأربعين ألفاً رجل , واعتمدت استراتيجيته على تأمين مئات الآلاف من البنادق وعشرات الملايين من الرصاصات للمقاتلين , وكان شهرياً يزور مناطق الحدود للاطلاع على إخبار الجهاد الأفغاني ضد السوفييت , وقد تضمنت شحنات الأسلحة الأولى التي تم شحنها بنادق لي انقليد الأحادية الطلقة وبنادق من عيار ٣٠٣ وهو سلاح بريطاني أستعمل حتى الخمسينات من القرن العشرين , وكان عملاء (السي أي أيه) قد اشتروا مئات الآلاف من البنادق من اليونان والهند ومن أماكن أخرى , وقاموا بشحنها إلى ميناء كراتشي , كما اشتروا الآلاف من أجهزة اطلاق القاذفات والصواريخ (الأر بي جي) من مصر والصين لاستخدامها في تدمير الدبابات السوفيتية^(٥١).

أعتمد الرئيس الباكستاني محمد ضياء الحق الإسلام السياسي كمبدأ منظم لسياسة بلاده , وشجع على بناء مئات المدارس الدينية على طول الحدود الباكستانية الأفغانية , ومولها لتعليم أطفال اللاجئين الأفغان والباكستانيين أصول الشريعة الإسلامية وتحضير بعضهم للجهاد ضد الشيوعية , وقد شكلت هذه المدارس الحدودية سياجاً

عقائدياً ايديولوجياً بين أفغانستان والشيوعية باكستان , كما تبني مبدأ الجهاد في سبيل الله كإستراتيجية لسياسته , ودعم المقاتلين الأفغان على حدود بلاده مع أفغانستان .

اعترفت الخارجية الأمريكية بأهمية دعم الحكومة الباكستانية لبرنامج وكالة المخابرات المركزية , إذ كتب وزير الخارجية الأمريكي (جورج شولتز George Shultz) في مذكرة سرية إنشاء زيارة الرئيس الباكستاني ل واشنطن أواخر عام ١٩٨٢)) بدون دعم محمد ضياء الحق لا نتهى امر المقاومة الأفغانية , فهو المفتاح الذي سيجبر السوفيت على دفع ثمن باهض مقابل مغامرتهم في أفغانستان ((٥٢). وهذا اعتراف رسمي صريح بدور وأهمية الحكومة الباكستانية في هذه الحرب.

كان التنسيق الأمريكي الباكستاني يتم عن طريق جهاز المخابرات الباكستانية وقد أدى رئيسه الجنرال إخطار عبد الرحمن (١٩٧٨-١٩٨٧) دوراً مهماً في مسألة نقل الأسلحة إلى داخل أفغانستان , وعملية توزيعها على زعماء التنظيمات الأفغانية المقاومة للاحتلال , كما اشرف على عمليات تدريب المقاتلين الأفغان على السلاح في مخيمات على طول الحدود الباكستانية الأفغانية , وقد استعان بعدد من الضباط الباكستانيين لمساعدته في عمليات إيصال المؤن والمساعدات والتدريب العسكري , وتمكن هؤلاء الضباط العسكريين من الاشتراك في القتال إلى جانب المقاتلين الأفغان وكانوا بمثابة مستشارين تلخصت مهمتهم بتقديم التوجيه في العمليات العسكرية والتدريب ومساعدة قادة المجموعات القتالية في التخطيط للعمليات الفدائية ضد القوات السوفيتية .

استمر التعاون بين الجنرال إخطار عبد الرحمن وهوارد هارت , وكانا يتشاوران عند اقتراب كل سنة مالية جديدة , ويدونان قوائم الأسلحة والأموال التي يحتاج إليها المقاتلون الأفغان , ثم ترسل هذه اللائحة إلى مقر الوكالة المركزية في لا نغلي . وقد اشترى هوارد هارت قافلة من الشاحنات لحساب جهاز المخابرات الباكستانية هذا

فضلاً عن الخيول والبغال لاستخدامها في نقل شحنات السلاح من مستودعات السلاح في راوليندي وكوبتا إلى مناطق الحدود اذ يتم شحنها وتوزيعها إلى داخل أفغانستان , وبلغت الأموال التي رصدت للتنظيمات الأفغانية عام ١٩٨١ حوالي ثلاثين مليون دولار^(٥٣). وبموجب الاتفاق التعاوني فقد أعفيت جميع الشحنات المخصصة للاجئين الأفغان من التفتيش الجمركي , وفي أواخر عام ١٩٨٢ تلقت وكالة المخابرات المركزية امراً من الحكومة الأمريكية بزيادة توريد الأسلحة البازوكا وقاذفات القنابل والألغام والمدافع البسيطة وقذائف الكتف المضادة للطائرات تم نقلها براً وبحراً .

استمر الدعم المادي والمعنوي الأمريكي للمقاتلين الأفغان فأثناء زيارة وزيرة الخارجية الأمريكية جورج شولتز إلى باكستان عام ١٩٨٣ وخطبته بعده الأف من اللاجئين الأفغان " أود أن تعرفوا أنكم لستم وحدكم في حركم , واستطيع أن اوكد لكم أن الولايات المتحدة كانت وستظل إلى جانبكم وسوف تدافع عن قضيتكم مستقبلاً " وارتفع مستوى الدعم الأمريكي إلى ٧٥ مليون دولار سنوياً , وتوسعت منظومة المعنويات لتشمل القنابل اليدوية وأجهزة اللاسلكي والعقاقير الطبية والذخيرة والرشاشات والبنادق والقناصة وكل هذا كان ينقل بقوافل في الليل محاولة الهرب من كشافات الطائرات الروسية التي كانت تخلق على ارتفاع منخفض^(٥٤).

أسفرت حصيلة الدعم الأمريكي لرجال المقاومة الأفغانية عن تكبيد القوات السوفيتية الموجودة في أفغانستان خسائر فادحة , ففي مذكره رفعها مدير وكالة السي أي أيه وليام كايسي (١٩٨١-١٩٨٧) إلى الرئيس الأمريكي رونالد ريغان ومجلس الأمن القومي الأمريكي في كانون الثاني ١٩٨٤ عن تقديم الحرب السرية في أفغانستان عن السنوات الأربع التي مضت من وصول شحنات السلاح إلى المقاتلين الأفغان عن قتل وجرح حوالي سبعة عشر ألف جندي سوفيتي , والسيطرة على حوالي ٦٢ في المئة من الريف الأفغاني , الأمر الذي اجبر السوفيت على زيادة انتشارهم في أفغانستان

دور الولايات المتحدة الأمريكية وباكستان في دعم التنظيمات الأفغانية المقاومة للاحتلال السوفيتي لأفغانستان ١٩٧٩-١٩٨٩.....

ثلاث أو أربع مرات للتصدي لعمليات المقاومة , التي دمرت حوالي ٢٧٥٠ دبابة سوفيتية وناقلات مدرعة , و ٨٠٠٠ شاحنة وسيارة جيب ومركبات أخرى , ووصلت قيمة الخسائر إلى حوالي ١,٢ مليار دولار , الأمر الذي شجع أعضاء الكونغرس الأمريكي على زيادة الدعم المالي والموافقة على ادخال المزيد من الاسلحة المتطورة في الميزانية السنوية التي خصصتها (السي أي أيه) لبرنامج العمليات السرية الأفغانية ليصل مقدار الأنفاق المالي حتى عام ١٩٨٤ إلى ٢٠٠ مليون دولار .وقد أنفقت هذه الأموال لشراء الأسلحة والذخيرة , وشراء مئات الشاحنات من أجل نقل الأسلحة والمعدات لتصل إلى الحدود , ولشراء واستئجار المئات من البغال والخيول والأعلاف , ومواد البناء والأدوات والمعدات لبناء المستودعات وقواعد التدريب , وهذا فضلاً عن الخيام والملابس والمعدات الطبية

كان الرئيس الأفغاني بابر كاركمال قد أوضح أمام المؤتمر الخاص بالنظام الإعلامي الدولي الجديد الذي عقد في أواخر عام ١٩٨٤ , أن العمليات التي يشنها المقاتلين الأفغان ضد القوات السوفيتية والقوات الحكومية الأفغانية هي من أكبر العمليات ضد التقدم الاقتصادي والاجتماعي لأفغانستان , وأن الحكومة الأمريكية قد أنفقت حوالي مليار دولار عليها , وأشرفت على حوالي ١١٠ معسكر في باكستان لتدريب المقاتلين الأفغان , واعتبرهم الإدارة السياسية لتنفيذ سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة , إذ تقوم هذه المعسكرات بنشاطاتها تحت إشراف المدربين الأمريكيين والباكستانيين والصينيين , وهم يرسلون حوالي أكثر من ٤٠ ألف شخص سنوياً إلى منطقة الحدود الباكستانية - الأفغانية مزودين بالأسلحة والأموال للقيام بإعمال تخريبية للاقتصاد الأفغاني , وقدر خسائر أفغانستان بحوالي ٣٤ مليار أفغاني^(٥٥).

دور الولايات المتحدة الأمريكية وباكستان في دعم التنظيمات الأفغانية المقاومة للاحتلال السوفيتي لأفغانستان ١٩٧٩-١٩٨٩.....

ساهم طول الحدود الباكستانية - الأفغانية , ولاسيما حوالي ٩٠% منها جبلية في أن تضم مستودعات للأسلحة ومخازن للذخيرة في الجبال , ومناطق لانطلاق المجموعات القتالية الأفغانية لتنفيذ عملياتها ضد القوات السوفيتية , وقد شجعت التقارير الواردة عن التقدم الذي أحرزته التنظيمات الأفغانية نائب الرئيس الأمريكي جورج بوش George .w. Bush على زيارة باكستان في أيار ١٩٨٤ , والتأكيد للمسؤولين الباكستانيين ولزعماء التنظيمات الأفغانية المقاومة تأييد حكومته لقضيتهم , وقدم شحنه جديدة من المساعدات الإنسانية , وقد نشرت محلية الناظم الأمريكي أنداك وصفاً مفصلاً لخط التمويل لوكالة المخابرات المركزية الذي يمتد من الملكة العربية السعودية إلى داخل أفغانستان^(٥٦). وقدرت مجلة ديبلوماسك

الفرنسية من عددهم الصادر في أيلول ١٩٨٤ الحجم السنوي للمعنوية الذي قدم للاجئين الأفغان نحو ٦٠٠ مليون دولار سنوياً . كما قامت الوكالة بطبع الأف النسخ من القرآن الكريم المترجم إلى لغة الاوزبك في كانون الأول عام ١٩٨٤ وشحنتها الى باكستان , ثم أرسلت إلى شمال أفغانستان لتوزع على المقاتلين الأفغان هناك , ثم لتصل إلى داخل الحدود السوفيتية وليوزع بين المسلمين الاوزبك دعماً منها لتلك المجموعات الإسلامية .

سعت وكالة المخابرات المركزية دعمها لتنظيمات المقاومة الأفغانية بعد موافقة الرئيس الأمريكي رونالد ريغان في آذار ١٩٨٥ على تزويدهم بتقنيات حديثة لمساعدتهم على إيقاع أكبر قدر ممكن من الخسائر في القوات السوفيتية ومنها صور الأقمار الصناعية عن أماكن تجمع القوات السوفيتية . لمساعدة المقاتلين الأفغان في التخطيط لشن هجمات عليها , وإرسال مجموعات من وحدات الاتصالات التي تتيح للمقاتلين الأفغان استعمال تقنيات أمريكية للحد من تنصت السوفيت على اتصالاتهم اللاسلكية , كما حصلوا على تدريبات تحت إشراف ضابط المخابرات الباكستانية على

استخدام المواد المفجرة , وبدأت وفود من ضباط المخابرات الأمريكية تصل إلى باكستان حاملين خرائط التقطتها الأقمار الصناعية ووحدات من القوات الخاصة لتعطي دروساً في المواد المتفجرة المتطورة . هذا فضلاً عن شحنات من الأسلحة الحديثة ومنها صواريخ مضادة للطائرات وبندقيات قناصة بعيدة المدى ومناظير للرؤية الليلية وأجهزة توقيت من أجل المتفجرات البلاستيكية ومعدات تنصت الكترونية^(٥٧). وكل ذلك من أجل إلحاق أكبر قدر من الخسائر المادية والبشرية بالقوات السوفيتية , وإجبارها على الانسحاب من أفغانستان, وقد أدى الضباط الباكستانيين دوراً مميزاً من تدريب أعضاء التنظيمات المقاومة الأفغانية على استخدام السلاح , وعمليات التنسيق لحماية تشكيلات المقاتلين التي تتسلل إلى الأراضي الأفغانية , وتهاجم القوات السوفيتية ثم تتسحب , ولم يكتفوا بذلك بل شاركوا في قيادة بعض المعارك ضد السوفييت , وأدى هذا التنسيق إلى إيقاع خسائر فادحة في صفوف القوات السوفيتية , ولاسيما أن الحرب الأفغانية اتسمت بالعنف , واستخدم السوفيت أساليب عنيفة ضد الأفغان , تميزت بالقصف الجوي العشوائي للقرى والمدن الأفغانية وبمذابح مدينة واسعة النطاق , واشتد الأمر بعد دخول الأسلحة الحديثة ومنها صواريخ مضادة للطائرات في المعركة والذي تسبب بخسائر مادية للقوات السوفيتية , فقد كان سعي كل فريق من تنظيمات المقاومة الأفغانية ومساعدتها من الباكستانيين والأمريكان أو الفريق الآخر من القوات السوفيتية إلى إيقاع أكبر قدر من الخسائر وتدميره وتخويله وإرباكه بجمع الوسائل المتاحة .

كان العميد محمد يوسف مدير العمليات الأفغانية في المخابرات الباكستانية بين عامي ١٩٨٣ - ١٩٨٧ وحلقة الوصل بين الجانب الأمريكي وزعماء التنظيمات الأفغانية , إذ كان يشرف على معسكرات التدريب السرية , واحتفظ بسجلات تسليم الأسلحة واستلم خرائط الأقمار الصناعية , ورافق المقاتلين الأفغان من وقت لآخر في مجموعات قتالية في عمليات فدائية و كان الموجه لتلك العمليات , ضد أهداف

سوفيتية في العاصمة كابول , وفي عام ١٩٨٥ شحنت وكالة المخابرات المركزية إلى جهاز المخابرات الباكستانية أطنانا من المتفجرات البلاستيكية من أجل عمليات التخريب , كما أمنت المخابرات البريطانية عبوات مغناطيسية لنسف عواميد الجسور التي أقامها السوفيت , كما تضمن البرنامج الأفغاني للوكالة تأمين إعداد كبيرة من أنظمة الأسلحة المزودة الاستعمال أي التي تستعمل ضد الأهداف العسكرية , أو في العمليات الفدائية أو الاغتيالات , وتضمنت هذه الأنظمة الصواعق الالكترونية جديدة والمتفجرات البلاستيكية ورزماً من البندقيات القناصة. لقد بذلت الحكومة الأمريكية جهوداً كبيرة من أجل دعم التنظيمات الأفغانية لتحسين نوعية العمليات العسكرية التي تنفذها , وبلغت ميزانية البرنامج الأفغاني لعام ١٩٨٥ (٢٥٠) مليون دولار , أي ما يعادل قيمة الأموال المخصصة للأعوام السابقة مجتمعة .

ساعدت الأموال والسلاح المتدفقة على باكستان العميد محمد يوسف ومساعديه (يبلغ عددهم ٦٠ ضابطاً فضلاً عن ٣٠٠ من كبار ضباط الصف ورجال الجيش الباكستاني) على إنشاء بنى تحتية شاسعة ومتطورة وسرية في مخيمات الأفغان على الحدود الأفغانية التي انضم إليها آلاف المتطوعين الجدد , ووصل العدد في بداية عام ١٩٨٦ إلى ما بين ١٦ ألف و ١٨ ألف متطوع في صفوف تنظيمات المقاومة , تلقى هؤلاء تدريبات أساسية لمدة أسبوعين أو ثلاث على استخدام الأسلحة الهجومية وإطلاق النار منها , ثم تم اختيار الأفضل بينهم لمتابعة التدريبات على أسلحة وتكتيكات أكثر تعقيداً , كما أنشأت مخيمات تدريب متخصصة بالأعمال التفجيرية وعمليات تفخيخ السيارات , واستخدام الأسلحة المضادة للطائرات والبندقيات القناصة والألغام الأرضية , وانتشر هؤلاء المتخرجين في أفغانستان مع ذوبان الثلوج في ربيع عام ١٩٨٦ , واستطاع هؤلاء إلحاق خسائر فادحة في القوات السوفيتية المنتشرة في القرى والمدن الأفغانية , واستولوا على مواقع عسكرية تعود إلى الحكومة الأفغانية^(٥٨). في الوقت

دور الولايات المتحدة الأمريكية وباكستان في دعم التنظيمات الأفغانية المقاومة للاحتلال السوفيتي لأفغانستان ١٩٧٩-١٩٨٩

نفسه اعتمد الكونغرس الأمريكي مبلغ نصف مليون دولار في آذار ١٩٨٦ لإنشاء مركز إعلامي للمقاتلين الأفغان في بيشاور ، وتولت السفارة الأمريكية في أسلام آباد إدارته وأصبحت الناطق الرسمي باسم مقاتلي المقاومة الأفغانية ، للإعلان عن الانتصارات التي تحقّقها التنظيمات الأفغانية المقاومة للاحتلال السوفيتي .

في الوقت ذاته استجابت الحكومة الأمريكية لطلبات المخابرات الباكستانية وقررت " تزويد المقاتلين في أفغانستان بعده مئات من صواريخ ستنجر المضادة للطائرات " واعتبر ذلك تحولاً في السياسة الأمريكية وبعد تردها في السنوات الماضية في تزويد ثوار العالم الثالث بأسلحة متطورة ، وذلك بسبب ضغط المتشددین في وزارة الدفاع ووكالة المخابرات المركزية (السي آي آيه) وتأييد من الوزراء المحافظين في الحكومة الأمريكية . وكانت المخابرات الباكستانية قد طالبت الجانب الأمريكي بتزويدها كل سنة بـ ٢٥٠ جهاز إطلاق مع ١٠٠٠ إلى ١٢٠٠ صاروخ ستنجر مضاد للطائرات لاستخدامه ضد الطيران السوفيتي ، ويروي العميد محمد يوسف في كتابه " فخ الدب " عن عدد الصواريخ التي استخدمت في المعارك في أفغانستان في مدة خدمته في المخابرات الباكستانية لم تتجاوز ١٨٧ صاروخاً ، وقد أصابت ٧٥ بالمئة من أهدافها . والواقع أن الحكومة الباكستانية قد استغلت دورها في إيصال السلاح إلى زعماء التنظيمات الأفغانية ، وصارت كميات كبيرة من شحنات السلاح الأمريكي لصالح الجيش الباكستاني بحجة حاجاتها إليها للدفاع عن حدودها مع أفغانستان^(٥٩) .

دخلت صواريخ ستنجر الخدمة الفعلية في نيسان ١٩٨٦ إلى أيدي المقاتلين الأفغان ضد الطيران السوفيتي ، وكانت المواجهة بين الصواريخ الأمريكية وطائرات السوخوي السوفيتية مثار اهتمام خبراء الأسلحة في العالم . كما استخدمته الوحدات الحدودية الباكستانية للرد على حالات كثيرة من خرق المجال الجوي الباكستاني ، وقصف القرى الحدودية ومعسكرات المقاتلين من قبل الطائرات السوفيتية ، مما اضطر

القوات الباكستانية إلى استخدام تلك الصواريخ على قمم الجبال الأفغانية وتكوين خط دفاعي أمامي للدفاع عن مناطق الحدود الباكستانية المستهدفة^(٦٠).

أجبرت الخسائر الفادحة التي تكبدتها القوات السوفيتية في أفغانستان إلى إعلان استعدادها للانسحاب من أفغانستان ، إذ صرح الأمين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ميخائيل غورباتشوف Mikhail Garbchev عن عزم بلاده الانسحاب من أفغانستان ، كما أزاح بابراك كارمال عن رئاسة الجمهورية ، لإفساح المجال لتسوية سياسية ، فالنظام الأفغاني لم يكن مقبولاً في الداخل ولا في خارج أفغانستان ، وتتصيب الدكتور نجيب الله رئيساً للجمهورية في نيسان ١٩٨٦ ، وكان لابد للانسحاب العسكري من تغطية عسكرية وانتصارات لحماية هيئة الدولة المنسحبة ، وعقدت الجولة السابعة من المباحثات في أيار ١٩٨٦ بشأن القضية الأفغانية كانت قد سبقتها جولات بين ممثلي الحكومتين الأفغانية والباكستانية بإشراف الأمم المتحدة ، وكان ميخائيل غورباتشوف قد صرح بأن اتفاقاً قد تم بينه وبين الأفغانية الجديدة بصدد انسحاب القوات السوفيتية . وتسريت نباء من العاصمة الباكستانية إسلام آباد بأن السوفييت قد قدموا اقتراحاً بقضي بسحب قواتهم خلال عام واحد ، واشترطت ضمانات بعدم مهاجمة قواتها من قبل فصائل المقاومة الأفغانية على اعتبار أن المخابرات الباكستانية هي المهيمنة على تحركات تلك الفصائل إلا أن الجانب الباكستاني أصر على مدة انسحاب قدرها ستة أشهر فقط هذا فضلاً عن شروط أخرى هي:-

انسحاب القوات السوفيتية من أفغانستان ، ووقف أي تدخل أجنبي في أفغانستان ، مع تعهد البلدين بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لكل منها ، وضمانات دولية بوقف التدخل في أفغانستان ، وعودة المهاجرين الأفغان إلى بلادهم . والواقع أن هذا التغير

في الموقف السوفيتي إنما يدل على مدى تأثير عمليات المقاتلين الأفغان في الداخل وقناعة السوفييت باستحالة استمرار بقاء قواتهم في أفغانستان .

لم تبقى العلاقة بين زعماء التنظيمات الأفغانية والحكومة الأمريكية في طي الكتمان ، بل تم الإعلان عنها دولياً ففي ١٥ أيار ١٩٨٦ زار رئيس الجمعية الإسلامية برهان الدين رباني ، مع وفد ضم زعيم الجبهة الوطنية الأفغانية صبغة الله مجددي ، وزعيم الجبهة الوطنية الإسلامية لتحرير أفغانستان سيد احمد جيلاني ، وزعيم حركة الانقلاب الإسلامي محمد نبي محمدي ، التقوا فيه الرئيس رونالد ريغان الذي بارك فيه الانتصارات التي حققها مقاتليهم على القوات السوفيتية وجدد دعم بلاده لهم ، وفي هذا الصدد يذكر الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون Richard Nixon في كتابه (نصر بلا حرب) أن الولايات المتحدة لم تسلح وتقوي تياراً إسلامياً معادياً لمصالحها في أفغانستان ، لأن ذلك يتعارض مع القوانين الأمريكية لنظام المساعدات الخارجية ، وأكد ريتشارد نيكسون أن قادة المنظمات قد جرى اختيارهم بنفس الدقة التي اختارت بها الولايات المتحدة زعماء منظمة الكونترا (منظمة استخدمتها وكالة المخابرات الأمريكية لمقاومة حكومة نيكارجوا الشيوعية) ، وكان هؤلاء يتقاضون رواتب شهرية من وكالة (السي أي أيه) تتراوح ما بين ٢٠ ألفاً و ٢٥ ألف دولار أمريكي في الشهر ، اما القادة الأكثر تأثيراً قد تقاضوا ٥٠ ألف دولار ، فيما تقاضى القادة الذين يملكون تأثيراً مختصراً في ولاية أو أكثر على ١٠ آلاف دولار ، وكان مكتب الوكالة في أسلام آباد قد وسع قائمة التعيينات لتشمل عملاء وقادة أفغان من دون تدخل المخابرات الباكستانية ، وطلب منهم تتبع عمليات توزيع الأسلحة والفساد الباكستاني والتطورات في ساحة المعركة ، وارتفع عدد العملاء الأفغان في شبكات وكالة (السي أي أيه) إلى حوالي ٥٠ قائداً وعميلاً ، أدى ذلك إلى عدد كبير من الاتصالات التي كان لابد من

أبقائها سرية وبعيدة عن المخابرات الباكستانية , وقد حمل هؤلاء القادة الذين تقاضوا رواتب من الوكالة القابا رمزية تستخدم عند إرسال البرقيات^(٦١).

حاول الرئيس الباكستاني محمد ضياء الحق تحقيق أكبر مكاسب ممكنه من التعاون مع الولايات المتحدة لبلاده , ولاسيما أن هذا التعاون قد حقق أهم أهدافه , وهو إعلان السوفيت عن نيتهم في الانسحاب من أفغانستان , فطالب وبكل صراحة أثناء زيارته إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٦ الرئيس رونالد ريغان بمضاعفة المساعدات الأمريكية لبلاده بنسبة مئة بالمائة , إلا أن الإدارة الأمريكية وافقت على زيادة تلك المساعدات بنسبة ٢٥ بالمائة فقط لتبلغ ٤٢ مليار دولار ضمن برنامج يبدأ من أيلول ١٩٨٧ وينتهي عام ١٩٩٣ , وبهذا تكون باكستان قد احتلت المرتبة الثالثة في قائمة الدول التي تتلقى المساعدات الأمريكية , والواقع أن الحكومة الباكستانية كانت تحاول الحصول على مكاسب مادية وسياسة ومكانه دولية وإطماع إقليمية على حساب جارتها أفغانستان , لأن القضية الأفغانية كانت في طريقها إلى الحل , الا ان الحكومة الأمريكية كانت تدرك ذلك ولم تترك الفرصة للحكومة الباكستانية لابتزازها فقد ألغت برنامج المساعدات في منتصف المدة في عام ١٩٩٠ أي عندما انتهت الحاجة إليها^(٦٢).

سعت القوات السوفيتية للحد من عمليات تهريب السلاح من المناطق الحدودية , ونشرت حوالي ٥٠ ألف جندي سوفيتي لغلق الحدود بين باكستان وأفغانستان , لكنهم لم يتمكنوا من إغلاق جميع قنوات التهريب , واستمرت القوافل التي تحمل السلاح على البغال بالتدفق , الأمر الذي أجبر القيادة السوفيتية على الاعتراف بفشل قواتها في القضاء على عمليات المقاومة , فاضطرت إلى تبني إستراتيجية جديدة في تشرين الثاني عام ١٩٨٦ هو إنهاء الحرب في سنة أو سنتين إلى أبعد حد وسحب قواتها من أفغانستان^(٦٣). كانت بيشاور مدينة مستودعات السلاح والإعمال الخيرية بفضل الأموال

دور الولايات المتحدة الأمريكية وباكستان في دعم التنظيمات الأفغانية المقاومة للاحتلال السوفيتي لأفغانستان ١٩٧٩-١٩٨٩

والأطعمة والشاحنات والأدوية التي يتم شحنها إلى باكستان ، وتوسعت سمات الجهاد الإنساني مع توسع الحملة العسكرية ، وتضاعف الكميات التي أرسلت في الستة أشهر الأخيرة من عام ١٩٨٦ إلى ثلاثة أضعاف من وكالات الأمم المتحدة والجمعيات الخيرية الأوروبية ووكالة الإغاثة الأمريكية التي احتشدت في بيشاور من أجل بناء المستشفيات والمدارس ومراكز التغذية والعيادات تأمين خدمات الإسعافات عبر الحدود ، وتم تنفيذ برنامج مدرسي تديره جامعة نبراسكا في ١٣٠٠ موقع داخل أفغانستان ، هذا فضلاً عن تخصيصات الكونغرس لبرنامج العمليات السرية الأفغانية للسنة المالية ١٩٨٦ حوالي ٤٧٠ مليون دولار ، ثم رفع المبلغ إلى ٦٣٠ مليون دولار عام ١٩٨٧ .

وصل عدد المقاتلين المتطوعين الذين تدبروا في معسكرات بيشاور كويت ١ إلى أكثر من ٨٠ ألف مقاتل وتم توزيع مئات الألف من الأطنان من الأسلحة والذخيرة عليهم للقيام بعمليات فدائية داخل الأراضي الأفغانية . ويمكن تلخيص مهام وكالة المخابرات المركزية (السي أي آية) في باكستان بشراء الأسلحة والمعدات وترتيب نقلها إلى أفغانستان ، وتوفير الأموال اللازمة لشراء المركبات ووسائل النقل داخل باكستان وأفغانستان وتدريب المدربين الباكستانيين على الأسلحة والمعدات الجديدة ، وتزويدهم بصورة الأقمار الصناعية ، وتوفير المعدات الراديو والتدريبات وتقديم المشورة بشأن المسائل التقنية إما مهام جهاز المخابرات الباكستاني فيمكن تلخيصه بالتخطيط للعمليات الغذائية وتدريب المقاتلين الأفغان ، وتوزيع الأسلحة والإمدادات والأموال على فصائل المقاومة الفدائية^(٦٤).

دفعت تطورات الموقف الدبلوماسي ، ومسير جولات المحادثات لحل القضية الأفغانية ، الرئيس الباكستاني محمد ضياء الحق إلى إجراء تغييرات في رئاسة المخابرات الباكستانية ، وبضغط من الإدارة الأمريكية في آذار ١٩٨٧ إلى إقالة الجنرال أخطر عبد الرحمن ، وتعين الجنرال حميد غول ، والواقع أن السبب الحقيقي هو الخوف

من ظهور قيادات ميدانية تتجمع حولها مجموعات المقاتلين لتستقل بقرارها السياسي والعسكري بعيداً عن المواجهين لحركة المقاومة الأمريكي والباكستانية , ولاسيما أن الجنرال أختر عبد الرحمن كان هو المخطط الاستراتيجي لحركة المقاومة الأفغانية , وأشرف على تنفيذها واستطاع أن يكبد القوات السوفيتية خسائر فادحة على أيدي المقاتلين الأفغان , في الوقت الذي كان السوفيت يتكلمون عن انسحاب قواتهم والحديث عن تسويات سياسية والقبول بحكومة ائتلافية في أفغانستان , ومنع التنظيمات الإسلامية الأفغانية من استلام السلطة في كابول^(٦٥).

كان موقف الحكومة الباكستانية نابعا من مخاوفها الإقليمية , ورغبت بان يتم الاتفاق على حكومة أفغانية مؤقتة قبل خروج السوفيت من أفغانستان , وذلك لتأمين الاستقرار عند الحدود الباكستانية الغربية , ولتكون حليفة له تحمي المصالح الباكستانية من الهند ولتمنع إي اضطراب قد يقع بسبب القبائل البشتونية داخل الأراضي الباكستانية , ولهذا وافقت الحكومة الباكستانية أثناء جولة المفاوضات التي عقدت في جنيف في آذار وأيلول ١٩٨٧ والتي وافقت فيها على كل العروض السوفيتية , وخطرت زعماء التنظيمات المقاومة بان التسوية وشيكة وعليهم الاستعداد لذلك , واحتمال إغلاق المنافذ الحدودية بواسطة قوات دولية ودفعت زعماء التنظيمات إلى السعي نحو تشكيل حكومة منفى ونقل عملها الإداري إلى داخل أفغانستان^(٦٦).

اتهم السوفييت طوال سنوات احتلالهم لأفغانستان الحكومة الباكستانية بإثارة المقاتلين الأفغان ضد النظام الأفغاني الحليف لهم , وفي كل جولات المحادثات التي جرت في جنيف بين مندوبي الحكومة الباكستانية والأفغانية والتي استمرت في ١٩ تموز ١٩٨٢ حتى توقع الاتفاقية بين الجانبين في ١٤ نيسان ١٩٨٨ , لم تعترف الحكومة الباكستانية بالدعم الذي كانت تقدمه لهم , إلا أن هذا الأمر لم يستمر , وتم التوصل إلى تسوية لهذا الحرب بالتوقيع على اتفاقيتين تضمنت الأولى مبادئ العلاقات

المتبادلة وعدم التدخل , وتطبيع العلاقات بينهما وتعزيز حسن الجوار , ودعم السلم والأمن العالمين في المنطقة إذ نصت مواده على إنشاء العلاقات بين البلدين وفق مبادئ عدم التدخل بينهما , والامتناع عن استخدام أو التهديد بالقوة العسكرية أحدهما ضد الآخر , وكذلك الامتناع عن التدخل المسلح والتخريب والاحتلال العسكري , والامتناع عن تشجيع أو تأييد أنشطة التمرد أو الانفصال الموجهة ضد الطرف المتعاقد مع الطرف الآخر , ومنع أي مساعده للمجموعات الإرهابية أو المخبين , وعدم قيام الطرف المتعاقد على إيواء أفراد أو مجموعات سياسية في مخيمات أو قواعد , والامتناع عن تنظيم وترتيب وتمويل وتجهيز وتسليح هؤلاء الأفراد والمجموعات لغرض إحداث الاضطراب والفوضى في إقليم الطرف الآخر .

أما الاتفاق الثاني الذي وقعه الجانبان بشأن عودة اللاجئين الأفغان إلى بلاده تنص المادة الأولى منه على إتاحة الفرصة لكافة اللاجئين المتواجدين في إقليم جمهورية باكستان للعودة إلى ديارهم , وعلى أن يكون ذلك بالتعاون مع مفوض الأمم المتحدة للشؤون اللاجئين , ويبدأ نفاذ هذان الاتفاقان في ١٥ أيلول ١٩٨٨ .

صدر إعلان بشأن الضمانات الدولية نص على أن "حكومتي اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية والولايات المتحدة الأمريكية , تعبران عن تأييدهما لقيام جمهورية أفغانستان وجمهورية باكستان الإسلامية بإبرام تسوية سياسية متفاوض عليها تستهدف تطبيع العلاقات وتعزيز حسن الجوار بين البلدين , وحرصا منها على دعم السلم والأمن العالمين في المنطقة ورغبة منهما في المساهمة في تحقيق الأهداف التي رسمتها جمهورية أفغانستان وجمهورية باكستان الإسلامية وبغية تأمين احترام سيادتهما واستقلالهما وسلامتهما الإقليمية وعدم انحيازهم . ويتعهدان بالامتناع الصارم عن التدخل بأي شكل من الأشكال في الشؤون الداخلية لجمهورية أفغانستان وجمهورية

باكستان باحترام الالتزامات التي يتضمنها الاتفاق الثنائي المبرم بينهما المتعلق بمبادئ العلاقات الثنائية وعدم التدخل.

وطبقاً للجدول الزمني المتفق عليه بين اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية وجمهورية أفغانستان فإن الانسحاب تم على مرحلتين بدأ بانسحاب نصف القوات في ٥ آب ١٩٨٨ على أن تتسحب بقية القوات في غضون التسعة أشهر .

صدفت الاتفاقيات في جنيف وقعها ممثلين عن حكومات الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وباكستان وأفغانستان على شروط الانسحاب السوفيتي في أفغانستان , لم تشترك التنظيمات المقاومة الأفغانية في المفاوضات , واستنكر البعض منهم الاتفاقية واعتبراها مؤامرة ضد قضيتهم^(٦٧). والواقع أن تلك الاتفاقيات تمت بين الجانبين الأمريكي والسوفيتي , وكان السوفييت يأملون في اقتناع الأمريكيان بوضع حد للمساعدات التي يقدمونها لتنظيمات المقاومة الأفغانية , إلا أن الأمريكيان وجدوا أنه ليس من العدل أن يستمر السوفيت بدعم نظام الرئيس الأفغاني نجيب الله , في الوقت الذي أجبرت الاتفاقيات الموقعة في جنيف الولايات المتحدة على إيقاف تقديم المساعدات للمقاتلين الأفغان^(٦٨).

خسرت تنظيمات المقاومة الأفغانية الأب المؤسس والداعم الموجه لها بعد حادثة سقوط الطائرة الباكستانية في ١٧ آب ١٩٨٨ قرب بوالبور , إذ كان على متنها الرئيس الباكستاني محمد ضياء الحق والجنرال إخطار عبد الرحمن والسفير الأمريكي ارنولد رافيل فضلاً عن ضباط عسكريين باكستانيون وأمريكان يشاهدون عرضاً عسكرياً لدبابات أراد الأمريكيون تسويقها لهم , وكانوا في طريق العودة إلى أسلام آباد , إذ ارتطمت الطائرة بعد دقائق من الإقلاع من الأرض وتناثرت أجزائها^(٦٩).

وتنفيذ لاتفاقيات جنيف انسحبت الفرقة الأخيرة من القوات السوفيتية من العاصمة كابول سالكة طريق سلانغ , وأقام قائد الجيش الأربعين بوريس غروموف

Boris Gromov احتقالاً في ١ شباط ١٩٨٩ فوق جسر ترميز (الذي يمتد باتجاه أوزبكستان)^(٧٠). كما اقيم احتفال آخر في السفارة الأمريكية في أسلام آباد أرسل فيها ميلتون بيردان Milton Berdan رئيس مركز السي أي أيه في أسلام آباد (١٩٨٦-١٩٨٩) برقية إلى مقر الوكالة في لانغلي كتب فيها "انتصرنا"^(٧١).

ان التوسع والهيمنة على العالم كان أحد جذور الصراع والتنافس بين القوتين العظيمتين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي , ولم يكن باستطاعة الاتحاد السوفيتي أن يقف صامتاً أمام تزايد القواعد العسكرية الأمريكية وانتشار الأنظمة الموالية للأميركيين في العالم للوصول إلى المواقع الإستراتيجية والثروات , وبناء على ذلك حاول الاتحاد السوفيتي امتلاك مثل هذه المواقع , وأقدم على احتلال أفغانستان لضمان مصالحه فيها ولإيجاد منفذ إلى المحيط الهندي الأمر الذي سيمكنه من ممارسة ضغوط سياسية وعسكرية في منطقة الخليج العربي وحماية أمن الاتحاد السوفيتي من الجنوب أصبح التهديد السوفيتي حقيقة واقعة في أفغانستان , مع غياب حكومة مستقرة مركزية قوية في إيران في أعقاب الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ , فأصبح هدف الأمريكان جعل السوفيت يدفعون ثمناً باهظاً لقاء عملهم العدواني في أفغانستان , واستخدمت الولايات المتحدة الأمريكية كل الوسائل لضمان نفوذهم في المنطقة . فضلت الحرب غير المعلنة بدعم المنظمات الأفغانية وحثها على القتال لمدة غير طويلة غير محدودة الأجل , إذ كان لابد من منع السوفيت من تحويل أفغانستان إلى دولة تابعة لهم على نموذج الدولة الشرقية، ولضمان ذلك تعاون الأمريكان مع حلفائهم القداماء الباكستانيين . لقد انطوت الإستراتيجية السوفيتية طويلة المدى في الشرق الأوسط على عزل وتحييد حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية ولاسيما باكستان وتركيا ومنع إيران من العودة إلى خطيرة الغرب , وجعل أفغانستان نقطة انطلاق إلى الخليج العربي . كان لابد من استخدام باكستان كممر لتهريب الأسلحة للتنظيمات الأفغانية المقاومة ليحسنوا وسائلهم

الدفاعية، كان لابد من تسريب الأسلحة عن طريق باكستان والهدف هو تضخيم تكاليف الحرب الداخلية والدولية وبالتالي حملة على الانسحاب من أفغانستان.

عارضت الولايات المتحدة الأمريكية الاحتلال السوفيتي لأفغانستان بشدة ونظرت إلى رغبتهم في استخدام قوتهم الحربية التي تزايدت باضطراد فيما وراء حدودهم بطرق تهدد مصالح الولايات المتحدة وتهدد السلام والاستقرار والحربة في إقليم جنوب آسيا الوسطى وفي كل أنحاء العالم ، كان لابد من توقف هذا العدوان وأن لا تسمح له بالنجاح ، ولتحقيق ذلك ألجأت إلى وسائل عدة منها إثارة الاهتمام الدولي لتشجيع المقاومة الأفغانية على الصمود والضغط على السوفيت كي ينسحبوا ويتركوا أفغانستان لشعبها ، فعملت على التعاون مع الحكومة الباكستانية بحثاً عن تسوية سياسة مقبولة لمشكلة أفغانستان ، وسعت كلتا الدولتين مع المجتمع الدولي عن الطريق محاولات عدة كي يحضر السوفييت للتفاوض من خلال المحافل الدولية .

كانت برامج المساعدة الخارجية جزءاً مهماً من مجمل البرامج والجهود الأمريكية الرامية إلى تحقيق الاستقرار في المنطقة وسياسة الولايات المتحدة احتوت في مفاهيمها على عناصر الدبلوماسية والاقتصادية والسياسية وحتى العسكرية المكونة للقوة الأمريكية. كان هدف المخابرات الباكستانية جعل أفغانستان فيتنام للسوفيت وأخذت على عاتقها قيادة أكبر حملة عصابات دربت فيها المخابرات الباكستانية أكثر من ٨٠ ألف مقاتل أفغاني ومئات الألوف من الأسلحة والذخائر وعدة مليارات على هذه العملية اللوجستية الهائلة .

لقد وفرت باكستان عوامل عدة لإنجاح حركة المقاومة الأفغانية المسلحة وهي:-
أولاً :- وفرت المأوى والغذاء والمجندين والمعلومات من السكان المحليين لدعم جهود التنظيمات الأفغانية المقاومة

دور الولايات المتحدة الأمريكية وباكستان في دعم التنظيمات الأفغانية المقاومة للاحتلال السوفيتي لأفغانستان ١٩٧٩-١٩٨٩.....

ثانياً:- التضاريس المواتية فالجبال الوعرة وفرت ملاذات أمنة للمقاتلين ومستودعات
لخزن السلاح والذخيرة.

ثالثاً:- وفرت قواعد امنه لكي يقوم المقاتلين الأفغان بتنفيذ عملياتهم ثم الانسحاب
والاختباء فيها .

رابعاً :- وفرت الداعمين الخارجيين للأموال والسلاح منه للولايات المتحدة الأمريكية
والمملكة العربية السعودية

كان الراح الوحيد في الحرب في أفغانستان هم الأمريكيون فقد كان لديهم انتقامهم
لهزيمتهم في فيتنام التي شهدت معركة خسروا بها من قبل قوة مسلحة, كما أنها مولت
وحالت دون بقاء حكومة شيوعية في كابول واستبدالها بحكومة إسلامية. بالنسبة
للاتحاد السوفيتي فقد احتفظوا بحكومة موالية لهم تعتمد على المساعدات السوفيتية
للبقاء على قيد الحياة , الخاسر الوحيد هو الشعب الأفغاني الذي تحولت أراضي إلى
أكوام من الأنقاض والأراضي والحقول التي حرق وزرعت فيها ملايين الألغام
والضحايا من الإباء والأبناء الذين لقوا حتفهم في الحرب التي كان يجب أن يكونوا
فائزين فيها .

الهوامش :-

١- د. محمد زيان عمر , احتلال أفغانستان احتمالات الحل السلمي (دراسة تحليلية)
المكتب الثقافي ٤٠٤ , الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة ١٩٨٦ , ص
١٣-١٧.

٢- فريد هوليداي , أفغانستان حرب أم ثورة , ترجمة وتقديم د. سامي الجندي , دار
الحدث بيروت , ط ٢ , ١٩٨٠ , ص ١٢٢ .

٣- محمود شاكر, التاريخ المعاصر إيران أفغانستان, التاريخ الإسلامي ١٨, المكتب
الإسلامي, بيروت, ط ١ , ١٩٩٥, ص ٢٢٤-٢٢٦ .

دور الولايات المتحدة الأمريكية وباكستان في دعم التنظيمات الأفغانية المقاومة
للاحتلال السوفيتي لأفغانستان ١٩٧٩-١٩٨٩

- ٤- من سلسلة وثائق وكر الجاسوسية ٢٩ ، تدخلات أمريكا في البلدان الإسلامية - أفغانستان ، الجزء الأول ، منشورات الوكالة العالمية للتوزيع بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٢ . وثيقة رقم ١٤ ، فاسيلي كوردي - السكرتير الأول السفارة السوفيتية ، رونالد لورفون - مسؤول في السفارة الأمريكية لشؤون أفغانستان ، ١١ نيسان ١٩٧٩ ، ص ٩٥ .
- ٥- د. راغب السرجاني ، كيف احتل السوفيت أفغانستان ، أسباب ودوافع احتلال السوفيت لأفغانستان ، موقع قصته الإسلام ، ٢٠٠٨/٣/١٢ . [http:// Islam . story . Com](http://Islam.story.Com) .
- ٦- د. محمد ذيان عمر ، المصدر السابق ، ص ١٦-٢٠ ؛ Mohammad Yousaf Mark Adkin, The trap (Afghanistan's untold story), publisher: Leo Cooper, First Edition, September, 1992, P.29. <http://www.amazon.com/Bear-Treap-Afghanistan-untold-story> .
- ٧- رالف ه . ماجنوس ، مشكلة أفغانستان قضايا يا خيارات سياسات ، ترجمة صليب بطرس وروفايل مسحية ، مكتبة الوعي العربي ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ٨٠-٨١ ، ٨٩ .
- ٨- من سلسلة وثائق وكر الجاسوسية ٢٩ ، وثيقة رقم ١٦ ، الدور السوفيتي الحالي في أفغانستان ، ٩ أيار ١٩٧٩ ، ص ١٠٢ .
- ٩- د . محمد ذيان عمر ، المصدر السابق ، ص ١٦-٢٠ .
- ١٠- من سلسلة وثائق وكر الجاسوسية ٢٩ ، وثيقة رقم ٣٨ ، النوايا السوفيتية في أفغانستان وباكستان ، ١١ تموز ١٩٧٩ ، ص ١٧٨-١٨٠ .
- ١١ - المصدر نفسه ، ص ٢٢-٢٤ ؛ Patrick Hanlon, The bear trap the soviet adventure in Afghanistan. <http://pkh.io/docs/afghanistan.pdf> .

دور الولايات المتحدة الأمريكية وباكستان في دعم التنظيمات الأفغانية المقاومة
للاحتلال السوفيتي لأفغانستان ١٩٧٩-١٩٨٩.....

١٢- من وثائق وكر الجاسوسية ٢٩، وثيقة رقم ٣٨ ، النوايا السوفيتية في أفغانستان
وباكستان ، ١١ تموز ١٩٧٩ ، ص ١٧٩-١٨٠ ؛ Patrick Hanlon, op.cit,p24

١٣- المصدر نفسه ، وثيقة رقم (٦) الحوار الأول مع الرئيس الأفغاني الجديد ،
٦ آيار ١٩٧٨ ، ص ٦٦-٧١ .

١٤- فلا ديمير اشتيكوف وآخرون ، حقيقة الوضع في أفغانستان ، دار نشر وكالة
نوفوسني ، موسكو ، ١٩٨٦ ، ص ٥١-٥٢ .

١٥- عين ادولف دويس سفيراً لولايات المتحدة الأمريكية في كابول في ١٣ آيار
١٩٧٨ . Wikipedia The free encyclopedia

Adolph Dubs , Wikipedia,

١٦- إسرار من الغزو السوفيتي لأفغانستان، صحيفة المراقب العراقي ٨ نيسان
١٩١٥ . <http://www.almraqeb-aliraqi.org>

١٧- من وثائق وكر الجاسوسية ٢٩، وثيقة رقم ٤٨ ، الحكومة الأفغانية تشتكي من
عملية إجلاء الرعايا الأمريكيين في أفغانستان ، ٢٥ تموز ١٩٧٩ ، ص ٢١٣-
٢١٧ .

١٨- هيئة الأبحاث في الكونغرس الأمريكي، أفغانستان الغزو السوفيتي - والرد
الأمريكي، دراسات استراتيجية ١١ ، ترجمة مؤسسة الأبحاث العربية ، كانون الثاني
١٩٨٠ ، ص ٦٠ .

١٩- من وثائق وكر الجاسوسية ٢٩، وثيقة رقم ٤٨ ، الحكومة الأفغانية تشتكي من
عملية إجلاء الرعايا الأمريكيين في أفغانستان ، ٢٥ تموز ١٩٧٩ ، ص ٢١٣-
٢١٧ .

٢٠- زبغينو بريجنسكي ، رقعة شطرنج الحرب الكبرى الأولية الأمريكية ومتطلباتها
الجيوستراتيجية ، ترجمة امل شرقي، مطبعة الأهلية ١٩٩٧ ، ص ١٩-٢٠ .

دور الولايات المتحدة الأمريكية وباكستان في دعم التنظيمات الأفغانية المقاومة
للاحتلال السوفيتي لأفغانستان ١٩٧٩-١٩٨٩

٢١-ستيف كول , حروب الأشباح السجل الخفي ل السي أي أيه لأفغانستان ول بن
لادن , شركة المطبوعات للتوزيع والنشر . بيروت , الطبعة الأولى , ٢٠٠٨ ,
ص ٨٢-٨٥ .

٢٢-المصدر نفسه. ص ٩٤ .

٢٣-ياسر ايوب , المشير ابو غزالة وحكاية مصر مع المجاهدين العرب في أفغانستان
, اخبار اليوم السابع , ٢٨ تشرين الأول ٢٠٠٨ ,
<http://www.yoam7.com>

٢٤-مادلين اولبرايت بالاشتراك مع بيل ودور , الجبروت والجبار تأملات في السلطة
والدين والشؤون الدولية , ترجمة عمر الأيوبي , دار العربية للعلوم - ناشرون ,
بيروت , ٢٠٠٦ , ص ٤٨ .

٢٥-إدارة الأبحاث بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية, أفغانستان في مواجهة الغزو
الروسي, جامعة الشعوب الإسلامية والعربية , دراسات في الإسلام, العدد ٢٤٧ ,
السنة الحادية والعشرين , القاهرة , شباط ١٩٨٢ , ص ١١٥-١١٦ .

٢٦-الخليج العربي المناقشة البرلمانية الأمريكية المستمرة حول اهتمامات الولايات
المتحدة وسياساتها في منطقة الخليج العربي ١٩٨٠, المؤتمر السادس والتسعون,
منشورات مركز دراسات الخليج العربي, بجامعة البصرة, السلسلة الخاصة ٧٦,
البصرة ١٩٨٣, ص ٢٣.

٢٧-المصدر نفسه, ص ٢٤ , ٣١-٣٣.

٢٨-المصدر نفسه , ملحق رقم (٩) الخطاب السنوي الذي ألقاه الرئيس كارتر في
الكونغرس الأمريكي في ٢٣ كانون الثاني ١٩٨٠ , ص ٧٩٨-٧٩٩ ؛ هيئة
الأبحاث في الكونغرس الأمريكي , المصدر السابق , ص ٢٥ . ٢٩-المصدر
نفسه , ملحق رقم (٥) والترليفي , النفط وتدهور الغرب , مجلة Foreign
Affairs صيف ١٩٨٠, ص ٦٤٤؛

Patrick Hanlon, op.cit, P.60.

دور الولايات المتحدة الأمريكية وباكستان في دعم التنظيمات الأفغانية المقاومة
للاحتلال السوفيتي لأفغانستان ١٩٧٩-١٩٨٩.....

- ٣٠- رالف هـ. ماجنوس ، المصدر السابق ، ص٤٦-٥٢ .
- ٣١- من خطاب وزير الخارجية الأمريكية سايروس فانس في ٣ آذار ١٩٨٠ ، الخليج العربي ، المصدر السابق ، ص٦٦٢-٦٦٥ .
- ٣٢- المصدر نفسه ، ص٦٩ .
- ٣٣- د. علي حسون ، تاريخ أفغانستان ، دار الرؤية للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ١ ، دمشق- بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص١٨٩ .
- ٣٤- الخليج العربي ، المصدر السابق ، ص٦٧٦-٦٧٧ .
- ٣٥- فلاديمير اشتيكوف وآخرون ، المصدر السابق ، ص٦٢-٦٤ ؛
Mohammad Yousaf Mark op.cit, P.51.Adkin
- ٣٦- التنظيمات الأفغانية التي قاومت الاحتلال السوفيتي هي :-
- ١- الجمعية الإسلامية الأفغانية برئاسة برهان الدين رباني .
 - ٢- الحزب الإسلامي ويراسه قلب الدين حكمتيار
 - ٣- حركة الانقلاب الإسلامي ويراسها محمد بني محمدي .
 - ٤- الحزب الإسلامي الأفغاني ويراسه مولدي محمد يونس خان
 - ٥- الجبهة الوطنية الأفغانية لإنقاذ أفغانستان ويراسها صبغة الله المجددي
 - ٦- الجبهة الوطنية الإسلامية لتحرير أفغانستان ويراسها سيد احمد جيلاني .
- إدارة الأبحاث بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، أفغانستان في مواجهة الغزو الروسي، ص٨٧-٩٣؛ المصدر نفسه ، ص٦١ .
- ٣٧- رالف هـ . ما جنوس ، المصدر السابق ص ١٧٦-١٧٧ .
- ٣٨- المصدر نفسه ، ص٤٥-٤٩ .
- ٣٩- المصدر نفسه، ص٢٦٩ .
- ٤٠- من وثائق وكر الجاسوسية ٢٩، وثيقة رقم ٣٨، النوايا السوفيتية في أفغانستان وباكستان، ١١ تموز ١٩٧٩، ص١٧٩ .

41-Oliver Roy, Why war is going on in Afghanistan, the Afghan crisis in perspective, perceptions Journal of intentional affairs, vol.v. number4. December 2000, February, 2001, P.17.

Mohammad yousaf Mark Adkin, op cit,p.6 42-

٤٣-مصطفى حامد, ١٥ طلقة في سبيل الله, من حوادث المجاهدين العرب في

أفغانستان ١٩٧٩-٢٠٠٠ ثرثرة فوق سقف , العالم , سلسلة كتب من أدب

المطاريد, الكتاب الأول, ص١٠٧-١٠٨ . www.mastafahamed.com

٤٤-د . علي حسون , المصدر السابق , ص١٨٦ .

٤٥-المصدر نفسه , ص١٩٠-١٩١ .

٤٦-هيئة الأبحاث في الكونغرس الأمريكي, المصدر السابق , ص١٥-١٦ .

٤٧-الخليج العربي, المصدر نفسه , ص٢٤-٢٥ , ٨٠٢.

٤٨-ستيف كول , المصدر السابق , ص٧٣-٧٤ .

٤٩-هيئة الأبحاث في الكونغرس الأمريكي, المصدر السابق, ص١٦ .

٥٠-فلاديمير اشتيكوف وآخرون , المصدر السابق , ص٦٦-٦٧ .

٥١-ستيف كول , المصدر السابق , ص٨٧-٩٤؛ Patrick hanlon ,op.cit ,p.4 .

٥٢-المصدر نفسه, ص ١٠٠-١٠١ ؛ Ibid,p.51

٥٣-المصدر نفسه, ص١٠٤-١٠٥ ؛ Mohammad yousaf Mark

Adkin,op.cit,p.71

٥٤-فلاديمير اشتيكوف وآخرون , المصدر السابق , ص٦٢-٦٤ .

٥٥-المصدر نفسه , ص ٩٤-٩٥ ؛ ستيف كول , المصدر السابق , ص١٠٤,١٣٧.

٥٦-رالف ه.ماجوس, المصدر السابق, ص٢٠-٢١؛ Mohammad yousaf

Mark Adkin, op.cit,p. 42,53.

٥٧-ستيف كول , المصدر السابق , ص١٥١-١٥٨ , ١٨٩-١٩٣ ؛ فلاديمير

اشتيكوف وآخرون , المصدر السابق , ص٦١ .

٥٨-المصدر نفسه, ص١٥٣, ص١٩٦-٢٠٢, ص٢١٥-٢١٦؛

Mohammad yousaf Mark Adkin ,op.cit,p.

٥٩-مصطفى حامد , معارك البوابة الصخرية , من حوادث المجاهدين العرب في
أفغانستان ١٩٧٩-٢٠٠٠ , ثرثرة فوق سقف, العالم, سلسلة كتب من أدب
المطاريد , الكتاب الأول, ص١٠٧-١٠٨. www.mastafahamed.com.

Mohammad yousaf Mark Adkin ,op.cit,p.112.115

٦٠-المصدر نفسه , ص١٦٨-١٦٩ .

٦١-المصدر نفسه,ص١٤٧-١٥٩,ص٢٩٧؛ Mohammad yousaf Mark
Adkin ,op.cit,p. 73.

٦٢-المصدر نفسه, ص١٦٧ .

٦٣-ستيف كول , المصدر السابق , ص٢٣٥.

٦٤-المصدر نفسه , ص٢٢٤-٢٢٩؛ Mohammad youaf Mark
Adkin,op.cit , p.19,60.

٦٥-مصطفى حامد, معارك البوابة الصخرية, ص٢٦٨-٢٧٤.

٦٦-المصدر نفسه , ص٢٩٢.

٦٧-محمود شاكور, المصدر السابق , ص٢٣٢-٢٤٧ .

٦٨-ستيف كول , المصدر السابق , ص٢٦١.

٦٩-المصدر نفسه, ص٢٦٤.

70- Patrick Hanlon op.cit,p.2

٧١-ستيف كول , المصدر السابق , ص٢٧٤ .

**دور المجالس المحلية في المواد القانونية
في العراق القديم**

د. جيا فخري عمر

دور المجالس المحلية في المواد القانونية في العراق القديم

د. جيا فخري عمر

المقدمة

حفلت حضارة بلاد الرافدين القديم بالعديد من المعطيات الحضارية التي عالجت مختلف الشؤون الدينية والاقتصادية والسياسية والأدبية، وتعد مجالس الحكم والقضاة واحدة من الإنجازات المهمة التي حققها سكان بلاد الرافدين القدماء، وقد أدت المجالس دورا كبيرا في المجتمع القديم، فلها دور متميز في تنظيم مجتمعات المدن القديمة في العراق القديم، حيث كانت المجالس سلطة مؤثرة في المجتمع عبر العصور المختلفة، ولهذا كانت لمجالس المدن پخر آلم (Puḫur ālim) في بدايات ظهورها في عصر فجر السلالات السومرية سلطات مطلقة تتمثل في تنصيب الحكام، وكذلك رسم السياسة الخارجية وكل جوانب إدارة المدينة، وتقوم مقام المحاكم مع بعض القضاة تارة ومع رئيس البلدة رابيان (rabīanu) لإدارة المدينة تارة أخرى.

ونظرا لوجود العديد من المجالس ولكل واحد منها تخصصه فلا بد من اللقاء الضوء عليها مع مراعاة بعض الصعوبات التي تتشكل عند الحديث عن تلك المجالس فعلى سبيل المثال معنى گوروش أورو (GURUŠ URU) أطلقت هذه المفردة السومرية على العمال وكذلك على الرجال القادرون على حمل السلاح (بمعنى المحاربين) من الاحرار، ومن جانب آخر وجدت صعوبة في التمييز بين الأجزاء المختلفة من المدينة عند تحديد مجالس الأحياء السكنية والبوابات بابتم (bābtum)، ومثل هذه الصعوبات كثيرا ما تبرز عند دراسة المجتمعات القديمة التي يرافقها العديد من المصطلحات والاسماء التي نجدها في الرقم الطينية، ولابد من معرفة نوعية المجالس وعملها وظهورها في بعض المواد القانونية أو وجودها بشكل غير مباشرة في القوانين ربما لان

الكاتب العراقي القديم لا يريد تعريفها باعتبارها موجودة منذ مدة طويلة وبذلك فهي جزء من التقاليد والعادات وموروث ثقافي قديم.

مجالس الآلهة

تعتبر مجالس البشر ماهي إلا انعكاس لمجلس الآلهة الذي ورد في الاساطير الدينية إذ أن ما ورد عن الآلهة الرافدية القديمة في تلك القصص والاساطير ما هي إلا انعكاس لما كان عليه المجتمع السومري من نظم وتقاليد تنظم حياة البشر نسبها السومريون إلى الآلهة كعادتهم في التشبيه⁽¹⁾، وقد صور السومريون والأكديون آلهتهم بأوصاف بشرية في شكلها وأن الآلهة تعقد المجالس لمناقشة القضايا المهمة أو معاقبة مسيء من بين الآلهة أو انتخاب أحد الآلهة للقيام بمهمة معينة أو انتخاب بطل الآلهة ومنحه جميع الصلاحيات التي تمكنه من مواجهة المشكلة التي أنتخب من أجلها⁽²⁾، وهذا ما حدث عندما انتخب الإله مردوخ كما تذكر قصة الخليقة البابلية أن يصبح ملك الآلهة وزعيمهم لقتال تيامة (Tiamat^d) التي كانت تسعى للانتقام لمقتل زوجها ابسو (Apsu^d)، كما هو النص الآتي : (لقد أعطيناك ملوكية الكون بأكمله ، وأنت حين تجلس في المجلس تكون كلمتك هي العليا...) ⁽³⁾.

لقد ميز سكان بلاد الرافدين مجموعتين من الآلهة الأولى مؤلفة من (٥٠) إلها أطلق عليهم الآلهة العظام إلى ربوتيم (ilū rabūtim) وبتراشهم آنو (anu^d) إله السماء وأبو الآلهة جميعا وهو الذي يتراش مجلس الآلهة ويمنح الوظائف إليهم⁽⁴⁾، أما المجموعة الثانية فيطلق عليها إيجيكي (Igigi^d) وهي مجموعة من الآلهة تنتمي إلى الطبقة الثانية أو الأقل شأنًا من الآلهة العظام ويطلق عليهم اسم آلهة الأرض⁽⁵⁾، أما انعقاد مجلس الآلهة فقد كان يتراش المجلس آنو، وكان للآلهة الكبار أو العظام مجلسها الخاص، ويظهر أن الآلهة تنظم العمل فيما بينها في مجلس الآلهة حيث تتخذ القرارات اللازمة⁽⁶⁾، فقد ورد في قصة گلگامش أن سكان مدينة الوركاء عندما تعرضوا إلى ممارسات گلگامش الخاطئة قدموا شكواهم إلى الآلهة والتي بدورها

أوصلوها إلى رئيس المجمع أنو الذي استدعى الآلهة أرورو لأنها هي التي خلقت گلگامش ولدينا وصف يظهر فيه رئيس الآلهة يستمع لشكوى البشر ومعه الآلهة وعندها قرر المجلس خلق انكيكو كمنافس لگلگامش، وكذلك سبق للمجلس ان انعقد سابقا في إقرار الطوفان للقضاء على البشرية (7).

كانت اختصاصات مجلس الآلهة متنوعة منها قرارات خاصة بالبشر كما ورد في قصة گلگامش عن قرار الآلهة في موت انكيكو لأنه ذبح ثور عشتار السماوي علما أن گلگامش هو من قام بعملية القتل (8)، وأيضا قرار الآلهة اتجاه البشر في احداث الطوفان ويكون القرار جماعي من قبل الآلهة الكبار في مجلسها، كذلك هناك قرارات خاصة بالآلهة مثل اعتداء الإله إنليل واغتصاب الإلهة ننليل وكان رد مجلس الآلهة على هذه الجريمة ابعاد إنليل ونفيه (9).

مجالس البشر

عرفت المجالس المدن منذ وقت مبكر ربما منذ العصر الشيبه بالكتابي (٣٢٠٠-٢٩٠٠ ق.م (10)، وتؤكد النصوص المسمارية بان الملوك والحكام الطغاة لم يخضعوا لقرارات مجلس المدينة پُخُر آلم (Puḫur ālim)، وبذلك تقلص اختصاصها واقتصر على حل القضايا القانونية التي تعرض عليها أو تحال اليها من الملك نفسه (11).

يطلق على مجلس المدينة باللغة السومرية اوكين (UKKEN) واصلها (UNKEN) واكتشفت مؤخرا بالقرب من موقع اوروك (IV) وثائق إدارية قديمة تحمل علامة (gal+unken) وتقرأ (kingal) ودائما لها علاقة بإدارة وضبط المؤسسات الانتاجية، والترجمة الحرفية هي (رئيس المجلس)، و اللقب (gal-zu-unken-na) وجد في المراسلات الملكية لسلالة أور الثالثة، و (gal-unken-na) وجدت في وثائق سلالة بابل القديمة (12)، وأقدم نص وصلنا من سلالة أور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤) ق.م ذكر فيه اوكين : (لقد قبض عليها مع رجل، وكان الرجل قد ربط في السرير، وحمل إلى المجلس، وقرر المجلس طلاقها) (13)، وتقابل اوكين السومرية بالأكدية پُخُر (Puḫur)

بمعنى مجلس⁽¹⁴⁾، وكتبت (pu-uh-ru-um)⁽¹⁵⁾ سواء في الوثائق الاقتصادية أو القانونية، والتفسيرات المتعلقة بدور المجلس (پُخر) في المجال السياسي يرى الباحث (Jacobsen)⁽¹⁶⁾ انها (الديموقراطية البدائية) التي كانت شائعة في عصور ما قبل التاريخ بمعنى قبل ظهور الأنظمة الملكية في بلاد الرافدين ومهمتهم إدارة الشؤون السياسية في المدن والبلدات واستمر وجودها حتى العصر البابلي القديم، وعندها أصبح الاتجاه نحو تركيز السلطة والأنظمة الاستبدادية في فترات تاريخية وتدرجياً تقلصت وظائف واختصاص المجلس حتى أصبح يهتم في الإدارة المحلية وتطبيق العدالة⁽¹⁷⁾ أما أنواع المجالس فهي:

١- مجلس المدينة پُخر آلم (Puḫur ālim) :

من خلال النصوص المسمارية عرفنا ان لكل مدينة كبيرة مجلس مثل مدينة نيبور (حاليا نفر تقع على بعد ٣٥ كلم عن مدينة الديوانية) ، ومدينة سبار، ومدينة دلبات (حاليا تل دليهم محافظة القادسية) .. الخ⁽¹⁸⁾، وكان پُخر آلم يضم القضاة ومسئولي المدينة (شيبوت آلم) (šībūt ālim) وكانوا يجلسون معا وأحيانا يجلس مسنو المدينة لوحدهم، وعثر على نصوص تعود إلى (٢٥٠٠) ق.م من موقع مدينة شروباك (Shuruppak) (تل فارة على نهر الفرات) من قبل جنود من مدن أور ونيبور ولكش وأوما (تل جوخه على نهر الغراف) ذكر فيها مجالس المدن (اوكين) وعرفنا أن مجلس المدينة كان بمثابة هيئة تشريعية تصدر القوانين وتعاقب الخارجين عن القانون، وأن عمل مجلس المسنين شيبوت آلم مع رئيس المدينة رابيئان (rabīanu) هو قضايا المحاكم كما ورد في الوثائق القانونية⁽¹⁹⁾.

كان في كل مدينة مجلسها الخاص ففي رسالة إلى مجلس مدينة دلبات وتعود إلى العصر البابلي القديم ورد فيها: (في مجلس مدينة دلبات)⁽²⁰⁾ يتضح من خلال الرسالة يجب تنفيذ الأوامر الصادرة عن المجلس في القضايا التي عرضت على مجلس دلبات باعتباره هيئة قضائية تنتظر في مختلف القضايا، وفي قضية قتل موجهة إلى مجلس

مدينة نفر حيث عرضت قضية على أور-نورتا (Ur-Ninurt) (١٩٢٣-١٨٩٦) ق.م ملك ايسن⁽²¹⁾، ودونت القضية بأكثر من نسخة واحدة وأطلق عليها (الزوجة المسترة على الاخبار بالجريمة) وحوادث هذه الجريمة هي أن ثلاثة رجال (أحدهم حلاق والثاني جندي والثالث يمتهن البيع والشراء لمادة يصعب تحديد نوعها) قد قتلوا أحد موظفي المعبد، ولأسباب غير معروفة أخبر هؤلاء القتلة زوجة القتيل بمقتل زوجها، ولكن الغريب في الامر أن الزوجة احتفظت بسر القتلة ولم تبلغ السلطات الرسمية بالأمر، فبلغ خبر الجريمة علم ملك سلالة ايسن فأحال القضية للنظر فيها إلى مجلس مدينة نفر (مجمع المواطنين) كما جاء في النص: (هذه القضية أخذت إلى ايسن وأمام الملك ، أمر الملك أور-نورتا بالموافقة على تحويل هذه القضية إلى مجلس نفر)⁽²²⁾، وفي ذلك المجلس نهض تسعة رجال ليقاضوا المتهمين بما فيهم زوجة القتيل، وعلى أثر هذا الاتهام انبرى رجالان للدفاع عن المرأة، فدافعا بأن المرأة لم تشترك في مقتل زوجها لذلك ينبغي تبرئتها فلا ينالها العقاب، فأقر المجلس حجج الدفاع مبررين قرارهم بالقول: (أن العقوبة ينبغي الا تشمل سوى القتلة الفاعلين) وصدر القرار بفرض العقوبة على الرجال الثلاثة⁽²³⁾ ، على ما يبدو أن جريمة القتل من القضايا المهمة لذلك تم تحويلها إلى مجلس نفر للبت فيها، باعتباره يقوم مقام محكمة قانونية تحكم في قضايا مدنية جنائية .

أما في قانون حمورابي (مادة ٢٠٢) فقد نصت: (إذا صفع رجل خد رجل أرفع منه، فيجب أن يضرب علنا ستين جلدة بسوط من ذنب الثور)⁽²⁴⁾، هذه المادة تختلف عن المواد التي سبقتها أو التي تلتها فحالت الضرب تمت من قبل رجل أدنى مرتبة وعقوبتها الجلد وتنفذ بشكل علني أمام الناس ومثل هذا القرار حتما ورائه مجلس المدينة فهو الذي يقرر تنفيذ العقوبة عند أحد أبواب المدينة، أما (مادة ١٢٦) فقد نصت على: (إذا لم يفقد رجل شيئا يعود له، ولكنه ادعى (ان حاجاتي قد فقدت) وخدع بذلك مجلس بلده، فعلى مجلس بلده ان يبرهن أمام الإله على أنه لم يفقد شيئا يعود له، وعندئذ

عليه ان يدفع مضاعفا لما اشتكى بسببه إلى مجلس بلدته⁽²⁵⁾ ، هذه المادة تكمل ما ورد في (مادة ١٢٥) حول سرقة حاجات من صاحب البيت ولكن (مادة ١٢٦) تنطبق إلى البلاغ الكاذب بوجود سرقة حاجات من صاحب البيت، ومن واجب مجلس البلدة (كما اشرنا سابقا لكل مدينة أو بلدة مجلس خاص بها) أن يثبت أمام تمثال الإله بان صاحب البيت لم يفقد شيئا وذلك بأداء القسم أمام تمثال الإله، وإذا رفض صاحب البيت أداء القسم أمام الإله بسبب الخوف على الأكثر فعليه أن يدفع غرامة مضاعفة عن قيمة الحاجات التي ادعى بانها سرقة والغرامة تكون من نصيب مجلس البلدة. وفي وثائق شروباك إشارة إلى أنه كان لهذه المدينة مجلس يتخذ قرارات عسكرية وسياسية وقضائية في المدينة⁽²⁶⁾، أما مدينة سيار فهناك إشارة لمجلسها تعود الى عهد عمي-صدوقا (Ammi-Saduqa) (١٦٤٦-١٦٢٦) ق.م ملك بابل⁽²⁷⁾، والنص يتناول قضية اليش-ابني (Ilšu-ibni) أغلب الظن يعمل (وكيل تاجر) (wakil tamkārūm) أشتكى لأن القاضي ويدعى ابق-اليش (Ipqu-ilišu) تحدث ضده في مجلس مدينة سيار، وبالتالي يطلب التحقيق، وكاتب الرسالة ويدعى إليوني (Ilūni) ابلغ اليش-ابني بانه نقل الشكوى إلى المجلس⁽²⁸⁾ ويظهر في النص أن وظيفة مجلس المدينة قضائية.

وكثيرا ما تصدر قرارات باسم (مجلس القضاة) ففي قانون لبت عشتار (مادة ٣٠) جاء فيها (إذا عاشر شاب متزوج من زانية من الشارع، وأمره القضاة بعدم زيارتها ثم طلق زوجته ودفع صداقتها، فلا يحق له الزواج من الزانية)⁽²⁹⁾ الحكم وضع لكي ينظم الأحوال الشخصية والشؤون الأسرية، وفي قانون حمورابي (مادة ٥) تخص معاقبة القاضي الذي يحاول تغيير حكم سبق له وان أصدره، والعقوبة فصل القاضي وعدم السماح له بالجلوس مع القضاة (بمعنى مجلس المدينة اعلى هيئة قضائية) ، و(مادة ٩) حيث نصت على ضرورة اثبات الفرد لملكية أمواله المنقولة التي يظهر انها مسروقة ويقدم الشهود امام مجلس القضاة، و (مادة ١٢٧) اختصت هذه المادة بقذف

المحصنات (أوماً شخص بإيهامه..) متهما كاهنة أو امرأة متزوجة ولم يثبت عليها شيء ذلك الشخص يجلد أما مجلس القضاة، و (مادة ١٦٨) وتتعلق هذه المادة بحرمان الابن من تركة أبيه فأن أراد شخص أن يتبرأ من ابنه ويحرمه من تركته فعليه ان يقيم دعوى أمام القضاة وعلى القضاة ان يدرسوا سلوك الابن فأن لم يكن الابن قد اقتترف اثماً فلا يحق للاب ان يحرمه من ذلك⁽³⁰⁾.

أما في مدينة آشور فهناك نصوص مسمارية تؤكد وجود مجلس المدينة فيها وتعود تلك النصوص إلى القرون الأولى من الألف الثانية ق.م، وهذه المجالس كانت تحكم بلاد آشور بصورة مشتركة من قبل الملك ومجلس مدينة آشور⁽³¹⁾.

على أية حال لا توجد وثيقة تذكر كل أعضاء المجلس في أي مدينة في بلاد الرافدين، انما لدينا عدد من الوثائق تذكر اوليم (awilû) وهذا المصطلح يعطي معاني عدة منها (الرجال) ومن ناحية المركز الاجتماعي فهم (الرجال الاحرار)⁽³²⁾ وأيضا يعني (السادة) وقد يعني (الشيخوخ) ولدينا وثيقتين تذكر (مجلس اوليم) (puḥri ša) (awilû) بمعنى (مجلس الرجال الاحرار) فعلى سبيل المثال (مجلس رجال الاحرار في ايسن)⁽³³⁾ ويضم المجلس قضاة كما في رسالة من سيار تذكر بان ابق-اليشو (Ipqu-ilišu) يعمل قاض تحدث ضد اليش-ابني (Ilšu-ibni) في المجلس، وأيضا هناك قضاة أعضاء في مجالس المدن، فقد ذكرت في رسالة وجود شخصين من القضاة هما ابي-انليل (Ibbi-Enlil) و بي-شمش-ربي (Pi-Šamaš-rabi) و الرعاة (sipa^{meš}) وقفوا وتحدثوا في المجلس أمام اوليم، وأيضا رسالة من سيار من بين الحاضرين في مجلس المدينة نجد سين-آخام-ادينام (Sin-aḫam-iddinam) الموظف و ابق-نابييوم (Ipqu-Nabium) الحلاق، وقضاة سيار، وابني-سين (Ibni-Sin) (رئيس التجار) (waqil tamkārīm)⁽³⁴⁾.

يظهر مثل بابلي يوضح أن عضوية المجلس في ذلك الزمن لم يكن امتيازاً مقصوراً على طبقة صغيرة منفصلة: (لا تذهب لتقف في المجلس: لا تصل إلى مكان النزاع،

ففي النزاع ذاته قد يباغتكَ القدر: كما إنك قد تصبح شاهدا لهم، ليستدعوك في قضية قضائية لا تعنيك !!) قد تفتقر هذه النصيحة إلى الروح العامة، وإن كانت تعني بلا شك، ان بوسع أي إنسان يصادف وجوده هناك الاشتراك في بخر آلم أن قوة المجتمع المتمثلة في مجلسها في نظام اجتماعي يبدو انه كان مستبداً، ويعد المجلس القوة السياسية الوحيدة وينتخب (الملك)، وبقي منصب رئيس المجلس وعمدة المدينة (رابيئان) وإلى فترة متأخرة منصبين يشغلان بالتناوب ويذكران بمنصب (آل) (ālu) (بالاكديّة تعني مدينة) قبلهما (35)

هناك نص آخر من سِيار يذكر الأشخاص ذوي نشاط متميز في مجلس المدينة، وعلى الرغم من أن النص غير مؤرخ لذا يعتقد أن الرسالة كتبت في وقت ما من السنة (١٥) من حكم الملك سين-موبالط (Sin-muballit) وحتى السنة (٢٤) من حكم سمسو ايلونا ملك بابل (36)، جاء في الرسالة بان رجل أخذ ألواح وقدمها إلى مجلس المدينة، وتمت مراجعة الألواح والاطلاع عليها من قبل ثلاثة رجال وهم ريش-شمش (Riṣ-Šamaš) مواطن من سِيار، (wāšib Sipparim)، وكوديا (Kudiya) (حمال كرسي؟) (gu-za-lá)، و سين-نادن-شومي (Sin-nādin-šumi) (أمين السجل) (dub-sar-zà-ga)، ويقترح الباحث (Finkelstein) (37) بان ريش-شمش له علاقة مع شخصين يحملان عناوين رسمية أعلى من (مواطن من سِيار)، وعلى الأكثر ربما موظف في المجلس أو يحتل منصب (رئيس مجلس المدينة) الذي استعرض العقود المستفيدة من مرسوم ميشارم (mišarum) (38)، ومن المحتمل ان ريش-شمش كان ممثل عن سكان مدينة سِيار وليس موظف في القصر الملكي، وهذا الرجل يمكن ان يكون رابيئان (rabīanu) الذي يحمل نفس الاسم ذكر في نص وثيقة بيع عقارات تعود إلى عهد سمسو-ايلونا ما دام تاريخ الوثيقة غير معروفة، فلدينا وثيقة من مدينة دلبات ذكر فيها بان رابيئان له اتصال مع مجلس المدينة، ويمكن أن

ينطبق هذا على ريش-شمش باعتباره رابئان مدينة سبار في السنة (١٥) من حكم سمسو-ايلونا⁽³⁹⁾.

٢- مجلس مسني المدينة شيبوت آلم (šībūt ālim) :

هذا المجلس قديم في بلاد الرافدين ويظهر في الوثائق الاقتصادية والقانونية وكذلك في النصوص الأدبية في حين الوثائق الإدارية أو الرسائل فالإشارات عنه مقتضبة والمعلومات قليلة جدا، ويمكن العودة إلى اسطورة الطوفان البابلية عندما الإله انكي أرشد اتراخاسيس ولمرتين أن ينقذ البشرية من الطوفان المدمر الذي خطط له الإله انليل، واجتمع اتراخاسيس مع مسني المدينة وأخبرهم بما يجب القيام به لتجنب وقوع الكارثة ومواجهة الطوفان، ثم اخبر اتراخاسيس مسني المدينة بأنه سيغادر ليسكن في مسكن إنكي، ويعتبر اتراخاسيس رجل حكيم جدا ويمكن أن نعتبره الملك الذي يتوسط بين الإله انكي ومسني المدينة، وبالتالي فان هؤلاء المسنين هم وسطاء بين الملك والشعب^(٤٠).

في ملحمة گلگامش دور مسني المدينة في الشؤون الحكومية عملهم مستشارين وليس وسطاء فنرى محاولة گلگامش ملك اوروك أن يحصل على موافقة شيوخ المدينة لرحلته إلى غابة الأرز لقتل خمبابا (Humbaba) حارس الغابة، ونفس الشيء في القصيدة السومرية (گلگامش و الملك أگا Agga)^(٤١)، والتي عرفت في العصور القديمة باسم (رسل أگا) عندما حاول گلگامش ملك اوروك أن يحصل على الدعم لخوض الحرب ضد مدينة كيش وفي كلا الحالتين رفض مجلس الشيوخ اقتراح گلگامش في قتل خمبابا وفي اعلان الحرب ضد كيش ونفتراض ان موقفهم ابوي : (انت شاب گلگامش تسير وراء عواطفك لكل ما تريد القيام به ، انت لا تفهم)^(٤٢)

أن مصطلح شيبوت (šībūt) للمذكر والصيغة التأنيث هي شيبوتي أو شيب (Shibtui)، وشيبوت تعني بالعربية (شايب) من الشيب (بياض الشعر)، وكلمة شيب (šibtu) تعني حرفيا (رمادي، أبيض) وبالسومرية (SU.GI4) والمسنين هم أعلى منزلة

اجتماعية، وليس هناك ذكر لوجود مجلس شيبوت خاص بالنساء^(٤٣)، وكان يرأس كل مدينة موظف ملكي يطلق عليه (رئيس البلدة رابيئان) وهو الذي يرأس المجلس أيضا فهناك علاقة وثيقة بين مجلس شيبوت ألم وبين السلطة الإدارية في المدينة لأن رابيئان هو رئيس الوحدة الإدارية^(٤٤)، وغالبا ما يترجم رابيئان (rabiānum) بالعمدة، وكان شخصية تملك سلطة عليا في المدن الثانوية، وعادة ما يكون الشاهد الأول في المعاملات القانونية والاقتصادية والرئيس المتحدث بين وجهاء المدينة، على ما يبدو أصحاب هذا المنصب يتناوبون وضمن جدول زمني منتظم، ومن بين مسؤولياته حماية الممتلكات العقارية وأصحابها، ولكن من المشكوك فيه أن منصب الرابيئان من أصول القبائل الأمورية، و لا يزال الخلاف أيضا حول ما إذا كان الرابيئان يتم تعيينه بمرسوم ملكي، وتشهد الأختام على استقلال الرابيئان من سيطرة ونفوذ الملك، وكان أول استخدام لهذا المنصب في الفترة ايسن-لارسا في شمال وجنوب بابل وذلك انطلاقا من وثائق النزاع، والميراث، وكانت الأطراف المعنية فيها من سكان المدن الفقراء أو الفلاحين الذين يعيشون في الريف، ولكن هذه الحقيقة ليست قاطعة، لأنه يتعلق هذا النوع من المعاملات التي تم تسجيلها^(٤٥).

ويظهر أن اختصاصات الرابيئان متعددة فلدينا (رابيئان نهرايم) (rabiān nārim) بمعنى (رئيس منطقة النهر) ويمكن مقارنة هذا اللقب مع (rare abi nārim) (المسؤول عن القناة) في منطقة ديبالي مع لقب (šāpir nārim) (حاكم نظام النهر) الذي ورد ذكره في قانون اشنونا (مادة ٥١) (إذا قبض رئيس المدينة أو مراقب القنوات ...) ^(٤٦)، أما في قوانين حمورابي فقد ذكر الرابيئان بأنه رئيس البلاط أو الحاكم أو الرئيس يملك سلطة مسؤولة عن العدالة على المستوى المحلي وهو المسؤول عن فقدان الممتلكات كما في (مادة ٢٣) (إذا لم يقبض على السارق، فعلى الرجل المسروق أن يعرض أمام الإله عما فقده، وعلى المدينة والحاكم الذي حصلت في ارضه ومنطقته

السرقة أن يعوضه ما سرق منه)، أما (مادة ٢٤) (فإذا كانت نفس (قد فقدت أثناء السرقة) ، فعلى المدينة والحاكم أن يدفع منا واحدا من الفضة لأهله) ^(٤٧).

اعتبر مجلس مسني المدينة مجلس خاص داخل مجلس المدينة پخر آلم إذ كان بمثابة المستشارين ويظهر أن مسني المدينة كانوا أعلى منزلة اجتماعية من أعضاء مجلس پخر آلم، ومحتمل انهم كانوا رؤساء العوائل الهامة الأكثر نفوذا في المجتمع والذين يشكلون المجالس البلدية وشيوخها ^(٤٨)، والكثير من وثائق العصر البابلي القديم تذكر (المدينة) وهي شكل مختصر لعبارة مجلس(مسني المدينة) ^(٤٩).

عثر على وثيقة إدارية في مملكة ايبلا (Ebla) (تل أبو مريدخ في سوريا) تعود زمنيا إلى ما قبل الحكم السرجوني الأكدي ورد فيها تعبير (مسني ماري) (AB+ÁŠ.AB+ÁŠ Ma-ri^{ki}) ^(٥٠)، وجاء في النص توفير المعادن من قبل المسؤولين في ماري، في هذه الحالة، فإن الإشارة إلى المدينة لا يترك مجالا للشك بأن هؤلاء الشيوخ من (المواطنين الاحرار) في ماري، ولذلك تذكر وثائق أرشيف ماري (الشيوخ) وبعده أشكال (ši-bu-ut-a-lim) (مسني المدينة) وأيضا (lu-meš^šsi-bu-) (ut ma-tim) بمعنى (مسني البلاد) ^(٥١).

أن غالبية وثائق ماري تذكر الشيوخ هي رسائل تتعلق بالشؤون السياسية والنزاعات التي تحدث بين الملوك والأمراء وأفراد من الأسرة المالكة في شمال سوريا، وفي معظم الحالات يبدو هؤلاء الشيوخ إلى أنهم أكثر ارتباطا بالجيش من القضايا المدنية، ففي رسالة من أدد-ياقيم (Yaqqim Addu) حاكم شكاراتوم (Šaggarātum) (من الصعب تحديد موقعها) إلى ملك ماري ذكر بوضوح بان مجموعة من المسنين يحرسون (بالاكدي ana maššartim) شكاراتوم، بينما مجموعة أخرى تحرس دور-يخدون-ليم (Dūr-Yahdun-Lim) ^(٥٢)، ونفس الحالة يابخور-ليم (Yapḫur-Lim) ملك إحدى المدن وهي (إيدا-ماراس) (Ida-Maraš) ، أخبر زمري-ليم ملك ماري بأن الشيوخ السبعة الباقيين (lu-meš^šSu-gi dirig-ga) الذين تم تجنيدهم لحراسة

بوابة المدينة يعانون من الجوع، ويطلب يابخور-ليم من الملك بالتدخل، ويبدو أن زمري-ليم شارك هؤلاء الرجال كجزء من حامية ماري التي تحرس إحدى المدن التابعة^(٥٣)، أن حماية المستوطنات ليست من وظائف مسني المدينة انما من الناحية التقليدية فأن دورهم دفاعي لان تعبير (lušū-gi^{mes}) تعني قدامى المحاربين وليس (شيوخ)^(٥٤).

في بعض الأحيان يقوم مسني المدينة بإعمال مختلفة أحدهما إيصال رسائل أو معلومات إضافية، ففي رسالة إلى حاكم ماري كتب إبال-إدد (Ibāl-Addu) ملك أشلاك (Ašlakkā) حول تعامله مع زعماء آخرين فهو يشكو من الجزية التي فرضتها مملكة ماري وأصبحت القرى حلفاء تاواكدم (Tawakûm)، ويذكر إبال-إدد أنه أرسل مسني أشلاك جنبا إلى جنب مع رسول زمري-ليم ملك ماري لتوضيح الأمور بالكامل والمسؤوليات الدبلوماسية للشيوخ وضرورة تسهيل السفر لإنجاز هذه المهمة، ونحن نعلم بان الرسل والشيوخ ل(ياركيب-إدد) (Yarkib-Addu) ملك خنزات (Hanzat) ذهبوا إلى تالخيوم (Talḥayûm) للحصول على دعم ياي-أعلى (Yāwi-Ilā) في نزاعه ضد بنوما-إدد (Būnūma-Addu) حاكم نيكريا (Niḥriyā) (بالاكديّة نهريا)^(٥٥)، ونستنتج بان ياي-أعلى هو حليف زمري-ليم وسبق وأن كتب لملك ماري من أجل الحصول على تعليمات وكيفية المضي قدما على الرغم من أننا نجهل الأسباب ولماذا أرسل ياركيب-إدد وليس فقط الرسل بل أيضا الشيوخ، ولكن نستنتج أهمية المهمة المطلوبة من المندوبين لغرض الاقتناع، وتذكر وثيقة أخرى أن ياي-أعلى أرسل المسنين مع تعليمات بحيث تكون كافية للإجابة على كل أسئلة زمري-ليم، هذه الرسالة توصف بانها الخطوة الأولى لإبرام معاهدة مع ماري، وأدى الشيوخ دور الوساطة لغرض السلام نيابة عن ملكهم، وقد كتبت الرسالة في السنة التاسعة من حكم زمري-ليم، وسجل فيها حصار مدينة رزاما (Razamā) من قبل جيش عيلام واشنونا تحت قيادة اتماروم (Atamrum) ملك الاخاد (Allaḥad) في انداريك

(Andarig)، وبعد عشرة أيام ترك مسني رزاما مدينتهم للتفاوض مع اتماروم نيابة عن ملكهم شاريا (Šarriya) ^(٥٦).

ورد في العديد من الرسائل من العهد البابلي القديم قضايا عرضت على مجلس المسنين وعلى رئيس البلدة رابيئان لغرض الاطلاع ومنها هذه الرسالة: (إلى رئيس البلدة ومسني المدينة هكذا يقول سمسو-ايلونا الملك: عسى الإله شمش والإله مردوخ، يحفظونكم الآن أرسلت لكم رسالة إلى بيت أومي وقرأت مفسرة الأحلام يجب إلا يقترب أحد منكم فقد اشتريت تلك الدار واللبن أن لمستم لبنة واحدة فعندئذ استنادا إلى قوانين سيدي الإله سأحاسبكم) ^(٥٧)، من خلال النص فان علاقة سمسو-ايلونا ملك بابل ومجلس مسني المدينة شيبوت ألم كانت مباشرة وأن هذه الدار كانت موضع جدل أو نزاع ملكية ومن الممكن أن مجلس مسني المدينة ومعهم رابيئان كانوا سيتخذون اجراء حول ملكية هذا البيت لذا ارسل الملك رسالة ليعلمهم بشرائه للدار ويحذرهم من المساس بها ^(٥٨).

وفي رسالة من العهد البابلي القديم أرسلها مسني المدينة إلى حاكم المدينة بخصوص إرث لشخص يدعى سين-ماجر: (إلى وكيلنا قل هكذا يقول مسنو المدينة، ليحفظ حاكمنا الإله شمش ومردوخ، أولاد سين-ماجر الذين بعثهم لنا: بخصوص تقسيم الحصة، مثل كل أمة واحدة لـ(إيلي-امشي نصف سار بيت(؟) كين إلى سين-اشمياني أبن أخيهيم قسموه(...)) للحصة أعط لهم الشعير والفضة لا يملكو (لا يوجد) الذي قالوه لحاكمنا) ^(٥٩)، يظهر أن مجلس شيبوت ألم كان على إطلاع بأحوال سكان المدينة واطواعهم ومشاكلهم كما تلاحظ غياب رئيس البلدة رابيئان وذكر فقط مسني المدينة. على اية حال هناك ثلاثة وثائق تعود للعهد البابلي القديم ورد فيها أسماء مجلس المسنين، ولكن من الصعب معرفة أماكنهم وانشطتهم بعض هذه الوثائق وصلتنا من سبار وهي تعطي معلومات قليلة حول هؤلاء المسنين وانشطتهم الشخصية، ويظهر مسني تابنوك (Tabnuk) في وثيقة من دلبات تؤرخ إلى عهد عمي-ديتانا ملك بابل

وأسماء مجلس مسني تابنوك وعددهم (٦) هم : اشمي-سين (Išme-Sin) ابن إيتيروم (Ētirum) ، واوباروم ابن ايلي- (...) ، وابني-مردوخ ابن (...) ، ونابي-ايليشو (Nabi-Ilišu) ابن أيلشو-ابوشو (Ilišu-abūšu) ، وابي-الإبرات (Ibbi-Ilbrat) ابن مردوخ-نيشو (Marduk-nišu) ، وبولاداتوم (Buladatum) ابن ايلي- (...) (٦٠)، وقد ذكر هؤلاء في وثيقة من دلبات و تتضمن: (اشترى سين -ادينام ابن أدد- ربي قطعة أرض (ki-šub-ba-plot) بسعر شيقل واحد، والبائع هو ناديتم (Nidittum)، الذي عمل عقد، وأخبر (ina qabē) الرايينان ابي - الإبرات (Ibbi-Ilbrat)، و شيوخ مدينة تابنوك الستة (Tabnuk) (٦١)، ولدينا لوح آخر من سيار سجل فيه معاملة مماثلة يؤرخ إلى عهد عمي-صدوقا، في هذه الحالة، فإن البائعين هم رابينانوم (rabiānum) ومسني كوليزوم (Kullizum) (٦٢) وقد وصف العقار (bit rabiān Kullizum u šibūt ālim , bēlū bitim) (بيت رابينانوم كوليزوم وشيوخ المدينة ، هم أصحاب المنزل)، وكان المشتري سين-ريميني (Sin-rēmēni) ابن أبو- وقار (Abu-waqar)، الذي دفع (١١ ¼) شاقل فضة (٦٣)، وفي نص آخر نستنتج منه أن مجلس مسني المدينة كان يمتلك سلطة تمكنه من جمع الشباب والرجال وارسالهم إلى قصر الحاكم أو أي عمل من أعمال السخرة كما في النص : (إلى مسني المدينة قل هكذا يقول طاريدم (tāridum) (اسم هذا الموظف ربما رابينان مدينة شادويم موقع تل حرمل) ، قرأت لوحك الذي أرسلته هنا (اقرأ) بخصوص الكتابة إلى القصر حول موضوع الشباب - حالما قرأت لوحك وارسال الشباب إلى القصر، لقد أرسلت الشباب جميعهم إلى الرجال الذين هم في باب القصر، وأرسلت رسالة إلى القصر وسوف أحضر الارسال بخصوصك، لا تكن كسولا، أن تقوم بالعمل ويجب تحضير ما هو ضروري لرحيلك) (٦٤).

يتضح من هذه النصوص بان عمل مسني المدينة تارة شهود على بيع عقار وفي النص الثاني كانوا من ضمن بائعين العقار، والنص الثالث تجنيد الشباب لعمل السخرة ومن ثم من الصعب تحديد انشطتهم فعليا.

٣- مجلس الرجال (الشباب) گوروش أورو (GURUŠ URU):

ذكر هذا المجلس في نص واحد ضمن قصة گلگامش مع أگا ملك كيش، فبعد فشل گلگامش في اقناع مجلس المسنين في مدينة الوركاء للموافقة على اعلان الحرب ضد آکا، ذهب گلگامش إلى مجلس الشباب گوروش أورو القادرين على حمل السلاح والذين وافقوا على اعلان الحرب ورفض الاستسلام، وبذلك فان مجلس الشباب قدم النصيحة الى أرادها گلگامش أن يسمعها وأعطى الشرعية لقرار ملك الوركاء، وأهمل قرار مجلس مسني المدينة.

٤- مجلس الحي بابتم (bābtum):

قسمت المدن في العهد البابلي القديم إلى أحياء أو مناطق وكل حي أو منطقة تسمى بالأكدية (بابتم)، وقد عثر على أربعة طابوقات عليهم نقش في موقع موتالو (Mutalû) (يقع على بعد ١٨ ميل شمال شرقي موقع كيش) ، وقدم الباحث (Langdon) ^(٦٥) تقريراً حول طابقتين محفوظتان في متحف اشمولين (Ashmolean) ^(٦٦)، ويذكر النص (GA/BI-NI/IR-ma-bi-de-e) (ابن ماسالوم رابيئان بابتشو (rabian bābtišu) شيد سور موتالو) معنى رابيئان بابتشو تقابل بابتم (bābtum) الأكدية وتعني (حي المدينة) ولكن يقترح الباحث (Gelb) ^(٦٧) أن بابتم تدل على (معسكرات صغيرة) يرأسها شيخ، ومن المحتمل تشير إلى الأفراد يعودون إلى تجمع عشائري ويعتقد كل من الباحثين (Donbaz) (و Yoffee) ^(٦٨) بأن بابتم يمكن أن تكون مجموعة لها نسب مشترك، ويفسر الباحث (Stol) بان هناك شيوخ رابيئان يترأسون معسكرات صغيرة، فهم بمثابة نائب عن الملك ولذا هناك

أكثر من بابل في المدينة وفي وقت واحد^(٦٩)، ثم أدمجت فأصبحت مشايخ ولكن لا نعرف هل هناك اتصال بين رؤساء الباب في المدينة الواحدة أم لا؟

وكان لكل حي من الأحياء مجلس يعمل على فض المنازعات وحل الكثير من المشاكل التي قد تحدث بين الأفراد والجماعات القاطنة في الحي، ويعتقد بأن مجالس الأحياء بابل لها نفس تنظيم مجالس المدن تقريبا فهي تتمتع بسلطة قضائية واستشارية ويجتمع سكان الحي لمناقشة قضية أو مشكلة معينة ويتخذون القرار بشأن تلك القضية، ففي نص يعود إلى السنة الثالثة من حكم الملك سمسو-إيلونا نجد إجراءات تحقيقية يقوم بها رجال مجلس الحي كما هو الآتي: (رجال وأبناء الحي اجتمعوا لمعرفةهم بالأمر، رجال وأبناء الحي تفحصوا أقوالهم)^(٧٠).

لقد ذكرت قوانين حمورابي مجلس بابل كما في (مادة ١٤٢) الخاص بعفة المرأة: (إذا كرهت امرأة زوجها وقال له لا تأخذني (لا تضاجعني)). ففي إدارة بلديتها سوف يدرس سلوكها، فإذا كانت محترسة ولم ترتكب خطيئة، بينما زوجها يخرج كثيرا من البيت ويحيط من شأنها، فلا جرم على تلك المرأة، ويمكنها أن تأخذ هديتها التي جلبتها من بيت أبيها وتذهب إلى بيت والدها)^(٧١)، هنا ترجمت إدارة بلديتها (بابل)، وفي (مادة ٢٣) من قانون حمورابي: (إذا لم يقبض على السارق، فعلى الرجل المسروق أن يعرض أمام الإله عما فقده، وعلى المدينة والحاكم الذي حصلت في أرضه ومنطقته السرقة، أن يعرضه ما سرق منه)^(٧٢)، المقصود بالمدينة هو مجلس الحي الذي عليه مسؤولية دفع التعويض عن السرقة في منطقته ولم يكتشف أو القبض على السارق، وفي (مادة ٢٤) (فإذا كانت نفس قد فقدت أثناء السرقة، فعلى المدينة والحاكم أن يدفع منا واحدا من الفضة لأهله)^(٧٣)، في هذه المادة يتحمل الرايبيان أو مجلس الحي دفع تعويض عن مقتل النفس البشرية أثناء جريمة السرقة كما أشرنا سابقا.

٥- مجلس المركز التجاري (كاروم) (kārum) :

انتشرت مجالس المراكز التجارية (كاروم) في مدن جنوب العراق وفي بلاد الاناضول، ففي بداية الألف الثانية ق.م أسس الآشوريين عدد من المستوطنات في الأناضول وعثر على الكثير من الوثائق التي تعطي انطباع بأنهم أسسوا مشروعا تجاريا في غاية التنظيم أخذ على عاتقه الاستيراد والتصدير على نطاق دولي بكل معنى الكلمة وتهتم غالبية نصوص المستعمرة الآشورية بآسيا الصغرى بالقضايا التجارية، حسب المعلومات الحالية إحدى عشرة مستوطنة من نوع كاروم وعشرة من نوع ابارتوم ممتدة من آشور حتى سهل قونية ولمسافة (٦٠٠) ميل من الشرق إلى الغرب.

تتضمن هذه الوثائق التجارية الديون، وطلبات الشراء، والاتفاقات، والقوائم الخاصة بالمواد المتوفرة، والبضائع المخزونة، واتفاقيات نقل البضائع، وتحويل ملكية المواد والحاجيات، وعقود التوكيل لتمويل مشاريع تجارية، ثم قوائم الحسابات المحسومة، وتلك لتصفية الديون، وتحمل الكفلاء التزامات المدينين الذين لم يفوا بتعهداتهم، إضافة إلى الرسائل وغالبيتها متبادلة بين أصحاب المشاريع ووكلائهم المستخدمين عندهم الذين تربطهم معهم في الغالب عقود واتفاقات، وهناك أيضا وثائق قضائية وهي تخص منازعات تجارية وقرارات محاكم تناولت بعضها محاكم الكاروم (Karum) وأبارتوم (Wahartum)، ثم عقود الزواج، والطلاق، والتبني، وحسم قضايا الإرث، وهناك وثائق متعددة أصدرها الأمراء المحليون^(٧٤).

وقد أطلق التجار الآشوريين على الهيئة التي تدير شؤونهم في المراكز التجارية في آسيا الصغرى تسمية كار (KAR) في اللغة السومرية^(٧٥)، وفي اللغة الأكديّة كاروم (kārum) والتي تعني رصيف أو ميناء أو محطة تجارية^(٧٦)، ثم اتسع مفهوم كاروم ليعني السوق، وكانت هيئة الكاروم ترتبط من الناحية الإدارية بالسلطة الآشورية ويمثلها نائب خاص في مجلس مدينة آشور (بخر آشور)، وكان يدير كل كاروم هيئة سميت

(بيت كاروم) (bīt kārum)، وكثيرا ما ترد في الوثائق الاشورية كلمة كاروم ويقصد بها (هيئة الكاروم) ^(٧٧)، وقد عززت الألواح الآشورية القديمة التي عثر عليها في كانيش (كول تبة في بلاد الاناضول) حول التعريف بالجهات المحلية وتجمعها في وحدات مؤسسية أصغر في بلاد الاناضول وشمال سوريا، وكان التجار يعيشون ويمارسون عملهم في داخل الكاروم ومن أهم هذه (مستعمرات الاشورية) هو كاروم كانيش (kārum Kaneš) ^(٧٨) المركز الإداري للمستوطنات التجارية في الاناضول لأن كاروم كانيش يتعامل مع القضايا السياسية والاقتصادية والقانونية، والإدارية، وقارن بعض الباحثين بأنه مع مدينة آشور كانوا جسم سياسي، وهذا يعني (مجلس المدينة) على سبيل المثال، كان كاروم كتنظيم سياسي يوازي مجلس المدينة ^(٧٩)، واستنادا إلى المقارنة فأن كاروم كانيش يضم مجلسين (الكبار) (rabû) تعني (مسنين أو شيوخ أو العظماء) و (الصغار) (ṣiḥru) وكلمة صخر (بالعربي صغير) تعني الشباب، وهناك مجلس آخر في كل مركز تجاري خاص بالرجال الكبار أو المسنين يدعى (أويلي رابيوتوم) (Awili Rabiutum) وهو يدير شؤون المركز التجاري كاروم كانيش اسميا ^(٨٠) وعلى غرار التنظيم السياسي في آشور مجلس مسني المدينة ^(٨١) فان مجلس المدينة هو أعلى سلطة قضائية في آشور، وأنه يتألف من ممثلين ينتمون إلى جماعات النخب المختلفة، من بينها التجار، وتعمل هذه المؤسسة بالتعاون مع الحاكم واقرت العديد من الأحكام المعروفة باسم (القانون) أو (أمر من المدينة) (آوات آلم) (awāt ālim) ^(٨٢)، لقد كان الكارم باعتباره المركز التجاري مسؤولا عن السلطة القضائية التي تفصل في المنازعات التي تنشأ بين التجار الاشوريين وقضاياهم القانونية ^(٨٣)، كما ورد في أحد النصوص التجارية تؤيد ان مجلس الكاروم كان بمثابة هيئة قضائية وذلك من خلال الجملة التالية : (لقد حسم الكاروم قضية قضائية) (garum dinam idin) ^(٨٤).

كان الكاروم مركز تجاري خارج المدن الرئيسية فهو كيان مستقل من الناحية الإدارية والقانونية فهو يتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي وفي نفس الوقت يقع تحت حماية امراء وحكام الممالك المحلية غير انها كانت تسير على التقاليد والقوانين الاشورية وتدين بمعتقدات الاشوريين، وكان يحكم كل كاروم حاكم مقره القصر (ekallum) ، وأيضا سلطة تشريعية وتنفيذية كهيئة حاكمة كما يشرف على ضريبة المكوس وضرائب أخرى ويستلم المراسلات والتعليمات من رؤسائه في مدينة آشور، لقد انقطعت الصلات التجارية بين آشور و كانيش منذ زمن شمشي ادد الأول (١٨١٤-١٧٨٢) ق.م، نتيجة لحدوث صراع بين الممالك المحلية في بلاد الاناضول وقد أصاب كاروم كانيش الحرق والتدمير فتوقفت شبكة التجارة الاشورية، وهناك من يرى أن انتشار المستوطنات كانت في وقت حكم ملوك صغار ضعفاء جنبا إلى جنب وحالما ظهرت حكومة مركزية توقفت المستوطنات عن العمل^(٨٥).

ولم يقتصر الكاروم على بلاد الاناضول ففي القسم الجنوبي من بلاد الرافدين كاروم مدينة سبار وهو مركز للتجارة الخارجية وذكر في عقود تعود زمنيا إلى عهد حمورابي حيث استخدم ميناء سبار لدفع الإيجارات، ولدينا نص يشير إلى رجل استأجر قاربا في ميناء سبار^(٨٦)، واعتبر كاروم هيئة قضائية لها علاقة بقضاة سبار، كما أن الموظف المسؤول عن القضايا هو رابينان سبار، وكان هناك ما لا يقل عن ثلاثة قضاة كانوا يجلسون إلى جانب المسؤول عن الكاروم للنظر في القضايا التي تقع ضمن رقعة كاروم الجغرافية والمسؤول عنها^(٨٧)، فقد جاء في قضية نزاع بين اخوة ضد ظلم اخيهم وارسلت الرسالة الى كاروم سبار حيث عرضت للمرة الثانية ولم يصدر قرار ينصفهم : (إلى سين-أدينام وكاروم مدينة سبار وقضاة مدينة سبار قل هكذا يقول أبي-إشوخ...) ^(٨٨) كما تقع ضمن مسؤولياته جباية ضريبة إيجسو (igisû) (ضريبة تفرض على الكهنة وتجبي لصالح الملك) ^(٨٩) .

٦- مجالس اقوام معينة (القبائل):

شهدت بلاد الرافدين موجات عديدة من الهجرات ومن مختلف الاتجاهات وعبر مختلف العصور وهذه الموجات البشرية تنتظم في قبائل يرأسها شيوخ يطلق على كل منهم أبا للقبيلة (AB.BA) ^(٩٠)، وتتعدد المجالس داخل القبيلة أو العشيرة، ففي رسالة عثر عليها في مدينة الدير (تل العقر) تتحدث عن اجتماع للأموريين: (ذهبت إلى مجلس الاموريين ووقفت هناك، اجتمع مشبارم (ربما حاكم منطقة خفاجي أو منطقة محيطية ببلاد بابل) ^(٩١) وسمو-نبيارم مع سمو-آبوم الحاكم أصبحت كلماتهم واحدة ومسؤولياتهم واحدة (....) يتعهد مشبارم مع آلوم-بومو إذ يتعاهد وإذا غير ذلك يشهر مشيارم سلاحه ضد آلوم-بومو ويضرب الأيادي ويعلن سمو-آبوم تقريركم وسيلقي مشبارم مع آلوم-بومو الرجال وسيكونون قوة فعالة) ^(٩٢)، يتضح من الرسالة ان القبائل كان لها مجلسا ينظر فيها القضايا التي تخص أشخاصا ضمن القبيلة الواحدة وان مجلس الاموريين كان يحتكم إليه الممالك الأمورية في العصر البابلي القديم ^(٩٣).

الهوامش :

(١) ينص مبدأ التشبيه بان الآلهة تتميز عن البشر بالخلود والقوة الخارقة ولكنها تشبه البشر في صفاتها الروحية والمادية وبذلك نقل الناس إلى الآلهة جميع الأفعال والاعمال التي يمارسها البشر في حياتهم الخاصة والعامة كالطعام واللباس والزواج وإقامة الولائم وعقد مجالس التشاور وكذلك الآلهة تفرح وتحزن وتغضب وتتخاصم فيما بينها: طه باقر: (١٩٧٣)، ص ٣٣١-٣٣٢ // معاذ حبش خضر العبادي: (٢٠١٢)، ص ٣٢

(2) عامر سليمان: (٢٠٠٤)، ص ١٠

(3) الإلهة تيامة هي والددة جميع الآلهة وزوجها الإله ابسو ويمثلان المياه الجوفية والمياه المالحة والتي ولدت جميع الآلهة، راجع أيضا قصة الخليقة البابلية وانتخاب مردوخ ملكا على الآلهة: نائل حنون: (٢٠٠٦)، ص ٢١

(4) فانتن موفق فاضل: (٢٠٠٢)، ص ١٢

Jacobsen, Thorkild: (1943). Pp. 159-172

(5) طه باقر: (٢٠٠٣)، ص ٢١٩ هامش ٢٤٨

(6) جان بوتيرو: (١٩٧٠)، ص ٢٦٠ // هاري ساكر : (١٩٩٥) ، ص ٥٨ // محمد خليفة احمد: (١٩٨٨)، ص ١٠٢

(7) جاء في قصة الطوفان البابلية: (فتح أنو فاه وقال مخاطباً ... يا نسكو افتح بوابتك وخذ سلاحك.. اسجد في مجلس الآلهة العظام ..) ، وأيضا (.. ثم فتح انليل فاه وقال مخاطباً مجلس كل الآلهة هيا نؤدي القسم كلنا لأحداث الطوفان، فاقسم أنو أولاً..) : فاضل عبد الواح علي: (١٩٧٥) ، ص ١٣١ و ص ١٧٠

(8) طه باقر: (٢٠٠٣)، ص ١١٧

(9) هنري فرانكفورت و (آخرون): (١٩٨٠)، ص ١٨٠

(10) عامر سليمان وأحمد مالك الفتيان: (١٩٧٨)، ص ٨٤

(11) Marc Van De Mieroop: (1999). p. 122

(12) Michalowski, Piotr: (1976). p. 41

(13) معاذ حبش خضر العبادي: (٢٠١٢)، ص ٥٧

(14) CAD, U and W : p. 161 // CAD , P. p. 419

(15) Ali, Fadhil A: (1964). Pp. 66-68

(16) لقد بنى الباحث (Jacobsen) فكرته عن الديمقراطية البدائية لدى السومريين من الاساطير ومجمع البانثيون السومري، فليس لدينا نصوص سومرية تعطي فكرة واضحة عن شكلية السلطة السياسية مع إطلالة عصر فجر السلالات غير إننا نعرف موقع المعبد في اقتصاد المدينة السومرية ومكانة الانسي (الكاهن الأعظم) في إدارة أملاك الإله، ومع هذا الباحث (كريمير) قدم دليلاً على الديمقراطية في بلاد سومر حول الصراع بين گلگامش خامس ملوك مدينة اوروك ضد (اجا) (Agga) ملك كيش: جورج رو: (١٩٨٤)، ص ١٦٥-١٦٦ // طه باقر: (١٩٧٣)، ص ٣٠٣

Jacobsen, Thorkild: (1943). Pp. 159-172

(17) Seri, Andrea: (2005). p. 165

(18) هذه المدن وغيرها تسكنها الآلهة وبذلك فيها الأمان والسلام بعكس البرية ومخلوقاتهما، كما أن الكتبة فيها يشكلون نخبة سكنة المدينة ومن ثم نصوصهم لها علاقة بين الآلهة والحكام وما وصلنا من نصوص تشكل المادة الأساسية لكل باحث بما فيها قائمة أسماء ملوك سومر:

Jacobsen, Thorkild: (1939). Pp.69f

(19) رابيئان (rabiānum) من المصدر الاكدي رابُ (rabû) وتعني الشيخ ، او عمدة القرية، أو رئيس المدينة، أو البلدة، وأول ذكر لـ(رابيئان) من العهد البابلي القديم وكتب بعدة اشكال (ra- bi-a-nu-um) و (ra-BI-nu -um) وكتب في عيلام (ra-ba-nu-um) ، وقد ذكر في نص من دلبات بان أخوم-طابوم (Aḫum-tābum) أحتل منصب رابيئان ولثلاث سنوات متتالية :

Seri, Andrea: (2005). Pp. 51-52// Stol, M: (1976). p. 80 // Klengel, Horst: (1960). Pp. 372-373

(20) Jacobsen, Thorkild: (1943). 162

(21) اور-نورتا: معتصب العرش بعد وفاة الملك لبث-عشتار، حكم مدة (٢٨) عاما، معنى اسمه (عبد الإله ننورتا)، أطلق على نفسه (ابن الإله اشكور Iškur) (إله العواصف في الجنوب أي ادد)، وقد تمكن من استرجاع واستعادة كافة المدن والاراضي التي فقدتها مملكة إيسن في السابق، وبذلك استحق حمل لقب ملك (سومر وأكد)، وهي دلالة واضحة على ازدياد قوة مملكة إيسن وسعة رقعتها: عباس علي الحسيني: (٢٠٠٤)، ص ٥٠

(22) معاذ حبش خضر العبادي: (٢٠١٢)، ص ٦٢

(23) عثر على محضر مجلس مدينة نفر عام (١٩٥٠) م في تنقيبات البعثة الامريكية في نفر، والطريف في الامر أرسلت القضية وقرار مجلس مدينة نفر بتبرئة المرأة إلى عميد كلية الحقوق في جامعة بنسلفانيا طالبين راية فكان جوابه (ان تلك الزوجة لا يمكن أن تعد شريكة في الجريمة ولم تأوي المجرم وليس لها علم مسبق بارتكاب الجريمة أو قدمت العون للقتلة) : فوزي رشيد: (١٩٨٧)، ص ١٧-١٨

(24) عامر سليمان: (١٩٨٧)، ص ٢٦٦// عادل محسن ثامر الحاتمي: (٢٠١٠)، ص ١٤٥

(25) فوزي رشيد: (١٩٨٧)، ص ١٤٠ // عامر سليمان: (١٩٨٧)، ص ٢٤٩

(26) Postgate, John Nicholas: (1992). p. 8

(27) عمي-صدوقا ملك بابل (العهد البابلي القديم)، ابن الملك عمي-ديتانا، حكم (٢١) عاما، معنى اسمه (قريبى الإله الصادق، لان عمي = قريبى، وكلمة صدق (šdq) محتمل اسم إله الصديق (Sedeq):

Fitzmyer, Joseph A: (1997). p. 230

(28) Charpin, Dominique: (1982). Pp. 61-62

- (29) عادل محسن ثامر الحاتمي: (٢٠١٠)، ص ٩٧
- (30) حول القوانين البابلية راجع فوزي رشيد: (١٩٨٧)، ص ١١٩ و ١٢٠ و ١٤١ و ١٤٨
- (31) معاذ حبش خضر العبادي: (٢٠١٢)، ص ٦٤
- (32) جوان اوتس: (١٩٩٠)، ص ١٠٤
- (33) Seri, Andrea: (2005). Pp. 51-52
- (34) Harris, Rivkah: (1975). p. 141. n. 98// Charpin, Dominique: (1980). p. 463. n. 9
- (35) جوان اوتس: (١٩٩٠)، ص ١٠٤
- (36) Finkelstein, Jacob J: (1965). p. 240
- (37) Ibid: p. 237
- (38) مصطلح (méšarim) يعني الاعفاء من الديون المتبقية كما جاء في رقيم طيني من مدينة سبار ورد فيه (.. فلاحي الملك والرعاة وكذلك صاحبة الحانة والمضمنين لأرض الملك قد اعفوا من الديون المتبقية..). وهكذا ذكر عن القانون بانه الحقيقة (truth) والحق (right) يقابله (Sedeq) (صدق) والعدالة (méšarim) ميثارم والقانون (mišpat)، وصمداتم أو صمدات شرم وهي مراسيم ملكية أو تعليمات ملكية أو تعريفات ملكية، كما في قانون حمورابي في المادة (٥١) كان الملك يحدد سعر السوق من حبوب وسمسم، كما استعمل مصطلح شارم وجذره الثلاثي (وشار) للدلالة على الاستقامة والعدل، وقد أطلق هذا المصطلح (دينات مشارم) على القوانين، وفي اللغة البابلية (ميشارم) تعني قوة القانون، وكان الميثارم إجراء قصير الأمد، ووثيقة اوركاينا يحتمل أن الميثارم ينحدر من تلك الوثيقة الإصلاحية، كما اصدر أمني صدوقا (عمي صدوقا) ميثارم في عهده (العصر البابلي القديم) بعد عشرة شهور من استلامه الحكم: هورست كلنغل: (١٩٨٧)، ص ١٩٤-١٩٥.
- (39) Seri, Andrea: (2005). p. 169 // Kraus, Fritz Rudolf: (1977). p. 131.
- (40) Lambert, Wilfred G and Millard, Alan R: (1999). p. 10
- (41) ملك سلالة كيش السومرية (عصر فجر السلالات) ورد اسمه في قائمة ملوك السومرية ابن (Mebaragesi) وطبقا للنقوش الأدبية كان عدو گلگامش الذي انتصر عليه بعد أن حاصر آغا مدينة اوروك، ومثل گلگامش فانه يتميز أيضا في النقوش تومال (Tummal) بأنه أجرى إصلاحات في الحرم المقدس في نيبور:

(42) جورج رو: (١٩٨٤)، ص ١٦٦// طه باقر: (١٩٧٣)، ص ٣٠٤

(43) تجدر الإشارة إلى مجتمع بلاد الرافدين هو مجتمع (الذكوري)، في حين كان الرجال أكثر نشاطا في مجال الأعمال التجارية، تعاونت بعض النساء مع أزواجهن في المعاملات العقارية، وامتلاك الرقيق، وفي الحصول على قروض مشتركة، كما امتلكت الأرامل الحق في السيطرة على الملكية العقارية بعد وفاة زوجها، والعديد من النساء تصرفن بشكل مستقل، في الاستثمار في البعثات البحرية، ومقايضة في المحاكم، وتستلم القروض، وتقدم الهدايا إلى المعابد وتستلم الأموال، هذه النشاطات أكثر تقييدا من أولئك من الرجال، ولكنها تعطي انطباع حول الاستقلال المالي من قبل النساء ومع كل هذا لا تدخل في مجالس المدن ومجالس المسنين :

Harris, Rivkah: (2000). p. 50// Stol, Marten: (1982). Pp. 216-217

(44) معاذ حبش خضر العبادي: (٢٠١٢)، ص ٦٨-٦٩// سالم يحيى خلف الجبوري: (٢٠٠٦)،

ص ٣١

(45) Seri, Andrea: (2005). Pp. 51-97

(46) فوزي رشيد: (١٩٨٧)، ص ٩٤

(47) المصدر نفسه: ص ١٢٣

(48) جوان اوتس: (١٩٩٠)، ص ١٠٤-١٠٥

(49) راجع الباحث (Walther) في بحثه (نظام المحاكم البابلية القديمة) في مركز لايبزيك للدراسات السامية:

Walther, Arnold: (1917). p. 64

(50) Gelb, Ignace J: (1984). p. 267

(51) Archives Royales de Mari 3 73: 10 and 14 121:29 and 26 411: 73
and 26 404:36

(52) مدينة دور-يخدون-ليم في المملكة البابلية القديمة في ماري، وشيدت في موقع فريد فهي مدينة وقلعة في نفس الوقت ، وردت في نقش تتاول بنائها وأنها أقيمت على ارض بكر، ووصف بنائها بانها مدينة ملكية لم يبني ملكا مثلها من قبل، وفي الحقيقة لم يكتشف موقعها لحد الان لكن يعتقد أنها تقع على نهر داورين (nahr Dawrin) وهو قناة قديمة شرق رافد الخابور وشمال الفرات، وأما أدد-ياقيم فريما لم عين حاكم شكاراتوم عندما أرسلت هذه الرسالة إلى ملك ماري :

Safren, Jonathan D: (1989). Pp. 3-4 //Durand, Jean-Marie: (1998). p. 423

(53) Kupper, Jean -Robert: (1998). p. 169

(54) Birot, Maurice: (1974). p. 91

(55) كتبت نيكيريا في الألواح الآشورية القديمة، بعدة اشكال منها ناخيريا (Naḫiria)، وناخريا (Naḫria)، و نيكيريا (Niḫaria) وكانت مركز تجاري مهم، ومقر كاروم (kārum) يسيطر على ممر ارجاني (Ergani) في بلاد الاناضول، حيث يتم تبادل القصدير في المدينة بمعدن الفضة، وبالتالي يجب أن تكون موجوده على الطريق الاستراتيجي لتجارة القصدير بين آشور و كانيش (Kaniš)، وناخوم (Naḫum) لكون هذه الاخيرة كانت المحطة التجارية المهمة التالية:

Singer, Itamar: (1985). Pp. 104-105

(56) حول تفاصيل هذه الرسالة عند الباحث (Charpin) في بحثه (معلومات جديدة من العصر البابلي القديم):

Charpin, Dominique: (1993). Pp. 197-203

(57) اكرم الزبياري: (١٩٧١)، ص ١٠١

(58) معاذ حبش خضر العبادي: (٢٠١٢)، ص ٧٠-٧١

(59) المصدر نفسه: ص ٧٤

(60) Seri, Andrea: (2005). p. 122

(61) Mitteilungen der Altorientalischen Gesellschaft 4. Berlin 1900. p. 290

Ad 22

(62) تقع منطقة كوليزوم شمال سبار قريبة من الفرات ومنطقة سادي (Saddi) ولذا فهي من ضمن أراضي سبار، وذكرت كثيرا في توزيع الأراضي للجنود في أواخر العصر البابلي القديم في منطقة سبار:

Katrien de Graef: (2002). Pp. 144-148 and 166

(63) Mesopotamian History and Environment. Series II/6 n. 903// Seri, Andrea: (2005). p. 88

(64) Goetze, Albrecht: (1958). p. 18

(65) Langdon, Stephen: (1924) .p. 40

- (66) Frayne, Douglas: (1990). p. 659
- (67) Gelb, Ignace: (1968). p. 43
- (68) Donbaz, Veysel and Yoffee, Norman: (1986). Pp. 58-89
- (69) Stol, Marten: (1976). p. 80
- (70) معاذ حبش خضر العبادي: (٢٠١٢)، ص ٨٠
- (71) فوزي رشيد: (١٩٨٧)، ص ١٤٣-١٤٤
- (72) المصدر نفسه: ص ١٢٣
- (73) عادل محسن ثامر الحاتمي: (٢٠١٠)، ص ١٢٨
- (74) سامي سعيد الأحمد: (١٩٧٧)، ص ٧٠-٩٦ // بهيجة خليل إسماعيل: (١٩٨١)، ص ٥٠-٦٩ // صلاح رشيد الصالحي: (٢٠٠٧)، ص ٧٢-٧٣
- (75) عامر سليمان: (٢٠٠٤)، ص ١١
- (76) علي ياسين الجبوري: (٢٠١٠)، ص ٢٥٤
- (77) Seri, Andrea: (2005). p. 140
- (78) Veenhof, Klaas R: (1995a). p. 867
- (79) Landsberger, Benno: (1924). p. 223
- (80) سامي سعيد الأحمد: (١٩٧٧)، ص ٧٧
- (81) Larsen, Mogens Trolle: (1976) . p. 161
- (82) Veenhof, Klaas R: (1995b) . p. 1736
- (83) معاذ حبش خضر العبادي: (٢٠١٢)، ص ٨٨
- (84) فوزي رشيد: (١٩٨٧)، ص ١٧٧
- (85) صلاح رشيد الصالحي: (٢٠٠٧)، ص ٨٨
- (86) معاذ حبش خضر العبادي: (٢٠١٢)، ص ٨٩
- (87) Harris, Rivkah: (1975). Pp. 67-68
- (88) إبي-إشوخ ملك بابل حكم عام (١٧١١-١٦٨٤) ق.م في العصر البابلي القديم: طه باقر: (١٩٧٣)، ص ٤٣٢
- (89) معاذ حبش خضر العبادي: (٢٠١٢)، ص ٩١
- (90) هاري ساكز: (٢٠٠٩)، ص ١٤٠

(91) سالم يحيى خلف الجبوري: (٢٠٠٦)، ص ١١٠

(92) المصدر نفسه: ص ١١٠

(93) معاذ حبش خضر العبادي: (٢٠١٢)، ص ٩٨

الاستنتاجات

أن اغلب الدراسات التاريخية حول بلاد الرافدين تتركز على الجانب التاريخ السياسي والاقتصادي، وأعمال الملوك وسياستهم، ومثل هذا المنهج البحثي يترك مجالاً واسعاً لدراسة التركيبة الملكية والصراعات بين الممالك والتفاوض بين الدولة وقطاعات أخرى في المجتمع بينما هذا البحث يبرز دور المؤسسات المحلية التي تشارك في الأنشطة القضائية والاقتصادية ويكشف آلية التعاون بين السلطة الدولة والمؤسسات المحلية وما يرتبط بينهما من شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية والسياسية.

لقد كانت المجالس المحلية وليدة أفكار انسان بلاد الرافدين قديماً فقد عاش في بيئة قاسية دفعته إلى العمل الجماعي أحياناً ومن ثم تمكن من خلق نوع من التنظيم والترتيب لحياته، وانعكس هذا على معتقداته الدينية التي كان لها دور أساسي في حياته بل ومؤثر في جميع اركان الحضارة العراقية القديمة، وكان الواجب الملقى على عاتق سكان بلاد الرافدين أن يلبوا مطالب الملك لأنه يمثل الآلهة على الأرض، وبما ان للآلهة مجالسها الخاص فقد اعتمد سكان العراق القديم مبدأ التشبيه مثل الآلهة فعقدوا مجالسهم الخاصة كما وردت في النصوص التي نقلها لنا الكهنة والكتبة منذ عصر فجر السلالات السومرية ، وبذلك يكون العراقيون القدماء أول من مارسوا أساليب العمل الجماعي الديمقراطي في العالم القديم .

وعمد ملوك بلاد الرافدين من خلال تشريعاتهم القانونية على ترسيخ عمل مجالس المدن (بخر آلم) التي ورد ذكرها في الشرائع السومرية والبابلية والاشورية، فقد كانت مجالس المدن موجودة في بابل ونيبور وسپار ودلبات وتضم مسني المدينة (شيبوت آلم) ومعهم القضاة الذين كانوا يجلسون سوياً، أو في كثير من الأحيان يعمل شيبوت آلم مع

رئيس البلدة رابيثان، وكذلك مجالس الاحياء السكنية (بابتم) وهم هيئة قانونية كانت تقوم بإجراء التحقيقات في القضايا التي تخص أذى الناس مثل انذار أصحاب الحيوانات وابعاد خطرهما أو أصحاب الجدران الآيلة للسقوط وضرورة إصلاحها، وإيضا تحويل القضايا بعد إجراء التحقيقات إلى المحاكم للنظر فيها مما يجعل علاقة مجلس المدينة ومجلس مسنيها مع الحكام والملوك مباشرة كما ورد ذلك في سلسلة من الرسائل المتبادلة بين الطرفين.

المصادر

- ١- أكرم الزبياري: دراسة تحليلية لنصوص مسمارية من العهد البابلي القديم، سومر، المجلد ٢٧، بغداد، ١٩٧١
- ٢- بهيجة خليل إسماعيل: المستعمرات التجارية الآشورية في الأناضول، مجلة النفط والتنمية، العدد (٧-٨)، بغداد، ١٩٨١
- ٣- جان بوتيرو: الديانة عند البابليين، ترجمة وليد الجادر، بغداد، ١٩٧٠
- ٤- جوان اوتس: بابل تاريخ ممصور، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلي، بغداد، ١٩٩٠
- ٥- جورج رو: العراق القديم، ترجمة حسين علوان حسين، بغداد، ١٩٨٤
- ٦- سالم يحيى خلف الجبوري: المضامين السياسية والاقتصادية في رسائل العصر البابلي القديم، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠٠٦
- ٧- سامي سعيد الأحمد: المستعمرات الآشورية في آسيا الصغرى، سومر مجلد ٣١، بغداد، ١٩٧٧
- ٨- صلاح رشيد الصالحي: المملكة الحثية، بغداد، ٢٠٠٧
- ٩- طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات، الجزء الأول، بغداد، ١٩٧٣

- ١٠- طه باقر: ملحمة كلكامش، الطبعة السادسة، بغداد، ٢٠٠٣
- ١١- عادل محسن ثامر الحاتمي: التشريع في العهد البابلي القديم، الطبعة الاولى، النجف، ٢٠١٠
- ١٢- عامر سليمان وأحمد مالك الفتیان: محاضرات في التاريخ القديم، الموصل، ١٩٧٨
- ١٣- عامر سليمان: القانون في العراق القديم، بغداد، ١٩٨٧
- ١٤- عامر سليمان: أقدم صيغ الديمقراطية في العراق القديم، مجلة آداب الرافدين، العدد ٣٨، ٢٠٠٤
- ١٥- عباس علي عباس الحسيني: مملكة ايسن بين الإرث السومري والسيادة الأمورية، دمشق، ٢٠٠٤
- ١٦- علي ياسين الجبوري: قاموس اللغة الأكديّة-العربية، أبو ظبي، ٢٠١٠
- ١٧- فانتن موفق فاضل: رموز أهم الآلهة في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠٠٢
- ١٨- فاضل عبد الواح علي: الطوفان في المراجع المسمارية، بغداد، ١٩٧٥
- ١٩- فوزي رشيد: الشرائع العراقية القديمة، الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٨٧
- ٢٠- محمد خليفة حسن احمد: الأسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم، الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٨٨
- ٢١- معاذ حبش خضر العبادي: المجالس في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠١٢
- ٢٢- نائل حنون: حينما في العلى، الطبعة الأولى، دمشق، ٢٠٠٦
- ٢٣- هاري ساكز: البابليون، ترجمة سعيد الغانمي، الطبعة الأولى، بنغازي 2009
- ٢٤- هنري فرانكفورت و(آخرون): ما قبل الفلسفة، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٠

٢٥- هورست كلنغل: حمو رابي ملك بابل وعصره، ترجمة غازي شريف، الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٨٧

References

- 1- Ali, Fadhil A: "Blowing the Horn for official announcement," Sumer 20. Part 1-2. Baghdad, 1964
- 2- Archives Royales de Mari 3 73: 10 and 14 121:29 and 26 411: 73 and 26 404:36
- 3- Birot, Maurice: lettres de Yaqqim-Addu, gouverneur de Sagarātum ARM 14 . Paris : Librairie Orientaliste Paul Geuthner, 1974
- 4- Charpin, Dominique: " Remarques sur l'administration paléobabylonienne sous les successeurs d'Hammurapi," JAOS 100: 1980
- 5- Charpin, Dominique: " Merchand du Palais et marchands du temple à la fin de la 1er dynastie de Babylone . Journal Asiatique 270: 1982
- 6- Charpin, Dominique: "Données nouvelles sur la poliorcétique? l'époque paleo-babylonienne," MARI 7: 1993
- 7- Donbaz, Veysel and Yoffee, Norman: "Old Babylonian Texts from Kish Conserved in the Istanbul Archaeological Museums. Malibu: Undena Publications. 1986
- 8- Durand, Jean-Marie: "Les documents épistolaires du palais de Mari. V. II. LAPO 17. Paris: Les Editions du Cerf. 1998

- 9- Finkelstein, Jacob J: "Some NEW MISHARUM Material and its Implications," Assyriological Studies 16: Chicago: University of Chicago Press. 1965
- 10- Fitzmyer, Joseph A: "Essays on the Semitic Background of the New Testament," Vol. 1: London. 1997
- 11- Frayne, Douglas: "The Old Babylonian Period (2003-1595 B.C). Royal Inscriptions of Mesopotamia, Vol. 4. Toronto-Buffalo-London: University of Toronto Press. 1990
- 12- Gelb, Ignace J: "šibut knšurrā'im, Witnesses of the Indemnity," JNES 43. 1984
- 13- Gelb, Ignace: "An Old Babylonian List of Amorites," JAOS 88: 1968
- 14- Goetze, Albrecht: "Fifty old-Babylonian Letters from Harmal," Sumer 14. 1958
- 15- Gwendolyn Leick: "Who's Who in the Ancient Near East," Routledge, London 1999
- 16- Harris, Rivkah: "Gender and Aging in Mesopotamia," University of Oklahoma Press. 2000
- 17- Harris, Rivkah: "Ancient Sippar," A Demographic Study of an Old Babylonian City (1894-1595), Leiden: Nederlands Historisch-Archaeologisch Instituut te Istanbul. 1975
- 18- Jacobsen, Thorkild: "The Sumerian King List," Assyriological Studies 11. Chicago: University of Chicago Press. 1939

- 19- Jacobsen, Thorkild: " Primitive Democracy in Ancient Mesopotamia," JNES 2: 1943
- 20- Katrien de Graef: "An Account of the Redistribution of land to Soldiers in late old Babylonian Sippar-Amn?num," JESHO 45 part 2: Koninklijke Brill NV, Leiden. 2002
- 21- Klengel, Horst:"Zu den šibūtum in altbabylonischer zeit Orientalia 29. 1960
- 22- Kraus, Fritz Rudolf:" Briefe aus dem British Museum," CT 52. AbB 7. Leiden: E. J. Brill. 1977
- 23- Kupper, Jean -Robert:" Letters royales du temps de Zimri-Lim," ARM 28. Paris: Editions Recherche sur les Civilisations, 1998
- 24- Lambert, Wilfred G and Millard, Alan R: "Atra-ḫasis:The Babylonian Story of the Flood," Winona Lake , IN : Eisenbrauns (First edition 1969). 1999
- 25- Landsberger, Benno: Über die Volker Vorderasiens im dritten Jahrtausend," ZA 35. 1924
- 26- Langdon, Stephen: "Excavations at Kiš vol. 1," Paris: Librairie Orientaliste Paul Geuthner. 1924
- 27- Larsen, Mogens Trolle: "The Old Assyrian City-state and its Colonies," Copenhagen. Akademisk Foelag. 1976
- 28- Marc Van De Mieroop: "The Ancient Mesopotamia City," Oxford University Press, London. 1999

- 29- Mesopotamian History and Environment. Series II/6 n. 903
- 30- Michalowski, Piotr: "The Royal Correspondence of Ur ,
Doctoral dissertation, New Haven , Yale University, 1976
- 31- Mitteilungen der Altorientalischen Gesellschaft 4. Berlin
1900
- 32- Postgate, John Nicholas: "Early Mesopotamia," Routledge,
New York. 1992
- 33- Safren, Jonathan D: " Dūr-Yahūdun-Lim : The Raison D'être
of an Ancient Mesopotamian Fortress-city ," Journal of the
Economic and Social History of the Orient 32: (JESHO).
1989.
- 34- Seri, Andrea: "Local Power in Old Babylonian Mesopotamia,"
London. 2005
- 35- Singer, Itamar: "The Battle of Niḫriya and the End of the
Hittite Empire," ZA 75: Leipzig. Berlin, 1985
- 36- Stol, Marten: "Studies in Old Babylonian History," Leiden:
Nederlands Historisch-Archacologisch Instituut te Istanbul.
1976
- 37- Stol, Marten: "State and Private Business in the Land of
Larsa." JCS 34, 1982
- 38- The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the
University of Chicago. (1956-2010) CAD, U and W and
CAD , P

- 39- Veenhof, Klaas R: “ Kanesh: An Assyrian Colony in Anatolia,” In: Sasson et al. (eds), Civilizations of the Ancient Near East , vol. II. 859-872. New York Simon and Schuster Macmillan. 1995a
- 40- Veenhof, Klaas R: “In Accordance with the Words of the Stele ‘: Evidence for Old Assyrian Legislation,” Chicago-Kent Law Review 70: 1995b
- 41- Walther, Arnold: “Das altbabylonische Gerichtswesen,” Leipziger Semitistische Studies, VI Band 4-6. Leipzig: J. Hinrichs, 1917

الملخص

عرفت حضارة بلاد الرافدين القديم العديد من المعطيات الحضارية التي عالجت مختلف الشؤون الدينية والاقتصادية والسياسية والأدبية، وتعد مجالس الحكم والقضاة واحدة من الإنجازات المهمة التي حققها سكان بلاد الرافدين القدماء، وقد أدت المجالس دورا كبيرا في المجتمع القديم، فهي انعكاس لمجالس الآلهة كما وردت في النصوص السومرية والبابلية ، وكان دور المجالس متميز في تنظيم مجتمعات المدن القديمة في العراق القديم، حيث كانت المجالس سلطة مؤثرة في المجتمع عبر العصور المختلفة، ولهذا كانت لمجالس المدن بخر آلم (Puḫur ālim) في بدايات ظهورها في عصر فجر السلالات السومرية سلطات مطلقة تتمثل في تنصيب الحكام، وكذلك رسم السياسة الخارجية وكل جوانب إدارة المدينة، وتقوم مقام المحاكم مع بعض القضاة تارة ومع رئيس البلدة رابيتان (rabīanu) لإدارة المدينة تارة أخرى، كما أن مجلس مسني البلدات شيبوت آلم (šībūt ālim) كان بمثابة المستشارين ويظهر أن مسني المدينة كانوا أعلى منزلة اجتماعية فهم رؤساء العوائل المنتفذة في المدن القديمة، وهناك أيضا مجلس شباب المدينة غوروش أورو (GURUŠ URU) وقد استشارهم كلكامش في اعلان حرية ضد ملك كيش ، ثم مجلس الحي بابتم (bābtum) ولكل مدينة وبلده مجلس يدير شؤونها المحلية وأيضا مجلس المركز التجاري (كاروم) (kārum) ، ويختص بإدارة المستوطنات التجارية ومعالجة قضايا القانونية في المستوطنات التجارية الاشورية في

بلاد الاناضول ، وكانت هذه المجالس تمارس عملها الى جانب سلطة الملك العليا ، وتحال لها قضايا قانونية من قبل الملك نفسه .

Summary

Ancient Mesopotamia civilization knew many of the cultural facts that have addressed various religious, economic, political and literary affairs, and longer boards referee and one judge of the important achievements made by the inhabitants of Mesopotamia, ancient, and councils played a significant role in the old society, they are a reflection of the boards of the gods, as contained in texts Sumerian, Babylonian, and it was a distinct role councils in the organization of the ancient cities of communities in the old Iraq, where she boards an influential power in the society through the ages, but this was for the city councils (Puḫur ālim) in the early appearance in the era of the dawn of the Sumerian dynasties absolute powers represented in the inauguration rulers, as well as drawing up foreign policy and all aspects of the city administration, and serve as the courts with some judges sometimes with the head town (rabīanu) for the management of the city at other times, and that touched me towns Council (šībūt ālim) served as advisers shows that touched the city were higher social status of understanding the heads of families influential in ancient cities, and there is also a young city council (GURUŠ URU) has been consulted by Gilgamesh to declare war against the king of Kish, and then the Council of the (bābtum) and every city and town council manages local affairs and also (kārum), and the respect of the management of commercial settlements and resolve the legal issues in the Assyrian trade settlements in Anatolia, and the exercise of these councils work alongside senior king's authority, and referred her legal issues by the king himself.

**البيئة وتأثيرها على الإنسان من خلال
كتاب مسالك الممالك للأصطخري**

**د. كلارا عزيز فرنسيس
جامعة بغداد / كلية الآداب
قسم التاريخ**

البيئة وتأثيرها على الإنسان من خلال كتاب مسالك الممالك للأصطخري

د.كلارا عزيز فرنسيس

المقدمة:

سلطت الضوء في هذه الدراسة على موضوع يعد من المواضيع المهمة والنادرة في حقل الدراسات التاريخية والتراث العربي، فدراسة البيئة وما تحويه من عناصر موضوع ذات صلة وثيقة بشكل الإنسان وصحته وطباعه وأخلاقه، وهي التي تحدد استقراره ومقومات حياته ، ومنها يستمد قوته وأسباب نموه الفكري والأخلاقي والاجتماعي والروحي.

أتصل بالموضوع أهمية أخرى، وهي شخصية الرحالة والجغرافي الكبير أبو الإسحاق الأصطخري الذي عاش في القرن الثالث والرابع الهجري/ التاسع والعاشر الميلادي ، والذي قدم معلومات كثيرة عن جميع أجزاء الأرض المعمورة معتمداً على ما شاهده بنفسه أثناء رحلاته ، فالقارئ لكتاب الأصطخري (مسالك الممالك) يحس تمام الإحساس وهو يأخذه معه أخذاً قوياً إلى المناطق التي وصفها فيما يتعلق بالمدن والجبال والأنهار والبحار، وحين يصل الأصطخري إلى نهاية النقطة التي يقدمها يشعر القارئ بأنه ليس هناك شي ناقص أو غير موجود ، وهذا هو النهج والوصف الصحيح فيما يتعلق بالأقاليم والبحار والأجناس.

تناول الأصطخري موضوع بيئة الأقاليم وتأثيرها على الإنسان في ثنايا كتابه وبشكل مسهب ، وسأبين من خلال هذه الدراسة ما أورده من معلومات مهمة عن مدى تأثير البيئة الطبيعية خاصة المناخ على طبيعة الإنسان وأخلاقه ومستواه الفكري والثقافي.

مثل هذه المواضيع بالرغم من أهميتها وصلتها بحياتنا واستقرارنا وطباعنا باتت نادرة في مكتبتنا العربية ، فحاولت جاهدة من خلال هذا البحث إن أسلط الضوء على

تلك الجوانب المهمة وأبين ما للبيئة من أثر وتأثير مباشر على حياة المجتمعات البشرية.

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى فصلين تسبقهم مقدمة ، وتتلوهم الخلاصة التي تضمنت النتائج التي توصل إليها الباحث ، وقائمة المصادر والمراجع المستخدمة في هذا البحث.

تناولت في الفصل الأول : مدخل إلى دراسة البيئة وعلاقتها بالإنسان من خلال التطرق إلى تعريف البيئة وإطارها ، ونظرة عامه عن تأثير البيئة على الإنسان من خلال ما قدمه الجغرافيين والرحالة العرب الذين سبقوا وعاصروا الأصطخري ، وهل إن الأصطخري استفاد من تلك المعلومات في توثيق وإنماء ما قدمه من معلومات في هذا الجانب.

وخصص الفصل الثاني لدراسة وجهة نظر الأصطخري في موضوع تأثير البيئة على الإنسان من خلال كتابه (مسالك الممالك) ، وتضمن الفصل نبذة عن حياة الرحالة والجغرافي أبو الإسحاق الأصطخري ومنهجيته في الكتاب ، وتطرق في هذا الفصل إلى أهم ما أورده الأصطخري من معلومات قيمه عن تأثير وأثر البيئة على الإنسان.

تحليل المصادر:

تنوعت مصادر هذه الدراسة وتعددت مضامينها بفعل طبيعة الأحداث التي تناولتها ، فتطلب توثيق المعلومات التي قدمناها الرجوع إلى أكثر من مصدر ومرجع ، لذا قسمت المصادر التي اعتمدت عليها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول : المصادر الجغرافية التي اهتمت بدراسة تأثير البيئة على الإنسان ، ومنها:

١- كتاب (الأعلاق النفيسة) لأبن رسته^(١) ، (ت: ٢٩٠هـ/ ٩٠١م) وهو كتاب مهم في الجغرافية الطبيعية ، تحدث فيه عن البلدان التي رحل إليها ، ودرس المناخ والمعالم الجغرافية الهامة مثل الأنهار وصورة الأرض وهيئتها وحجمها ، كما درس أقاليم الأرض ، ولم يغفل التطرق إلى تأثير المناخ على الإنسان.

٢- كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) للمسعودي^(٢) ، (ت: ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) ، يقع الكتاب في أربعة أجزاء فيه معلومات كثيرة ومتنوعة ، خصنا في هذه الدراسة الجزء الأول من الكتاب ، الذي ذكر فيه الأقاليم والبلدان ، وتأثير البيئة والمناخ على الحياة البشرية.

٣- كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) للمقدسي^(٣) ، (ت: ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م) الذي وصف أقاليم وأماكن عدة ، مع وصف لبيئاتها ، وتأثيرها على استقرار الإنسان.

القسم الثاني : المراجع التي أرخت لحياة الرحالة والجغرافي أبو الإسحاق الأصطخري ، وهي كثيرة تنوعت بين مصدر ومرجع ، كان أهمها:

١- كتاب (هدية العارفين-أسماء المؤلفين وآثار المصنفين) للبغدادي^(٤) ، (ت: ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م) ، الذي ذكر معلومات متنوعة عن حياة الأصطخري ، كما بين أهمية كتابه في مجال الجغرافية الطبيعية.

٢- كتاب (الأعلام) للزركلي^(٥) ، (ت: ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م) الذي أمدنا بمعلومات بالرغم من قلتها ، إلا أنها كانت في غاية الدقة عن حياة هذا الرحالة ، كما أنه أعطانا وصف بسيط لكتابه.

٣- كتاب (معجم المؤلفين) لعمر رضا كحالة^(٦) ، (ت: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) الذي وافانا بمعلومات متفرقة عن سيرة حياة الأصطخري ، وعن رحلاته العلمية.

٤- كتاب (الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية)^(٧) ، لفاطمة محجوب التي نقلت لنا معلومات متنوعة عن حياة الأصطخري وأشادت بأهمية كتابه.

القسم الثالث: المراجع الحديثة :

كان للمراجع الحديثة أثر ظاهر في هذه الدراسة ، فقد سدت العديد من الثغرات ، وأوضحت بعض الحقائق الغامضة ، ونقلت لنا معلومات صعب الحصول عليها من المصادر الأولية ، وقد تنوعت المراجع المستعملة في هذا البحث ، كان أبرزها :

١- كتاب " البيئة والبعد الإسلامي " لفؤاد عبد اللطيف السرطاوي الذي قدم معلومات مختلفة عن دراسة البيئة ، وكل ماتحويه من عناصر .

٢- كتاب " البيئة والتلوث " لإبراهيم محمد حسن ، الذي أعطى مفاهيم مختلفة للبيئة ، كما انه ركز على موضوع المحافظة على بيئة صحية وآمنة ، وأعطى صورة واضحة عن المواد التي تسبب في التلوث البيئي.

الفصل الأول

١_تعريف البيئة وإطارها:

أحيانا نجد صعوبة في إعطاء تعريف واضح ودقيق لمصطلح شائع في حياتنا ، ومفهوم البيئة كما نعلم هو من المفاهيم الشائعة ، يرتبط مدلولها بنمط العلاقة بينها وبين مستخدميها.

وقد قدم الباحثون تعاريف عدة للبيئة بهدف توضيح معناها ، ووضع أطار للبيئة التي نعيش فيها ، وان كانت أغلب تلك التعاريف تقود إلى معنى واحد أو دلالة ثابتة ، إلا أنها بينت لنا المعنى الشمولي للبيئة التي يعيش عليها الإنسان ورسمت حدودها وإطارها.

فمنهم من عرف البيئة على أنها كل ما يحيط بالكائن أو الإنسان من أشياء وظواهر وعوامل تؤثر فيه و يؤثر عليها.^(٨)

ومنهم من قال أن البيئة هي الحيز الذي يمارس فيه الإنسان أنشطته الحيوية ومن بينها النمو والتكاثر^(٩) ، وهي أيضا المنزل والوسط الذي يستمد منه موارده اللازمة للحياة والرفاهية^(١٠) ، كما إنها الوعاء الذي يصب فيه مخلفاته.^(١١)

ومن المؤرخين ما عرف البيئة بأنها كل ما يحيط بالإنسان من المكان ، وما يحتويه من عناصر الطبيعة ، فالبيئة هي كل منظور ومحسوس ومسموع من الإنسان يؤثر فيه ويتأثر به.^(١٢)

وإذا عرفنا البيئة كعلم نقول أن علم البيئة أو الايكولوجيا كما كان يسمى قبل الثمانينات هو العلم الذي يهتم بوجه خاص بالعلاقات بين الكائنات الحية وبيئاتها الحيوية ، وقد ظهرت تسمية هذا الفرع من العلوم في أواخر القرن الماضي ، وكانت دراسته حتى الثمانينات تقريباً تهتم بالبحوث المتعلقة بالكائنات الحية في بيئاتها الحيوية كدراسة الأصناف النباتية المختلفة ، والحيوانات بمختلف خصائصها والطيور والأسماك والحشرات... الخ ، هذا مع ظهور بعض الاهتمامات التي ركزت على الجانب الاجتماعي أو البشري تحت ما يسمى (باليكولوجيا البشرية).^(١٣)

فالايكولوجيا البشرية أو بيئة الإنسان ليست بالبيئة الثابتة ، بل تتغير حسب الظروف ، من شخص لآخر ، ومن مكان لآخر ، ومن مجتمع لآخر . فالبيت هو بيئة ، والمدرسة بيئة ، والحي بيئة ، والقطر بيئة ، والكرة الأرضية بيئة ، والكون كله بيئة.^(١٤)

وبحكم هذه الأمور يصبح لكل إنسان بيئة مختلفة عن الآخر ، وبالتالي طباع وأمزجة مختلفة ، تقود إلى نمط حياة مختلف باختلاف البيئات.

وإذا حددنا أطار عام للبيئة التي يعيش فيها الإنسان فيمكن أن نقول ، بأنها المنزل الذي ينزله ، والحالة التي يعيشها ، والوضع الذي يرافقه في جميع شؤونه الدينية والدنيوية من سلوك ومسكن ومأكل ومشرب وملبس وتعامل واحتكاك.^(١٥) وهناك من أعطى أطار أوسع للبيئة عندما حددها على إنها الحيز أو المجال الأرضي المسكون بالبشر بما فيه من ظواهر طبيعية يتأثر بها ويؤثر عليها.^(١٦) ولكي يسهل علينا دراسة موضوع البيئة وفهمها والتعامل معها لابد من تحجيمها أو تسليط الضوء على جانب معين منها ، وسأحاول من خلال هذه الدراسة أن أسلط الضوء على موضوع البيئة الطبيعية ومدى تأثيرها على الإنسان ، وسأركز اهتمامي على ظاهرة المناخ الذي يعد أهم عنصر من عناصر البيئة الطبيعية ، وكيف يؤثر على الإنسان بشكل سلبي أو ايجابي.

الفصل الأول

٢_ نظرة عامة عن تأثير البيئة على الإنسان من خلال ما قدمه الجغرافيين والرحالة العرب الذين سبقوا وعاصروا الأصطخري:

بين الإنسان والبيئة التي يعيش فيها علاقة وثيقة جداً ، فهو يتأثر بها ويؤثر عليها ، ولعناصر البيئة الطبيعية ومنها المناخ تأثير مباشر على حياة المجتمعات البشرية ، وعلى عاداتهم وأخلاقهم وصفاتهم الخلقية والجسدية ، وعلى مدى تقدمهم الفكري والثقافي.

فيصبح من واجب كل إنسان المحافظة على بيئة صحية وسليمة لكي يستمر معها تقدمه ونشاطه.

سنحاول من خلال هذا المحور أن نبين كيف تؤثر البيئة على كل مفصل من مفاصل حياتنا من خلال ما قدمه الجغرافيين والرحالة العرب في نهاية القرن الثالث والرابع الهجري/التاسع والعاشر الميلادي.

هذه الفترة تعد من أهم فترات التطور والازدهار الفكري والثقافي ، فبرز في هذا العصر مجموعة من الجغرافيين العرب الذين تركوا بصمات واضحة في ميدان علم الجغرافية. يأتي في مقدمتهم الجغرافي أبن رسته (ت: ٢٩٠ هـ / ٩٠١ م) الذي تحدث في كتابة (الأعلاق النفيسة) عن تأثير الشمس على الإنسان ، إذ يذكر أن كل الموضع والبلدان تختلف حالتها وحالات أهلها وما يحدث فيها ، وإنما يكون ذلك على قدر قرب الشمس منها أو بعدها.^(١٧)

وبيان على ذلك الترك من أجل بعدهم عن مدار الشمس كثرت الثلوج فيهم ، وغلبت الرطوبة والبرودة في بلدانهم ، فاسترخت أجسام أهلها ، وصارت شعورهم سرحه ، وألوانهم بيضاً حمراً ، وغلب على أطباعهم البرد لبرد مناطقهم ، فأن المزاج البارد يولد لحماً كثيراً ، وإما حمرة ألوانهم فإن البرد يجمع الحرارة.^(١٨) فإذا أصابهم البرد أحمر وجهم وشفاههم وأصابعهم وأرجلهم ، لأن الحر والدم الذي يكون فيه منتشراً يجمعه البرد ، وأخلاق هذه الناحية يتصفون بالجفاء وقطيعة الرحم وقلة اليقين.^(١٩)

إما القريبيين من مدار الشمس ، فتسخن أهويتهم وتحرقهم ، وتكثر الحرارة وأليس فيهم، فلهذه العلة صارت ألوانهم سوداء وطباعهم حارة ، ومن أخلاقهم الجفاء والذكاء.^(٢٠) نلاحظ من خلال هذه النصوص الجميلة والنادرة التي أوردها أبن رسته مدى تأثير قرب أو بعد الشمس في تلك المناطق ، فهي لم تؤثر فقط في أشكالهم وطباعهم ومزاجهم ، بل وحتى في أخلاقهم أيضاً ، وهذا فعلاً من الأمور المهمة التي تدخل ضمن سيكولوجية الإنسان ونفسيته ، فبلدان ذات المناخ الحار تختلف تمام الاختلاف عن البلدان ذات المناخ البارد ، وهذا الاختلاف يؤثر بشكل مباشر على طبيعة الإنسان ، لذا أصبح من الضروري معرفة أي المناطق ملائمة للسكن.

في هذا الصدد يذكر أبن رسته أن المناطق المعتدلة هي من أفضل المناطق للعيش السكاني ، وفيها لا يبتعد الشمس من سمت رؤوسهم ولا تقترب منهم وإنما يكون ممرها

معتدل عليهم ، لذا يكون هواء تلك المناطق حسناً وموضعهم معتدلاً ، ليس فيه حر شديد ولا برد شديد ، وعليه تكون ألوان الناس وأبدانهم وطباعهم معتدلة وعقولهم وأخلاقهم حسنة ، وفيهم يكثر العلم والذكاء.(٢١)

هذا كل مانقله أبين رسته عن موضوع تأثير البيئة على الإنسان ، وما قدمه من معلومات كانت في غاية الدقة والوضوح ، من خلالها يمكن أن نستنتج بأن المناطق المعتدلة في بيئتها ودرجة حرارتها وهوائها هي من أصلح وأفضل الأماكن للعيش والاستقرار البشري ، إذ يكون مزاج الناس معتدلاً وطباعهم معتدلة ، وفي تلك البيئات يكثر العلم والعلماء.

من الكتب الجغرافية الأخرى التي تحدثت عن موضوع البيئة وأثرها على الإنسان هو كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) للمسعودي (ت: ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) ، الذي تحدث في عدة مواضع من كتابه عن البيئة والأقاليم والبلدان.

بدأ المسعودي بالحديث عن أثر الشمس على طبيعة الإنسان إذ يذكر :
"هناك علتان عُدَم السكن فيها ، أحدهما إفراط الحر وإحراق الشمس وكثرتها ، والعلة الثانية بعد الشمس عن الأقاليم وارتفاعها عنه فأزداد البرد ، وبانت تلك المناطق خاليه من النبات والحيوان"(٢٢)

هذا النص يتطابق تقريباً مع النصوص التي أوردها أبين رسته ، وهي تُبين لنا مدى تأثير عوامل البيئة على الحياة البشرية.

كما أوضح المسعودي (٢٣) مدى تأثير قرب أو بعد الشمس على أشكال السودان والترك والصقالبة بقوله : " في قرب أو بعد الشمس أثر كبير فتكون علة السودان في بعض البقاع من الأرض دون بعض السواد ، وتقلل شعورهم وغير ذلك من مشاهد أوصافهم ، وعلة تكون البيضان في بعض البقاع دون بعض ، وتفتقر ألوان الصقالبة وشقارهم وصهوبة شعورهم ، ولما كان الغالب على هواء الترك البرد ، وعجزت الحرارة عن تنشيف رطوبات أبدانهم كثرت شحومهم ولانت أبدانهم ، وإما حمرة ألوانهم فإن البياض

إذا ألحت عليّة البرودة صار إلى الحمرة وبيان على ذلك أن أطراف الأصابع والشفة والأنف إذا أصابها برد شديد أحمرت".

كما بين المسعودي تأثير الهواء على مزاج وطبيعة الإنسان بقوله: " أن تغير حالات الهواء هو الذي يغير حالات الناس مرة إلى الغضب ومرة إلى السكون ، وإلى ألهم والسرور وغير ذلك ، وإذا استوت حالات الهواء استوت حالات الناس وأخلاقهم ، فإذا تغير الهواء تغير بتغيره كل شي" (٢٤)

من كل هذه التوضيحات التي أوردها المسعودي نلاحظ أن للبيئة وعناصرها الطبيعية تأثير على الإنسان لم نكن نتوقعه ما لم نطلع على هذه النصوص الفريدة من نوعها التي وردت ضمن ثنايا هذه الكتب الجغرافية المتنوعة ، ومن خلالها يمكن أن نربط بين مزاجات الناس وأحوالهم بما يحدث من تغيرات مناخية ، وبمعنى آخر أن كل ماله علاقة بصحة الإنسان وطباعه ومزاجه مرتبط بالبيئة وعناصرها.

من الجغرافيين الآخرين الذين تحدثوا عن البيئة وأثرها على الإنسان هو أبو عبد الله المقدسي الذي عاش في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وكان معاصراً للأصطخري.

تحدث في كتابه " أحسن التقاسيم " عن أمور تخص البيئة والإنسان ، فهو بدأ الحديث عن بلده ومسقط رأسه " بيت المقدس " الذي يقول عنها بأنها أطيب البلدان" (٢٥) إما إقليم العراق فهو من وجهة نظره أطرف الأقاليم إذ يسميه " بلد الظرفاء ومنبع العلماء " لأنه أخف على القلب واحد للذهن ، وبه تكون النفس أطيّب والخطر أدق ، وبفعل بيئته وهوائه الطيب كثرت فيه الفواكه والألبان والعسل ، هذا ما ساعد في استقرار الناس فيه وكثر فيهم الذكاء والحقق ، وبه العلماء والقراء والفقهاء والأدباء والأئمة. (٢٦)

لم يغفل المقدسي الحديث عن أثر المناخ على طباع وأشكال الناس إذ يذكر أن شدة الحر في إقليم الجزيرة^(٢٧) أثر على الناس فنجد أكثرهم سُمرًا والغالب عليهم الدقة والهزال.^(٢٨)

كما كان لتأثير الحر في مصر أثر كبير على صحة الإنسان لأنه زاد من الأمراض والأوبئة.^(٢٩)

وعكس تأثير البرد على أشكال الصقالبه فصاروا بيضاً والحال ذاته مع إقليم الروم فبفعل بعده عن الشمس صار الناس أشد بياضاً وزرقة عيون وصارت لحاهم كثيفة.^(٣٠) من كل هذا نلاحظ أن البيئة تدخل وتؤثر في كل مفصل من مفاصل حياة الإنسان ، فهي تؤثر في شكله وطبعه وصحته ومزاجه وعقله ، وكان ما قدمه الجغرافيين العرب واضح في هذا الشأن ، فهم بفعل رحلاتهم الكثيرة من بلد لآخر ومن إقليم لآخر شاهدوا اختلاف طباع وأشكال وأخلاق الناس، فالبلدان التي تمتاز بمناخ بارد أغلب فصول السنة يكون الغالب على سكانها الهدوء ولا يميلون بطباعهم إلى العصبية ، فضلاً عن نقاء وبياض بشرتهم ، إما البلدان التي تمتاز بمناخ حار أغلب فصول السنة يكون الغالب على سكانها عصبية المزاج وتكون عادة بشرتهم سمراء وعيونهم سود.

من كل هذه الحصيلة التي قدمها الرحالة والجغرافيون في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، يتبادر إلى الذهن سؤال مهم هل أن الأصطخري استفاد من تلك المعلومات أم كان ما قدمه يختلف عنهم ، وهل تمكن بفعل خبرته ورحلاته من أضافه إضافات جديدة ، أم أن معلوماته كانت دائرة بنفس المحور

سنتعرف على كل هذا وأكثر من خلال الفصل الثاني من هذا البحث الذي خصصناه لدراسة كتاب الأصطخري وسيرة حياته.

الفصل الثاني

البيئة وأثرها على الإنسان من خلال كتاب "مسالك الممالك" للأصطخري

- ١- سيرة حياة الأصطخري ومنهجيته في الكتاب.
- ٢- أهم ما أورده الأصطخري من معلومات عن أثر البيئة على الإنسان من خلال كتابه "مسالك الممالك"

الفصل الثاني

١- سيرة حياة الأصطخري ومنهجيته في الكتاب :

قلت المعلومات المفصلة والدقيقة عن سيرة حياة الأصطخري ، ومرجعها هو قلة المصادر الأولية التي أرخت عن سيرة حياته ، فخلال بحثي في هذا الجانب لم أجد سوى معلومات بسيطة ومتكررة أوصلتني إلى بعض الجوانب التي تخص حياته وسيرته الشخصية.

وأن لم تكن موسعه وكثيرة إلا أنها ساعدتنا في التعرف على تلك الشخصية المهمة ، فأغلب المصادر والمراجع التي كتبت عن الأصطخري ركزت اهتمامها بصورة خاصة على كتابه ونهجه العلمي تاركه موضوع نشأته وحياته جانبا.

فلا نعرف متى ولد الأصطخري ولا كيف تقلبت به الحياة حتى لقي وجه ربه ، فهو لم يتحدث عن نفسه ولا عن معاصروه ، حتى ياقوت الحموي^(٣١) الذي اعتمد عليه وهو يصنف كتابه "معجم البلدان" اغفل ترجمته بل والأشهر إليه في معرض حديثه عن بلده أصطخر^(٣٢). وكان هذا كما يذكر الصياد^(٣٣) أمراً غريباً من ياقوت الحموي الذي يذخر كتابه بأسماء من هم أقل نباهة من أبي الإسحاق.

أسمه ونسبة ورحلاته : _

هو أبو إسحاق إبراهيم محمد الفارسي الأصطخري ، يعرف في بعض الأحيان بالكرخي^(٣٤) ، ينتمي إلى أصطخر وهي مدينة برسيبوليس القديمة في بلاد الفرس^(٣٥).

لمع أسمه في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي كأشهر رحاله وجغرافي^(٣٦)، زار الكثير من أقطار العالم الإسلامي وأقطار آسيا حتى بلغ سواحل المحيط الهندي ودخل الهند^(٣٧). لذا ألف كتابه "مسالك الممالك" عن بصيرة، فعد هذا الكتاب من أحسن ما كتب في العصور الوسطى^(٣٨). وقد اثر كتابه في الجغرافية الوصفية^(٣٩) لما حواه من معلومات مهمة^(٤٠) نشر من خلالها وعياً لمختلف المناطق والبيئات التي تناولها.^(٤١)

وقد استفاد طلاب العلم في مجال علم الجغرافية من المعلومات التي قدمها الأصطخري^(٤٢)، ليس هذا فحسب بل أن كتاب الأصطخري وما فيه من معلومات مهم لجميع التخصصات، فمثل هذه الكتب لاغنى عنها في أي دراسة أكاديمية. ومما زاد من كتاب الأصطخري أهمية انه كان أكثر نضجا وأكثر تخصصاً في دراسة بلاد الإسلام أضف إلى هذا التزامه بالمنهج الجغرافي الدقيق في جميع المعلومات التي قدمها^(٤٣).

لقد نهج الأصطخري منهجاً علمياً يدل على قدرته الفائقة في تصوير شكل الأرض، فلم يتجاهل الناحية الفلكورية أو الاقتصادية أو الأنتوغرافية، كما ركز على المدلول الجغرافي والسياسي والإداري، وتجنب النظريات التقليدية التي تنص على تقسيم الأرض إلى سبعة أقاليم^(٤٤)، فقد قسم الأصطخري الأرض إلى عشرين إقليمًا واخذ كل إقليم بذاته كوحدة جغرافية مستقلة^(٤٥).

برع الاصطخري في وصف الأقاليم بدقة و وضوح، فهو يورد معلومات كاملة تتعلق بالحدود والمدن والمسافات وطرق المواصلات، كما انه يذكر تفاصيل متفرقة عن المحاصيل والتجارة والصناعة، وعن أجناس السكان^(٤٦). فكان لكتابة تأثير كبير لم يقف عند حد الأدب العربي وحده، فللكتاب عدد من الترجمات الفارسية^(٤٧).

لقد فهم الأصطخري بكل دقة منهج علماء العرب والمسلمين في مجال علم الجغرافية وطبقه تماماً في مؤلفاته ، فأتسم كتابه بالدقة والاستنباط الذكي والمنهج العلمي التجريبي القائم على القياس والاستقراء والمستند على المشاهدة والتجربة والتمثيل .^(٤٨) كما انه حاول أن يصحح الأخطاء الجغرافية التي وقع فيها علماء الجغرافية السابقين له ، فتميز كتابه بالوضوح وسلاسة الأسلوب^(٤٩).

وكان رأي علي عبد الله الدفاع^(٥٠) واضحاً في صدد حديثه عن الأصطخري فهو يقول: " أشتهر الأصطخري بالأنصاف والأمانة العلمية وتقوى الله في قول كلمة الحق ، فهو الذي لا يخاف في الحق لومه لائم ، كم نحن بحاجة في هذه الأيام لعلماء في العلوم التجريبية يتصفون بالصفات الحميدة التي تحلى بها الأصطخري وهي المثابرة وحب العمل الخلاق والمفيد ليس فقط للأمة الإسلامية ولكن للإنسانية " .

وكل هذا واضح للقارئ عندما يطلع على كتاب الأصطخري ويرى نهجه وعلميته الدقيقة التي بينها من خلال وصفه للأمور بدقة وتفصيل ، حتى أن القارئ يتوصل إلى قناعة بأن الأصطخري لم يترك جانباً إلا وتطرق إليه حتى لو كانت أشارات بسيطة. فقد وصلت البحوث والدراسات في عهده إلى النضج لأنها كانت بحوث أصلية مبنية على الاختيار الشخصي والمعرفة المكتسبة من السفر والتنقل بين أقطار المعمورة^(٥١). اتفقت أكثر المصادر والمراجع بأن الأصطخري توفي سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م^(٥٢).

٢_ أهم ما أورده الأصطخري من معلومات عن أثر البيئة على الإنسان من خلال كتابة "مسالك الممالك"

ابتدأ الأصطخري حديثه في مقدمة كتابه بالحمد لله سبحانه وتعالى والصلاة والسلام على رسوله الكريم محمد "صلى الله عليه وسلم".

وقال : " إما بعد ... فإنني ذكرت في كتابي هذا أقاليم الأرض على الممالك ، وقصدت منها بلاد الإسلام بتفصيل مدنها ، ولم أقصد الأقاليم السبعة التي عليها قسمة الأرض

،بل جعلت كل قطعة أفردتها مفردة مصورة يحكى موضع ذلك الإقليم ، ثم ذكرت ما يحيط به من الأماكن وما فيه من البقاع والمدن المشهورة والبحار والأنهار، وما يحتاج إلى معرفته من جوامع ،وما يشتمل عليه ذلك الإقليم من غير أن أستخدم أسلوب الاطالة كي لا يمل القارئ ،ولأن الغرض من كتابي هو تصوير هذه الأقاليم التي لم يذكرها احد^(٥٣) من مدن وجبال وانهار وبحار ومسافات^(٥٤)."

ومن هذه المقدمة التي ذكرها الأصطخري نخرج بعدة حقائق:

_ أن الأصطخري حدد نفسه منذ اللحظة الأولى بان كتابه في الجغرافية الأقليميه^(٥٥) الوصفية وليس بالجغرافية العامة التي كتب فيها معظم من تقدمه ، فهو لم يقصد أقاليم الأرض السبعة ، وإنما كان هدف كتابه أن يصف بلاد الإسلام ومدنها ، ومفهوم الإقليم الجغرافي واضح في ذهن الأصطخري ، فهو لايعني تلك الأقاليم السبعة التي اصطلح عليها القدماء ، وليس الإقليم منطقته من الأرض تحكمها دولة بعينها ، وإنما هو منطقة جغرافية ذات مظاهر طبيعية تكسبها شخصية مستقلة ومتميزة.

_ لم يكن الأصطخري موسوعياً يضمن كتابه كل ما يصل إلى علمه ، وإنما هدف إلى أن يكون كتابه جغرافياً بالمعنى الصحيح^(٥٦).

ابتدأ الأصطخري حديثه عن بلاد الإسلام واخذ بوصف بيئات كثيرة ، فوردت أول إشارة عن تأثير البيئة على الإنسان عند حديثه عن بيئة صنعاء^(٥٧) إذ يذكر: " ليس بجميع اليمن مدينه اكبر ولا أكثر أهلاً ومرافق من صنعاء ، فيها اعتدال الهواء والمناخ بحيث لا يتحول الإنسان عن مكان واحد شتاءً ولا حتى صيفاً ، وتتقارب فيها ساعات الشتاء والصيف ، وبها كانت ديار ملوك اليمن"^(٥٨).

نلاحظ من خلال هذا النص أن تأثير اعتدال الهواء والمناخ في صنعاء قد ساعد في استقرار السكان فيها.

وعكس هذه البيئة كان ما ذكره بخصوص بيئة ألبجه^(٥٩) إذ يقول: " في ألبجه لا توجد قرى ولا مدن ولا زرع ، فكان قومها أصحاب شعر أشد سواداً من الحبشة"^(٦٠).

فمن المؤكد أن انعدام الزرع جاء بسبب مناخ البيئة القاسي فعكس بشكل مباشر على طبيعة تلك المنطقة وباتت غير مؤهلة للعيش .

لم يغفل الأصطخري الحديث عن أثر البيئة على أشكال الناس ، فأثناء حديثه عن بيئة زويلة^(٦١) بيّن بشكل واضح أثر المناخ (الحار والبارد) على أشكال الناس إذ يقول : "زويلة بلد في وجه ارض السودان وهؤلاء الخدم السود أكثرهم يقع في زويلة يمتازون بالبشرة السمراء ، وكلما تباعدوا فيمايلي الجنوب والمشرق أثر المناخ عليهم أكثر و ازدادوا سوادا ، ومن كان غربي بحر الروم بالأندلس^(٦٢) ، فان المناخ أثر عليهم وجعلهم بيض زرق ، وكلما تباعدوا فيمايلي المغرب والشمال ازدادوا بياضاً وزرقة العيون وأحمر شعرهم ، إلا أن طائفة منهم يرجعون إلى سود شعر وعيون وهم صنف من الروم الجلالقه ويقال أن أصلهم من الشام ، كما أن طائفة بخرشنه من أرض الروم يرجعون إلى سواد الشعر والعيون"^(٦٣).

وأثناء حديث الأصطخري عن بلاد فارس^(٦٤) وضح بصورة مفصلة كيف أثرت البيئة على أشكال وطباع الناس هناك إذ يقول : " الغالب على أهل فارس نحافة الخلق وخفة الشعر وسمرة اللون خاصة في مناطق الجروم^(٦٥) وكرمان^(٦٦) ، إما في مناطق الصرود^(٦٧) فالبيئة عكست على الإنسان من خلال ضخامة أجسامهم وبشرتهم البيضاء وشعرهم الكثيف"^(٦٨).

كما بيّن الأصطخري أثر تقلبات البيئة على شكل الإنسان وتصرفاته فأثناء وصفه لبلاد الديلم^(٦٩) قال : " الغالب على خلقتهم النحافة وقلة الشعر والعجلة وقلة المبالاة نظراً لتغيرات البيئة عندهم"^(٧٠)

كما أثرت تقلبات البيئة في طبرستان^(٧١) على أهلها فهي مدينة كثيرة الأمطار شتاءً وصيفاً ، لذا غلب على أهلها وفرة الشعر ، واقتران الحواجب ، وسرعة الكلام والعجلة^(٧٢).

إما بيئة منطقة الجرز فيقول عنها الأصطخري^(٧٣) : " هي كثيرة الزروع والبساتين ، أهلها صنفان : صنف يسمى قراخرز وهم سمر يميلون في شدة السمرة إلى السواد.. وصنف بيض ظاهر الحسن والجمال " .

تطرق الأصطخري إلى نقطة مهمة جدا في مجال تأثير البيئة على الإنسان إلا وهي تأثير البيئة والمناخ على صفات الإنسان ونزعتة إذ يقول : " بلاد ما وراء النهر^(٧٤) هي من أخصب الأقاليم وأنزهها وأكثرها خيراً ، أهلها يرجعون إلى رغبة في الخير وهم متعاونون فيما بينهم ، وجميعهم معروفون بالبأس والجرأة والشجاعة والأقدام"^(٧٥). فمن المؤكد إن اعتدال البيئة أثر على طبيعة الناس ونفسياتهم ، فصاروا يميلون إلى حب الخير ومساعدة بعضهم البعض.

كما وضح الأصطخري أهمية وجود مقومات الحياة من ماء وهواء وبيئة صالحة خصبة لعيش واستقرار الشعوب والقبائل إذ يقول أثناء وصفه لمدينة الفسطاط^(٧٦) : " الفسطاط هي في غاية العمارة والخصب ، فيها قبائل وخطط للعرب ، وفيها نخيل وثمار كثيرة وزرعهم على ماء النيل تمتد فتتعم المزارع من حد أسوان^(٧٧) إلى الإسكندرية^(٧٨) وسائر الريف لطيب الهواء وجمال البيئة "^(٧٩).

إما الواحات^(٨٠) فهي بلاد معمورة بالمياه والأشجار والقرى والناس ، فيها ثمار كثيرة فكثرت الناس في تلك النواحي^(٨١) .

وقال في وصف بلاد خيوان^(٨٢) : " هي مدينة فيها قرى ومزارع ومياه معمورة بأهلها ، وفيها قبائل اليمن ونجران وجرس "^(٨٣).

وعن بيئة أنطاكية^(٨٤) وأثرها في استقرار الناس يقول الأصطخري : " أنطاكية من أنزه المدن فيها يكثُر الزرع والمرعى ، أشجارها كثيرة ، سكانها وأهلها استفادوا من نضارتها وطيب هواءها واستقل بعضهم ببعض مرافقها وجوانبها الإدارية " .

من هذا النص نلاحظ أن أثر وجود مقومات الحياة في بيئة أنطاكيا لم يقتصر فقط على استقرار الناس فحسب ، بل أن هذا الاستقرار ولد الإبداع والتميز في مجالات الحياة .

هذا ما ذكره الأصطخري عن موضوع البيئة وأثرها على الإنسان ، ومن خلال ما قدمه نستنتج أمور عدة :

_ كانت المعلومات التي قدمها الأصطخري واضحة ودقيقة للغاية ، قدمها بأسلوب سلس وعبارات واضحة.

_ لاشك انه استفاد مما قدمه الرحالة والجغرافيين الذين سبقوه وعاصروه ، وان لم يصرح بذلك ، إلا أن هذا كان واضحاً من تطابق بعض المعلومات.

_ أضاف الأصطخري الكثير من الإضافات حول هذا الموضوع ، فكان أكثر الجغرافيين الذين ركزوا اهتمامهم حول موضوع البيئة وأثرها على الإنسان.

_ أخيراً توصلنا من خلال ما قدمه الأصطخري من معلومات أن البيئات الحارة تعكس بصوره مباشرة على شكل الإنسان وطباعة ومزاجه ، كما وتؤثر البيئة أيضاً على مستواهم الثقافي والفكري ، فتكون صفاتهم كما يأتي :

(اسمرار البشرة ، الجسم النحيف ، عصبية المزاج ، محبي للخير ، كثيري المساعدة ، أذكاء) .

إما البيئات الباردة فتكون صفات سكانها كما يأتي:

(أكثرهم يمتازون ببياض البشرة وزرقة العيون واحمرار الشعر ، ضخامة أجسامهم ، برودة مزاجهم وأعصابهم ، واعتدال طباعهم).

الهوامش:

(١) ابن رسته : أحمد بن عمر أبو علي ابن رسته ، عالم جغرافي فارسي الأصل ، من أهل أصفهان ، صنف كتابه (الأعلاق النفيسة) في سبعة أجزاء لم يصلنا منه إلا

الجزء الأخير. الزركلي ، خير الدين ، الأعلام - قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط^٤ ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٩٩م) ، ج^١ ، ص ١٨٥.

(٢) المسعودي: هو المؤرخ والجغرافي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، يعد من أشهر العلماء العرب في القرن الرابع الهجري ، كان كثير الإسفار زار بلاد فارس والهند و بحر قزوين والسودان وشبه الجزيرة العربية وبلاد الشام والروم ، إلى إن انتهى بيه المطاف في فسطاط مصر فكانت فيها وفاته. ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن يعقوب بن إسحاق ، (ت: ٣٨٥هـ/٩٩٥م) ، كتاب الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم ، ط^١ ، (القاهرة : مطبعة مصر : د ت) ص ١٧١. ؛ ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي ، (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ، معجم الأدباء ، ط^٢ ، (بيروت : دار الفكر العربي للطباعة والنشر ، ١٩٨٠م) ، م^٤ ، ص ١٧٠٥. ؛ أكتبي ، محمد بن شاکر ، (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) ، فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق: أحسان عباس ، ط^١ ، (بيروت : دار صادر: د.ت) م^٣ ، صص ١٢-١٣.

(٣) المقدسي: هو الرحالة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد المقدسي ، ولد في بيت المقدس سنة ٣٣٤هـ/٩٤٧م وإليها ينسب ، أشتغل أول أمره بالتجارة ثم انقطع بعد ذلك إلى تتبع البلدان والمدن فطاف أكثر بلاد الإسلام حتى أصبح من أشهر الرحالة والجغرافيين العرب . حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله ، (ت: ١٠٦٧هـ/١٦٥٧م) ، كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون ، عني بتصحيحه : محمد شرف الدين يالتقايا ، ط^١ ، (بيروت : دار أحياء التراث ، د.ت) م^١ ، ص ١٦ . ؛ المياح ، علي محمد ، مناهج الجغرافية الإقليمية عند العرب في التراث والمعاصرة ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، (بغداد : د.مط، ١٩٨٩م) ، ج^١ ، م^٤ ، ص ٢٣٧ وما بعدها.

(٤) البغدادي :هو الأديب والمؤرخ إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي ، بغدادي المولد والمسكن ، كان عالماً بتوالمف الكتب ذو خبره كبيرة بالكتابة . الزركلي ، الأعلام ، ج' ، ص٣٢٦. ؛ الجبوري ، كامل حسين ، معجم الأءباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م ، ط' ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣م) ج' ، ص٤٤.

(٥) الزركلي :هو الكاتب والمؤرخ والشاعر السوري خير الدين الزركلي ، كان والده تاجراً معروفاً ، إما هو فكان يميل إلى الكتابة خاصة في القضايا السياسية ، تنقل في العديد من البلاد العربية ، وكان يهاجم الاستعمار الفرنسي من خلال أشعاره . الجندي ، أنور ، مفكرون وأءباء من خلال أثارهم ، ط' ، (بيروت : دار الإرشاد للطباعة والنشر، د.ت.)، صص٨٩-٩٠.

(٦) عمر رضا كحالة :هو عمر بن رضا بن محمد بن راغب بن عبد الغني كحالة ، عالم بتراجم المصنفين، مولده ووفاته بدمشق ، تلقى علومه على أيدي كبار علماء دمشق ،عمل في دار الكتب الظاهرية ، وكان من أعضاء المجمع العلمي العراقي، ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.العلونة ، احمد ، ذيل الأعلام - قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط' ، (السعودية : دار المنارة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٨م) ، ج' ، ص١٤٣.

(٧) هي موسوعة كبيرة مرتبة على حروف الهاء ، حصلت على عشرين جزءاً منها ، وهي تشمل شرحاً مفصلاً لكافة العلوم الشرعية كعلوم القرآن الكريم والعلوم العقلية مثل الجغرافية والتاريخ والطب والصيدلة والحساب والجبر والرياضة والهندسة والفلك والطبيعة ، كما وضمت في طياتها تراجم العلماء المسلمين وانجازاتهم في ميدان الحضارة.

- (٨) الصياد ، محمود محمد ، إبراهيم، محمد إسماعيل ، البيئة والأقاليم الطبيعية ، ط^٢ ، (السعودية : دار المعارف، ١٩٦٦م) ، ص٧.
- (٩) غيور، سمير إبراهيم ، صيانة البيئة والموارد الطبيعية ، مقالة منشورة في كتاب ندوة الجغرافيا ومشكلات البيئة ، ط^١ ، (القاهرة : الجمعية الجغرافية المصرية للنشر، ١٩٩٣م) ، ص٣٣٧.
- (١٠) سعود ، جبران، الرائد الصغير، ط^١ ، (بيروت:دار العلم للملايين، ١٩٨٢م) ، ص١٤١ .؛ غيور، صيانة البيئة ، ص٣٣٧.
- (١١) غيور، صيانة البيئة ، ص٣٣٧.
- (١٢) الجميلي ، السيد ، الإسلام والبيئة ، ط^١ ، (القاهرة : مركز الكتاب للطباعة والنشر ، ١٩٩٧ م) ، ص١٤.
- (١٣) جاد ، طه محمد ، الملامح الرئيسية للتغيرات البيئية الطبيعية الحديثة مع احتمالات مستقبلية ، مقالة منشورة في كتاب ندوة الجغرافيين، ص ١٥٢.
- (١٤) صباريني ، رشيد الحمد محمد ، البيئة ومشكلاتها ، ط^١ ، (الكويت ، د.مط ، ١٩٩٠م) ص ١٤؛ حسن ، محمد إبراهيم ، البيئة والتلوث ، دراسة تحليلية لأنواع البيئات ومظاهر التلوث ، ط^١ ، (الإسكندرية :مركز الإسكندرية للكتاب ، ١٩٩٥م) ، ص ٥.
- (١٥) فؤاد ، عبد اللطيف ، البيئة والبعد الإسلامي ، ط^١ ، (عمان : دار المسيرة للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٩٩٩م) ، ص٢٥.
- (١٦) الجميلي ، الإسلام والبيئة ، ص١٤.
- (١٧) ابن رسته ، أبو علي احمد بن عمر ، (ت: ٢٩٠هـ/٩٠١م) ، الأعلام النفيسة ، ط^١ ، (اليدن : مطبعة برلين، ١٨٩١م) ، ص ٩٩.
- (١٨) م.ن، صص ٩٩-١٠٠.
- (١٩) م.ن ، ص ١٠٠.

- (٢٠) م.ن، ص ١٠٠.
- (٢١) م.ن، ص ١٠٠.
- (٢٢) المسعودي، أبو الحسن بن علي بن الحسين بن علي ، (ت: ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط^١ ، (بيروت : الشركة العالمية للكتاب ، ١٩٨٩م) ج^١، ص ٥٢٧.
- (٢٣) مروج الذهب ، ج^١، ص ٥٢٨.
- (٢٣) مروج الذهب ، ج^١، ص ٥٢٨.
- (٢٤) م.ن ، ص ٥٢٨.
- (٢٥) المقدسي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر، (ت: ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط^٢ ، (القاهرة : مكتبة مدبولي ، ١٩٩١م) ، ص ١٠.
- (٢٦) م.ن ، صص ٣٢_١١٣.
- (٢٧) إقليم الجزيرة : أو إقليم أقور هو إقليم يمتد عبر شمال شرق سوريا وشمال غرب العراق وجنوب شرق تركيا وهو الجزء الشمالي من وادي الرافدين..للتفصيل أكثر أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ط^١، (بيروت : دار صادر ، ١٩٧٧م) ج^٢ ، صص ١٣٨_١٣٩.
- (٢٨) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٩٥.
- (٢٩) م.ن ، ص ١١٣.
- (٣٠) م.ن ، ص ٢٣٢.
- (٣١) ياقوت الحموي : هو أبو عبد الله شهاب الدين الرومي البغدادي، مؤرخ أديب شاعر ناثر لغوي نحوي عالم بتقويم البلدان ولد في مدينه حماة في سوريا سنه ٥٧٤هـ/١١٧٨م ،حفظ منذ صغره القرآن وتعلم القراءة والكتابة والحساب ،سافر إلى بلدان ومناطق عديدة ودون ملاحظاته الخاصة عن الأماكن والبلدان

- والمساجد والقصور....الخ، توفي في بغداد سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م .حاجي خليفة ،
كشف الظنون، م^٢، ص ١٢٣٣؛ كحاله ، عمر رضا ،معجم المؤلفين، ط^١،
(بيروت:مؤسسه الرسالة ،١٩٥٧م) م^٤ ، ص٨٤؛ ترحيني، محمد احمد ،
المؤرخون والتاريخ عند العرب ،ط^١ ، (بيروت:دار الريف ، د.ت)، ص١٧٢ .
- (٣٢) أصطخر : بلدة في إقليم فارس قيل أن من إنشاءها هو "أصطخر بن طهمورث"
ملك الفرس فسميت باسمه . المهلبي ،حسن بن احمد ، (ت:٣٨٠هـ/٩٩٠م)
المسالك والممالك المعروف بالكتاب العزيزي ، ط^١ ، (د.م ، د.مط ، د.ت) ، ص
١٧؛ ياقوت الحموي ،معجم البلدان ، م^١، ص٢١١ .
- (٣٣) محمد محمود ، من الوجهة الجغرافية دراسة في التراث العربي ، (د.م، د.مط،
١٩٧١م) ، ص ٢٠ .
- (٣٤) البغدادي ، إسماعيل باشا البغدادي، (ت:١٣٣٩هـ/١٩٢٠م) ، هدية العارفين
أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ،ط^١ ، (اسطنبول :مطبعة وكالة المعارف
الجليلة، ١٩٥١م) ، ج^١، ص٦؛ الزركلي ، الأعلام ، ج^١، ص٦١؛ حميدة ،عبد
الحميد ، أعلام الجغرافيين العرب ،ط^١ ، (دمشق : دار الفكر ،١٩٨٤م)
ص١٩٩؛ مجموعة مؤلفين،الموسوعة العربية العالمية ،ط^٢ ، (الرياض :مؤسسة
أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ،١٩٩٩م) ، ص ٢٤٨؛مجموعة
مؤلفين،الموسوعة العربية العالمية ،ط^٢ ، (الرياض :مؤسسة أعمال الموسوعة
للنشر والتوزيع ،١٩٩٩م) ، ص ٢٤٨ .
- (٣٥) البغدادي،هدية العارفين ،ج^١، ص٦؛ كحالة ، معجم المؤلفين ، ج^١ ، ص٦٨؛
محجوب ، فاطمة ، الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية ، ط^١ ، (القاهرة : دار
الغد العربي، ١٩٩٢م) ، ج^٣ ، ص١٧٧؛ كراتشكوفسكي ، أغناطيوس يولييانوفنش
، تاريخ الأدب الجغرافي ، نقلة إلى العربية : صلاح الدين عثمان هاشم ، قام
بمراجعتها : آيفور بلياييف ، (د.م : جامعة الدول العربية ، ١٩٥٧م) ، ج^١ ،

ص ١٩٩. ؛ دي خوية ،مقالة الأصطخري في دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة : احمد الشتاوي ، إبراهيم زكي خورشيد وعبد الرحمن يونس ، ط ' ، (بيروت: دار الفكر العربي، د.ت) ، م^٢، ص ٨١٧.

(٣٦) الزركلي، الأعلام ، ج^١، ص ٦١؛ الدفاع ، علي عبد الله ، رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الإسلامية ، ط^٢ ، (د.م: مكتبة التوبة ، ١٩٩٣م) ، ص ١٠٢. ؛ محجوب ، الموسوعة الذهبية ، ج^٣ ، ص ١٧٧؛ الجبوري ، معجم الأدباء ، ج^١، ص ٧٨؛ كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي ، ج^١ ، ص ١٩٩. ؛ دي خوية ، مقالة الأصطخري في دائرة المعارف الإسلامية ، ج^٢ ، ص ٨١٧

(٣٧) الزركلي ، الأعلام ، ج^١، ص ٦١؛ مجموعة مؤلفين ، الموسوعة العربية ، ص ٢٤٨؛ حلاق ، حسان ، محمود ، حربي عباس عطيتو ، العلوم عند العرب أصولها وملاحمها الحضارية ، ط ' ، (بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٩٥م) ص ٣٧٠. ؛ حميدة ، أعلام الجغرافيين العرب ، ص ١٩٩؛ الصياد ، من الوجهة الجغرافية ، صص ١٩_٢٠.

(٣٨) محجوب ، الموسوعة الذهبية ، ج^٣ ، ص ١٧٧. ؛ كحالة ، معجم المؤلفين ، ج^١ ، ص ٦٨؛ الدفاع ، رواد علم الجغرافية ، ص ١٠٣.

(٣٩) الجغرافية الوصفية : هي علم من علوم الجغرافية يمكن من خلاله الإطلاع على وصف جميع أقطار الأرض وما فيها من الخلائق وعلى صفاتهم وصورهم وألوانهم وأخلاقهم وما يأكلون ويشربون من الفواكه والحبوب وما في كل صقع ما ليس في غيره ، ويمكن من خلال الجغرافية الوصفية أيضا الاطلاع على البر والبحر والمتاع والسلع . انظر: الزهري ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، (ت: في أواسط القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) ، كتاب الجغرافية ، تحقيق :محمد حاج صادق ، ط ' ، (بيروت : مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت) ص ١.

- (٤٠) وهيبة ، عبد الفتاح محمد ، مكانة الجغرافيين من الثقافة الإسلامية ، ط^١ ، (د.م : جامعة بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٧٩م) ، ص٢٣.
- (٤١) حسن ، البيئة والتلوث ، ص٦.
- (٤٢) محبوب ، الموسوعة الذهبية ، ج^٣ ، ص١٧٧. ؛ كحالة ، معجم المؤلفين ، ج^١ ، ص٦٨. ؛ حسن ، البيئة والتلوث ، ص٦.
- (٤٣) خصباك ، شاكر ، الجغرافية عند العرب ، ط^١ ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٦م) ، ص١١.
- (٤٤) الدفاع ، رواد علم الجغرافية ، ص١٠٤. ؛ حميدة ، أعلام الجغرافيين العرب ، ص٢٠٢. ؛ محبوب ، الموسوعة الذهبية ، ج^٣ ، ص١٧٨.
- (٤٥) الأصطخري ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي ، (ت: ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) ، مسالك الممالك ، ط^١ ، (لیدن : مطبعة برلين ، ١٩٣٧م) ، صص ٢-٣.
- (٤٦) حميدة ، أعلام الجغرافيين العرب ، صص ١٩٩-٢٠٢. ؛ كحالة ، معجم المؤلفين ، ج^١ ، ص٦٧. ؛ كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي ، ج^١ ، ص٢٠٠.
- (٤٧) كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي ، ج^١ ، ص ٢٠٠. ؛ دي خوية ، مقالة الأصطخري في دائرة المعارف الإسلامية ، م^٢ ، ص ٨١٧.
- (٤٨) الدفاع ، رواد علم الجغرافية ، ص ١٠٣.
- (٤٩) حميدة ، أعلام الجغرافيين ، صص ١٩٩-٢٠٠. ؛ الدفاع ، رواد علم الجغرافية ، ص١٠٣. ؛ كحالة ، معجم المؤلفين ، ج^١ ، ص٦٨.
- (٥٠) رواد علم الجغرافية ، ص ١٠٤.
- (٥١) الدفاع ، رواد علم الجغرافية ، ص ١٠٤.
- (٥٢) البغدادي ، هدية العارفين ، ج^١ ، ص ٦. ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج^١ ، ص ٦١. ؛ كحالة ، معجم المؤلفين ، ج^١ ، ص ٦٧. ؛ محبوب ، الموسوعة الذهبية ، ج^٣ ،

ص ١٧٧. ؛ دي خوية ، مقالة الأصطخري في دائرة المعارف الإسلامية ، ج^٢ ، ص ٨١٧.

(٥٣) ربما يكون الأصطخري قد بالغ في عبارة "لم يذكرها احد" فهناك العديد من المؤلفين الذين عاصروه بل وسبقوه في الكتابة في هذه المجالات المهمة والحيوية أمثال : (ابن رسته ت: ٢٩٠هـ / ٩٠١م) ، (ابن خرداذبة ت: ٣٠٠هـ / ٩١٠م) ، (المسعودي ت: ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) ... وغيرهم.

(٥٤) أنظر مقدمة كتاب مسالك الممالك للأصطخري ، ط^١ ، (ليدن: مطبعة برلين، ١٩٣٧م) ، صص ٢-٣.

(٥٥) الجغرافية الإقليمية : تعالج المسائل الجغرافية كلها بشرية وطبيعية وما يرتبط بها داخل نطاق خاص هو الإقليم بحيث يكتسب شخصية جغرافية ينفرد بها ويختلف بها عن غيره من الأقاليم المجاورة . أنظر: علي ، الجغرافية الفلكية ، ص ١٢.

(٥٦) الصياد ، من الوجهة الجغرافية ، ص ٢٥.

(٥٧) صنعاء : مدينة في اليمن تعد من أحسن مدن بلاد اليمن وأكبرها . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج^٣ ، ص ٤٢٦. ؛ القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود ، (ت: ٦٨٢هـ / ١٢٨٢م) ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ط^١ ، (بيروت : دار صادر ، د.ت) ، ص ٥٠.

(٥٨) الأصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٢٣.

(٥٩) ألبج : مدينة بين فارس وأصفهان . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج^١ ، ص ٣٤. ؛ القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ١٨.

(٦٠) الأصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٣٠.

(٦١) زويلة : أول حدود بلاد السودان وهي في وسط الصحراء ، فيها زرع ونخل كثير. المهلب ، الكتاب العزيزي ، ص ١٣. ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج^٣ ، ص ١٦٠. ؛ القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٩٤.

(٦٢) الأندلس : مصطلح الأندلس يشمل المناطق التي حكمها العرب والمسلمون في شبه الجزيرة الأيبيرية (أسبانيا والبرتغال) . أنظر: البلاذري ، أبو العباس احمد بن يحيى بن جابر، (ت:٢٩٧هـ/٨٩٢م) ، فتوح البلدان، تحقيق : عبد الله أنيس الطباع ، ط^١ ، (بيروت : مؤسسة المعارف، ١٩٨٧م) ، صص ٣٢٣_٣٢٤؛ طه ، عبد الواحد ذنون ، والسامرائي، خليل إبراهيم ، ومطلوب ، ناطق صالح ، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ط^١ ، (ليبيا : دار الكتب الوطنية ، ٢٠٠٠م) ، ص ١١؛ أشباح ، يوسف ، الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة : محمد عبد الله عنان ، ط^٢ ، (القاهرة : مكتبة الخانجي، ١٩٩٦م) ، ص ١٠.

(٦٣) الأصطخري ، مسالك الممالك ، صص ٤٤_٤٥.

(٦٤) بلاد فارس : ويسمى أيضاً إقليم فارس وهو إقليم واسع وفسيح أول حدوده من جهة العراق أرجان ، ومن جهة كرمان السيرجان ، ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف ، ومن جهة السند مكران . للتفصيل أكثر أنظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج^٤ ، ص ٢٢٦.

(٦٥) الجروم : هي المناطق الحارة .ابن منظور ، محمد بن مكرم المصري ، (ت:٧١١هـ/١٣٥٩م) ، لسان العرب المحيط ، أعداد وتصنيف : يوسف خياط ، ط^١ ، (بيروت : دار اللسان العربي ، د.ت) ، ج^{٢٧} ، ص ٢٤٢٧.

(٦٦) كرمان : ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان ، فشرقيها مكران، وغربيها أرض فارس، وجنوبيها بحر فارس، وهي بلاد كثيرة النخيل والزرع والمواشي.أنظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج^٤ ، ص ٤٥٤.

(٦٧) الصرود : هي المناطق الباردة مفردها الصرد وهو البرد.ابن منظور، لسان العرب ، ج^{٢٧} ، ص ٢٤٢٧. ؛ الزاوي ، الطاهر أحمد ، ترتيب القاموس المحيط

على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة ، ط^٢، (بيروت: دار الفكر ، د.ت) ،
ج^٢، ص ٨١٢.

(٦٨) الأصطخري ، مسالك الممالك ، ص ١٣٧.

(٦٩) بلاد الديلم : تقع بلاد الديلم في شمال الهضبة الإيرانية . للتفصيل أكثر أنظر:
ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج^٢، ص ٥٤٤.

(٧٠) الأصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٢٠٥.

(٧١) طبرستان : تشمل بلدان واسعة وهي تقع في شمال دولة إيران من بلدانها
دهستان وجرجان وأستراباذ وآمل وسارية وشالوس. المهلب ، الكتاب العزيزي
، ص ٥٤، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج^٤، ص ١٣.

(٧٢) الأصطخري ، مسالك الممالك ، صص ٢١١-٢١٢.

(٧٣) م.ن ، صص ٢٢٢-٢٢٣.

(٧٤) بلاد ماوراء النهر: هي الأقاليم التي تقع ماوراء نهر جيحون بخراسان وهي من
الأقاليم الخصبة يقال ليس بماوراء النهر موضع يخلو من العمارة من مدينة أو
قرى أو مياه أو زروع أو مراعي . أنظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج^٥
، ص ٤٥.

(٧٥) الأصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٢٨٧.

(٧٦) الفسطاط :هي مدينة عظيمة من مدن مصر بناها عمرو بن العاص سنة ٢١هـ
وبنى فيها المسجد ، وسميت بالفسطاط لان عمرو بن العاص نصب فسطاطه
أي خيمته هناك مده أقامته .ابن الوردي ، سراج الدين أبي حفص
عمر، (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٧م) ، خريدة العجائب وفريدة العجائب ، تحقيق: محمود
فاضوري ، (بيروت: دار الشرق العربي ، د.ت) ، ص ٤٣؛ القرنى ، احمد حسنين
وعبد الحفيظ القرنى ، مصر العربية في مجال التاريخ ، (د.م: الدار القومية
للطباعة والنشر ، د.ت)، ص ٥١.

(٧٧) أسوان : هي مدينة كبيرة وكوره في آخر صعيد مصر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١، ص١٩١؛ مجموعة مؤلفين ، الموسوعة العربية العالمية ، ج٢ ، ص١٤٠.

(٧٨) الإسكندرية : هي أهم ثغور مصر وتعد الآن من أهم المراكز التجارية على البحر الأبيض المتوسط ، تقع الإسكندرية على الزاوية الغربية للدلتا وقد شيدها الإسكندر الأكبر سنة ٣٣٢ قبل الميلاد. القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، صص١٤٣-١٤٤؛ ريفون جست ، مقالة الإسكندرية في دائرة المعارف الإسلامية ، ج٢ ، ص٣٢.

(٧٩) الأصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٤٩.

(٨٠) الواحات : هي عبارة عن ثلاث كور في غربي مصر ، الواح الأول يقع ما وراء الجبل الغربي مقابل أفيوم ممتد إلى أسوان وهي اكبر الواحات ، بعدها جبل آخر ممتد كامتداد الذي قبلة وراءه كوره أخرى يقال لها واح الثانية ، وخلفها جبل ممتد كامتداد الذي قبلة وراءه كوره أخرى يقال لها واح الثالثة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٣٤٢.

(٨١) الأصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٥٢.

(٨٢) بلاد خيوان : هي مدينة في اليمن . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٤١٥.

(٨٣) الأصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٢٥.

(٨٤) أنطاكية : هي مدينة في شمال سوريا تقع في وسط سهل خصب في الحوض الأدنى لنهر العاصي على مقربه من مصبه وهي من أعيان البلاد وأمهاتها موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير . أنظر : ابن حوقل ، أبي القاسم محمد بن علي بن حوقل النصيبي ، (ت:٣٦٧هـ / ٩٧٠م) ، صورة الأرض ، ط١ ، (بيروت : منشورات مكتبة الحياة

١٩٩٢م) ص ١٦٥؛ الحميري ، محمد بن عبد المنعم الحميري ،
(ت: ٩١١هـ/ ١٥١٣م) ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: أحسان
عباس ، ط^٢ ، (بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٨٤م) ص ٣٨؛ داوني ، جلائيل ،
أنطاكية في عهد ثيودوسيوس الكبير ، ترجمة : ألبرت بطرس ، (بيروت :
مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٦٨م) ، ص ١١.

الخلاصة

تناولت هذه الدراسة موضوع ذات صلة وثيقة بحياة الإنسان وطباعة وأخلاقه ومزاجه
وسلوكه من خلال ما قدمه الرحالة والجغرافي الكبير أبو الإسحاق الأصطخري عن
تأثير واثر البيئة على الإنسان في كتابه " مسالك الممالك " ، ومن خلال ما قدمه من
حقائق توصلنا إلى عدة نتائج :

يدخل تأثير البيئة إلى كل مفصل من مفاصل حياتنا فهي تؤثر وبشكل مباشر على
سلوك الإنسان وطباعة وشكله ويمتد تأثيرها أيضاً على ذكائه وثقافته ، لذا تقسم
المناطق عادة إلى ثلاث أقسام من حيث تأثير البيئة عليها :

_ القسم الأول : المناطق والأقاليم التي تمتاز بمناخ حار جاف اغلب أيام السنة ، نجد
أن اغلب سكان هذه المناطق يكونون عصبي المزاج ، يمتازون بالبشرة السمراء ونحافة
الأجسام ، فيهم يكثر العلم والعلماء ، ويكون اغلبهم محبي للخير والمساعدة .

_ القسم الثاني : المناطق والأقاليم التي تمتاز بمناخ بارد رطب اغلب أيام السنة ، نجد
أن اغلب سكانها هادئين في مزاجهم وأعصابهم ، يمتاز أكثرهم بالبشرة البيضاء
وضخامة الأجسام .

_ القسم الثالث : المناطق والأقاليم التي تمتاز بمناخ معتدل اغلب أيام السنة وهي من
أفضل المناطق للعيش السكاني كما أكد الأصطخري وغيره من الرحالة ، يكون فيها

مزاج الناس وطباعهم معتدلة يميلون أكثرهم لحب الخير والمساعدة وأيضاً يكثر فيهم العلم العلماء .

قدم الأصطخري كل هذه المعلومات بأسلوب علمي محكم فكان من أكثر الجغرافيين والرحالة العرب الذين ركزوا اهتمامهم بموضوع البيئة وتأثيرها على الإنسان ولا يخفى أن العصر الذي عاش فيه شجعه كثيراً للكتابة بمثل هكذا مواضيع حيوية إذ أنه عاش في عصر بلغ فيه النضوج الفكري والعلمي أقصاه فخرج بنتائج عدة كان لها الأثر الكبير في تطوير الوعي الثقافي آنذاك .

ترك الأصطخري بصمة واضحة في مجال البيئة وأثرها على الإنسان فكانت المعلومات التي قدمها ثروة كبيرة ربما نكون قد أغفلنا النظر إليها لو لا ما قرئناه في كتابه .

أولاً: المصادر الأولية :

- ١_ الأصطخري ، أبو الإسحاق إبراهيم محمد الفارسي الكرخي ، (ت: ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)
_ مسالك الممالك ، ط^١ ، (ليدن : مطبعة برلين ، ١٩٣٧م).
- ٢_ البلاذري ، أبو العباس احمد بن يحيى بن جابر ، (ت: ٢٤٧هـ/ ٨٩٢م)
_ فتوح البلدان ، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع ، ط^١ ، (بيروت : دار المعارف ، ١٩٨٧م).
- ٣_ حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله ، (ت: ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م)
_ كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون ، عني بتصحيحه : محمد شرف الدين ياللقايا ، ط^١ ، (بيروت : دار أحياء التراث ، د.ت).
- ٤_ الحميري ، محمد عبد المنعم ، (ت: ٩١١هـ/ ١٥١٣م)
_ الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : أحسان عباس ، ط^٢ ، (بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٨٤م).
- ٥_ ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن علي ، (ت: ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)
_ صورة الأرض ، ط^١ ، (بيروت : مكتبة الحياة ، ١٩٩٢م).

- ٦_ ابن رسته ، أبو علي احمد بن عمر ، (ت: ٢٩٠هـ/٩٠١م)
_الأعلاق النفيسة ، ط^١ ، (ليدن:مطبعة برلين ، ١٨٩١م).
- ٧_ الزهري ،أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، (ت: في أواسط القرن السادس الهجري /
الثاني عشر الميلادي)
_ كتاب الجغرافية ،تحقيق: محمد حاج صادق ، ط^١ ، (القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ،
د.ت).
- ٨_ القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود ، (ت: ٦٨٢هـ/١٢٨٤م)
_ آثار البلاد وأخبار العباد ، ط^١ ، (بيروت : دار صادر ، د.ت).
- ٩_ الكتبي ، محمد بن شاكر ، (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)
_ فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق: أحسان عباس ، ط^١ ، (بيروت : دار صادر ،
د.ت).
- ١٠_ المسعودي ، أبو الحسن بن علي بن الحسين بن علي ، (ت: ٣٤٦هـ/٩٤٧م)
_ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط^١ ، (بيروت: الشركة العالمية للكتاب ، ١٩٨٩م).
- ١١_ المقدسي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد ، (ت: ٣٨٠هـ/٩٩٠م)
_ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط^٣ ، (القاهرة : مكتبة مدبولي ، ١٩٩١م).
- ١٢_ ابن منظور ، محمد بن مكرم المصري ، (ت: ٧١١هـ/١٣٥٩م)
_ لسان العرب المحيط ، أعداد وتصنيف ، يوسف خياط ، ط^١ ، (بيروت : دار اللسان
العربي ، د.ت).
- ١٣_ المهلب ، حسن بن احمد ، (ت: ٣٨٠هـ/٩٩٠م)
المسالك والممالك المعروف بالكتاب العزيزي ، ط^١ ، (دم: د.مط ، د.ت).
- ١٤_ ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن يعقوب بن إسحاق ، (ت: ٣٨٥هـ/٩٩٥م)
_ كتاب الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم ،
ط^١ ، (القاهرة : مطبعة مصر ، د.ت).

- ١٥_ ابن الوردي ، سراج الدين أبي حفص عمر ، (ت: ٧٤٩هـ/ ١٣٤٧م)
_ خريدة العجائب وفريدة العجائب ، تحقيق: محمود فاضوري ، (بيروت : دار الشرق العربي ، د.ت).
١٦_ ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي ،
(ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)
_ معجم الأدياء ، ط^٢ ، (بيروت : دار الفكر العربي للطباعة والنشر ، ١٩٨٠م).
_ معجم البلدان ، ط^١ ، (بيروت : دار صادر ، ١٩٧٧م).

ثانياً : المراجع الحديثة :

- ١_ البغدادي ، إسماعيل باشا البغدادي ، (ت: ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م)
_ هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، ط^١ ، (اسطنبول : مطبعة وكالة المعارف الجلييلة ، ١٩٥١م).
٢_ ترحيني ، محمد احمد
_ المؤرخون والتاريخ عند العرب ، ط^١ ، (بيروت : دار الريف ، د.ت).
٣_ جاد ، طه محمد
_ الملامح الرئيسية للتغيرات البيئية الطبيعية الحديثة مع احتمالات مستقبلية ، (القاهرة : الجمعية المصرية للنشر ، ١٩٩٣م).
٤_ الجبوري ، كامل حسين
_ معجم الأدياء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م ، ط^١ ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣م).
٥_ الجميلي ، السيد
_ الإسلام والبيئة ، ط^١ ، (القاهرة : مركز الكتاب للطباعة والنشر ، ١٩٩٧م).
٦_ الجندي ، أنور
_ مفكرون وأدياء من خلال آثارهم ، ط^١ ، (بيروت : دار الإرشاد للطباعة ، د.ت).

- ٧_ حسن ، محمد إبراهيم
_ البيئة والتلوث دراسة تحليلية لأنواع البيئات ومظاهر التلوث ، ط^١، (الإسكندرية : مركز الإسكندرية للكتاب ، ١٩٩٥م).
- ٨_ حلاق ، حسان ؛ محمود ، حري عباس عطيتو
_ العلوم عند العرب _ أصولها وملامحها الحضارية ، ط^١ ، (بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٩٥م).
- ٩_ حميدة ، عبد الحميد
_ أعلام الجغرافيين العرب ، ط^١ ، (دمشق : دار الفكر ، ١٩٨٤م).
- ١٠_ خصباك ، شاكر
_ الجغرافية عند العرب ، ط^١ ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٦م).
- ١١_ الدفاع ، علي عبد الله
_ رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الإسلامية ، ط^٢ ، (دم: مكتبة التوبة ، ١٩٩٣م).
- ١٢_ الزاوي ، الطاهر احمد
_ ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة ، ط^٣ ، (بيروت : دار الفكر ، د.ت).
- ١٣_ الزركلي ، خير الدين
_ الأعلام - قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط^٤ ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٩٩م).
- ١٤_ سعود ، جبران
_ الرائد الصغير ، ط^١ ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٢م).
- ١٥_ السرطاوي ، فؤاد عبد اللطيف
_ البيئة والبعد الإسلامي ، ط^١ ، (عمان : دار المسيرة للنشر والتوزيع ، ١٩٩٩م).

- ١٦_ صباريني ، رشيد الحمد محمد
_ البيئة ومشكلاتها ، ط^١ ، (الكويت : د.مط ، ١٩٩٠م).
١٧_ الصياد ، محمد محمود ؛ إبراهيم ، محمد إسماعيل
_ البيئة والأقاليم الطبيعية ، ط^٢ ، (السعودية : دار المعارف ، ١٩٦٦م).
١٨_ الصياد ، محمد محمود
_ من الوجهة الجغرافية دراسة في التراث العربي ، (د.م : د.مط ، ١٩٧١م).
١٩_ طه ، عبد الواحد ذنون ؛ السامرائي ، خليل إبراهيم ؛ ومطلوب ، ناطق صالح
_ تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ط^١ ، (ليبيا : دار الكتب الوطنية ، ٢٠٠٠م).
٢٠_ العلاونة ، احمد
_ ذيل الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط^١ ، (السعودية : دار المنارة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٨م).
٢١_ غيور ، سمير إبراهيم
_ صيانة البيئة والموارد الطبيعية ، مقالة منشوره في كتاب ندوة الجغرافيا ومشكلات البيئة ، ط^١ ، (القاهرة : الجمعية الجغرافية المصرية للنشر ، ١٩٩٣م).
٢٢_ القرني ، احمد حسنين وعبد الحفيظ القرني
_ مصر العربية في مجال التاريخ ، (د.م : الدار القومية للطباعة ، د.ت).
٢٣_ كحالة ، عمر رضا
_ معجم المؤلفين ، ط^١ ، (بيروت : دار الرسالة ، ١٩٥٧م).
٢٤_ مجموعة مؤلفين
_ الموسوعة العربية العالمية ، ط^٢ ، (الرياض : مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، ١٩٩٩م).
٢٥_ محجوب ، فاطمة

_ الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية ، ط^١ ، (القاهرة : دار الغد ، د.ت).

٢٦_ وهيبه ، عبد الفتاح محمد

_ مكانة الجغرافيين من الثقافة الإسلامية ، ط^١ ، (دم : جامعة بيروت للنشر ، ١٩٧٩م).

ثالثاً : الكتب المترجمة :

١_ أشباح ، يوسف

_ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة : محمد عبد الله عنان ، ط^٢ ، (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٩٦م).

٢_ داوني ، جلانفيل

_ إنطاكيا في عهد ثيودوسيوس الكبير ، ترجمة : ألبرت بطرس ، (بيروت : مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ، ١٩٦٨م).

٣_ كراتشوفسكي ، أغناطيوس يوليانوفس

_ تاريخ الأدب الجغرافي ، ترجمة :صلاح الدين عثمان بن هاشم ، مراجعة : ايغور بليابف ، (القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٣م).

رابعاً : الدوريات :

١_ المياح ، علي محمد

_ مناهج الجغرافيا الإقليمية عند العرب في التراث والمعاصرة ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، (بغداد : د.مط ، ١٩٨٩م).

خامساً: مقالات دائرة المعارف الإسلامية :

١_ دي خوية

_ مقالة الأصطخري ، ترجمة :احمد الشنتاوي ، إبراهيم زكي خورشيد ، وعبد الحميد

يونس ، ط' ، (بيروت : دار الفكر العربي ، د.ت).

٢_ ريفون جست

_مقالة الإسكندرية .

**نماذج لبعض الأحجار المستخدمة في
النصوص المسمارية والشواهد الأثرية**

**م.م شيماء عصام البلداوي
كلية الآثار – جامعة الكوفة**

نماذج لبعض الأحجار المستخدمة في النصوص المسمارية والشواهد الأثرية

م.م شيماء عصام البلداوي

التمهيد

ضم هذا البحث مجموعة من الأحجار هي (حجر البازلت ، حجر الديورائيت ، حجر الأوبسيدين ، حجر الصوان ، حجر الكلس أو الحجر الجيري) وهي مجموعة متنوعة من الأحجار ترجع بشكل أساس الى مجموعتين من الأحجار وهي الأحجار النارية و الأحجار الرسوبية وهي دراسة اثارية بالأساس لسد النقص الحاصل في المكتبات الأثرية وقد ضمت هذه الدراسة بالأصل مجموعة من تسعة عشر حجراً تناولتها من كل الجوانب سواء الأثرية منها أو العلمية على ان استكمل نشر هذه السلسلة من الأحجار في مقالات تالية في مجلات أخرى ، قسم هذا البحث الى ثلاث مباحث وكالاتي:

تضمن المبحث الأول:

- التسمية

١- الأكديّة

٢- السومريّة

- التركيب الكيميائي

بينما تضمن المبحث الثاني : نقطتين

- مصادر الأحجار

- تجارة الحجر

اما المبحث الثالث: فقد تطرق الى

- استخدامات الأحجار

- الدينية

- الطبية

- الفنية

- العمارية

المبحث الأول

الصخر أو الحجر لغتاً واصطلاحاً:

والْحَجَر : بالتحريك : هو الصخرة، وجمعه جمع القلة : أحجار و أحجر، وجمع الكثرة : حجارة وحجار ، ويقال : ارض حجرة وحجيرة ومتحجرة، كثيرته أي الحجر. ويقال : الحجران: أي الفضة والذهب، وربما كني عن الرمل بالحجر. والحجر الأسود: أو الأسعد: هو حجر البيت، حرسه الله تعالى^(١) .

(مقدمة عامة عن الأحجار) :

الحجر عبارة عن مادة صلبة تكونت طبيعياً من معدن واحد أو مجموعة من المعادن ، وتوجد الأحجار في الطبيعة بأنواع متعددة وعلى و على هذا الأساس قسمت مادة الدراسة الى :

١- الأحجار النارية : وقد تضمنت (حجر البازلت، حجرالديورايت، حجر الأوبسيدين) هي صخور أولية تكونت بفعل تجمد الصحارة (الماجما) إما في باطن الأرض أو بشكل مقذوفات بركانية سائلة تعرف بالحمم ، وهي على أنواع:

أ- حجر البازلت (Basalt):

أولاً : تسمية الحجر في المصادر المسمارية (السومرية، الأكديّة):

يعرف بالسومرية بأسم «AD.BAR»^(٢) ويقابله بالاكديّة اسم «atbaru»^(٣) أو أسم «šurum , šalmatu»^(٤) كما يسمى أيضاً بأسم «ŠUR.RA»^(٥) ويرادفه بالاكديّة أسم «Kušurrû»^(٦) كما يعرف أيضاً بأسم «aban uḫuli»^(٧)

ثانياً : التركيب الكيميائي:

هو من (البلاجيوكلاز والأوجيت)^(٧) وقد يحتوي أيضا على (الأليفين و امفيبول و لابرادریت)^(٨) ويعتبر من الصخور القاعدية^(٩) ومكافئ لـ(الجابرو او الكابرو)^(١٠) ومشابه له في تركيبه المعدني ويتكون من نسيج بلوري او قد يكون ذا نسيج زجاجي^(١١)

ويعتبر من أقدم الصخور التي عرفها الإنسان ويعتقد ان اسمه مشتق من لفظة بازال الأثيوبية ومعناها (الحجر المنتج للحديد)^(١٢) اما بالنسبة لألوانه فإنه يعتبر من الصخور القاتمة ويكون ذا لون اسود(إلا انه قد يكتسب اللون البني نتيجة تعرضه للجو) او رمادي او يكون محمرا او مخضرا بعد تأثير عوامل التعرية عليه ويعد من أكثر أنواع الصخور النارية انتشارا^(١٣)

أ- حجر الديورايت (Diorite) :

أولاً : تسمية الحجر في المصادر المسمارية (السومرية، الأكديّة) :

يعرف بالسومرية بأسم ((ESI)) أو ((ESIG)) ويقابله بالأكديّة اسم ((ušu))^(١٤) او ((ūšu))^(١٥)

ثانياً : التركيب الكيميائي:

هو حجر ناري جوفي^(١٦) ، متوسط الحامضية^(١٧) لا تزيد فيها نسبة السيليكا عن (55%) ومعادنه الأساسية هي (البلاجيوكلاز الصودي ، البايث ، اوليجوكلاز) والمتوسط (اندرين ، الهورنبلد والميكا السوداء) و لا يوجد به معدن الكوارتز عادة إلا في بعض الأحيان وفي هذه الحالة يسمى كوارتز ديورايت^(١٨) ونسيج الديورايت منتظم خشن أو دقيق الحبيبات^(١٩) اما لونه فهو اسود مرقط أو مائل للاخضرار^(٢٠) او رمادي داكن ضارب للخضرة^(٢١) ووزنه النوعي (2.8%)^(٢٢).

ب- حجر الأوبسيدين (Obsidian) :

أولاً : تسمية الحجر الأوبسيدي في المصادر المسمارية (السومرية، الأكديّة):

يعرف بالسومرية بأسم ((ZU)) ويقابله بالأكدية اسم ((surru))^(٢٣) كما يعرف أيضاً بأسم ((aban qanû))^(٢٤) و بالحجر الأوبسيدي وحجر السبج^(٢٥)

ثانياً : التركيب الكيميائي (للحجر الأوبسيدي):

هو حجر بركاني حامضي التركيب ويتكون من العناصر الأساسية التالية)) الكوارتز ، الفلسبار البوتاسي ، الميكا ، وقد تحتوي على معدن الهورنبلز بدلاً من الميكا ((^(٢٦) كما أنها قد لا تحتوي على بعض البلورات الدقيقة جداً أو الخفية التبلور ، كما يحتوي على بعض الفراغات الغازية^(٢٧) ويعد هذا الحجر من الأحجار المتجمدة على سطح الأرض^(٢٨) نتيجة للتبريد السريع المفاجئ وهو عديم التبلور وينكسر سريعاً ، ويمتاز بكونه ذا سطح زجاجي لماع ويوجد في الطبيعة بألوان عديدة منها الأسود الشديد السواد^(٢٩) ومنها ما تختلف ألوانه بين الأحمر والأخضر والأسود المبرقش بالأبيض^(٣٠)

٢- الأحجار الرسوبية : (حجر الصوان ، الحصى ، حجر الكلس أو الحجر الجيري) :

هي صخور ذات أصل ثانوي تنشأ من تفتت وتحلل صخور سابقة التكوين (نارية ، متحولة ، رسوبية) وذلك بتأثير العوامل الطبيعية والكيميائية الفعالة على سطح الأرض وبعد عملية التفتت والتحلل تأتي عملية النقل فبعض مكونات الصخر الأصلي تذوب وتنتقل على هيئة أملاح ذائبة مع المجاري المائية ، وأجزاء أخرى تفتتت الى حبيبات مختلفة الأحجام تنقل مع التيارات المائية أو الهوائية الى أماكن الترسيب وبعد الترسيب تتماسك الحبيبات وتلتحم مع بعضها مكونة الصخور الرسوبية^(٣١) ويوجد في الطبيعة بعدة أنواع^(٣٢) وسأكتفي بالصوان والحصى والكلس على ان اكمل الباقي في المقالة التالية كما ذكرت سابقاً.

١ - حجر الصوان (Flint) :

أولاً : تسمية الحجر في المصادر المسمارية (السومرية، الأكديّة):

يعرف بالسومرية بأسم « BL.IN.DA/I » أو « GAD.Á » ويقابله بالأكديّة اسم « pendû » أو « pindu » « ezennû »^(٣٣) فضلاً عن هذه الأسماء فإنه يشترك مع الحصى والعقيق بأسم « ašnan » حيث يعرف كلا منهما أيضاً « بالعقيق المعتم »^(٣٤) ومن الأسماء الأخرى له هو « d.ŠE.TIR » ويقابله بالأكديّة اسم « šu »^(٣٥)

ثانياً : التركيب الكيميائي للحجر :

تركيبه الكيميائي هي سيليكات تتكون من حبيبات مجهرية أو مفتتة^(٣٦) وهو عبارة عن خليط من السيليكات المتبلورة وغير المتبلورة وغالباً ما يوجد على شكل درنات منتشرة بين طبقات الصخور الأخرى مثل الحجر الجيري^(٣٧) أو بشكل عقد مختلفة الحجم في صورة طبقات رقيقة بين الصخور الرسوبية^(٣٨) وهو سهل الكسر والسبب احتوائه على بلورات دقيقة وعند كسرنا للحجر فإن القطع غير المواجهة للضرب تبدوا لماعة أو رمادية أو قهوائية^(٣٩) وتمتاز القطع الرقيقة جداً بأنها نصف شفافة أما لونه فإنه يتفاوت بين الرمادي المعتم واللون الأسود^(٤٠).

٢ - الحصى (Chert) :

يعرف بالسومرية بأسم « IŠKILLA » ويقابله بالأكديّة اسم « iškillatu » أو « (is)sillatu »^(٤١) كما يعرف أيضاً باسم « silatu »^(٤٢) ويعرفان معاً (الحصى ، الصوان) بـ (ašnan) أي (العقيق المعتم)^(٤٣).

ثانياً : التركيب الكيميائي للحجر :

هو عبارة عن خليط من السيليكات المتبلورة وغير المتبلورة وهو مثل الصوان ونوعاً منه وغالباً ما توجد به نسبة عالية من الشوائب الجيرية^(٤٤) وتعبير آخر فهو

يعد من الصخور السيليكية غير النقية التي تحتوي على نسبة عالية من الجير وألوانه هي الأزرق والأحمر ^(٤٥) كما تتراوح ألوانه بين الرمادي المعتم والأسود ^(٤٦)

٣- حجر الكلس أو الحجر الجيري (Lime Stone):

يعرف بالسومرية بأسم ((zá NA- BUR)) ويقابله بالأكدية اسم ((pilû)) ^(٤٧) كما يعرف بـ ((aban šadi danni)) ^(٤٨)

ويعرف له في العراق نوعين أساسيين وكالتالي:

١- الحجر الكلسي الأبيض :

ويعرف بالسومرية بأسم ((NA-BUR)) ويقابله بالأكدية أسم ((aban pišu)) أو ((pizu)) ^(٤٩)

٢- حجر ((Alallu)) أو ((Elallu)) ^(٥٠)

فضلا عن الأسماء السابقة فإنه عرف أيضا بأسم ((Namru)) أو ((Namrutu)) ^(٥١)

وبعد دراسة الحجر المعروف بـ (المرمر الشمعي) ظهر بأنه حجر كلسي (100%) ولم يأخذ هذا النوع من الحجر الحرارة والضغط الكافي لكي يصل الى درجة صلابة المرمر ويسمى بـ(الحجر الجيري أو الكلسي ما بعد الأركونايت) ^(٥٢)

ويعرف أيضا بـ(النورة) ^(٥٣) كما يعرف أيضا بـ(هارون) ^(٥٤).

ثانياً : التركيب الكيميائي للحجر :

ينتج من ترسيب كاربونات الكالسيوم في المحاليل الجيرية المحتوية على بيكاربونات الكالسيوم الذائبة ^(٥٥) وهو على نوعين:

١- حجر جيري غير عضوي وهو من أنواع الصخور الرسوبية الجيرية ^(٥٦)

وقوامه الكالسايت او كاربونات الكالسيوم المبلورة يكون في حالته النقية ابيض اللون ولكنه قد يشتمل في كثير من الأحيان على عدد من الشوائب مثل اكاسيد الحديد و

الطفل، والرمل، و الفوسفات ، ووجود اوكسيد الحديد في حجر الكلس تغير لونه فيجعله مصفرا او بنيا^(٥٧)

٢- **حجر جيرى عضوي** : ويعتبر من أكثر الصخور الجيرية انتشارا ويرجع سبب تكوينها الى قدرة بعض الكائنات الحية على استخلاص المواد الجيرية الذائبة في المياه ثم تعيد فرز الأملاح على شكل محارات وأصداف يعيش في داخلها الحيوان وبعد موت هذه الكائنات تتراكم المحارات والأصداف وتتحول الى صخور جيرية عضوية وعادتا يقترن اسم الحجر بأسم الحفرية مثل الحجر الجيري المرجاني او قد يطلق عليه الأسم العام وهو حجر جيرى صدفى (إذا كانت الأصداف مختلفة الأنواع)^(٥٨) بالنسبة لألوانه تتراوح بين الأبيض والرصاصي والأصفر والوردي (إذا كان خاليا من الشوائب) اما إذا احتوى على شوائب فيكون باللون الأسود^(٥٩).

((المبحث الثاني))

مصادر الأحجار وتجاريتها

١- مصادر الأحجار

أ- حجر البازلت و الديورايت (Baslt and Diorite) :

وهو من الصخور النارية ويتواجد في المناطق ذات الانفجارات البركانية لذا فمن المحتمل ان تكون مناطق تواجد في المنطقة الشمالية والشمالية الشرقية شرقي العراق ويحتمل أنه أستورد من المناطق الجبلية او الحزام الجبلي لطوروس وزاكروس أي في كل من تركيا وإيران^(٦٠) فضلاً عن المناطق السابقة فقد أشارت المصادر المسمارية الى ان كوديا^(٦١) جلب حجر الديورايت من جبال مكان^(٦٢).

ب- حجر الأوبسيدين (Obsidian) :

وهو حجر يمكن الحصول عليه من مناطق خاصة وهي المناطق التي شهدت نشاطات بركانية وهناك مصدر يقع قرب بحيرة وان في تركيا يتوفر فيه هذا النوع من

الحجر ومن أهم المصادر الرئيسية للزجاج البركاني وسط تركيا وشرقها الأولى في منطقة أسيكول والمنطقة الثانية قرب قرية جفتلك - وهي مناطق تقع وسط تركيا - فضلا عن وجود مصدر ثالث له هو جبال كوللوداغ الواقعة الى الشرق من قرية جفتلك وتعتبر هذه المنطقة أشهر منطقة معروفة بإنتاج الزجاج البركاني , ومن الجدير بالقول انه توجد في منطقة البحر المتوسط حوالي ٢٥ مصدراً له فضلا عن منطقة نمروداغ التي تعتبر المصدر الرئيس لإنتاج وتصدير الأوبسيدين^(٦٣).

اما مصادر البحر الأبيض المتوسط فبالرغم من احتوائها على عدة مناطق تنتج الأوبسيدين في الوقت الحالي ولكن من غير المحتمل ذات علاقة باستعمال هذا الشرق الأدنى بأي فترة^(٦٤).

في حين ان الجزر الإيجية الثلاث في شرق البحر المتوسط كالي, انيباروس , وبلوس يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار. واحتمال صغير ان يكون من غرب تركيا في حين يحتوي مكان اخر في تركيا على مصدران لحجر الأوبسيدين الأول يمتد الى التمددات الغربية قرب البحيرة المالحة العظيمة وسط تركيا خصوصاً قرب Cigöl و Chiftlik والثانية توجد بمنطقة جناح البحيرة الى الشرق من المنطقة السابقة^(٦٥).

ج - حجر الصوان (Flint):

حصل الإنسان على الصوان في العصور الحجرية من فروع وقيعان الأنهار وجرف الشواطئ كما وجد الصوان على بعد ١٥ كيلو من موقع أم الدباغية^(٦٦) في نتوء صخري في الطبيعة^(٦٧) . وقد كان متوفراً جداً لسكان وادي الرافدين إذ وجد في اجزاء من الصحراء الغربية حيث تجاوز الغطاء الكلسي السطحي كما يوجد في العديد من التشكيلات الكلسية في السهول والتلال الواقعة اسفل السهل المركزي ويعتبر افضل مصدر له هو المحيط الشرقي لبلاد النهرين وأحيانا يأتي من المناطق التي تحوي القار ايضا^(٦٨).

د- الحصى (Chert):

غالبا ما يحصل عليها الإنسان من قيعان الأنهار او شرفاتها القديمة وفضلا عن ذلك فإن أهم مناطق تواجد الحصى في العراق هي وادي داقوق الذي يبعد مسافة (٤٠ كم) جنوب كركوك و وادي الخاصة الذي يبعد (٨٠ كم) جنوب كركوك أيضا ومن المعلوم ان شكل الحصى غير منتظم في وادي داقوق يضاف الى ما ذكر وجود الترسبات الحصى في منطقة صفية في محافظة اربيل وفي منطقة أسكي كلك وزنكل في نينوى^(٦٩)

هـ- حجر الكلس أو الحجر الجيري (Lime Stone):

إن التكوينات الكلسية لهذا الحجر تظهر في جهات واسعة من قضاء جمجمال التابع لمحافظة التأميم ولاسيما في مرتفعات بردى وبرنام وتغطي الصخور الكلسية مساحات واسعة من المنطقة الشمالية الغربية والجنوبية الغربية من العراق إذ توجد في النجف الأشرف وبالذات في مواقع قلعة مظلوم ورهيمه وحيضة^(٧٠) كما وتنفرد محافظة نينوى بكثرة صخورها الكلسية إذ تتوفر في مناطق حمام العليل وفي الشورى وفي مدينة بادوش أوب التي تبعد ٢٥ كم شمال غرب الموصل وكذلك في منطقة الدامرجي التي تبعد ١٥ كم عن الموصل فضلا عن توفرها في جبل علان ومقلوب وعقرة وعين زالة وبعشيقه واتروش والقوش^(٧١).

٢- تحارة الأحجار

أ- حجر الديورايت (Diorite):

وهو من الأحجار المهمة التي أستوردها السومريون بكثرة إذ يذكر لنا الملك السومري كوديا ^(٧٢) بأنه جلب هذا الحجر من مناطق جنوب الخليج العربي ^(٧٣) وقد أشارت النصوص المسمارية الى حقيقة وجود تجارة رابحة بين مناطق الخليج العربي وبين بلاد وادي الرافدين ^(٧٤) حيث اشتملت البضائع التي جلبها كوديا من الخارج هذا الحجر وبالتحديد من مدينة مكان التي أجمع الباحثون على أنها عمان ^(٧٥)

ب- حجر الأوبسيدين (Obsidian) :

استورد العراقيون القدماء حجراً ذا أهمية بالغة ونال شهرة واسعة في مختلف المواقع الأثرية وهذا الحجر هو الزجاج البركاني- الأوبسيدين إذ لم يخلو موقع من مواقع العصر الحجري من وجوده وقد انتشرت تجارة هذا الحجر كمادة خام في الشرق الأدنى انتشاراً واسعاً في الفترة بين (٧٥٠٠-٣٥٠٠ ق.م) ^(٧٦)

ويمكن الحصول على هذا الحجر فقط من مناطق شهدت نشاطات بركانية وتعد جرمو ^(٧٧) من القرى المعروفة في الشرق الأدنى القديم التي استوردت هذا الحجر إذ استوردته من نمرود داغ الواقعة شرق بحيرة وان وعبر ممرين، الأول الجبال والثاني نهر دجلة ^(٧٨) فضلاً عن طريق ثالث فرعي لتجارة الحجر استورد منه موقع شمشارة عبر مضيق هاكاري الواقع جنوب شرق تركيا قرب محافظة ديار بكر ^(٧٩) اما المواقع الجنوبية ومنها مواقع العبيد واريديو ^(٨٠) فقد استوردت الحجر من منطقة بايزيد الواقعة شمال شرق بحيرة وان ويحتمل ان حجر الزجاج البركاني في تركيا كان ينقل بواسطة وسطاء من المتنقلين او المسافرين وقد يكون هذا النظام معروفاً بين المدن نفسها مثل تل شمشارة و جيرمو وعلى هذا الأساس فأن تجارة الزجاج البركاني هذه كانت خاصة اما التجارة العامة فقد كانت تتم على الأقدام في الألفين السابع والسادس قبل الميلاد ولكن يمكننا القول بشكل عام ان أهم مصدر لاستيراد الزجاج البركاني الذي استوردت

منه معظم المواقع الأثرية القديمة هو موقع نمروود داغ الذي يقع شرق بحيرة وان ومنه عبر مضيق هاكاري الواقع شمال ديار بكر^(٨١)

ج- حجر الصوان :

من خلال الملاحظة الدقيقة لقرى قبل التاريخ يتضح لنا بسهولة وجود تجارة داخلية لحجر الصوان كمادة خام على الأقل الى قلب السهل الرسوبي ومثال على ذلك قد يكون حجر الصوان العسلي المعرق الذي كان يشكل اقل من ١% من تجمع التلال الشرقية لجوخامامي^(٨٢). كما ان تجهيزات الصوان شحنت من اسفل الفرات من سوريا الى المنطقة الجنوبية الغربية من موقع راس العمية^(٨٣)

((المبحث الثالث))

استخدامات الأحجار

لقد أشارت الكثير من النصوص المسمارية الى الاستخدامات المتعددة للأحجار في مجالات مختلفة منها:

١- المجال الفني :

في المجال الفني تم استخدام الأحجار في استخدامات عدة وهي :-

أ- لصناعة الآلات والأدوات

استخدمت العديد من الأحجار في صناعة الآلات والأدوات وخص من هذه الأحجار ماكان منها قوياً^(٨٤) وأهمها هو حجر الصوان الذي استخدم بشكل خاص لصناعة الأدوات كصناعة النصال والخناجر^(٨٥) ومن الأحجار المهمة الأخرى هو حجر الأوبسيدين الذي استخدم بكثرة في صناعة الأواني والأسلحة كمقابض الخناجر كما استخدم في صناعة الآلات اليومية كالمدقات الهاونات والمطارق^(٨٦). كما استعملت اواني الأوبسيدين كهدايا للتبادل بين النبلاء في المستوطنات التجارية الأشورية^(٨٧)

فضلاً عن حجر الديورايت الذي استخدم في صناعة الرحي إذ نقرأ في احد النصوص (حجر ديورايت واحد , حجر رحي اوطاً , الوزن لم يعطى)^(٨٨).

ب- الأختام:

ان الختم عبارة عن قطعة صغيرة حجرية او طينية او من اية مادة ونادراً من المعدن وقد تكون منبسطة او اسطوانية ويحفر على الوجه موضوع معين بشكل معكوس يكون عند دحرجته مع شئ من الضغط على مادة طينية طرية رمز مميز يثبت شخصية صاحب الختم^(٨٩).

ويعتبر من المرتكزات الأساسية لدراسة اوجه الحضارة للمراكز الحضارية القديمة والعلاقات القائمة بينها وتكمن اهمية الأختام في انها تحمل صور حية من نشاط الإنسان في حياته اليومية والدينية^(٩٠). في العصر السومري أخذ الفنان يتقن في حفر انواع من الحجر بمختلف النقوش سواءاً الهندسية منها او ماله صلة بالحياة اليومية التي كانوا يعيشونها وبقيت هذه الأختام تستعمل بكثرة خلال عصري العبيد و الوركاء^(٩١) ومن بين الأحجار التي برزت بشكل واضح الاختام هو حجر الكلس إذ استخدم في صناعة انواع مختلفة من الأختام^(٩٢) كما استخدم حجر الأوبسيدين بكثرة في صناعة الأختام^(٩٣) فضلاً عن الاستعمال النادر للصوان والحصى^(٩٤).

ج- التماثيل:

من المجالات المهمة التي استخدم فيها الحجر هو صناعة التماثيل ومنها تماثيل الروح الحامية (اللاماسو) والتماثيل الشخصية للملوك وتماثيل تمثل رموز دينية , ومن اهم هذه الأحجار هو حجر الكلس^(٩٥) إذ استخدم هذا الحجر بكثرة في صناعة التماثيل ومن الأدلة على ذلك هو نص مسماري يعود للملك الأشوري سنحاريب يذكر فيه بأنه صنع تماثلاً لثور من المرمز وتمثال لبقرة من الحجر الجيري^(٩٦). كذلك يذكر الملك اسرحدون ضمن الواح الذهب والفضة والنحاس انه قد صنع تماثيل لتتين في بابل ويستمر في وصفه إذ يقول بأنه صنعه من حجر ابيض ومعرق باللون الأصفر^(٩٧).

نماذج لبعض الأحجار المستخدمة في النصوص المسمارية والشواهد الأثرية.....

وكذلك بالنسبة للرقبة والمخالب حيث كانت باللون الأصفر ويقول سنحاريب بأن حجر المرمر الكلسي^(٩٨) كان ثميناً جداً في زمن اجداده بحيث انه استخدم لصناعة رأس الصولجان ولكن في زمنه استخدمه لصناعة التماثيل^(٩٩) كما استخدم السومريون الصخور الكلسية في صنع الأشكال البشرية والحيوانية وأجزاء الخزاف التي استخدمت لتطعيم الأفاريز في الواجهات الجدارية للمعابد في عصر فجر السلالات كما في أور وتل العبيد وكيش وماري^(١٠٠) فضلاً عن حجر البازلت الذي استخدم في صناعة التماثيل^(١٠١)

ومن الأحجار المهمة الأخرى في صناعة التماثيل هو حجر الديوراييت وهناك الكثير من النصوص المسمارية التي تؤكد ذلك إذ يذكر أحد النصوص العائد للملك نرام - سين ما يأتي (نرام - سين)^{١٠٢} حفر جبالهم وأعاد كتل الديوراييت الى مدينته أكد وصنع تماثيل لنفسه^(١٠٣). ونقرأ في نص آخر (نرام - سين) عمل لنفسه تماثلاً من حجر الديوراييت وكرسه للإله سين^(١٠٤) ومنها النصوص التي تعود للملك كوديا وهي نصوص تكريسية للآلهة بالدرجة الأولى يذكر فيه (الى ننخرساك , السيدة التي تكبر مع المدينة , ام جميع الأبناء , سيدته , بنى , كوديا , امير , لكش , معبدها لمدينة كرسو وصنع لها وعاء خزانتها المقدسة وادخله في معبدها العظيم وجلب حجر الديوراييت من مكان وحوله الى تماثله , السيدة التي تقرر المصائر في السماء والأرض الآلهة نننو ام جميع الآلهة عسى ان تطيل حياة كوديا الرجل باني المعبد بهذا الأسم سماه (التمثال) وادخله في المعبد^(١٠٥)

د- القلائد والخرز:

استخدمت العديد من الأحجار في صناعة القلائد والخرز ومن أهم هذه الأحجار هو الحجر الأوبسيدي^(١٠٦) ففي عصر حلف كانت الخرز من حجر الأوبسيدين تنقّب لتركب كحلي كما وجدت بقايا مجموعة مهمة من الأحجار استخدمت عموماً في

صناعة الخرز تتضمن الحجر الأوبسيدي وحجر الكلس والديورايت واللازورد وغيرها من الأحجار^(١٠٧) ومن يارم تبة (I) استعيدت العديد من الخرز من المرمر والكلس^(١٠٨)

٢- المجال الطبي:

امتلك بعض الأحجار قدرات شفائية للأمراض وقد عرف سكان بلاد الرافدين هذه القدرات وذكروها في النصوص المسمارية وأهم هذه الأحجار هو حجر الكلس حيث كان هذا الحجر يسحق مع حجر اليشب ويوضع في حقيبة جلدية كمسحوق للعلاج أو الوقاية من (يد عشتار) وقد تستعمل هذه الوصفة لجعل الأحلام المزعجة جيدة^(١٠٩)

كما ذكرت المصادر المسمارية بأن هذا الحجر كان يستخدم كدواء مطهر أو مسهل^(١١٠) . أيضاً هناك نص مسماري يذكر استخدام الكلس في معالجة القشرة نقرأ فيه (إذا أصيب رأس رجل بالقشرة فأدهنه بغير حجر الكلس الشبع بالدهن ثم خذ البلسم ... ويعصب (الرأس بها) وسوف يشفى)^(١١١)

٣- المجال الديني:

لقد تعددت استخدامات الأحجار في المجال الديني ومنها :-

أ- الهدايا الدفنية:

حيث ان الأحجار في هذه الحالة تكون إما مصنعة أو بشكل قلائد أو تماثيل أو تمائم أو اختام وغيرها أو ان تكون غير مصنعة وأكثر هذه الأحجار استخداماً لهذا الغرض كان الحجر الذي اصطلح عليه مجازاً بـ (المرمر الشمعي المعرق)^(١١٢) وقد استخدم من هذا الحجر ماكان نقيا وبدون عروق و ماكان معرقا باللون الأحمر والوردي والأخضر الفاتح والأسود , اما الأحجار التي كانت اقل استخداماً فقد كانت من حجر الديورايت الأسود الصلب^(١١٣) حيث كان كل شخص من المضحى بهم في قبور اور

الملكية يزود بقدر صغير من الحجر او المعدن (ولعله كان نوعاً من الطقوس الدينية)^(١١٤).

ب- الأساطير :-

لقد ورد ذكر الأحجار في الأساطير القديمة ومنها اسطورة كان فيها ننورتا هو الشخصية الرئيسية^{١١٥} حيث نقرأ فيها ان الأحجار كانت اما ضده او مساعدة له في حروبه وقد تمرد عليه حجر الصوان بشكل خاص فأوقع عليه عقوبة التقشير^(١١٦)

٣- مجال العمارة :-

من المجالات المهمة التي استخدم الحجر بكثرة هو الجانب العماري وقد برز من بين الأحجار حجر الكلس ففي عصري الوركاء وجمدة نصر كانت اغلب المباني الدينية المهمة فيها وبضمنها المعبد الكلسي ومعبد المخاريط الحجرية وقصر المعبد (E) والمبنى الحجري قد ادخلت في بنائها عناصر مهمة من حجر الكلس الأبيض و الأبيض الرمادي و الأبيض المصفر كما شيدت بعض هذه المباني على قواعد من كتل حجر الكلس^(١١٧) واستعمل الآشوريون حجر الكلس بشكل ملحوظ في بناء الأسوار وقد وصف ذلك على لسان الملك سنحاريب حين قال (بنيت سوراً قويا لمدينة نينوى , من حجر الكلس الأبيض)^(١١٨) .

اما الملك اسرحدون فقد وصف حجر الكلس بأنه حجر جبلي صلب استعمله في الأساسات وفي تعبيد ارضية معبدي نابو وعشتار في نينوى^(١١٩). كما ان هناك وصف جميل لسنحاريب يقول فيه (وعززت جدرانها " نينوى " بالجير الأبيض وقويت بنائها) وفي الوقت الحالي اظهرت الاستكشافات المادية على ان جدران نينوى قائمة على كمية هائلة من احجار الجير البيضاء القاسية والكبيرة التي لا يمكن حملها إلا من قبل رجلين . وهناك نص مسماري بخصوص تشييد قصر الملك آشور ناصر بال الثاني نقرأ فيه (شيدت قصراً من خشب الأرز والعرعر والبقس والتوت والفسق والطرفاء , بنيته منزلاً ملكياً لمنعتي الجلييلة لكل العصور , صورت وحوش الجبال والبحار على حجر الكلس

ووضعتها في ابوابه^(١٢٠) كما يذكر ترتيبه لمعظم الغرف والقاعات بألواح صخرية منحوتة بالنحت البارز^(١٢١) . ومن الاستخدامات المهمة الأخرى لحجر الكلس في هذا المجال هو استخدامه كمادة رابطة إذ اكدت نتائج الاختبارات ان قير هيت الذي كان يمثل مصدر القير القديم في الحضارة الوسطى والجنوبية للعراق القديم قد خلط مع حجر الكلس المطحون بنسبة ٥٠% - ٧٠% كحد اقصى لتكوين عجينة سهلة التكوين^(١٢٢). واستخدم الحجر في العصر الأشوري الوسيط في الأجزاء التكميلية للجدران والتي تحولت تدريجياً حتى بدأت بتغطية كافة الساحات الجدارية في القصور الملكية^(١٢٣). اما في العصر الأشوري الحديث فقد استعمل حجر البازلت في البناء ولكن بشكل نادر وكذلك في بناء ملحقات البيوت^(١٢٤).

الخلاصة :-

تعد بلاد وادي الرافدين فقيرة بمادة الحجر على الرغم من وجود الأحجار المحلية كالكلس والصوان والحصى والرخام , ونظراً لأهمية الأحجار في قيام اي حضارة انسانية لكونها تشكل مورداً طبيعياً وضرورياً لقيام الحضارات القديمة بشكل عام وحضارة وادي الرافدين بشكل خاص وارتباطه بالفن والطب والدين والعمارة لذلك فقد سعت الحضارات في بلاد الرافدين من (السومريين و الأكديين و بابليين وآشوريين) الى الحفاظ على تجارة الأحجار وإن ادى ذلك الأمر الى خوض الحروب . وقد تم في هذا البحث دراسة بعض انواع الأحجار التي ورد ذكرها في النصوص المسمارية وهي كالتالي ((حجر البازلت , الديورايت , الأوبسيدين , الصوان , الحصى , الكلس)) وقد تم دراستها من حيث التسمية التي ذكرتها النصوص المسمارية , و التركيب الكيماوي لهذه الأحجار , والمصادر التي جلبت منها , وتجارها , كما تم التطرق لذكر استخداماتها في المجالات المختلفة . هذا ومن الأمور التي تثير

نماذج لبعض الأحجار المستخدمة في النصوص المسمارية والشواهد الأثرية.....

الاستغراب في النصوص المسمارية إهمالها التركيب الكيميائي لتلك الأحجار علماً أنها ذكرت الكثير عن هذه الأحجار من حيث الاستخدام والتجارة ومصادرها .



شكل (٢) حجر البازلت



شكل (١) حجر البازلت



شكل (٤) حجر الديورايت



شكل (٣) حجر الديورايت



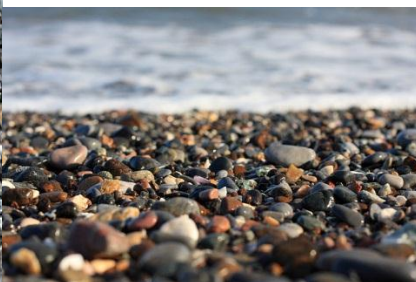
شكل (٦) حجر الصوان



شكل (٥) حجر الديورايت



شكل (٨) الحصى



شكل (٧) الحصى



شكل (١٠) شجر جيرى عضوي



شكل (٩) شجر جيرى حفري



شكل (١٢) شجر جيرى



شكل (١١) شجر جيرى عضوي

المصادر العربية :-

- ١- البدري ، عبد اللطيف ، الطب في العراق القديم ، منشورات المجمع العلمي ، ٢٠٠٠ .
- ٢- البصيلي ، احمد مصطفى ، المعادن والصخور ، بلا تاريخ .
- ٣- ألبياتي ، أمنة فاضل ، الروح الحامية (اللاماسو) في ضوء النصوص المسمارية والشواهد الأثرية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ٢٠٠١ .
- ٤- تي بوتس ، دانيال ، حضارة بلاد وادي الرافدين الأسس المادية ، ترجمة : كاظم سعد الدين ، الطبعة الأولى بغداد ، ٢٠٠٦ .
- ٥- التيفاشي ، احمد بن يوسف ، أزهار الأفكار في جواهر الأحجار ، تحقيق : محمد يوسف ومحمد بسيوني ، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٧ .
- ٦- الخطابي ، محمد العربي ، تنقيح مفردات ابن البيطار العشاب المألقي - من كتابه الجامع - ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٠ .
- ٧- دانيال ، كلين ، موسوعة علم الآثار ، ترجمة : ليون يوسف ، ج ١، بغداد ، ١٩٩٠ .
- ٨- الراوي ، شيبان ثابت ، آشور ناصر بال الثاني ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٨٦ .
- ٩- الزبيدي ، محب الدين أبي الفيض السيد مرتضى الحسيني الواسطي، تاج العروس من جواهر القاموس ، دار الفكر للطباعة والنشر، ج ١٠ ، ١٩٩٤ .
- ١٠- ساكز ، هاري ، عظمة بابل ، (موجز حضارة وادي الرافدين دجلة والفرات القديمة) ، ترجمة عامر سليمان ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩ .
- ١١- السنوي،سهيل وآخرون،الجيولوجيا العامة الطبيعية والتاريخية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ .

- ١٢- الطلبي ، جمعة ، اختام الخليج العربي دراسة مقارنة مع اختام بلاد وادي الرافدين والسند وبلاد عيلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٩٩.
- ١٣- عادل ناجي ، " الاختام الأسطوانية " حضارة العراق ، ج ٤ ، ١٩٨٥.
- ١٤- العاني ، عماد طارق توفيق ، الصناعات الحجرية في العراق حتى نهاية العصر الحجري الحديث ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٨٦.
- ١٥- عقيل جميل احمد، الأحجار الكريمة ، الطبعة الثالثة ، مؤسسة البلاغ ، ٢٠٠٧.
- ١٦- العمري ، صنع الله فاروق ، وآخرون ، الجيولوجيا الطبيعية و التاريخية، جامعة بغداد ، ١٩٨٥.
- ١٧- فوزي رشيد ، ((نرام سين ملك الجهات الأربعة))، الموسوعة الذهبية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠ ، ص (٢٣-٣١).
- ١٨- الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٣ .
- ١٩- قحطان رشيد صالح ، الكشف الأثري في العراق ، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، بغداد ، ١٩٨٧.
- ٢٠- كجة جي ، صباح اسطيفان ، الصناعة في تاريخ وادي الرافدين ، بغداد ، ٢٠٠٢.
- ٢١- منى حسن عباس ، الدلائل والتماثيل في المتحف العراقي من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية عصر فجر السلالات ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٨٩.
- ٢٢- الهاشمي ، رضا جواد ، آثار الخليج العربي والجزيرة العربية ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٨٤ .
- ٢٣- يوحنا ، دوني جورج ، أساليب الصناعات الحجرية في تل الصوان ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٩٥.

- 1- Bell, G., Selected Letters ,edited by Florence Bellm,Penguin, 1953.
- 2- Bienkowski , P. , and Millard, A. , Dictionary of the Ancient Near East , Philadelphia , **(DANE)** , 2000 .
- 3- Black , J. , A Concise Dictionary of Akkadian , Wiesbaden, **(CDA)**, 2000.
- 4- Borger, Assyrisch-Babylonische Zeichenliste , **(ABZ)**,1978.
- 5- Cann ,J. R. , “Obsidian analysis and the Obsidian Trade ” Science in Archeology:A survey of progress and Research1,2nd , London , 1969 .
- 6-E.Ebeling Und B.Meissner , Reallexikon der Assyriologie Und vorderasiatischen Archäologie , Band 8, Meek- Miete,**(RIL)**, 1993.
- 7- Edzard , D.O,Gudea and his Dynasty,**(RIM)**,Vol: 3/1,Toronto Buffalo ,London,1997.
- 8- Faust , D. E. , Contracts from Larsa Dated in the Reign of Rim-Sin , **(YOS,8)** ,New Haven and London , 1941.
- 9- Frayne , D , The Royal Inscriptions of Mesopotamia Early Period ,Ur III Period , Vol. 2 , 1997,**(RIME)**.
- 10- Gadd , C.J , and Legrain , L , Royal Inscription , London , 1928 , **(UET-1)**.
- 11- Konrad,V, Summerian Reader, Rome, 1999 .
- 12- Labat , R . , Manuel D’pigraphie Akkadienne , (Signes ,Syllabaire, IdÈogrammes),**(MDA)**, 6 Èdition, Paris, 1988.
- 13- Landsberger,B,“ The serves HAR-ra=hubullu Tablets”,**(MSL)**, Vol.10,Roma, 1970.
- 14- Miller , R . , Flaked stone industries of Arabia and the Gulf from the late Ironage to Early Islamic Times , Paris , 1984.
- 15- Moorey , P.R.S, Ancient Mesopotamian Materials and Industries (The Archaeological Evidence),Oxford ,1994.

- 16- Mortensen , p. "A Sequence of Samarra flint and Obsidian Tools from Choga mami" , **Iraq** , 1973 , part :1.
- 17- Oppenheim , A . L. , The Assyrian Dictionary of the oriental Institute of the university of Chicago, (**CAD**), Chicago, 1956 ff.
- 18- ----- , " Babylonian and Assyrian Historical Texts " , Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament , New Jersey, (**ANET**), 1969.
- 19- Sceil , V , Actes juridiques susiens. Mémoires de la mission archéologique de Perse, Vol . XXII , Paris , 1930, (**MDP**).
- 20- Schramm , W. , Akkadische Logogramme , Göttingen , (**GAAL 4**) , 2003.
- 21- Sodden, w.v, Akkadisches Handwörterbuch , (**AHW**), 1971.
- 22- Thompson , C . , Dictionary of Aššyrian Chemestary and Geology , Oxford, (**DACG**), 1936.
- 23- Ward, W.H., Seal Cylinder of western Asia washington, 1910.

الهوامش :

- (1) الزبيدي , محب الدين أبي الفيض السيد مرتضى الحسيني الواسطي, تاج العروس من جواهر القاموس , دار الفكر للطباعة والنشر, ج ١٠ , ١٩٩٤, ص (٥٣٨) .
- (2) Borger, Assyrisch- Babylonische Zeichenliste , (**ABZ**) , 1981, p.(98)
- Labat, R., Manuel D'pigraphie Akkadienne, (Signes , Syllabaire, Idéogrammes), (**MDA**), 6 édition, Paris, 1988, p.(103).
- (3) Thompson, C, Dictionary of Aššyrian Chemestary and Geology, Oxford, (**DACG**), 1936, p.(161).
- (4) Ibid, p.(161).
- (5) Landsberger, B., " The serves HAR-ra= hubullu Tablets" , (**MSL** Vol.10, Roma, 1970, p. (34)
- Thompson, C, Op.cit , p. (162).
- (6) البدري , عبد اللطيف , الطب في العراق القديم , منشورات المجمع العلمي , ٢٠٠٠ , ص (٧٥) .

(7) هي صخور تتراوح فيها نسبة السيليكا بين (45-52%) وتكون المعادن فيه غير مشبعة بالسيليكا وترتفع فيه نسبة الحديد المغنيسيوم لتعطي الصخر لونا داكنا يميل للسواد .

(8) هو صخر ناري جوفي قاعدي لا تزيد فيه نسبة السيليكا عن (50%) وتزيد فيه معادن الحديد ويتكون اساسا من معادن البلاجيوكلاز الكلسية (اللابرادوريت , بيونيت , انورايت) ومعادن البيروكسين (أوجيت , انستاتيت , وأحيانا الأولفين) ويكون ذا لون قاتم ووزنه النوعي ٣

(9) هو مصطلح يطلق على مجموعة الصخور العديمة التبلور والتي تتميز أسطحها بشدة لمعانها ومن ثم تشبه الأسطح الزجاجية ويتكون هذا النسيج نتيجة للبرودة الفجائية السريعة للصهارة بحيث لم تسنح الفرصة لتكوين أي بلورات بالمرّة. (10) العمري , صنع الله فاروق , وآخرون , الجيولوجيا الطبيعية و التاريخية, جامعة بغداد , ١٩٨٥ , ص (١٣٦) .

(11) البصيلي , احمد مصطفى , المعادن والصخور , بلا تاريخ , ص (٢٣٦) .
(12) عقيل جميل احمد, الأحجار الكريمة , الطبعة الثالثة , مؤسسة البلاغ , ٢٠٠٧, ص (١٢٩) .

(13) منى حسن عباس , الدلائل والتماثل في المتحف العراقي من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية عصر فجر السلاسلات , رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة بغداد, ١٩٨٩, ص (١٢٤) .

(14) MDA, p.(147).

- Black , J. , A Concise Dictionary of Akkadian , Wiesbaden,(CD A),2000 p.(429 b).

- Schramm , W., Akkadische Logogramme ,Göttingen , (GAAL 4), 2003 , p.(50).

(15) البدري , عبد اللطيف , المصدر السابق , ص (٧٩) .
(16) هي صخور توجد في اعماق كبيرة من سطح الأرض وتسمى أيضا بصخور الأعماق ويرجع سبب ظهور الصخور النارية الجوفية الى سطح الأرض نتيجة للحركات الأرضية العنيفة للجبال التي ترفعها لتظهر على سطح الأرض.

- العمري , صنع الله فاروق , المصدر السابق , ص (١٣٦) .
(17) هي صخور نارية تحوي على نسبة من السيليكا تتراوح بين (52-65%) وفي هذه الحالة فإن المعادن المتبلورة تأخذ كفايتها ولكن لا تبقى سيليكا حرة لتكون الكوارتز كمعدن مستقل وتكون نسبة معادن الحديد و المغنيسيوم متوسطة.

- البصيلي , المصدر السابق, بلا تاريخ , ص (٢٣٦) .
(18) العمري , صنع الله فاروق , المصدر نفسه , ص (١٣٥) .

- (19) البصيلي , احمد مصطفى، المصدر نفسه , ص (٢٣٣) .
- (20) العمري , صنع الله فاروق , المصدر نفسه , ص (١٣٥) .
- (21) عقيل جميل احمد, المصدر السابق , ص (١٦٧) .
- (22) العاني , عماد طارق توفيق , الصناعات الحجرية في العراق حتى نهاية العصر الحجري الحديث , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة بغداد , ١٩٨٦ , ص (٢٤) .
- (23) ABZ, 1981, p. 62.
- MDA, p. 49² .
- CAD, S, p. 257.
- CDA, 341 b.
- (24) البدري , عبد اللطيف , المصدر السابق , ص (٧٥) .
- (25) التيفاشي , احمد بن يوسف , أزهار الأفكار في جواهر الأحجار , تحقيق : محمد يوسف ومحمد بسيوني , الهيئة المصرية للكتاب, ١٩٧٧ .
- (26) العمري , المصدر السابق , ص (١٣٥) .
- (27) المصدر نفسه , ص (١٣٥) .
- (28) المصدر نفسه , ص (١٣٧) .
- (29) العاني , المصدر السابق , ص (٣٠) .
- (30) الخطابي, محمد العربي , تنقيح مفردات ابن البيطار العشاب المألقي - من كتابه الجامع - , الطبعة الأولى , بيروت , لبنان , ١٩٩٠ , ص (٤٢٠) .
- (31) السنوي , سهيل وآخرون , الجيولوجيا العامة الطبيعية والتاريخية , الطبعة الأولى , ١٩٩٧ , ص (١٠٠) .
- (32) العمري , المصدر السابق , ص (١٣٧) .
- (33) MAD, p. (123, 169²); CAD, A², p. (452: a); CAD, E, p. (427).
- (34) وهو كاربونات بلورية للكلس.
- العاني , المصدر السابق , ص (٢١) .
- (35) CAD, E, p. (427).
- (36) العمري , المصدر السابق , ص (١٥٧) .
- (37) البصيلي, المصدر السابق , ص (٢٤٩) .
- (38) العمري , المصدر نفسه , ص (١٥٧) .
- (39) العاني , المصدر السابق , ص (٢٠) .
- (40) العاني , المصدر نفسه , ص (٢١) .
- (41) MSL, 10, p. (33).
- (42) Ibid.

- (43) العاني ، المصدر نفسه ، ص (٢١).
- (44) البصيلي ، المصدر السابق ، ص (٢٤٩).
- (45) العمري ، المصدر السابق ، ص (١٥٧).
- (46) منى حسن عباس ، المصدر السابق ، ص (١٢٣) .
- (47) MDA, p.(69).
- MSL,10,p.(34).
- (48) البدرى ، المصدر السابق ، ص (٧٥) .
- (49) ألبياتي ، أمنة فاضل ، الروح الحامية (اللاماسو) في ضوء النصوص المسمارية والشواهد الأثرية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ٢٠٠١ ، ص (٥٠).
- MSL,10,p.(12).
- (50) وهو اسم يستخدمه الحفارون في نينوى على نوع من أنواع الحجر الجيري.
- Thompson , R.C, Op.Cit, 1936,p. 159-162
- (51) Ibid , p.158.
- (52) وهو من الصخور التي تتكون من ترسيبات الماء الحار.
- يوحنا ، دوني جورج ، أساليب الصناعات الحجرية في تل الصوان ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٩٥ ، ص (٥١-٥٢).
- (53) الخطابي ، المصدر السابق ، ص (٤٣٣،٤٢٠).
- (54) MDA, p.69.
- (55) العاني ، المصدر السابق ، ص (٢١).
- (56) البصيلي،المصدر السابق ، ص (٤٨٢) .
- (57) عقيل جميل احمد' المصدر السابق ، ص (٢٢٤)
- (58) البصيلي، المصدر السابق ، ص (٤٨٢).
- (59) البصيلي،المصدر نفسه ، ص (٤٨٢).
- (60) العاني ، المصدر السابق ، ص (٢٥).
- (61) هو الحاكم السابع لسلالة لكش الثانية وهو صهر الحاكم (اور-بابا) ويرى بعض مختصي المسماريات ان مدلول اسم (كوديا Gu-de-a) بلفظتين (Gu-de) تعني ينادي او نادى في السومرية ويرادفها بالاكديّة كلمة (Nabu) وهي (مناداة الإله بصوت عالي)
- Edzard , D.O,Gudea and his Dynasty,(RIM),Vol: 3/1,Toronto Buffalo , London,1997,p.26-27
- Sodden,w.v, Akkadisches Handwörter buch , 1971,(AHW),p.195-196

- (62) Konrad,V, Summerian Reader, Rome, 1999,p.(22) .
- (63) العاني ، المصدر نفسه ، ص (٣٢-٣٣).
- (64) Moorey , P.R.S, Ancient Mesopotamian Materials and Industries (The Archaeological Evidence),Oxford ,1994,p.70-73
- (65) Ibid , p.70-73 .^(٦)
- (66) تقع هذه التلول على بعد ٢٦ كم غرب مدينة الحضر وتتألف من ثلاثة تلول تعود في تاريخها الى فترة عصر حسونة.
- قحطان رشيد صالح ، الكشاف الأثري في العراق ، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، بغداد ، ١٩٨٧، ص (٤٥) .
- (67) العاني ، المصدر السابق ، ص (٢١).
- (68) Miller , R. , Flaked stone industries of Arabia and the Gulf from the late Ironage to Early Islamic Times , Paris , 1984 , p.(64).
- Moorey , Op. Cit ,p. (60)
- (69) العاني ، المصدر نفسه ، ص (٢٤).
- (70) العاني ، المصدر نفسه ، ص (٢٣).
- (71) العاني ، المصدر نفسه، ص (٢٣).
- (72)Konrad,V., Op.Cit, p.(22).
- (73) Oppenheim , A . L . ,^(٧) " Babylonian and Assyrian Historical Texts " , Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament,New Jersey, (ANET),1969.p.(268).
- Bell, G., Selected Letters ,edited by Florence Bellm , Penguin, 1953, p.(324)
- يوحنا ، دوني جورج،المصدر السابق ، ص (١٦١).
- (74) الهاشمي ، رضا جواد ، أثار الخليج العربي والجزيرة العربية ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٨٤ ، ص(١٥٧).
- (75) ساكرز ، هاري ، عظمة بابل ،(موجز حضارة وادي الرافدين دجلة والفرات القديمة) ، ترجمة عامر سليمان ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩، ص(٣١١).
- العاني ، المصدر السابق ، ص (٣٥-٣٠).
- (76)العاني ، المصدر نفسه ، ص (١٦١).
- (77) موقع أثري قريب من قضاء جمجمال في محافظة السليمانية،وهو عبارة عن قرية مسكونة منذ بداية الألف السابع (ق.م) ، ويتألف من خمسة عشر طبقة تقريبا.
- صالح ، قحطان رشيد، المصدر السابق ، ص (٧٦).

- (78) العاني , المصدر السابق , ص (٣١).
- (79) دانيال,كلين , موسوعة علم الآثار , ترجمة : ليون يوسف , ج ١, بغداد , ١٩٩٠ , ص (٧٩)
- العاني , المصدر نفسه , ص (٣١).
- (80) مدينة سومرية قديمة , تقع غرب مدينة الناصرية على بعد حوالي ٤٠ كم وتعرف اليوم بأسم (تل أبو شهرين) .
- , قحطان رشيد صالح , المصدر السابق , ص (٢٥٨).
- (81) ساكرز , هاري , المصدر السابق , ص (٣٨).
- (82) Moorey , Op. Cit , p. (60)
- (83) Mortensen , p. " A Sequence of Samarra flint and Obsidian Tools from Choga mami " , Iraq , 1973 , part :1 , p. (39).
- (84) Moorey , Op.cit , p.(71).
- (85) Ibid , p.(96).
- (86) Ibid , p.(77).
- (87) Bienkowski , P. , and Millard, A. , Dictionary of the Ancient Near East , Philadelphia , (DANE) , 2000 , p.(217-218)
- (88) CAD , U , p. (326).
- Faust , D. E. , Contracts from Larsa Dated in the Reign of Rim-Sin , (YOS,8) ,New Haven and London , 1941, p.(107).
- (89) الطلبي , جمعة , اختتام الخليج العربي دراسة مقارنة مع اختتام بلاد وادي الرافدين والسند وبلاد عيلام , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة بغداد , ١٩٩٩ , ص (٣٦).
- (90) الطلبي , جمعة , المصدر السابق , ص (٣٦).
- (91) عادل ناجي , " الأختام الأسطوانية " حضارة العراق , ج ٤ , ١٩٨٥ , ص (٢٢٠).
- (92) تي بوتس , دانيال , حضارة بلاد وادي الرافدين الأسس المادية , ترجمة : كاظم سعد الدين , الطبعة الأولى بغداد , ٢٠٠٦ , ص (١٦٠) .
- (93) Moorey , Op.cit , p.(64).
- Cann ,J. R. , "Obsidian analysis and the Obsidian Trade " Science in Archeology : A survey of progress and Research 1,2 nd , London , 1969 , p.(590)
- (94) Ward ,W.H. ,Seal Cylinder of western Asia ,Washington, 1910,p.(8)

(95) حيث اعتقد الأشوريون ان الروح التي تسكن حجر الكلس تمنح الحجر المنحة والقوة بدليل ان الأسوار والأساسات بنيت من هذا الحجر وتتضاعف هذه الروح عندما تصبح تمثال لamaso

- البياتي , امانة فاضل , المصدر السابق , ص (٤٦).

(96) Thompson, OP.Cit, p.(147).

(97) Ibid , p.(147)

(98) هو كاربونات بلورية للكلس

- Ibid , p.(147).

(99) Ibid , p.(147).

(100) كجة جي , صباح اسطيفان , الصناعة في تاريخ وادي الرافدين , بغداد , ٢٠٠٢ , ص (٣٨)

(101) البياتي , المصدر نفسه , ص (٤٥).

(102) نرام - سين (٢٢٦-٢٢٣ ق.م) هو الملك الرابع من ملوك السلالة الأكديّة ويعني اسمه (محبوب الإله سين) بلغت مدة حكمه ٣٧ سنة ولقب نفسه بملك (الجهات الأربعة) ويعد من اعظم الملوك الأكديين عموماً ولا يوازيه في الشهرة والأهمية سوى جده الملك سرجون الأكدي مؤسس الإمبراطورية الأكديّة للمزيد من التفاصيل ينظر :

- فوزي رشيد , " نرام سين ملك الجهات الأربعة" , الموسوعة الذهبية , الطبعة الأولى , ١٩٩٠ , ص (٢٣-٣١).

(103) Sceil , V , Actes juridiques susiens. Mémoires de la mission archéologique de Perse, Vol . XXII , Paris , 1930,(MDP) , p.(6).

- Frayne , D , The Royal Inscriptions of Mesopotamia Early Period ,

Ur III Period , Vol. 2 , 1997,(RIME) , p. (17) .

(104) Gadd , C.J , and Legrain , L , Royal Inscription , London , 1928 , (UET-1) , p.(275).

(105) Konrad , V , Op.cit , p.(19). (

(106) Moorey , Op.cit , p.(77).

(107) Moorey , Op.cit , p.(77).

(108) Ibid , p.(77).

(109) البياتي , المصدر السابق , ص (٥٠).

(110) لا يمكننا ان نحدد مدى تأثير مسحوق كاربونات الكلس على الكليتين ولكن يظهر بأنه كان يستخدم كدواء مطهر او مسهل

-Thompson, OP.Cit, p.(147).

(111) Thompson, R.C , Assyrian Medical Texts from the Originals British Museum , Oxford , 1923 ,p. (2).

-البديري , عبد اللطيف , المصدر السابق , ص (٦٩).

(112) هو حجر الكلس

- بهذا الخصوص يراجع المبحث الخاص بتسمية الأحجار من هذا البحث ضمن تسمية حجر الكلس.

(113) يوحنا , المصدر السابق , ص (٥١-٥٢).

(114) ساكز , هاري , المصدر السابق , ص (٤٢٦) .

(115) E.Ebeling Und B.Meissner , Reallexikon der Assyriologie Und Vorderasiatischen Archäologie, Band 8, Meek-Miete,(RIL),1993,p.(224)

-الدوري , رياض عبد الرحمن , السحر في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية , بغداد , ٢٠٠٩ , ص (٤٧-٤٨).

(116) ساكز, المصدر نفسه , ص (٣٩١).

(117) تي بوتس , المصدر السابق , ص (١٦٠).

(118) البياتي , المصدر السابق , ص (٤٤).

(119) Thompson , C., Op.Cit , p.(158).

(120) الراوي , شيبان ثابت , آشور ناصر بال الثاني , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة بغداد , ١٩٨٦ , ص (١٤٠).

(121) المصدر نفسه , ص (١٤١).

(122) كجة جي , المصدر السابق , ص (٣٦) .

(123) كجة جي , المصدر السابق , ص (٣٨) .

(124) Oates , D. , and Oates , J. , " Excavation at Tell Brak 1990-1991 " , Iraq , 1991, p.(138).

النهضة النسائية في مصر

(١٨٦٣ – ١٨٧٩)

دراسة تاريخية

م. وفاء خالد خلف

الجامعة المستنصرية / كلية التربية

النهضة النسائية في مصر (١٨٦٣ - ١٨٧٩)
دراسة تاريخية

م. وفاء خالد خلف

المقدمة :

يعد الخديوي إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩) من أشهر الحكام الذين اهتموا بشؤون مصر ، لاسيما التعليمية منها إذ عمل هذا الخديوي على استمرار الإصلاحات الثقافية التي كان قد بدأها جده محمد علي باشا ، وعمل على تطور التعليم الشعبي باللغة العربية ، وبذلت جهود كبيرة في هذا المجال ، وافتتح المدارس القديمة التي كانت قد أغلقت في عهد أسلافه ، هذا إلى جانب إنشائه لمدارس جديدة ، إلا أن الأمر البارز والمهم هو قيامه بتأسيس مدارس البنات التي كانت الأولى من نوعها في الدولة العثمانية واهتمام أفراد أسرته بها أيضاً وبدأت النهضة النسائية في عصره، إذ أنشئت المدارس لتعليم البنات وبدأت المرأة تشترك بنصيبها في النهضة الاجتماعية والأدبية ، فكانت " عائشة عصمت تيمور " طليعة هذه النهضة ، وكان لرفاعة بك رافع الطهطاوي فضل كبير في ترقية المرأة المصرية ، فهو أول من دعا إلي نهضتها وإلي تعليم البنات وتنقيفهن أسوة بالبنين ، وتتجلى فكرته من كونه وضع كتاباً مشتركاً لتنقيف البنات والبنين على السواء سماه (المرشد الأمين للبنات والبنين) طبع سنة ١٨٧٢ ، وهو كتاب قيم في الأخلاق والتربية والآداب ، ووضعه كما يقول في مقدمته بحيث " يصلح لتعليم البنين والبنات على السوية " ، ودعا فيه إلي وجوب تعليم البنات وإعدادهن من طريق التربية والتعليم للعمل والقيام بواجبهن في المجتمع ، فإن فراغ أيديهن عن العمل يشغل ألسنتهن بالأباطيل ، وقلوبهن بالأهواء وافتعال الأقاويل ،

فالعامل يصون المرأة عما لا يليق ، ويقربها من الفضيلة ، وإذا كانت البطالة مدمومة في حق الرجال فهي مدممة عظيمة في حق النساء".

نشأة مدارس البنات في عصر الخديوي اسماعيل

(١٨٦٣ - ١٨٧٩) وتطورها

يعد عصر الخديوي اسماعيل من أهم العصور التي اهتمت بالثقافة والعلم والعلماء، ولم يكن هذا الاهتمام مقتصرًا على مصر فقط بل شمل ذلك السودان^(١).

تعد إصلاحات عباس الأول (١٨٤٨ - ١٨٥٤م) وسعيد باشا (١٨٥٤ - ١٨٦٣) وهم خلفاء محمد علي باشا في حدود ضيقة لاسيما في ناحية التعليم والثقافة، وعلى الرغم من رغبة عباس الأول بإنشاء مدرسة بالخرطوم كي يتعلم بها أغلب سكان تلك المنطقة، إلا أن هذه الخطوة لم تؤت ثمارها بسبب عدم الجدية من هذه الخطوة، وكذلك لسياسة سعيد باشا فلم تكن أفضل من سلفه بإهمال الناحية التعليمية بل إنه بدلاً من أن يستثمر حكمه بتطوير مدرسة الخرطوم التي أنشأها عباس الأول عمل على إغلاقها والغائها هذا هو حال التعليم في تلك الفترة، لكنها أصبحت بارقة أمل بعد أن عرف كيف يستثمرها من جاء من بعده وهو الخديوي اسماعيل.

أن تعليم البنات في المنازل كان قاصراً على الأشغال اليدوية، وشؤون المنزل والقراءة دون الكتابة، حتى لا تستطيع البنات استخدام الكتاب طوعاً ونزاعاً الشباب، وبدأت نواة التعلم الأهلي للبنات تثبت في عهد محمد علي باشا^(٢)، لكنه كان محدداً بين أفراد العائلة المالكة حصراً نتيجة للمعارضة الشديدة التي كانت موجودة من قبل الشعب.

تقرر في عهد الخديوي إسماعيل مجانية التعليم وتأسيس مدارس البنات التي كانت الأولى من نوعها في الدولة العثمانية كلها^(٣).

بدأ إنشاء مدارس البنات في مصر على عهد الخديوي إسماعيل، وهي ميزة تشهد له بالفضل في نهضة الامة، فقد كان التعليم النسوي يعد من قبل في حكم العدم، إذ لم تكن في البلاد مدرسة للبنات سوى مدرسة الولادة، ولم يكن يتعلم فيها في الغالب سوى البنات الحبشيات، اما الفتيات من سائر الطبقات فلم يكن لهن مدارس لتعليمهن، وكان الجهل مخيماً عليهن اللهم الا من كنّ يتعلمن في بيوت آبائهن واهلهن، وقليل اولئك^(٤). بدأت في عصر الخديوي إسماعيل، قبل ذلك إنشاء عدة مدارس من ضمنها مدارس لتعليم البنات^(٥)، ولم تكن تحت اشراف الحكومة حينذاك الا مكاتب معدودة ومدرستان ابتدائيتان، فزيد عدد هذه المكاتب والمدارس تدريجياً^(٦). وازداد عدد المدارس في عهد اسماعيل من ١٨٥ في عام ١٨٦٣ الى ٤٦٨٥ في عام ١٨٧٥، وكان يدرس فيها حوالي مئة الف تلميذ، وازداد عدد المؤسسات الدراسية الخاصة الثانوية^(٧).

فأسس الخديوي إسماعيل أول مدرسة للبنات عام ١٨٧٣ وهي مدرسة بالسيوفية بمصر، وهي المدرسة التي انشأتها الاميرة اوجشم آمنت خانم افندي زوجة اسماعيل الثالثة^(٨)، بايعاز وتشجيع فعلي من زوجها الخديوي اسماعيل، على نفقتها الخاصة، وبشجاعة ادبية نادرة على اعتبار ان هذا الأمر بدعة وغير مرغوب به في تلك المدة لاسيما وان انشاء هذه المدرسة كان على الطريقة الغربية^(٩).

لقد كانت هناك مدارس للبنات لكنها مسيحية وكانت بعض بنات المسلمين تذهب اليها، لكن الرأي العام الاسلامي لم يكن راضياً عنها^(١٠).

اشترت الاميرة اوجشم آمنت خانم سراي قديمة بالسيوفية، وهي من اكثر احياء العاصمة سكاناً وجددت بناءها، فصيرتها مدرسة، وفتحت ابوابها للطالبات في سنة ١٨٧٣، وهي نفس السنة التي تعتبر سنة خير وذلك بسبب تزويج ابناء اسماعيل الثلاثة (توفيق وحسين وحسن)، ان المدرسة جُعلت داخلية، وان البنات استدعيت اليها من جميع طبقات المجتمع ، بلا تمييز مذهبي او اجتماعي وان الجميع كانوا يعلمون انهم يرضون ولي النعم بارسال بناتهم اليها، بالرغم من ان المعيشة فيها جعلت هنيئة

فاخرة، كان المقيمات فيها بنات ارباب قصور من ذات العيش الرغيد، وان المعلمات الخمس عشرة اللاتي اخترن لها، ومنهم الناظرة السيدة روزة واشتتان أجنبيتان، كن من خيرة المدرسات^(١١).

وكان يعلم فيها القراءة والكتابة، والشيء البسيط من الحساب وغيره من المواد الدراسية فضلاً عن الاشغال اليدوية.. وشؤون المنزل وكان عدد التلميذات قليلاً ، ولما لم تجد الأميرة عدد التلميذات اللازم لمدرستها، اضطرت الى أخذ فتيات الجواري البيض من بيتها وبيوت أميرات الأسرة المالكة وامرائها، وادخلهن فيها. لكن هذه الحالة لم تستمر طويلاً اذ سرعان ما أدرك الشعب حقيقة الهبات التي كان الخديوي يغدقها عليهم فاقبلوا من كل ملة ونحلة من عرب وسودانيين ، واقباط ويهود وشرقيون من كل الطوائف والاجناس وتزاحموا بناتهم، واعمارهن من سبع الى اثني عشر سنة، على ابواب مدرسة السيوفية، ليدخلوهن فيها فامتألت بالطالبات واضطرت الادارة الى انشاء مئة محل اخرى - ولكن خارجية- ولم يمكن قبولهن في مصاف الداخليات. وبعد عام واحد بلغ عدد التلميذات اربعمئة تلميذة يتعلمن مجاناً^(١٢).

ونظراً للرغبة الشديدة من قبل ذوي الطالبات لتعليم بناتهم والدخول بمدرسة السيوفية وتزايد اعداد الطالبات، فقد امر الخديوي اسماعيل بضرورة انشاء مدرسة اخرى للبنات على غرار نظام مدرسة السيوفية، فأهتمت الادارة به، وأنشأت بالقرب منها المدرسة جديدة . فتقاطرت اليها الطالبات، لاسيما بنات الوجهاء وموظفي الحكومة ومستخدميها، واكتظت بهن المقاعد، وزادت الطالبات، مئات عن العدد المطلوب، فدل الإقبال على المدرستين، دلالة واضحة على سرعة تطور المصري الى مقتضيات العصر^(١٣).

وكان التعليم، في كلتا المدرستين - ومدته خمس سنوات - مثله في مدارس اوربا التي من نوعها، اي القراءة العربية، والكتابة، والحساب، والرسم والجغرافيا، والموسيقى، واشغال الأبر، والطبخ، والغسيل، والتدبير المنزلي، زيادة على تعلم التركية

والفرنسية وتلقين القرآن للمسلمات ولكن مصروفات التعليم كانت تفوق مثيلاتها في اوربا، لأن الاهتمام كان بمظاهر الترف والأبهة والفخامة^(١٤)، غير إن إقبال بنات الوجهاء والكبراء عليها ومزاحمتهن بنات الشعب على مائدتيهما، حملا الخديوي على الرغبة في تشييد مدرسة ثالثة، تكون من العظمة والبهاء في اقصى درجتيهما، وتعنى بتربية بنات العائلات الرفيعة والبيوتات السنية (الخديوية) او المصرية الشريفة، القديمة، فصدرت ارادته بتشبيدها، وبوشر بذلك بالفعل^(١٥). هذا وقد كان اسماعيل يهب المدارس السابقة هبات كبيرة تشجيعاً لها. وانشئت مدارس عدة في عهد اسماعيل متنوعة ما بين الحربية والمدنية^(١٦) ومن ابرز المدارس الخصوصية التي انشئت مدرسة العميان والخرس، للبنين والبنات، اسست سنة ١٨٧٥ وتولى نظارتها محمد انسى بك نجل عبد الله ابو السعود أفندي^(١٧)

مدرسة تربية الخادما:

كانت هناك حاجة ماسة من وجود خادما يقمن بخدمة المنزل، وبعدما عزم اسماعيل على إبطال الرق^(١٨) لذا رأى اسماعيل ضرورة انشاء مدرسة جديدة تعلم فيها بنات ريفيات فقيرات شؤون الخدمة المنزلية على انواعها، فأسسها في العاصمة على نفقة الأميرة زوجته الاولى وتحت رعايته، ورعاية وزارة المعارف، وعهد بالأدارة عليها الى سيدة أوربية، وضع تحت ادارتها ثمان معلمات، منهن واحدة أجنبية، وأدخل فيها (٧٦) طالبة داخلية، و (٧١) خارجية فبرزت الى الوجود، من احسن المدارس المصرية واكثرها فائدة^(١٩).

وكانت مدارس تربية الخادما تقيم مسابقات ، على اشغال التلميذات اليدوية، يخصص صافي المتحصل منها بتكوين مال للطالبات الفقيرات، يصرف لهن عند زواجهن^(٢٠).

نهاية المدارس:

ان الضائقة المالية سرعان ما اشتدت، وازدادت حلقاتها تصلباً، فصرف البناء الفخم الذي أنشئ ليكون مدرسة لبنات الوجهاء، عما قصد به منه، واضطرت الاميرة آفت خانم، وإدارة الاوقاف ذاتها، الى الاقتصاد في الانفاق على مدرستها، ثم لما توجهت تلك الأميرة الى المنفى بصحبة زوجها الخديوي إسماعيل سنة ١٨٧٩ ضمت المدرستان الواحدة الى الاخرى، وبلغ في السنوات التالية من تضاول الانفاق عليها، ما آل بهما، الى الخروج عن دائرة الغاية التي انشئت من اجلها، وصيرورتها، ملجأ لبنات المعوزين، يذهبن اليها ليصبن منه قليلاً من الطعام على سبيل الاحسان، واما مدرسة تربية الخادومات فالغيت كذلك بعد تنازل اسماعيل عن العرش، بالرغم من شدة الاحتياج اليها، لمقتضيات الحاجة الماسة لتسديد أصحاب الديون^(٢١).

واهمل شأن المدارس حتى ان الحكومة قد شغلتها الدواوين، ومكانها الآن تشغله وزارتا الاشغال والمواصلات ودار البرلمان وما حولها^(٢٢).

وجاء من بعده ابنه توفيق باشا كخديوي لمصر (١٨٧٩-١٨٩٢) ^(٢٣).

وفي كل الاحوال فان التعليم اذا ما كان اهلي او حكومي فانه يشكل شيئاً اساسياً بالحياة العامة ويؤدي دوراً كبيراً اما بتقديم الامم او تخلفها وفنائها، فكما قال اللورد مورلي: "ان مسائل التعليم الاهلي كيفما تنوعت طرق حلها ذات اتصال بحياة الأمم وفنائها"^(٢٤).

أبرز النساء اللاتي ظهرن بعصر اسماعيل

بدأت المرأة تشترك بنصيبها في النهضة الاجتماعية الأدبية، فكانت عائشة عصمت تيمور في طليعة هذه النهضة^(٢٥)، واليقظة النسوية في تاريخ مصر الحديث، وأول من نبغ من المصريات في الشعر والأدب، عنى والدها بتتقيفها، وأحضر لها استاذين لتأخذ عنهما الأدب والعلوم، وقالت الشعر وهي في الثالثة عشر من العمر، فأعجب بها والدها وحبب اليها اجادته فانكبت على نظم الشعر بلغات ثلاثة، الفارسية

والعربية والتركية، اتقنت النحو والعروض على يد معلمتين من اهل العلم في هذا العصر، هما فاطمة الأزهرية وستيته الطبلابية وعادت الى نظم الشعر^(٢٦).

التعليم في زمن الخديوي إسماعيل واثر مؤلفات رفاة رافع الطهطاوي في تعليم المرأة

يعد رفاة رافع الطهطاوي^(٢٧) من ابرز الفلاسفة والمفكرين العرب الذين لهم دور كبير وأساسي بالمجتمع، لكنه لم يكن من المحظوظين لدى الحكام المصريين، فمثلاً عندما بدأ بإنشاء مدرسة الألسن لم تطب هذه الفكرة لدى الخديوي عباس الأول^(٢٨) الأمر الذي عمل على نفيه الى السودان بحجة انشاء مدرسة هناك بعد ان قام بإلغاء مدرسة الألسن سنة ١٨٤٩، هذا من جهة ومن جهة أخرى فانه في عصر سعيد^(٢٩) (١٨٥٤-١٨٦٣) عاد الى مصر حيث استرد بعض مكانته الضائعة إذ عيّن في مختلف الوظائف الرفيعة، عين أولاً مديراً للقسم الاوربي في محافظة القاهرة، ثم وكيلاً للمدرسة الحربية بالحوض المرصود ثم مديراً للمدرسة الحربية بالقلعة، وكان يشرف على أقسام الترجمة والمحلين وغيرها. وركي الى رتبة المتمايز ولكن كل هذه الاقسام او الادارات التي كان يشرف عليها رفاة الطهطاوي الغيت عام ١٨٦٠ بما في ذلك ادارة الترجمة. فظل بلا وظيفة محددة حتى عهد الخديوي اسماعيل الذي عرف كيف ينتفع من خدماته في نشر التعليم^(٣٠).

لقد كان لرفاة رافع الطهطاوي فضل كبير في ترقية المرأة العصرية، فهو اول من دعا الى نهضتها والى تعليم البنات وتنقيفهن أسوة بالبنين، وتتجلى ذلك فكرته من كونه وضع كتاباً مشتركاً لتنقيف البنات والبنين على السواء سماه (المرشد الأمين للبنات والبنين)^(٣١)، الذي طبع سنة ١٨٧٢، وهو كتاب قيم في الاخلاق والتربية والاداب، وصفه كما يقول في مقدمته بحيث (يصلح لتعليم البنين والبنات على السواء) ودعا فيه الى وجوب تعليم البنات واعدادهن من طريق التربية والتعليم للعمل والقيام بواجبهن في المجتمع^(٣٢). قال في هذا الصدد: "ينبغي صرف الهمّة في تعليم البنات

القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك فان هذا مما يزيدهن ادباً وعقلاً، ويجعلهن بالمعارف اهلاً، ويصلحن به لمشاركة الرجال في الكلام والرأي فيعظمن في قلوبهم، ويعظم مقامهم لزوال ما فيهن من سخافة العقل والطيش، مما ينتج من معاشر المرأة الجاهلة لمرأة مثلهما ولم يمكن المرأة عند اقتضاء الحال ان تتعاطى من الاشغال والاعمال ما يتعاطاه الرجال، على قدر قوتها وطاقتهما، فكل ما يطيقه النساء من العمل يبأشرنه بأنفسهن، وهذا من شأنه ان يشغل النساء عن البطالة فان فراغ ايديهن عن العمل يشغل السنتهن بالأباطيل، وقلوبهن بالأهواء وافتعال الأقاويل، فالعمل يصون المرأة عما لا يليق، وبقربها من الفضيلة، وإذ كانت البطالة مذمومة في حق الرجال فهي مذمة عظيمة في حق النساء^(٣٣). ولقد كانت هذه الأمثلة نموذجاً حفز المرأة المصرية على السعي الحثيث من أجل العلم والتعلم.

وقد يكون ظهور مثل هذا الكتاب حدثاً عادياً، اما ظهوره في عام ١٨٧٢ فقد كان حدثاً غير عادي، ذ تناول فكرة تعليم المرأة بالتحليل والتفصيل وضرب النماذج والأمثلة من التاريخ في وضوح وجلاء، وروى لنا أخبار كثير من النساء الشهيرات، كزوجة أبي الأسود الدؤلي العالم النحوي، وحرقة بن النعمان بن المنذر صاحب يومي السعد والنحس في الجاهلية وام حكيم التي تشبب بها الشاعر قطري بن الفجاءة^(٣٤).

بهذه الروح استمر رفاة الطهطاوي يدعو الى تعليم المرأة، والتحرر من قيود الجهل، والخروج الى نور المعرفة، اذ اعتقد انه اذ كانت البطالة مذمومة في حق الرجال، فهي مذمة عظيمة في حق النساء. فان المرأة التي لا عمل لها تقضي الزمن خائضه في حديث جيرانها، وفيما يأكلون ويشربون ويلبسون ويفرشون، وفيما عندهم وعندها.. وهكذا^(٣٥).

ثم يتحدث رفاة عن الآفاق التي يفتحها العلم امام المرأة، وكيف يفضل علمها على جمالها ويدوم اكثر منه، وكيف يرفع قدرها في نظر الزوج، ويثمر تربية صالحة ومتقدمة للأولاد، فيقول:

"ان تعليمهن في نفس الأمر عبارة عن تنوير عقولهن بمصباح المعارف المرشد لهن، فلاشك ان حصول النساء على ملكة القراءة والكتابة، وعلى التخلق بالأخلاق الحميدة، والاطلاع على المعارف المفيدة، هو اجمل صفات الكمال، وهو أشوق للرجال المتربين من الجمال، فالأدب للمرأة يُغني عن الجمال، لكن الجمال لا يغني عن الأدب، لأنه عرض زائل. وايضاً أدب المرأة ومعارفها تؤثر كثيراً في أخلاق أولادها، إذ البنت الصغيرة متى رأت أمها مقبلة على مطالعة الكتب وضبط امور البيت والاشتغال بتربية اولادها جذبتها الغيرة الى ان تكون مثل امها، بخلاف ما اذا رأت امها مقبلة على مجرد الزينة والتبرج واضاعة الوقت بهذر الكلام والزيارات الغير اللازمة.. وقد مضت التجربة، في كثير من البلاد، ان نفع تعليم البنات أكثر من ضرره، بل انه لا ضرر فيه أصلاً، فقد روي في كتب الأحاديث وروايات عن النساء كثيرة، وقد كان في زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، من يعلم القراءة والكتابة من النساء للنساء، "كالشفاء" ام سليمان، فقد ورد ان رسول الله قال لها: "علمي حفصة رقية النملة، كما علمتها الكتابه.." وهذا الحديث دليل على ان تعلم النساء الكتابة جائز، وان اشتراكهن مع الرجال لا بأس به، حيث اشتركن معهم في أصل الطبائع والغرائز.. فليتمسك كل من الفريقين، الذكور والاناث، بالأحاديث الواردة في فضل التعلم والتعليم، ويتشبهوا جميعاً بأذيال المدرسة والمطالعة ليقطفوا من أثمار العلم منافعه.." (٣٦).

مما لا يدعو للشك فإن أسلوب الطهطاوي وبساطته في رفع شأن المرأة كان مؤثراً على المرأة قلباً وقالباً، وسعت لخطوات حثيثة من أجل الوصول الى مراتب متقدمة مع الرجل بشرط أن لا يؤثر ذلك على كونها أنثى وامرأة مطيعة للرجل وليس أداة طيعة بيده. فالدعوة إلى نهضة المرأة في مصر ترجع كما ترى الى رفاعة بك^(٣٧)، ثم جاء من بعده المرحوم قاسم بك أمين، فجدها ووسع نطاقها، وهو صاحب المدرسة الاجتماعية، وكان قاسم امين من اشد الناس حرصاً على تثقيف الفتيات المسلمات تثقيفاً يعينهن على أداء رسالتهم في نهضة البلاد الاسلامية. وكان يرى ان الاسلام في

حقيقته يؤيد مساواة المرأة بالرجل في الحقوق، وانه اذا كان بعض المسلمين يسيئون الى المرأة أو يمهلون شأنها، فما ذلك الا نتيجة جهل بأهداف الشريعة السمحاء^(٣٨).

نخلص بالقول بأن رفاعة رافع الطهطاوي كان ذا تأثير كبير على الحياة الثقافية والتعليمية في مصر لاسيما البنات وتعليمهم والمرأة المتعلمة فضلها على المرأة الجاهلة حتى وان كانت تتمتع بجمال عالي .

الخاتمة :

ظل الخديوي إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩) يولي عنايته في التعليم ، وجميع القائمين بشؤونه بلا تمييز بين جنس أو مذهب أو دين ، وقد تولد عن تلك الحركة التعليمية نهضة معارف وأفكار كانت من أكبر مسببات تطورات المستقبل وأخذت المرأة نصيبها في هذا المجال ، وبرزت بصورة واضحة ، وقد تركت أثارها واضحة في النظام التعليمي والحياة الثقافية بوجه عام ، ولقد ركز الخديوي إسماعيل جل اهتمامه على ناحية تعليم المرأة أدراكاً منه لحقيقة أن المرأة ذلك الكائن الحي له دور كبير في المجتمع المصري وللنهوض بالواقع المتخلف آنذاك . إذ فتح المدار التي خصصت لتعليم الفتيات وأضافه مناهج جديدة واهتم بالمعلمات والمدارس التي تدرس الفتيات وكانت أعماله هذه بادرة أمل في تاريخ مصر التعليمي والثقافي .

Abstract

Khedive Ismail remained give his attention to education, and all those involved in its affairs without distinction between sex or sect or religion, have been generated by those educational movement renaissance knowledge and ideas was one of the biggest causes of future developments and took the women's share in this area, and has emerged clearly, have left their clear in the educational system and cultural life in general

(١) للمزيد عن المدارس التي انشأها اسماعيل ينظر: علي ابراهيم عبده، مصر وافريقية في العصر الحديث، المكتبة التاريخية، القاهرة، دار القلم، ص ٣١ - ٣٣؛ امين سامي باشا، تقويم النيل، المجلد الأول، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٦، ص ٣٨، ٥٠.

(٢) محمد علي باشا (١٨٠٥ - ١٨٤٩): عين والياً على مصر في ١٧ صفر ١٢٢٠ هـ/ ١٧ مايو ١٨٠٥ حتى ٢ شوال ١٢١٤ هـ/ أول سبتمبر ١٨٤٨، ولد بمدينة قوله من موانئ مقدونيا في ١٧٦٩، انخرط في سلك الجندية، تفرغ لتجارة الدخان فربح بها، لكنه فضل الانخراط بالحياة العسكرية، وصل مصر في مارس ١٨٠١ كمعاون لرئيس كتبية قوله وظهر كفاءته فتدرج بالترقية، قضى على المماليك في مذبحه القلعة الشهيرة ١٨١١، منح رتبة نائب ملك على مصر وان تكون حدودها القديمة وراثية في اسرة محمد علي للأكبر سناً من الاولاد والاحفاد الذكور، على ان تكون مصر جزءاً من الدولة العثمانية وان تدفع الجزية سنوياً للسلطات، ولا يزيد جيشها على ثمانية عشر الف ولا تبني سفناً حربية. مرض محمد علي في ١٨٤٨ واصدر فرماناً بتعيين ابراهيم باشا والياً على مصر، وتوفي محمد علي ١٨٤٩. ينظر: ناصر الانصاري، موسوعة حكام مصر، دار الشروق، ط ٣، ١٩٨٩، ص ١٢١ - ١٢٢؛ للمزيد ينظر: الياس الايوبي، محمد علي سيرته واعماله وآثاره، دار الهلال، مصر، ١٩٢٣، ص ١٠؛ أمل صديق صديق عفيفي، أيام في حياة محمد علي، ط ٢، ص ٩٠.

(٣) عبد الرحمن زكي، هذه هي القاهرة، القاهرة، ط ٢ ١٩٤٣، ص ٨٧، مكي شبكية، تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان) في القرن التاسع عشر الميلادي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥، ص ٥٢٩؛ لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية، دار التقدم،

- موسكو، ص ١٩٩؛ ابراهيم شحاتة حسن، مصر والسودان ووجه الثورة في نصيحة احمد العوام، مدرسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، ص ٦٩؛ احمد زكريا الشلق، معالم تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، الدوحة، ١٩٩٦، ص ٨١.
- (٤) عبد الرحمن الراجعي، عصر اسماعيل، ج ١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص ١٩٩.
- (٥) عبد الرحمن الراجعي، عصر إسماعيل، ج ١، ص ١٩٩؛ احمد زكريا الشلق، معالم تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، ص ٨٠.
- (٦) إسماعيل محمود القباني، حضارة مصر الحديثة، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٣٣، ص ٨١.
- (٧) لوستكي، تاريخ الاقطار العربية، ص ١٩٩.
- (٨) عبد الرحمن الراجعي، عصر اسماعيل، ج ١، ص ١٩٩؛ اوجشم آمنت خانم - توفيت في مصر في ٢٦ رمضان سنة ١٣٢٥ / ٢١ نوفمبر سنة ١٩٠٧. ودفنت بالرفاعي، للمزيد عن زوجات ومستولدات اسماعيل ينظر الى: عزيز خانكي بك، نفحات تاريخية، المطبعة العصرية، د. ت، ص ٥٠ - ٥١.
- (٩) الياس الايوبي، تاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩)، ص ٢٤؛ عبد الرحمن زكي، هذه هي القاهرة، ص ١٨٧.
- (١٠) الياس الايوبي، تاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩)، ص ٢٠٤.
- (١١) يذكر عبد الرحمن الراجعي ان الذي تولى نظارتها حسن افندي صالح ثم مدام روزه، الراجعي، عصر اسماعيل، ج ١، ص ١٩٩؛ الياس الايوبي، تاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل، ص ٢٠٦ - ٢٠٧؛ مذكرات احمد شفيق باشا، مذكراتي في نصف قرن، ج ١، القاهرة، ١٩٣٤، ص ٤٩.
- (١٢) عبد الرحمن زكي، القاهرة، ص ١٨٧.

- (^{١٣}) عبد الرحمن الرافعي، عصر اسماعيل، ج ١، ص ١٩٩؛ الياس الايوبي، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٠٧ - ٢٠٨.
- (^{١٤}) المصدر نفسه، ص ٢٠٨.
- (^{١٥}) الياس الايوبي، المصدر السابق، ص ٢٠٨.
- (^{١٦}) عبد الرحمن الرافعي، عصر اسماعيل، ج ١، ص ١٦٣ - ١٦٤، ص ١٧٨ - ١٧٩؛ الياس الايوبي، تاريخ مصر، ص، الرافعي، عصر إسماعيل، ج ٢، ط ٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨، ص ١٠٦.
- (^{١٧}) عبد الرحمن الرافعي، عصر اسماعيل، ج ١، ص ٢٠٠ - ٢٠١، الياس الايوبي، تاريخ مصر...، ج ١، ص ٢٤.
- (^{١٨}) للمزيد عن الغاء تجارة الرقيق ينظر: ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥، ص ٧٧، مكي شبكه، تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان) في القرن التاسع عشر، ص ٥٣١.
- (^{١٩}) الياس الايوبي، المصدر السابق، ص ٢٠٩.
- (^{٢٠}) الياس الايوبي، المصدر نفسه، ص ٢٠٩.
- (^{٢١}) للمزيد عن الضائقة المالية التي تعرضت لها مصر زمن اسماعيل وتنازله عن العرش، ينظر: الارل اوف كرومر، مصر الحديثة، ترجمة اسكندر شاهين، ج ١، مطبعة جريدة الوطن، ص ١٢٨ - ١٣٠.
- (^{٢٢}) أحمد شفيق، مذكراتي في نصف قرن، ج ١، ص ٤٩.
- (^{٢٣}) محمد توفيق بن اسماعيل باشا ابن ابراهيم بن محمد علي باشا من ٢٦ يونيو ١٨٧٩ - ٧ يناير ١٨٩٢، ولد عام ١٨٥٢ خلف أباه إسماعيل خديوي لمصر ١٨٧٩ قبل المراقبة الثنائية لفرنسا وبريطانية على مالية مصر، ناصر الأنصاري: موسوعة حكام مصر، ص ١٢٣؛ ينظر أيضاً: صلاح احمد هريدي، تاريخ مصر الحديث، مكتبة بستان المعرفة، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٢٣٥.

(٢٤) محمد مصطفى الهبهاوي، مصر في ثلاثي قرن بين الماضي والحاضر، نشرة محمد علي منصور، القاهرة، ١٩١٩، ص ٩٧.

(٢٥) عائشة عصمت تيمور (١٨٤٠ - ١٩٠٢) نشأت في بيت كريم، إذ كان أبوها اسماعيل باشا تيمور، أحد كبار الحكام في عصر عباس الأول وسعيد باشا، وشقيقها العلامة أحمد باشا تيمور، بدت عليها ملكة الأدب والشعر وهي في السابعة والثالثة عشر، ورأى أبوها هذا الميل فشجعها، وتزوجت وهي في الرابعة عشرة بمحمد بك توفيق بن محمود بك الاسلامبولي فشغلته الحياة الزوجية عن الأدب حيناً، فلما شبت ابنتها (توحيد) عمدت إليها شؤون المنزل، وبعد وفاة والدها سنة ١٨٨٢ وزوجها سنة ١٨٨٥ تفرغت للشعر والادب وتوفيت ابنتها توحيد فاشتد حزنها عليها، وشغلت بالذكرى والبكاء سبع سنين عدداً، ثم عادت الى الكتابة والشعر، وكانت وفاتها سنة ١٩٠٢، ولها من الآثار الأدبية (حلية الطراز) وهو ديوان شعرها العربي، و(شكونه) وهو ديوانها التركي والفارسي و(نتائج الاحوال في الاقوال والافعال) وهي قصة ادبية كتبتها بأسلوب المقامات . سليم رمال، موسوعة شهيرات النساء، دار اليوسف للطباعة، ط ١، بيروت، ٢٠٠٥، ص ١٤٩ - ١٦١؛ عبد الرحمن الرفاعي، عصر إسماعيل، ج ١، ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

(٢٦) منصور فهمي، محاضرات عن مي زيادة مع رائدات النهضة النسائية الحديثة، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العالمية، ١٩٥٤، ص ٣ - ٦؛ الرفاعي، عصر اسماعيل، ج ١، ص ٢٥٨.

(٢٧) رفاعه رافع الطهطاوي (١٨٠١ - ١٨٧٣): شيخ المترجمين المصريين في مطلع النهضة الحديثة، ولد في طهطا، ونشأ فقيراً، وقدم الى القاهرة صغيراً، وتخرج في الجامع الأزهر، انتهز فرصة تعيينه إماماً لأول بعثة تعليمية ارسلت الى فرنسا فتعلم الفرنسية، وبعد عودته عمل مترجماً في المدارس الفنية التي انشأها محمد علي، ثم مديراً لمدرسة الترجمة (الألسن فيما بعد)، قام بدور هام في نشأة

الصحيفة الرسمية (الوقائع المصرية)، تخرج على يديه كثير من المترجمين والاساتذة، وترجم بنفسه كتب عديدة في الجغرافية والقانون والهندسة وغيرها، وكتب وصف لرحلته الى فرنسا (تلخيص الأبريز في تخليص باريس) وشرحاً للنظم السياسية والاجتماعية الحديثة، ومناهج الالباب المصرية في مناهج الآداب المصرية، ولكن اسلوبه يحمل طابع القرون الوسطى الذي تجد فيه عند الجبرتي مثلاً له . محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، لبنان، ص ٨٧٣.

(٢٨) عباس الاول (١٨٤٨ - ١٨٥٤): هو عباس حلمي الأول بن احمد طوسون باشا ابن محمد علي باشا اصبح والياً من (١٠ نوفمبر ١٨٤٨ - ١٣ يوليو ١٨٥٤) ولد سنة ١٨١٣ في جدة ونشأ في مصر، خلف عمه ابراهيم باشا في تولي مصر ١٨٤٨. هوفيد محمد علي وابن اخ ابراهيم، في عهده اضمحل الجيش والبحرية في مصر واغلقت كثير من المدارس والمعاهد، عاش عيشة بذخ وانصرف عن التفرغ لشؤون الدولة، ظل في الحكم قرابة الخمس سنوات، اغتيل في قصيرة في بنها في يوليو ١٨٥٤. ناصر الأنصاري، موسوعة حكام مصر من الفراعنة الى اليوم، ص ١٢٢.

(٢٩) محمد سعيد باشا ابن محمد علي: والياً على مصر في ١٤ يوليو ١٨٥٤ - ١٨ يناير ١٩٦٣، هو عم سلفه عباس الأول ولكنه اصغر منه سناً توفي سعيد في يناير ١٩٦٣. ناصر الأنصاري، موسوعة حكام مصر، ص ١٢٣.

(٣٠) لويس عوض، تاريخ الفكر المصري الحديث، دار الهلال، ط ٣، ١٩٦٩، ص ٩٨.

(٣١) صالح مجدي، حلية الزمن بمناقب خادم الوطن سيرة رفاة رافع الطهطاوي، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، د. ت، ص ٦٢.

(٣٢) الرافعي ، عصر إسماعيل ، ج ٢ ، ص ٢٧٤-٢٧٥ .

- (٣٣) الرفاعي، عصر اسماعيل، ج٢، ص ٢٧٤ - ٢٧٥.
- (٣٤) دائرة المعارف، الشعب، دار الشعب، القاهرة، ١٩٤٦، ص ٦٨٢.
- (٣٥) المصدر نفسه، ص ٦٨٢.
- (٣٦) محمد عماره، رفاة الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث، مطبعة الباب، بيروت، ط١، ١٩٨٤، ص ٣٤٤ - ٣٤٥.
- (٣٧) الرفاعي، عصر اسماعيل، ج٢، ص ٢٧٥.
- (٣٨) عثمان امين، رائد الفكر المصري الامام محمد عبده، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٥، ص ٢٠٧.

قائمة المصادر

الكتب العربية

- ١- ابراهيم شحاته حسن، مصر والسودان ووجه الثورة في نصيحة ابن العوام، مدرسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية.
- ٢- احمد زكريا الشلق، معالم تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، الدوحة ١٩٩٦.
- ٣- احمد شفيق باشا، مذكراتي في نصف قرن، ج١، القاهرة، ١٩٣٤.
- ٤- اسماعيل محمود القباني، حضارة مصر الحديثة، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٣٣.
- ٥- الياس الايوبي، محمد علي سيرته واعماله، دار الهلال، مصر، ١٩٢٣.
- ٦- الياس الايوبي، تاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩).
- ٧- الارل اوف كرومر، مصر الحديثة، ترجمة: اسكندر شاهين، ج١، مطبعة جريدة الوطن، القاهرة.

- ٨- أمل صديق عفيفي، ايام في حياة محمد علي، بيروت، ط٢.
- ٩- امين سامي باشا، تقويم النيل، المجلد الأول، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٦.
- ١٠- صالح مجدي، حلية الزمن بمنامقب خادم الوطن، سيرة رفاعه رافع الطهطاوي، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، (د.ت).
- ١١- صلاح أحمد هريدي، تاريخ مصر الحديث، مكتبة بستان المعرفة، القاهرة، ٢٠٠٩.
- ١٢- ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥.
- ١٣- عبد الرحمن الراجعي، عصر اسماعيل، ج١، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مطبعة دار الفكرة، ١٩٤٨.
- ١٤- عبد الرحمن الراجعي، عصر اسماعيل، ج٢، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- ١٥- عبد الرحمن زكي، هذه هي القاهرة، القاهرة، ط٢، ١٩٤٣.
- ١٦- عثمان امين، رائد الفكر المصري الامام محمد عبده، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٥.
- ١٧- عزيز خانكي بك، نفحات تاريخية، المطبعة العصرية، د.ت.
- ١٨- علي ابراهيم عبده، مصر وافريقية في العصر الحديث، المكتبة التاريخية، القاهرة، دار القلم.
- ١٩- لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية، دار التقدم، موسكو.
- ٢٠- لويس عوض، تاريخ الفكر المصري الحديث، دار الهلال، ط٣، ١٩٦٩.
- ٢١- محمد عماره، رفاعه الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث، مطبعة الباب، بيروت، ط١، ١٩٨٤.

- ٢٢- مكي شبيكه، تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان) في القرن التاسع عشر الميلادي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥.
- ٢٣- محمد مصطفى الهبهاوي، مصر في ثلثي قرن بين الماضي والحاضر، نشره محمد علي منصور، القاهرة، ١٩١٩.
- ٢٤- منصور فهمي، محاضرات عن مي زيادة مع رائدات النهضة النسائية الحديثة، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العالمية، مصر، ١٩٥٤.

الموسوعات:

- ١- سليم رمال، موسوعة شهيرات النساء، دار اليوسف للطباعة، ط١، بيروت، ٢٠٠٥.
- ٢- محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، لبنان.
- ٣- ناصر الأنصاري، موسوعة حكام مصر، دار الشروق، ط٣، ١٩٨٩.
- ٤- دائرة معارف الشعب، دار الشعب، القاهرة، ١٩٤٦.

**مرويات وقعة بئر معونة
من خلال كتب السير والمغازي
(دراسة تحليلية)**

**م. م . حنان شهاب احمد
جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد
قسم التاريخ**

مرويات وقعة بئر معونة من خلال كتب السير والمغازي (دراسة تحليلية)

م. م . حنان شهاب احمد

الملخص :

مرت الدولة الاسلامية في بداية نشوئها بالعديد من الاحداث والمصاعب التي تركت اثاراً واضحة في نفوس المسلمين سواء كانت نفسية ام سياسية ام اقتصادية ، ومن هذه الاحداث حادثة (بئر معونة) ، وقعت هذه الحادثة في صفر سنة (٤ هـ / ٦٢٥ م) ، واطلق عليها المؤرخون اسم بئر معونة نسبة الى الموقع الذي حدثت به ، وكذلك سميت سرية القراء لان اغلب ضحاياها كانوا من القراء وحفظة القرآن ، وقد قتلوا غدرًا من قبل قبائل رِعل وذكران وعُصية ، وتكمن اهمية هذه الواقعة إن مبعوثي النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يكونوا مجرد رجال فكر وعلم فقط ، بل كانوا رجال حروب ، وأبطال معارك ، ولذا رفضوا الاستسلام للمعتدين ، وعدّوا ذلك عارا لا يليق بالمسلم الحرّ الأبّي ، فقاتلوهم حتى قتلوا ، وترتب على هذا الامر الجلل أزمة سياسية نتجت عنها أزمت أخرى اسهمت بتغير الوضع السياسي والاقتصادي وحتى الاجتماعي للمدينة المنورة.

المقدمة :

الحمد لله، الأول بلا ابتداء ، والآخر بلا انتهاء ، الخالد بلا انقضاء ، الخالق بلا اقتداء ، البارئ من غير اقتضاء ، والصلاة والسلام على أطيب البرية محتدًا ، وأظهرهم مولدًا، وأصلبهم معجمًا ، وأظهرهم معجزًا ، محمدٍ (صلى الله عليه وسلم) ذي الاخلاق العظيمة ، والطرائق القيّمة، وعلى آله الطيبين الاطهار وبعد : فإن الامة

الاسلامية شهدت العديد من الاحداث التي كان لها أثر كبير في تغير مسرى الاحداث على مر العصور، ومنها (مرويات وقعة بئر معونة من خلال كتب السير والمغازي دراسة تحليلية) ، تتبع أهمية هذه الدراسة من كونها تمس موضوع غاية في الأهمية أدى الى اتخاذ قرارات غيرت تركيب مجتمع المدينة ، وكشفت عن عمق ما كان يخوضه المسلمون في تلك الحقبة التي كانت أحداثها في السنة الرابعة للهجرة هذه الحادثة التي إن صح الامر يمكن أن نطلق عليها إنها أزمة من الازمات المركبة والمتعددة كان لها ابعاد واثار غيرت مسار احداث التاريخ ، عن وكشفت عمق الفجوة الموجودة في مجتمع المدينة آنذاك.

قسمت الدراسة الى ثلاث مباحث ، فمن الصعب تقسيمها الى فصول نظرا لترباط أجزاء الموضوع بعضها مع بعضها الآخر ؛ لذا ارتينا تقسيمها الى مباحث ، تضمن الفقرة الاولى تحديد الموقع الجغرافي للبئر فقد سعينا جاهدين الى جمع الآراء الجغرافية التي اوردتها الكتب

عن تحديد موقع البئر، ومحاولة الوصول الى رأي نهائي لتحديد الموقع على وجه التحديد، اما المبحث الثاني ، فتضمن جمع المرويات التاريخية حول حادثة بئر معونة ثم سعينا بعدها الى تحليلها وتدقيقها ومناقشتها، اما المبحث الثالث فقد تضمن موقف الرسول من هذه الحادثة وكيفية معالجته للموقف.

وفي الختام لا يسعنا إلا القول إننا لم ندخر جهدا في اعداد هذا البحث وقد بذلت ما بوسعي وكل ما استطعت من جهد لتدوين هذه المعلومات، ولكي تتال الفائدة الباحثين والدارسين من بعدي لأهمية هذه الموضوع في الدراسات التاريخية ، ولكي نميط اللثام عن المرويات التاريخية التي لها الاثر المهم في كتب التاريخ والمبثوثة هنا وهناك ، ولكون الدراسات عنها تكاد تكون قليلة او معدومة إن صح القول ، ادعو

من الله عز وجل ان اكون قد وفقت في كل ما كتبت من غير ادعاء بالكمال ، وما الكمال إلا لله وحده، ومن الله التوفيق.

المبحث الاول

الموقع الجغرافي لبئر المعونة :

قبل الخوض في مضمون الروايات التاريخية كان لابد لنا في البداية قبل أن نبين الموقع الجغرافي لبئر معونة ، واعطاء لمحة لغوية عن معنى معونة ، ومن ثم محاولة تحديده على وجه الدقة اعتمادا على ما وجدته من المعلومات أو اشارات يسيرة كانت مبعثرة بين طيات الكتب هنا وهناك.

اولا: المعنى اللغوي لمعونة :

معونة وجمعها العون: الظهيرة على الأمر، والجمع الأعوان، والمعونة : الإعانة يقال: ما عندك معونة، ولا معانة ، ولا عون : ما أخلاني فلان من معاونه ، وهو جمع معونة ، ورجل معوان: كثير المعونة للناس، واستعنت بفلان فأعانني وعاونني، وفي الدعاء: رب أعني ولا تعن علي ، وتعاون القوم ، إذا أعان بعضهم بعضا وتونوا مثله ، وقيل: المعونة مفعلة في قياس من جعله من العون^(١) .

ثانيا: موقع بئر معونة :

لم يحدد موقع البئر على وجه الدقة في المصادر الجغرافية وانما اكتفوا بذكر انه يقع بين مكانين وفي بعض الاحيان يعطي وصف قريبا للمكان ونسبه الى قبيلة معينة ، وسنحاول من خلال تناول الآراء الجغرافية التي أشارت الى موقع البئر، محاولة الوصول الى اقرب تحديد الموقع على وجه بالاعتماد على بعض الدراسات الحديثة ، آخذين بنظر الاعتبار اهمية الموقع الجغرافي، وأثره في المروية التاريخية، وهو ما يدركه كل باحث في التاريخ كما يأتي :

الرأي الاول : قيل هو ماء لبنى عامر بن صعصعة^(٢).

الرأي الثاني : قيل بئر معونة في أرض بني سليم وأرض بني كلاب بناحية معدن^(٣)، بدر الموعد، وبدر القتال واحد^(٤).

والرأي الثالث يرى أن: بئر معونة: بين جبال يقال لها أبلَى^(٥)، في طريق المصعد من المدينة إلى مكة، وهو لبني سليم^(٦).

و الفئة الرابعة ترى أنه : بين أرض عامر وحره^(٧) بني سليم^(٨).

وفئة أخرى ترى ان بئر معونة ، كانت بلحف أبلَى، وأبلَى: سلسلة جبلية سوداء تقع غرب المهد ، معدن بني سليم قديما إلى الشمال، وتتصل غربا بحرة الحجاز العظيمة ، وهي اليوم - زمن المؤلف - ديار مطير، ولم تعد سليم تقرر بها ، وكانت وقعة بئر معونة في صفر سنة (٤ للهجرة)، بعد أربعة أشهر من أحد^(٩).

يلاحظ أن آراء الجغرافيين متباينة في وصف الموقع فهي تعطي تحديد عام جنوب الأرحضية^(١٠) ، وعلى الطريق الشرقي وهي البئر لكن أين مكانها بالتحديد؟ وهل بقيت بنفس الاسم ؟ يبدو أن الرأي القائل انها تقع من أرض بني عامر وحره بني سليم ، كلا البلدين منها قريب، وهي إلى حره بني سليم أقرب على طرف حره بني سليم بينهم وبين بلاد بني عامر^(١١) ، يبدو أن هذا الرأي هو الاصح ، لكونها تصفه بالقرب من بني سليم وان ابن الطفيل لما ابت عليه انه تشاركه في قتل القراء استصرخ قبائل من بني سليم وهذه إشارة واضحة لقرب المكان من بني سليم ، أما اسمها الحالي وموقعها : بئر معونة وبحسب دراسة اكاديمية حديثة أنه يقع في ديار مطير معروفة تقع شمال غرب جبال أبلَى بالقرب من مزارع السهلة وقال أيضاً: هي معروفة واقعة جنوب بلدة الضميرية شمال غرب جبال أبلَى بالقرب من مزارع تسمى سهلة الطليان ، شمال غرب المزارع في نهاية الحره من جهة الشرق وشرق وادي الجعير، ووادي الجعير هو رافد وادي الخليج^(١٢).

تمكن احد الباحثين من تحديد بئر معونة التاريخية ، من خلال جمع كل الروايات والإشارات التي عثر عليها ، وقام بدراستها ثم تطبيقها على أرض الواقع من خلال الجولات الميدانية قائلا: نظرا لأن جبال أبلَى جروفها (أي منحدراتها الشديدة) في جهتها الغربية وليست الشرقية، تأكد لي بالمشاهدة أن «جرف أبلَى» تصحيف لـ «عرف أبلَى»، وعرف أبلَى جبال ما زالت معروفة وهي تشكل النهاية الشمالية لسلسلة جبال أبلَى، ويرى أن تتبع مسيرة عمرو بن أمية الضمري^(١٣) الذي نجا من الواقعة وقطع المسافة إلى المدينة على قدميه في أربع ليال يثبت أن معونة تبعد عن المدينة في حدود ١٣٠ - ١٥٠ كم، إذ إننا سنكون بعد قطع تلك المسافة من المدينة في بطن وادي نصير ريان الذي يدعى «شعيب فرحة» وهو الوادي الذي توجد فيه بئر قديمة جدا، وهي الآن عبارة عن حفرة بقطر ٤ أمتار تقريبا وعمق ١.٥ متر، ويؤكد أهل تلك الديار أن هذه البئر «قريشية» أي أنها من القرون الأولى وليست من عمل المتأخرين^(١٤).

المبحث الثاني

المرويات التاريخية لوقعة بئر معونة من خلال كتب السيرة والمغازي :

المرويات التاريخية لوقعة بئر معونة :

اختلفت الروايات في بيان حقيقة ما حدث في بئر معونة لذلك سوف نقوم ، أولاً بذكر الروايات حسب ما اوردتها مصادرها التاريخية ثم نقوم بتحقيقها او مناقشتها والتوصل الى رأي نهائي فيها :

المروية رقم (١)

(غزوة بئر معونة في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا، حدثني محمد ابن عبد الله، وعبد الرحمن بن عبد العزيز، ومعمربن راشد، وأفلح بن سعيد، وابن أبي سبرة، وأبو معشر، وعبد الله بن جعفر، وكل قد حدثني بطائفة من هذا الحديث، وبعض القوم

كان أوعى له من بعض وغير هؤلاء المسمين، وقد جمعت كل الذي حدثوني، قالوا: قدم عامر بن مالك بن جعفر أبو البراء ملاعب الأسنة ^(١٥) على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فأهدى لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) فرسين وراحتين ^(١٦)، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): لا أقبل هدية مشرك! فعرض (صلى الله عليه وسلم) الإسلام، فلم يسلم ولم يبعد، وقال... فلو أنك بعثت نفرا من أصحابك معي لرجوت أن يجيبوا دعوتك ويتبعوا أمرك... فقال: إني أخاف عليهم أهل نجد، فقال عامر: لا تخف عليهم، أنا لهم جار أن يعرض لهم أحد من أهل نجد وكان من الأنصار سبعون رجلا شبیه يسمون القراء... وقال أبو سعيد الخدري ^(١٧): كانوا سبعين، ويقال إنهم كانوا أربعين، ورأيت الثبت على أنهم أربعون، فكتب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) معهم كتابا، وأمر على أصحابه المنذر بن عمرو الساعدي ^(١٨)، فخرجوا حتى كانوا على بئر معونة... عسكروا بها وسرحوا ظهرهم، وبعثوا في سرحهم الحارث بن الصمة ^(١٩)، وعمرو بن أمية، وقدموا حرام بن ملحان ^(٢٠)، بكتاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى عامر ابن الطفيل ^(٢١) في رجال من بني عامر، ووثب عامر بن الطفيل على حرام فقتله... واستصرخ قبائل من سليم - عصابة ورعلا - فنفروا معه... كلاب يقال له جبار بن سلمى ^(٢٢)، ذكر أنه لما طعنه قال، سمعته يقول «فزت والله»! قال، فقلت في نفسي: ما قوله «فزت»؟ قال: فأتيت الضحاك بن سفيان الكلابي ^(٢٣) فأخبرته بما كان وسألته عن قوله «فزت»، فقال: الجنة، وأنزل عليين، فلما جاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خبر بئر معونة، جاء معها في ليلة واحدة مصابهم ومصاب مرثد ابن أبي مرثد ^(٢٤) ^(٢٥).

المروية رقم (٢)

(...بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أصحاب بنر معونة في صفر على رأس أربعة أشهر من أحد... أربعين رجلا من أصحابه، من خيار المسلمين منهم... عروة بن أسماء بن الصلت السلمي^(٢٦)، ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي^(٢٧)، وبعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى عدو الله عامر بن الطفيل ... ثم قاتلوه حتى قتلوا من عند آخرهم، إلا كعب بن زيد... وأخذوا عمرو ابن أمية أسيرا، فلما أخبرهم أنه من مضر، أطلقه عامر بن الطفيل...)^(٢٨).

المروية رقم (٣)

(... ملاعب الأسنة قدم على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بهدية وهو مشرك فعرض عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الإسلام وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إني لا أقبل هدية مشرك، فقال عامر بن مالك: يا رسول الله، ابعث من شئت من رسلك فأنا لهم

جار، فبعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رهطا فيهم المنذر بن عمرو الساعدي وهو الذي يقال له أعنق^(٢٩) ليموت قبل نجد فسمع بهم عامر بن الطفيل فاستنفر لهم بني سليم فنفروا معه فقتلوهم ببئر معونة غير عمرو بن أمية الضمري أخذه عامر بن الطفيل فأرسله فلما قدم على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أخبره...)^(٣٠).

المروية رقم (٤)

(... بعث أصحاب بنر معونة في صفر، في آخر تمام السنة الثالثة من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد... فبعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم)... أربعين رجلا من المسلمين، وقد قيل في سبعين... أحاطوا بهم، فقاتلوهم ... وكان عمرو بن أمية في سرح المسلمين ... فنظر إلى الطير تحوم على العسكر ... فرجع حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة ، أقبل رجلان من بني كلاب، وقيل من بني سليم، حتى

نزل مع عمرو بن أمية في ظل كان فيه، وكان معهما عهد من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يعلم به عمرو، فسألها: من أنتما؟ فانتسبا له، فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما... وهذا سبب غزوة بني النضير^(٣١).

المروية رقم (٥)

(... بعث أصحاب بئر معونة في صفر على رأس أربعة أشهر من أحد... قدم ملاعب الأسنة على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالمدينة، فعرض عليه الإسلام ، ودعاه اليه ، فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام... فبعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أربعين رجلا من أصحابه من خيار المسلمين ... فساروا حتى نزلوا بئر معونة ، وهي من أرض بني عامر وحرّة بني سليم، كلى البلدين منها قريب، وهي إلى حرّة بني سليم أقرب ... قتلوا عن آخرهم، إلا كعب بن زيد أخا بني دينار بن النجار، فإنهم تركوه وبه رمق فارتث من بين القتلى، فعاش حتى قتل يوم الخندق... ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): هذا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارها متخوفا ، فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه إخبار عامر إياه، وما أصاب من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بسببه وجواره)^(٣٢)

المروية رقم (٧)

(في أول هذه السنة كانت غزوة بئر معونة... فبعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أربعين راكبا، وقد قيل في سبعين رجلا من الأنصار، حتى نزلوا ببئر معونة- وهي بئر أرض بني عامر وحرّة بني سليم... ورجع عمرو بن أمية حتى قدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسلم فأخبره الخبر، فدعا النبي (صلى الله عليه وسلم) على رعل وذكوان وعصية ثلاثين صباحا، فأنزل الله فيهم بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه)^(٣٣)

المروية رقم (٨)

(قدم على النبي (صلى الله عليه وسلم) بهدية، فلم يقبلها النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وعرض عليه الإسلام فلم يسلم ولم يبعد، وقال للنبي (صلى الله عليه وسلم): لو بعثت معي نفرا من أصحابك إلى قومي لرجوت أن يحييوا دعوتك ويتبعوا أمرك فقال ... فبعث معه البعث، فلما نزلوا بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى عامر بن الطفيل، فوثب عليه فقتله، واستصرخ عليهم القبائل من رعل وذكوان وعصية، فنفروا معه حتى أتوا أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأحاطوا بهم وقتلوه... (٣٤).

المروية رقم (٩)

(أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال في المنذر بن عمرو حين ذكروا له أنه أتى مقتل حرام بن ملحان فبرئ من جوارهم فقاتلهم حتى قتل فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «أعنع ليموت، وقال: عروة بن الزبير: لم يوجد جسد عامر بن فهيرة فيرون أن الملائكة هي التي وارتته معنى قوله: واعنع ليموت تقدم على الموت وهو يعرض عنه (٣٥).

المروية رقم (١٠)

(... بعث أصحاب بئر معونة في صفر، في آخر تمام السنة الثالثة من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد... في أربعين رجلا من المسلمين، وقد قيل في سبعين من خيار المسلمين، منهم: الحارث بن الصمة، وحرام بن ملحان - أخو أم سليم، وهو خال أنس بن مالك - ... فرجع عمرو بن أمية... أقبل رجلان من بنى كلاب، وقيل من بنى سليم، حتى نزل مع عمرو بن أمية في ظل كان فيه، وكان معهما عهد من رسول الله

(صلى الله عليه وسلم) لم يعلم به عمرو، فسألهما: من أنتما؟ فانتسبا له، فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما، وهو يرى أنه أصاب ثأراً من قتله أصحابه، فلما قدم على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسلم أخبره بذلك، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لقد قتلت قتيلين لأدينيهما. وهذا سبب غزوة بني النضير^(٣٦) .

المروية رقم (١١)

(...) كان شباب من الأنصار يسمعون القرآن ناحية من المدينة يحسب أهلهم أنهم في المسجد ويحسب أهل المسجد أنهم في أهلهم، فيصلون من الليل حتى إذا قارب الصبح احتطبوا الحطب واستعذبوا الماء فوضعوه على أبواب حجر النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: فبعثهم جميعاً إلى بئر معونة، فاستشهدوا فدعا النبي (صلى الله عليه وسلم) على قتلهم أياماً^(٣٧)

المروية رقم (١٢)

(...)بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المنذر بن عمرو، أخا بني ساعدة المعنق ليموت في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين ... فساروا حتى نزلوا ببئر معونة... قتلوا من عند آخرهم... وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري، ورجل من الأنصار، أحد بني عمرو بن عوف، قال ابن هشام: هو المنذر ابن محمد ابن عقبة بن أحيحة بن الجلاح^(٣٨)

بعد عرض الروايات أعلاه والتي تناولت وقعة بئر معونة وبعد قراءة تحليلية متمعة للنصوص ذكر أن هناك اختلافاً بين المؤرخين من أصحاب السير في تفاصيل الوقعة سنحاول التطرق إليها وتحليلها ومناقشتها النحو الاتي:

١. اورد أهل السير والمغازي تاريخ هذه الحادثة، ويشير فالواقدي^(٣٩) انها كانت: (صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا...) ، بينما يشير ابن هشام^(٤٠) بالقول: (بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أصحاب بئر معونة في صفر، على رأس أربعة أشهر من أحد...) ، اما ابن حزم^(٤١) فيقول: (... في صفر، في آخر تمام السنة الثالثة من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد)، ويشير ابن حبان^(٤٢) انها كانت في السنة الرابعة ، يلاحظ ان هناك تناقض بين النصوص في تحديد التاريخ الدقيق إلا أنهم اتفقوا في تحديد الشهر وهو (صفر أو لعشرين بقين منه).

والراي هنا بعد قراءة النصوص وتحليلها ان تاريخ بعث السرية كان في السنة الرابعة للهجرة في شهر صفر، إذ أن المعروف ان صفر هو بداية سنة هجرية، وان اغلب الروايات ذكرت ان احداثها كانت بعد غزوة احد التي وقعت في شوال السنة الثالثة للهجرة فاذا صح استنتاجنا فإن حادثة بئر معونة تكون في بداية السنة الرابعة للهجرة.

٢. اختلفت النصوص حول سبب إرسال السرية إذ نجد الروايات المذكورة في صدر البحث تقول "إن أبا براء قدم على النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فدعاه (صلى الله عليه وسلم) إلى الإسلام، فلم يسلم، ولم يبعد، ولكنه طلب من النبي (صلى الله عليه وسلم) ، أن يرسل دعائه إلى نجد، وتعهده بأن يكون جاراً لهم، إن تعرض لهم أحد، ونصوص اخرى تشير الى انه قدم عليه (صلى الله عليه وسلم) بهدية لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) فرسين وراحتين^(٤٣) وهو مشرك فعرض عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الإسلام وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إني لا أقبل هدية مشرك، فقال عامر بن مالك: يا

رسول الله، ابعت من شئت من رسلك فأنا لهم جار ... ورواية أخرى^(٤٤) ...) أن ناسا جاءوا إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقالوا: ابعت معنا رجالا يعلموننا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلا من الأنصار يقال لهم القراء...).

وعليه ينحصر الخلاف الثاني في ان ابا البراء قدم الى النبي وطلب منه ارسال وفد يعلمون الناس القرآن ، بين ان أبا براء لم يطلب ذلك من النبي (صلى الله عليه وسلم) حين قدم عليه وان أناسا آخرين لم تذكر المصادر أسماءهم هم اصحاب الطلب ، والثاني وقد يكون السبب الاقوى انه اراد النبي (صلى الله عليه وسلم) بعد تعهد أبو البراء بأن يحمي من يرسله ان يكون هؤلاء عينا للرسول (صلى الله عليه وسلم) وفي الوقت نفسه محاولة ايجاد موطئ قدم جديد للإسلام ونشر الدين بين بني عامر وسليم معتمدا في ذلك الاطمئنان على جوار ابي البراء.

٣. الاختلاف الثالث يدور حول من قاد السرية أن أمير السرية هو المنذر بن عمرو، ولكن نصاً آخر يقول: (ويقال: أميرهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي...) ^(٤٥).

الاختلاف الرابع يدور حول اعداد السرية الذي ينحصر بين رقمين هم سبعون و أربعون الا انها تتفق انهم من الانصار يقال لهم القراء وهناك من قال انهم (أربعين ١. راكبا) ^(٤٦)، إن من قال إن أعدادهم سبعين اعتمد على رواية البخاري كون خاله حرام بن ملحان (ت ٦٢٥هـ / ٦٢٥م) كان احد افرادها وشهد احداثها الا ان الواقدي ^(٤٧) يرجح رأي الاربعين راكبا.

٢. اختلفت الروايات أعلاه على ان الذي نجا من القتل هو كعب بن زيد : (وارتث من القتلى كعب بن زيد بن قيس- قتل يوم الخندق...) (٤٨) ، وبعضها يذكر انه : (عمرو بن أمية الضمري...) (٤٩) ، وبعضها (٥٠) يذكر : (فقتلوا كلهم إلا الأعرج كان في رأس الجبل...) ، وبعضهم يذكر أن من نجا هم اثنان : (وكان ثلاثة نفر من سرية المنذر بن عمرو تخلفوا على ضالة يبتغونها ... قال أحدهم: أما أنا فلا أرغب بنفسي عنهم، فانطلق نحوهم فقتل...)، فإذا اعداد الناجين محط خلاف الان الارجح أن من نجا هم اثنان كعب بن زيد الذي جرح و ظن القوم انه مات ، والثاني عمرو ابن امية الضمري الذي كان صاحب نقل الخبر للرسول (صلى الله عليه وسلم).

٣. لم يكن في السرية إلا أنصاري: وفي حين نجد الروايات (٥١) تصرح بوجود السبعين من الانصار والبعض الاخر (٥٢) يقول أربعة من المهاجرين في السرية منهم عامر بن فهيرة، والحكم بن كيسان المخزومي، ونافع بن بديل بن ورقاء السهمي، بل حتى سعد بن أبي وقاص، وان الواقدي نفسه قد صرح بأسماء المهاجرين، لعل منشأ تخصيص الأنصار بذلك هو رواية أنس التي تقول: ذكر أنس سبعين من الأنصار، كانوا إذا جئهم الليل أووا إلى معلم بالمدينة ثم تذكر الرواية إرسالهم إلى بئر معونة ، لكن الاصح انهم كانوا من المهاجرين والانصار.

٤. تتفق الروايات على أن أول من قتل من السرية هو حرام بن ملحان ، وان الذي غدر به عامر بن الطفيل ، ويبدو ان الاسباب التي دفعت عامر ابن الطفيل لذلك هو الحقد والعداوة اذ اراد ان يكون خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال له : (أخيرك بين ثلاث خصال: أن يكون لك أهل السهل

- ولي أهل المدر أو أكون خليفتك من بعدك، أو أغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء، قال: فطعن في بيت امرأة من بني فلان^(٥٣).
٥. عرفت هذه السرية بأسماء عدة: بسرية المنذر ابن عمرو الساعدي، وببنر معونة، وبسرية القراء.
٦. الروايات تصرح أن عمرو بن أمية وحده قد قتل العامريين وقيل انهم رجلان من بني كلاب، وقيل من بني سليم و قيل اللذين كان معهما عهد من الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وهو راجع إلى النبي صلى الله عليه وآله ، ولكننا نجد نصاً آخر يقول: إن رجلين قد نجيا من بنر معونة فقتلا الرجلين، وأخذوا ما معهما، فأتيا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فأخبراه... وفي نص ثالث: فقتل المنذر ابن عمرو وأصحابه إلا عمرو بن أمية الضمري فإنهم أسروه، فاستحيوه حتى قدموا به مكة، فهو دفن خبيب بن عدي، فكيف يكون قد قتل العامريين وهو عائد من بنر معونة .
٧. عدّ بعض المؤرخين أن احداث السرية وقتل الرجلين السبب لغزوة بني النضير^(٥٤) .
٨. إن مبعوثي النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يكونوا مجرد رجال فكر وعلم فقط ، بل كانوا رجال حروب ، وأبطال معارك ، ولذا رفضوا الاستسلام للمعتدين ، عدّوا ذلك عارا لا يليق بالمسلم الحرّ الأبّي ، فقاتلوهم حتى قتلوهم.

المبحث الثالث

موقف الرسول من احداث بئر معونة :

اوردت كتب السير موقف الرسول بعد سماعه خبر قتل أفراد السرية التي بعثها ، فكان حزنه شديدا عليه لدرجة الدعاء عليهم ، ولكونها خلقت أزمات مركبة ومعقدة و متعددة... كانت سببا في موقف الرسول والتي أوردتها المصادر التاريخية واختلفت الروايات فيها ايضا كالآتي:

(ودعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على قتلهم بعد الركعة من الصبح ، ... اللهم ، عليك ببني لحيان وزعب ورعل وذكوان وعصية، فإنهم عصوا الله ورسوله ، اللهم عليك ببني لحيان وعضل والقارة، اللهم... قال ذلك خمس عشرة ، ويقال أربعين يوما، حتى نزلت هذه الآية: ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم...)^(٥٥).

يذكر حبان^(٥٦): (دعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا، يدعو على رعل وذكوان وعصية...).

(...فدعا النبي صلى الله عليه وسلم على قتلهم أياما)^(٥٧) .

بعد عرض الروايات التي تناولت موقف الرسول (صلى الله عليه وسلم) يمكننا ان نستنتج ان الاسباب التي دفعت الرسول الى ذلك كثيرة وهي اذ كان لهذه الكارثة التي أصابت المسلمين ، وراح ضحيتها سبعون من كرام الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - ، ووصل الأسى والحزن برسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن مكث شهرا كاملاً يدعو على هؤلاء الغادرين، وهذا ليس أمرا معتادا في حياته ، بل لعلها المرة الوحيدة التي وصل فيها حزنه إلى هذه الدرجة ، ولعل مرد واسباب ذلك عدة امور :

١. ولم يبق من هذه الكارثة إلا صاحبي واحد هو عمرو بن أمية الضمري ، الذي أعتقه عامر بن الطفيل لرقة كانت على أمه، وعاد عمرو بن أمية إلى المدينة المنورة، وفي طريق عودته التقى برجلين من المشركين من بني عامر، وهي

فرع من فروع بني سليم التي قامت بقتل الصحابة السبعين الذي ترتب عليه دفع ديتهما.

٢. ليست الأزمة السياسية فقط هي الأزمة الوحيدة التي حدثت نتيجة قتل الصحابة السبعين، بل كانت هناك أزمات أخرى تمر بها المدينة المنورة، وقد تكون هذه الأزمات عاملاً مؤثراً دعاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وأهم هذه الأزمات هي الأزمات الاقتصادية، فقد كانت المدينة المنورة تمر بحالة شديدة من القحط والعوز ، ولاسيما أن هذه الأحداث تقع بعد غزوة أحد بشهور، ومن ثمّ فهناك صعوبة كبيرة في تجميع القيمة المطلوبة لدفع الدية...

سوف يحتاج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يتعاون مع اليهود بموجب الاتفاقية التي بينهما لجمع الدية اللازمة، وقد يدخل في أزمة مع اليهود، بسبب هذا المال المطلوب.

٣. إنها أزمات مركّبة و متعددة.. كانت سببا في موقف الرسول بالدعاء على من قتل افراد السرية .

نرى من ذلك ليس العامل النفسي هو الذي يؤثر على الموقف فقط ، ولكن العامل الاقتصادي والسياسي أيضاً، ومع ذلك فإن الرسول (صلى الله عليه وسلم) حرص على أداء الدية، وبالفعل توجه إلى بني النضير ليسألهم الإسهام في الدية ، وقضى الاتفاق الذي بين المسلمين واليهود، وكانت هذه الزيارة من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى بني النضير سبباً في غزوة بني النضير كما هو معلوم في السيرة.

لكن في الوقت نفسه أن هذه الوقعة اوجبت على المسلمين أن يتبصّروا قبل بعث أي وفد لنشر الإسلام بين القبائل البعيدة والمجاهل المريية، إلا أن ضرورة بثّ الدعوة مهما فدحت الخسائر - جعلت النبي (صلى الله عليه وسلم) ينظر إلى هذه التضحيات على أنها أمر لا بدّ منه ، كالتاجر الذي يتحمّل المغارم الثقيلة حيناً من الدهر، لأنّ

الانسحاب من السوق - بغية تجنبها - قضاء عليه، فهو يبقى متجماً حتى تهبّ الريح من جديد رخاء تعوّض ما فقد، وذلك سرّ استجابة الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأبي براء عامر بن مالك الملقّب بملاعب الأُسنة حين عرض على الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يرسل وفداً من الدعاة ينشرون الإسلام بين قبائل نجد^(٥٨).

الخاتمة :

في ختام هذا البحث ، عكفت الباحثة على جمع ما استطاعت من المرويات عن بئر معونة وقامت بعرضها وقد توصلت الاستنتاج الاتي :

١. تقع من أرض بني عامر وحرّة بني سليم، كلا البلدين منها قريب، وحالياً في وادي الجعير هو رافد وادي الخليج.
٢. كشفت هذه الحادثة السمو الأخلاقي من رسول الله وتعامله مع المواقف الحاسمة.
٣. لقد كانت مأساة بئر معونة قاسية على المسلمين، فمن استشهد كانوا من القراء ومن الدعاة ومن العلماء.
٤. وظل الرسول (صلى الله عليه وسلم) يقنت شهراً كاملاً يدعو على عامر ورعل وذكوان في كل صلواته حتى الصلوات السرية.
٥. مصيبة بئر معونة حدثت مع مأساة الرجيع في شهر واحد، وهو شهر صفر عام ٤هـ فقد استشهد سبعون من خيار الصحابة في بئر معونة، وعشرة في بعث الرجيع، وكان قبلهم سبعون في أحد، ففي عام واحد يفقد المسلمون مائة وخمسين شهيداً ، من خيرة القراء الحفاظ ، فهذا عدد كبير ونحن نتحدث عن الأمة في بداية نشأتها.

الهوامش :

- (^١) الجوهرى، ابو نصر اسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣هـ/١٠٠٢م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تح: احمد عبد الغفور ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م، ج٦، ص٣٦٠؛ ابن منظور، محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ/١١٣٧م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ج١٣، ص١٦٨؛ الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، دمشق، بلا. ت، ج٣٥، ص٤٣١.
- (^٢) الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي السلمي (ت: ٢٠٧هـ/٨٢٢م)، المغازي، تح: مارسدن جونز، دار الأعلمي، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ج١، ص٣٤٧؛ البكري الاندلسي، ابو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت: ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، عالم الكتاب، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ج٤، ص١٢٤٥؛ ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت: ٧٣٩هـ/١٣٣٨م)، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تح: علي محمد الجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج٣، ص١٢٩٣؛ الحميري، ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت: ٩٠٠هـ/١٤٩٤م)، الروض المعطار في خبر الاقطار، تح: احسان عباس، مؤسسة ناصر، بيروت، ١٩٨٠م، ص٥٥٥.
- (^٣) معدن بالكسر منبت الجواهر من الذهب والفضة والحديد ونحو ذلك من فلز الأرض ومعدن كل شيء - أصله ومبدؤه وإنما سمي معدنا لأن أهله يقيمون فيه صيفا وشتاء يقال عدنت بالمكان أقمت ، وهو موضع قريب من بني سليم . أبو بكر الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار (ت: ٣٢٨هـ)، الزاهر في معاني كلمات الناس، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٩٩٠م، ج١، ص٤٩٨؛ الزهري، ابو منصور محمد بن احمد (ت: ٣٧٠هـ/٩٨٠م) ، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار احياء التراث، بيروت، ٢٠٠١م، ج١، ص١٩٢؛ ابن سيده، ابو الحسن علي بن اسماعيل (ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٦م)، المخصص، تح: خليل ابراهيم جفال، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م، ج٣، ص٣٨٩.
- (^٤) الزمخشري، ابو القاسم محمود بن عمرو بن احمد (ت: ٥٣٨هـ/١١٤٣م)، الجبال والامكنة والمياه، تح: احمد عبد التواب عوض المدرس دار الفضيلة، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٦٣.

(٥) أبلى : بضم الهمزة، على وزن فعلى، وهى جبال على طريق الآخذ من مكة إلى المدينة، على بطن نخل. وأبلى: حذاء واد يقال له عريضان، قد حددته في رسم «ظلم» وأبلى مياه كثيرة، منها بئر معونة، وذو ساعدة، وذو جماجم، أو ذو حماحم، هكذا قال السكوني. وحذاء أبلى من غربيها قنة. البكري الاندلسي، معجم ما استعجم ،ج١، ص٩٨؛ الزمخشري، الجبال والامكنة، ص٣٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٥٢.

(٦) الهمداني، ابو بكر محمد بن ابي عثمان (ت: ٨٥٤هـ/١١٨٨م)، الاماكن او ما اتفق لفظه واختلف مسماه من الامكنة، تح: حمد ابن محمد الجاسر، دار اليمامة، السعودية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص٨٤٩.

(٧) الحرة: أرض ذات حجارة سود نخرة كأنما أحرقت بالنار، وجمعه حرار وإحارين وحرار.. وللعرب حرار معروفة: حرة بني سليم وحرة ليلى وحرة راجل وحرة واقم بالمدينة وحرة النار لبني عبس الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، العين، تح: مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٨، ج٣، ص٢٤؛ ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت: ٣٢١هـ)، تهذيب اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٨٧، ج١، ص٩٦؛ القزويني، أحمد بن فارس بن زكرياء (ت: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩، ج٢، ص٨.

(٨) ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله الرومي (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ج٥، ص١٥٩.

(٩) البلاذري ، عاتق بن غيث بن زوير ، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة، ص٥٣.

(١٠) الأرحضية : بالضاد المعجمة، وياء مشددة: موضع قرب أبلى وبئر معونة، بين مكة والمدينة. الزمخشري، الجبال والامكنة، ص٢٨٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٤٤.

(١١) الشريف، احمد ابراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الفكر العربي، ص٣٩٩.

(١٢) البلاذري ، معجم المعالم الجغرافية، ص٣٥.

(^{١٣}) عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله الضمري: شجاع، من الصحابة. اشتهر في الجاهلية، وشهد مع المشركين بدرًا وأحداً، ثم أسلم، وحضر بئر معونة، فأسرته بنو عامر، وأطلقه عامر ابن الطفيل. وعاش أيام الخلفاء الراشدين، وشهد وقائع كثيرة علت بها شهرته في البسالة. ومات بالمدينة في خلافة معاوية. ينظر: ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن منيع (ت: ٢٣٠هـ/٨٥٩م)، الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م، ج٤، ص٢٩٣؛ ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن شهاب (ت: ٨٠٢هـ/١٤٤٨م)، الإصابة في تمييز الصحابة، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٨هـ/١٩١٠م، ج٤، ص٤٩٦؛ الزركلي، خير الدين، الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م، ج٥، ص١٧٣.

(^{١٤}) الشنقيطي، عبد الله مصطفى، بئر معونة دراسة ميدانية، بحث منشور، مجلة العرب، السعودية، ٢٠٠٩، ص٢٥.

(^{١٥}) عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري، أبو براء: فارس قيس، وأحد أبطال العرب في الجاهلية، وهو خال عامر ابن الطفيل. سمي (ملاعب الأسنة) بقول أوس بن حجر: (ولعب أطراف الأسنة ... عامر فراح، له حظ الكتيبة أجمع) أدرك الإسلام وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببتوك، ولم يثبت إسلامه. ينظر: خليفة بن خياط، أبو عمرو الشيباني العصفري (ت: ٢٤٠هـ/٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، تح: أكرم ضياء العمري، دار القلم، دمشق، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص٧٦؛ ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ/٨٨٩م)، المعارف، تح: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص٣٧٥؛ الزركلي، الاعلام، ج٣، ص٢٥٥.

(^{١٦}) الراحلة: الناقة التي تصلح لأن ترحل. وكذلك الرحول. ويقال: الراحلة: المركب من الإبل، ذكرنا كان أو أنثى. والأرحل من الخيل: الأبيض الظهر، ومن الغنم: الأسود الظهر. ابن دريد، جمهرة اللغة، ج١، ص٥٢١؛ الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٦م، ج٤، ص١٧٠٧.

(^{١٧}) أبو سعيد الخدري: لإمام المجاهد، مفتي المدينة سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبرج بن عوف بن الحارث بن الخزرج. واسم الأبرج: خدرة، وقيل: بل خدرة هي أم الأبرج،

وأخو أبي سعيد لأمه هو قتادة بن النعمان الظفري أحد البدرين، استشهد أبوه مالك يوم أحد، وشهد أبو سعيد الخندق، وبيعة الرضوان، مات سنة أربع وسبعين. ينظر: ابن قتيبة الدينوري، المعارف، ص ٣١٦؛ الطبري، تاريخ، ج ١١، ص ٥٢٥؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٧، ص ٣٢٢.

(١٨) المنذر بن عمرو بن خنيس الأنصاري الخزرجي الساعدي: أحد نقباء النبي صلى الله عليه وسلم الاثني عشر. شهد العقبة وبدرا، كان امير السرية يوم (بنر معونة) ينظر: الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، سير اعلام النبلاء، تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ الاناؤوط، ط ٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٥م، ج ٢، ص ٥١؛ الزركلي، خير الدين، الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م، ج ٧، ص ٢٤٩.

(١٩) الحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك بن عمرو بن مبدول، شهد الحارث أحدا وثبت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يومئذ حين انكشف الناس ويابعه على الموت. وقتل عثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي وأخذ سلبه درعا ومغفرا وسيفا جيدا ولم نسمع بأحد سلب يومئذ غيره، ثم شهد بنر معونة فقتل يومئذ شهيدا. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٣٠، ابن عبد البر، عمرو بن يوسف (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧١م)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م، ج ٢، ص ٢٩٢؛ ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، اسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م، ج ١، ص ٣٩٣.

(٢٠) حرام بن ملحان النجاري الأنصاري خال أنس بن مالك، واسم ملحان مالك بن خالد، وقد شهد حرام بدرا وأحدا. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٣٩٠؛ الدينوري، ابو حنيفة احمد بن داود (ت: ٢٧٦هـ/٨٩٥م)، المعارف، ثروت عكاشة، ١٩٩٠، ص ٢٧١؛ الذهبي، سير اعلام، ج ١، ص ٣٥٠.

(٢١) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري، من بني عامر بن صعصعة: فارس قومه، وأحد فتاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية. كنيته أبو علي. ولد ونشأ بنجد. وكان يأمر مناديا في (عكاظ) ينادي: هل من راجل فنحمله؟ أو جائع فنطعمه؟ أو خائف فنؤمنه؟ وخاض المعارك

الكثيرة، وأدرك الاسلام شيخا، فوفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المدينة، بعد فتح مكة، يريد الغدر به، فلم يجرؤ عليه. فدعاه إلى الإسلام، فاشتراط أن يجعل له نصف ثمار المدينة، وأن يجعله ولي الأمر من بعده، فردّه، فعاد حنقا، وسمعه أحدهم يقول: لأمل أنها خيلا جردا ورجالا مردا ولأرطن بكل نخلة فرسا! فمات في طريقه قبل أن يبلغ قومه. وكان أعور أصيب عينه في إحدى وقائعه، عقيما لا يولد له. ينظر: خليفة بن خياط، ابو عمرو الشيباني العصفري (ت: ٢٤٠هـ/٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، تح: أكرم ضياء العمري، دار القلم، دمشق، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص٧٦؛ ابو جعفر البغدادي، محمد بن حبيب بن امية (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م)، المحبر، تح: ايلزة ليختن شتير، دار الافاق الجديدة، بيروت، بلا. ت، ص٤٧٢؛ الزركلي، الاعلام، ج٣، ص٢٥٢.

(٢٢) جبار بن سلمى بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم، ثم رجع إلى بلاد قومه بضرية ، قاله محمد بن سعد، وكان ممن حضر مع عامر ابن الطفيل بالمدينة لما أراد أن يغتال النبي صلى الله عليه وسلم ثم أسلم بعد ذلك، وهو الذي قتل عامر ابن فهيرة يوم بئر معونة، وكان يقول: مما دعاني إلى الإسلام أني طعنت رجلا منهم فسمعتة يقول: فزت والله، قال: فقلت في نفسي: ما فاز؟ أليس قد قتلتة ؟ حتى سألت بعد ذلك عن قوله، فقالوا: الشهادة، فقلت: فاز لعمر الله . ينظر: ابن الأثير ،اسد الغابة ، ج١، ص٥٠٤؛ الذهبي، سير اعلام ،ج٦، ص٤٥٤.

(٢٣) الضحاك بن سفيان بن عوف بن كعب الكلابي، أبو سعيد: شجاع، صحابي، كان نازلا بنجد، وولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، على من أسلم هناك من قومه، ثم اتخذه سيافا، فكان يقوم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم متوشحا بسيفه، وكانوا يعدونه بمئة فارس، وله شعر قيل: استشهد في قتال أهل الردة من بني سليم. ينظر: خليفة بن خياط، تاريخ، ص٩٩؛ ابن قتيبة الدينوري، المعارف، ص٤١٢؛ الزركلي، الاعلام، ج٣، ص٣١٤.

(٢٤) مرثد بن كنان بن الحسين بن يربوع الغنوي : صح أبي ابن صحابي، من أمراء السرايا، آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أوس بن الصامت. وشهد يوم بدر وأحدا، وكان يحمل الأسرى، ووجهه النبي صلى الله عليه وسلم أميرا على سرية إلى مكة، فاستشهد يوم الرجيع. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص٤٢؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٣، ص١٣٨٣.

- (^{٢٥}) ينظر: الواقدي، المغازي، ج١، ص٣٤٦ - ص٣٤٨.
- (^{٢٦}) عروة بن أسماء بن الصلت السلمي. حليف لبني عمرو بن عوف، حرض المشركون يوم بئر معونة بعروة بن أسماء أن يؤمنوه، فأبى، وكان ذا خلة لعامر بن الطفيل، مع أن قومه من بني سليم حرضوا على ذلك منه فأبى، وقال: لا أقبل منهم أماناً، ولا أرغب بنفس عن مصارع أصحابي، ثم تقدم فقاتل حتى قتل. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٤، ص٣٧٧؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٤، ص٢٥.
- (^{٢٧}) نافع بن بديل بن ورقاء، ومن بني جمح بن عمرو بن هيص بن كعب، كان هو وأبوه وإخوته من فضلاء الصحابة وجلتهم، استشهد يوم بئر معونة. ينظر: ابن سعد الطبقات، ج٤، ص١٥٠؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٤، ص٢٨٤؛ ابن الاثير، اسد الغابة، ج٥، ص٥٢٤.
- (^{٢٨}) ينظر: ابن هشام، عبد الملك بن ايوب الحميري (ت: ٢١٨هـ/٨٣٨م)، السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفظ شلبي، مطبعة المصطفى، مصر، ١٩٥٥م، ج٢، ص١٨٣.
- (^{٢٩}) اعنق والعنق يذكر ويؤنث، و الجمع الأعناق وقولهم: هم عنق إليك، أي ماثلون إليك ومنظروك، والأعنق: الطويل العنق، والأنثى عنقاء بينة العنق، الجمع أعنق وعنوق، والعناق: الداهية. ينظر: الجوهري، الصحاح، ص٣٥٨؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٦٢٥.
- (^{٣٠}) ينظر: الاصبهاني، ابو نعيم احمد بن عبد الله (ت: ٣٦٩هـ/٩٦٩م)، دلائل النبوة، دار النفائس، بيروت، ١٩٧٧، ص٥١٢-٥١٥.
- (^{٣١}) ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الظاهري أبو محمد (ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٤م)، جوامع السيرة النبوية، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٩٠، ص١٤٢-١٤٣.
- (^{٣٢}) ينظر: البيهقي، احمد بن علي بن الحسين بن موسى (ت: ٤٥٨هـ/١٠٢٢م)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٥ هـ، ج٣، ص٣٣٨-٣٤٤.
- (^{٣٣}) ابن حبان، محمد بن احمد بن معاذ (ت: ٣٥٤هـ/٩٦٤م)، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٨١م، ج١، ص٢٣١.

- (^{٣٤}) ينظر: ابو سعد، عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي (ت: ٤٠٧هـ)، شرف المصطفى، دار البشائر الإسلامية ، مكة، ١٩٩٧، ج٣، ص٣٨.
- (^{٣٥}) (الاصبهاني، ابو نعيم احمد بن عبد الله (ت: ٤٣٠هـ/٩٦٩م)، دلائل النبوة، تح: محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس ، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٦، ج١، ص٥١٤.
- (^{٣٦}) ينظر: ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الظاهري أبو محمد (ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٤م)، جوامع السيرة النبوية، دار الكتب العلمية ، بيروت، ص١٤٢.
- (^{٣٧}) ينظر: ابن عبد البر، عمرو بن يوسف (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧١م)، الدرر في اختصار المغازي والسير، تح: الدكتور شوقي ضيف النميري، ١٤٣١، ص١٤١.
- (^{٣٨}) ينظر: السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت: ٥٨١هـ)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تح: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٦، ص١٤٧.
- (^{٣٩}) ينظر: الواقدي، المغازي ، ج١، ص٣٦٤.
- (^{٤٠}) ينظر: بن هشام، السيرة، ج٢، ص١٨٣؛ وينظر: الاصبهاني، دلائل النبوة ، ص٥١٢.
- (^{٤١}) ينظر : جوامع السيرة ، ص١٤٢؛ وينظر: السهيلي، الروض الأنف، ج٦، ص١٤٧.
- (^{٤٢}) ينظر: السيرة، ج١، ص٢٣١.
- (^{٤٣}) ينظر: ابن حبان، السيرة النبوية ج١، ص٢٣١.
- (^{٤٤}) ينظر: البيهقي، دلائل النبوة ، ج٣، ص١، ص٣٤٤.
- (^{٤٥}) ينظر: ابن حبان، ، السيرة النبوية ، ج١، ص٢٣١.
- (^{٤٦}) ينظر: ابن حبان، السيرة النبوية ج١، ص٢٣١.
- (^{٤٧}) ينظر: الواقدي، المغازي ، ج١، ص٣٦٤.
- (^{٤٨}) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص١٨٣؛ ابن حزم، جوامع السيرة النبوية، ص١٤٣.
- (^{٤٩}) ينظر: البيهقي، دلائل ، ج٣، ص٣٣٨-٣٤٤؛ الاصبهاني، دلائل النبوة، ص٥١٢.
- (^{٥٠}) ينظر: البيهقي، دلائل النبوة ، ج٣، ص٣٣٨-٣٤٤.
- (^{٥١}) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص١٨٣؛ ابن حزم، جوامع السيرة النبوية، ص١٤٣.
- (^{٥٢}) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص١٨٣؛ ابن حزم، جوامع السيرة النبوية، ص١٤٣.

- (^{٥٣}) ينظر: البيهقي ، دلائل النبوة ، ج ٣ ، ص ٣٤٤.
- (^{٥٤}) ابن حبان، السيرة النبوية ج ١، ص ٢٣٤؛ ابو سعد، شرف المصطفى، ج ٣، ص ٤٠.
- (^{٥٥}) البيهقي، دلائل النبوة ، ج ٣، ص ٣٤٤.
- (^{٥٦}) ابن حبان، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ، ج ١، ص ٢٣١.
- (^{٥٧}) ابن عبد البر، الدرر ، ص ١٤١.
- (^{٥٨}) محمد الغزالي السقا (ت: ١٤١٦هـ)، فقه السيرة ، دار القلم ، دمشق، ص ٢٩٧.

summary

Islamic state at the beginning of Nacho undergone many events and difficulties that have left traces visible in the hearts of Muslims, whether psychological, political, economic, and these events incident (well aid), signed this incident in Safar (4 e / 625 m), and fired historians name well aid relative to the location in which they occur, as well as named the secret readers because most of the victims were from readers and the keepers of the Koran, was killed treacherously by Real tribes and memorabilia and bacillus, and lies the importance of the incident that the envoys of the Prophet (peace be upon him) did not just men thought and science only, but they were men of war, and the heroes of the battles, so they refused to surrender to the aggressors, and promised to disgrace unworthy free and defiant a Muslim, fight them even killed them, with the result of this great tragedy a political crisis resulted in other crises were passing by Medina, has these crises are a factor prayers of the Prophet (peace be upon him), and the most important of these crises is the economic crisis.

قائمة المصادر والمراجع:

* المصادر الأولية :

- * ابن الأثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م).
- ١- اسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.
- * الاصبهاني، ابو نعيم احمد بن عبد الله (ت: ٣٦٩هـ/٩٦٩م)،
- ٢- دلائل النبوة، دار النفائس، بيروت، ١٩٧٧.
- * أبو بكر الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار (ت: ٣٢٨هـ).
- ٣- الزاهر في معاني كلمات الناس، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٠.
- * البكري الاندلسي، ابو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت:
- ٤٨٧هـ/١٠٩٤م).
- ٤- معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، ط٣، عالم الكتاب، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.
- * البيهقي، احمد بن علي بن الحسين بن موسى (ت: ٤٥٨هـ/١٠٢٢م).
- ٥- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.
- * الجوهري، ابو نصر اسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣هـ/١٠٠٢م).
- ٦- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
- * ابو جعفر البغدادي، محمد بن حبيب بن امية (ت ٢٤٥ هـ/٨٥٩م)،

- ٧-المحبر، تح: ايلزة ليختن شتير، دار الافاق الجديدة، بيروت، بلا. ت.
*الحميري، ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت: ٩٠٠هـ/٤٩٤م)،
٨-الروض المعطار في خبر الاقطار، تح: احسان عباس، مؤسسة ناصر،
بيروت، ١٩٩٠م.
*ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الظاهري أبو محمد (ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٤م).
٩- جوامع السيرة النبوية، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٩٠م.
* ابن حبان، محمد بن احمد بن معاذ (ت: ٣٥٤هـ/٩٦٤م).
١٠ -السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٨١م.
*ابن حجر العسقلاني، ابو الفضل احمد بن علي بن شهاب (ت: ٨٠٢هـ/٤٤٨م).
١١ - الاصابة في تميز الصحابة، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٨هـ/١٩١٠م.
*خليفة بن خياط، ابو عمرو الشيباني العصفري (ت: ٢٤٠هـ/٨٥٤م).
١٢ - تاريخ خليفة بن خياط، تح: أكرم ضياء العمري، دار القلم، دمشق،
١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ١٩٨٠م.
*الزمخشري، ابو القاسم محمود بن عمرو بن احمد (ت: ٥٣٨هـ/١١٤٣م).
١٣ - الجبال والامكنة والمياه، تح: احمد عبد التواب عوض المدرس دار الفضيلة،
القاهرة، 1999م.
*الزهري، ابو منصور محمد بن احمد (ت: ٣٧٠هـ/٩٨٠م).
١٤ - تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار احياء التراث، بيروت، ٢٠٠١م.
الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م).
١٥ - تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية،
دمشق، بلا.ت.

- *الدينوري، ابو حنيفة احمد بن داود (ت: ٢٧٦هـ/٨٩٥م)،
١٦- المعارف، تح: ثروت عكاشة، القاهرة، ١٩٩٠.
*ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ات: ٣٢١هـ).
جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٨٧.
*الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).
١٧- سير اعلام النبلاء، تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ الارناؤوط، ط٣،
مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٥م.
*ابن سعد، ابو عبد الله محمد بن منيع (ت: ٢٣٠هـ/٨٥٩م).
١٨- الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،
١٩٩٠م.
*ابو سعد، عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي (ت: ٤٠٧هـ)،
١٩- شرف المصطفى، دار البشائر الإسلامية ، مكة، ١٩٩٧.
*ابن سيده، ابو الحسن علي بن اسماعيل (ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٦م).
٢٠- المخصص، تح: خليل ابراهيم جفال، دار احياء التراث العربي، بيروت،
١٩٩٦م.
*السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت: ٥٨١هـ).
٢١- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تح: عمر عبد السلام
السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
*الهمداني، ابو بكر محمد بن ابي عثمان (ت: ٨٥٤هـ/١١٨٨م).
٢٢- الاماكن او ما اتفق لفظه واقترب مسماه من الامكنة، تح: حمد بن محمد الجاسر،
دار اليمامة، السعودية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

- *ابن هشام، عبد الملك بن ايوب الحميري (ت: ٢١٣هـ/٨٣٨م).
- ٢٣- السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفظ شلبي، مطبعة المصطفي، مصر، ١٩٥٥م.
- *الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت: ١٧٠هـ)،
- ٢٤- العين، تح: مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٨م .
- *ابن قتيبة الدينوري، ابو محمد عبدالله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ/٨٨٩م) .
- ٢٥- المعارف، تح: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- *القزويني، أحمد بن فارس بن زكرياء (ت: ٣٩٥هـ).
- ٢٦- معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩.
- *ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت: ٧٣٩هـ/١٣٣٨م).
- ٢٧- مرصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- *ابن عبد البر، عمرو بن يوسف (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧١م).
- ٢٨- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.
- ٢٩- الدرر في اختصار المغازي والسير، تح: الدكتور شوقي ضيف النميري، ١٤٣١هـ.
- *ابن منظور، محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ/١١٣٧م).
- ٣٠- لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩١م .
- *الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي السلمي (ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م)،

٣١- المغازي، تحقيق: مارسدن جونز، ط٣، دار الأعلمي، بيروت،
١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

*ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله الرومي (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م).
٣٢- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

*المراجع:

*البلادي ، عاتق بن غيث بن زوير (ت: ٢٠١٠هـ) ،

٣٣- معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة للنشر والتوزيع ، مكة
المكرمة.

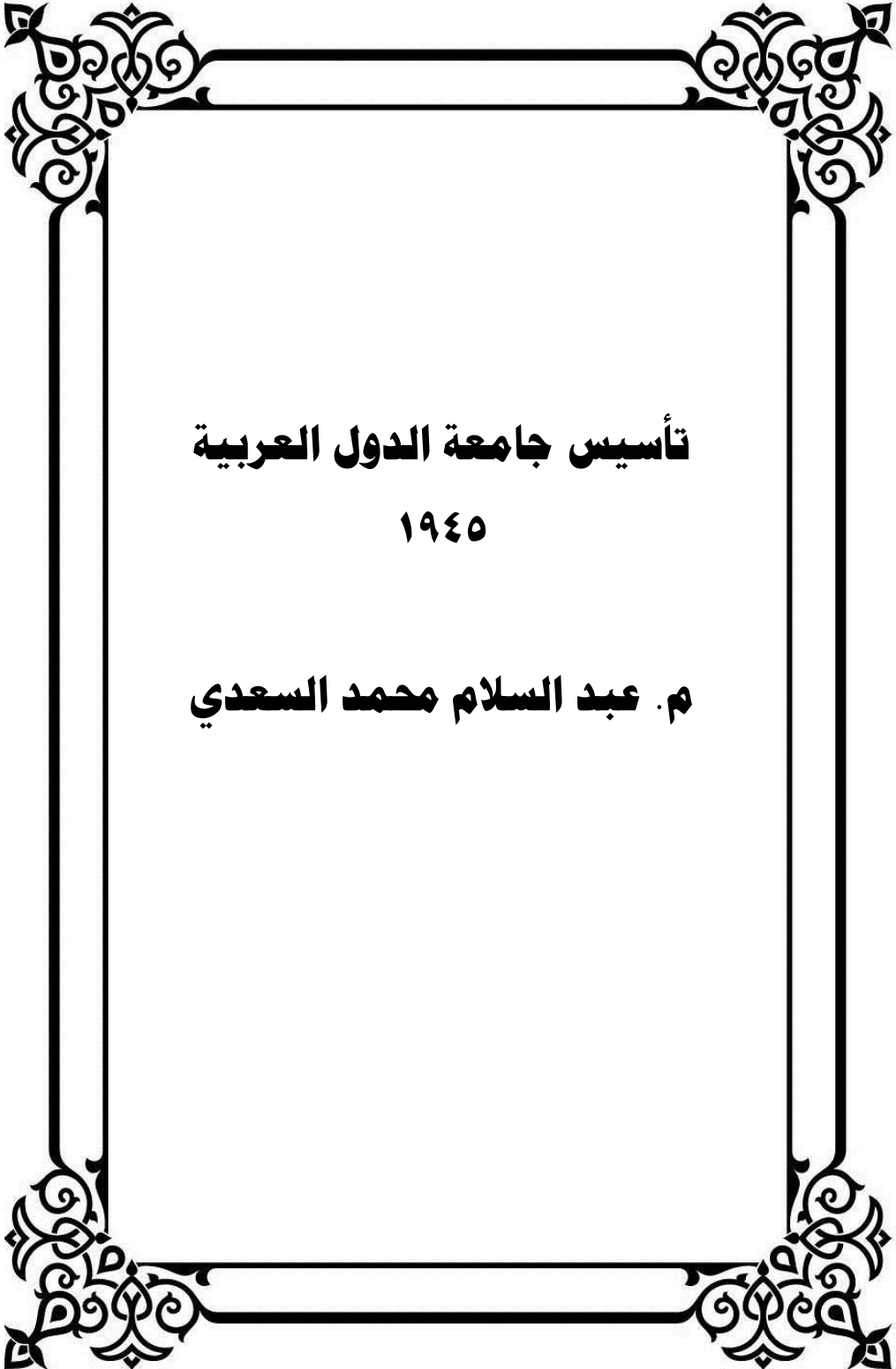
*الشريف، احمد ابراهيم.

٣٤- مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الفكر العربي.
*الزركلي، خير الدين.

٣٥- الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين
والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.

*الغزالي، محمد السقا (المتوفي: ١٤١٦هـ).

٣٦- فقه السيرة ، دار القلم، ١٩٩٩.



تأسيس جامعة الدول العربية

١٩٤٥

م. عبد السلام محمد السعدي

تأسيس جامعة الدول العربية ١٩٤٥

م. عبد السلام محمد السعدي

المقدمة

خلال فترة ما بين الحربين العالميتين ، الاولى والثانية ، شهدت كل من العراق وسورية ولبنان وفلسطين والمغرب ومصر ، ثورات وطنية ، تنادي بالاستقلال ، وقد حققت هذه الثورات قدرا من النجاح ، من الاستقلال السياسي لبعض البلاد العربية(١). وواكب حركات المقاومة العربية المتصاعدة ضد الاستعمار ، انتفاضة وحركة توحيد ووَعِي يدعو الى الوحدة للبلدان العربية ، تمهيدا لتخلصها التام من السيطرة الاستعمارية والتبعية الاجنبية ومساعدة الشعوب العربية الاخرى على نيل استقلالها ، والتخلص من التبعية(٢).

لامست الدعوة الى الوحدة العربية رغبة قوية لدى الدول العربية المستقلة ، وانبثقت منها الدعوة الى كيان وحدوي يجمعها ، ويساعد الشعوب العربية، التي ما برحت مستعمرة ، على نيل استقلالها ، فكانت فكرة الجامعة العربية(٣). ونتيجة للضغط النازي والفاشي ، المتزايد على الحلفاء اثناء الحرب العالمية الثانية، خاصة بعد ان تمكن النازيون، في بدايتها من اجتياح اوربا بسهولة ، وحيال النفوذ الامريكي المتزايد ، الذي يسعى الى فرض سيطرته على المنطقة كلها، عمدت بريطانيا الى محاولة التخفيف من حدة العداء العربي تجاهها، بل عملت على كسب الدول العربية الى جانبها فأعلنت ، والحرب مستمرة، من تعاطفها مع دعوات الاستقلال ، التي نادى بها بعض الدول العربية، وترحيبها بأي عمل في اتجاه الوحدة العربية، وقد صدر هذا التصريح على لسان وزير خارجية بريطانيا انتوني ايدن ، في ٢٩ مايس

١٩٤١ ، حين قال " لقد خطا العالم العربي خطوات واسعة في طريق الرقي وهو يطمح ، الآن الى تحقيق نوع من الوحدة ، يجعل منه عالما متماسكا ويرجو ان تساعد بريطانيا العظمى على بلوغ هذا الهدف ، ويسرني ان اعلن باسم حكومة صاحبة الجلالة ، ترحيب بريطانيا بهذه الخطوة واستعدادها لمساعدة القائمين ، حالما تتأتى لها الادلة على تأييد الرأي العام العربي لها"(٤).

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وانتصار الحلفاء على دول المحور حاولت الدول الغربية التخلي عن وعودها بمنح الاستقلال للدول العربية الواقعة تحت سيطرتها ، بالرغم من وقوف الاخيرة معها واستنزاف قدراتها في المجهود الحربي، وكان الرأي العام العربي قد تهيأ لقيام وحدة عربية ، وبدأ بالضغط عن طريق الاحزاب والصحف بهذا الاتجاه ، فدعا مصطفى النحاس باشا رئيس وزراء مصر في حزيران ١٩٤٢ ، كلا من جميل مردم ، رئيس وزراء سوريا ، واشيخ بشارة الخوري ، رئيس الكتلة الوطنية في لبنان ، الذي اصبح رئيسا للجمهورية، فيما بعد ، الى زيارة مصر ، لتبادل الرأي في بعض الشؤون العربية، وفي مباحثاتهم، تناولوا الموقف بين سورية ولبنان، وسبل التعاون بين البلاد العربية وانشاء جامعة عربية لتوثيق الروابط بينها ، وكانت تلك المرة الاولى التي تثار فيها فكرة الجامعة، بمثل هذا الوضوح(٥).

مثل بروتوكول الإسكندرية الوثيقة الرئيسية التي وضع على أساسها ميثاق جامعة الدول العربية وشارك في إعداده كل من اللجنة السياسية الفرعية التي أوصى بروتوكول الإسكندرية بتشكيلها ومندوبي الدول العربية الموقعين على بروتوكول الإسكندرية، مضافاً إليهم مندوب عام كل من السعودية واليمن وحضر مندوب الأحزاب الفلسطينية كمراقب، وبعد اكتمال مشروع الميثاق كنتاج لستة عشر اجتماعا عقدتها الأطراف المذكورة بمقر وزارة الخارجية المصرية في الفترة بين ١٧ شباط و ٣ آذار ١٩٤٥ أقر الميثاق وتم التوقيع عليه في ٢٢ آذار ١٩٤٥ بقصر الزعفران بالقاهرة من قبل مندوبي

تأسيس جامعة الدول العربية ١٩٤٥.....

الدول العربية عدا اليمن والسعودية اللتين وقعتا الميثاق في وقت لاحق وحضر جلسة التوقيع ممثل الأحزاب الفلسطينية ، واصبح يوم ٢٢ آذار ١٩٤٥ من كل عام هو يوم الاحتفال بالعيد السنوي للجامعة العربية(٦).

تأسيس جامعة الدول العربية

جاء تأسيس جامعة الدول العربية في ٢٢ آذار ١٩٤٥ نتيجة لتفاعل ستة عوامل

هامة هي(٧) :

- ١- الآمال والطموحات القومية العربية التي ظهرت منذ بداية القرن العشرين وتعمقت جذورها بين ابناء الشعب العربي في مختلف الارحاء مع مضي الوقت.
- ٢- التطورات السياسية الاقليمية بعد الحرب العالمية الاولى وبخاصة تزايد الهجرة اليهودية لفلسطين بعد صدور وعد بلفور عام ١٩١٧ وكذلك السياستين البريطانية والفرنسية لاقتسام مناطق النفوذ والسيطرة على العالم العربي.
- ٣- الافكار والآراء والمبادئ التي طرحها ونادى بها المثقفون والسياسيون العرب .
- ٤- حركة استقلال الدول العربية والرغبة في المحافظة على مفاهيم السيادة والاستقلال الوطني بعد الحرب العالمية الثانية.
- ٥- تطورات العالم نحو التوحد والتكتل في الاعداد لإنشاء الامم المتحدة ونحو ذلك من التجمعات الدولية.
- ٦- التشجيع من قبل المسؤولين البريطانيين وبخاصة تصريحات وزير الخارجية البريطاني في بداية الاربعينات ومن ابرز هذه التصريحات تصريح انطوني ايدن في ٢٩ مايس ١٩٤١ ، اثر فشل حركة رشيد عالي الكيلاني في العراق ، ثم ادلى

ايدن وزير الخارجية البريطاني بتصريح اخر، في مجلس العموم البريطاني في ٢٤ شباط ١٩٤٣، وكانت هذه التصريحات اعطت الضوء الاخضر لتكوين الجامعة العربية.

قامت الحرب العالمية الأولى وأشدت التنافس الاستعماري على اقتسام البلدان العربية التي كانت لا تزال تحت سيطرة الدولة العثمانية، فكانت الاتفاقية الروسية - الفرنسية البريطانية المعروفة باتفاقية بطرسبرغ عام ١٩١٥، واتفاقية سايكس بيكو في ١٦ أيار ١٩١٦ المكملة لها، وفي اثناء الحرب شعر قادة المنظمات السرية العربية أن الوقت قد حان لكي يتحرك العرب ويأخذوا زمام أمورهم بأيديهم، فاتصلوا بشريف مكة الحسين بن علي، وعرضوا عليه أن يقود ثورتهم على الأتراك لإنقاذ بلادهم من الهيمنة والاحتلال الأجبيين المتوقعين بعدما رأوا كفة الحرب تميل نحو الحلفاء، وبعد مراسلات طويلة بين الشريف حسين والمندوب السامي البريطاني في مصر هنري مكماهون ، انطلقت الثورة العربية في ١٠ حزيران ١٩١٦ معلنة أن هدفها تحرير العرب ونيل استقلالهم وتحقيق وحدتهم ، وانضم معظم المثقفين في المشرق العربي إلى الثورة وأعلنوا تأييدهم لها، فقد كانت التعبير الحي عن آمالهم القومية وتطلعاتهم الوحدوية وقويت آمالهم بما أصدره الحلفاء من بيان في أثناء الحرب لكسب العرب إلى جانبهم(٨).

وضعت الحرب أوزارها وانعقد مؤتمر الصلح في باريس (١٩١٩ - ١٩٢٠)، اعتقد العرب أن الوقت قد حان لكي يفي الحلفاء بوعودهم وتعال شعوبهم حق تقرير المصير وتبددت أوهامهم هذه وهم يفاوضون الحلفاء على مستقبل بلادهم، وساد منطق القوة وفرض الاحتلال والانتداب على العرب، كما فرضت عليهم تجزئة بلادهم، في اتفاق

كليمنصو لويد جورج في ١٥/أيلول/١٩١٩، ومؤتمر سان ريمو (١٩ - ٢٦ نيسان/ ١٩٢٠)، وقد رد العرب على ذلك بالثورة في مصر عام ١٩١٩ وفي سورية عام ١٩١٩ / ١٩٢٠، وفي فلسطين والعراق عام ١٩٢٠، وأخمدت هذه الثورات وأعقبها تهدئة وتسويات انتهت بالاعتراف بالأمر الواقع ولو إلى حين، على أمل تغييره والتخلص من الاحتلال والانتداب ورفعت الحركات الوطنية في كل بلد عربي شعار الاستقلال أولاً طوال فترة ما بين الحربين العالميتين^(٩).

شرعت الاتجاهات الوحدوية في بداية الثلاثينات تأخذ مكانها في الحركات السياسية العربية، وانتهز القوميون العرب في المشرق العربي اجتماعهم في القدس أثناء المؤتمر الإسلامي الذي عقد في كانون الأول ١٩٣١ لبحث القضية العربية بحثاً عاماً وصاغوا ميثاقاً عربياً أكد على وحدة البلدان العربية وعلى ضرورة توجيه الجهود في كل بلد عربي نحو الاستقلال والوحدة العربية^(١٠).

وفي مصر نشأت جمعيات عربية شرقية وإسلامية مثل الرابطة الشرقية التي أصدرت مجلة "الرابطة الشرقية" عام ١٩٢٩، وجمعية الوحدة العربية التي تشكلت عام ١٩٣٠، والاتحاد العربي العام الذي تأسس عام ١٩٣٣، وكان لجمعيتي الشبان المسلمين التي أسسها عبد الحميد سعيد بالاشتراك مع محب الدين الخطيب عام ١٩٢٧ وجماعة الإخوان المسلمين التي أنشأها حسن البنا عام ١٩٢٨، أثر كبير في بعث الاهتمام في صفوف الشعب المصري بالقضايا القومية بوجه عام وبالوحدة العربية بوجه خاص، وتأسست في مصر لجنة عليا لإغاثة فلسطين عام ١٩٣٦ وشغلت قضية

فلسطين الرأي العام المصري، واهتم القصر الملكي بهذا الأمر وانتهزها مناسبة لتعزيز زعامة مصر في العالمين العربي والإسلامي(١١).

علق القوميون العرب أمالاً كبيرة على الملك فيصل الأول، وعلى العراق بعد نيل استقلاله عام ١٩٣٢ واتجهت أنظارهم إلى سورية في اتحادها مع العراق وضمان عرشها لمرشح من الأسرة الهاشمية، وكان الفرنسيون يقاومون بشدة هذا الاتجاه لاعتقادهم بأنه يقضي على مصالحهم في المنطقة كما كانت تعارضه بريطانيا بحجة أن قيام أي وحدة في المشرق العربي فيه مخالفة لنظام الانتداب، وبحجة معارضة سلطان نجد في العشرينات عبد العزيز آل سعود له(١٢).

أدى موت الملك فيصل الأول عام ١٩٣٣ إلى ظهور عبد العزيز آل سعود على الساحة العربية والتف حوله عدد من قادة الحركة الوطنية في سورية وفلسطين، وقد أبرم معاهدة أخوة وتحالف مع العراق عام ١٩٣٦ انضمت إليها اليمن بعد ذلك العام، وأدى هذا الوضع الجديد إلى ظهور اتجاهين في الحركة القومية العربية أولهما، يدور حول زعامة الأسرة الهاشمية بمركزها الديني المرموق وزعامتها للحركة العربية منذ بدء القرن العشرين ومؤهلة للدور التاريخي الذي ينتظرها بقيادة العرب في نضالهم من أجل التحرير والوحدة، أما الفريق الثاني، فكان يرى أن تجزئة المشرق العربي قد فرضت واقعاً سياسياً جديداً وإن موت فيصل بن الحسين قد أفقد الأسرة الهاشمية زعامتها للحركة القومية، واقتنع هذا الفريق بالفكرة الاتحادية القائمة على الاعتراف بالكيانات السياسية التي ظهرت في المنطقة واحترام سيادتها واستقلالها وأن يقتصر التعاون بينها

على معاهدات واتفاقيات تنظم هذا التعاون في الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية وبرز هذا الاتجاه جلياً لدى قادة الكتلة الوطنية في سورية بعد عام ١٩٣٣^(١٣).

كانت أحداث فلسطين منذ بدء الثلاثينيات تحرك الرأي العام العربي وتضمن بعض التسويات المقترحة لحل القضية الفلسطينية مشاريع اتحادية عربية، ومن هذه المشاريع مشروع اللورد هربرت صموئيل (Herbert Samuel) أول مندوب سام في فلسطين ١٩٢٠ - ١٩٢٥ الذي بحث أثناء مناقشة مجلس اللوردات البريطاني تقرير اللجنة الملكية المعروفة بلجنة بيل في ٢٠ تموز ١٩٣٧، ويدعو المشروع إلى قيام اتحاد كونفدرالي واسع يضم السعودية والعراق وسورية وفلسطين وشرق الأردن، شريطة موافقة الحكومة الفرنسية والحركة الصهيونية عليه^(١٤).

وعقد في القاهرة المؤتمر البرلماني العربي والإسلامي للدفاع عن فلسطين في تشرين الأول ١٩٣٨ ومع قدوم عام ١٩٣٩ كان المثقفون والسياسيون المصريون يرون أن بلادهم تشكل جزءاً من الوطن العربي، وبلغ المد العربي في مصر أوجه بتشكيل وزارة على ماهر في آب ١٩٣٩، إذ ضمت عبد الرحمن عزام، وزيراً للأوقاف أولاً ثم وزيراً للشؤون الاجتماعية، ومحمد علي علوبة الداعية للتعاون العربي، وزير الدولة للشؤون البرلمانية، وصالح حرب الذي أصبح عام ١٩٤٠ رئيس جمعية الشبان المسلمين، وزيراً للحربية، وتولى عزيز علي المصري رئاسة هيئة أركان الجيش المصري، وهو من قادة الحركة العربية الأولى ومن مؤسسي جمعية العهد العربية السرية في صفوف الجيش العثماني عام ١٩١٣^(١٥).

وباندلاع الحرب العالمية الثانية، انقسم القادة السياسيون العرب إلى فريقين: فريق أعلن تأييده للدول الحليفة (بريطانيا وفرنسا) في صراعها مع دولتي المحور (ألمانيا وإيطاليا) ، على أمل أن تحقق آمال العرب في الاستقلال والوحدة بعد انتهاء الحرب، وفريق ثان أخذ على الحلفاء إهمالهم للعرب وقضاياهم ورأى أنه لا بد من الاستفادة من الوضع الدولي باتخاذ موقف الحياد بين الكتلتين المتحاربتين أول الأمر حتى ينجلي الموقف ويعرف العرب أيّاً من الكتلتين ستساعده على الاستقلال وتحقيق الوحدة، واندفع الفريق الأول مع الحلفاء دون تردد وتوقع منهم الحصول على مكاسب شخصية وقومية وجاء استسلام فرنسا للجيش الألماني عام ١٩٤٠ إيذاناً بقرب استقلال سورية ولبنان، وتحرك قادة هذا الفريق، فوجه عبد الله بن الحسين في ١/تموز/١٩٤٠ مذكرة إلى المندوب السامي البريطاني في القدس طالبا فيها إصدار تصريح من الجانب البريطاني يؤيد الوحدة السورية الكبرى، غير أن المندوب السامي رد على الأمير طالبا منه التزام الصبر حتى ينجلي الموقف الحربي، أما الفريق الثاني من القادة السياسيين العرب ، فقد رأى ضرورة فتح باب الحوار مع دول المحور والحصول على تصريح منها يؤيد آمال العرب في التحرر والوحدة وأسفرت هذه الاتصالات عن صدور تصريح ٢٣ تشرين الأول ١٩٤٠، الذي تضمن اعتراف ألمانيا وإيطاليا باستقلال البلاد العربية وعطفها على ما يقوم به العرب من جهود في سبيل تحقيق استقلالهم^(١٦).

الملاحح الأساسية التي تأسست في ظلها الجامعة

إن فكرة إقامة تنظيم عربي واحد يجمع شمل الدول العربية لم تتبلور أو تتضح معالمها إلا خلال الحرب العالمية الثانية بفعل جملة متغيرات عربية وإقليمية ودولية.

وعلى المستوى العربي يمكن القول، إن الحرب كانت مناسبة لنمو الحركات الوطنية ونشاط المقاومة ضد الوجود الاستعماري الأمر الذي انعكس على استقلال عدد متزايد من الدول العربية وإنشاء الحاجة إلى إقامة نوع من التوازن بين القوى السياسية العربية، ومن ناحية ثانية، تعززت الحاجة إلى الوحدة مع الوعي بمخاطر الهجرات اليهودية إلى فلسطين، ومن ناحية ثالثة، أدى تزايد الاحتكاك بالغرب نتيجة البعثات التعليمية إلى الانفتاح على بعض الأفكار والتيارات السياسية التي كانت سائدة فيه، وفي مقدمتها الفكرة القومية، وعلى المستوى الإقليمي، ساعدت التطورات التي كانت تجتازها دول الجوار وهي بالأساس تركيا وإيران بانشغالها بأوضاعها الداخلية ومخاوفها من قيام نظام شيوعي على حدودها وبوادر تغيير علاقاتها وتحالفاتها من الشرق إلى الغرب أهم محددات أجندتها الداخلية والخارجية، وبالتالي صرفها عن محاولة إجهاض مساعي العرب إلى الوحدة، وعلى المستوى الدولي، تلت الحرب العالمية الثانية، مرحلة انتقالية من مراحل تطور النظام الدولي، صرفت انتباه الولايات المتحدة الأمريكية إلى المناطق المجاورة للاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية والصين، فيما تركت المنطقة العربية، مؤقتاً، لتقع ضمن اهتمامات بريطانيا وفرنسا بخبرتها الطويلة في الشؤون العربية^(١٧).

إن الملامح الأساسية للبيئة العربية التي تأسست في ظلها الجامعة العربية تتمثل فيما يلي^(١٨):

أولاً: وجود نفوذ استعماري قوي في المنطقة من جانب فرنسا وبريطانيا سواء في شكل وجود قوات عسكرية أو معاهدات غير متكافئة وباستثناء السعودية واليمن فإن الدول العربية الأخرى وهي مصر، سوريا، العراق، لبنان، شرق الأردن كانت تتمتع بقدر محدود من الاستقلال.

ثانياً: سعي كثير من الحكومات العربية إلى تدعيم نفوذها ومكانتها في الداخل والعمل من أجل استكمال الاستقلال من جهة مع الحفاظ على نموذج معين لتوازن القوى في المنطقة العربية من جهة أخرى وذلك على المستوى العربي.

ثالثاً: كانت المنطقة العربية في هذه الفترة تشهد نشاطاً جماهيرياً ملحوظاً يدعو للوحدة العربية، خاصة مع تطور القضية الفلسطينية منذ عام ١٩٣٦ وانعقاد عدة مؤتمرات عربية مهنية وشعبية منها على سبيل المثال المؤتمر الطلابي العربي الأول عام ١٩٣٦، المؤتمر البرلماني العربي الأول عام ١٩٣٧ في سوريا، المؤتمر النسائي العربي الأول عام ١٩٣٨ في القاهرة، كما تأسس في القاهرة في ٢٥ مايس ١٩٤٢ نادي الاتحاد العربي الذي دعا إليه فؤاد أباطة باشا ويقوم على إيجاد اتحاد شعبي بين الأقطار التي تتكلم العربية وهي مصر، والسودان، الجزيرة العربية، العراق، سوريا، لبنان، فلسطين، شرق الأردن، شمال أفريقيا، مع ترك قضية الخلافة الإسلامية التي كانت سبباً في توتر العلاقات بين الأسر الحاكمة في السعودية ومصر. واستمر الاتحاد العربي في القاهرة وفروعه في بعض الدول العربية حتى ما بعد قيام الجامعة العربية بسنوات، لقد كانت الدعوة إلى الوحدة العربية في المنطقة من القوة بحيث أكدت إحدى المذكرات التي أعدتها الخارجية البريطانية في أيلول ١٩٣٩ "إن حركة الوحدة العربية قد غدت ظاهرة لا يمكن تجاهلها وينبغي عدم مناصبتها العداء"، فضلاً عن وجود رغبة عربية عامة في استغلال سنوات الحرب من أجل العمل على الحصول على الاستقلال(١٩).

رابعاً: مع نشوب الحرب العالمية الثانية زادت حاجة بريطانيا إلى تأمين المنطقة العربية لأهميتها الاستراتيجية والاقتصادية خاصة وأن بريطانيا واجهت أوضاعاً مقلقة في المنطقة تمثلت في حركة رشيد عالي الكيلاني في العراق عام ١٩٤١، وتأجج الوضع في فلسطين واتجاه مصر إلى تدعيم علاقاتها العربية(٢٠).

بريطانيا وتأسيس الجامعة العربية

كان تصريح أنطوني آيدن وزير الخارجية البريطاني في ٢٩ مايس ١٩٤١ أحد الأساليب البريطانية لتطويق المواقف العربية بمحاولة استيعاب تيارات الحركة العربية المناهضة بالاستقلال والوحدة والرد على دعاية دول المحور (ألمانيا، إيطاليا) بالإضافة إلى محاولة الحصول على تأييد العرب للحملة البريطانية على سوريا ولبنان، وأعلن في هذا التصريح عن تأييد بريطانيا لأية خطوة "تلقى موافقة عامة" في المنطقة العربية يكون من شأنها تقوية "الروابط الثقافية والاقتصادية بين البلدان العربية وكذلك الروابط السياسية" وهكذا علقت بريطانيا تأييدها لأية خطوة عربية لتقوية الروابط وليس لإقامة وحدة على شرط، تعلم بريطانيا جيداً صعوبة تحقيقه في المنطقة العربية في تلك الفترة. في ضوء صراعات النفوذ بين الحكومات العربية وهو أن تحظى الخطوة بموافقة عامة. وبالتالي فإن هذا التصريح لم يكن "تحولاً إيجابياً جديداً في السياسة البريطانية وكان يستند إلى تصور سلبي لفكرة الوحدة العربية واعتقاد قوي بعدم إمكانية تنفيذ أي مشروع للوحدة أو للاتحاد^(٢١).

لم يجد تصريح أيدن الأول استجابة من مصر أو العراق فقد كانت مصر مهتمة بالعمل على تجنب ويلات الحرب التي بدأت تحرق أطرافها الغربية خاصة وأن بريطانيا كانت تواجه موقفاً عسكرياً حرجاً وكان نوري السعيد في العراق مشغولاً بترتيب الأوضاع الداخلية بعد القضاء على حركة رشيد عالي الكيلاني، ولم يجد تصريح أيدن حماساً سوى من الأمير عبد الله أمير شرق الأردن باعتباره فرصة لتحقيق "الوحدة بين البلاد السورية" وليس الوحدة العربية فطالب الأمير عبد الله برفع الانتداب عنه ليكون قادراً على تحقيق وحدة الأردن وسوريا (٢٢) . وبعث في ٢٤ حزيران ١٩٤١ برقية إلى نوري السعيد تكشف موقفه بوضوح تضمنت "أن مسألة إيجاد وحدة عربية أو اتحاد

عربي مسألة موهومة خطيرة لذلك فمن واجب بغداد وعمان السعي للسير على سياسة هاشمية موحدة مع صرف المساعي للقضاء على من يريد إخراج القضية العربية عن مبادئ النهضة الأولى في القطر السوري الذي قام به تفاهم سعودي لبناني سوري خطير وبذل الجهد لإحياء أنصار الثورة مرة أخرى بهذه الديار وإعادة الدعوة الهاشمية^(٢٣).

انتهى نوري السعيد من ترتيب أموره في الداخل وبدأ يتحرك مع أواخر عام ١٩٤٢ من أجل تحقيق مشروع الهلال الخصيب على مرحلتين، تشمل الأولى توحيد سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن بحيث يقرر السكان نظام الحكم ملكياً أو جمهورياً ثم ينضم العراق في المرحلة الثانية وبالتالي يتكون الهلال الخصيب الذي يشكل جامعة دول عربية تتضمن إليها الدول العربية برغبتها وينبثق عن الجامعة مجلس يدير شؤونها ويرأسه أحد رؤساء الدول باتفاق بقية الدول المعنية، ويكون المجلس مسؤولاً عن شؤون الدفاع، الخارجية، المواصلات، الجمارك وحماية الأقليات ، وكان طبيعياً أن تعارض كل من مصر والسعودية مشروع نوري السعيد لأنه يحسن من مركز بلده على حسابهما كما عارضتا مشروع الأمير عبد الله كذلك. كما كان لسوريا ولبنان موقفهما المعارض أيضاً^(٢٤).

ساعد طرح المشروعات الهاشمية ورفضها على إنكفاء الدعوة للوحدة العربية، ومع انتصار بريطانيا في معركة العلمين في أواخر عام ١٩٤٢ استعادت بريطانيا مكانتها في المنطقة العربية وابتعد خطر الحرب عن مصر، ورغبة من بريطانيا في كسب البلاد العربية إلى جانبها في تخطيطها لما بعد الحرب^(٢٥)، كان التحرك المصري من أجل التوصل إلى صيغة للوحدة العربية قد نشط بعد تصريح آيدن (Eden) الثاني فليس

معنى ذلك، كما تقول بعض الآراء أن جامعة الدول العربية فكرة بريطانية أو أنها قامت بتوجيه من بريطانيا^(٢٦) ، وإذا كانت بريطانيا قد عبرت عن عدم معارضتها ، بل وعطفها على حركة البلدان العربية من أجل دعم الروابط بينها، فإن الروابط السياسية هي آخر ما اشارت اليه بريطانيا سواء في تصريح ايدن الاول والثاني ، وذلك يعكس ترتيب بريطانيا للأولويات من حيث وجوه تدعيم الروابط بين البلاد العربية . وفي ظل انتشار الدعوة للوحدة العربية لا يمكن لبريطانيا ان تتجاهل هذا الجانب على انه بالنسبة لمصر والبلدان العربية كان الجانب السياسي في مقدمة الاولويات عند العمل على انشاء الجامعة (٢٧).

ان بريطانيا كانت ترغب في بسط سيطرتها على المنطقة العربية كلها وحكمها دفعة واحدة عن طريق تنظيم واحد ، وان بريطانيا كانت تعرف جيدا علاقات التنافس بين النظم الحاكمة العربية وصعوبة التوصل الى تنظيم واحد يضم البلدان العربية ، كما انها كانت تعي انه في احسن الظروف لو استطاعت البلاد العربية التجمع في تنظيم واحد ، فإن ما بينها لن يجعل هذا التنظيم قويا الى حد يضر بالمصالح البريطانية ، وبالتالي فإن تصريحات ايدن جاءت لتخدم المصالح البريطانية اولا وليس بهدف دفع البلدان العربية في طريق الاتحاد خاصة في ظل معارضة فرنسا الشديدة للوحدة العربية لاعتقادهم بأنه يقضي على مصالحهم في المنطقة (٢٨).

صرح أيدن في ١٩٤٣/٢/٢٤ في مجلس العموم البريطاني بأن الحكومة البريطانية "تتظر بعين العطف إلى كل حركة بين العرب ترمي إلى تحقيق وحدتهم الاقتصادية والثقافية والسياسية" نشطت المشاورات التمهيدية ودعا مصطفى النحاس باشا رئيس وزراء مصر وقتها كل من جميل مردم رئيس وزراء سوريا والشيخ بشارة الخوري رئيس

الكتلة الوطنية الذي أصبح رئيساً للجمهورية اللبنانية فيما بعد لزيارة مصر، وأعلن عن الغرض من الزيارة وهو استطلاع الرأي في بعض الشؤون العربية، وقد لبي الاثنان الدعوة، وقدا إلى القاهرة، وأجريا مباحثات مع رئيس الوزراء المصري، تناولت الموقف بين سوريا ولبنان، وطرق التعاون بين البلدان العربية، وإقامة جامعة عربية لتوثيق العرى بين البلدان العربية المنظمة لها، وكانت هذه أول مرة تثار فيها فكرة الجامعة العربية بمثل هذا الوضوح^(٢٨).

المشاورات التمهيدية لقيام الجامعة

واصلت مصر تحركها من أجل مشروع الوحدة العربية بإجراء مشاوارات لها طابع استطلاعي مع كل من العراق، شرق الأردن، السعودية، سوريا، لبنان، اليمن للتعرف على وجهات نظر كل منها في مسألة الوحدة العربية وإلى أي مدى تستطيع كل منها أن تسير فيها وذلك دون أن يتم البت في شيء في هذه المرحلة^(٢٩).

١- المشاوارات العراقية - المصرية (٣١ تموز/ يوليو - ٦ اب/ اغسطس ١٩٤٣)

نتيجة للتنسيق السياسي العراقي - البريطاني ، سارع نوري السعيد ، رئيس الوفد العراقي ، باستبعاد فكرة اتحاد البلاد العربية في اطار حكومة مركزية ، واقترح ان يتم التعاون العربي بإحدى هاتين الطريقتين^(٣٠):

أ- تكوين اتحاد له جمعية عامة تمثل الدول الاعضاء فيها بنسبة عدد سكانها، ولجنة تنفيذية مسؤولة امام الجمعية العامة ، تتولى معالجة الشؤون السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية فيه في عدد المندوبين الذين يمثلونها.

ب- تكوين اتحاد تكون قراراته ملزمة لمن يقبل بها من الدول الاعضاء ، وتتساوى الدول الأعضاء.

٢- المشاورات الاردنية - المصرية (٢٨ اب/اغسطس - ٢ ايلول / سبتمبر ١٩٤٣)

رأس الوفد الاردني توفيق ابو الهدى ، رئيس الوزراء، ومصطفى النحاس ، عن الجانب المصري ، وتناولت المشاورات بحث مشروع وحدة سورية الكبرى ، وموضوع الوحدة العربية ، وحاول ابو الهدى ان يبين للنحاس موافقة بريطانيا على المشروع ، اما في مجال التعاون العربي ، فقد وافق الرئيس الاردني على مقترحات نوري السعيد في هذا الصدد(٣١).

٣- المشاورات السورية - المصرية (٢٦ تشرين الاول / اكتوبر - ٣ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٣)

اعرب سعد الله الجابري رئيس وزراء سوريا في مشاوراته مع النحاس عن معارضته لمشروع سوريا الكبرى مما سبب ارتياحا مصرياً ، وتحدث بعد ذلك رئيس الوفد السوري عن تجزئة بلاد الشام مؤكدا انها كانت وليدة اتفاقات ومصالح اجنبية سرية وعلمية فرضت على اهل البلاد بالقوة، ولكنه عاد واكد استحالة توحيد الاقطار الشامية الاربعة بسبب اختلاف تطورها السياسي ، وتنوع انظمة الحكم فيها ، ووجود الاقلية المارونية في لبنان ، والاقلية اليهودية في فلسطين . ورحب بالتعاون العربي في الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، بين مصر والشام والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن(٣٢).

٤- المشاورات السعودية - المصرية (٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٣)

ابدى الشيخ يوسف ياسين السكرتير الخاص للملك عبد العزيز آل سعود رغبة السعودية في تدعيم العلاقات مع مصر بصورة خاصة والبحث في كل ما من شأنه ان يؤدي الى ما فيه خير الامة العربية جمعاء ، واعرب الوفد السعودي عن معارضته لمشروع سوريا الكبرى وتأييد استمرار الحكم الجمهوري في سوريا ولبنان. واستبعدت السعودية فكرة الحكومة المركزية وان كانت لا تمنع من التعاون في المسائل الاقتصادية والثقافية بقدر الامكان وعندما يكون الوقت ملائما له على ان تشترك البلدان العربية على قدم المساواة التامة مع بعضها البعض(٣٣).

٥- المشاورات اللبنانية المصرية (كانون الثاني / يناير ١٩٤٤)

اعرب لبنان عن استعداده للتعاون مع البلاد العربية التي تتفهم موقفه المتحفظ من الوحدة العربية تفهما جعلها تعترف بكيانه وحدوده الحالية دولة ذات سيادة ، على ان يكون التعاون بين لبنان والدول الاخرى قائما على اساس المساواة والسيادة ، وانه يؤثر ان ينفرد بمسألتي الدفاع والشؤون الخارجية ، واما موقفه من القضية العربية فسيكون مماثلا لوقف مصر منها(٣٤).

٦- المشاورات اليمنية - المصرية (شباط / فبراير ١٩٤٤)

رحبت اليمن بفكرة التعاون الثقافي والاقتصادي بحيث تحتفظ كل دولة بكامل سيادتها وحقوقها ويكون التعاون قائما على التساوي بين جميع الدول في الحقوق والمصالح المتبادلة ، مع مساعدة اية دولة عربية تتعرض للتهديد او العدوان(٣٥) .

أسفرت المشاورات والمباحثات السياسية التمهيدية بين الوفود العربية ومصر ، الى ظهور اتجاهات رئيسية ثلاث هي^(٣٦):

الاتجاه الأول: يدعو إلى وحدة سورية الكبرى بزعامة الأمير عبد الله بن الحسين، وبدعم من نوري السعيد الذي كان يرى في هذه الوحدة خطوة نحو وحدة الهلال الخصيب.

الاتجاه الثاني: ويدعو إلى وحدة أو اتحاد أشمل وأكبر بحيث يضم مصر والسعودية واليمن بالإضافة إلى أقطار الهلال الخصيب. واختلف أصحاب هذا الاتجاه على شكل الوحدة أو الاتحاد الذي يريدون وانقسموا إلى فريقين: فريق ينادي بصيغة اتحادية تجمع الدول العربية وتدعم التعاون بينها في مختلف الميادين شريطة أن تحافظ كل دولة على استقلالها وسيادتها وفريق آخر دعا إلى قيام حكومة مركزية وقد تبنته سورية ودافعت عنه بقوة.

الاتجاه الثالث: ويدعو إلى قيام دولة موحدة تشمل أقطار الهلال الخصيب بزعامة العراق.

اختلفت الآراء في تفسير اعتراضات بعض الدول العربية كلبنان واليمن ، على الاخذ بصيغة الدولة الفدرالية والاصرار على التمسك بكامل سيادتها وعدم القبول بأي مساس بهذه السيادة، وان مثل هذه الاعتراضات والتحفظات ترجع في الاصل ، الى الحرص على تأكيد مبدأ الاستقلال الوطني ، فالدول العربية لم تكن راغبة في انشاء منظمة تفرض سلطتها عليها في مسائل ذات اهمية خاصة بالنسبة لها^(٣٧).

وفي المقابل يذهب فريق آخر الى ان تحفظات بعض الدول العربية بخصوص شكل المنظمة المقترحة ، انما تعزى الى الاعتقاد بفكرة ان التعايش او التعاون بين الدول العربية هو الهدف الاول الذي يجب ان تسعى اليه هذه الدول وليس الوحدة الكاملة التي لم يحن الوقت بعد لتحقيقها(٣٨).

والواقع انه في مجال تفسير تحفظات بعض الدول العربية على الشكل المقترح للمنظمة العربية والصلاحيات التي تتمتع بها، يتعين الاخذ بعين الاعتبار انه كانت هناك العديد من الصعوبات العملية التي كانت تعترض مشروعات الوحدة العربية التي كان ينادي بها بعض الزعماء العرب في ذلك الوقت. ومن اهم هذه الصعوبات الخلافات التي كانت قائمة بين الاسر الحاكمة المتنافسة، الى جانب التباين في السياسات الوطنية المحلية، فضلا عن التفاوت في درجة النضج السياسي، كما لا يمكن اغفال دور العامل الخارجي في اضعاف الجامعة، فالأهداف الاجنبية التي واكبت قيام هذه الجامعة ومهدت لها كانت ترمي الى تحديد العلاقة فيما بين العرب على النحو الذي رسمته الجامعة منذ قيامها(٣٩).

أظهرت المشاورات اختلاف آراء الدول العربية وتباعد وجهات نظرها بشأن الوحدة المراد تحقيقها، فقد أرادت بعض الدول العربية تحقيق أهدافها وأراد البعض الآخر تأمين نفسه أولاً ضد هذه الأهداف أو بعضها والتأكد من أن الوحدة لن تؤثر على مصالحه مما انعكس على نتائج المشاورات، فالعراق استبعد قيام حكومة مركزية تجمع جميع الدول العربية جميعاً بسبب الصعوبات الخارجية والمشكلات الخاصة في الدول العربية والتفاوت الاقتصادي والثقافي بينها وأن البحث في إيجاد حكومة مركزية مضيعة للوقت(٤٠)، أما الموقف السعودي فانسجم بالتحفظ والحذر وعدم الالتزام بموقف واضح،

وعارضت مشروع سوريا الكبرى، والهلال الخصيب، وأعربت عن رغبتها في تأجيل البحث في موضوع التعاون السياسي بين الدول العربية. أما التعاون في الميادين الاقتصادية والثقافية فأبدت عدم معارضتها لذلك^(٤١)، أما وفد لبنان فقد حدد موقفه في مشاوراته مع النحاس ببيان مكتوب قدمه رياض الصلح رئيس الوزراء اللبناني في كانون الثاني ١٩٤٤، وتضمن البيان ثلاثة عوامل وراء رغبة لبنان في التعاون العربي وهي: ضعف المؤثرات الأجنبية التي كانت تسيطر عليه في عهد الانتداب، وتقهم الدول العربية لموقفه المتحفظ من الوحدة العربية واعترافها بكيانه المستقل وحدوده الحالية وتقهم لبنان لضرورات التعاون مع الأقطار العربية المجاورة. وفي شباط ١٩٤٤ جاء وفد اليمن إلى القاهرة وتباحث مع النحاس حول موضوع الوحدة العربية، ولم يرد في محاضر المشاورات سوى تلخيص لهذه المباحثات تضمن ترحيب اليمن "بفكرة التعاون الثقافي والاقتصادي بين البلاد العربية على أن تحتفظ كل دولة بكامل سيادتها وحقوقها، ويكون هذا التعاون قائماً على أساس التساوي بين جميع الدول في الحقوق والمصالح المتبادلة"^(٤٢).

أما الأردن، فقد ركز في مشاوراته مع مصطفى النحاس على رغبة الأردن في تكوين سوريا الكبرى أولاً، ثم تشترك بعد ذلك في صيغة التعاون مع البلاد العربية الأخرى، أما سوريا، فأعرب سعد الله الجابري رئيس وزرائها في مشاوراته مع النحاس عن معارضته لمشروع سوريا الكبرى مما سبب ارتياحاً مصرياً، كما طالب الجابري ببعض أجزاء لبنان التي انتزعت من سوريا وضمت إلى لبنان على غير رغبة سكانه، وفي هذا المناخ الدولي والعربي وجه مصطفى النحاس، رئيس وزراء مصر في ١٢/٧/١٩٤٤ الدعوة إلى الحكومات العربية التي شاركت في المشاورات التمهيدية

لإرسال مندوبيها للاشتراك في "اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام"، التي ستتولى صوغ المشروعات لتحقيق الوحدة العربية^(٤٣).

اللجنة التحضيرية وبرتوكول الإسكندرية عام ١٩٤٤

بعد الانتهاء من المشاورات التمهيدية دعت مصر الى عقد اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام من ممثلي الدول التي اشتركت في المشاورات وبدأت اللجنة اجتماعاتها في الاسكندرية في ٢٥ أيلول ١٩٤٤ في الإسكندرية، وبحضور ممثلين عن كل من سوريا ولبنان والأردن والعراق ومصر ، ثم وصل ممثل الامام يحيى امام اليمن في ١٩٤٤/٩/٢٨ بصفة مراقب ، ثم حضر ممثل الملك عبد العزيز آل سعود في اول تشرين الاول ١٩٤٤ على الا يتقيد بشيء الا بعد الرجوع الى السلطات السعودية^(٤٤) .

في الفترة من ٢٥/أيلول - ٧/ تشرين الأول/١٩٤٤، رجح الاتجاه الداعي إلى وحدة الدول العربية المستقلة بما لا يمس استقلالها وسيادتها^(٣٥). وعقدت ثماني جلسات متوالية، استبعد المجتمعون منذ البدء، فكرة الحكومة المركزية ومشروع سوريا الكبرى، والهلال الخصيب، وبعد مناقشات مطولة. انحصر النقاش في اقتراح نوري السعيد بتكوين مجلس اتحاد سلطة تنفيذية، أو تكوين مجلس اتحاد لا تنفذ قراراته إلا للدول التي توافق عليها، وهنا تدخل النحاس باشا فأكد أن فكرة اتحاد عربي له سلطة تنفيذية وقراراته ملزمة أمر يستبعد الجميع للأسباب نفسها التي أدت إلى استبعاد فكرة الحكومة المركزية وأنه لا يبقى بعد ذلك إلا الرأي القائل بتكوين اتحاد لا تكون قراراته ملزمة إلا لمن يقبل بها، وقدم بعد ذلك اقتراحاً مكتوباً فيه "تؤلف جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة التي تقبل الانضمام إليها، ويكون لهذه الجامعة مجلس يسمى مجلس

جامعة الدول العربية من الدول العربية، تمثل فيه الدول المشتركة في الجامعة على قدم المساواة تكون مهمته مراعاة تنفيذ ما تبرمه هذه الدول فيما بينها من الاتفاقات وعقد اجتماعات دورية للنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها وتوثيق الصلات بينها، وتنسيق خططها السياسية تحقيقاً للتعاون فيما بينها. وتكون قرارات المجلس ملزمة لمن يقبلها. فيما عدا الأحوال التي يقع فيها خلاف بين دولة عربية وأخرى ففي هذه الأحوال تكون قرارات مجلس الجامعة نافذة وملزمة^(٤٥).

تمثل مباحثات اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام مرحلة هامة من مراحل العمل من أجل تأسيس جامعة الدول العربية ، وفي نهاية الاجتماعات تم التوصل الى بروتوكول الاسكندرية الذي يعد اساس ميثاق جامعة الدول العربية ، وكان طبيعيا في ضوء المواقف السابقة ان توافق الدول العربية بالأجماع على مبدأ الاشتراك في التعاون في المجالات غير السياسية وتم تشكيل لجان فرعية لبحث كل هذه الجوانب ووضع اسس وقواعد التعاون ومداه ، وهي الشؤون الاقتصادية والمالية والصحية والموصلات ، غير ان الامر كان مختلفا عندما بدأت اللجنة تتناول التعاون المجال السياسي وادواته في الجلسة الثالثة لها في ١٠/١/١٩٤٤ بحضور مندوبي الدول العربية التي شاركت في المشاورات التمهيدية^(٤٦).

وافقت الدول العربية بالأجماع بما فيها مصر على استبعاد فكرة تأليف حكومة مركزية للبلاد العربية ، لتعذر ذلك ومساسه باستقلال كل بلد من البلدان العربية وهي جميعا تريد المحافظة على هذا الاستقلال، ثم وافقت الدول العربية بالأجماع ايضا على استبعاد فكرة اتحاد له سلطة تنفيذية وجمعية يتم التمثيل فيها على اساس عدد السكان والميزانية وان تتنازل الدول عن جزء من سيادتها وتلتزم بقرارات الاتحاد ولو كانت

مخالفة لآرائها - وهو النموذج الاول الذي طرحه نوري السعيد بديلا لفكرة الحكومة المركزية ، وانحصرت المناقشات في تكوين اداة للتعاون بين الدول العربية تقوم على اساس المساواة في التمثيل بين الدول العربية وان تكون قراراته ملزمة لمن يقبلها(٤٧).

عرض مصطفى النحاس على اللجنة الصيغة التي وضعها للتعاون بين الدول العربية على هذا الاساس ونصت على ما يلي:

" تؤلف جامعة للدول العربية من الدول العربية المستقلة التي تقبل الانضمام اليها ويكون لهذه الجامعة مجلس يسمى مجلس جامعة الدول العربية تمثل فيه الدول المشتركة في الجامعة على قدر المساواة وتكون مهمته مراعاة تنفيذ ما تبرمه هذه الدول فيما بينها من اتفاقيات وعقد اجتماعات دورية للنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها وتوثيق الصلات بينها وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون فيما بينها. وتكون قرارات هذا المجلس ملزمة لمن يقبلها، فيما عدا الاحوال التي يقع فيها خلاف بين دولة عربية واخرى ، ففي هذه الاحوال تكون قرارات مجلس الجامعة نافذة ملزمة. وتؤلف لجنة فرعية من اعضاء اللجنة التحضيرية لإعداد مشروع نظام " مجلس الجامعة" ولبحث المسائل السياسية التي يمكن ابرام اتفاقات فيها بين الدول العربية"(٤٨).

تعد هذه المرة الاولى التي تعبر فيها مصر رسميا عن وجهة نظرها في صورة متكاملة للتعاون بين البلاد العربية ، ولكن سرعان ما بدأت الخلافات والتحفظات من جانب بعض الوفود ، فقد تمت مناقشة هذا الاقتراح وبرزت المناقشات ما يلي(٤٩) :

١- اعترض نوري السعيد على اشراف المجلس على تنفيذ معاهدة ثنائية لا شأن لأكثر الاعضاء بها ولا مصلحة لهم فيها.

٢- لم تتم الموافقة على ان يشمل التنسيق الذي يقوم به مجلس الجامعة للخطط السياسية وتحقيق التعاون فيما بينها مسائل الدفاع ، نظرا لاختلاف ظروف كل بلد عن الآخر وانه لا داعي لفتح الخلاف بين الدول العربية في امور التسليح وكان الاقتراح سوريا والرفض مصريا.

٣- كان ابرز الخلافات هو ما دارت حول اختصاص المجلس للنظر في الخلافات العربية والزامية قراراته في هذا الشأن.

٤- الى جانب ذلك اقترح رياض الصلح رئيس وزراء لبنان ان يقدم للمشروع فقرتين او ثلاث تقضي باحترام الاستقلال والسيادة والتعاون على رد كل اعتداء على اي بلد داخل الجامعة.

بعد ذلك تم وضع صيغة مصرية ثالثة توفق بين الصيغة المصرية الثانية والصيغة التي وضعها العراق وسوريا ولبنان ، وقد وافقت اللجنة التحضيرية عليها مع احتفاظ السعودية واليمن بموقفها القائم على عدم الالتزام بشيء الا بعد الرجوع للسلطات السعودية من جهة واقتصار دور مندوب اليمن على مجرد الاستماع(٥٠).

وقع رؤساء الوفود باستثناء رئيسي وفدي السعودي واليمن على بيان اللجنة التحضيرية والبروتوكول (الذي عرف ببروتوكول الإسكندرية) وملاحقه في ٧/تشرين الأول/ ١٩٤٤ ولم يعترض على ما جاء في هذه الوثائق سوى لبنان، فعند مناقشتها في اجتماع ضم رئيس الجمهورية اللبنانية ورئيس الوزراء ووزير الخارجية، أعترض رئيس الجمهورية على الفقرة القائلة "بأنه لا يجوز في أية حالة إتباع سياسة خارجية تضر بسياسة جامعة الدول العربية أو أية دولة منها" وتقرر أن يطلب الوفد اللبناني

لاجتماعات اللجنة الفرعية السياسية حذف هذه العبارة عند صوغ الميثاق النهائي الذي سيلغي البروتوكول^(٥١).

تواصلت الجهود العربية بعد توقيع بروتوكول الإسكندرية لتنفيذ ما أوصى به ذلك البروتوكول، وبالذات فيما يتعلق بإعداد النظام الأساسي لجامعة الدول العربية، لذلك اجتمعت اللجنة السياسية الفرعية التي أوصى بروتوكول الإسكندرية بتشكيلها بدار وزارة الخارجية المصرية في الإسكندرية خلال الفترة من ١٧ شباط إلى ٣ آذار ١٩٤٥، وعقدت أثناءها ستة عشر جلسة لإعداد النظام الأساسي لجامعة الدول العربية ولائحة عمل مجلسها. اشترك في أعمال هذه اللجنة التحضيرية للميثاق مندوبو الدول العربية الموقعة على بروتوكول الإسكندرية وأيضاً مندوبا السعودية واليمن وكانت الدولتان قد وقعتا على بروتوكول الإسكندرية في ٣/كانون الثاني/١٩٤٥ بالنسبة للسعودية و ٥/شباط/١٩٤٥ بالنسبة لليمن^(٥٢).

كان الوفد المصري حريصاً على أن لا يخرج ميثاق الجامعة العربية عن المبادئ التي تضمنها بروتوكول الإسكندرية الذي عبر عن رأي مصر في التعاون العربي، وكان الوفد السعودي يسعى للحصول على ضمانات وقائية لما يمكن أن يلحق بالمملكة العربية السعودية من تضحيات أو أضرار نتيجة اشتراكها في عضوية الجامعة العربية. وأما الوفد اللبناني فكان يبدي تحفظه على النصوص التي قد تمس سيادة لبنان واستقلاله، وكان الوفد السوري حريصاً على عدم التفريط باستقلال سوريا والاحتفاظ بنظامها الجمهوري. أما الوفدان العراقي والأردني، فبعدما استبعدت فكرة وحدة سوريا الكبرى ووحدة أقطار الهلال الخصيب، أصبح ههما أن يتضمن الميثاق نصوصاً تشجع على الوحدة بين الأقطار العربية، واستبعاد الالتزام بقرارات الأكثرية^(٥٣).

وفي ١٧ آذار ١٩٤٥ وفي قصر "الزعران" بالقاهرة اجتمعت اللجنة التحضيرية لإقرار ميثاق جامعة الدول العربية في صيغته النهائية فقامت بمراجعة مشروع اللجنة الفرعية السياسية ونظرت في التعديلات اللفظية لوضعه في الصياغة القانونية، وقام وزير الخارجية المصري بشرح الأسباب المختلفة التي من أجلها قام بإجراء هذه التعديلات على مشروع الميثاق ووافقت اللجنة على الصيغة التي وضعها الوزير المصري بعد تعديلات طفيفة للغاية. وذلك باستثناء اقتراح سوريا ولبنان ووضع قيود على طلب تعديل الميثاق، كأن يقدم الطلب بالتعديل من جانب دولتين من الدول الأعضاء في الجامعة وأن لا يبيت في التعديل إلا في الدور الثاني للدور الذي قدم فيه. بعد ذلك تمت الموافقة على اقتراح مصري بأن يتولى عبد الرحمن عزام باشا(منصب الأمين العام للجامعة العربية وأن تكون مدة توليه سنتين وبذلك تمت الموافقة على الملحق الخاص بتعيين الأمين العام للجامعة الذي وضعته مصر. ثم عقدت اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام جلستها في شكل مؤتمر لتوقيع الميثاق وإعلانه في ٢٢ آذار ١٩٤٥، واعتبر هذا اليوم عيد الجامعة العربية^(٥٤).

نص بروتوكول الاسكندرية على المبادئ الآتية(٥٥):

- قيام جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة التي تقبل الانضمام إليها ويكون لها مجلس تمثل فيه الدول المشتركة في الجامعة على قدم المساواة.
- مهمة مجلس الجامعة هي: مراعاة تنفيذ ما تبرمه الدول الأعضاء فيما بينها من اتفاقيات وعقد اجتماعات دورية لتوثيق الصلات بينها والتنسيق بين خططها السياسية تحقيقات للتعاون فيما بينها وصيانة استقلالها وسيادتها من كل اعتداء بالوسائل السياسية الممكنة، والنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية.

- قرارات المجلس ملزمة لمن يقبلها فيما عدا الأحوال التي يقع فيها خلاف بين دولتين من أعضاء الجامعة ويلجأ الطرفان إلى المجلس لفض النزاع بينهما، ففي هذه الأحوال تكون قرارات المجلس ملزمة ونافاذة .
- لا يجوز الالتجاء إلى القوة لفض المنازعات بين دولتين من دول الجامعة كما لا يجوز اتباع سياسة خارجية تضر بسياسة جامعة الدول العربية أو أية دولة من دولها.
- يجوز لكل دولة من الدول الأعضاء بالجامعة أن تعقد مع دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها اتفاقات خاصة لا تتعارض مع نصوص هذه الأحكام وروحها.
- الاعتراف بسيادة واستقلال الدول المنظمة إلى الجماعة بحدودها القائمة فعلاً ، كما اشتمل البروتوكول على قرار خاص بضرورة احترام استقلال لبنان وسيادته، وعلى قرار آخر باعتبار فلسطين ركناً هاماً من أركان البلاد العربية وحقوق العرب فيها لا يمكن المساس بها من غير إضرار بالسلم والاستقلال في العالم العربي، ويجب على الدول العربية تأييد قضية عرب فلسطين بالعمل على تحقيق أمانهم المشروعة وصون حقوقهم العادلة.
- وأخيراً نص في البروتوكول على أن (تشكل فوراً لجنة فرعية سياسية من أعضاء اللجنة التحضيرية المذكورة للقيام بإعداد مشروع لنظام مجلس الجامعة، ولبحث المسائل السياسية التي يمكن إبرام اتفاقيات فيها بين الدول العربية.) ووقع على هذا البروتوكول رؤساء الوفود المشاركة في اللجنة التحضيرية وذلك في ٧ تشرين الاول ١٩٤٤ باستثناء السعودية واليمن اللتين وقعتاه في ٣ كانون الاول ١٩٤٥ و ٥

شباط ١٩٤٥ على التوالي بعد أن تم رفعه إلى كل من الملك عبد العزيز آل سعود والإمام يحيى حميد.

الخاتمة

- ١- ان الجامعة العربية نشأت في غمار احداث وصراعات الحرب العالمية الثانية حيث كان يتأجج الصراع ضد الاستعمار البريطاني والفرنسي .
- ٢- لم تظهر المحادثات التمهيدية والتي اسفرت عن صياغة بروتوكول الاسكندرية ، سوى اختلاف كبير في وجهات النظر بالنسبة لمختلف القضايا المطروحة .
- ٣- تمسكت اغلب الدول العربية التي شاركت في المحادثات التمهيدية على الرأي القائل بتكوين اتحاد لا تكون قراراته ملزمة إلا لمن يقبل بها.
- ٤- تأسست جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥ وكانت الأيديولوجية السائدة في الوطن العربي هي "حكم القانون" إذ كانت القيادات العربية في ذلك الوقت، متأثرة إلى حد بعيد بالمذاهب الدستورية الغربية، وبروح وفلسفة عصبة الأمم(٥٦).
- ٥- إن ميثاق الجامعة العربية عكس ظروف دول الجامعة واحتياجاتها حتى عام ١٩٤٥ ومدى الصراع بين العوامل الانفصالية، والعناصر الوجدوية، فتمخض الميثاق أمام ذلك عن جمع شمل البلاد العربية المستقلة في رابطة اتحادية، ولكنه لم يتصد لسيادات الدول الأعضاء.
- ٦- ان صياغة ميثاق الجامعة كان محصلة تصارع وتفاعل للتيارات والحساسيات التي سادت المنطقة العربية في الاربعينات(٥٧).

٧- لم ينشئ الميثاق أجهزة قوية لها من السلطات والإمكانات ما يجعلها قادرة على تحقيق أهداف الجامعة، فالجامعة أنشئت بتكوين أداة للتعاون العربي الاختياري ولم تحدد وسائل وغايات هذا التعاون في ميثاقها، وترك تحديد ذلك لظروف الدول العربية وحاجاتها.

٨- طبقاً للميثاق فإن الجامعة هي منظمة تقوم على التعاون الاختياري بين الدول العربية الأعضاء فيها على أساس المساواة واحترام استقلال الدول الأعضاء، وسيادتها، فالجامعة لا تملك سلطة إلزامية على الأعضاء، بل هي أداة للتنسيق ورابطة اختيارية لتحقيق التعاون ولم الشمل، وهي منظمة (حكومات) وليست سلطة عليا(٥٨).

الهوامش

- ١- على محافظة، النشأة التاريخية للجامعة العربية، جامعة الدول العربية، الواقع والطموح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٣، ص ٤٧.
- ٢- محمد عزة دروزة، الوحدة العربية: مباحث في معالم الوطني العربي الكبير ومقومات وحدته والعقبات التي في طريقها ومعالجتها والمداخل التي يجب أن يصار إلى تحقيقها، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٥٧، ص ص ١٢٤، ١٢٥.
- ٣- على محافظة، المصدر السابق، ص ٣٥.
- ٤- مجلة شؤون الشرق الأوسط، العدد ٧، ٢٠٠٢، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، القاهرة، ص ١٨٩.
- ٥- عبد الحميد الموافي، تأسيس الجامعة العربية، مجلة شؤون عربية، تونس، العدد ١، آذار ١٩٨١، الأمانة العامة للجامعة العربية، ص ٨.

تأسيس جامعة الدول العربية ١٩٤٥.....

- ٦- فؤاد أباضة، الاتحاد العربي، الكتاب الثاني، القاهرة ، شركة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٠، ص ٨٠٦.
- ٧- أحمد محمود جمعة، الدبلوماسية البريطانية وقيام جامعة الدول العربية، مجلة المستقبل العربي، العدد ٥، كانون الثاني ١٩٧٩ بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص ٩٤.
- ٨- صلاح العقاد، العرب والحرب العالمية الثانية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١٧٤.
- ٩- أحمد محمود جمعة، المصدر السابق، ص ٩٦-٩٧.
- ١٠- أحمد طربين، الوحدة العربية ١٩١٦-١٩٤٥، دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٢٤٨.
- ١١- هارون هاشم رشيد، جامعة الدول العربية، دار سراس للنشر، تونس، ١٩٨٠، ص ١٨، ١٩.
- ١٢- أحمد طربين، المصدر السابق، ص ٢٦٣.
- ١٣- نور الدين حاطوم، محاضرات عن حركة القومية العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٧، ص ١٢٤.
- ١٤- عبد الحميد الموافي، المصدر السابق، ص ١٠.
- ١٥- أحمد الشقيري، الجامعة الاتحادية والجامعة الانفصالية، مجلة المستقبل العربي، العدد ٥، كانون الثاني ١٩٧٩، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص ٨٠.
- ١٦- صلاح العقاد، المصدر السابق، ص ١٧٨.
- ١٧- جامعة الدول العربية، ملخص محاضر المشاورات مع العراق، شرق الأردن، المملكة العربية السعودية، سوريا، لبنان، اليمن، مطبعة فتحي سكر، القاهرة، ١٩٤٩، ص ٥.
- ١٨- هارون هاشم رشيد، المصدر السابق، ص ١٩-٢٠.
- ١٩- أحمد الشقيري، الجامعة العربية، كيف تكون جامعة وكيف تصبح عربية، دار أبو إسلام، تونس، ١٩٧٩، ص ٧٢.
- ٢٠- جامعة الدول العربية، ملخص محاضر المشاورات مع العراق، المصدر السابق، ص ٢.

- ٢١- أحمد الشقيري، الجامعة العربية ، المصدر السابق ، ص ٥٥.
- ٢٢- على محافظة، المصدر السابق، ص ٤٧.
- ٢٣- عبد الحميد الموافي، المصدر السابق، ص ١٤.
- ٢٤- سامي حكيم، ميثاق الجامعة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٣٣.
- ٢٥- جامعة الدول العربية، محاضر اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٤٦، ص ٢٥.
- ٢٦- هارون هاشم رشيد، المصدر السابق، ص ٢٧-٢٨.
- ٢٧- على محافظة، المصدر السابق، ص ٥١-٥٢.
- ٢٨- مفيد محمود شهاب - جامعة الدول العربية- ميثاقها وإنجازاتها ، دار نافع للطباعة معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٨.
- ٢٩- محمد عبد الوهاب الساكت، الأمين العام لجامعة الدول العربية، اختصاصاته السياسية والإدارية، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة القاهرة، كلية التجارة، ١٩٧٠، ص ٤٣.
- ٣٠- بطرس بطرس غالي، الجامعة العربية وتسوية المنازعات المحلية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٦٧.
- ٣١- جميل مطر وعلى الدين هلال، النظام الإقليمي العربي: دراسة في العلاقات السياسية العربية، ج١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٦٤.
- ٣٢- مفيد محمود شهاب، المصدر السابق، ص ٩.
- ٣٣- بطرس غالي، المصدر السابق، ص ٦٩.
- ٣٤- محمد عبد الوهاب الساكت، المصدر السابق، ص ٥٥.
- ٣٥- سامي حكيم، المصدر السابق، ص ٣٣.

تأسيس جامعة الدول العربية ١٩٤٥.....

- ٣٦- محمد السيد سليم، دور الجامعة العربية في إدارة المنازعات بين الأعضاء، في: جامعة الدول العربية الواقع والطموح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٣، ص ٥٤.
- ٣٧- سيد نوفل، جامعة الدول العربية والأزمة اللبنانية في: جمال زكريا قاسم، الأزمة اللبنانية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٢٣٥.
- ٣٨- سامي حكيم، المصدر السابق، ص ٣٥.
- ٣٩- محمد نعمان جلال، جامعة الدول العربية والتحديات المستقبلية، كراسات الدراسات الاستراتيجية، العدد ٢٤، السنة الرابعة ١٩٩٤، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة، ص ٢٢.
- ٤٠- مفيد محمود شهاب، المصدر السابق، ص ١٦.
- ٤١- احمد محمود جمعة، المصدر السابق، ص ٦٧.
- ٤٢- احمد الرشدي، جامعة الدول العربية وفض المنازعات سلميا، دراسة مقارنة للخبرة التاريخية، مجلة شؤون عربية، العدد ٢٧، اذار ١٩٨٤، الامانة العامة لجامعة الدول العربية، ص ١٦٦.
- ٤٣- المصدر نفسه، ص ١٦٦.
- ٤٤- محمد نعمان جلال، المصدر السابق، ص ٢٥.
- ٤٥- احمد الرشدي، المصدر السابق، ص ١٦٧.
- ٤٦- محمد السيد سليم، المصدر السابق، ص ٥٨.
- ٤٧- بطرس بطرس غالي، العمل العربي المشترك في اطار جامعة الدول العربية، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٦، المجلد ٦، نيسان ١٩٧٠، ص ٤٦.

- ٤٨- جميل مطر وآخرون، جامعة الدول العربية - الخبرة التاريخية ومشروعات التطوير، المركز العربي لبحوث التنمية والمستقبل ، جامعة القاهرة، ١٩٩٣، ص ٦٠.
- ٤٩- المصدر نفسه، ص ٦٢.
- ٥٠- عبد السلام صالح عرفه ، المنظمات الدولية والاقليمية ، دار الجماهير للنشر والتوزيع، ليبيا، ط ١، ١٩٩٣، ص ٧٧.
- ٥١- جميل مطر وآخرون، المصدر السابق، ص ٦٢.
- ٥٢- احمد الرشيدى، المصدر السابق، ص ١٧٨.
- ٥٣- عبد السلام عرفه ، المصدر السابق، ص ٨١.
- ٥٤- المصدر نفسه، ص ٨١.
- ٥٥- مفيد محمود شهاب، المصدر السابق، ص ١٨.
- ٥٦- محمد السيد سليم ، المصدر السابق، ص ٥٩.
- ٥٧- عبد الرزاق الدردري، الانشطة العسكرية لجامعة الدول العربية، دن، تونس ، ١٩٨٥، ص ٨٤.
- ٥٨- على محافظة، المصدر السابق، ص ٦٥.

**موقف الحكومة البريطانية من أزمة
الجماعة الأيرلندية ١٨٤٥-١٨٥٢**

م.د. سهيلة شندي عوان
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية
قسم التاريخ

موقف الحكومة البريطانية من أزمة المجاعة الأيرلندية ١٨٤٥-١٨٥٢

م.د. سهيلة شندي عوان

ملخص البحث

يتناول موضوع البحث "موقف الحكومة البريطانية من أزمة المجاعة الأيرلندية الكبرى ١٨٤٥-١٨٥١" إذ شكلت المجاعة نقطة تحول في تاريخ أيرلندا في منتصف القرن التاسع عشر، وكان لها تأثيرات سياسية واقتصادية واجتماعية رسمت مستقبل أيرلندا فيما بعد كما أنها تعد الحدث الأهم الذي غير مجرى الأحداث السياسية في أيرلندا وبريطانيا على السواء.

تألف البحث من مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة.

تناول المبحث الأول أوضاع أيرلندا قبل المجاعة، وركز المبحث الثاني على فشل محصول البطاطا، وغطى المبحث الثالث موقف الحكومة البريطانية في المجاعة.

Abstract

The Present research entitled "The attitude of British government toward crisis Irish great famine 1845-1851" Ireland's great famine Was a Watershed in the Country's history since the mid 19th because it had Political, economic and Social effects, on Ireland's future.

The Present research Paper composes and in trodition. Three Chapter and Conclusion.

- Chapter one investigates the Conditions of Ireland Pre the Famine.
- Chapter Two Tackles Potato Crop Failure.
- Chapter Three Focuses on the attitude of British government To ward's famine.

المقدمة

شكلت المجاعة الأيرلندية ١٨٤٥-١٨٥١ إحدى أهم أبرز القضايا في تاريخ أيرلندا، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فمن خلالها تعمق الفكر القومي الأيرلندي، وكان لها تأثيرات سياسية واقتصادية واجتماعية ألقت بظلالها على الأوضاع في أيرلندا حتى حصولها على الاستقلال، وشهدت مرحلة ما بعد المجاعة مطالبة الأيرلنديين وكفاحهم من أجل الحصول على الحكم الذاتي.

لقد أدى فشل محصول البطاطا في أيرلندا عام ١٨٤٥، والتي تعد الغذاء الرئيسي للسكان إلى تعرض الملايين من الأيرلنديين إلى خطر الموت جوعاً، وكانت أسوأ سنوات المجاعة خلال الأعوام ١٨٤٥-١٨٤٩ واستمرت خلال الأعوام ١٨٥٠-١٨٥١ ولكن بدرجة أقل من السابق.

من هنا جاء اختياري لموضوع "موقف الحكومة البريطانية من أزمة المجاعة الأيرلندية ١٨٤٥-١٨٥١"، للأهمية الكبيرة التي يحتلها موضوع المجاعة في التاريخ الأيرلندي والبريطاني على السواء، إذ إن الحكومة البريطانية حاولت، ومنذ الأيام الأولى للمجاعة القيام ببعض الإجراءات التي من شأنها التخفيف من حدة الأزمة، إلا أن جميع هذه الإجراءات لم تكن بمستوى الحدث، وهذا مما أدى إلى تعرضها للانتقاد من قبل الأيرلنديين الذين كانوا وما يزالون يرون أن ما قامت به الحكومة البريطانية لا يرتقي وحجم الكارثة التي حلت بهم.

اعتمد البحث على مصادر عدة وبعض الأطاريح التي تناولت القضية الأيرلندية، ويعد كتاب Woodham Smith, Cecil المعنون The Great Hunger, Ireland 1845-1849 من أبرز الكتب التي اعتمدت عليها في هذا البحث، لما احتواه من مادة تاريخية مفصلة، تناولت بالتحليل أوضاع أيرلندا قبل المجاعة وبعدها وموقف الحكومة البريطانية منها.

أما كتاب The Age of Peel لمؤلفه Norman Cash فقد اسهم في أغناء البحث بشكل كبير ولا سيما فيما يخص موقف بيل والإجراءات التي قام بها لمواجهة الأزمة.

كما اعتمد البحث على عدد من الإطاريح الجامعية التي تناولت القضية الأيرلندية.

تناول البحث مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة : تناول المبحث الأول أوضاع أيرلندا قبل المجاعة، وغطى المبحث الثاني فشل محصول البطاطا عام ١٨٤٢، وسلط المبحث الثالث على موقف الحكومة البريطانية من المجاعة.

١- أوضاع أيرلندا قبل المجاعة :-

أيرلندا جزيرة في المحيط الأطلسي تقع إلى الغرب من الجزر البريطانية، تبلغ مساحتها حوالي (٨٤.٤٢١) ألف كم^(١)، مناخها معتدل نسبياً طوال العام بسبب تأثير تيار شمالي الأطلسي الغربية التي تسبب سقوط الأمطار التي تجعل أيرلندا خضراء بشكل كبير^(٢)، أرضها سهلية ومنخفضة، يتخللها الكثير من الأنهار أشهرها شانون Shanon وهو أطول أنهار أيرلندا، وتتكون أيرلندا من الناحية الإدارية من أربعة أقاليم، إقليم الستر Ulster في الشمال الشرقي، وكونوت Connautgt في الغرب، ومنستر Munster في الجنوب وإقليم لينستر Linster في الشرق^(٣). بلغ عدد سكان أيرلندا ككل عام ١٨٤٥ أكثر من ٨,٥ مليون نسمة^(٤).

عانى الأيرلنديون العديد من المشاكل في ظل الاتحاد مع بريطانيا^(٥)، وكان أكثرها حدة تلك المتعلقة بالجانب الاقتصادي الذي تمثل باستغلال الانكليز لخيرات البلاد، ولا سيما فيما يتعلق بالأراضي الزراعية، فقد حاولت الحكومة البريطانية أن تضع يدها على كامل أيرلندا فبدأت بإسكان البروتستانت من الانكليز والاسكوتلنديين في

شمال شرق أيرلندا، مع معاملتهم وكأنهم أشبه بحامية بريطانية، من ناحية الامتيازات السياسية والدينية والاقتصادية^(٦).

ترتب على هذه الحالة انتقال 3/4 ملكيات الأراضي الأيرلندية إلى الملاك الانكليز، وكان أغلبهم يعيش خارج أيرلندا، لذلك سموا بالملاك الغائبين Absent Lords Land^(٧). إذ اعتمد هؤلاء على وسطاء ووكلاء لهم للقيام بمهمة جمع الإيجارات والأشرفاء على الأرض. وكان هؤلاء الوكلاء يستغلون الفلاح الأيرلندي أبشع استغلال، ووصلوا إلى حد من الجشع بحيث أن متطلباتهم لم تقف عند حد^(٨).

ومن أجل حصول مالك الأرض على المزيد من الأرباح فقد عمل على تقسيم أرضه إلى عدة أجزاء متشابهة، وتأجيرها إلى عدة أشخاص، لا لشخص واحد، حتى بلغت مساحة قطعة الأرض الواحدة (٥) أكرات، وهكذا أصبحت أيرلندا منذ القرن الثامن عشر حتى أواسط القرن التاسع عشر بلداً للملكيات الصغيرة من الأراضي^(٩).

وبسبب ذلك كان لزاماً على الفلاح الأيرلندي أن يخضع للاستنزاف الاقتصادي من خلال دفع الإيجار ودفع الضرائب التي كانت فضلاً عن ضريبة العشر^(١٠) القاسية، ضرائب على المحاصيل التي يقومون بزراعتها، فكانوا يدفعون عن أكر البطاطا (٤) شلنات و (٨) أخرى عن أكر القمح والشعير، على الرغم من أن هذين المحصولين كان يسلمان إلى ملاك الأراضي، وعن أكر الشوفان (٣) شلنات^(١١).

لقد جلب نظام الوسطاء والوكلاء المزيد من البؤس والشقاء لأيرلندا، فقد خلس مالك الأرض نفسه من المسؤولية وتأكيد حصوله على الأجر المنتظم بينما كان المؤجرين يعانون من الاستغلال^(١٢).

وفيما يتعلق بحقوق المستأجر "Tenant right" فقد وجدت بشكل رئيس في الستر، إذ كان المستأجر يمنح حقوقاً لا تمنح إلى المستأجرين الآخرين في معظم أجزاء أيرلندا الأخرى^(١٣)، إذ يقوم المستأجر بأجراء التحسينات اللازمة للأرض طوال مدة

موقف الحكومة البريطانية من أزمة المجاعة الأيرلندية ١٨٤٥-١٨٥٢.....

الإيجار^(١٤)، كما كان من حقه استئجار الأرض إلى شخص آخر، وخلال المدة من ١٨٠٠-١٨٧٠ قدمت لوائح كثيرة لحماية المستأجر، غير أن جميع هذه المحاولات باءت بالفشل، إذ أن جميع القوانين المتعلقة بالأرض الأيرلندية كانت تصدر عن البرلمان البريطاني، والتي كانت تصدر لمصلحة مالك الأرض ضد المستأجر، وذلك لأن غالبية أعضاء البرلمان كانوا من أصحاب الأراضي والأملاك في أيرلندا^(١٥).

وبسبب ازدياد عمليات الطرد نما اضطراب وهياج الفلاحين أزاء ذلك تبعها عمليات سلب متبادلة، إذ نظر الفلاح الأيرلندي إلى المالك البريطاني للأرض على أنه محتل ومستغل للأشخاص العاملين لديه، في حين كان الفلاح الأيرلندي يحب أرضه ويرها ملكاً له رغم استئجاره لها^(١٦). ونتيجة لذلك ازداد العنف بين صفوف الفلاحين وتم قتل العديد من الملاك ووكلائهم، وشوهت وقتلت ماشيتهم، وحرقت بيوتهم^(١٧).

ونتيجة لهذه الأوضاع السيئة قامت الحكومة البريطانية بتشكيل لجنة ملكية برئاسة الأيرل آرثر ديفن Eral Arther Devon^(١٨)، وعرفت باسم لجنة ديفن Devon Commission، أرسلت إلى أيرلندا في العشرين من ت ٢ عام ١٨٤٣ للتحقيق في حالات الطرد الكثيرة التي تعرض لها المستأجرون الأيرلنديون، ونشرت اللجنة في الرابع عشر من شباط عام ١٨٤٥ تقريرها الذي جاء فيه أن سكان أيرلندا قد ازداد من ستة ملايين نسمة إلى ثمانية ملايين نسمة، وأشارت اللجنة إلى أن عقود الإيجار كانت جائرة بالنسبة للمستأجرين الأيرلنديين، وأن غالبية هؤلاء المستأجرين ليس لديهم أي شكل من أشكال الحماية التي تحميهم من الطرد من قبل ملاك الأراضي^(١٩)، وأن أعمال العنف والفوضى نتجت عن هذا النظام، ودعت البرلمان إلى التدخل السريع للحد من هذا الأمر^(٢٠).

كان من نتائج تقرير لجنة ديفن أن اعترفت الحكومة البريطانية بالأوضاع السيئة للأيرلنديين وبناءً على اقتراح اللجنة قامت الحكومة في الخامس عشر من

شباط عام ١٨٤٥ بتعيين هيئة تحقيق قانون فقراء الانكليز English Poor Law Inquiry Commissioners والتي اقترحت تكوين ورشة عمل لاستيعاب الفلاحين المطرودين، لكن أحد أعضاء هذه الهيئة عارض هذا الاقتراح وقال بان هذه الطريقة غير ملائمة لمعالجة حالة الفلاحين الأيرلنديين "ما نوع الإسكان الذي يمكن أن نضعهم فيه، فالأكواخ مظلمة تسمح للمطر بالنزول والرياح بالمرور من خلال جميع أجزائها، حتى السقوف، وما هي الطريقة التي يمكن أن يطعموا بها في ورشة العمل؟ بالتأكيد أنها أدنى من تلك التي تطعم بها الحيوانات"^(٢١).

تركزت الأوضاع الاقتصادية السيئة التي يعاني منها الأيرلنديين أثارها في نفوسهم، ولاسيما المزارعين الذين فقدوا أي أمل بإصلاح أوضاعهم الاقتصادية، لذا كانت المجاعة الخطر الحقيقي الذي هددهم بالموت.

٢- فشل محصول البطاطا :-

اعتمد الاقتصاد الأيرلندي بشكل كبير على الزراعة، وكانت البطاطا هي المحصول الوحيد الذي كان للفلاح الحق في أخذ حصته منه، لذلك شكلت مصدراً أساسياً لطعامهم، وجراء هذا الارتباط بين الأيرلنديين وبينها سميت بالبطاطا الأيرلندية^(٢٢)، أما المحاصيل الأخرى كالقمح والشوفان فكانت تزرع وتصدر إلى بريطانيا^(٢٣).

وعلى الرغم من امتلاك أيرلندا للقمح الحجري والحديد فلا يوجد فيها صناعات إلا في بعض المدن الكبيرة مثل بلفاست ودبلن^(٢٤)، كما أن مهنة الصيد لم تكن متطورة فيها^(٢٥).

لم يكن المزارعين الأيرلنديين يحصلون على عمل ثابت في المزارع بسبب قيام ملاك الأرض، وكما ذكرنا سابقاً بتقسيم الأرض إلى عدة أقسام صغيرة لا تتطلب عدد كبير من العمال، لذا فالفلاح الأيرلندي كان يعيش بلا عمل ثابت، حتى أن الاقتصادي

الانكليزي ناسيو سينيور Nassau Senior^(٢٦) أخبر الحكومة "بأن ثلاثين أسبوع في السنة ما عدا وقت حراثة الأرض لزراعة البطاطا فإن ٢.٣٨٥.٠٠٠ شخص كانوا بدون عمل، لأنه ليس لديهم عروض عمل تقدم لهم، فإذا لم يستطع العامل الأيرلندي أن يحصل على مساحة صغيرة من الأرض لزراعة البطاطا التي تكفي لإطعامه وعائلته فإنه سيعاني من خطر الموت"^(٢٧).

أن الزيادة الهائلة في إعداد الفقراء في أيرلندا دعت الحكومة البريطانية إلى تقديم عرض لاستئجار الأرض، أطلق عليه Conacre وهو بمثابة عقد بين المالك والمستأجر يسمح باستخدام جزء من الأرض لزراعة محصول واحد، وكانت البطاطا هي المحصول الوحيد الذي يزرع وفق هذا العقد، لأنها أكثر الأطعمة شيوعاً بالنسبة للأيرلنديين وحيواناتهم، ولأنها كانت سهلة الطبخ^(٢٨).

أصبح استئجار الأرض وفق هذه الطريقة شائعاً والإيجار كان عالياً، ١٠ باوند أو ١٢ باوند أو ١٤ باوند للأكر في الأرض ذات المواصفات الجيدة، وحوالي ٦ باوند للأرض الرديئة، والمزارعين الذين يعملون وفق هذه الطريقة كانوا من الفقراء، وكان العرف السائد أن يدفعوا الإيجار بعد موسم الحصاد^(٢٩).

وعلى الرغم من الحالة السيئة التي يعيشها الأيرلنديون إلا أن إعدادهم كانت تزداد بسبب الزواج المبكر لديهم وازدياد حالات الولادات^(٣٠)، وبحلول عام ١٨٤١ وصل عدد سكان أيرلندا إلى ٨,١٧٥,١٢٤ مليون نسمة حتى أن دزرائيلي^(٣١) أعلن "أن أيرلندا بلد ذات كثافة سكانية عالية أكثر من أي بلد أوروبي آخر"^(٣٢). وقد ازداد سكان أيرلندا بنسبة ٣-١ عام ١٨٤٥ وعندما حلت المجاعة وصل عدد السكان تقريباً إلى ٩ مليون نسمة^(٣٣).

أن ازدياد أعداد السكان في أيرلندا كان يتطلب كميات كبيرة من الطعام، ووضع الأرض لم يكن يدعم متطلبات هذه الإعداد الكبيرة، لذلك حلت كارثة كبيرة في أيرلندا بعد فشل محصول البطاطا عام ١٨٤٥.

ففي بداية عام ١٨٤٤ خسر الأيرلنديون كميات كبيرة من البطاطا، وفي بداية تموز عام ١٨٤٥، كانت هناك مدة من الطقس الحار والجاف والتي لم تكن تشكل أي خطر على محصول البطاطا^(٣٤)، ولكن حصل ما لم يكن في الحسبان حتى بالنسبة للمناخ الأيرلندي المتقلب، إذ كان الجو ملبداً بالغيوم لمدة ثلاثة أسابيع مع انخفاض في درجات الحرارة وتساقط الأمطار مع بعض الغيوم، ومع ذلك فأن محصول البطاطا في نهاية تموز كان وافرًا حتى أن صحيفة فري مان جورنال Freeman's Journal كتبت في ٢٣ تموز ١٨٤٥ تقريراً تقول فيه : "أن ممتلكات الشخص الفقير من البطاطا، لم تكن قبلاً بهذه الكمية الكبيرة، وفي ٢٥ تموز ١٨٤٥ نشرت صحيفة التايمز تقارير مشجعة عن محصول البطاطا في أيرلندا : "حصاد كبير ومبكر ومتوقع في كل مكان"^(٣٥).

وفي آب ١٨٤٥ جاء تقرير من جنوب بريطانيا ذكر فيه أن مرضاً غريباً هاجم محصول البطاطا هناك، وكان الظهور الأول لهذا المرض والذي ظهر مؤخراً قد أدى إلى تلف المحصول في أمريكا ومن ثم انتقل إلى أوروبا عبر الأطلنطي^(٣٦).

وبحلول شهر أيلول ظهر المرض في ووترفور وويكسفورد في أيرلندا، ثم انتشر بسرعة حتى أصاب نصف البلاد^(٣٧)، وفي أواخر عام ١٨٤٥ دمرت ثلاثة أضعاف المحصول بالكامل في بعض المناطق، وبحلول عام ١٨٤٦ دمر المحصول بالكامل، ففي تقرير كتبه كاهن مقاطعة كالوي Galway "البطاطا ذهبت، إذا تجولت في المساء، ستعرف أن البطاطا فشلت عندما تقترب منها تشم رائحتها، مساحات واسعة من الحقول مملوءة بالسيقان السوداء الذابلة"^(٣٨).

وهكذا كان على الحكومة البريطانية مواجهة مشكلة كبيرة تهدد وجودها في أيرلندا. لذا كان لزاماً عليها اتخاذ إجراءات سريعة وحاسمة لمواجهة الموقف.

٣- موقف الحكومة البريطانية من المجاعة :-

لم تكن الحكومة البريطانية قلقة على أيرلندا فحسب بل على بريطانيا أيضاً فخلال خمسين عاماً كانت البطاطا تشكل غذاءً مهماً لطبقة العمال الانكليزية، بسبب الظروف الصعبة التي واجهوها في أثناء حروب نابليون، والبطالة التي أعقبت السلم بعد معركة واترلو، أجبرت العامل الانكليزي أن ياكل البطاطا بدلاً عن الخبز، ففي أيلول ١٨٤٥ كتبت جريدة التايمز : "أن الوجبة الرئيسية للشخص العامل اليوم أصبحت تحتوي على البطاطا"^(٣٩).

لم يكن فشل محصول البطاطا يمثل خطراً جدياً بالنسبة لبريطانيا، لكنه بالنسبة لأيرلندا يعد كارثة حقيقية، ومع ذلك فقد اتخذت السلطات البريطانية قراراً عاجلاً، ففي بداية آب ١٨٤٥ عندما قدمت التقارير بشأن آفة البطاطا في أيرلندا، إلى رئيس الوزراء البريطاني آنذاك السير روبرت بيل Robert Peel^(٤٠)، شكل لجنة للتحقيق في المرض الجديد تألفت من العلماء لندلي Lindley ، أستاذ علم النبات في جامعة لندن، وليون بليفير Lyon Playfair الكيميائي البارز وأرسلهم إلى أيرلندا للتشاور مع الخبراء المحليين، وكان واضحاً أن الخطر اكبر من أن تدركه العامة^(٤١)، إذ فشلت اللجنة في اكتشاف المرض الحقيقي، والذي هو فطريات نامية لم تكن معروفة في ذلك الوقت، وليس آفة البطاطا نفسها^(٤٢). فقد نشر د. لندلي تقريراً في السادس عشر من آب ١٨٤٥ وصف فيه المرض بأنه "آفة غير عادية وفي الثالث عشر من أيلول ١٨٤٥ نشر تقريراً آخر في صحيفة كاردنر كرونسل Gardener's chronicle لجعل الأمر مأسوياً فقد كتب "علينا التوقف عن الندم لشجب طاعون البطاطا والذي أصبح أمراً لا مفر منه في أيرلندا، المحصول فشل في دبلن بسبب البرد القارس، حيث سيكون عفن البطاطا في

أيرلندا عالمياً" لقد اعتقد ليندلي وغيره الكثيرين أن الطقس هو السبب في فشل محصول البطاطا^(٤٣).

وعلى الرغم من عجز اللجنة العلمية عن إيجاد حل للمشكلة إلا أن تقريرها جعل بيل يفكر جدياً بإيجاد حل يخفف من خطر المجاعة وذلك بالعمل على إلغاء قوانين الحبوب^(٤٤)، إذ كان يعتقد أن سبب المعاناة الكثيرة في أيرلندا هو السياسات الاقتصادية الخاطئة، ففي مذكراته كتب بيل "أن العلاج هو إزالة جميع العوائق التي تحول دون استيراد جميع أنواع الأغذية الصالحة للاستهلاك البشري، وإلغاء جميع الرسوم الكمركية المفروضة عليها^(٤٥).

وبالفعل اجتمعت الوزارة في الحادي والثلاثين من ت ١٨٤٥ للاستماع إلى كل المعلومات المقدمة من وزير الداخلية غراهام^(٤٦)، والمتعلقة بالأوضاع في أيرلندا، وفي الأول من ت ١٨٤٥ قرأ بيل المذكرة التي تضمنت ملخص عما توصل إليه تقرير اللجنة العلمية^(٤٧).

وكان الخلاف واضحاً في المناقشات التي دارت بين أعضاء الوزارة، وفي الاجتماع الإضافي الذي عقد في السادس من ت ١٨٤٥، فقط ثلاثة من أعضاء الوزارة (غراهام، أبردين^(٤٨)، وهربرت^(٤٩))، دعموا اقتراح بيل والقاضي بإصدار المجلس أمراً بإيقاف العمل بفرض الضرائب على الحبوب، أما بقية أعضاء الوزارة فكانوا معارضين من حيث المبدأ لأي تغيير في القانون إذ أنهم لم يكونوا واثقين بأن هذا الإجراء أما سيكفل التقليل من الخطر المحتمل، أو أنه سيؤدي إلى سقوط الحكومة^(٥٠).

بعد هذه الاجتماعات غير الحاسمة، وافقت الوزارة على الاجتماع ثانية في نهاية شهر ت ٢، وكان بيل قد وضع الاستقالة في ذهنه، إذا لم يتمكن من الحصول على الدعم الكامل من زملائه في الوزارة، وفي هذا الوقت كانت التقارير التي تأتي من أيرلندا تؤكد بأن الأوضاع ازدادت سوءاً، لذلك اتخذ بيل قراراً لشراء كميات كبيرة من

موقف الحكومة البريطانية من أزمة المجاعة الأيرلندية ١٨٤٥-١٨٥٢.....

الذرة من الولايات المتحدة وبشكل سري عن طريق التجار^(٥١)، وبالرغم من اعتراض وزارة الخزانة على ذلك استوردت الحكومة ما قيمته ١٠٠.٠٠٠ ألف جنيه استرليني من الذرة في ت ٢ ١٨٤٥^(٥٢).

اعتقد بيل بأن هذه الذرة ستحل المشكلة في السوق الأيرلندية في هذه المرحلة، وسوف تقلل من أسعار المواد الغذائية الأخرى، وكان هذا الحل مرحباً به في أيرلندا كأفضل من لا شيء، إلا أن مشكلة جديدة واجهت الأيرلنديين وهي صعوبة طحن الذرة، لذلك اضطر العديد منهم إلى أكلها بدون طحن، وبسبب ذلك عانوا من بعض الأمراض الباطنية^(٥٣).

كان بيل مقتنعاً أن التجارة الحرة لا مناص منها، لذا فقد رأى أن الرسوم التي كانت تفرض على القمح الأجنبي يجب أن تلغى أو على الأقل تعلق لمدة ثلاث سنوات من أجل تغذية الأيرلنديين الذين يموتون جوعاً^(٥٤)، ففي القراءة الثانية على اللائحة التي جرت في السادس والعشرين من ت ١٨٤٥، وضح بيل أنه لا يستطيع السكوت عن هذه القضية، وفي نفس الوقت تعهد باتخاذ إجراءات احترازية لإلغاء قوانين الحبوب^(٥٥)، فقد اقترح، وفي محاولة منه لإقناع أعضاء الحكومة البريطانية بمشروعه بأن تبقى ضريبة بسيطة على الحبوب مقابل تعليق قوانينها، ولكنه واجه معارضة شديدة من أعضاء البرلمان بمجلسيه العموم واللوردات ولاسيما من أعضاء حزب المحافظين، وقد استمرت المشاجرات والمناقشات سجلاً بين أعضاء البرلمان حول هذا الموضوع^(٥٦). ففي القراءة الثالثة على اللائحة التي جرت في التاسع والعشرين من ت ١٨٤٥، تسم اســــــــــــــتدعاء وزير الخزانة هـــــــــــــــــنري كولبورن Henery Colboran للإجابة عن بعض الأسئلة، وكان هذا من المؤيدين لبيل^(٥٧).

وهكذا يبدو ان أغلب أعضاء الحكومة البريطانية المعارضين لإلغاء قوانين الحبوب لم يكن لديهم الاستعداد للاعتراف بمعاناة الأيرلنديين، فمسؤول الخزانة في البرلمان خلال المجاعة والمسؤول عن الإغاثة الحكومية السير تريفليان^(٥٨). والذي كان يؤمن بفكرة "دعه يعمل" كان يرى ان المجاعة الأيرلندية هي "عقوبة إلهية للأيرلنديين"^(٥٩).

استمرت المناقشات في مجلس العموم حول لائحة إلغاء قوانين الحبوب، ففي الثاني من كانون الأول ١٨٤٥، عرض بيل تفاصيل القانون في القراءة الرابعة، وحصل على دعم كل زملائه في الحزب ما عدا لورد ستانلي Lord Stanley^(٦٠) ودوق بوكليج Duke of Buccleuch^(٦١)، وبسبب عدم حصوله على الاجماع قدم استقالته في الخامس من ك ١ ١٨٤٥^(٦٢)

كلف الملكة فكتوريا^(٦٣)، اللورد رسل Lord John Russel^(٦٤)، زعيم حزب الأحرار، والذي أقسم بالعمل على إلغاء قوانين الحبوب، بتشكيل الحكومة الجديدة، وبعد أيام من التأرجح، أعلن رسل فشله في تشكيل الحكومة بسبب أن بعض أعضاء حزب الأحرار كانوا من الملاك، وكانوا ضد إلغاء قوانين الحبوب، واعتذر إلى الملكة إذ كتب لها "بأن مصاعب سياسية تواجه تشكيل الحكومة"^(٦٥).

سرعان ما استدعت الملكة بيل لتشكيل الحكومة في السادس والعشرين من ك ٢ ١٨٤٦ ورحب بيل بذلك مع شعور بالرضا إذ كتب "أنا أشعر مثل رجل أعيد إلى الحياة بعد أن صلوا عليه صلاة الجنازة"^(٦٦).

وبحلول عام ١٨٤٦ ازدادت الأوضاع سوءاً في أيرلندا، وكان واضحاً انه ليس هناك مجاعة عادية، إذ خسرت أيرلندا ما قيمته ٣.٥٠٠.٠٠٠ طن من البطاطا، وكان محتملاً أنه ليس هناك طعام كاف لاشباع الأعداد الكبيرة من الأيرلنديين الذين يعانون الجوع و المرض^(٦٧).

ولكن بعد عودة بيل للحكومة عمد جاهدًا على إيجاد بعض الحلول للحيلولة دون تفاقم مشكلة المجاعة، وذلك عن طريق وضع خطة للأشغال العامة، وأنشاء مشاريع بناء الطرق، في محاولة لخلق فرص عمل للعمال الأيرلنديين^(٦٨)، كما قامت الحكومة بأنفاق نحو ستة وثلاثين ألف جنيه استرليني على شكل منح وقروض لبعض الجمعيات الخيرية من أجل حصول العوائل الأيرلندية على بعض المال^(٦٩).

لذلك قام بيل بأنشاء لجنة الإغاثة العامة المؤقتة، التي تقوم بتنظيم توزيع المواد الغذائية بسعر الكلفة، ولم يتقبل الأيرلنديون فكرة العمل الخيري الذي يقدم لهم، لكن ظروف المجاعة جعلتهم في نهاية الامر يقبلوا بها، كما قامت الحكومة ببناء بعض مستشفيات الطوارئ في أيرلندا لمساعدة الفقراء الذين لا يستطيعون تحمل نفقات أي علاج طبي^(٧٠).

لقد حققت إجراءات بيل هذه بعض الانجازات فقد تمكن ٧٠٠.٠٠٠ شخص من الحصول على عمل، وعلى الرغم من أن الرواتب التي كانت تدفع لهم منخفضة جداً مقارنة بأسعار المواد الغذائية، فالأجور المنخفضة لم تسمح للعمال لشراء الكثير من الطعام لأسرهم، ومع ذلك فإن هذه الإجراءات ساعدت على التقليل من نسبة الموت من الجوع^(٧١).

بالإضافة إلى ذلك فقد تشكلت لجان إغاثة في دبلن والتي قامت بدورها بتشكيل لجان إغاثة محلية في جميع أنحاء أيرلندا تتألف من ملاك الأراضي والوكلاء والقضاة ورجال الدين، وكانت هذه اللجان تقدم المساعدة لتنظيم مشاريع العمل وتوزيع الطعام على الفقراء وجمع التبرعات من أصحاب الأراضي وتشجيعهم على توظيف الفلاحين في عقاراتهم في أشكال أخرى من العمل لمواجهة الأزمة^(٧٢).

وعلى الرغم من الإجراءات الكثيرة التي قام بها بيل لمواجهة أزمة المجاعة في أيرلندا، إلا أنه كان مقتنعاً بأن إلغاء قوانين الحبوب هو الحل الوحيد لمواجهة الأزمة ولاسيما أن الحالة في أيرلندا كانت خطيرة ومن الصعب السيطرة عليها بإجراءات وقتية. طرح بيل مشروعه في الوزارة في السابع والعشرين من ك ٢ ١٨٤٦ في خطاب استمر لمدة ثلاث ساعات قائلاً "أن قوانين الحبوب يجب أن تلغى" (٧٣).

حصلت اللائحة في القراءة الأولى التي جرت في الثاني من آذار ١٨٤٦ على الأغلبية، وفي القراءة الثانية التي جرت في السابع والعشرين من آذار حصلت على أغلبية (٨٨) صوتاً في المجلس (٧٤)، وأخيراً وفي القراءة الثالثة التي جرت في الساعة الرابعة صباحاً من يوم السادس عشر من حزيران ١٨٤٦ صوت المجلس على إلغاء قوانين الحبوب بحصولها على (٣٢٧) صوت مقابل (٢٢٩) صوت بعد أن حصلت على أغلبية (٩٨) صوت في المجلس (٧٥).

وفي السادس والعشرين من حزيران ١٨٤٦ هزمت لائحة الأكره الأيرلندية (٧٦)، التي قدمها بيل، وفي التاسع والعشرين من حزيران ١٨٤٦ استقال بيل، وفي اليوم التالي استدعت الملكة رسل لتشكيل الوزارة (٧٧).

وعلى العموم فإن المجاعة الأيرلندية وجدت المبرر لبيل لتقديم لائحة إلغاء الحبوب والتي جلبت فائدة قليلة لأيرلندا مقارنة بالاهتمام الذي حظيت به هذه اللائحة في الأوساط الحكومية والشعبية الانكليزية.

كان رسل من المؤيدين لبيل في إلغاء قوانين الحبوب ولكنه كان يؤمن بسياسة عدم التدخل المباشر للدول في المسائل التجارية، وكان في وقت سابق قد اتهم بيل في الإفراط في رد فعله تجاه المجاعة الأيرلندية، ولكنه استمر على سياسة سلفه تجاه أيرلندا (٧٨)، فقد أوعز بتشكيل لجنة لمراقبة الوضع في أيرلندا وإعادة النظر في جهود الإغاثة مع العمل على تطبيق نظام جديد "للعمل في وقت لاحق من هذا العام" (٧٩).

وفي منتصف آب ١٨٤٦ طرح رسل خطته أمام البرلمان للتخفيف من أثر المجاعة، وكانت خطته تتلخص بأن يترك استيراد المواد الغذائية بيد التجار المحليين، وأن الحكومة تكون مسؤولة عن توفير فرص عمل للأيرلنديين وإعطاء القروض لهم لشراء الطعام^(٨٠).

فضلاً عن ذلك ولامتصاص غضب الأيرلنديين فقد عين رسل اللورد بيسبورا Lord Bessborough قائمقام في أيرلندا، وهو أول مالك أرض أيرلندي مقيم في أيرلندا يعين في هذا المنصب منذ قيام الاتحاد، وكان هذا من أصدقاء أوكونييل^(٨١) المقربين ومن المتعاطفين مع الأيرلنديين^(٨٢).

لقد تركزت جهود الحكومة في المقام الأول على توفير فرص عمل واستمرت بالعمل وفق خطط بيل الخاصة بالأشغال العامة، وبحلول كانون الأول ١٨٤٦ كان الناس يتضورون جوعاً حتى الموت، إذ أن الحكومة رفضت السماح لموظفي الإغاثة بتوسيع أعمالهم، وأصررت أنها ستتخذ الإجراءات لمعالجة الأزمة في الوقت المناسب^(٨٣).

وبحلول ربيع ١٨٤٧ وبسبب تفاقم أزمة المجاعة اعترفت الحكومة بفشل سياستها^(٨٤)، حتى أن أوكونييل ناشد مجلس العموم وبخطاب يشوبه اليأس قائلاً "أن أيرلندا بين أيديكم وسلطتكم، أن لم تتقذوها فأنها لن تتمكن من أنقاذ نفسها، أنني أدعوكم بكل جدية أن تضعوا في حسابكم أنني أتوقع موقناً أن ربع سكانها سوف يلاقون الهلاك ما لم تأتوا لخلصها"^(٨٥).

ولهذا أقدمت الحكومة على العمل على إصدار قانون تعديل قانون الفقراء Poor Law^(٨٦) في ٨ حزيران ١٨٤٧، والذي هو امتداد لقوانين الفقراء الانكليزية، والذي نص على أن الأشخاص المعدمين وغير القادرين على العمل بسبب الشيخوخة أو المرض والأرملة التي تعيل أثنان أو أكثر من الأطفال، واليتامى يحق لهم الحصول

على المعونات داخل أو خارج الإصلاحات Workhouses، أما الأشخاص المعوزين والقادرين على العمل فيحق لهم الحصول على المعونات داخل الإصلاحات فقط، وإذا لم يكن بإمكان الإصلاحات تقديم المعونات لهم فيمكنهم استلام المعونات على شكل طعام مطبوخ ولمدة شهران لحين أقرار القانون، أو يمكنهم الحصول على المعونات إذا وافقوا على العمل لمدة ثمان ساعات يومياً وفي أعمال شاقة مثل كسر الحجر^(٨٧). كما سمح القانون بتوزيع المعونات في الهواء الطلق، إلا أنه وبموجب فقرة في القانون أطلق عليها فقرة غريغوري Gregory Clause^(٨٨)، والتي أكدت أن أي شخص يملك أكثر من ربع إكر من الأرض يكون غير مؤهل لاستلام المعونات من الحكومة، وإذا أراد الذهاب إلى الإصلاحية واستلام المعونات عليه أن يتخلى عن أرضه من أجل الحصول على الإغاثة^(٨٩).

لذلك حاولت الحكومة التقليل من حدة الأزمة فعمدت في صيف عام ١٧٤٧ إلى إقامة مطابخ الحساء لإعطاء الأيرلنديين الذين يعانون من الفقر الحساء الحار، وأطلق على القائمين على هذه المطابخ اسم جمعية الأصدقاء Society Friends وقد تمكنت هذه الجمعية في آب من أطعام حوالي ثلاثة ملايين شخص في مختلف أنحاء أيرلندا، إلا أن هذه الجمعية توقفت عن عملها في خريف عام ١٨٤٧^(٩٠)، وذلك بسبب التقارير التي وصلت إلى الحكومة والتي أكدت أن محصول البطاطا لهذا العام سيكون جيداً^(٩١)، وأخبرت الفقراء أن عليهم الذهاب إلى الإصلاحات Workhouses لتلقي المعونات منها^(٩٢).

بالإضافة إلى ذلك حاولت الحكومة إيجاد حل فيما يتعلق بانتشار الأمراض مثل الحمى والتيفوئيد والأسهال التي وصلت ذروتها في شتاء ١٨٤٧، إذ قامت بأنشاء المراكز الصحية لتقديم الرعاية الصحية للمرضى، إلا أن هذه المراكز كانت غير قادرة

موقف الحكومة البريطانية من أزمة المجاعة الأيرلندية ١٨٤٥-١٨٥٢.....

على استيعاب العدد الكبير من المرضى لأنه لم يكن لديهم عدد كاف من الأطباء لمعالجة هؤلاء^(٩٣).

استمر فشل محصول البطاطا وتراكمت آثار المجاعة والناس قامروا بأخر ما لديهم وأصبحت الفاقة والعوز أهم مظاهر الحياة في أيرلندا^(٩٤)، ومما زاد الأمر سوءاً قيام الحكومة بأنهاء أعمال الإغاثة، إذ إن رسل كان يعتقد ان مشكلة الفقر في أيرلندا هي مسألة تخص ملاك الأراضي الأيرلنديين^(٩٥)، لذلك قدمت الحكومة في ت ٢ ١٨٤٦ مشروع قانون العقارات المرهونة Encumbered Estate act والذي كان المقصود منه مساعدة صغار الملاك الذين لا يملكون المال إلى رهن أملاكهم للملاك الكبار لاستثمار الأرض، وكان الهدف من هذا القانون هو جلب المستثمرين البريطانيين لاستثمار أموالهم في أيرلندا، وتم تمرير هذا القانون في البرلمان في ك ٢ ١٨٤٨^(٩٦).

وبحلول عام ١٨٤٨ كان الشعور العام في أيرلندا عارماً ضد الوجود البريطاني، إذ اعتقد قادة أيرلندا الفتاة Young Ireland^(٩٧) أن الحكومة البريطانية قد فعلت عمداً تقديم أقل قدر ممكن من المساعدة للشعب الأيرلندي، ويعد هذا في نظرهم شكلاً من أشكال الإبادة الجماعية، وخلص هؤلاء إلى أن الأمل الوحيد لمستقبل أيرلندا هو الانفصال الكامل عن بريطانيا^(٩٨)، وقادهم هذا للقيام بثورة في تموز ١٨٤٨، إلا أن الحكومة البريطانية كانت على علم بمخططاتهم هذا فسارعت إلى إلقاء القبض على بعض قادتها أمثال جون ميتشل John Mitchel^(٩٩)، وتوماس فرنسيس ميكر Thomas Francis Meager^(١٠٠) وجون بلاك ديلون John Black Dillon^(١٠١)، الذين كانوا يطمحون ان تكون ثورة ١٨٤٨ الأيرلندية كتلك الثورات التي سادت أوروبا في ذلك العام، غير أنها سرعان ما قمعت وأعدم بعض قادتها^(١٠٢). وهرب بعضهم إلى الريف في محاولة لحث الفلاحين على القيام بثورة مسلحة هناك قائلين لهم "قاتلوا لأجل الحصاد، ولا تدعوا المحصول يكون للبيع" إلا أن الفلاحين لم ينظموا للثورة التي تزامن

موقف الحكومة البريطانية من أزمة المجاعة الأيرلندية ١٨٤٥-١٨٥٢.....

وقتها مع وقت الحصاد، كما كان لديهم الكثير من المخاوف لتقديم الدعم للثورة التي حسب اعتقادهم ليس لها صلة مباشرة لتخفيف الجوع والمرض اللذان يعانون منهما^(١٠٣).

كان رد فعل الحكومة البريطانية سريعاً، إذ توقفت الأعمال الخيرية في أيرلندا، كما أرسلت الحكومة ١٦٠٠٠ ألف جندي إضافي إلى أيرلندا، ووضعت الأجزاء المضطربة تحت الأحكام العرفية^(١٠٤)، فالحكومة كانت تعتقد أن الأيرلنديين يستخدمون أموال الإغاثة الانكليزية لشراء السلاح وإطلاق النار على المسؤولين والضباط البريطانيين الذين يتم إرسالهم لتنظيم توزيع مواد الإغاثة^(١٠٥).

وبحلول عام ١٨٤٩ فشل محصول البطاطا أكثر من أي وقت مضى، وفي حزيران ١٨٤٩ فقدت أيرلندا آخر أصدقاءها إذ تم إغلاق جمعية الأصدقاء التي كانت تقدم المساعدة للأيرلنديين^(١٠٦).

وإزاء هذا الوضع المضطرب قدمت حكومة رسل مشروع المساعدة في الأيجار A rate Aid في شباط ١٨٤٩ الذي اقترح لمساعدة المستأجرين لدفع الإيجارات المتأخرة فمن خلال هذا المشروع تقوم المقاطعات الأيرلندية التي لم تتضرر كثيراً بدفع أيجار إضافي مقداره (٦) بنسات عن كل باون للمقاطعات المتضررة، إلا أن هذا الاقتراح أثار فزع ملاك الأراضي^(١٠٧)، واقترحت الحكومة بأنها ستقدم ٥٠.٠٠٠ جنيه إسترليني لأيرلندا كمنحة، وقد رحب البرلمان بهذا واعتبر أن هذه ستكون المنحة الأخيرة لأيرلندا، وقد تدمرت صحيفة التايمز من اقتراح المنحة الحكومية وقالت "أنها تقصم الظهر"^(١٠٨).

أثار مشروع رسل هذا احتجاجات قوية من جانب الأيرلنديين، وأقيمت اجتماعات حاشدة لمعارضة المشروع، واکبر هذه الاحتجاجات أقيم في مدينة لوركان Lurgan في الثاني من آذار ١٨٤٩، وعلى الرغم من ذلك فبعد أربعة أيام مرت

موقف الحكومة البريطانية من أزمة المجاعة الأيرلندية ١٨٤٥-١٨٥٢.....

اللائحة في مجلس العموم وحصلت على (٢٠٦) صوت ضد (٣٤) صوت، وقد وجدت اللائحة صعوبة في تمريرها في مجلس اللوردات، وذلك لأن الكثير منهم كانوا من ملاك الأراضي في أيرلندا^(١٠٩).

وخلال الأشهر الأخيرة من عام ١٨٤٩ سجل محصول البطاطا تحسناً كبيراً في أغلب أنحاء أيرلندا، واستمر هذا التحسن خلال أعوام ١٨٥٠ و ١٨٥١^(١١٠). وعلى ما يبدو فإن هجرة أعداد كبيرة من الأيرلنديين ووصول المساعدات المالية من جميع أنحاء العالم من خلال التبرع للجمعيات الخيرية أدت إلى التقليل من اثر المجاعة، فقد أرسلت كلكتا ١٤٠.٠٠٠ جنيه استرليني، وأرسل البابا بيوس التاسع والقيصر الروسي الاسكندر الثاني الأموال إلى أيرلندا بالإضافة إلى منظمات دينية وغير دينية جاءت لمساعدة ضحايا المجاعة، كذلك وصلت المساعدات من كندا وأستراليا وأمريكا^(١١١).

لقد فشلت الحكومة البريطانية سواء في عهد بيل أو رسل في فهم حجم الكارثة الحقيقية التي حلت في أيرلندا من جراء المجاعة، وكان من الطبيعي أن تفرز المجاعة نتائج سياسية واقتصادية واجتماعية كان لها أثارها السلبية على الواقع الأيرلندي.

كان من أكثر أثار المجاعة وضوحاً هو انخفاض عدد السكان فقد أدت إلى وفاة مليون شخص بسبب المجاعة أو المرض، وهجرة مليون شخص إلى الولايات المتحدة وكندا وأستراليا أو إلى مناطق داخل انكلترا مثل ليفربول واسكوتلندا وغلاسكو، وقد شكلت الولايات المتحدة مركز جذب لغالبية المهاجرين الذين بلغ عددهم ٧٠% من مجموع المهاجرين وتأتي كندا في المرتبة الثانية بـ ٢٨% من المهاجرين وأخيراً أستراليا بـ ٢% من المهاجرين^(١١٢)، وقد حمل هؤلاء معهم كرهاً للحكومة البريطانية ونقلوا هذا الكره إلى أولادهم^(١١٣).

أظهر تعداد عام ١٨٥١ أن عدد سكان أيرلندا انخفض من ٨.٥ مليون عام ١٨٤٥ إلى ٦.٥ مليون^(١١٤)، وأن استمرار تدفق الهجرة حتى بعد انتهاء المجاعة جعل

من أيرلندا ارضاً للعجائز وكبار السن^(١١٥)، وتقلصت مساحة الأراضي التي تزرع بالحبوب من (٣) مليون أكر إلى (١ ½) مليون أكر، وبسبب ذلك أوجه الملاك إلى رعي الأغنام والماشية، وتوفير المنتجات الحيوانية لتصديرها لبريطانيا^(١١٦).

لقد أبحر آلاف من الأيرلنديين للهجرة خارج أيرلندا بواسطة سفن التوابيت Coffin Ships التي كانت تفتقر إلى أبسط الشروط الصحية، ففي آب ١٨٤٧ نصف ركاب عشر سفن لقوا حتفهم بسبب نقص الهواء والماء والمواد الغذائية وانتشار الأمراض بينهم^(١١٧).

وقد أدت الحكومة البريطانية دوراً في تشجيع هجرة الأيرلنديين من خلال توفيرها الممرات الآمنة لهم وتقديم المساعدات لهم للهجرة إلى أمريكا الشمالية^(١١٨).

أما الأثر السياسي للمجاعة فقد كان كبير جداً، فالكثير من الأيرلنديين يعتقدون أن الحكومة البريطانية لم تفعل شيئاً يذكر لمساعدتهم لذلك كانوا يعتقدون أن الطرف الوحيد القادر على مساعدة أيرلندا هو الشعب الأيرلندي، وعلى هذا الأساس شهدت الأعوام التي أعقبت المجاعة ولادة العديد من المنظمات السياسية الأيرلندية التي كانت تتطلع إلى التخلص من الحكم البريطاني وتأسيس جمهورية أيرلندية مستقلة^(١١٩).

وأخيراً لابد من القول أنه وعلى الرغم من المعاناة الإنسانية التي تركتها المجاعة في نفوس الأيرلنديين، إلا أنها كانت الحدث الأهم الذي استطاع أن يغير في مجرى التاريخ الأيرلندي والانكليزي على السواء. إذ أدى ايرلنديو الولايات المتحدة دوراً كبيراً في الأحداث التي جرت في أيرلندا بعد المجاعة من خلال دعمهم المادي والمعنوي للحركة الوطنية الأيرلندية وهذا الأمر انعكس إيجابياً على موقف الحكومة البريطانية التي بدأت تفكر جدياً بوضع القضية الأيرلندية على طريق الحل.

الخاتمة

تعد أزمة المجاعة التي حدثت في أيرلندا خلال المدة من ١٨٤٥-١٨٥١ من أسوأ الأحداث التي شهدتها أيرلندا في القرن التاسع عشر وقد ترتب على أثرها نتائج كثيرة من أبرزها :

١- رسمت المجاعة حداً فاصلاً في التاريخ الديموغرافي لأيرلندا، إذ انخفض عدد سكان أيرلندا من ٨.٥ مليون نسمة عام ١٨٤٥ إلى ٦.٥ مليون نسمة بحلول عام ١٨٥١، ففقد هاجر نحو مليون شخص إلى بريطانيا وأمريكا وكندا وأستراليا، وتوفي حوالي مليون شخص من الجوع والمرض، وقد كان لهؤلاء المهاجرين تأثير كبير وقوي على الأحداث السياسية والاقتصادية في أيرلندا فيما بعد.

٢- على الرغم من الإجراءات الكثيرة التي قامت بها الحكومة البريطانية لاحتواء الأزمة خلال وزارتي روبرت بيل وجون رسل إلا أن جهود الحكومة لم تكن بالمستوى المطلوب إذ أن أعمال الإغاثة لم تستمر طويلاً ففي بداية المجاعة استندت خطة الإغاثة على توفير الأشغال العامة وبعدها على إنشاء مطابخ الحساء وأخيراً الاعتماد على قانون الفقراء.

٣- أدت المجاعة إلى تنامي الشعور القومي الأيرلندي أكثر من أي وقت مضى ولاسيما بعد فشل ثورة ١٨٤٨، وتوصل الأيرلنديون إلى قناعة بأنهم الوحيدون القادرون على مساعدة أنفسهم والتخلص من الحكم البريطاني، لذلك نرى ظهور العديد من التنظيمات السياسية والاجتماعية التي تشكلت بعد المجاعة ومطالبتها بتحرير أيرلندا من الحكم البريطاني.

(١) البديري، علي حسين علي حمود، التطورات السياسية في أيرلندا الجنوبية ١٩٢١-١٩٤٩، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، نيسان ١٩٩٩، ص ١١.
(٢) العيكلي، صالح حسن عيسى، القضية الأيرلندية ١٨٦٨-١٩٢١، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية - ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٥، ص ٢.

(٣) Georg, H. B., The Relation of Geography and History, oxford, 1924, P.138.

(٤) Bloy, Marjie, The Irish Famin : 1845-1849, [www. Victorianwet. org> history> famine](http://www.Victorianwet.org/history/famine); Connell ,K.H, Irish Population, Economy, And society, Clarendon press, oxford, 1981, P.164.

(٥) أصدر البرلمان البريطاني مرسوماً في الثاني من تموز ١٨٠٠ نص على اتحاد أيرلندا وبريطانيا وعرف هذا الاتحاد باسم المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى The United Kingdom of great Britain and Ireland ودخل هذا المرسوم حيز التنفيذ في الأول من كانون الثاني عام ١٨٠١، فأصبح لأيرلندا بموجب المرسوم الجديد ٣٢ عضواً في مجلس اللوردات و ١٠٠ آخرين في مجلس العموم، على أن يدير شؤونها نائب ملك Lord Lieutenant (القائم مقام العام) وكان يقيم في لندن.

أنظر : السوداني، صادق حسن، مشكلات تاريخية معاصرة، مجموعة محاضرات أُلقيت على طلبة الدكتوراه في قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بغداد، السنة التحضيرية ١٩٩٩-٢٠٠٠.

(٦) العيكلي، المصدر السابق، ص ٢١ .

(٧) Somervell, D. C., Modern Britain, London, Methuen, 1944, P.18.

(٨) Maurios, Andre, A History of England, London, 1962, P.460.

(٩) Helton, Herbert, Economic history of Europe, New York, Harper and Breather, 1964, P.456.

ومن الجدير بالذكر فأن الأيكر وحدة لقياس مساحة الأرض تساوي ٢٤٠٠٠ م٢. أنظر :

Peacock, Herbert L., A History of Modern British 1815 to 1876, London, Heinemann Education Book, 1967, P.122.

(١٠) كان الأيرلنديون الكاثوليك يدفعون العشر للكنيسة الانجليكانية على الرغم من عدم حضورهم لمراسيمها أو التزامهم بها، لأنها لا تمثل مرجعية دينية أو روحية لهم، والاتفاق عليها في وقت كان فيه الكاثوليك يؤدون طقوسهم في بنايات مهدمة أو في العراء، وقد قدرت المصادر التاريخية

البريطانية الإيرادات السنوية للكنيسة من ضريبة العشر بما يقارب (١٥) ألف باون، وعدا ذلك فإن إيراداتها السنوية بلغت (٦٠٠) ألف باون جلها من الكاثوليك. أنظر :

Schevill, Ferdinand, A History of Europe From the Reformation to the Present Day, New York, Harcourt, Brace and Co., 1946, P.593;

البيديري، المصدر السابق، ص ٤٠.

(١١) الربيعي، هناء شاكر، التطورات السياسية في أيرلندا ١٧٨٩-١٨٦٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، أيلول ٢٠٠٠، ص ٩٣-٩٤.

(١٢) العيكلي، المصدر السابق، ص ٢١.

(13) Woodham, Smith, Cecil, The great hunger Ireland 1845-1849, Hamish Hamilton, London, 1962, P.22.

(14) Iunt, W. E., History of England, New York, Harper and Brothers, 1959, P.622.

(15) Morely, Jhon, The Life of William Ewart Gladstone, New York, The Macmillan Company Ltd, 1909, Vol.2, P.286.

(١٦) العيكلي، المصدر السابق، ص ٢٣.

(17) Curtis, Edmund, A History of Ireland, London, Methuen and Co. Ltd; 1960, P.370.

(١٨) سميت اللجنة بهذا الاسم نسبة إلى رئيسها أرثر دفن وهو احد أعضاء مجلس اللوردات، أنظر :

Plumb, J. H. and Others, Foreign Policy and Span of Empire 1880-1971, A documentary history, London, Chelsea house, 1972, P.1653.

(19) Wood ham, Op. Cit, P.39.

(20) Plumb and Others, Op. Cit, P.1653.

(٢١) الربيعي، المصدر السابق، ص ٩٣.

(٢٢) العيكلي، المصدر السابق، ص ٢٣.

(23) Macider, Halford. J., Britain and British Seas, Oxford, Clarend on Press, 1930, P.306.

(٢٤) حاطوم، نور الدين، تاريخ الحركات القومية، ج٣، بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٦٧، ص ٢٤٢.

(25) Woodhom, Op. Cit, P.32

(٢٦) ناسيو سينيور : محامي واقتصادي انكليزي ولد في ٢٦ أيلول ١٧٩٠، وكان له تأثير كبير في السياسات الاقتصادية والسياسية البريطانية، درس في ايتون واكسفورد، أصبح واحداً من قادة

النظريات الاقتصادية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، توفي في ٤ حزيران ١٨٦٤.
أنظر :

<https://www.britannica.com>biogvaphy>.

(27) woodhom, Op. Cit, P.32.

(28) Ibid, P.34.

(29) Ibid.

(30) Connell, Op. Cit, P.94.

(٣١) دزرائيلي : بنيامين دزرائيلي، ولد في ٢١ ك ١ ١٨٠٤ في لندن، وهو من أب أيطالي يهودي، وكان الأبْن الكبر لأسحاق دزرائيلي Issac Disraeli، الذي عمد ابناؤه ومنهم بنيامين مسيحيين عام ١٨١٧، وقد قرر دزرائيلي الأبْن عام ١٨٣١ أن يدخل الحياة السياسية، وأصبح في عام ١٨٣٧ عضو حزب المحافظين في مجلس العموم، صار وزيراً للخزانة، وأصبح رئيساً للوزراء مرتين الأولى عام ١٨٦٨، والثانية للمدة من ١٨٧٤-١٨٨٠ لقب أيرل فصار يعرف بأيرل أو لورد بيكونسفيلد، ويعد مؤلفاً له العديد من الروايات والكراسات السياسية، توفي في لندن في ١٩ نيسان ١٨٨٠. أنظر :

Encyclopedia Britannica, London, William Benton, 1971, Vol.3, PP.316-380.

(32) Woodhom, Op. Cit, P.31.

(33) Ibid.

ومن الجدير بالذكر فأن أغلب المصادر تذكر أن عدد سكان أيرلندا عام ١٨٤٥ بلغ أكثر من ٨.٥ مليون نسمة.

(34) The Great Famine in Ireland 1845.1849, www.ego4u.com.

(٣٥) الربيعي، المصدر السابق، ص ٩٥ .

(36) Woodhom, Op. Cit, P.39.

(37) Musson, A. E., Trade Unon and Social history, London, 1974, P.108.

(38) Joel, Moker, Great Irish Famine, www.britanica.com.

(39) Woodham, Op. Cit, P.39.

(٤٠) روبرت بيل : سياسي بريطاني ولد في الخامس من شباط عام ١٧٨٨، درس في مدرسة هارو والكنيسة المسيحية في اكسفورد، دخل مجلس العموم البريطاني عام (١٨٠٩)، أصبح الوزير الأول للشؤون الأيرلندية بين عامي (١٨١٢-١٨١٨)، ووزير داخلية (١٨٢٢-١٨٢٧) و (١٨٢٨-١٨٣٠) ورئيس وزراء لمرتين الأولى (١٠ ك ١ ١٨٣٤-٨ نيسان ١٨٣٥) والثانية

(أيلول ١٨٤١ - ٢٩ حزيران ١٨٤٦) توفي في ٢ تموز ١٨٥٠، أنظر : Britannica, Vol. 17, P.579.

(41) Hamm, Jeffrey, The evill good Mendo, Black House Publishing Ltd, London, 2013, P.131-132.

(42) Gladden, E. N., A History of Public Administration, London, 1972, Vol.11, P.32.

(43) Hamm, op. cit., P.131-132.

ومن الجدير بالذكر أصبح عدم الثقة بمحصول البطاطا حقيقة واقعية ومقبولة في أيرلندا شأنها شأن الطقس الذي لا يمكن التكهن به بدقة، فقد سجل إحصاء أجري في أيرلندا عام ١٨٥١ أن أيرلندا شهدت (٢٤) فشلاً لمحصول البطاط من بينها أعوام ١٧٢١، ١٧٣٩، ١٧٤٠، ١٨٠٧، ١٨٣٢،

١٨٨٣، ١٨٣٤ وللتفاصيل أنظر : Woodhom, Op. Ct, P.39.

(44) قوانين الحبوب : مصطلح يشير إلى القوانين والأنظمة التي تحكم عمليات استيراد الحبوب وتصديرها ويعود أقدم هذه القوانين لعام ١٣٦١ إذ منعت تصدير الحبوب خارج بريطانيا غير أن هذا الحظر أزيل عام ١٣٩٣ وبعد أن أعيد تم تخفيفه عام ١٤٣٥ ثم صدرت قوانين مماثلة عام ١٥٢٥ و ١٥٣٤ إذ أعادت الملكة البريطانية ماري العمل بها. وفي عام ١٨٩٣ صدر قانون آخر حول أسعار الشعير. انظر :

Lipson, E.F., The Economic History of England, London, 1961, P.449.

(45) British Policies During the great Famine, www.mtholyoke.edu.

(46) غراهام Sir James Graham سياسي بريطاني ولد في ١ حزيران ١٧٩٢ حصل على دكتوراه في الحقوق من جامعة كامبردج عام ١٨٣٥، أصبح عميد لجامعة غلاسكو عام ١٨٤٠، وقائد القوات البحرية من ١٨٣٠-١٨٣٤، سكرتير وزير الداخلية من أيلول ١٨٤١-تموز ١٨٤٦، ومرة ثانية قائد القوات البحرية من ١٨٥٢-شباط ١٨٥٦، توفي في ٢٥ ت ١٨٦١. انظر :

Wikipedia, The Free Encyclopedia, <https://en.m.wikipedia.org>.

(47) Woodhom, Op. Cit, P.125.

(48) أبردين : جورج هاملتون - غوردن Georg Hamillton-Gordon، سياسي بريطاني ولد في ٢٨ ك ١٧٨٢، تولى وزارة الخارجية مرتين (حزيران ١٨٢٨ - ت ١٨٣٠) و (أيلول ١٨٤١ - تموز ١٨٤٦)، في حكومة بيل ووزير حرب من (ت ١٨٣٤ - نيسان ١٨٣٥) كان متحمساً

لمشاركة بريطانيا في حرب القرم ضد روسيا، توفي في ١٤ ك ١٨٦٠. أنظر : Britannica, Vol.1, P.29.

(٤٩) سدني هيربرت Sidney Herbert : سياسي بريطاني ولد في ١٦ أيلول ١٨١٥، تلقى تعليمه في هارو واكسفورد، دخل البرلمان عام ١٨٣٢، كمحافظ، وأصبح في عام ١٨٤٥ سكرتير وزارة الحرب ومرة ثانية من (١٨٥٢-١٨٥٥) ومرة ثالثة عام ١٨٥٩، توفي في ٢ آب ١٨٦١. انظر :

Wikipedia, The Free encyclopedia, <https://en.m.wikipedia.org>.

(50) Kinealy, Christine, The Great Calamity, The Irish Famine 1845-1852, London, Gill and Macmillan Ltd, 1994, P.29.

(51) Cash, Norman, The age of Peel, London, Edward Arnold, 1970, P.128.

(52) Sherman, Hugh, Anglo-Irish Relation, London, N.D, P.90.

(53) The great Famine of 1845, www.historylearningco.u.k.

(54) Irwin, Douglas, A Political Economy and Peel's Repeal the Corn Laws, Vol. 1, London, 1989, P.51.

(55) Cash, Op. Cit, P.128.

(56) Plumb and others, Op. Cit, P.1667.

(57) Cash, Op. Cit, P.128.

(٥٨) سير شارلز تريلفيان Sir Charles Edward Trevelyan, 1st Baronet. ولد في ٢ نيسان ١٨٠٧ موظف مدني وإداري استعماري، خدم في حكومة مستعمرة كالكتا في الهند، رجع الى انكلترا عام ١٨٤٠، ألف كتاب "الأزمة الأيرلندية" ونشره عام ١٨٤٨، توفي في ١٩ حزيران ١٨٨٦. انظر :

Sir Charles Edward Trevelyan. Wikipedia, The Free Encyclopedia. <https://en.m.wikipedia.org>.

(59) Walsc, Tom, British Policy Worsened Potato Famine, www.thegazette.com,mar 28, 2014.

(٦٠) ستانلي: أدورد جورج جفري ستانلي Edward George Geoffrey Stanly سياسي بريطاني ولد في ٢٩ آذار ١٧٩٩، دخل البرلمان عام ١٨٢٠، أصبح سكرتير شؤون أيرلندا عام ١٨٣٠، التحق عام ١٨٤٠ بالوزارة، الا انه استقال في السنة نفسها بسبب مسألة الكنيسة الأيرلندية، أصبح رئيس وزراء ثلاث مرات في ١٨٥٢، ١٨٥٨ - ١٨٥٩ و ١٨٦٦، توفي في ت ١ ١٨٦٩. انظر : Brittannieca, Vol. IX, P.478.

(٦١) دوق بوكليج والتر مونتنيغ دوغلاس سكوت Walter Montagu Douglas Scott سياسي بريطاني ولد في ٢٥ ت ١٨٠٦، تولى منصب رئيس مجلس اللوردات من ك ٢ - تموز ١٨٤٦، أصبح مستشار في جامعة غلاسكو وبقي في هذا المنصب حتى وفاته في ١٦ نيسان عام ١٨٨٤. انظر:

Wikipedia, The Free Encyclopedia. <https://en.m.wikipedia.org>.

(٦٢) Irwin, op. cit., P.51.

(٦٣) فيكتوريا : ملكة بريطانيا وأيرلندا وامبراطورة الهند، ولدت في ٢٤ مايس ١٨١٩ في قصر كينسنگتن وسميت عند تسميتها الكسندرينا فكتوريا alexandrina Victoria وهي الأبنة الوحيدة لأدوارد دوق كنت Kent الأبن الرابع للملك جورج الثالث Georg III والدتها الأميرة ماري لويس فكتوريا Mary Louis Victoria خلفت عمها وليام الرابع Wiliam IV عام ١٨٣٧، إذ تولت العرش في ٢ حزيران ١٨٣٧، وتوجت في ٢٨ حزيران ١٨٣٨، توفيت في ٢٢ ك ١٩٠١ أنظر :

The American Peoples Encyclopedia, U.S.A, Griller Incorporated, 1952, Vol.19, Col. 304.

(٦٤) رسل : سياسي بريطاني ولد في ٨ آب ١٧٩٢، كان زعيم حزب الأحرار في مجلس العموم عام ١٨٣٤، تولى وزارة الداخلية ١٨٣٠-١٨٣٩، ووزارة الحرب والمستعمرات ١٨٣٩-١٨٤١، ووزارة المستعمرات (شباط-تموز ١٨٥٥)، ووزارة الخارجية ١٨٥٢-١٨٥٣ و ١٨٥٩-١٨٦٥ ورئاسة الوزراء (١٨٤٦-١٨٥٢) و (١٨٦٥-١٨٦٦)، توفي ٢٠ آب ١٨٧٨. أنظر : Britannica, Vol.19, P.771.

(٦٥) Mccarthy, Justin, The Epoch of Reform 1830-1850, New York, Chares Scribner's Sons, N.D, P.185.

(٦٦) Aldington, Richard, Wellington, London, 1946, P.335.

(٦٧) The Great Famine of 1845, Op. Cit.

(٦٨) Beckett, J. c., Ashort history of Ireland, London, Hutchinson University Library, 1960, P.144.

(٦٩) Maynard, Il. Smith, Reformation England, London, 1963, P.273.

(٧٠) The Great Famine of 1845, www.historyireland.ie .

(٧١) The Great Famine, www.askaboutireland.ie

(٧٢) Barhes. Donald grove, A history of English Corn Law from 1660 -1846, London, Poutledge Publishers, 2013, P.266

(73) Cash, Op. Cit, P.132.

(74) Mccarthy, Op. Cit, P.182.

(75) Irwan, op. cit., P.51.

(٧٦) قانون الإكراه: صدر هذا القانون لأول مرة في التاريخ الإنكليزي عام ١٧١٧، ووسع عام ١٧٩٨، لمنع الاجتماعات العامة وبموجب هذا القانون ازدادت السلطات القمعية التي تتمتع بها الحكومة، واستمر العمل بهذا القانون حتى عام ١٨٨٠، وعندما لم تستطع الحكومة المحافظة على النظام في أيرلندا في ظل القانون العادي تلجأ إلى إصدار قوانين إكراه جديدة. انظر

Langer, William L., An Encyclopedia of world history, London, George G. Hap and co. Ltd. 1948.

(77) Cash, Op. Cit, P.132.

(78) Gray, Peter, The Irish Poor Law and the great Famine, Queen's university Belfast, www.helsinki.fi>iehc 2006.

(79) Peel's Relief programme to July 1846, Wesley Johanston > ireland.

(80) Ibid.

(٨١) دانييل أوكونييل Danial O'connell : قائد سياسي أيرلندي ولد في ٦ آب ١٧٧٥ وهو ابن مالك أرض صغير، درس في فرنسا في الكليات الخاصة بالكاثوليك، درس القانون في لندن، ومارس المحاماة، لكنه انخرط في العمل السياسي من أجل أيرلندا، كان هدفه الحكم الذاتي وليس الانفصال، توفي في مدينة جنوا الإيطالية عندما كان في طريقه إلى روما في ١٥ أيار ١٨٤٧. أنظر : Britannica, Vol.10, P.85.

(82) Scherer, Panl, Lord John Russell, A Biography, London, Associated University Press, 1999, P.161.

(83) Gray, Op. Cit, P.4.

(84) Thegreat Famin in Ireland 1845-1849, Op. Cit.

(85) Gray, Op. Cit, P.4.

(٨٦) قانون الفقراء : قانون صدر عام ١٨٣٨ لمساعدة الفقراء الأيرلنديين عن طريق التبرعات الخيرية، وصدرت خلال الأعوام ١٨٢٥ و ١٨٣٧ سبعة قوانين للفقراء خاصة بأيرلندا، وقد أتفق خبراء الاقتصاد السياسي على ضرورة تدخل الدولة لتوزيع المساعدات على الفقراء. أنظر :

Kinealy, The Great Calmity..., P.34.

(87) Bexar, Gunilla, The Great Famine in History-Writing and Prose Fiction, finland, Abo Akademi University Press, 2016, P.48.

(٨٨) سير وليام هنري غريغوري William Henery Gregory سياسي وكاتب انكلو-ايرلندي، ولد في ١٣ تموز ١٨١٦، انتخب عام ١٨٤٢ في مجلس العموم، كمحافظ ممثلاً عن دبلن، توفي في ٦ آذار ١٨٩٢، أنظر :

(89) Hauerland, Premysl, Genocide, Market Economics and the Irish Famine, A Thesis Submitted to the Masaryk University Faculty of Art, 2012, P59.

(90) Fegan, Melissa, Literature and the Irish Famine 1840-1991, Oxford, Clarendon Press, 2002, P.62.

(91) Scherer, Op. Cit, P.163.

(92) Peel and Ireland 1841-1846, English History, www.historyhome.co.uk>ireland>peelive.

(93) Scherer, Op. Cit, P.163.

(94) peel and Ireland 1841-1846, Op. Cit.

(95) Scherer, Op. Cit, P.163.

ومن الجدير بالذكر بأن السبب الحقيقي لإنهاء أعمال الإغاثة حسب اعتقاد رسل أنها كانت مكلفة ومرهقة لخزينة الحكومة، إذ أنها كلفت الخزينة خلال ستة أشهر أربعة ملايين ونصف المليون جنيه. أنظر :

Kinealy, Christine, How the British government responded to the great hunger in Ireland, www.irishcentral.com.

(96) Scherer, Op. Cit, P.171.

(٩٧) أيرلندا الفتاة: جمعية أيرلندية تأسست عام ١٨٤٨ وكانت مشابهة لجمعية جوزيف مازين إيطاليا الفتاة، وكانت ترمي لإقامة جمهورية أيرلندية مستقلة. أنظر :

Hayes, Carlton, J., Apolitical and Cultural history of Modern Europ New York , 1932, Vol.2, P.358.

(98) Beckett, Op. Cit, P.145.

(٩٩) جون ميتشل : محامي وصحفي بروتستانتني، ولد في ٣ ت ٢ ١٨١٥، وقف إلى جانب اوكونيل

في حملة إلغاء الاتحاد بين بريطانيا وأيرلندا، وهو أحد أبرز قادة ثورة ١٨٤٨، اتهم بالخيانة وحكم عليه بالسجن لمدة ١٤ عام، توفي في ٢٠ آذار ١٨٧٥. أنظر : Britannica, Vol.7, P.118.

(١٠٠) ميكر : وطني أيرلندي، ولد في آب ١٨٢٣، أسس الفيدرالية الأيرلندية عام ١٨٤٧، أقام في

الولايات المتحدة منذ عام ١٨٢٢، وشارك في الحرب الأهلية الأمريكية ١٨٦١-١٨٦٥ توفي في

١ تموز ١٨٦٧ أنظر : Britannica, Vol.6, P.734.

(١٠١) ديلون : وطني أيرلندي ولد عام ١٨١٦، كاثوليكي المعتقد، شارك في ثورة ١٨٤٨ وحكم عليه بالسجن المؤبد، إلا أنه تمكن من الهرب إلى الولايات المتحدة، توفي عام ١٨٦٦، أنظر :

Britannica, Vol.4, P.96.

(102) Joyce, P. W., An illustrated History of Ireland, Dublin, The Educational Co., 1919, P.493.

(103) Fegon, Op. Cit, P.67.

(104) Peel and Ireland 1841-1846, Op. Cit.

(105) Scherer, Op. Cit, P.158.

(106) Ibid, P.163.

(١٠٧) الربيعي، المصدر السابق، ص ١٠٥.

(108) Houerland, Op. Cit, P.42.

(109) Kinealy, Christine, A Death – Dealing Famine, The great hunger in Ireland, London, Pluto Press, 1997, P.144.

(110) Fegon, Op. Cit, P.71.

(111)

[https://en.m.wikipedia.org/wiki/Great_Famine_\(Ireland\),Wikiped,TheFreeEncyclopedia](https://en.m.wikipedia.org/wiki/Great_Famine_(Ireland),Wikiped,TheFreeEncyclopedia).

(112) Johnstorn, Wesley, Effects of the Famine : Emigration, www.wesleyjohnston.com> Ireland>Past.

(113) Henry, Robert Michael, The Evolution of Sinnfein, Dublin, The Talbot Press, Ltd, N.D, P.21.

(114) Mcguir, Jamsck, The King The Kaise And Irish Freedom, New York, The Devin – Adair company, 1915, P.16;

السوداني، المصدر السابق .

(115) Wells, H. G., The outline of history, New York, Garden City Publishing Company, Ins., 1931, P.1066.

(116) Peacock, Herbert L. , a History of Modern British 1815 to 1976, London, Heinemann Education Book, 1976, P.122.

(117) The History Place – Irish Potato Famine : Coffin Ships, www.historyPlace.com

(118) BBC- history – British history in depth: the Irish famine – www.bbc.co.

(١١٩) السوداني، المصدر السابق.

قائمة المصادر :

١- المصادر الاجنبية :-

1. Aldington, Richard, Wellington, London, 1946.
2. Beckett, J. C., Assort history of Ireland, London, Hutchinson University Library, 1960.
3. Bexar, Gunilla, The Great Famine in History-Writing and Prose Fiction, finland, Abo Akademi University Press, 2016.
4. Cash, Norman, The age of Peel, Edward Arnold, London, 1970.
5. Connell ,K.H, Irish Population, Economy, Ands Cite, Cleaned on press, oxford.
6. Curtis, Edmund, A History of Ireland, London, Methuen and Co. Ltd, 1960.
7. Fegan, Melissa, Literature and the Irish Famine 1840-1991, Oxford, Clarendon Press, 2002.
8. Georg, H. B., The Relation of Geography and History, oxford, 1924,.
9. Gladden, E. N., A History of Public Administration, London, 1972.
10. Gray, Peter, The Irish Poor Law and the great Famine, Queen's university Belfast, www.helsinki.fi/iehc 2006.
11. Hayes, Carlton, J., Apolitical and Cultural history of Modern Europ New York , 1932, Vol.2.
12. Helton, Herbert, Economic history of Europe, New York, Harper and Breather, 1964.
13. Henry, Robert Michael, The Evolution of Sinnfein, Dublin, The Talbot Press, Ltd, N.D.
14. Irwin, Douglas, A Political Economy and Peel's Repeal the Corn Laws, Vol. 1, London, 1989.
15. Iunt, W. E., History of England, New York, Harper and Bothers, 1959.
16. Joyce, P. W., An Il lustrated History of Ireland, Dublin, The Educational Co., 1919.
17. Kinealy, Christine, A Death – Dealing Famine, The great hunger n Ireland, London, Pinto Press, 1996.
18. Kinealy, Christine, The Great Calamity, The Irish Famine 1845-1852, London, Gill and Macmillan Ltd, 1994.
19. Lipson, E.F., The Economic History of England, London, 1961.

20. Macider, Halford. J., Britain and British Seas, Oxford Clarend on Press, 1930.
21. Maurios, Andre, A History of England, London, 1962.
22. Maynard, Il. Smith, Reformation England, London, 1963.
23. McCarthy, Justin, The Epoch of Reform 1830-1850, Chares Scribner's New York, Sons, N.D.
24. Mcguir, Jamsck, The King The Kaise And Irish Freedom, New York, The Devin – Adair company, 1915.
25. Morely, Jhon, The Life of William Ewart Gladstone, New York, The Macmillan Company Ltd, 1909.
26. Musson, A. E., Trade Unon and Social history, London, 1974.
27. Peacock, Herbert L. , a History of Modern British 1815 to 1976, London, Heinemann Education Book, 1976.
28. Peel and Ireland 1841-1846, English History.
29. Plumb, J. H. and Others, Foreign Policy and Span of Empire 1880-1971, A documentary history, London, Chelsea house, 1972.
30. Scherer, Panl, Lord John Russell, A Biography, London, Associated University Press, 1999.
31. Schevill, Ferdinand, A History of Europe From the Reformation to the Present Day, New York, Harcourt, Brace and Co., 1946.
32. Sherman, Hugh, Anglo-Irish Relation, London, N.D.
33. Somervell, D. C., Modern Britain, London, Methuen, 1944.
34. Wells, H. G., The outline of history, New York, Garden City Publishing Company, Ins., 1931.
35. Woodham, Smith, Cecil, The great hunger Ireland 1845-1849, Hamish Hamilton, London, 1962.

٢ - الموسوعات

36. Encyclopedia Britannica, London, William Benton, 1971, Vol.3.
37. Langer, William L., An Encyclopedia of world history, London, George G. Hap and co. ltd. 1948.
38. The American Peoples Encyclopedia, U.S.A, Griller Incorporated, 1952.

٣ - المصادر العربية

٣٩. حاطوم، نور الدين، تاريخ الحركات القومية، ج٣، بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٦٧.

٤- الأطاريح والرسائل:

١- البديري، علي حسين علي حمود، التطورات السياسية في أيرلندا الجنوبية ١٩٢١-١٩٤٩، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، نيسان ١٩٩٩.

٢- العيكلي، صالح حسن عيسى، القضية الأيرلندية ١٨٦٨-١٩٢١، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية - ابن رشدن جامعة بغداد، ١٩٩٥.

٣- الربيعي، هناء شاكر، التطورات السياسية في أيرلندا ١٧٨٩-١٨٦٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، أيلول ٢٠٠٠.

٥- الاطاريح الاجنبية

6- Hauerland, Premysl, Genocide, Market Economics and the Irish Famine, A Thesis Submitted to the Masaryk University Faculty f Art, 2012.

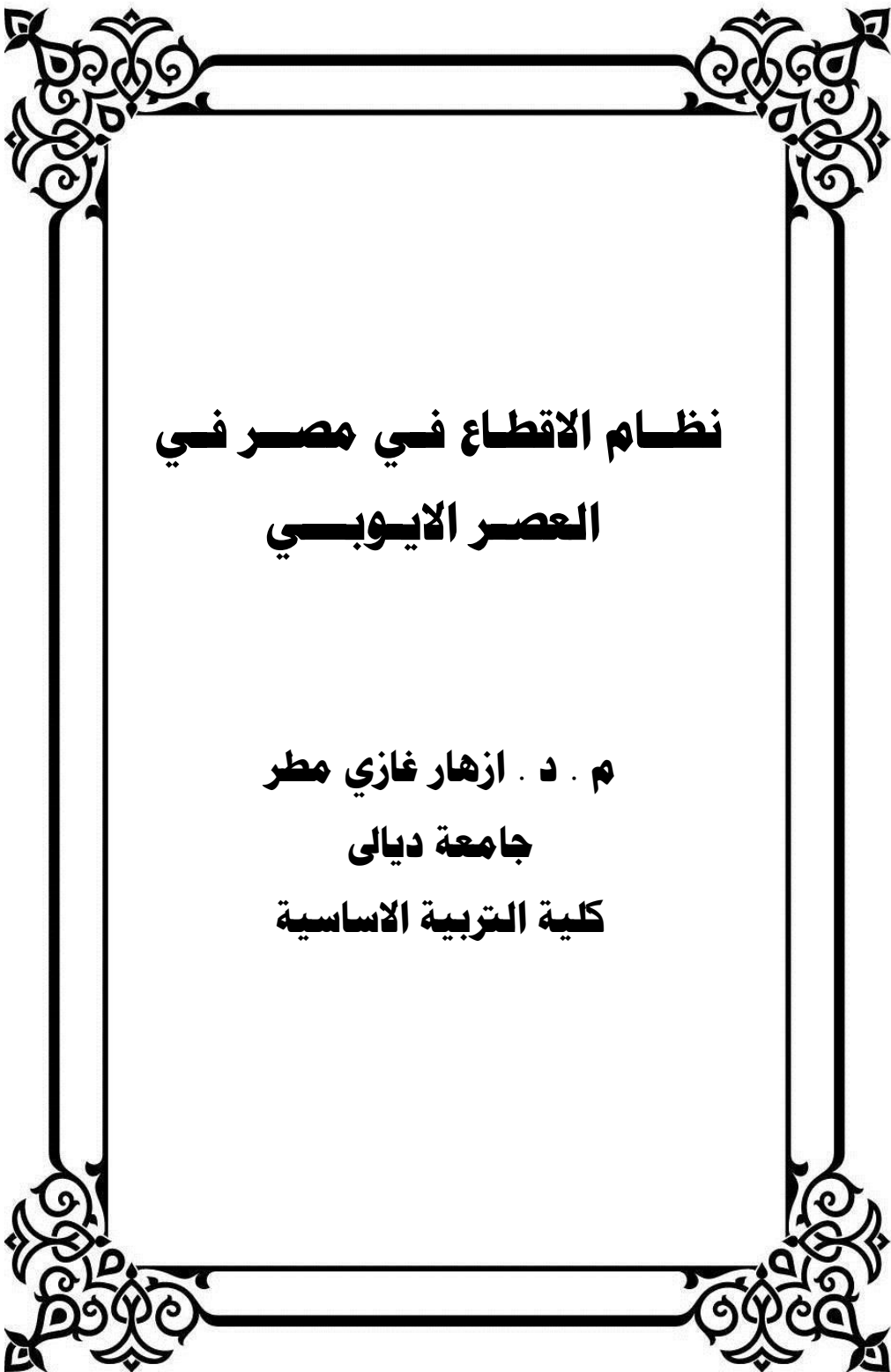
٧- أخرى

٤- السوداني، صادق حسن، مشكلات تاريخية معاصرة، مجموعة محاضرات أُلقيت على طلبة الدكتوراه في قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بغداد، السنة التحضيرية ١٩٩٩-٢٠٠٠.

٨- شبكة المعلومات :

1. Bloy, Marjie, The Irish Famin : 1845-1849, www.Victorianwet.org>history>famine.
2. British Policies During the great Famine, www.mtholyoke.edu.
3. Wikipedia, The Free Encyclopedia, <https://en.m.wikipedia.org>.
4. The great Famine of 1845, www.historylearningci.u.k.
5. The Great Famine in Ireland 1845.1849, www.ego4u.com.
6. Joel, Moker, Great Irish Fabian, www.britanica.com.
7. www.historyhome.co.uk>ireland>peelive.
8. Kinealy, Christine, How the British government responded to the great hunger in Ireland, www.irishcentral.com.
9. The Great Famine of 1845, www.historylearningsit.cu.uk.
10. The Great Famine, www.askaboutirelandi.ie

11. www.ucumberlands.edu>kmac,England'sRevolution:TheyomngIreland;Fegon.
12. [https://en.m.wikipedia.org>wiki,GreatFamiue\(Irelnad\),Wikiped,TheFreeEncyclopeedia](https://en.m.wikipedia.org>wiki,GreatFamiue(Irelnad),Wikiped,TheFreeEncyclopeedia).
13. Johnstorn, Wesley, Effects of the Famine : Emigration, www.wesleyjohnston.com>Ireland>Past.
14. The History Place – Irish Potato Famine : Coffin Ships, www.historyPlace.com



نظام الاقطاع في مصر في العصر الايوبي

م . د . ازهار غازي مطر

جامعة ديالى

كلية التربية الاساسية

نظام الاقطاع في مصر في العصر الايوبي

م . د . ازهار غازي مطر

الملخص

النظام الاقطاعي هو تفرد مجموعة بملكية الارض وما عليها من عباد ، اما المعنى الاخر هو نظام سياسي اجتماعي واقتصادي حربي قائم على حيازة الارض وتنظيم العلاقة بين السيد الاقطاعي والتابع والنظام الاقطاعي ، وقد تأثر الاقطاع الايوبي لسلسلة من التغيرات منها الوضع السياسي والاقتصادي والازمات التي تحدث اضافة الى الاوبئة التي ينتج عنها نقص في الفلاحين ، كذلك قام بعض السلاطين الأيوبيين بمجرد اعتلائهم للعرش يعملون على احداث تغييرات في توزيع الاقطاعات للاستيلاء على اقطاعات امراء السلطان ، السابق ومنها لمماليكهم ، لذلك تبين ان نظام الاقطاع لدى الأيوبيين كان وراثياً ، وكان الاقطاع العسكري بمثابة بديل عن الراتب مقابل الخدمة العسكرية وكان لصاحب الاقطاع مسؤوليات مثل توفير وحدة مجهزة تجهيزاً كاملاً لجيش السلطان زمن الحرب كذلك بناء القلاع، والحفاظ على مشاريع الري وايضاً يقوم بجمع الضرائب للدولة والرسوم المفروضة على المقطع .

تمهيد

لا بد من الاشارة الى الاقطاع في العصر الفاطمي لفهم التطورات التي حصلت على الاقطاع في العصر الايوبي ، والاقطاع هو من قطع قطيعة اي قاطعة من الارض تفرد عن بقية الاراضي يُطلق عليها " قطعة " ^(١) ، والاقطاع على نوعين

نظام الاقطاع في مصر في العصر الايوبي.....

اقطاع تملك بأن يقطع الامام ارضاً لنفر أو أكثر فيملكوها والنوع الثاني اقطاع استغلال واستغلال الارض دون امتلاكها ^(٢) .

كمان ان اقطاع التملك لم يكتب على المُقطعين أية واجبات عسكرية ، ولكن كان عليهم دفع العُشر الى بيت المال واصلاح الجسور والقنوات التي تقع في أرضهم ^(٣) .

وقد قمت الدولة الفاطمية بمنح مثل هذا الاقطاع في بداية عهدها خاصة لأولاد الخلفاء والامراء والوزراء مثل مكافاة لهم ويتم استحصال هذه الاراضي من اراضي الموات لاحرائها أو الاراضي التي توفي اصحابها دون وارث ^(٤) .

اما اقطاع الاستغلال الذي كان يُمنح للجند والقضاة وبعض الوزراء والامراء ويكون اقطاع على استغلال الارض دون تملكها ^(٥) ، فقد جعل الخليفة الفاطمي العزيز بالله لوزيره يعقوب بن كلس ^(٦) ، اقطاعاً بمصر والشام كان مبلغه ثلاثمائة دينار في السنة ^(٧) .

لقد مرت مصر بفترة فوضى داخلية وحروباً أهلية وكان ذلك في فترة حكم الخليفة المستنصر بالله ^(٨) (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٩٤ م) إذ شهدت تحول في النظام الاقطاعي وازدياد سلطة الجند والعسكر فعندما وصل بدر الدين الجمالي ^(٩) الى السلطة سنة ٤٦٧ هـ / ١٧٠٤ م أخذ العسكريون يحلون محل أرباب القلم في جباية الخراج ، وجعل لهم قيمة ضرائبية يؤدونها للدولة تسمى اقطاع ^(١٠) .

وقد استمد تسلط العناصر حتى أواخر الدولة الفاطمية وأخذوا يقطعون للأمراء والجُند ، ويبدو ان هذه الاقطاعات كانت من الاراضي الحكومية ^(١١) . واستمدت اقطاعات كبار الاجناد والامراء ، إذ تصرف بعض الامراء بالأراضي وكأنها ملكه فقام بغرس البساتين وانشاء الابنية ^(١٢) ، وأدى ذلك الى كثرة استيلاء صغار المُقطعين من الاجناد ، وذلك لأن اقطاعاتهم قل ارتفاعها وخربت مقابل الاقطاعات التي

نظام الاقطاع في مصر في العصر الايوبي.....

بيد الامراء زادت في الارتفاع ^(١٣) ، فرأى الوزير الافضل بن بدر الجمالي ^(١٤) معالجة هذه المشكلة لذلك قام بحل الاقطاعات وأعاد روحها ^(١٥) وقام بعمل مزايدة عليها ودعى الامراء والاجناد للمزايدة عليها ، وجُعِلت مدة الاقطاع ثلاثين سنة ^(١٦) .

يبدو ان هذا الامر قد أدى الى تهدة الاوضاع في مصر بسبب اقطاعات العسكرين ولكن هذه الاقطاع لم تنتهي في مصر الفاطمية بل استمر الى مجيء الايوبيين الى مصر .

الاقطاع في العصر الايوبي

كان الاقطاع السائد في العصر الايوبي على نوعين :

اقطاع اداري الذي اشتمل على الاسرة الحاكمة وكبار الامراء والموظفين وكان يشمل وحدة اقليمية ادارية ، أما النوع الثاني فهو الاقطاع العسكري أي الحربي الذي لا يختلف اصوله وقواعده عن الاقطاعات السلجوقية ^(١٧) ، ويبدو هذا واضحاً من خلال زيادة مداخيل رجال الدولة من العسكرين على هذا النحو وهذا تغير حصل في نظام الدولة عما كان عليه في العصر الفاطمي ، لأن الدولة الايوبية دولة ذات روح حربية عسكرية استمدت اصولها من الدولة الزنكية ومن قبلها الدولة السلجوقية ^(١٨) ، وان هذا التحول المالي الذي كان سببه تحول سلطة ادى الى زيادة الاعباء المالية المترتبة على الدولة لذلك قام الوزير السلجوقي نظام الملم ^(١٩) بإشاعة نظام الاقطاع العسكري بحيث يكون لكل منهم ما مقدار راتبه اقطاعاً ^(٢٠) ، لذلك سعى الامراء والجند لزيادة مداخيلهم عن طريق عمارة الاراضي الزراعية والاهتمام بشؤونها وتحسين أحوالها ^(٢١) . ونظراً لأن الدولة الايوبية امتداداً للدولة الزنكية ^(٢٢) ، وهي بدورها وريثة للسلاجقة في نظامها وادارها ^(٢٣) قام صلاح الدين بتعميم نظام الاقطاع العسكري في مصر بحيث اصبح معظم اراضيها الزراعية للسلطان وجنده وامراءه ^(٢٤) .

نظام الإقطاع في مصر في العصر الايوبي.....

فقد بدأ صلاح الدين الايوبي بتوزيع الاقطاعات في مصر منذ كان نائباً عن نور الدين ويدل ذلك على اقطاعات والده نجم الدين ايوب ^(٢٥)، تشمل عدد من أقاليم الديار المصرية ^(٢٦)، إذ قدر دخل منطقة البحيرة وحدها ب ٤٠٠ ألف دينار ^(٢٧)، أما إقطاع شمس الدولة توران شاه ^(٢٨)، كان يشمل قوص ^(٢٩)، واسوان ^(٣٠)، وعيذاب ^(٣١)، وقد كانت لهذه الاقطاعات إيرادات ضخمة ^(٣٢)، على اصحابها يدل على ذلك العبرة ^(٣٣)، المتحصلة عن الدولة ؛ فضواحي الاسكندرية كانت عبرتها في عام ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م ما مقدار (٨٠٠٠٣٨) دينار ^(٣٤)، وأما عبدة قوص واسوان وعيذاب في عام (٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م) ما مقداره (٢٦٦) ألف دينار ^(٣٥)، وبعد فترة أضاف صلاح الدين الى اقطاع أخيه تورانشاه منطقة بوش ^(٣٦)، وأصبح دخلها وملحقاتها (٧٠) ألف دينار والجيزة مع ملحقاتها وسمنود ^(٣٧)، ودخلها (٦٠) ألف دينار ^(٣٨).

أما في سنة ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م قام صلاح الدين بإراكة البلاد واعاد مسح الاراضي الزراعية لتقدير خصوبة التربة وتقدير الخُراج عليها لذلك بدأت مرحلة جديدة في توزيع الاقطاعات بين السلطان وامرائه واجناده ^(٣٩)، ولكن يبدو ان هذا التقدير يتغير من سنة الى اخرى تبعاً لما يصيب البلاد من نقص المحصول ، لانخفاض النيل أو طغيانه أو نتيجة الاهمال وغيره من العوامل التي تؤدي الى نقص المحصول أو زيادته .

لذلك كانت العبرة دائمة التغيير وهذا يتبعه تغيير في عبدة اقطاع لكل طائفة من حين الى آخر فمثلاً في سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م استقرت العبرة على النحو التالي :

١. الديوان العالي ٧٢٨,٧٤٨ ديناراً
٢. الامراء والاجناد والمرسوم بابقائهم في اقطاعاتهم ١٥٨,٢٠٣ دينار
٣. القضاة والشيوخ ٧,٠٠٤ ديناراً

٤. الغزاة والساقلة ١٠,٧٠٥ ديناراً^(٤٠).

ويتضح ان هناك اختلاف بين هذه المبالغ المُقدرة وبين ما هو مُحصل فعلاً^(٤١)، مما أدى الى جعل صلاح الدين الايوبي في اعادة النظر في توزيع الاقطاعات ومعرفة عبرها ، والنقص منها والزيادة فيها ، الى ان استقرت العبرة على ٦٤٨,٠٠٠ فارس ، منهم امراء مائة واحد عشر اميراً ، و ٦٩٧٦ طواشياً^(٤٢) ، و ٥٥٣ غلاماً من القراغلامية^(٤٣)، والمستقر منها جميعاً من المال ٣,٦٠٠,٠٧٥ ديناراً، وذلك خارج عن المحلولين^(٤٤)، من الاجناد والموسومين بالحوالة على العشر وعلى عدة العربان المقطعين بالشرقية والبحيرة^(٤٥).

ولم يمتد على التنظيم الاقطاعي سنتان ، حتى جعل صلاح الدين اقليم الفيوم اقطاعاً لأبن أخيه تقي الدين عمر^(٤٦).

أما في سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م اعاد صلاح الدين النظر في توزيع الاقطاعات^(٤٧)، وقد عمل صلاح الدين على تقسيم دولته بين اولاده واهله على أسس اقطاعية^(٤٨) وقد تم ذلك التقسيم بناء على نصيحة ابن جندر^(٤٩)، وقد اخذ صلاح الدين بنصيحة ابن جندر واعطى مصر لولده العزيز عثمان والشام لولده الافضل وحلب لولده الظاهر ، واعطى اخاه العادل اقطاعات كثيرة بمصر وجعله انابكاً للملك العزيز^(٥٠).

ويبدو انه حصل هناك تطور آخر في الاقطاع العسكري ففي سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م نشب نزاع بين ابناء صلاح الدين ، فقد كانت الامراء الاسدية قد ناصبت العداء للعزيز عثمان لتقديم الامراء الصلاحية عليهم ، فما كان من العزيز إلا أن قام بحرمان الامراء الاسدية من اقطاعاتهم لانهم انضموا الى جانب العادل والافضل ضده^(٥١)، وقد وصف المقرئ ذلك " كثرت بين الامراء اشاعة ان اقطاعاتهم تؤخذ منهم ، فقصروا في عمارة البلاد " ^(٥٢)، ولما كانت سياسة العادل مبنية على قاعدة

نظام الاقطاع في مصر في العصر الايوبي.....

التدخل في شؤون ابناء صلاح الدين سواء في مصر او الشام ^(٥٣) ، لذلك أرسل الى الاسدية يعدهم بالاقطاعات الوافرة اذا ظلوا على مواقفهم من العزيز فلما صارت الاتابكية للعادل اخذ في تنفيذ وعوده ، بأن اقطع الاسدية الاقطاعات الوافرة ^(٥٤) . وفي سنة ٥٩٦ هـ / ١٢٠٠ م أصبحت السلطة للعادل واعاد النظر في توزيع الاقطاعات اذ اقطع الملك العادل الاقطاعات المملولة من الامراء المنصرفين عن الخدمة وحاسب المستمرين حساباً شديداً ^(٥٥) .

سار العادل على نفس منهاج اخيه صلاح الدين ، ومن قبله السلاجقة وآل زنكي في تقسيم دولته بين ابنائه قبل وفاته ، فكانت مصر من نصيب الملك الكامل ^(٥٦) ، الذي عمل على ايثار ابناء البيت الايوبي بالاقطاعات الكبرى فأقر الفائز ابراهيم ، والمفضل قطب الدين على ما يديهما من اقطاع ^(٥٧) ، وقد استمر هذا الى بقية الملوك الايوبيين الذين تولوا السلطة وكانت لهم اقطاعات مخصصة لهم . يتضح ايضاً ان هناك اقطاعات للقبائل العربية اطلق عليها الاعتداء ^(٥٨) ، كما كانت غالبية اقطاعات القبائل العربية بمصر في مناطق معينة من الشرقية والبحيرة ^(٥٩) ، واهم هذه الاقطاعات ما اقطعه السلطان صلاح الدين لقبائل جذام وثلعة ^(٦٠) .

كما حصل العريان على الاقطاعات ايضاً اذ كان لديهم نصيب من هذه الاقطاعات لقاء تقديم خدمات عسكرية للدولة ^(٦١) ، والتجنيد كقوى عند الحاجة ، ومن ذلك انخراط ١٣٠٠ رجل من قبيلة جذام في الجيش ^(٦٢) ، اضافة الى قيام العريان بالمحافظة على الامن وحماية طريق التجارة ، ومعاقبة فُطاع الطرق ، ونقل الغلال ، اضافة الى ارسال الخيول كهدايا سنوية الى السلطان ^(٦٣) .

يتضح ان القبائل العربية المُقطعة تتعرض للعقوبة في حال اخلالها بواجباتها ، اذ امر صلاح الدين في سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م بمصادرة مستغلات العريان بالشرقية

نظام الاقطاع في مصر في العصر الايوبي.....

وان ينتقلوا الى اقليم البحيرة ، ومصادرة اقطاع جذام وثعلبة لقيامهم بنقل الغلال الى بلاد الفرنج ^(٦٤) ، كما اقتطع صلاح الدين من اقطاعات العريان الثلثين ، وعوض بها مقطعي الفيوم ، إلا ان العزيز اعاد الاقطاع لقبيلة جذام وثعلبة ^(٦٥) .

وكان للاقطاع ديواناً خاصاً به وهو احد الدواوين الملحقة بديوان الجيش مختصاً بما هو مقطع للاجناد ^(٦٦) ، وانحصر عمل هذا الديوان في اثبات الاقطاعات وعبرتها وما على المقطعين من دفعه الى بيت المال ^(٦٧) ، وحفظ السجلات المتعلقة بالاقطاع، دون حصول تغيير في الاقطاعات ^(٦٨) .

أما عن تغيير مراتب الاجناد وتوزيع الاقطاعات فيتم بمقتضى مرسوم يصدر عن السلطان عن طريق ديوان الجيش ، اذ كان يتولاها كاتب ديوان الجيش واذا حصل تغيير في احد المقطعين يتم ضمن منشور وبين ذلك كاتب الجيش اذ يذكر فيه تاريخ المنشور والمنتقل فيه واليه الاقطاع ، كذلك اذا ما سقط احد الاجناد (المقطعين) أعلم على اسمه بالوفاة ^(٦٩) .

وكان يرأس ديوان الجيش ناظر الجيش المسؤول عن النظر في الاقطاعات وما يخرج منها وما يدخل اليها وتحرير جزيئاتها ^(٧٠) ، كما كانت تحت يديه مستوفين أصغر منه للإشراف على اقطاعات العريان والمتقاعدين ^(٧١) .

وكان ديوان الجيش يتضمن اسماء ارباب الاقطاعات على اختلاف طبقاتهم ، وجميع افراد الجيش السلطاني ، وجيوش الامراء ، وابتداء امرتهم حسب السنين الهلالية وعن انتقل اليه الاقطاع ، وعدد الجند الذين يقتنيهم في اقطاعه وامام كل اسم عبدة اقطاعه (رمزاً لا تصديهاً) ^(٧٢) ، ويبدو ان سبب جعل الامنهم رمزاً وذلك من باب الحذر والسرية التي توخاها موظفو الدواوين ، ولن يتم الكشف عنها إلا بموجب مرسوم من السلطان ^(٧٣) .

نظام الاقطاع في مصر في العصر الايوبي.....

وكان رئيس الديوان يطلب من موظفيه ان يسترفعوا في كل سنة نسخة قوانين ري البلاد ، ليحكم ما نقص وما زاد من الاراضي المزروعة كذلك نسخة من السجلات من الاقاليم لمعرفة ما آل اليه امر مواردها المالية ^(٧٤) .

ويتضح اهمية اوراق السجلات لما تحويه من مشروعات تشمل اسم كل فلاح وفدانه مفصلاً بجهاته وعند نبات الزرع تمسح ارضه عن طريق مباشري المساحة ومعهم كاتب العمل والقصابين كما يعينون اصناف المزروعات ^(٧٥) .

ويحرص ديوان الجيش على متابعة الاحوال الزراعية في الاقطاعات ومراقبتها واعادة النظر في الاموال المفروضة على اصحابها كل ثلاثة اعوام ^(٧٦) ، وتقدر قيمة الاقطاعات بالعبرة وتعرف بأنها ما يتأوله المقطاع من الاراضي المقطعة له ^(٧٧) .

كما استعمل الديوان الدينار الحبشي ^(٧٨) ، كوحدة نقدية لتقدير قيمة عبدة مختلف الاقطاعات اذ جعلوا لكل اقطاع عبدة دنانير معينة من قليل او كثير ، وربما كان متحصل مائة دينار في اقطاع أكثر من متحصل مائتي دينار فأكثر من اقطاع اخر ^(٧٩) .

ويبدو ان الاقطاعات كانت تمنح كبديل للراتب مقابل الخدمة العسكرية وتتناسب سعتها وعدد الجند الذين يعتمدون عليها ^(٨٠) ، واذا اعطى السلطان اقطاعاً جديداً لأحد المقطعين كان على المقطاع تقديم عدداً أكبر من الجيش الى السلطان ، ففي توقيع لأحد العناصر الممتازة في الجيش يوضح ان الاقطاع كان نظير ما قدمه الامير من خدمات حربية وشمل وصية للمقطاع بأن يكون دائماً في " التأهب للخدمة كالسهم الموضوع في وتره " وان يكثر من الفرسان بزيادة العطاء لهم ، حتى يعينهم على اعداد القوة ^(٨١) .

كما كانت على المقطاع بعض الواجبات الاقتصادية منها اتقان الجسور وصيانة مشاريع الري الداخلة في اقطاعه والمساهمة في حفر الخلجان التي تزود بلاده بالمياه

نظام الاقطاع في مصر في العصر الايوبي.....

في حالة ازدياد نسبة الترسيب ، وإمداد الفلاحين بالتقاوي واقتناء العدد المقرر عليه من الجند ، وتخصيص جزء من اقطاعه لكل منهم سواء أكان في صورة اقطاع صغير أو مرتب وتوزيع النفقات فيما بين المقطعين بما يتناسب وسعة كل اقطاع (٨٢) .

اضافة الى جمع ضريبة الخراج والتزامات اقطاعه للدولة مثل اداء ضريبة الجزية والزكاة ، ونصيبها من الاتبان والفرايح (٨٣) ، وغالباً ما كان المقطعون يأخذون أكثر من نصيبهم من الفرايح (الدجاج) بعد تحصيلهم لنصيب الدولة (٨٤) .

وبما ان الدولة الايوبية قد حدثت فيها الكثير من الازمات الاقتصادية والايوية فقد اثرت على الفلاحين اذ كان المقطعون يرسلون اجنادهم لزراعة الارض ، ففي سنة ٥٩٦ - ٥٩٨ هـ / ١٢٠٠ - ١٢٠٢ م حلت موجة من الوباء رافقها نقص في اعداد الفلاحين فقام الجند بزراعة الاراضي المقطعة وحصاد المحصول وطحن الحبوب (٨٥) .

يتضح مما سبق ان الاقطاع الايوبي كان وراثياً (٨٦) ، اذ ابقى صلاح الدين في سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م لشيركوه بن ناصر الدين محمد بن شيركوه وهو طفل في الثانية عشر من عمره إقطاع حمص والرحبة وذلك بعد وفاة ابيه (٨٧) ، كما كان الملك الصالح نجم الدين ايوب اذا مات احد مماليكه وكان له ولد انعم باقطاع ابيه عليه (٨٨) .

وقد حرصت الدولة على ان لا يكون الاقطاع كتلة اقليمية واحدة ، وتوزيع اقطاعات الامراء والاجناد في عدد من الاعمال وضمن العمل الواحد ، فغالباً ما كانت القرى المقطعة بعيدة عن بعضها البعض حتى ان بعضها كان في الشام ويبدو السبب في ذلك الحد من قدرة الامراء في تكوين أي نفوذ لهم في مناطق اقطاعاتهم والثورة على الدولة ، اضافة الى ان السلطان كان غالباً ما يمنح الاقطاعات الشاغرة ، والتي لا تكون في منطقة واحدة بل في عدة مناطق (٨٩) .

ويذكر المقرئ الى ان الاقباط هم اول من شجع السلاطين على توزيع الاقطاعات لإضعاف جيش مصر وزيادة كلفة الجند (٩٠) ، لأن عملية جمع الضرائب

نظام الاقطاع في مصر في العصر الايوبي.....

كانت تتطلب من المقطع تعيين وكيل وشاهدين في كل قطعة مما يزيد من الاعباء المالية ويُضعف الالتزام العسكري لعدم قدرة المقطع على القيام بها مما دفع بالكثير من الاجناد للنزول على اقطاعاتهم^(٩١) .

كما يتضح ايضاً ان بعض السلاطين الايوبيين بمجرد اعتلائهم للعرش يعملون على احداث تغييرات في توزيع الاقطاعات للاستيلاء على اقطاعات السلطان السابق ومنها لمماليكهم^(٩٢) ، اضافة الى معاقبة بعض الامراء والقضاة على نفوذهم مما يؤدي الى اعادة توزيع اقطاعاتهم^(٩٣) ، وايضاً هناك عامل التنقلات الادارية ، كأنتقال بعض الامراء الى مصر ومنحهم اقطاعات جديدة^(٩٤) .

يتضح مما سبق ان هناك عوامل كثيرة أدت الى تغيير في توزيع الاقطاعات كما انه حصل تغير ايضاً بسبب الظروف التي مرت بها مصر من عوامل اقتصادية واوبئة .

الهوامش :

- ١- الزبيدي ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، (القاهرة - ١٣٠٦ هـ) ، ج ٥ / س ٤٧٤ .
- ٢- الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب البصري (ت ٤٥٠ هـ) ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، (القاهرة - ١٩٧٣) ، ص ١٩٠ .
- ٣- سيد ، ايمن فؤاد ، الدولة الفاطمية في مصر - تفسير جديد - الدار المصرية للطباعة ، (القاهرة - ٢٠٠٠) ، ص ٧٠٥ - ٧٠٦ .
- ٤- المقرئ ، تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بالخطط المقرئية ، تحقيق محمد زعيم ، مكتبة مدبولي ، (د . م - ١٩٨٨) ، ج ٢ / ص ٢٨٨ .
- ٥- الدوري ، عبد العزيز ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، (بيروت - ١٩٦٩) ، ص ٩٠ .

نظام الإقطاع في مصر في العصر الايوبي.....

٦- يعقوب بن كلس : هو ابو الفرج يعقوب بن يوسف بن ابراهيم (٣٦٧ - ٣٧٣ هـ) ، اول الوزراء الفاطميين في الديار المصرية . كان يهودياً ثم اعتنق الاسلام على المذهب الاسماعيلي ، ينظر : ابن خلكان ، شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ) ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، (بيروت - ١٩٧٢) ، ج ٧ / ص ٢١ - ٣٤ .

٧- الدوري ، مقدمة ، ص ٩٠ .

٨- المستنصر بالله : سعد بن علي الظاهر لاعزاز دين الله ، ابن الحاكم بأمر الله (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ) ، ابو تميم بلغت الدولة الفاطمية في عهد أوج اتساعها . ينظر : ابن خلكان ، ج ٥ / ص ٢٢٩ .

٩- بدر الدين الجمالي : هو امير الجيوش ابو النجم بدر الجمالي (٤٦٦ - ٤٨٧ هـ / ١٠٧٣ - ١٠٩٤ م) ، مملوك أرمني ترقى في الخدمة العسكرية وتقلب في الولايات كان آخرها نيابة عكا قبل ان يلي الوزارة للمستنصر العبيدي (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٣٦ - ١١٠٤ م) فأنفذ البلاد مما كانت فيه من فوضى واضطراب . ينظر : المقرئ ، الخطط ، ج ١ / ص ٣٨١ - ٣٨٢ .

١٠- المقرئ ، الخطط ، ج ١ / ص ٢٤٨ .

١١- الدوري ، مقدمة ، ١٠١٢ - ١٠٢ .

١٢- المصدر السابق ، ص ١٠٢ .

١٣- النويري : شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢ هـ) ، نهاية الارب في فنون الادب ، تحقيق علي بو ملح ، دار الكتب العلمية ، (بيروت - ٢٠٠٤) ، ج ٢٨ / ص ١٧٨ .

١٤- الافضل بن بدر الجمالي : هو ابو القاسم الافضل امير الجيوش شاهنشاه بن امير الجيوش بدر الدين الجمالي (٤٨٧ - ٥١٥ هـ / ١٠٩٤ - ١١٢١ م) ولي الوزارة بعد ابيه وكان المتحكم في امور الدولة في عهد الخليفة المستعلي العبيدي والامر بأحكام الله الذي بأنه هو الذي قتله بسبب انه سمح للناس في اظهار عقائدهم . ينظر : ابن الغماد ، ابو الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، (بيروت - ١٣٩٩ هـ) ، ج ٥ / ص ٤٧٠ .

نظام الاقطاع في مصر في العصر الايوبي.....

- ١٥- الروك : كلمة تدل على القيام بعملية قياس الارض ومعبرها قي سجلات وتنميتها ، اي تقدير خصوبة تربتها لتقدير الخراج وتعني في الوقت الحاضر تعديل الضرائب . ينظر : ابن مماتي ، الاسد ابو المكارم (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) ، قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة - ١٩٩١ ، ص ٤٥٥ ؛ المقرئزي ، الخطط ، ج ١ / ص ٢٨٧ .
- ١٦- النويري ، نهاية الارب ، ج ٢٨ / ص ١٧٨ - ١٧٩ ؛ المقرئزي ، الخطط ، ج ١ / ص ٢٤١ - ٢٤٢ .
- ١٧- ربيع ، حسنين محمد ، النظم المالية في مصر زمن الايوبيين ، مطبعة القاهرة ، (د . م - ١٩٦٤) ، ص ٢٧ .
- ١٨- العبادي ، احمد مختار ، قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام ، (بيروت - ١٩٦٩) ، ص ٧٣ - ٧٦ .
- ١٩- نظام الملك : ابو علي الحسن بن علي بن اسحاق بن العباس ، من اشهر وزراء الاسلام وله الكثير من التنظيمات والاعمال منها نشر المدارس وغيرها وزر للسلطانين السلجوقيين ألب أرسلان (٤٥٥ - ٤٦٥ هـ) ، وملك شاه (٤٦٥ - ٥٤٨ هـ) مات مقتولاً في سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م . ينظر : العماد الاصفهاني ، تاريخ دول آل سلجوق باختصار الفتح البنداري ، تحقيق لجنة احياء التراث ، (بيروت - ١٩٨٠) ، ص ٥٨ - ٩٠ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٢ / ص ١٢٨ - ١٣١ .
- ٢٠- العماد الاصفهاني ، تاريخ آل سلجوق ، ص ٩٠ .
- ٢١- المصدر السابق ، ص ٦٠ ؛ العبادي ، قيام دولة المماليك ، ص ٧٥ ؛ ربيع ، النظم المالية ، ص ٢٦ .
- ٢٢- القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١ هـ) ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، (القاهرة - ١٣٣١ هـ) ، ج ٤ / ص ٥ ؛ ربيع ، النظم المالية ، ص ٢٦ .
- ٢٣- طرخان ، ابراهيم ، النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط في العصور الوسطى ، دار الكتاب العربي ، (القاهرة - ١٩٦٨) ، ص ٣٠ ؛ العبادي ، قيام دولة المماليك ، ص ٧٣ .
- ٢٤- المقرئزي ، الخطط ، ج ١ / ص ٩٧ ؛ طرخان ، النظم الاقطاعية ، ص ٣٢ - ٣٣ .

نظام الاقطاع في مصر في العصر الايوبي.....

٢٥- نجم الدين ايوب : ابو الشكر ايوب بن شادي بن مروان (ت ٥٦٨ هـ / ١١٧٣ م)
أشتهر برجاحة الرأي والسداد في التفكير ولي تكريت في العراق فترة من الزمن وكان في ولايته هذه قد اسدى معروفاً للملك العادل نور الدين زنكي (٥٥٨ - ٥٦٩ هـ) فلما اضطر للخروج منها هو واخوه اسد الدين شيركوه قصداً الملك العادل في الموصل فأكرهما واقطعهما اقطاعاً حسناً واصبحا من جملة رجاله وكبار قاداته . ينظر : ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ١ / ص ٢٥٥ - ٢٥٩ .

٢٦- طرخان ، النظم الاقطاعية ، ص ٣٦ - ٣٧ ؛ ربيع ، النظم المالية ، ص ٢٧ .
٢٧- ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧ هـ) ، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، تحقيق جمال الدين السينال ، (القاهرة - ١٩٥٣) ، ج ٢ / ص ١٥٢ .
٢٨- توران شاه : الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن نجم الدين ايوب كان اسن من اخيه صلاح الدين اشتهر بالسخاء والكرم والشجاعة . ينظر : ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٢ / ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

٢٩- قوص : مدينة تقع جنوبي الفسطاط على الشاطئ الشرقي للنيل وتبعد عنها مسير اثنتا عشر يوماً وتعد قسبة الصعيد واهلها على ثراء واسع ، ويشغلون بالتجارة ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ / ص ٤١٣ .

٣٠- اسوان : مدينة كبيرة بأقصى جنوب مصر تشرف على النيل من شرقية وتشتهر بزراعة التمر . ينظر : الاضطخري ، ابراهيم بن محمد المعروف بالكرخي (ت ٣٤٦ هـ) ، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال ، مراجعة محمد شفيق غربال ، (القاهرة - ١٩٦١) ، ص ٤٠ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ / ص ١٩١ - ١٩٢ .

٣١- عيذاب : هي بليدة على البحر الاحمر ، تعد ميناء تجارياً هاماً للتجارة القادمة من على هذا البحر . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ / ص ١٧١ .

٣٢- طرخان ، النظم الاقطاعية ، ص ٣٧ ؛ ربيع ، النظم المالية ، ص ٢٧ .
٣٣- العبرة : هي مقدار المربوط (الدخل) من الخراج والاموال على كل اقطاع من الاراضي ، ويتحصل من كل قرية من غلة وصنف . ينظر : المقرئزي ، الخطط ، ج ١ / ص ٤٣ ؛ طرخان ، النظم الاقطاعية ، ص ٤٩٨ .

٣٤- المقرئزي ، الخطط ، ج ١ / ص ٨٧ .

نظام الاقطاع في مصر في العصر الايوبي.....

- ٣٥- ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ / ص ١٥٢ ؛ ربيع ، النظم المالية ، ص ٢٧ .
- ٣٦- بوش : مدينة من ضواحي الصعيد الادنى في غرب النيل . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ / ص ٥٠٨ .
- ٣٧- سمنود : مدينة من جهة دمياط على الضفة النيل ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ / ص ٥٤ .
- ٣٨- ابو شامة ، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم (ت ٦٦٥ هـ) ، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق محمد علي ، مطبعة دار الجبل ، (بيروت - ١٩٧٤) ، ج ٢ / ص ١٢٠ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ / ص ١٥٢ .
- ٣٩- المقرئزي ، تقي الدين ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ) ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ط ١ ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، (بيروت - ١٩٩٧ م) ، ج ١ / ص ٨٤١ - ٨٤٢ .
- ٤٠- المقرئزي ، الخطط ، ج ١ / ص ٢٥١ - ٢٥٢ .
- ٤١- المصدر نفسه ، ج ١ / ص ٢٥٣ .
- ٤٢- الطرايشي : هم الجنود من الفئة الاولى من العساكر . ينظر : المقرئزي ، السلوك ، ج ١ / ص ٧٥ .
- ٤٣- القراغلامية : وهم جماعات الضبطية وعملهم مراقبة الطرق اثناء سير الجيوش . ينظر : المقرئزي ، السلوك ، ج ١ / ص ٧٥ .
- ٤٤- المملوليت : هم الذين انحلت اقطاعاتهم ورواتبهم فأصبحوا بطلين . ينظر : المقرئزي ، السلوك ، ج ١ / ص ٧٥ .
- ٤٥- المقرئزي ، الخطط ، ج ١ / ص ٢٥٠ - ٢٥١ .
- ٤٦- تقي الدين عمر : هو الملك المظفر تقي الدين ابو سعيد عمر بن شاهنشاه بن ايوب صاحب حماة ، ابن اخي السلطان صلاح الدين ، كانت له وقائع مشهورة مع الفرنج (ت ٥٨٧ هـ) . ينظر : ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٣ / ص ٤٥٦ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ / ص ٣٧٨ - ٣٧٩ .
- ٤٧- ابو شامة ، الروضتين ، ج ٣ / ص ٢٦٣ .

نظام الاقطاع في مصر في العصر الايوبي.....

- ٤٨- ابن كثير ، ابي الفدا ، الحافظ اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) ، البداية والنهاية ، ط ٢ ، مكتبة المعارف ، (بيروت - ١٩٧٧) ، ج ٣ / ص ٦ .
- ٤٩- ابن جندر : وهو الامير علم الدين سليمان بن جندر ، وكان من اكابر امراء حلب ، ومشايخ الدولتين النورية والصلاحية ، شهد مع صلاح الدين حروبه كلها ، توفي اواخر ذي الحجة سنة ٢٨٧ هـ . ينظر : ابن تغري بردي ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتاكي (ت ٨٧٤ هـ) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تقديم محمد حسين شمس الدين ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت - ١٩٩٢) ، ج ٦ / ص ١٠٣ .
- ٥٠- ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت ٦٣٠ هـ) ، الكامل في التاريخ ، مراجعة يوسف الدقان ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت - ١٩٨٧) ، ج ١٠ / ص ٢٢٥ .
- ٥١- ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٣ / ص ٥٣ - ٥٤ .
- ٥٢- المقرئزي ، السلوك ، ج ١ / ص ١١٩ .
- ٥٣- طرخان ، النظم الاقطاعية ، ص ٤٤ .
- ٥٤- ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٣ / ص ٥٥ .
- ٥٥- النويري ، نهاية الارب ، ج ٢٩ / ص ١٠ .
- ٥٦- النويري ، نهاية الارب ، ج ٢٩ / ص ٥٤ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ / ص ٢٠٠ .
- ٥٧- النويري ، نهاية الارب ، ج ٢٩ / ص ٥٥ .
- ٥٨- الاعتداد : هي اقطاعات يقل متحصلها عن سائر اقطاعات افراد الجيش . ينظر : القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ / ص ٥٦٥ .
- ٥٩- الدوري ، مقدمة ، ص ١٠٢ .
- ٦٠- القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ / ص ٥٦٧ .
- ٦١- المصدر نفسه ، ج ٣ / ص ٥٦٨ .
- ٦٢- جواتبان ، دراسات في التاريخ الاسلامية والنظم الاسلامية ، تعريب عطية القوصي ، ط ١ ، وكالة المطبوعات ، (الكويت - ١٩٨٠) ، ص ١٧٣ .
- ٦٣- النويري ، نهاية الارب ، ج ٨ / ص ١٥١ .

نظام الاقطاع في مصر في العصر الايوبي.....

- ٦٤- المقريري ، السلوك ، ج ١ / ص ٧١ .
- ٦٥- المصدر نفسه ، ج ١ / ص ٧٣ .
- ٦٦- القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ / ص ٥٦٥ .
- ٦٧- ابن الفرات ، ناصر محمد عبد الرحيم (ت ٨٠٧ هـ) ، تاريخ ابن الفرات ، تحقيق حسن محمد الشماخ ، (البصرة - ١٩٦٧) ، مج ٤ / ج ١ / ص ١٤٧ .
- ٦٨- المقريري ، الخطط ، ج ١ / ص ١٧٩ ؛ العريني ، الاقطاع في الشرق الاوسط ، ص ١٣٦ .
- ٦٩- النويري ، نهاية الارب ، ج ٨ / ص ١٥١ - ١٥٢ .
- ٧٠- النابلسي ، عثمان بن ابراهيم (ت بعد ٦٣٢ هـ) ، لمع القوانين ، مكتبة الثقافة الدينية ، (مصر - ١٩٨٨) ، ص ٢٣ .
- ٧١- المصدر نفسه ، ص ٢٤ .
- ٧٢- النويري ، نهاية الارب ، ج ٨ / ص ١٥١ .
- ٧٣- المصدر نفسه ، ج ٨ / ص ١٥٩ .
- ٧٤- النابلسي ، لمع القوانين ، ص ٢١٣ .
- ٧٥- النويري ، نهاية الارب ، ج ٨ / ص ١٨٣ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ / ص ٥٢٥ - ٥٢٦ .
- ٧٦- النويري ، نهاية الارب ، ج ٨ / ص ١٥١ .
- ٧٧- ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٢٥٥ .
- ٧٨- الدينار الحبشي : وهو مسمى لا حقيقة ، استعمله اصحاب ديوان الجيش في تقدير عبدة مختلف الاقطاعات فجعلوا لكل اقطاع عبدة دنانير حبشية تكثر أو تقل حسب مرتبة صاحب الاقطاع وقيمة وظيفته في الدولة ومكانته في المجتمع ويساوي ربع دينار مضافاً اليه أردباً من الحبوب (ثلثين من القمح وثلثين من الشعير) فالارض التي عبرتها مائة دينار حبشي ينبغي ان يتحصل منها مائة اردب وخمسة وعشرون ديناراً . ينظر : ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٣٦٩ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ / ص ٥٠٩ .
- ٧٩- النويري ، نهاية الارب ، ج ٨ / ص ٢٥١ .
- ٨٠- الدوري ، مقدمة ، ص ١٠٤ .

نظام الإقطاع في مصر في العصر الايوبي.....

- ٨١- القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١٣ / ص ١٥٨ .
- ٨٢- ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٢٣٣ .
- ٨٣- عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، مصر والشام في مصر الايوبيين والمماليك ، (القاهرة - د . ت) ، ص ١٣٨ .
- ٨٤- النابلسي ، عثمان بن ابراهيم (ت بعد ٦٣٢ هـ) ، تاريخ الفيوم وبلاده ، ط ١ ، دار الجبل ، (بيروت - ١٩٧٣) ، ص ٧٤ .
- ٨٥- المصدر نفسه ، ص ٨٣ .
- ٨٦- الدوري ، مقدمة ، ص ١٠٤ .
- ٨٧- ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ١٠ / ص ١٣٥ .
- ٨٨- الدواداري ، ابو بكر بن عبد الله بن ابيك (ت ٧٣٤ هـ) ، كنز الدرر وجامع الغرر ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، دار احياء الكتب العربية ، (القاهرة - ١٩٧٢) ، ج ٧ / ص ٣٧١ .
- ٨٩- النويري ، نهاية الارب ، ج ٢٩ / ص ٢٤ .
- ٩٠- المقرئزي ، الخطط ، ج ١ / ص ٢٧٤ .
- ٩١- النويري ، نهاية الارب ، ج ٢٩ / ص ٢٢٥ .
- ٩٢- المصدر نفسه ، ج ٢٩ / ص ١٨٠ ؛ المقرئزي ، السلوك ، ج ١ / ص ٣٠٠ .
- ٩٣- ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٣ / ص ٥٣ - ٥٤ ؛ ابن الفرات ، تاريخ ، مج ٤ / ج ٢ / ص ١٢٢ ؛ المقرئزي ، السلوك ، ج ١ / ص ١٢٨ .
- ٩٤- ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٣ / ص ١١٢ - ١١٣ ؛ النويري ، نهاية الارب ، ج ٢٩ / ص ١٧ ؛ ابن الفرات ، تاريخ ، مج ٤ / ج ٢ / ص ٢٧٨ ؛ المقرئزي ، السلوك ، ج ١ / ص ١٥٢ .

Abstract

The feudal system is the uniqueness of the group ownership of the land and the slaves, and the other meaning is a political system that social and economic wars based on the acquisition of land and regulate the relationship between the feudal lord and of the feudal system, was affected by the feudal Ayoubi a series of changes, including the political and economic situation and the crises that occur in addition to the epidemics that result in a shortage of peasants, as well as the some of the Ayyubid sultans once ascension to the throne are working to make changes in the distribution of Alaqtaat to seize the fiefs princes Sultan, the former of which the Mmaenm, so it turns out that the feudal system of the Ayyubid was genetically, and it was the military feudalism as a substitute for salary in exchange for military service and was the owner of feudalism responsibilities such as providing unit fully equipped army of Sultan wartime as well as building castles, and maintain irrigation projects and also collect taxes to the state and fees imposed on the section .

**الموقف الامريكي من
انقلاب سامي الحناوي
١٤ اب / ١٩٤٩**

**م.م حكمت ناصر حسين
وزارة التربية / مديرية تربية
اطراف شرق بغداد**

الموقف الامريكي من انقلاب سامي الحناوي ١٤ اب / ١٩٤٩

م.م حكمت ناصر حسين

Summary

This research discusses the US Attitude of Sami al-Hinawi coup of August 14, 1949, within the Series of coups took place in Syria in short period. The US attitude on the coup became one of the controversial issues, because it is characterized by ambivalence and non- recognition at the beginning, for several reasons, the most important uncertainties revolved around the presence of a British measure of the coup, as well as the damage of US interests in the event of non-implementation of the Government of Hinawi, but the US position changed after that al-Hinawi government made a pledge to abide by all previously signed agreements, and therefore United States recognized in the new system in September 20, 1949.

المستخلص

يناقش هذا البحث الموقف الامريكي من انقلاب سامي الحناوي, وهو الانقلاب الذي وقع في ١٤ اب / ١٩٤٩, ضمن سلسلة انقلابات شهدتها سوريا في مدة قصيرة. ويعد الموقف الامريكي من الانقلاب من القضايا المثيرة للجدل, لأنه اتسم بالبرود وعدم الاعتراف في بدايته, لعدة اسباب , اهمها الشكوك التي دارت حول وجود تدبير بريطاني للانقلاب, فضلاً عن تضرر المصالح الامريكية في حال عدم تنفيذ حكومة الحناوي لها, ولكن تغير الموقف الامريكي بعد ان قدمت حكومة الحناوي تعهداً بالالتزام بجميع الاتفاقيات الموقعة سابقاً, وبناءً على ذلك اعترفت الولايات المتحدة الامريكية بالنظام الجديد في ٢٠ ايلول / ١٩٤٩.

المقدمة

شهدت سوريا خلال عام ١٩٤٩ سلسلة من الانقلابات العسكرية المثيرة للجدل، اذ اصحبت هذه الانقلابات فاتحة لهيمنة الجيش على السياسات الوطنية، ويعد انقلاب الحناوي ثاني انقلاب عسكري تشهده سوريا بعد انقلاب حسني الزعيم، اذ قام الاخير بأول انقلاب عسكري، في الوطن العربي بشكل عام وسوريا بشكل خاص، في اذار ١٩٤٩ ، الا انه اصبح فاتحة لسلسلة انقلابات تبعته، وكان انقلاب سامي الحناوي في ١٤ اب/ ١٩٤٩ احد اهم هذه الانقلابات المثيرة للجدل، اذ كان فيه نوعاً من الغموض، لتعدد الآراء ووجهات النظر حوله، لاسيما فيما يخص الدعم البريطاني للحناوي. من هنا جاء اختياري موضوع " الموقف الامريكي من انقلاب سامي الحناوي ١٤ اب/ ١٩٤٩" لما فيه من اهمية كبيرة في الكشف عن موقف الولايات المتحدة من الانقلاب، الذي عدّ تدبيراً بريطانياً، ومعرفة اسباب التردد الامريكي في عدم الاعتراف بحكومة الحناوي، والكشف عن المتغيرات التي جعلت الادارة الامريكية تعترف بنظام الحناوي. فضلاً عن القاء نظرة عن مواقف الدول العربية والاجنبية من الانقلاب.

قُسم البحث الى ثلاث محاور، تناول الاول دوافع الانقلاب، والذي وضع دوافع الحناوي والظروف التي ساعدته في انجاح الانقلاب، وركز الثاني على مجريات احداث الانقلاب، اي التعرف على ما جرى من احداث خلال عملية الانقلاب، وتابع الثالث الموقف الامريكي من الانقلاب، والذي غطى المحادثات التي جرت بين الطرفين حول الاعتراف بالنظام الجديد، من خلال متابعة الوثائق الامريكية الخاصة بانقلاب سامي الحناوي والموقف الامريكي منها.

اولاً: دوافع الانقلاب

كانت هناك العديد من الدوافع التي ادت الى انقلاب سامي الحناوي^(١)، على حسني الزعيم^(٢)، الذي استمر في الحكم لمدة (١٣٧) يوماً فقط ، اذ قام الاخير بأول انقلاب عسكري في البلاد منذ الاستقلال، وكان فاتحة لسلسلة الانقلابات العسكرية وهيمنة الجيش على الحياة السياسية، اذ تبعه انقلابان عسكريان خلال العام ذاته، كما اعتبر انقلاب الزعيم أول انقلاب في الشرق الأوسط والوطن العربي، وفاتحة تدخل الجيوش العربية في سياسة بلادها الداخلية^(٣)، لاسيما مع تأييد دول الغرب لهذه الانقلابات، وبشكل خاص الولايات المتحدة الامريكية، اذ اعترفت الاخيرة بشرعية حكومة حسني الزعيم ببرقية بعثتها الى الخارجية السورية ، والتي وضحت فيها بان الادارة الامريكية لاحظت مدى التزام حكومة الزعيم بجميع المعاهدات والاتفاقيات الدولية النافذة، وتمسكها بالمبادئ الديمقراطية ونيتها اجراء انتخابات جديدة في وقت مبكر^(٤).

وبذلك دليلاً واضحاً على اعتراف الادارة الامريكية بحكومة حسني الزعيم، ويبدو ان الاعتراف الامريكي بالحكومة الجديدة جاء بناءً على التزام حسني الزعيم بالاتفاقيات الدولية وتنفيذ المصالح الامريكي ، وهو ما يثير التساؤل حول احتمالية وجود تدبير امريكي لانقلاب الزعيم، لاسيما باعترافها بحكومة عسكرية غير ديمقراطية في الواقع، والواضح بان مقياس الادارة الامريكية للديمقراطية هو مدى التزامها بالمصالح الامريكية والاتفاقيات الدولية الموقعة معها.

غير ان الاعتراف الامريكي بحكومة الزعيم لم يمنع من حدوث انقلاب جديد في سوريا، لاسيما مع سوء الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في حكومة الزعيم، اذ زادت الاوضاع السياسية والادارية سوءاً وتفشى ظاهرة الرشوة، مما ادى الى فقدان الزعيم شعبيته في سوريا^(٥).

ضمن السياق نفسه لعبت العوامل الداخلية دوراً كبيراً في مساعدة سامي الحناوي في انقلابه على الزعيم، وبشكل خاص منها المشاكل العائلية والشخصية، اذ ادت هذه العوامل الى ارباك المؤسسة العسكرية، ولعل ابرزها الخلاف بين عائلة الحوراني وعائلة البرازي في حماة من جانب، والخلاف بين البرازي واسعد طلاس من جانب اخر، وتؤكد المصادر بان الاخير كان وراء انقلاب سامي الحناوي، لأنه كان ناقماً على الزعيم بسبب عزله من عمله في وزارة الخارجية، فضلاً عن ذلك كان لأكرم الحوراني^(٦)، دوراً في الانقلاب، لاسيما انه كان يحب الزعامة والنفوذ وحاقده على الزعيم الذي كان سبباً في مقتل صديقه انطوان سعادة، زعيم الحزب السوري القومي الاجتماعي^(٧).

تأثر الشارع السوري كثيراً بقضية انطوان سعادة وكانت من اهم الاسباب التي افقدت الزعيم تأييد الشارع السوري، اذ اعتبرها خيانة من الزعيم لسعادة، وتشير المصدر بان انطوان سعادة ، قد عاد إلى لبنان من منفاه في البرازيل عام ١٩٤٧، ومنذ عودته وحتى ١٩٤٩، ازداد التوتر مع رياض الصلح^(٨)، رئيس الحكومة اللبنانية، ومع انقلاب الزعيم كان الصلح أحد ألد أعداء النظام الجديد في دمشق وهو ما وصل حد إغلاق الحدود بين البلدين، وهو ما دفع الزعيم لقاء وفد من الحزب السوري القومي الاجتماعي الزعيم في دمشق نهاية شهر نيسان من عام ١٩٤٩، واتفق على إقامة اجتماع بين سعادة والزعيم في نهاية شهر ايار، وخلال اللقاء الذي جمع سعادة بالزعيم تحدث الاخير عن تقديم دعمه للسوريين القوميين، مما دفع سعادة بالقيام بعمليات ضد النظام اللبناني فادى ذلك الى قيام حملة من الاعتقالات ضد الحزب ومنهم مذكرة باعتقال سعادة، فقام الاخير بالاتصال بالزعيم طالباً اللجوء السياسي الى سوريا، فوافق الزعيم وعبر سعادة الحدود حيث استقبله بعض المسؤولين السوريين، والتقى الزعيم في دمشق والذي وعد بتقديم أسلحة وجنود، فبدأ سعادة بإعداد عمليات في بيروت والهرمل والبقاع، واتفق مع قبائل الدنداشة في لبنان على مؤازرته، غير أن ثقته بالزعيم بدأت

تتآكل مع تعيين محسن البرازي رئيساً للوزراء، لاسيما ان الاخير من اصدقاء رياض الصلح^(٩).

استمر الزعيم بدعم سعادة حتى ٣ تموز، وفي اليوم التالي انطلق مقاتلو الحزب القومي لتنفيذ "الثورة" في بيروت، غير أن بعض المجموعات وقعت مباشرة في كمين لدى النظام اللبناني، واستسلمت مجموعة اخرى، وحين علم سعادة بفشل الهجوم، أراد لقاء الزعيم في ٦ تموز، الا ان لم يحضاً بقاء الزعيم والتقى إبراهيم الحسيني قائد الشرطة العسكرية لدى الزعيم، وفي الوقت نفسه اعتقل حراس سعادة الشخصيون، وفي اليوم التالي، نقل إبراهيم الحسني سعادة بسيارته إلى القصر الجمهوري بحجة تنفيذ مطلبه بقاء الزعيم، الا انه خدعه وسلمه إلى قائد جهاز الأمن اللبناني فريد شهاب، ورئيس جهاز الدرك نور الدين الرفاعي، وعُقدت محكمة عسكرية سريعة في لبنان وتم أعدم سعادة رمياً بالرصاص في ٨ تموز / ١٩٤٩^(١٠).

ادت هذه الحادثة الى هيجان الشارع السوري، الذي اعتبر بان حسني الزعيم قد خان سعادة وسلمه الى الحكومة اللبنانية على الرغم من منحه حق اللجوء الى سوريا، وزاد سخط الجماهير على حسني الزعيم بشكل اكبر بعد كُشفت تقارير سرية بان الزعيم امر بتزويد مقاتلو الحزب بأسلحة فاسدة، فضلاً عن ضغطه على قبائل الدنداشة في البقاع لترك القتال مع الحزب، وأنه أخبر الأمن اللبناني بخطة سعادة ما أتاح لهم نصب كمين على الحدود لمجموعات الحزب المقاتلة. فوفرت هذه الظروف ذريعة لبعض الشخصيات الناقمة على الزعيم للتآمر ضد امثال اكرم الحوراني، لاسيما بعد ان تحالف الزعيم مع عائلة البرازي وهم الأعداء التقليديين للحوراني في حماه^(١١).

على الجانب الاخر كان لسياسات الزعيم الداخلية الاخرى اثر في فقدان شعبيته، وساعدت سامي الحناوي في الانقلاب ضده، دون اي معارضة من الشارع السوري او الرأي العام، لاسيما بعد ان منع العديد من الإذاعات والصحف والمجلات، وفرض

رقابة صارمة عليها , اذ اغلق اكثر من ٣٤ صحيفة في دمشق وحدها , و ٥٩ صحيفة ومجلة في جميع انحاء سوريا , وعلى الرغم من عدم وجود قانون حظر التظاهرات , الا ان المظاهرات المعارضة للزعيم , والمؤيدة لنظام القوتلى منعت بالقوة , كما منح الزعيم لنفسه حق حظر الأحزاب والجمعيات السياسية , وحظر على الطلاب في الثانويات والجامعة , وجميع موظفي القطاع العام الانتماء الحزبي أو العمل السياسي^(١٢).

كما قام الزعيم بتهميش السوريين العرب والاعتماد على الاقليات من الاكراد والشركس وتقليدهم مناصب مهمة في الدولة , لاسيما المناصب العسكرية , مما ادى الى امتعاض الشخصيات العربية منه , فشنت حملة اعلامية عنيفة عليه خارج سوريا , لاسيما بعد ان اصبح هناك عداء بين الزعيم واغلب الاحزاب السياسية في سوريا , اثر سياسات الزعيم التعسفية وممارساته السياسية ضد الاحزاب^(١٣).

ولا شك بان العوامل الخارجية لعبت دوراً كبيراً في انقلاب سامى الحناوى , اذ ان المصالح الدولية تعد عاملاً مهماً لفهم دوافع انقلاب سامى الحناوى , لاسيما مع وجود التنافس الدولي بين بريطانيا والولايات المتحدة على سوريا , اذ هددت الولايات المتحدة المصالح البريطانية في سوريا , لذلك دارت شكوك حول وجود دور بريطاني سري وراء تنفيذ الحناوى للانقلاب , لاسترجاع مكانتها في سوريا ويعيد الامور الى وضعها السابق , لاسيما بعد ان ايد الزعيم جميع المصالح الامريكية وتوقيع اتفاقية التابلين , وتأيدته مشروع مارشال , ومكافحته للشيوعية في سوريا , كل ذلك ادى الى جعل حكومة الزعيم تبدو وانها تابعة للولايات المتحدة الامريكية^(١٤).

تشير بعض المصادر الى ان سامى الحناوى اتفق مع البريطانيين حول الانقلاب عن طريق رئيس الوزراء العراقي نوري سعيد , ومما يقوي هذا الرأي موقف الحناوى من العراق ومحاولة ايجاد اتحاد بين سوريا والعراق , فضلاً عن الترحيب البريطاني بالانقلاب , وما وصفته الصحف الفرنسية بان الانقلاب جاء بوحى من بريطانيا ونوري

السعيد، الذي اتصل بالحناوي عن طريق ابراهيم عاكف الالوسي، الوزير العراقي المفوض في دمشق^(١٥).

ويبدو ان للعراق دوافع سياسية جعله يدعم الحناوي في انقلابه، وبشكل خاص منها سياسة حسني الزعيم وميوله نحو محور القاهر - الرياض، والذي اثار قلق نوري سعيد، الذي خطط الى ايجاد اتحاد بين سوريا والعراق، ومن الامور التي توحى الى ان العراق من بين الدول الداعمة للانقلاب هو تأييده المباشر للانقلاب ورفع شعار الاتحاد مع سوريا وعقدت اجتماعات مكثفة في دمشق بهذا الخصوص^(١٦).

يمكن الاستدلال من خلال ما سبق بان العوامل الداخلي والخارجية هي التي مهدت الطريق للانقلاب، وبشكل خاص منها التنافس الاقليمي والدولي على الصعيد الخارجية والسياسة الرعناء التي اتبعها الزعيم في تعامله مع الشعب السوري والاحزاب على الصعيد الداخلي، كل ذلك وفر اجواءً مناسبة لسامي الحناوي للقيام بانقلابه الذي نفذ في ١٤ اب / ١٩٤٩.

ثانياً: مجريات احداث الانقلاب

مكنّت الظروف الداخلية والخارجية سامي الحناوي من تنفيذ انقلاب عسكري في ١٤ اب / ١٩٤٩، اذ وصلت القوة العسكرية التي قادها الى دمشق وتوزعت الى ثلاثة فرق، الاولى توجهت الى بيت الزعيم وكانت بقيادة الحناوي نفسه، والثانية توجهت الى رئيس الوزراء محسن البرازي^(١٧)، اما القوة الثالثة فقد طوقت قائد الشرطة واستخبارات الجيش السوري المقدم ابراهيم الحسيني، وقد اغلقت الاجواء السورية لمنع اي مساندة خارجية للزعيم^(١٨)، وتم اعدام حسني الزعيم ورئيس وزراءه محسن البرازي بعدة محاكمة دامت لساعتين بتهمة التآمر على سلامة الدولة السورية^(١٩).

ساعد الحناوي في انقلابه عدد من الضباط ومنهم المقدم امين ابو عساف والملازم فضل الله ابو منصور، وهما من الحزب القومي السوري، ويبدو انهما كانا وراء

قرار اعدام الزعيم ومحسن البرازى، رداً منهما على مقتل زعيم الحزب القومى السورى انطوان سعادة، اذ تشير المصادر بان الحناوى لم تكن فى نيته اعدام الزعيم والبرازى ، وهذا ما اكده الملحق العسكرى الامريكى فى دمشق، والذي اشار بانه لم تكن فى خطة الحناوى اعدام الزعيم، ولكن جاء هذا الامر بتدبير من شخصيات من الحزب القومى السورى ثاراً لأنطوان سعادة^(٢٠).

وفقاً لذلك صدر البيان الاولى من الحزب فى اليوم نفسه، اى فى ١٤ اب/ ١٩٤٩، وجاء فى البيان " ان زعيم الانقلاب الاول اخذ يتناول هو وحاشته على اموال الامة ويذرهما .. ولهذا وبعد الاعتماد على الله عزم جيشكم الذى لا يرغب الا الخير للبلاد ان يخلصكم من الطاغية.." ^(٢١).

اتساقاً مع ما سبق اعلنت حكومة الانقلاب الجديد بانها ستتولى سلطات رئيس الجمهورية لحين انتخاب جمعية تأسيسية تعيد تنظيم البنية الدستورية للبلاد، والف قادة الانقلاب مجلساً حريياً اعلى ليتولى الصلاحيات التشريعية والتنفيذية حتى يتم تشكيل حكومة جديدة، وفى الوقت نفسه ابدوا رغبتهم بان تعاد السلطات الى المدنيين وتسليم السلطات الى السياسيين، وان يعود الجيش الى ثكناته، وفى مساء اليوم نفسه عقد الحناوى اجتماعاً مع قادة الانقلاب وعدد من السياسيين وجرى البحث عن اختيار حكومة جديدة، فاجتمعت الآراء على ان يتم تكليف هاشم الاتاسى^(٢٢)، بتشكيل حكومة مؤقتة، فتمكن حزب الشعب^(٢٣) ان ينال مناصب مهمة فيها، فقد وضع رئاسة الحكومة تحت سيطرته^(٢٤).

كان ذلك فى الوقت الذى صدر فيه قرار بإطلاق حرية الصحافة السورية والغاء منع التجوال ، وتشكلت لجنة لاعداد قانون الانتخابات، والغيت جباية الضرائب وتم اعادة قوات الدرك (قوات وزارة الداخلية) لحين انتخاب جمعية تأسيسية تعيد البنية الاساسية الجديدة للبلاد ووضع دستور جديد فى جو من الحريات العامة^(٢٥).

اعلن الحناوي في ايلول ١٩٤٩ بان الجيش بعيداً عن السياسة ولن يتدخل في الانتخابات، الا ان نتائج الانتخابات اثبتت العكس، اذ لم تكن انتخابات تشرين الثاني ١٩٤٩ نزيهة، لأنها تعرضت الى انتقادات كثيرة من الاحزاب السورية الاخرى، كما ان تولي اكرم الحوراني رئاسة الجنة الحكومية لمراجعة الانتخابات وتعيينه في وزارة الزراعة لم يكن مقبولاً لدى الادارة الامريكية، لاسيما بعد ان فرض سيطرته على وسائل الاعلام والصحف، التي سيرها وفق رؤيته المعارضة للولايات المتحدة الامريكية^(٢٦).

ثالثاً: الموقف الامريكى

لا بد من التطرق الى بعض مواقف الدول العربية والغربية التي لها مصالح في سوريا ليتسنى معرفة الموقف الامريكى المتضارب مع مواقف تلك الدول، وبشكل خاص بريطانيا، التي رحبت بالانقلاب عن طريق البعثة الدبلوماسية البريطانية في دمشق والتي وصفت الانقلاب بانه ازاح الفساد والقمع الذي ساد في البلاد، ووصفت الصحف البريطانية القادة الذين شاركوا في الانقلاب بانهم ابطال لانهم تمكنوا من تخليص البلاد من النظام الشمولي السابق وان سوريا ستشهد عهد جديد من الديمقراطية، مما اثار الشكوك حول وجود دور بريطاني خفي وراء الانقلاب^(٢٧).

ولم ترحب الحكومة الفرنسية بالانقلاب ووصفه بعض الدبلوماسيين الفرنسيين بانه تدبير من الحكومة البريطانية، التي رأت بان مصالحها في سوريا قد تضررت، و اشار البعض بان صداقة الزعيم للفرنسيين عجل من الانقلاب، لان الحكومة البريطانية امتعزت من علاقة الفرنسيين بالزعيم، لاسيما ان الاخير قد سمح لشركات الاسلحة الفرنسية بممارسة نشاطها في سوريا^(٢٨).

بينما عد الموقف السوفيتي انقلاب الحناوي عملية بريطانية بحتة، واعتبر بان الاطماع البريطانية في نفط الوطن العربي دفعها الى التعجيل بالانقلاب، واكدت موسكو بان المجلس الحرب الذي حكم على الزعيم والبرازي كان يضم ضباطاً

بريطانيين. ويبدو ان الحناوي اخذ بنظر الاعتبار الموقف السوفيتي من حكومته فانعكس ذلك على الحزب الشيوعي السوري^(٢٩), اذ سمح الحناوي لجميع الاحزاب السورية باستئناف نشاطها ما عدا الحزب الشيوعي السوري, فاعتبر ذلك رداً على موقف الحزب والحكومة السوفيتية من الانقلاب^(٣٠).

ويبدو ان الحزب الشيوعي السوري لم يكن في تلك الفترة صاحب نفوذ قوي في الشارع السوري كما هو الحال لحزب الشعب, لان منع نشاطه لم يشكل اي تهديداً لحكومة الحناوي, ومن الواضح بان منع نشاط الحزب الشعب الشيوعي جاء بتوجيه من بريطانيا التي لم تكن تستسيغ رؤية الشيوعية منتشرة في البلاد.

اما الموقف الامريكي فقد اتسم بالبرود وعدم الاعتراف بحكومة الحناوي, لذلك اصبح هناك دليلاً اخر على احتمالية وجود تدبير امريكي لانقلاب الزعيم, فالخير كان الى جانب المصالح الامريكية ونفذ جميع مشاريعها, لاسيما تصديق اتفاقية التابلاين^(٣١), ومعارضته لوحدة العراق وسوريا, فضلاً عن معارضته للشيوعية, وهو بذلك كسب تأييد الولايات المتحدة الامريكية واعترافها بحكومته^(٣٢).

وتعتبر اتفاقية التابلاين من الاتفاقيات الاقتصادية المهمة للولايات المتحدة الامريكية وفيها فوائد سياسية وعسكرية, لان خط التابلاين المار عبر سوريا مكنها من استغلال سوريا, لان حكومة الزعيم منحت الشركة حق انشاء المطارات الخاصة وجميع احتياجاتها الشركة, كما تنازلت الحكومة السورية عن سلطاتها القضائية والتشريعية وافتقدتها حق الرقابة على موظفي الشركة, مما ادى الى امتعاض الشعب السوري, الذي ابدى معارضة كبيرة لمنع تصديق اتفاقية التابلاين, الا ان ذلك لم يمنع حكومة الزعيم من تصديقها في ١٦ ايار / ١٩٤٩^(٣٣).

ارادت الولايات المتحدة الامريكية من خط التابلاين تأمين مصالحها العسكرية والاقتصادية, اذ اعطى الخط لعدد من قواتها الحق ان تبقى في سوريا في قواعد

الشركة, اما الاهداف الاقتصادية فتمثلت بتزويد اوربا الغربية بالنفط عن طريق الخط المار بسوريا. لذلك عندما صادقت حكومة الزعيم على الاتفاقية دارت الشكوك حول دعم امريكي لانقلاب الزعيم, لاسيما ان الحكومة السورية التي سبقت الزعيم لم تصادق على الاتفاقية طوال سنتين تقريبا, في حين ان حكومة الزعيم صادقت عليها خلال اقل من شهرين, وهذه اشارة تضاف الى دلائل الدعم الامريكي للانقلاب^(٣٤).

ضمن السياق نفسه اخذت الصحف الامريكية تكتب عن حسني الزعيم وتصوره بانه اتاتورك سوريا, فمثلاً عبرت صحيفة (كريشيان ساينز مونتر) Christian Science Monitor عن اسفها على انقلاب الذي جرى ضد الزعيم ووصفته بانه ضد الاصلاح في سوريا, وفي الوقت نفسه عبرت الادارة الامريكية عن عدم اعترافها بالنظام الجديد ما لم يتم الاعتراف بالاتفاقيات الامريكية الموقعة مع حكومة الزعيم^(٣٥).

لا شك بان ما سبق جعل الولايات المتحدة الامريكية غير راضية عن انقلاب الحناوي, لانه هدد مصالحها التي نفذها الزعيم, لذلك امتعزت الادارة الامريكية من اعدام الزعيم والبرازي, واكد ذلك السفير الامريكي في القاهرة , الذي اجتمع بالسفير السوري واكد له بان الادارة الامريكية ممتعة جدا بما حدث في سوريا وغير راضية, ومندهشة من سرعة الاحداث التي وقعت خلال مدة قصيرة.

وعلى الرغم من اقتناع الادارة الامريكية بان انقلاب الحناوي جاء لمصلحة بريطانيا, الا انها بدأت بالتفكير حول استغلال الحكومة الجديدة لصالحها وتنفيذ مشاريعها, وحددت معايير معينة مقابل الاعتراف بالنظام الجديد, ويبدو ان المعايير الامريكية للاعتراف تمثلت بمدى تطبيق الحكومة الجديدة للمصالح الامريكية وبشكل خاص اتفاقية التابلاين , التي عدتها الادارة الامريكية من الاتفاقيات المهمة لها في سوريا, وهذا ما اكده وزير الخارجية السوري ناظم القدسي خلال لقاءه بالمفوض الامريكي في سوريا, الذي اكد له بان الادارة الامريكية لن تعترف بالنظام الجديد ما لم

تعترف الحكومة الجديدة بالاتفاقيات الموقعة مع النظام السابق, فرأى الحناوي بان من الضروري تنفيذ المصالح الامريكية في سوريا^(٣٦).

مقابل ذلك اكد حزب الشعب السوري, الذي كان مسيطراً على الحكومة في سوريا, التزامه بالاتفاقيات الموقعة في عهد الزعيم متناًزلاً عن جميع الحقوق السورية على الرغم من المعارضة الشديدة للمعاهدة, فقد من اجل الحصول على الاعتراف الامريكي بالنظام الجديد, ويبدو ان الحكومة الجديدة ادركت بان عدم الاعتراف بالاتفاقيات الموقعة في عهد يجعل النظام السوري الجديد في خطر, لاسيما ان القوة الامريكية اصبحت هي النافذة بعد الحرب العالمية الثانية وباتت تهيمن على السياسات الدولية^(٣٧).

وفي احدى المذكرات الامريكية شرح وزير الخارجية الامريكي دين اتشيسون^(٣٨), للادارة الامريكية مواقف الدول من النظام السوري الجديد, اذ اوضح له بان حكومات تركيا ولبنان وتشيكوسلوفاكيا واسبانيا والارجنتين وافغانستان وفنزولا, جميعها ارسلت مذكرات اعتراف بالنظام السوري الجديد, كما ان العراق والمملكة الاردنية الهاشمية قد استأنفا علاقتهما معه, ما عدا مصر والسعودية لم يعترفا بالنظام الجديد, لانهما كانا داعمين للزعيم وضد قيام وحدة العراق وسوريا, كما اوضح للرئيس الامريكي بان فرنسا قد ابدت استعدادها للاعتراف بالنظام الجديد, لذلك شرح له وجه نظره التي رأى بضرورة الاعتراف بالنظام الجديد لانه الحكومة المدنية في سوريا قد سيطرت على الحكومة وابدت استعدادها للالتزام بالاتفاقيات الموقعة مع الولايات المتحدة الامريكية, فوافق الرئيس الامريكي هاري ترومان^(٣٩), على توصيات اتشيسون للاعتراف بالنظام الجديد, وجرت مفاوضات في هذا الشأن اعادت الحكومة تاكيدها على الالتزام بالاتفاقيات الموقعة مع سوريا في عهد الزعيم, مما ادى الى اعتراف الادارة الامريكية بحكومة سامي الحناوي في ٢٠ ايلول/ ١٩٤٩^(٤٠).

يتضح من خلال ما سبق بان هناك العديد من المؤشرات حول وجود تدبير بريطاني لانقلاب الحناوي, وجاء ذلك في اطار التنافس الدولي بين الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا, لان انقلاب الزعيم اعتبر تدبيراً امريكياً بينما انقلاب الحناوي اعتبر تدبيراً بريطانياً, ولكن يبدو ان الولايات المتحدة الامريكية في تلك الفترة بدأت تهيمن على السياسة الدولية, وان مصالحها في سوريا فرض عليها التنافس مع بريطانيا, ولكن يبدو ان الاخيرة رضخت للمصالح الامريكية , نتيجة المساعدات الامريكية التي قدمتها لها خلال الحرب العالمية الثانية وما بعدها, مما جعلها غير قادرة على الضغط بشكل كامل على حكومة الحناوي لجعلها لا تعترف بالاتفاقيات الموقعة مع الولايات المتحدة الامريكية.

الخاتمة

- تبين من خلال دراسة هذا الموضوع جملة من الاستنتاجات, يمكن اجمالها بالاتي:
- يبدو ان العوامل الداخلية كان لها دوراً كبيراً في انقلاب الحناوي على حسني الزعيم, لاسيما خلافات الاخير مع شخصيات مهمة ومؤثرة في الشارع السوري, وهو ما مهد الطريق للانقلاب, لاسيما ان الزعيم ارتكب اخطاء اوقعته في مشاكل كبيرة, اهمها مقتل انطوان سعادة مما ادى الى فقدان الشارع السوري الثقة بالزعيم , وبالتالي سهل من الانقلاب ضده.
 - ارتكب الزعيم اخطاء اخرى جعلت الشارع السوري يفرح للانقلاب, لاسيما قيامه بحظر الصحف والمجلات والاذاعات والاحزاب, مما ادى الى استياء الشعب السوري والرأي العام من سياسته, وبالتالي وقف الى جانب سامي الحناوي في الانقلاب.

- يبدو ان هناك مؤامرة خارجية مدعومة من بريطانيا للإطاحة بالزعيم, لاسيما اذا ما رأينا التنافس الامريكي- البريطاني على سوريا في تلك المدة, وعند المقارنة بين حكم الزعيم وحكم الحناوي نرى بان الزعيم نفذ المصالح الامريكية ووقف بالضد من المصالح البريطانية, وهو ما يشير الى وجود دعم امريكي للزعيم, بينما وقف سامي الحناوي في البداية الى جانب المصالح البريطانية لذلك تؤكد اغلب المصادر بوجود دور بريطاني في الانقلاب, لاسيما ان المصالح البريطانية تضررت في ايام حكم الزعيم.
- يبدو ان علاقة الزعيم بالفرنسيين ازعجت البريطانيين, لانهم شعروا بان الفرنسيين اخذوا يهيمنون على سوريا, وبشكل خاص على شركات الاسلحة, فدبروا الانقلاب لاسترجاع مصالحهم التي تضررت نتيجة الهيمنة الامريكية والفرنسية.
- من الامور التي تؤكد وجود دعم امريكي لانقلاب حسني الزعيم هو عدم اعتراف الادارة الامريكية بحكومة سامي الحناوي, على الرغم من انها اعترفت بحكومة الزعيم بسرعة من دون تردد, وهذا يشير الى ان الادارة الامريكية لم تكن منسقة مع سامي الحناوي لذلك اتسم موقفها بالبرود في البداية, ويبدو انها ارادت معرفة مدى التزام حكومة سامي الحناوي بالمصالح الامريكية.
- لعب وزير الخارجية الامريكية دين اتشيسون دوراً كبيراً في قضية الاعتراف الامريكي في حكومة الحناوي, اذ استطاع كسب الحكومة الجديدة لصالح الولايات المتحدة الامريكية, كما تمكن من اقناع الرئيس الامريكي للاعتراف بالحكومة الجديدة من خلال اقناعه بان اغلب الدول قد اعترفت بالنظام الجديد, فضلاً عن ان النظام الجديد ابدى استعداداً للتعاون مع الادارة الامريكية والاعتراف بجميع الاتفاقيات الدولية الموقعة معها, وبالتالي لم يكن امام الرئيس

الامريكى الا الاعتراف بنظام الحناوى, لان حكومة الحناوى بدأت بالسير
باتجاه المصالح الامريكية.

الهوامش:

- (١) سامى الحناوى: ولد سامى الحناوى عام ١٨٩٨ في مدينة حلب دخل مدرسة دار المعلمين في دمشق وتخرج منها عام ١٩١٦ وفي العام نفسه دخل الكلية العسكرية وتخرج منها عام ١٩١٩ , خدم بعدها في الدرك الثابت في سنجق لواء الإسكندرونه السوري واستمر في الجيش حتى ترقى الى رتبة عقيد بعد مشاركته مع قوات الجيش السوري في معركة فلسطين عام ١٩٤٨, قام بانقلاب ضد الزعيم في اب ١٩٤٩ وترأس اركان الجيش حتى اطيح به على يد اديب الشيشكلي في ١٩ كانون الاول/ ١٩٤٩ وتم سجنه حتى ايلول ١٩٥٠ وبعد اطلاق سراحه قتله احمد حرشو في بيروت في ٣١ تشرين الاول/ ١٩٥٠ انتقاما لمقتل ابن اخيه محسن البرازي, انظر: عبد الوهاب الكيالي وكامل الزهيرى, الموسوعة السياسية, بيروت , المؤسسة العربية للدراسات والنشر, ط١, ١٩٧٤, ص ٣٠٣.
- (٢) حسنى الزعيم: ولد في حلب عام ١٨٩٤ من عائلة كردية , درس في حلب ثم انتقل لدراسة العلوم العسكرية في اسطنبول, الا انه تمرد على العثمانيين والتحق بالثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ ثم انضم للفرنسيين خلال الانتداب عام ١٩٢١ , وتلقى تدريبات عسكرية في فرنسا وترقى عسكرياً, الا انه انضم الى حكومة فيشي خلال الحرب العالمية الثانية لذلك عوقب عام ١٩٤٣ بعد أن هزمت قوات فيشي في سوريا على يد قوات الحلفاء, وحكم عليه بالسجن عشر سنوات مع الأشغال الشاقة, فضلا عن تجريده من الرتب العسكرية, وكان حينذاك برتبة عقيد, ولكن أطلق سراحه عام ١٩٤٤ بعفو رئاسي من شكري القوتلي, شارك في حرب فلسطين عام ١٩٤٨, وقام باول انقلاب ضد القوتلي في ٣٠ اذار/ ١٩٤٩ الا انه لم يستمر طويلاً حتى اطيح به من قبل سامى الحناوى في اب ١٩٤٩, للمزيد انظر: ناجي عبد النبي بزي, سوريا صراع الاستقطاب: دراسة وتحليل

لإحداث الشرق الأوسط والتدخلات الدولية في الاحداث السورية ١٩١٧-١٩٧٠، دمشق، دار ابن العربي، ط١، ١٩٩٦، ص ٥١٥.

(3) J. M. Cook, Syria and the West Today, *Journal of the Royal Central Asian Society*, Vol.II, Part 1, January 1953, P.41.

(4) Memorandum by Secretary of State to the President April 25, 1949, F.R.U.S, Vol. VI, Washington, Department of State, 1977, P.1630.

(٥) سليمان المدني، هؤلاء حكموا سوريا ١٩١٨-١٩٧٠، دمشق، دار الانوار، ط٣، ١٩٩٨، ص ٦٣.

(٦) اكرم الحوراني: سياسي سوري اشترك في ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١، وحرب فلسطين عام ١٩٤٨ قاد ثورة الفلاحين ضد الاقطاعية في ريف حماة، شارك في الانقلابات العسكرية الثلاثة في سوريا عام ١٩٤٩، وقام بتأسيس الحزب العربي الاشتراكي، الذي اندمج مع حزب البعث فيما بعد، اصبح رئيس مجلس النواب عام ١٩٥٤، ونائب لرئيس الجمهورية العربية بعد قيام الوحدة عام ١٩٥٨، انفصل عن حزب البعث عام ١٩٦١ وسافر بعدها الى لبنان. للمزيد انظر: عبد الوهاب الكيالي وكامل الزهيري، المصدر السابق، ص ص ٦٧-٦٨.

(٧) هاشم عثمان، تاريخ سوريا الحديث، ط١، بيروت، ٢٠١٢، ص ٢١١.

(٨) رياض الصلح: سياسي لبناني ولد في صيدا عام ١٨٩٤ درس الحقوق وبدا العمل السياسي بعد تخرجه، ولكن حكم عليه الديوان العرفي التركي في عاليه بالنفي مع والده بسبب مناوئتهم لحزب الاتحاد والترقي العثماني فأمضيا سنوات ١٩١٦ و ١٩١٨ في الأناضول، ولكن عاد الى دمشق بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وانضم الى الجمعية العربية الفتاة السرية، وبعد الاحتلال الفرنسي لسوريا عام ١٩٢٠ ذهب إلى مصر. عاد عام ١٩٣٥ ودخل المجلس النيابي والتف حوله جمهور من الناس وأيدوه. وتولى رئاسة الوزراء عام ١٩٤٣، وكان من الناقمين على الحزب السوري القومي، فقام عدد من رجال الحزب بقتله في ١٦ تموز/ ١٩٥١ على طريق المطار في الاردن خلال عودته إلى

- بيروت. انظر: سليمان تقي الدين، التطور التاريخي للمشكلة اللبنانية، بيروت، دار ابن خلدون، ١٩٧٧، ص ١٨٠.
- (٩) عبد الوهاب الكيالي وكامل الزهيري، المصدر السابق، ص ٨٩.
- (١٠) أنطوان بطرس، أنطون سعادة من التأسيس إلى الشهادة، ١٩٣٢-١٩٤٩، ط١، بيروت، ٢٠١١، ص ص ٣٤٢-٣٤٥.
- (١١) صقر ابو فخر، سوريا وحطام المراكب المبعثرة، ط١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥، ص ص ١٢٨-١٢٩.
- (١٢) Sami Moubayed, *Syria and the USA: Washington's Relations with Damascus from Wilson to Eisenhower*, New York, I.B.Tauris Publishers, 2013, PP.83-84.
- (١٣) Gordon H. Torrey, *Syrian Politics and the Military, 1945-1958*, New York, Ohio State University Press, 1964, PP.142-143.
- (١٤) Meir Zamir, *The Secret Anglo-French War in the Middle East: Intelligence and Decolonization 1940-1948*, London, Routledge Press, 2014, P.42.
- (١٥) Ibid, P.42; بدر الدين السباعي، اضواء على الرأسمال في سوريا ١٩٠٨-١٩٥٨، دمشق، دار الجماهير، ١٩٦٧، ص ٤٦٧.
- (١٦) اندرو راثميل، الحرب الخفية في الشرق الاوسط: الصراع السري على سوريا ١٩٤٩-١٩٦١، ترجمة عبد الكريم محفوظ، دمشق، دار سليمة للكتاب، ١٩٩٧، ص ١٧٢.
- (١٧) نصوح بابيل، صحافة وسياسة سوريا في القرن العشرين، ط٢، بيروت، دار رياض الرئيس، ٢٠٠١، ص ٤٤١.
- (١٨) جوردن تروي، السياسة السورية والعسكريون ١٩٤٥-١٩٥٨، ترجمة محمود فلاح، ط٢، بيروت، دار الجماهير، ١٩٦٩، ص ١٥٣-١٥٤.
- (١٩) وليد المعلم، سوريا ١٩١٨-١٩٥٨: التحدي والمواجهة، دمشق، ط١، شركة بابل للطبع والنشر، ١٩٨٥، ص ١١٧.
- (٢٠) غالب العياش، تاريخ سوريا من الانقلاب الى الانقلاب ١٩١٨-١٩٥٤، بيروت، ١٩٥٤، ص ٥٩٥-٥٩٦.
- (٢١) محمد ابو عزة، الانقلاب العسكري في سوريا في عقود السبات وعدم الابصار، دمشق، المنارة للطباعة والنشر، ١٩٩٨، ص ٨٧.
- (٢٢) هاشم الاتاسي: سياسي سوري ولد في مدينة حمص عام ١٨٧٥، درس في اسطنبول وتقلد مناصب ادارية مهمة ، اسس وزارة الدفاع الوطني عام ١٩٢٠، وشارك في الثورة

السورية عام ١٩٢٥ ومعركة ميسلون، تم اختياره عام ١٩٢٨ رئيساً للجمعية التأسيسية لوضع الدستور، واختير كاول رئيس للجمهورية بعد دستور ١٩٣٦، واعد انتخابه عام ١٩٥٠ و ١٩٥٤، توفي عام ١٩٦٠. للمزيد انظر: احمد عطية الله، القاموس السياسي، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٨، ص ٤.

(٢٣) حزب الشعب: تأسس حزب الشعب عام ١٩٤٨ ويعد امتداداً لتحالف الاقطاع والبرجوازية التجارية في شمال سوريا، ومن اهدافه ايجاد وحدة بين العراق وسوريا في ظل العرش الهاشمي، ومن اهم مؤسسيه رشدي الخيكا ومعروف الدوالي وناظم القدسي وعلي بوضوه، للمزيد من التفاصيل انظر: ، ص ٤.

(٢٤) وليد المعلم، المصدر السابق، ص ١٢١.

(٢٥) خالد العظم، مذكرات خالد العظم، ج ٢، بيروت، الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٢، ص ١٤٥.

(٢٦) جوردن تروي، المصدر السابق، ص ص ١٦٠-١٦٢.

(27) Sami Moubayed, Syria and the USA: Washington's Relations with Damascus from Wilson to Eisenhower, London, I.B.Tauris, 2013, P.84.

(28) Meir Zamir, The Secret Anglo-French War in the Middle East: Intelligence and Decolonization, 1940-1948, London, Routledge, 2014, P.42.

(٢٩) الحزب الشيوعي السوري: تأسس الحزب في دمشق في ٢٨ تشرين الاول/ ١٩٢٤ ومن مبادئه الاساسية محاربة الرأسمالية وتأسيس النظام الاشتراكي، وكان له دور في مناهضة الاستعمار الفرنسي، تزعم الحزب خالد بكداش عام ١٩٢٧، واصر الحزب جردته الرسمية التي عرفت ب(صوت الشعب)، كما ساهم الحزب في الدفاع عن لواء الاسكندرونة عام ١٩٣٨، كما ناهض مشروع سوريا الكبرى، واشترك بعد سقوط حكم الشكلي عام ١٩٥٤ في المعركة الانتخابية واستطاع ان يوصل خالد البكداس الى البرلمان السوري. للمزيد من التفاصيل انظر: اسامة زكي عواد، تاريخ الاحزاب السياسية في سوريا، ط ١، دمشق، ١٩٩٧، ص ص ٨٣-٨٤.

(٣٠) أديب صالح عبد اللهبي، العلاقات السورية السوفيتية ١٩٤٦ - ١٩٦٧: دراسة تاريخية، عمان، دار غيداء للنشر والتوزيع، ٢٠١١، ص ٣٧.

(٣١) التابلاين: وهي اتفاقية نفطية سميت بذلك الاسم نسبة الى خط انابيب البترول الذي امتد من الاراضي السعودية الى البحر المتوسط، ويبلغ طوله (١٧٢٠ كم) ينقل من خلاله البترول من السعودية مع موازاة الحدود العراقية، ثم تخترق الاراضي السورية والاردنية واللبنانية والسورية حتى تصل الى البحر المتوسط في ميناء صيدا اللبناني، قامت الولايات المتحدة الامريكية بالاتفاق مع جميع حكومات هذه الدول من اجل تمرير الانبوب عب اراضيها، للمزيد من التفاصيل، احمد عطية الله، المصدر السابق ص ٢٥٤.

(٣٢) طه الهاشمي، مذكرات طه الهاشمي ١٩٤٢-١٩٥٥ (العراق، سوريا، القضية الفلسطينية) ط١، ج٢، بيروت، دار الطليعة للطباعة، ١٩٨٧، ص ٢٨٠.

(٣٣) ابراهيم سعيد البيضاني، السياسة الامريكية تجاه سوريا ١٩٣٦ - ١٩٥٨، عمان، دار امواج للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٥، ص ٢١٦.

(٣٤) أديب صالح عبد اللهبي، المصدر السابق، ص ص ٣٧-٣٨.

(٣٥) ابراهيم سعيد البيضاني، المصدر السابق، ص ٢٢١.

(36) The Secretary of State (Tel.) to the legation in Syria, September 17, 1949, F.R.U.S, Vol. VI, Op.Cit, 1977, P.1633-1634.

(37) The Secretary of State (Tel.) to the legation in Syria, September 17, 1949, F.R.U.S, Vol. VI, Ibid, 1977, P.1634-1635.

(٣٨) دين آتشيسون: سياسي امريكي ولد عام ١٨٩٣ من الحزب الديمقراطي، ولد في مدينة كونكتيكت من اب بريطاني وام كندية، درس القانون في جامعة هارفرد عام ١٩١٨. شغل العديد من المناصب، اهمها مساعد وزير الخزانة الامريكي ١٩٤٣-١٩٤٥، بعدها شغل منصب مساعد وزير الخارجية ١٩٤٥-١٩٤٧، ووزير الخارجية ١٩٤٩-١٩٥٣ في عهد الرئيس الامريكي ترومان. جاءت أهمية آتشيسون من الدور المحوري الذي قام به في بناء السياسة الخارجية الأمريكية زمن الحرب الباردة عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية. وقد لعب آتشيسون دوراً في إقامة التحالف الغربي المناوئ للكتلة الشرقية التي تزعمها الاتحاد السوفيتي، توفي في تشرين الاول ١٩٧١. للمزيد من التفاصيل، انظر:

Frank N. Magill, *The 20th Century A-GI: Dictionary of World Biography*, London, Routledge, 2013, PP.16-20.

(٣٩) هاري ترومان: سياسي امريكي ورجل دولة امريكي ولد عام ١٨٨٤ في ولاية ميسوري خدم في الحرس الوطني في ولايته من عام ١٩٠٥ الى ١٩١١ وشارك في الحرب العالمية الاولى وانضم لقوات الاحتياط بعد الحرب، وفي عام ١٩٢٢ تم انتخابه قاضياً في محكمة مقاطعة جاكسون واستمر في المنصب حتى عام ١٩٣٠ ، وفي عام ١٩٣٤ تم انتخابه عضو في مجلس الشيوخ الامريكي واعيد انتخابه عام ١٩٤٠ ، وفي عام ١٩٤٤ تم ترشيحه نائباً للرئيس روزفلت، وتولى الرئاسة بعد وفاة الرئيس الامريكي روزفلت في ١٢ نيسان / ١٩٤٥ ، ودعا ترومان الى انتهاء الحرب في اوربا ، وشارك في مؤتمر بوتسدام، كما وافق على اسقاط القنبلتين الذريتين على اليابان في اب ١٩٤٥ والتي استسلمت اليابان على اثرها في ١٤ اب / ١٩٤٥ ، واستمر ترومان في منصبه حتى عام ١٩٥٣ . للمزيد من التفاصيل، انظر:

William Glenn Gray and Others, *Encyclopedia of the Cold War*, London, Routledge, 2013, PP.906-908.

(40) Memorandum by Secretary of State to the President September 19, 1949 , F.R.U.S, Vol. VI, Op.Cit, P.1635-1636.

التطورات الاقتصادية الألمانية

١٨٧٠ - ١٩١٤ م

م. م . نوال زغير عذاب

كلية الامام الكاظم (ع)

للعلوم الاسلامية الجامعة

التطورات الاقتصادية الألمانية ١٨٧٠ - ١٩١٤ م

م. م . نوال زغير عذاب

الملخص

يتناول البحث التطورات الاقتصادية الداخلية التي مرت بها ألمانيا خلال المدة ١٨٧٠ - ١٩١٤، والدور الذي قام به عدد من ساستها الكبار في ذلك، وتم التركيز على العوامل التي أسهمت في النهضة الصناعية الداخلية والوقوف على أبرز الجوانب التي حدث بها تطور صناعي وتجاري مهم، ومقارنة ذلك بالإحصائيات والأرقام التي أوردتها المصادر الموثوقة، ناهيك عن الأثر الذي تركته التطورات الاقتصادية على مستقبل ألمانيا السياسي خلال تلك المدة.

Abstract

It addresses to discuss domestic economic developments experienced by Germany during the period 1870 - 1914, and the role played by a number of senior politicians in it, was to focus on the factors that contributed to the internal industrial renaissance and stand on the main aspects that happened by industrial and commercial development is important, and compared it statistics and figures reported by reliable sources, not to mention the impact of the economic developments on the political future of Germany during that period, and experience in external colonialism and their ability to cope with major countries in that side.

" المقدمة "

عدت التطورات الاقتصادية الداخلية التي شهدتها ألمانيا في نهاية القرن الثامن عشر حتى العقد الأول من القرن العشرين مهمة جداً في رسم مستقبل ألمانيا، ولا سيما الدور الذي قام به بسمارك في انجاز الوحدة الألمانية وقيام الإمبراطورية الألمانية في عام ١٨٧١، حيث أعطى زخماً قوياً للتطور الصناعي بحيث أصبحت تلك المدة نقطة

تحول مهمة في تاريخها. فضلاً عن ذلك تم متابعة السياسة الخارجية لألمانيا خلال تلك المدة وأثر ذلك في تطورها الاقتصادي الداخلي، فضلاً عن متابعة العقبات التي اعترضت ذلك والمنافسة الشديدة من الدول الاستعمارية الأخرى. تم الاعتماد على عدد من المصادر العربية والأجنبية والبحوث الأكاديمية التي غطت ثانياً البحث وثبتت في نهايته.

التعرفة الكمركية الموحدة (١٨١٦ - ١٨٢٢)

كان للاحداث التي شملت اوربا في الربع الاول من القرن التاسع عشر ومنها حروب الثورة الفرنسية والحملات العسكرية لنابليون والحصار القاري وتسويات مؤتمر فينا التي قامت على مبدأ التعويض وتحقيق التوازن في القوى ، آثاها الاقتصادية السيئة على وسط اوربا ، ونتيجة لذلك مرت بروسيا في ظروف اقتصادية غاية في الصعوبة ، اذ لا توجد فيها صناعة متطورة، فضلا عن التوزيع السيء للأراضي الزراعية والصادرات الزراعية المحدودة ومناجم الفحم التي لا تعمل ، ناهيك عن المصانع (ورش العمل الصغيرة) التي بدأت تقل اهميتها بسبب استخدام النول اليدوي ودواليب الغزل المنزلية، وفي حوض الراين عموماً كانت (في الماضي) هناك تجارة حرة محدودة ، وتعريفات كمركية جائرة الى حد بعيد^(١)، اذا توجد هناك (٧٦) تعرفة كمركية مختلفة الانواع ، علاوة على ذلك تتكون بروسيا من اربعة اجزاء مختلفة وعلى نحو اوجد لها حدود بمسافة (٨٠) كم^(٢) وتجاور (١٨) دولة مختلفة ، كل ذلك ادى ببروسيا الى ان تمر بضائقة مالية معقدة^(٣) .

وقد رافق تلك الاوضاع والظروف المذكورة آنفاً تذمر التجار ورجال الاعمال في بروسيا الراينية بسبب منافسة البضائع البريطانية لهم ، فضلاً عن تعدد الضرائب وارتباطها بضريبة الانتاج التي تدفعها المدن على السلع

التطورات الاقتصادية الألمانية ١٨٧٠ - ١٩١٤ م.....

المستهلكة داخليا في بروسيا عامة ، الامر الذي ادى الى تعقيد وتداخل انظمة الضرائب والسبب في ذلك يعود الى طول الحدود البروسية وكثرة الدول التي تجاورها والتداخل بينها وبين الدول التي تكون على شكل جيوب داخل بروسيا فضلا عن المنافسة الخارجية ^(٤).

اما تلك الظروف فقد منعت قيام ثورة صناعية في بروسيا التي تمتلك الكثير من الموارد الضخمة من الفحم والحديد وبعض الالات الميكانيكية التي تم استيرادها من بريطانيا ، وقليل من المصانع التي بنيت آنذاك ، اذ أن كل ذلك من مؤهلات قيام صناعة متطورة في بروسيا كما حدث في بريطانيا وفرنسا في القرنين السابع عشر والثامن عشر ^(٥).

ولاجل التخلص من هذا الوضع الاقتصادي الصعب المعقد ، بدأت بروسيا تبحث عن حلول ومعالجات اقتصادية بقيادة كارل جورج فون ماسين (Carl Georg Von Massen) (١٨٨٠ - ١٩٤٠)، الذي وضع سياسة اقتصادية عملية اوجدت لبروسيا مطالبات مباشرة تمثلت بخلق موارد اقتصادية جديدة للدخل القومي ، بفرض ضرائب جديدة والغاء الاجراءات المالية والادارية السابقة وتسريع العمليات التجارية كالاتصال وحرية المرور عبر المنافذ البرية والنهرية والبحرية وفرض قوانين حماية كمركية خارجية وحرية التبادل التجاري الداخلي ^(٦).

وكخطوة اولى في طريق ايجاد تعرفة كمركية موحدة اصدرت حكومة بروسيا في الحادي عشر من حزيران ١٨١٦ قانوناً الغت بموجبه كل التعريفات الكمركية بين مقاطعاتها المختلفة ، واقتصرها عند حدود كل مقاطعة من المقاطعات البروسية ، وبهدف تبسيط النظام الضريبي وتوحيده في الاراضي البروسية كما اصدرت الحكومة البروسية في السادس والعشرين من أيار ١٨١٨ قانون ثاني اكد على ضرورة توحيد التعرفة الكمركية لكل بروسيا، وذلك بسبب اضعاف تجارة التهريب بدرجة كبيرة ، وقد

أخذ التوجه الجديد في السياسة التجارية البروسية بالمصالح الاقتصادية والتجارية للدويلات الألمانية التي لها أراضٍ متداخلة مع الأراضي البروسية على شكل جيوب (Enclaves)، إذ يوجد ما يقارب الاثنتي عشرة دويلة ألمانية لها عدد من هذه الجيوب البالغة (٢٧) جيوباً في داخل الأراضي البروسية ، إذ خلقت تلك السياسة وضعاً جديداً في هذه الجيوب عندما بدأت التعرف الكمركية البروسية تحيطها من كل مكان ، ويبدو أن الحكومة بدأت تدرك المزايا الاقتصادية المهمة التي من الممكن أن تجنيها من وراء توحيد التعرف الكمركية والرسوم التي استخدمتها وسيلة لحماية منتجاتها الوطنية ومصدر للربح^(٧). ويبدو لنا أن تلك القوانين أسهمت إلى حد ما في تحسين الأوضاع الاقتصادية والتجارية في بروسيا والدويلات الأخرى ، كونها حدثت على نحو كبير المعوقات التي تعترض التجارة ولاسيما مسألة التهريب وغيرها .

ويتضح أن موقع بروسيا يمثل موقعا ستراتيجياً هاماً إذ منحها إمكانية التحكم بتجارة واقتصاديات دويلات الاتحاد الألماني ، منها الجيوب أو التي تملك حدوداً مع بروسيا ، لاسيما كل الطرق التي تربط شمال ألمانيا بجنوبها تمر عبر الأراضي البروسية بسبب موقع بروسيا الممتد شرقاً وغرباً في وسط ألمانيا ، وأخذت الحكومة تفرض رسوماً كمركية على التجارة الخارجية التي تسلك الطرق المارة بها ما عدا طريقين طريق هامبورغ إلى هانوفر وكاسل في الغرب ثم طريق لينبرغ التجاري مع بولندا وروسيا^(٨).

أن مواصلة بروسيا جهودها فيما يتعلق بإلغاء التعرف الكمركية بين مقاطعاتها المختلفة وفرض رسوم كمركية على التجارة المارة بأراضيها يدل على عدم تقيدها بمقررات مؤتمر فيينا وعدم أخذها بنظر الاعتبار الأضرار التي لحقت بدويلات الاتحاد الألماني فإتجهت نحو اقناع "دول الجنوب" بالانضمام لنظام التعرف الكمركية البروسية دويلة شوزورزبرغ سوندرشين

(Sonershausen Schwarzburg) التي وجدت في نظام التعرفة الكمركية البروسية ضررا كبيرا في وضعها الاقتصادي وقد تكلفت جهودها بالنجاح في ٢٥ تشرين الثاني ١٨١٩ عندما انضمت هذه الدولة الى نظام التعرفة البروسية بعد معاهدة بتقسيم تلك التعرفة بين الدولتين^(٩).

وبمرور الوقت زاد عدد الدويلات الجيوب بصورة ولاسيما المنضمة الى نظام التعرفة الكمركية البروسية الموحدة، ففي سنة ١٨٢٢ انضمت ويمار Wamar وكاثا Catha ومكلنبورغ Mecklenburg ، شجويرن Schwerin ، شمبيرغ ليبب Rudolstada و رودوليت Schaaumburg Lippe و بيمبرغ Bamberg ، اذ سارت التعرفة التعرفة الكمركية البروسية في هذه الدويلات وبالمقابل اخذت بروسيا تدفع لكل منها نصيبها من حصيلة الرسوم الكمركية اعتماداً على نسبة السكان، والتزمت بروسيا باحترام حقوق السيادة العليا لهذه الدويلات كقضايا التفقيش ومراقبة تجارة التهريب ومصادرة البضائع^(١٠).

الزولفراين في مواجهة اتحاد الجنوب (١٨٢٦ - ١٨٢٩).

قامت بروسيا في منتصف عشرينيات القرن التاسع عشر ابان عهد فردريك كرستيان ادولف Friedrich Christian Adolf (١٧٧٥-١٨٣٠) وزير ماليتها سلسلة اجراءات جديدة تمثلت باصلاح التنظيم الاقتصادي الداخلي ، وايجاد نظام تعرفة كمركية واحدة والسعي للضغط على الدويلات المجاورة (الجيوب) بالدخول في هذا النظام والسيطرة على تجارة التهريب والاقتصاد في النفقات الادارية وتسهيل الاجراءات المالية على نحو اثار اعجاب حكومات الدويلات الالمانية المجاورة التي اخذت تنظم الى نظام التعرفة الكمركية البروسية الواحدة بعد الاخرى خلال السنوات ١٨٢٦ - ١٨٢٨^(١١) ، وان انضمام الدويلات الالمانية للنظام الجديد يمثل سعيها في الخروج من الصعوبات المالية التي اخذت تواجهها فقد مثلت غراندوقية هس درمستاد Hess

Darmstadt ، وهي دولة من الحجم المتوسط ومجاورة لبروسيا وهي إحدى الدويلات التي عانت من الازمات المالية الخانقة اذا تتألف من جزئين غير متصلين مع بعضهما البعض فالمقاطعات البروسية تقسمها الى قسمين بروسيا الراينية والوستغالية في الجانب الغربي والاقاليم البروسية الوسطى في الجانب الشرقي مما حد من نشاطها الاقتصادي والصناعي بسبب الحواجز الكمركية البروسية ونتيجة لذلك وفي تموز ١٨٢٧ دخلت هس درمستاد في مفاوضات مع بروسيا لعقد معاهدة تجارية واستمرت المفاوضات لبعض الوقت وبسرية تامة توجت بتوقيع معاهدة في الرابع عشر من شباط ١٨٢٨ نصت على انضمام هس درمستاد الى النظام الكمركي البروسي في اتحاد كمركي بين الدولتين طبقاً للقانون الصادر في ١٦ ايار ١٨١٨ ، ووفقاً لشروط المساواة في الحقوق المالية ، وتصويت متساو في القرار السياسي ، وتقسيم الدخل من الضرائب على اساس عدد السكان ، وحق الاعتراض كما حددته المعاهدة بمدة ست سنوات^(١٢).

ومن اجل الوقوف بوجه الزولفراين البروسي والحد من النجاحات التي حققها متمثلة بانضمام عدد كبير من دويلات (الجيوب) والدويلات الاخرى المجاورة لبروسيا ، فضلا عن الفوائد الاقتصادية التي جناها الاعضاء المنضمين للزولفراين بعد ذلك بدأت دويلات الاتحاد الالمانى التفكير باقامة اتحادات كمركية فيما بينها ، ففي الثامن عشر من حزيران ١٨٢٨ قامت معاهدة اتحاد كمركي بين دولتي الجنوب بفاريا و رترميترغ وانضمت اليها ثلاثة من جيرانهم الصغار^(١٣).

الملاحظ أن مخاوف الدويلات الالمانية زادت في نظام التعرف الكمركية الموحدة التي اخذت بروسيا تنفذه، فخشيت تلك الدويلات من السيطرة البروسية على الاتحاد الالمانى ، اذ ألغت دويلات الوسط في ايلول ١٨٢٨ اتحاداً كمركياً جديداً بموجب معاهدة فرانكفورت ضمت كل من ساكسونيا وهس وكاسل وهانوفر وبرونزويك والمدن

الحرّة هامبورغ وبريمن وفرانكفورت ودوقيات ثورنغيا المستقلة ومدة هذا الاتحاد ست سنوات^(١٤).

اثارت تلك التكتلات الحكومة البروسية في عهد وزير ماليتها وهددت بسد الطرق التجارية بوجهها ، فحاولت استغلال الفرص للتخلص من تلك التكتلات ، اذ وجدت الحكومات الجنوبية بفاريا و رتنبورغ ان طبيعة اقتصادها متشابه والفوائد الكمركية ضئيلة ومكلفة بنسبة ٤٤ % من قيمة الضرائب بالاضافة الى ان احدى مقاطعات بفاريا البلاثينات البفارية كانت معزولة عن سائر اقاليم مملكة بفاريا وذلك لوقوعها على الجانب الاخر من نهر الراين في حين تفصلها هس دارمستاد وبادن عن باقي المقاطعات فرأت بفاريا وورتمبرغ انه من الضروري التفاوض مع بروسيا التي بدورها رحبت بعقد معاهدة تجارية ، فبدأت مفاوضاتها في كانون الثاني ١٨٢٩ وانتهت في ٢٧ ايار ١٨٢٧ اذ اكدت على تخفيض الضرائب الكمركية على نحو تدريجي بين الاتحادين ثم تبع ذلك خطوة اخرى وهي الالغاء النهائي للضرائب الكمركية^(١٥)، اما النجاح البروسي الذي تحقق باقامة الزولفرين فقد دلل كل الصعوبات التي اعترضت طريقها عندما استطاعت مواجهة الصعوبات في الاتحادات الكمركية في الجنوب والوسط .

ان المزايا الاقتصادية الجيدة التي حققها الزولفرين جعلت دول الجيوب والصغرى تتسابق للانضمام اليه مثل ماكس كوبرغ و مايننغ فبدأت مفاوضاتها مع هاتين الدولتين مستغلة جيبها الذي يوجد بينهما ورغبتهما بالانضمام للزولفرين للتسهيل عملية التبادل التجاري فانفق الاطراف الثلاثة على تأسيس ممر تجاري تقع اعباؤه المالية على الاطراف المعنية اذ يبدأ في روسيا فيخترق ساكس كوبرغ وساكس مايننغن وفي الجيب الروسي عند ورتمبرغ في بفاريا وفي طرف اخر عند بامبرغ في ورتمبرغ واصبح هذا الطريق يمر عبر اتحاد الوسط بجيب يربط الاراضي البروسية بالدول الجنوبية^(١٦).

ويمكن القول أن الزولفراين كان من أهم الخطوات التي أسهمت بحل العديد من المشكلات الاقتصادية في الدويلات الألمانية ، وكان سبباً مهماً وراء الوحدة الألمانية وساسة بروسيا وعلى رأسهم أوتو فون بسمارك (Otto von Bismarck ١٨١٥ - ١٨٩٨) .

ألمانيا في الفترة بين (١٨٧٠ - ١٨٧٩)

استمر بسمارك مُسيطرًا على الحكم وبوجه شؤون بلاده ويؤثر في مصائر العالم مدة تسعة عشر عاماً بعد تأسيس الامبراطورية الألمانية وطابت نفسه بعد الاعمال الجلية التي انجزها الى حصر جهوده في وقاية المانيا من التقلبات الداخلية والخارجية فلم يكن له مطمع في تأسيس امبراطورية استعمارية او التوسع في الشرق وكان من بين القواعد الاساسية لسياسته الا يعرض صداقة بريطانيا لبلاده للخطر بتحدي سيطرتها على البحار فقد كان مُدركاً للاخطار التي يطويها الموقف السياسي في القارة الاوربية بين دفتيه^(١٧).

ولم يرم ان يخاطر بمغامرات جديدة فقد ابصر ان فرنسا لا تتزع الى المصالحة وروسيا لا يمكن الركون الى صداقتها والنمسا مازالت تنتظر بريبة الى برلين فاضطر ان يركز مواهبه الدبلوماسية كلها الى هاتين المعضلتين وهما ؛ كيف يكون على ود وصداقة مع روسيا من غير اغضاب بريطانيا ومع النمسا من غير ابتعاد روسيا عنه ، وكان عزل فرنسا والسيطرة على اوربا بجيش الماني قوي ، والمحافظة على نظامه الاوتقراطي المبادئ الهادية لسياسته وقد ساعدته على النجاح عدة صدف عجيبة من طول العمر وقصره فان الامبراطور وليم الاول الذي مات سنة ١٨٨٨ ، كان عمره قد طال الى زهاء التسعين عاماً وحين اعتلى ابنه فردريك العرش كان السرطان يهصر حياته فشلت يداه خلال حكمه الذي دام تسعين يوما فقط عن ان يؤثر في مجرى

الامور ويموت هذا العاهل الحر النزعة هذه الميته المفجعة ، ازيحت اعظم عقبة في سبيل بسمارك لتنفيذ سياسته (١٨).

وبينما كانت الصناعة تتقدم على هذا المنوال وتبدل من اخلاق الامة الالمانية ، وانواع حرف ابنائها ، وجهت عناية كبيرة لتنمية البحرية الالمانية فشرعت المراكب الالمانية في اعداد سريعة الزيادة ، تشق عباب المحيط الاطلسي ، وترسو في القارة الافريقية وتتاجر مع الشرق الاوسط ، واستيقضت الروح الهنسية القديمة من رقادها (١٩)، ففي العشرين سنة التي تخللت سني ١٨٧٠ - ١٨٩٠ ، تضاعفت حمولة سفن الامبراطورية الالمانية سبعة اضعاف ورفعت الصوت عاليا مطالباً بمستعمرات وبوضع حماية ضد القمح الامريكي والمصنوعات الانجليزية وبنهج سياسة نشطة في كل صقع من اصقاع العالم وبلغ ضغط الرأي العام في هذه النواحي من الشدة بحيث لم يكن في مقدور أي سياسي أن يصمد في سياسته هذه طويلاً ، فأقر بسمارك سنة ١٨٧٩ مبدأ حماية الصناعة الالمانية كأساس لسياسته الجمركية ، وبعد ثلاث سنين يوجه ألمانيا في طريق الاستعمار مُتَذَرَعاً بأن للضرورة أحكام .

وحدث في العام ١٨٨٣ تأسيس (شركة الكهرباء الألمانية) التي يرمز لها AEG وهي الاتحاد الكهربائي الضخم وهو من أضخم الصناعات العلمية الالمانية، وقد استفادت ألمانيا من خيارات هذه الصناعة الحديثة في بلادها .

وشهدت المانيا تغيير في حياتها الاقتصادية شبه - ماعدا في شدة سرعته - بذلك التغيير الذي شهدته بريطانيا أثناء الثورة الصناعية ، فقد امتازت عقود السنين التي شهدت الحرب البروسية - الفرنسية بتقدم هائل في الصناعة والتجارة الالمانيتين ، بعدما كانت تلك البلاد تعيش في فاقة اقتصادية وأصبحت الهجرة من الريف إلى المدن في تزايد مستمر حتى أصبحت كفة الألمان الحضريين تساوي كفة الالمان الريفيين (٢٠).

وانت لالمانيا الزعامة في اهم فرعين من فروع الصناعة الجديدة وهما الصناعات الكيماوية والصناعات الكهربائية كثمرتين طبيعيتين لتفوق الشعب الالمانى في شؤون التعليم فزادت الكميات المستخرجة من الفحم الحجري أضعافاً مضاعفة اذ ارتفعت من ثلاثين مليون طن في سنة ١٨٧١ الى مائة وتسعين مليون طن في سنة ١٩١٣ . وكان للتقدم العلمي الذي حدث في بريطانيا الأثر الكبير في الانتعاش اقتصادياً بالحديد الخام المستخرج من مناجم لكسمبرج والورين ، فتحولت منطقة الفحم في وستفاليا الى اقليم يضاهاى في نشاطه وتركيز الصناعة فيه اغنى مقاطعات بريطانيا الصناعية (٢١).

كان عمال المناجم والمصانع الالمانية يتعرضون لمصاعب شتى ، ويتوجسون من مخاوف ، تماثل تلك التي عاناها عمال المصانع الانجليزية قبل سن قوانين المصانع (٢٢).

ولكن بسمارك كان سياسياً اعظم من ان تغفو عيناه عن رؤية أهمية المسائل الاجتماعية ، لذلك كان عليه أن يرضي العمال وأن لا يترك الأمور تجري وفق الأهواء الشخصية غير المكبوحة وبذلك قامت الدولة على وضع أسس وقوانين جديدة للعمل تبعاً للظروف المتغيرة الناجمة عن الثورة الصناعية ، فوضعت قوانين تحمي الشيوخ في العوز ، وقوانين تؤمن للعمال حقوقهم ضد أخطار المرض والحوادث (٢٣).

التغلغل الاقتصادي الخارجي

قامت ثورة ١٨٤٨ في المانيا بانجازات مهمة قومية وديمقراطية، من قبيل الغاء التجزئة السياسية وتحقيق الوحدة القومية للشعب الالمانى والقضاء على الانظمة الاقطاعية في الريف واسقاط انظمة الحكم القائمة في دول الاتحاد الالمانى والغاء الامتيازات الطبقية التي كان النبلاء يتمتعون بها ، لكن الثورة لم تنجح في تحقيق

المهام التي قامت من اجلها ، وبالتالي انحسر المد الثوري وانتصرت الرجعية
الاقطاعية^(٢٤).

ومع ذلك استمر التطور الاقتصادي في المانيا ولكنه بقي يجري في ظل الانظمة
الرجعية والمستبدية وبقايا الانظمة الاقطاعية التي ظلت سائدة في كثير من اوجه الحياة
، الا ان قيام الوحدة الالمانية وقيام الامبراطورية الالمانية في عام ١٨٧١ اعطى زخماً
قوياً للتطور الاقتصادي في المانيا حتى اصبح التطور الاقتصادي في المانيا في العقد
الثامن من القرن التاسع عشر نقطة تحول في تطور الحياة السياسية والاجتماعية في
المانيا^(٢٥).

اخذت المانيا بالتطور السريع، ولاسيما في بداية سبعينات القرن التاسع عشر ،
بحيث انها انتقلت بسرعة قياسية من المرتبة الرابعة في العالم من حيث مستوى التطور
الصناعي الى المرتبة الثانية بعد بريطانيا بل واخذت تنافس هذه الاخيرة على المرتبة
الاولى^(٢٦). وكان وراء ذلك التطور العاصف في الصناعة الالمانية في العقدين الذين
اعقبا قيام الامبراطورية الالمانية اسباب كثيرة ومهمة^(٢٧):

١- العلاقات التجارية التي تربط المانيا منذ القدم ببريطانيا والثروات الطبيعية الكبيرة
وعلى الاخص توفر خامات بعض المعادن .

٢- توفر الفحم بكميات كبيرة .

٣- وجود الانهار الصالحة للملاحة كالراين والودر والالب التي استخدمت منذ القدم
في القارة وتربط وسط اوربا بالبحر .

٤- تطور العلوم في المانيا وخبرتها المتراكمة في التنظيم .

٥- اقتطاع الالزاس واللورين الغنيين بالحديد من فرنسا .

٦- الغرامة الحربية الكبيرة التي فرضتها المانيا على فرنسا بموجب معاهدة صلح
فرانكفورت ١٨٧١.

وعلى أية حال ان معدل السكان في الارياض انخفضت خلال ٢٤ سنة منذ تحقيق الوحدة الألمانية وقيام الامبراطورية (١٨٧١ - ١٨٩٥) من ٦٤ % في ١٨٧١ الى ٨,٤٩ % في ١٨٩٥ في حين ازدادت نسبة سكان المدن في المدة ذاتها من ٣٦ % الى ٢,٥٠ % على التوالي^(٢٨). كما ان الفحم المستخرج من المانيا والذي قدر بحوالي ١٢,٣ مليون طن في ١٨٦٠ اخذ بازدياد حتى بلغ المعدل السنوي للانتاج ٥٢ مليون طن في السنوات الخمس (١٨٧٦ - ١٨٨٠) و ٧٢ مليون طن (بل ٩٥ مليون طن اذا ادخلنا ضمنها انتاج فحم الليجينت) في (١٨٩١ - ١٨٩٥)^(٢٩).

وهكذا زادت حصة المانيا في الانتاج العالمي للحديد الزهر والفحم واستمر التطور الصناعي في المانيا على التصاعد في بداية القرن العشرين وكذلك ازداد انتاج الخامات المختلفة وعلى الاخص الفحم والحديد والفولاذ فقد ازداد المعدل السنوي لاستخراج الفحم من (١٦٢) مليون طن في (١٩٠١ - ١٩٠٥) الى (٢٣٤) مليون طن في ١٩١١ اي بمقدار (٧٢) مليون طن , اما في انتاج الفولاذ فقد استطاعت المانيا ان تتجاوز بريطانيا في ١٩٠٠ فاحتلت المركز الثاني بعد الولايات المتحدة حيث بلغت كمية الانتاج فيها في السنة المذكورة (٦,٦) مليون طن وظل الفرق بين الدولتين في هذا المجال يتسع لصالح المانيا حتى بلغت كمية الانتاج الالمانى في ١٩١٠ اكثر من كمية الانتاج البريطانى بأكثر من مرتين (٥,١٣) مليون طن مقابل (٦,٥) مليون طن^(٣٠).

ومع تطور الصناعة في المانيا بدأت عملية تمركز الانتاج وكانت تجري هناك بسرعة اكبر مما جرت في اي بلد اوربي آخر حيث بدأت الاتحادات الاحتكارية بالظهور ولم تلبث ان شملت جميع فروع الصناعة الألمانية بما في ذلك فروع الصناعات التي ظهرت حديثاً ولم تكن موجودة من قبل مثل صناعة المعدات والادوات الكهربائية والصناعة الكيماوية التي كانت المانيا تحتل فيها المركز الاول ليس في

أوروبا فقط بل في العالم كله وقد ارتبطت هذه المنظمات الاحتكارية بالبنوك الألمانية الكبيرة وتحولت إلى أقوى واقع للتوسع الإمبريالي الألماني^(٣١).

في الوقت ذاته كانت تجري عملية تمركز رأس المال تسير بوتائر أسرع مما هو عليه في أي بلد أوروبي آخر بحيث تضاعف رأس المال للبنوك الألمانية خلال الثلاثين سنة الأخرى من القرن التاسع عشر عدة مرات فغدت البنوك الألمانية قادرة لا على تمويل الصناعة الألمانية باجمعتها فقط بل وإنما بسبب ذلك أصبحت تسيطر عليها وتوجهها باتجاه التعجيل بعملية تركيزها وإنشاء المنظمات الاقتصادية الكبيرة^(٣٢).

وهكذا أصبحت تلك المنظمات الاحتكارية تؤدي دوراً حاسماً في الحياة الاقتصادية للبلد وكانت على رأسها دائرة تضيق باستمرار في المؤسسات والمصرفيين ومدراء الكونسيرتات الكبيرة ورجال الأعمال الذين يؤلفون الأدليكاركية المالية وأصبح هؤلاء هم المسيطرون الحقيقيون على البلد حيث كانوا دون أن يتقلدوا مناصب حكومية أو سياسية رسمية يبدون تأثيراً حاسماً في سياسة ألمانيا الداخلية والخارجية^(٣٣).

لقد اقترنت تطور الصناعة الألمانية بضيق في السوق الداخلية مع وجود بقايا أقطاع لا يستهان بها ، الأمر الذي جعل الرأسمال الألماني يولي اهتماماً متزايداً للأسواق الخارجية ، وهكذا ساعدت الظروف الاقتصادية إلى تقاوم التناقض بين الإنتاج المتنامي باستمرار وضيق ومحدودية السوق الداخلية^(٣٤) ، الأمر الذي شدد في مساعي الأوساط الحاكمة في ألمانيا لحل المشكلات التي تجمعت عن ذلك بالعدوان والتوسع الخارجي ، كذلك كان التطور السريع للعسكرية الألمانية يسير بالاتجاه نفسه فوجود ماكنة عسكرية متقدمة وصناعة عالية التطور كان دافعاً قوياً جديداً للتوسع الاستعماري^(٣٥).

وهكذا سعت ألمانيا للحصول على مستعمرات ، ولكن ظهورها على المسرح الاستعماري كان متأخراً ، وبهذا كان لابد لها أن تنتزع مناطق المستعمرات والنفوذ في

الدول الرأسمالية وان تخوض صراعاً عنيفاً من اجل اعادة اقتسام الاسواق والمستعمرات واستطاعت ان تحقق في هذا المجال بعض النجاح ولاسيما في ثمانينيات القرن التاسع عشر فاستولت على مناطق لا يستهان بها في افريقيا واسيا وفي المحيط الهادي^(٣٦). وهكذا كان بناء السكك الحديدية ميداناً اصطدمت فيه بشدة وعنف مصالح الدول الاستعمارية المختلفة ، وهذا ايضاً حقق للامان نجاحات لا يستهان بها وخرجوا من صراعهم مع استعمارىو الدول الاخرى في هذا الميدان بحصيلة مهمة فقد كانت عائدة السكك الحديدية في الدولة العثمانية قبل الحرب العالمية الاولى على النحو التالي : (٢٠٧٧) كم اي ٣٩,٦% تعود الى فرنسا و (٢٥٦٥) كم اي ٤٩% الى المانيا و (٦١٠) كم اي ١١,٤% الى بريطانيا^(٣٧).

كان الامبراطور الالماني وليم الثاني بزيارة الى الدولة العثمانية للمرة الثانية في ١٨٩٨ وقد تمخضت زيارته هذه عن نتائج مهمة بالنسبة للتغلغل الالماني في اقطار الدولة العثمانية ولعل اهم هذه النتائج هي حصول الالمان على موافقة السلطات على منحهم امتياز بناء سكة حديد بغداد ومن هنا بدأ الصراع بين الدول الاستعمارية من اجل السيطرة السياسية على اقطار المشرق العربي واقطار المنطقة الاخرى من اجل الاستحواذ على مكان الصدارة في هذه المنطقة الغنية^(٣٨).

لقد حقق امتياز سكة حديد بغداد لالمانيا الكثير من الفوائد الاقتصادية والمالية تمثلت بما يدرة استثمار البنوك الالمانية لرؤوس اموالها في انشاء السكة وفي تجهيز بناء الخط بما يحتاجه من ادوات ومعدات كالفضبان والقاطرات والعربات وغيرها وبعد توقيع الامتياز في شكله النهائي عام ١٩٠٣ كان يعطي لالمانيا الحق في ان تنشئ ميناءً نهرياً في بغداد وتسير سفناً في نهري دجلة والفرات وكذلك الحق في التنقيب عن النفط وقد بدأ التنقيب في منطقة الموصل عام ١٩٠٤ لكن الافضليات التي تمتلكها سكة حديد بغداد بالنسبة لالمانيا لاتقتصر على الجانب الاقتصادي بل تتعداه الى

الجانب السياسي فقد كانت تمثل في نظر الالمان وسيلة فعالة لتحجيم النفوذ البريطاني من جهة ونشر النفوذ الالمانى من جهة اخرى في العراق والجزيرة العربية ومصر والخليج العربي والهند^(٣٩).

وهذا ساعد على انتشار منتجات الصناعة الألمانية في المشرق العربي وإيران والهند وهذا ما كان يقلق بريطانيا ان تنافسها المانيا في منطقة الخليج العربي والذي يشكل تهديداً للمصالح البريطانية في الهند . ويبدو ان اصرار المانيا على اىصال السكة الى الكويت كانوا مدفوعين بالاضافة الى رغبتهم في الحد من النوايا الانفصالية لشيخ الكويت والتي كانت بريطانيا تستغلها لتعزيز نفوذها في الكويت^(٤٠).

على اثر ذلك بادرت الحكومة البريطانية على اعلان الحماية على الكويت لكي تقطع الطريق لوصول السكة الى هناك ، من جهة ومن جهة اخرى لجأت الى الضغط سياسياً واقتصادياً على السلطات في محاولة لابعادهم عن المانيا وفي المقابل نجدها ترفض طلب الحكومة العثمانية الموافقة على زيادة الضرائب الكمركية في الدولة العثمانية ، بل وتشجع كلا من روسيا وفرنسا على الرفض ايضاً ويمكن ان يفهم موقف الحكومة البريطانية اثناء الاضطرابات التي حدثت في مقدونيا ١٩٠٢ -

١٩٠٣ لكن المانيا لم تقف مكتوفة اليدين بل بادرت الى استدعاء وزير الخارجية الالمانى للسفير العثماني في برلين عشية اعلان الحماية البريطانية على الكويت وطلبت منه ان ينقل نصيحتين للسلطان ؛ الاولى ان يبذل كل الجهود لمصالحة القبائل التابعة لابن رشيد مع القبائل التابعة لشيخ الكويت ، والثانية يضع في الكويت قوات عسكرية كافية لتأكيد حقوق السلطات العليا على نحو فعال في هذه المنطقة ثم اكد الوزير للسفير استعداد المانيا لمساعدة العثمانيين ولفت نظر الحكومة البريطانية الى ضرورة اتخاذ مصالح الدولة العثمانية بعين الاعتبار^(٤١)، ولم يقف الامر عند قضية الكويت بل بجميع القضايا التي برزت على مسرح الاحداث في تلك المدة ، مثل طلب

الحكومة العثمانية زيادة ضرائبها الجمركية والحرب بين الدولة العثمانية واليونان والاضطرابات في مقدونيا ، وقضية الكويت ، وهذا كله لم يؤدي الى ابعاد الدولة العثمانية عن المانيا بل بالعكس ، جرى توقيع اتفاقية بناء سكة حديد بغداد امتيازاً رسمياً عام ١٩٠٣^(٤٢).

الخاتمة

١. ان الظروف الاقتصادية التي مرت بها القارة الاوربية في الثلث الاول من القرن التاسع عشر نتيجة حروب نابليون وتسويات مؤتمر فينا ادت الى ان تفكر المقاطعات البروسية الاربعة بتكوين وحدة اقتصادية مكتفية ذاتياً وكان تجاور (١٨) دولة على فرض تعرفه جمركية واحده في صالح الاقتصاد البروسي.
٢. وكان العامل الاقتصادي ايضاً دفع الحكومات في دول الاتحاد الالمانى للانضمام الى الزولفراين بسبب التعرفة الجمركية الموحدة التي بدأت بروسيا تفرضها على عملية التبادل التجاري مع جيرانها الالمان والتي عادت بالنفع على بروسيا وبالضرر على اولئك ، لذا اضطر معظمهم بالدخول في منطقة الزولفراين الذي توسعت رقعته لتشمل ما يقرب من (٢٥) دولة وكراندوقية وجيب .
٣. عندما تولى بسمارك السلطة ١٨٧٠ ، ١٨٩٠ تضاعفت حمولة سفن الامبراطورية الالمانية سبعة امثال ورفعت الاصوات عاليا مطالبة بالمستعمرات وبوضع حماية ضد القمح الامريكى والمصنوعات البريطانية وونهج سياسة نشطة في كل اصقاع العالم فاقر سنة ١٨٧٩ مبدأ حماية الصناعة الالمانية كأساس لسياسته الجمركية وبعد ثلاث سنين وجه المانيا في طريق الاستعمار .

٤. بعد التغلغل الألماني في المشرق العربي ، والتطور الصناعي في ألمانيا في العقدين اللذين أعقبا قيام الامبراطورية الألمانية ، لعلاقاتها القديمة ببريطانيا وتوفر بعض خامات المعادن والفحم بكميات كبيرة ووجود الانهار الصالحة للملاحة كالراين والاوردر والالب ، وتطور العلوم في ألمانيا وخبرتها في المتراكمة في التنظيم واقتطاع الازاس والورين الغنيين بالحديد من فرنسا والغرامة الحربية الكبيرة التي فرضتها على فرنسا بموجب معاهدة صلح فرانكفورت ١٨٧١ .

٥. لقد اقترن تطور الصناعة الألمانية بضيق في السوق الداخلية سببه وجود بقايا اقطاعية لا يستهان بها ، الامر الذي جعل الرأسمال الألماني يولي اهتماماً متزايداً للأسواق الخارجية .

٦. عدت ألمانيا الدولة العثمانية حقلاً للتجارب ملكاً لها فهي مخزن الماني للغلال في المستقبل ومصدر الصوف والنفط ، ومنطقة للاستيطان ومصدر لخامات جيدة للمنتجات الكولنيالية الألمانية وحافز جديد للملاحة وسكة حديد عظيمة ، وكانت تجارة الدولة العثمانية الخارجية أحد الحقول المهمة التي خاضت ألمانيا من اجل السيطرة عليه صراعاً عنيفاً ضد الدول الاوربية .

الهوامش

١ - عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي ، تاريخ اوربا الحديث من الثورة الفرنسية حتى الحرب العالمية

الثانية ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٣٣.

٢. شامل عناد حسن، العلاقات الألمانية - الفرنسية مابين الحربين العالميتين ١٩١٩-١٩٣٩ ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب جامعة بغداد ، ٢٠١١ ، ص ٩.

- ٣ - المصدر نفسه ، ص ٣٤.
- ٤ - جرانت غبرلي ، اوربا في القرنين التاسع عشر و العشرين ١٧٨٩ ، ١٩٥٠ ج ٢ ، ترجمة بهاء فهمي ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٢٥١.
- ٥ . جرانت غبرلي ، المصدر السابق ، ص ٢٥٢
- ٦- عباس حسين الجابري ، نعيم كريم عجمي ، موقف الدويلات الالمانية من الزولفرين ١٨١٦ - ١٨٣٦ ، جامعة
ذي قار ، العراق ، ٢٠٠٨ ، ص ٣٨.
- ٧ - المصدر نفسه ، ص ٣٩.
- 8 - J.R. Marshall Dill – Germany modern history ،New York ،1961 ،P. 91 .
- 9 - Mowat ،R.w. Europe and the modern word 1492 – 1928 (London 1931), P. 634 .
- 10 - Ibid ،P. 635
- ١١ - جرانت غبرلي ، اوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين ، المصدر سابق ، ص ٢٥٢.
- ١٢ - عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي ، المصدر سابق ، ص ٣٥ .
- ١٣ - المصدر نفسه ، ص ٣٦ .
- 14 - Price – Arnold H ،the evolution of the Zoliveren , New York, 1949 ، P.201.
- 15 - I bid ،P. 202.
- 16 - I bid ،P. 203.
- ١٧ - ه ، أ ، ل . فشر ، تاريخ اوربا في العصر الحديث (١٧٨٩ - ١٩٥٠) ، تقريب احمد نجيب هاشم ، وديع
الضبع ، دار المعارف ، ط ٩ ، القاهرة ، ص ٣٨٤.
- ١٨ - المصدر نفسه ، ص ٣٨٥.
- ١٩ - نسبة الى العصر الهنسية وهي اتحاد تألف في القرن الثالث عشر من المدن الالمانية الشمالية ، لتبادل حماية التجارة وترقية شؤونها وكانت الحصيلة تضم نحو من تسعين مدينة
اهمها : ليبك وهمبرج وبريمن وقد اثر
العصبة تاثيرا عظيما في شؤون اوربا مدى قرنين من الزمان .
- 20 - Allgemeine Elektrizitats Gesellschaft ،pag ،386.

21 - G. A. Fyffe, History of Modern Europe ,London, 1924,P. 67.

- ٢٢ - هـ . أ . ل ، فشر ، تاريخ اوربا الحديث ، ص ٣٨٦ .
- ٢٣ - المصدر نفسه ، ص ٣٨٧ .
- ٢٤ - هاشم صالح التكريتي ، دراسات في المسألتين الشرقية والمغربية ، بغداد ، ٢٠١٠ ، ص ٦٦ .
- ٢٥ - المصدر نفسه ، ص ٦٧ .
- ٢٦ - مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٢٧ ، السنة الثالثة عشر ، ١٩٨٦ ، ص ٤٨ .
- ٣٢ - بييرد توفان ، تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥ - ١٩١٤ ، تعريب د. جلال يحيى ، دار المعارف بمصر ، ص ٤٨٩ .
- ٣٣ - المصدر نفسه ، ص ٤٩٠ .
- ٣٥ - مهدي صالح هادي الجبوري ، ألمانيا ١٧٨٩ - ١٨٧١ ، دراسة في دور بروسيا في توحيد ألمانيا ، اطروحة
دكتوراه غير منشورة مقدمه الى المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ، الجامعة
المستنصرية ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٦١ .
- ٣٦ - المصدر نفسه ، ص ٢٦٢ .
- ٣١ - محمد قاسم وحسين حسني ، تاريخ القرن التاسع عشر ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف ،
١٩٨٣ ، ص ١٦٧ .
- ٣٢ - روجز باد كلسن ، موسوعة الحرب الحديثة ، ترجمة سمير عبد الرحمن الجليبي ، ج ١ ، بغداد
، دار المأمون ،
١٩٩٠ ، ص ١٠٤ .
- ٣٣ - محمد كمال الدسوقي ، تاريخ اوربا الحديث ١٨٠٠ - ١٩١٨ ، القاهرة مطبعة النهضة
الجديدة ، ص ١٥٢ .
- ٣٤ - المصدر نفسه ، ص ١٥٣ .
- ٣٥ - صباح كريم رياح الفتلاوي ، اثر شخصية القائد الالمانى بسمارك في تحقيق الوحدة الالمانية
لعام ١٨٧١ ،
مجلة مركز دراسات الكوفة ، المجلد ١ ، العدد ٥ ، لسنة ٢٠٠٦ ، ص ١٢٠ .
- ٣٦ - المصدر نفسه ، ص ١٢١ .

٣٧ - علي حيدر سليمان ، تاريخ الحضارة الاوربية الحديث ، ط١ ، دار واسط ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ١٠٩ .

٣٨ - المصدر نفسه ، ص ١١٠ .

39 - Encyclopedia Britanica ،Vol. 3 ،Chicago ،P. 714 .

٤٠ - هاشم التكريتي ، دراسات في المسألتين الشرقية والمغربية ، المصدر سابق ، ص ٩٣ .

٤١ - المصدر نفسه ، ص ٩٤ .

٤٢ - جورج انطونيوس ، يقظة العرب ، تاريخ حركة العرب القومية ، ترجمة الدكتور ناصر الدين الاسد والدكتور

احسان عباس ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٩٦ ، ص ٢٠ .

**سياسة التربية والتعليم في
عهد عبدالكريم قاسم واثرها على النظام
التربوي في العراق (١٩٥٨-١٩٦٣)**

**أ.م.د. احمد جودة جبار
كلية التربية / الجامعة المستنصرية**

سياسة التربية والتعليم في عهد عبدالكريم قاسم واثرها على النظام التربوي
في العراق (١٩٥٨-١٩٦٣)

أ.م.د. احمد جودة جبار

المقدمة :

((التعليم هو ليس تعليم الحقائق انما هو تدريب الطفل على التفكير))

البرت انشتاين (توفي عام ١٩٥٥ عمره ٧٦ سنة)

ابتدأ النظام التربوي في العراق منذ الايام الاولى لاستلام عبدالكريم قاسم الحكم بالصراع على كيفية توجيه بناء المنظومة التعليمية، فالتيارات القومية اولت اهتماماً كبيراً لتعيين شخصياتها في المناصب التربوية من اجل بناء جيل يعمل لصالح القضايا القومية، وهذا ما كان ليرتضيه التيار الشيوعي الذي ركز على ضرورة بناء اجيال يكون ولائها اولاً للبلد ومن هذه النقطة بدأت الصراعات التاريخية بين الشيوعيين والقوميين.

وعين جابر عمر (توفي عام ١٩٩٣) اول وزير للمعارف في حكومة عبدالكريم قاسم وكان يحمل ميولاً قومية ولذلك سعى الى توحيد المناهج التعليمية والثقافية مع الجمهورية العربية المتحدة تمهيداً للوحدة المرتقبة والتي كان جابر عمر من الساعين لتحقيقها، ومن اجل تحقيق هذا الهدف اعلن المدير العام للمعارف يوم ١٤ آب من عام ١٩٥٨ اطلاق اسم وزارة التربية والتعليم بدلاً من وزارة المعارف كما هو الحال في الجمهورية العربية المتحدة.

وعزل من منصبه بسبب الضغوط الشيوعية التي وجدت به غير مؤهلاً لمهمة وزارة المعارف، وامتدت فترة وزارته من ١٤/٧/١٩٥٨ الى ٣٠/٩/١٩٥٨

سياسة التربية والتعليم في عهد عبدالكريم قاسم واثرها على النظام التربوي في العراق (١٩٥٨-١٩٦٣).....

وعين بدلاً عنه محي الدين عبد الحميد وهو عسكري، وامتدت مدة وزارته من ١٩٥٩/٢/٧ الى ١٩٦٠/٥/٣، واخر وزير للمعارف في عهد عبدالكريم قاسم هو اسماعيل العارف الذي امتدت مدة وزارته من ١٩٦٠/٥/٤ الى ١٩٦٣/٣/٨.

وخلال فترة هؤلاء الوزراء كانت الصراعات على اشدها بين التيار القومي والتيار الشيوعي، وكان عبدالكريم قاسم يتدخل في بعض الاحيان من اجل وضع الكفاءات في مكانها المناسب وقد تدخل شخصياً في ترشيح العالم الفيزيائي الكبير الدكتور عبد الجبار عبدالله (توفي عام ١٩٦٩) لكي يكون رئيساً لجامعة بغداد عام ١٩٥٨ خلفاً للدكتور متي عقراوي (توفي عام ١٩٨٢) وقد سعى هذا الرجل لكي تكون الجامعة بعيداً عن النزاعات القومية والطائفية.

وقد اعتقل الدكتور عبد الجبار عبدالله بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ ونهاية عبدالكريم قاسم وتوفي في عام ١٩٦٩ وهو خارج ارض الوطن.

قسمنا هذه الدراسة الى عدة عناوين، تناولنا في اولها "التربية والتعليم خلال بداية حكم الزعيم عبدالكريم قاسم"، وبرزنا الصراعات التاريخية بين التيار القومي والتيار الشيوعي في المدارس والمؤسسات التربوية، حيث كان كل فريق يريد ان يفرض افكاره ومعتقداته الحزبية على الطلاب، فتكونت في المؤسسات التعليمية مجاميع لكلا الحزبين او التيارين، فتحولت هذه المؤسسات الى صراعات وعراك بين الطرفين.

وكان التيار القومي يريد ان يربط مناهج التربية والتعليم في العراق بمناهج الجمهورية العربية المتحدة وقبول هذا الاقتراح بمعارضة كبيرة من الحزب الشيوعي ومن الزعيم عبدالكريم قاسم.

وبلغت هذه المشاكل ذروتها بعد انتفاضة الشواف في آذار من عام ١٩٥٩ لان الكثير من الاساتذة والطلاب القوميين قد نعطفوا مع الحركة. وسوف تجد في المبحث الكثير من التفاصيل حول هذا الموضوع.

وتناولنا في المبحث الثاني نبذة تاريخية عن حياة العالم الفيزيائي الدكتور عبدالجبار عبدالله (توفي ١٩٦٩) الذي عين رئيساً لجامعة بغداد خلفاً للدكتور متي عقراوي (توفي ١٩٨٢).

واوضحنا في هذا المبحث تفاصيل عن عمله ومؤلفاته في حقل اختصاصه وتأثيره وشهرته العالمية وما لاقاه في العراق من تعذيب بعد نهاية حكم عبدالكريم قاسم.

واستلم الدكتور عبدالعزيز الدوري (توفي ٢٠١٠ في عمان) رئاسة جامعة بغداد بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣.

وتطرقنا في المبحث الثالث بصورة موجزة عن اهم الوزراء الذين تسلموا منصب وزارة المعارف ونبذة عن حياتهم.

وفي المبحث الرابع استعرضنا احدى الوثائق الامنية النادرة والغير منشورة سابقاً وهي تتحدث عن تطهير المدارس والمؤسسات التعليمية من الشيوعيين بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ وكيف رجعوا بعد ذلك الى مدارسهم، وعرضنا اسماء المعلمين والمدرسين الذين تعرضوا للفصل في هذه الوثيقة التي لم ترى النور سابقاً.

وسوف يجد القارئ تفاصيل ومعلومات وافية في هذا البحث عن هذه الاحداث المهمة من الصراعات التاريخية بين القوميين والشيوعيين والتي اثرت وبلا شك في تاريخ العراق السياسي والتربوي والتعليمي

❖ التربية والتعليم خلال بداية حكم الزعيم عبدالكريم قاسم

(ان الذين يريدون اصلاح الهند الحقيقي يجب ان يجعلوا نصب اعينهم نقل العلوم والفنون والاداب الاوربية الى لغة البلاد الاصلية واحب ان يكتب هذا باحرف كبيرة على جبال الهملايا لتذكروا الاجيال القادمة) السيد احمد خان (١٨١٧-١٨٩٨)

توقع القوميون في العراق بعد القضاء على النظام الملكي في ١٤ تموز ١٩٥٨ ان يكون الزعيم عبدالكريم قاسم (١٩٥٨-١٩٦٣) رائداً لهذا التيار القومي المنادي للوحدة العربية، وكانت الصدمة على رجالات القومية في العراق عندما وجدوا الزعيم عبدالكريم قاسم^(١) ضد التيار القومي وضد التيارات المنادية للوحدة العربية ، ونظراً لوجود الكادر القومي بكثرة داخل مؤسسات الدولة ، فقد حاولوا السيطرة على المؤسسات التعليمية والتربوية لخلق جيل موال تمام الولاء للقومية والوحدة العربية على حساب الوطن ، ولكنهم اصطدموا بالزعيم عبدالكريم قاسم الذي خرج عن خطهم ، واوضح لهم ان الولاء للعراق اولاً واخيراً ، وكان معه في هذا الخط الحزب الشيوعي العراقي ، فكان الصراع كبيراً بين هذين التيارين التيار القومي وكادره العسكري والتيار الشيوعي مسنوداً من قبل الزعيم عبدالكريم قاسم،

سياسة التربية والتعليم في عهد عبدالكريم قاسم واثرها على النظام التربوي في
العراق (١٩٥٨-١٩٦٣).....

وكانت البداية ان استطاع القوميون تعيين الدكتور جابر عمر^(٢) وزيراً للمعارف وذلك في ١٤ تموز ١٩٥٨ وفي اول وزارة في العهد الجمهوري^(٣) وقد اراد جابر عمر ترشيح الدكتور سليمان الحزين وهو احد الاساتذة المصريين ورئيس جامعة اسبوط لرئاسة جامعة بغداد وذلك لدوره في صياغة اهداف الاتفاقية التعاونية بين العراق والجمهورية العربية المتحدة. لكن مجلس الوزراء وافق على تعيين الدكتور عبدالجبار عبدالله في ٢٥ تشرين الاول ١٩٥٨ الذي رشحه عبدالكريم قاسم لمنصب امين عام لجامعة بغداد ، وفي ٢٨ اذار ١٩٥٩ صدر المرسوم الجمهوري بتعيينه رئيساً للجامعة^(٤).

ومن اجل السيطرة على هذه الوزارة المهمة ، كونها المنبع في تخريج جيل مؤمن بالقومية العربية ، فقد قامت حكومة الثورة بتطعيم جهاز وزارة المعارف ببعض العناصر القومية، فصدر يوم ٢٩ تموز ١٩٥٨ مرسوم جمهوري بتعيين كل من الدكتور احمد عبدالستار الجواري (١٩٢٢-١٩٨٨) مديراً عاماً للتعليم، والدكتور فيصل الوائلي مديراً للشؤون الفنية، والسيد خضر عبدالغفور مديراً عاماً للتعليم المهني ، وتم احالة الدكتور ناجي الاصيل (١٨٩٤-١٩٦٣) مدير الاثار القديمة ، والدكتور متي عقراوي (توفي عام ١٩٨٢) رئيس جامعة بغداد على التقاعد وتعيين الدكتور محمد ناصر (القومي والعميد السابق لكلية التربية) رئيساً لجامعة بغداد ، ولكن القرار الاخير لم ينفذ لان الدكتور عبدالجبار عبدالله هو الذي اصبح رئيساً لجامعة بغداد رغم محاولات جابر عمر^(٥) بتعيين الدكتور سليمان الحزين، ولكن محاولاته لم تنجح ، فاتجه الى مسألة توحيد المناهج التعليمية والثقافية مع الجمهورية العربية المتحدة تمهيداً للوحدة المرتقبة والتي كان

سياسة التربية والتعليم في عهد عبدالكريم قاسم واثرها على النظام التربوي في العراق (١٩٥٨-١٩٦٣).....

وزير المعارف (جابر عمر) من الداعين لها، والساعين لتحقيقها ، فقد بوشر بوضع نظام جديد لوزارة المعارف، حسبما اعلن المدير العام للمعارف يوم ١٤ آب يتضمن اطلاق اسم (وزارة التربية والتعليم) بدلاً من (وزارة المعارف) مثلما هو الحال في الجمهورية العربية المتحدة، وقد بوشر بتنفيذ ذلك منذ بداية ايلول اي قبل صدور قانون وزارة التربية والتعليم رقم ٣٩ في الحادي عشر من تشرين الاول ١٩٥٨ والذي اكد ان واجب وزارة التربية والتعليم هو بناء جبل واع مستنير مؤمن بالله والوطن ويثق بنفسه وامته.

وقد ازداد عدد المدارس المتوسطة والثانوية الرسمية والاهلية خلال الفترة ما بين (١٩٥٧-١٩٥٩) من ٢٤٤ مدرسة الى ٣٢٦ مدرسة ، وعدد المدارس المهنية من ٣٤ الى ٥٧ مدرسة ، وبعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ تم فتح عدد من المدارس منها ٧٧ مدرسة في الموصل و ٢٥ في ديالى و ٢٥ في اربيل و ٣١ في بغداد و ٢٥ في الالوية الاخرى^(١) وابتدأ صراع ايدلوجي كبير بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بين الشيوعيين ويساندهم الزعيم عبدالكريم قاسم والقوميين ويساندهم بعض رجال الدين ، ونظراً لوجود الاساتذة القوميين بصورة كبيرة في الجامعات العراقية ، وذلك لان الشيوعيين لم يفسح لهم المجال منذ فترة تأسيسهم عام ١٩٣٥ وحتى عام ١٩٥٨ ، اي انهم خلال فترة الحكم الملكي تعرضوا للاضطهاد والسجون ولم يسمح لهم بممارسة نشاطاتهم او وجودهم في الجامعات عكس التيارات القومية التي كانت موجودة بصورة واضحة منذ تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١ ، لان الدولة العراقية تأسست على جذور قومية ، لذلك في الجامعات العراقية اخذوا فرصتهم في بث الافكار التي يؤمنون بها ، وهكذا ابتداءً

صراع ايدلوجي كبير بين الحزب الشيوعي الذي فسح له المجال بممارسة نشاطاته الثقافية والتدريسية بالجامعات ، ولكنهم اصطدموا بالاساتذة الذين سبقوهم في الدخول الى هذه الجامعات ، ونظراً للاختلاف الواضح بين الفكر الشيوعي والفكر القومي لم تستقر الاوضاع في جامعة بغداد لان القوميين وجدوا من ينافسهم فكرياً وسياسياً ، سيما وان وزارة التعليم قامت بتطهير الوزارة من مؤيدي الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة في اعقاب اعفاء الدكتور جابر عمر^(٧) وافساح المجال لباقي التيارات ومنها جماعة الحزب الشيوعي ، فاصبحت الجامعة تحوي مختلف الافكار والتيارات ، ولكن هذا أعاظ القوميين الذين كانوا لايسمحون بأي منافس لهم ، لان هذا يشكل خطراً على وجودهم واستمرارهم بقيادة التعليم في العراق فضلاً عن سيطرتهم على المؤسسة العسكرية.

وما يؤكد صحة الرأي القائل بكثرة الاساتذة القوميين في المدارس العراقية ومنذ عام ١٩٢١ مازكرته اطروحة غانم الجبوري باشراف الدكتور سيار الجميل ، اذ عرض فيها اعداد الاساتذة العرب القوميين في الجامعات والذين استمروا بوظائفهم في المدارس والجامعات حتى بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. وتذكر الوثائق البريطانية انه خلال عام ١٩٥٨ كان العدد النهائي للمدرسين المصريين المعينين في العراق قد بلغ (٥٠) استاذاً جامعياً و(٤٥٠) مدرساً في المدارس الثانوية^(٨) وكان رجالا القومية في العراق يأملون ان تزداد الاعداد من الاساتذة المصريين والعرب بصورة عامة ليجعلوا من العراق وكرراً قومياً، لذلك ((وقعت اتفاقية بين مصر والعراق في ٢٨ تشرين الاول ١٩٥٨، حيث وقعها الجانب العراقي وزير الثقافة العراقي وكالة وعن الجمهورية العربية المتحدة وزير ثقافتها.

وتتألف الاتفاقية من (١٥) مادة و (٧) ملاحق وتتيح الاتفاقية الفرصة للدول العربية الاخرى الاشتراك فيها لتوحيد المناهج الدراسية والتعاون في مجالات واسعة من ضمنها تبادل المعلومات والمعلمين والطلاب. وطالبت الاتفاقية ان يقوم وزيراً ثقافة البلدين بصياغة منهاج تعليم موحد للمدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية ، وقد تم تأسيس منظمة مشتركة لتطبيق الاتفاقية يكون مقرها الدائم في القاهرة، على ان يكون العراق مقراً لأي دائرة اضافية .. وتضيف الوثائق البريطانية انه وصل العراق مؤخراً (٣٥٠) مدرساً ثانوياً و (٥٨) استاذ جامعي من مصر، وكان العدد الذي طلبه العراق بعد الثورة مباشرة هو (٥٠٠) مدرس و (٦٤) استاذ^(٩) ويبدو من خلال سير الاحداث ان الجمهورية العربية المتحدة كانت تريد التأثير على التعليم في العراق وتمشيته بما يتوافق والفكر القومي التي جاءت الثورة من اجل تقويته في العراق، ومن اجل هذا جاءت بالاساتذة العرب ليجعلوا من الطلبة العراقيين مشروعاً قومياً يكمل المسيرة في العراق ، ولكن على حساب الوطن وهذا ما شعر به الزعيم عبدالكريم قاسم والحزب الشيوعي العراقي ، لذلك حاول الزعيم عبدالكريم قاسم ان يبقي العلاقات العراقية البريطانية فيما يخص الدورات التعليمية والتدريسية قائمة بين البلدين وذلك حتى يستفاد العراق من تلك الدول المتطورة^(١٠) ولكن الزعيم عبدالكريم قاسم كان يصطدم بالمشاكل القائمة بين القوميين والشيوعيين فضلاً عن الاقطاعيين الذين كانوا يشنون حملة ضد معلمي المدارس الذين كانوا متحمسين جداً في نشر العقائد الديمقراطية والدعاية لها^(١١) فكانوا يقفون عقبة ضد نظام التعليم الجديد الذي اقامه الزعيم ، لان مصالحهم ضربت بسبب قانون الاصلاح الزراعي والقضاء على دكتاتورية

الاقطاع^(١٢) والجانب المهم في هذا البحث هو تفاعل الصراعات بين الشيوعيين والقوميين في جامعة بغداد، ولاسيما بعد حركة الشواف في اذار ١٩٥٩، اذ كانت اغلب الكوادر التدريسية متعاطفة مع هذه الحركة القومية ومروجة لها عن طريق هؤلاء الاساتذة المتواجدين في جامعة بغداد والذين قد اعيدوا الى الخدمة بعد اطلاق سراحهم ، فوجهوا انتقادات الى سياسة وزارة المعارف والمناهج التعليمية يشكون فيها من الطلبة الشيوعيين الذين يحاولون السيطرة على كلية الآداب بشتى الطرق حسب اقوال هؤلاء الاساتذة ، وقدموا شكاوهم ايضاً ضد العميد الدكتور مهدي المخزومي (ولد في النجف ١٩١٧- توفي عام ١٩٩٣) والمعاون الدكتور كمال قاسم والمسجل الدكتور عبدالوهاب القيسي والموظفين نزار انور وعلي عبدالقادر وهاشم الطعان، متهمين هؤلاء جميعا بممارسة الارهاب والضغط الكبيرة عليهم وعلى اغلب الطلبة القوميين، وقد تم القاء القبض على الكثير وزجهم في السجون، قدموا هذه الشكوى الى سيادة رئيس جامعة بغداد وهي موقعة من الدكتور صالح احمد العلي (من مواليد الموصل ١٩١٨-توفي ٢٠٠٣) والدكتور جاسم محمد الخلف (من مواليد الموصل ١٩١٨-توفي ٢٠٠٣) والدكتور جعفر حسين خصاك (توفي عام ١٩٩٤) والسيد احمد ناجي القيسي والدكتور محمد حامد الطائي والدكتور شاكر مصطفى سليم والسيد جاسم العبودي ، ويعد هؤلاء الاساتذة من القوميين المؤيدين لحركة الشواف، وجاء الرد من اتحاد الطلبة حول هذه المذكرة المقدمة من اساتذة كلية الاداب وهي كالاتي ان اتحاد الطلبة العام وجميع المنضوين تحت لوائه عرفوا باحترام اساتذتهم ومدرسيهم الوطنيين، ولذلك يأسف اتحاد الطلبة العام ان يرد على موقعي المذكرة ممن

مارسوا مهنة التعليم ونجد من اللازم ان نظهر ان اكثر الموقعين على المذكرة كانوا قد اعتقلوا اثناء وبعد مؤامرة الشواف القذرة طبقاً لمتطلبات صيانة الجمهورية، التي قامت بها السلطات الحكومية الوطنية في ذلك الوقت وليس من الغريب ان تصدر مثل هذه التهمجات التي لا يقصدون عادة كلية الاداب وحدها، بل يستهدفون النهج الديمقراطي لوزارة المعارف التي تعاقب عليها سيادة الاستاذ هديب الحاج حمود (توفي ١٢/٣/٢٠١٢) ثم سيادة الزعيم الركن محي الدين عبدالحميد الوزيران اللذان استرشدا بتوجهات سيادة الزعيم عبدالكريم قاسم، فانتصرا للاتجاه الديمقراطي في التربية والتعليم وعملا على تطبيقه وتوطيده.

ولم يكتف موقعوا المذكرة باطلاق التهم ((جزافاً واستعمال كلمة الطغيان والبربرية التي ضنوا بها على الخائن الشواف .. اننا بقدر ما يخلصنا الامر ، نستهنج هذا الاسلوب من التزوير والدس الذي يحاول البعض نشره ضد اتحادنا، وضد الجامعة ووزارة المعارف))^(١٣) وكان مجموع الذين قدموا هذه المذكرة (٣٧) دكتور واستاذ ويشكل هؤلاء الاساتذة والمعلمين عنصراً مهماً في الترويج لحركة عبدالوهاب الشواف والمد القومي المساند لجمال عبدالناصر (توفي عام ١٩٧٠)، وقد هرب بعض المعلمين بعد القضاء على مؤامرة الشواف الى خارج العراق الى حيث مركز التآمر والعدوان وقد انذرتهم وزارة المعارف بالعودة خلال مدة معينة^(١٤) ، واعتبروا مستقلين في حالة عدم عودتهم الى العراق وذلك لثبوت اشتراكهم في المؤامرة والعصيان في الموصل^(١٥) اما فيما يخص بعض الاساتذة العائدين من الاعتقال فانهم عند بداية الدراسة قاموا برئاسة الاستاذ صالح العلي بمهاجمة العميد (المخزومي) واتحاد الطلبة علانية، وهذا يدل بان الوضع في

جامعة بغداد هو ليس بذلك التضخم الذي اطلقه الاساتذة القوميون في العراق ولكن يتبين لنا ان هؤلاء الاساتذة يريدون ان يفرضوا فكرهم بصورة (اوحدية) وبدون اعطاء فرصة للمنافسات الفكرية داخل الجامعة، ورغم الشكوك والدلائل القوية على هؤلاء الاساتذة في دورهم على تقوية الفكر القومي والمشاركة في حركة الشواف، الا انه قد اطلق سراح جميع السجناء القوميين، وبوسعنا ان نقتبس بعض اقوال الوثائق البريطانية حول هذا الموضوع وبما يلي ((ان اطلاق سراح جميع السجناء تقريباً والمبعدين الذين اعتقلتهم قوات المقاومة الشعبية والشيوعيين داخل الجيش اثناء الحملة الهستيرية عقب قضية الموصل وعودة الصحف غير الشيوعية والنقد الصريح للشيوعية يبدو قد غير الجو في بغداد بشكل ملحوظ. وقد توفرت لدينا معلومات موثوقة بان المكتبة القومية الصغيرة التي كانت تدار في كراج في الجانب المقابل للشارع الذي يقع فيه منزلنا والتي تم اغلاقها والقاء القبض على صاحبها في شهر اذار قد فتحت ابوابها الان مع وجود جميع الشباب الذين كانوا يشرفون عليها وهم ينتمون الى عوائل "قومية" بعد ان اطلق سراحهم الان))^(١٦).

لذلك نلاحظ ان الزعيم عبدالكريم قاسم لم يكن مع فئة معينة ولم يكن متحزباً مع احد، بل كان يمارس سياسة التسامح حتى مع الد أعدائه، وهذه السياسة هي التي حتمت نهايته، وكان في حالة توافقه مع احد الاحزاب فهذا لايعني انه منتمياً الى هذا الحزب ، او ذلك بل كانت مصلحة العراق لديه فوق كل شيء، فالوطن عنده فوق كل الميول والاتجاهات وفوق القوميات ، وكان هذا الاتجاه لايرضي الكادر العسكري القومي المحيط به من كل الجهات.

ويذكر جون. بي. اس. جاردن في ١١ تموز ١٩٥٩ فيما يخص تعامل
الزعيم عبدالكريم قاسم الديمقراطي مع هؤلاء الاساتذة القوميين ما يلي ((لقد
استغرق لقاء رئيس الوزراء مع الاساتذة السبعة مدة اربع ساعات ونصف الساعة.
وكان وزير المعارف والحاكم العسكري حاضرين في هذا اللقاء. وكان الاساتذة
السبعة، بالاتفاق مع الاساتذة الثمانية الاخرين الذين كانوا معتقلين معهم ايضا،
قد هياؤا مذكرة تتضمن كيفية اعتقالهم والطريقة التي عوملوا بها في السجن
والسياسة التربوية الحالية للحكومة واعتقادهم بان وزارة المعارف تقع تحت تأثير
الشيوعيين)) وقناعتهم بانه لاينبغي ملاحقة الاساتذة والمحاضرين لاعرابهم عن
عدم الاتفاق والتأييد للشيوعية. وقد اعترف رئيس الوزراء بانه قد حدثت اخطاء
جسيمة رافقت اعتقالهم واعتقال اشخاص اخرين، وقد انحى باللائمة على مساعده
واعذر اليهم عما قد حصل، وانه في اللحظة التي اكتشف فيها ماقد حصل اتخذ
الاجراء اللازم لتصحيح ماقد حدث. وجرت مناقشة التأثير الشيوعي في العملية
التربوية وذكرت بعض الاسماء، وقد اكد لهم رئيس الوزراء بانه لن يسمح لاي فئة
سياسية منفردة ان تسيطر على اية وزارة او على السياسة في المستقبل. واخبرهم
بانه قد تلقى في اليوم السابق قائمة من الشيوعيين تتضمن اسماء بعض العاملين
في مجال التعليم حيث طالبوا بضرورة فصلهم جميعاً، وانه قد مزق تلك القائمة.
ولن يتخذ اي اجراء بفصل اي انسان عن عمله الا بعد اجراء تحقيق كامل.
وجرت مناقشة مطولة حول نقل او تجميد العاملين في الحقل التربوي، وكان
الاساتذة معجبين بمعرفته الدقيقة عن كل هذه القضايا ، ومن الواضح انه كان
على اطلاع كامل وكذلك فانهم قد وجدوه على اطلاع كامل ببقية القضايا ودارت

مناقشات مخصصة حول الموقف السياسي والاحزاب السياسية ، وكان رئيس الوزراء توافاً للاستماع الى ارائهم. ولقد علمت بان هذه هي المرة الاولى التي يلتقي فيها رئيس الوزراء بمتقنين عراقيين ، ومن الملاحظ انهم كانوا جميعاً رجال معروفين ومعارضين للشيوعية. ويبدو ان الاساتذة عندما غادروا الاجتماع ، كانوا متأثرين باعتراف رئيس الوزراء بالاختاء التي حدثت واعتذاره ورغبته في المناقشة المخصصة للاراء. وقد تولد لديهم شعور بان الحكومة تمسك الان بزمام الامور وان هناك تأكيداً بان لايمكن اي حزب او فئة سياسية واحدة من الهيمنة^(١٧).

وهذا الكلام لايجتاج الى تعليق فيما يخص نظرة الزعيم عبدالكريم قاسم للاساتذة قوميين كانوا ام شيوعيين ، ولكن نظراً لما شكله المد القومي من خطورة كبيرة على العراق، ولاسيما فيما يخص الوحدة العربية^(١٨) ، واستغلال هذه الوحدة لمصالح تلك الدول وخصوصاً مصر، اذ لا يوجد هناك تكافؤ اقتصادي وهذا ما يضر بالعراق وشعبه الساكن بالصرائف وبيوت الطين، لذا قام اتحاد الطلبة في الكليات والمنتمين للحزب الشيوعي بضرورة ابعاد الفئات القومية من هيئات التدريس، وامتدت اصابع الاتهام الى طلبة البلدان العربية، وان معظم هؤلاء الطلبة من تونس والمغرب والجزائر والسودان والاردن والبحرين وليبيا وقد رغبو بمغادرة البلاد، وتم اقناعهم بالبقاء عدا طلبة البحرين الذين غادروا، وقد اكد طلبة البحرين بان حياتهم كانت معرضة للخطر لكونهم ليسوا عراقيين ومعادين للشيوعية، وكان من المستحيل عليهم مواصلة دراستهم في جو من الارهاب

والتهديد. وكشفوا بان الطلبة قد شكلوا "محاكم" لمحاكمة الطلبة المعادين للشيوعية
وضرب المتهمين منهم، هذا ماذكرته الوثائق البريطانية^(١٩).

وفي ضوء تلك الاحداث داخل جامعة بغداد، نلاحظ ان الاساتذة القوميين
من خلال وجودهم القديم في الجامعة، لا يريدوا اي منافس لهم ولاسيما اذا كان
مثل الحزب الشيوعي المتهم بالالحاد وبالفكار الداعية الى الوحدة العراقية لا
الوحدة العربية وهذه صفوة الصراع والاختلاف بين الشيوعيين والقوميين ،
فالقوميون يريدون ان يصبح العراق في خدمة الامة العربية، والشيوعيون يريدون
العراق للعراقيين وهذا ما جعل الزعيم عبدالكريم قاسم يقف في صف الشيوعيين،
وذلك للجانب الوطني الكبير الذي كان عليه الزعيم عبدالكريم قاسم، فالاساتذة
القوميون يريدوا ان يستمروا بتكوين جيل موالى للعروبة على حساب الوطن، وهذا
الجيل لابد ان يكون مستقبلاً داخل الحكومة العراقية وبالتالي يعمل لمصلحة
العروبة لا لمصلحة الوطن^(٢٠)، وهذا ما شعر به عبدالكريم قاسم ورغم هذا كانت
الجامعات تحوي مختلف الافكار، والانتخابات تقام بحرية كاملة داخل اروقة
الجامعة، وكل هذا كان يرفضه القوميون لانهم امام منافسة فكرية كبيرة، لاسيما
وان اعضاء الحزب الشيوعي كانوا يمتلكون ثقافة عالية ، ووعوا الكثير من
المخاطر القومية التي تريد من العراق ان يصبح اداة بيد الرئيس المصري جمال
عبدالناصر (توفي عام ١٩٧٠) وبالتالي استغلال ثرواته لصالح رائد القومية
العربية جمال عبدالناصر، وفوق كل هذا كان القوميون يريدون ان يوحدوا المناهج
العراقية مع المناهج العربية، واعتقد ان هذا من الاخطاء الكبيرة التي رافقت
المناهج العراقية المتأثرة بالمناهج العربية الى هذا اليوم، وذلك للخصوصية

الواضحة للمجتمع العراقي الذي يحوي مختلف القوميات والديانات، وهذا غير موجود في الدول العربية ولاسيما الدول الخليجية التي هي عبارة عن مجموعة من العشائر والتي كانت تسكن الصحراء، وهي تكاد تكون ذو عقلية صحراوية واحدة وديانة واحدة، اما العراق فيحوي الكردي والعربي والتركمانى والاشوري واليزيدي والصابئي والارمني والشبك والمسيحي واليهودي وغيرهم، فلا بد ان يكون المنهج العراقي ذو خصوصية تختلف تماماً عن المناهج العربية، ولكن هذا الرأي كان يرفضه القوميون، واصروا ان يصبح العراق جزءاً من الوحدة العربية. كل هذه الامور كان يعيها جيداً الزعيم عبدالكريم قاسم ولذلك وقف مع الحزب الشيوعي، ولكن حينما وجد الحزب الشيوعي قد مال الى العنف ضد القوميين وقف ضدهم وجردهم من مناصبهم في الدولة، وهذا ما يؤكد ان الزعيم عبدالكريم قاسم كان وطنياً لا مثيل له في تاريخ العراق، فبالرغم ان الامة العربية اجتمعت عليه باجمعها لتجعله يتنازل عن العراق لصالح الوحدة العربية ولكنه رفض كل هذه الدعوات الوحشية لمصلحة العراق الذي اراد لشعبه الاستقلال والحرية والازدهار الاقتصادي وكل هذا كان لا يكون الا بنذ تلك الوحدة المزيفة سواء اكانت وحدة اقتصادية او تعليمية او سياسية لذلك اعدم باسم القومية العربية ورجالاتها الذين فعلوا بالعراق ما فعلوا بعد اعدامه.

وفيما يخص الانتخابات التي كانت تجري في الكليات العراقية ونقابة المعلمين، والتنافس بين القوميين والشيوعيين في هذه الكليات، يذكر انه في ٢٢ كانون الثاني ١٩٥٩ جرت انتخابات المؤتمر التأسيسي للنقابة وقد حققت القائمة

المهنية التي تمثل الشيوعيين وانصارهم نصراً كاملاً على القائمة التي نضمها القوميون والقائمة المستقلة تمشياً مع الاتجاه السائد في البلاد.

وقد انعقد المؤتمر التأسيسي في المدة ٢-٥ شباط ١٩٥٩ وانتخب الدكتور فيصل السامر (توفي في ١٢ كانون الثاني ١٩٨٢ في لندن، كان رئيس قسم التاريخ في كلية الآداب/ جامعة بغداد في اوسط السبعينات) المدير العام في وزارة التربية والتعليم رئيساً للنقابة وكل من عزيز الشيخ وهو معلم وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي والدكتور صديق الاتروشي (توفي ١/٢٤/١٩٦٤ دفن في قلعة دزة في السليمانية) المؤيد القوي للشيوعيين وان لم يكن منتزماً للحزب نائباً للرئيس ، وسيطر الشيوعيون والمؤيدون لهم على النقابة مثل الدكتور صلاح خالص (توفي ١٩٨٦) ونجيب محي الدين وحسين قاسم العزيز وانتخب عبدالكريم قاسم رئيساً فخرياً للنقابة باعتباره كان معلماً في بداية حياته العملية^(٢١). ونشطت نقابة المعلمين بصورة كبيرة بعد فشل حركة الشواف وحل الشيوعيون في مديريات المعارف ونضموا قوائم لفصل الاساتذة المشكوك بهم بالانضواء تحت لواء حركة الشواف القومية من الكليات والمدارس بالتعاون بين الاساتذة النقابيين وبين الاتحاد العام للطلبة^(٢٢) واثناء الانتخابات التي جرت في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٥٨ اضطرت القائمة القومية (الجهة الطلابية القومية) الى الانسحاب من الانتخابات بسبب الممارسات الارهابية ضدها، كالاعتداء بالضرب والسجن والاعتقال.

وعقد الاتحاد مؤتمره الثاني في بغداد يوم ١٦ شباط ١٩٥٩ وحضرته وفود من الخارج وبرعاية عبدالكريم قاسم الذي خاطب المؤتمرين قائلاً ((يسرني ان افتتح مؤتمرهم هذا اليوم وارجو ان يكون فاتحة عهد لازدهاركم ولازدهار الثقافة في هذا البلد. اوصيكم بالتعاون والتسامح فيما بينكم واوصيكم بالصبر والاخلاص في واجباتكم واعمالكم ولاشك في ان اتحاد الطلبة من الامور التي تعزز وحدة الطلبة انني شخصياً سوف ابذل قصارى جهدي وكل ما استطيع عمله في سبيلكم وفي سبيل تسهيل كل امر من شأنه ان يعزز المعارف في هذه البلاد وان يعزز اموركم وتلبية طلباتكم التي هي رائدي في هذا البلد وهي رائدي في تسيير امور الحكم وتسيير المسؤولية في البلاد)).

وقد ضمت الهيئة الادارية اغلبية شيوعية وانتخبوا عضو الحزب الشيوعي الطالب مهدي عبدالكريم رئيساً للاتحاد وقد اصدر الاتحاد في اذار مجلة باسم صوت الطلبة لتكون لسان حاله واسهم الاتحاد في القضاء على ثورة الشواف وملاحقة من اسموهم بالخونة (المقصود القوميون والبعثيون) وتنظيم قوائم الفصل والطرد لعدد من الاساتذة من الكليات بحجة صيانة الجمهورية^(٢٣) ونكتفي بهذا القدر من المعلومات التي تخص هذا المبحث وهو في الحقيقة يحتاج الى الكثير من البحث، ولكننا اوضحنا بصورة جلية حقيقة الصراع الايدلوجي بين القطبين الشيوعي والقومي واثرهما على اوضاع العراق التعليمية والسياسية. وما يحدث في العراق اليوم يجعل المثقف والسياسي العراقي الموضوعي امام نكران ذات، وربما ينسف كل افكاره السابقة التي تميل الى تلك الفئة القومية او الشيوعية، لان الذي يحدث اليوم هو نتيجة لذلك الصراع الكبير في عهد الزعيم عبدالكريم قاسم والذي

سياسة التربية والتعليم في عهد عبدالكريم قاسم واثرها على النظام التربوي في العراق (١٩٥٨-١٩٦٣).....

اثر على اوضاع العراق السياسية والاجتماعية والتعليمية. وسنكمل في المبحث القادم هذا الموضوع المهم مركزين قدر الامكان على الجانب التعليمي والذي يرتبط لاشعورياً بالجانب السياسي.

❖ الدكتور عبدالجبار عبدالله (١٩١١-١٩٦٩)
رئيساً لجامعة بغداد

(بعض الناس لا يرسلون اولادهم للمدارس اما جهلاً او لانهم متأثرين بدعوى الملالي ان المدارس لاتهتم بشؤون الدين اهتماماً كافياً او خوفاً من التجنيد اذ يعتبرون التمارين الرياضية من قبيل اعدادهم للتجنيد) متي عقراوي (توفي عام ١٩٨٢)

وضع عبدالكريم قاسم بذرة علمية كبيرة وكفاءة عالية في مكانها المناسب، رغم الاعتراضات الكبيرة من الكوادر العسكرية المحيطة به والتي يذكرها احد الضباط القوميين والذين اشتغلوا ضد عبدالكريم قاسم الا وهو الاستاذ خليل ابراهيم حسين ورغم الاعتراضات وافق مجلس الوزراء على تعيين عبدالجبار عبدالله في ٢٥ تشرين الاول ١٩٥٨ الذي رشحه عبدالكريم قاسم لمنصب امين عام لجامعة بغداد، وفي ٢٨ اذار ١٩٥٩ صدر المرسوم الجمهوري بتعيينه رئيساً لجامعة بغداد^(٢٤). كما ذكرنا سابقاً.

وكان رئيس جامعة بغداد الاول هو الدكتور متي عقراوي (توفي ١٩٨٢)^(٢٥) الذي احيل على التقاعد في اليوم التاسع والعشرين من تموز بصدور

سياسة التربية والتعليم في عهد عبدالكريم قاسم واثرها على النظام التربوي في
العراق (١٩٥٨-١٩٦٣).....

المرسوم الجمهوري رقم (٧٤). وفي ١٥ ايلول صدر القانون رقم (٢٨) لسنة
١٩٥٨ بتأسيس جامعة بغداد^(٢٦).

كان الدكتور عبدالجبار عبدالله (توفي عام ١٩٦٩) يسمى بسفير العراق
العلمي في العالم، وهو المولود في قلعة صالح بمحافظة ميسان من عائلة
صابئية الديانة، وانهى دراسته الابتدائية بخمسة اعوام بدلاً من ستة لتفوقه ونبوغه
المبكر، حصل على بعثة دراسية عام ١٩٣٠ بعد اكماله الدراسة الثانوية في
الاعدادية المركزية ببغداد، حيث حصل على البكالوريوس في علم الفيزياء من
الجامعة الامريكية في بيروت عام ١٩٣٤ وعند عودته الى العراق وانتمائه الى
جمعية الرابطة الثقافية التي كانت تضم كبار علماء ومتقفي العراق، احتل موقعه
المتميز في مجلة الرابطة، حيث اصبح سكرتيراً لتحرير المجلة.

في عام ١٩٤٤ حصل على بعثة دراسية الى امريكا للحصول على شهادة
الدكتوراه في علوم الفيزياء، لقد اثبت تميزه في كل المجالات، كما اكد معظم
زملائه، فقد وصف بانه شاعر ومتقف وداعٍ وعالم فيزياء من طراز خاص، وكان
يجيد اللغة الانكليزية والالمانية والارامية بالاضافة الى اللغة العربية، ويضيف
اصدقاء طفولته بانه يتميز بالذكاء الفطري والسلوك الخجول والتواضع الجم.

حصل على عضوية المجلس التأسيسي لجامعة بغداد عام ١٩٥٧ واصبح
اول رئيس لها في العهد الجمهوري وثاني رئيس لها منذ تأسيسها عام ١٩٥٦.

هذا العالم الجليل الذي رشحه عبدالكريم قاسم ليكون وزيراً للتعليم العالي
والبحث العلمي ليصنع الرجل المناسب في المكان المناسب لعلمه وكفاءته وليس
لقوميته او طائفته، ربطه انقلابيو شباط ١٩٦٣ مع الكلاب تكريماً لعلمه وثقافته

ونبوغه وشتان بين الموقفين^(٢٧) ولا يحتاج هذا الكلام الى تعليق، فالصورة واضحة،
وبحدثنا في هذا الشأن ايضاً الدكتور ماهر موسى العبيدي قائلاً ان العالم النووي
الكبير عبدالجبار عبدالله معروف على مستوى العالم اجمع، ولاسيما في
الجامعات الامريكية والغربية ومراكز البحوث النووية، كان استاذاً متميزاً في دار
المعلمين العالية التي اصبحت فيما بعد كلية التربية في جامعة بغداد، عملت في
رئاسة جامعة بغداد عندما كان رئيساً لها في اواسط عام ١٩٥٩ وكان في السنة
الثانية لرئاستها، ان اكثر ما يميز هذا العالم الجليل بساطته وتواضعه، مع كونه
شامخاً بعلمه وباخلاقه العالية، كنت اشاهده يجلس بجانب سائق السيارة التي
كانت الوحيدة في جامعة بغداد (فورد ستيشن ٥٨) من دون تكبر او تعالٍ على
احد.

اسس المكتبة المركزية في جامعة بغداد واسند امانتها الى استاذ الاقتصاد
هشام الشواف (رحمه الله) وما ان بدأ العمل بها حتى انهالت عليها الكتب
والمجلات العلمية من مختلف دول العالم، وقد خصص الدكتور عبدالجبار غرفته
(معتكفاً) له، يطالع فيها اخر مستجدات العلم والبحوث التي كانت محط اهتمامه،
ومما يثير الانتباه انه لم يكن يحضر الى معتكفه هذا مساء كما هو متوقع، وانما
كان يأتي في الساعة السادسة صباحاً، ويغادر قبل الثامنة بخمسة دقائق وهو
الوقت الذي تستغرقه سيارة (الستيشن) لقطع المسافة بين معتكفه هذا ورئاسة
الجامعة في الوزيرية.

تفرغ لوضع استراتيجية علمية لجامعة بغداد، وترك الامور الادارية والمالية الى امينها العام، احترم العلم والعلماء، واعاد اللامعين منهم الى الخدمة في الجامعة بدرجات علمية ومتميزة.

ولا يوجد في جامعة بغداد اليوم ما يخلد اسمه، ويقترح الدكتور العبيدي بتسمية المكتبة المركزية باسم مكتبة المرحوم العالم الكبير عبد الجبار عبدالله لعنا نفي حق هذا الرجل، ونأمل بان يكون في عمله وتواضعه مثلاً لجميع اساتذة العراق ورؤساء جامعاته^(٢٨) والحقيقة ان الشخصيات المبدعة والموهوبة في العراق، تصبح معرضة للخطر والمضايقات بدلاً من حمايتها وتكريمها، وهذا ما حصل للدكتور عبد الجبار عبدالله، اذ انه بعد نهاية عبدالكريم قاسم على يد القوميين، قام النظام البعثي في العراق عام ١٩٦٣ بمحاصرة ومطاردة واعتقال العالم الكبير الذي غرس البذرة الاولى للتعليم الجامعي الصحيح في العراق ليمضي شهور عدة في السجون التي عانى فيها انواع التعذيب والاذلال، ثمناً لادارته الناجحة للجامعة، وبناءه للصرح العلمي ولشهرته العالمية ودوره في نشر العلم والحضارة، مما اضطره الى الفرار الى الخارج عقب الافراج عنه مباشرة. عمّد الدكتور عبد الجبار خلال فترة رئاسته لجامعة بغداد على تهيئة العلماء وذلك بارسال بحوثهم الى الجامعات الخارجية ليتدربوا على البحث وممارسته من خلال احتكاكهم بالعلماء الاجانب الذين تضلعوا بممارسة البحوث العلمية، ومنح الجوائز للباحثين المتفوقين فضلاً عن الاعتراف بقيمة مجهوداتهم.

وسعى الدكتور عبدالجبار عبدالله على انشاء الدراسات العليا، وجعل من البحوث كشرط للشهادة التي تمنحها ونقرضها فرضاً، ونفذ مشروع دراسات الماجستير رغم ان الجامعة لم يمضي على تأسيسها سوى سنتين. كما سعى ان تكون الجامعة مستقلة وبعيدة عن الاهواء والنزعات الطائفية والسياسية وحرص على ان لايتعرض العلماء الى شيء من الضغوط والاذى مؤكداً في مناشداته ودعواته الدائمة الحكومة على توفير الحرية التامة وتوفير الحصانة القانونية ليستمد الاستاذ والطالب والعالم القوة والصلابة ، والشعور بالحرية من خلال القوانين الكفيلة بحمايتهم بغية تحقيق اهداف العلم والحرية الفكرية.

ولكن حرمت الجامعة من عقلية هذا العالم الكبير الذي اودع السجون مع زملاءه من العلماء الاكفاء ممن نذروا انفسهم لخدمة الوطن، وهذا ماجعلهم يهربون من جحيم الوطن الى البلدان الاجنبية^(٢٩) وليبق الوطن بيد من لا يمتلكون حب الوطن. ولتستفيد الدول العالمية من علمه الكبير وهذا ماستنتاوله خلال سير البحث، وتناول سيرة حياته التي تقول بانه ولد عام ١٩١١ في ميسان في احد الاقضية التي تسمى بقلعة صالح، واسمه المندائي^(٣٠) (الملواشة) وفقا لتقاليد الاسر الصابئية، دخل المدرسة الابتدائية بقضاء قلعة صالح عام (١٩١٧-١٩١٨) ونظراً لتفوقه الدراسي اكمل الدراسة بواقع خمس سنوات، وبعد اجتياز الدراسة المتوسطة انتقل الى بغداد وليواصل دراسته في الاعدادية المركزية للعام الدراسي ١٩٢٨-١٩٣٠، وقد كان من المتفوقين على زملائه في هذه المدرسة، مما جعل الدولة ترشحه في بعثة دراسية الى الخارج. كان شاعراً ومتقفاً، اجاد

سياسة التربية والتعليم في عهد عبدالكريم قاسم واثرها على النظام التربوي في العراق (١٩٥٨-١٩٦٣).....

العديد من اللغات منها العربية والانكليزية والالمانية والفرنسية والارامية، وهذا ما جعله على احتكاك بمختلف المثقفين والوطنيين امثال عبدالفتاح ابراهيم -حسين جميل (توفي في ١٧ كانون الثاني ٢٠٠١ في بغداد) - عزيز شريف - محمد حديد (توفي عام ١٩٩٩) وغيرهم.

حصل في عام ١٩٣٤ من الجامعة الامريكية في بيروت وخلال اربع سنوات على شهادة البكالوريوس، انضم بعدها الى جمعية الرابطة الثقافية التي اسسها الاستاذ عبدالفتاح ابراهيم عام ١٩٤٣، ونشر دراساته ومقالاته العلمية فيها، واجتذب هذه الجمعية كبار المثقفين من امثال الدكتور فاضل حسين طه باقر - كوركيس عواد (١٩٠٨-١٩٩٣) وغيرهم الذين كانوا يمثلون عدة اتجاهات فكرية لاتتقاطع مع اهداف الجمعية، وحاول الدكتور عبدالجبار عبدالله اعادة علاقاته مع اصدقاءه القدامى في الاعدادية المركزية او الجامعة الامريكية في بيروت، وعندما بدأ العراق بتشكيل اول لجنة علمية للاهتمام بشؤون الطاقة الذرية عام ١٩٥٧، كان الدكتور من بين اعضاء هذه اللجنة، وبعد عام ١٩٥٨ شغل فيها منصب نائب الرئيس، وراح يقدم العديد من الدراسات والبحوث من بينها البحوث الخاصة والمتعلقة بالانواء الجوية عام ١٩٥٥ والتي اثارت ضجة في الاوساط العلمية، وقد تضمنت (دراسة فيزياء الجو)، حيث شكلت نظرياته بتأليف فرع جديد ومهم في الانواء الجوية وهو فرع خاص بالاعاصير والزوابع^(٣١).

وبعد احواله على التقاعد وسفره الى الولايات المتحدة عام ١٩٦٤ نشر عام ١٩٦٦ بحثاً عن الاعاصير العملاقة ثم وضع نظرية في مجال الاعصار اكثر تطوراً.

اما ابرز انجازاته العلمية في مجال التأليف الاكاديمي فهي :

- (١) علم الفيزياء -قسم الحرارة- بغداد - ١٩٤٢.
- (٢) الفيزياء الاعدادي -ج١. للصف الخامس الثانوي وهو تأليف مشترك مع السيد هاشم الحسيني - بغداد - ١٩٥٠.
- (٣) الفيزياء الاعدادية -جزئين- بغداد- ١٩٥٠/١٩٥١.
- (٤) علم الصوت -مطبعة العاني -بغداد- ١٩٥٥.
- (٥) مقدمة الفيزياء الذرية مشترك مع الدكتور صلاح عزت.
- (٦) العلم والمجتمع.
- (٧) الماء مرآة العلم.

الى جانب ترجمة العديد من الكتب العلمية منها موسوعة الانواء الجوية ،
وقياس الرياح العلمي بواسطة المنطاد^(٣٢).

ورغم الصعوبات والصراعات في تلك الفترة فانه استطاع ان يصدر مجلة
علمية لجامعة بغداد باسم (بروسيرفسكي) باللغات الانكليزية والفرنسية والالمانية
وانتخب رئيساً لها وذلك قبل تأسيس جامعة بغداد ، وبسبب شهرته العلمية
وانجازاته الكبيرة ادخل اسمه في الموسوعة Whoiswho Science العالمية
ودخول اسمه في تلك الموسوعة يعني انه اصبح احد المشاهير في العالم.

انتمى الى العديد من الجمعيات العالمية اهمها عضويته في الجمعية
الملكية البريطانية للانواء وعضويته الدائمة في الجمعية الاكاديمية للعلوم في
نيويورك، وعضويته في جمعية الفيزياء الامريكية. وبعد نيله الشهرة العلمية اتهم
بالشيوعية وهي التهمة التي كانت تُلصق بكل وطني او تقدمي غيور كما يذكر

مؤلف هذا الكتاب الدكتور ستار نوري العبيدي، فضل العيش في الولايات المتحدة الامريكية حتى وفاته عام ١٩٦٩، وفي رسالة له اثناء دخوله المستشفى هناك يقول ((ما يخفف من الامي هو كثرة الزائرين لي في المستشفى والعجيب في ذلك انه لم يسبق لي التعرف على بعضهم ولم اراهم من قبل وان شخصيات كثيرة من علماء واساتذة جامعات ورجال دولة وغيرهم كانوا يكررون الزيارات دائماً)) مما يشير الى مكانته العلمية الكبيرة^(٣٣).

حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة m.i.t في الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٤٦، كان اختصاصه العام في الانواء الجوية، اما اختصاصه الدقيق فهو في الانواء الحركية، وهو العلم الذي يهتم بدراسة وتفسير ما يجري من ظواهر جوهرية مع الغلاف الجوي الارضي من خلال تطبيق النظريات الفيزيائية عليه ، كما رشحته جامعة نيويورك كباحث مرموق لديها^(٣٤).

حيث استطاع هذا العالم قبل سواه من العلماء من ايجاد طريقة رياضية تمكن الارصاد الجوي من ان يتنبأ بهبوب هذه العواصف وطريقة سيرها وسرعة حركتها واتجاهاتها قبل وقت من وصولها، مما اتاح المجال للانذار المبكر لتجنب الكثير من الكوارث التي قد تحصل، لهذا اشادت الصحف الامريكية بجهود الدكتور عبدالجبار عبدالله وقالت ((نحن مدينون للدكتور عبدالجبار عبدالله الذي جعلنا نعرف موعد واتجاه العاصفة فنهياً لها بالتوجيهات والانذارات فتخف الخسائر وتقتصر على الماديات فقط)).

ومن خلال تواجده في جامعة m.i.t استطاع ان يطلعهم على الكثير من النظريات العلمية في مجال الامواج الهوائية في البحار قبل ان يعود الى الوطن

سياسة التربية والتعليم في عهد عبدالكريم قاسم واثرها على النظام التربوي في
العراق (١٩٥٨-١٩٦٣).....

عام ١٩٤٩، ولم يمكث اكثر من سنتين في بغداد قبل ان يعود للولايات المتحدة
الامريكية عام ١٩٥٢^(٣٥).

استطاع خلال سبعة عشر عاما بعد تخرجه من الدكتوراه عام ١٩٤٦
حتى عام ١٩٦٣ من نشر (٢٦) بحثا علميا باللغة الانكليزية نشرت كلها في
المجلات العالمية. وكانت حصيلته من البحوث حتى وفاته قد بلغت ثلاثة
وثلاثين بحثا عدا اطروحته للدكتوراه. وبعد هذا الا يحق لهذا العالم الشهير ان
يقام له تمثال في كلية التربية جامعة بغداد باعتبارها الكلية التي عمل فيها طويلاً
واحبا كثيرا او اطلاق اسمه على احد الشوارع المهمة في بغداد^(٣٦) هذا ما كان
يقترحه المؤلف وهل يستحق هذا الدكتور الكبير الذي منحه العالم والولايات
المتحدة بالخصوص كل التقدير والاحلال ان يربط مع الكلاب من قبل رجالات
القومية العربية في ٨ شباط ١٩٦٣^(٣٧).

وامتدت فترة رئاسته لجامعة بغداد من ١٩٥٩/٣/١٩ الى ١٩٦٣/٣/٨
واستلم رئاسة الجامعة بعده الدكتور عبدالعزيز الدوري (توفي ٢٠١٠ في عمان)
وقد امتدت فترة رئاسته من ١٩٦٣/٢/١٠ - ١٩٦٥/١١/٢٧ وكذلك في المدة
الواقعة ما بين ١٩٦٦/٦/١٠ - ١٩٦٨/٨/٧.

وبين فترتي الدكتور عبدالعزيز الدوري عين الاستاذ خالد الهاشمي من
سنة ١٩٦٥/١١/٢٨ - ١٩٦٨/٨/٦ وذلك بسبب عدم التعايش ما بين رئيس
الوزراء عبدالرحمن البزاز (توفي ١٩٧٣ في لندن) والدكتور عبدالعزيز الدوري.
وكان رئيس الوزراء ناجي طالب (توفي ٢٠١٢) قد عين الدكتور
عبدالعزيز الدوري رئيسا للجامعة في ذات اليوم الذي الف فيه وزارته.

❖ وزارة المعارف في عهد عبدالكريم قاسم

شغل منصب وزارة المعارف في عهد عبدالكريم قاسم عدد من الوزراء، لم يستطيعوا ان ينهضوا بهذه الوزارة المهمة لانها لم تكن من اختصاصهم ولان اغلبهم كانوا من الضباط في الجيش العراقي.
وهؤلاء الوزراء هم:

• جابر عمر {١٩٥٨/٧/١٤ - ١٩٥٨/٩/٣٠}

اصبح وزيراً للمعارف في عهد عبدالكريم قاسم ، ينحدر من اهالي الرمادي توفي عام ١٩٩٣ وهو عميد كلية سابق ومن القوميين ، شارك في انتفاضة مايس عام ١٩٤١ ، يميل الى افكار حزب البعث وقد حضر الى بغداد يوم ١٧ نموز ١٩٥٨ حيث وصلها قادماً من دمشق التي كان فيها لاجئاً سياسياً منذ الهجوم الثلاثي الى مصر سنة ١٩٥٦ ، اذ اضطر المغادرة العراق لانه ممن استنكر الهجوم على مصر^(٣٨).

كان يسعى الى توحيد النظم والمناهج التعليمية والثقافية مع الجمهورية العربية المتحدة تمهيداً للوحدة المرتقبة والتي كان جابر عمر من الساعين لتحقيقها ومن اجل تحقيق ذلك الهدف اعلن المدير العام للمعارف يوم ١٤ آب ١٩٥٨ اطلاق اسم وزارة التربية والتعليم بدلاً من وزارة المعارف كما هو الحال في الجمهورية العربية المتحدة.

اراد جابر عمر ترشيح الدكتور سليمان حزين وهو احد الاساتذة المصريين ورئيس جامعة اسبوط لرئاسة جامعة بغداد ولكن مجلس الوزراء وافق على تعيين الدكتور عبدالجبار عبدالله في ٢٥ تشرين الاول ١٩٥٨ الذي رشحه عبدالكريم قاسم لمنصب امين عام لجامعة بغداد وفي ٢٨ اذار ١٩٥٩ صدر المرسوم الجمهوري بتعيينه وهذا مذكرونا سابقاً. عرف جابر عمر بميوله القومية ومشاركته في انتفاضة ١٩٤١ القومية ، وكان عزله نتيجة لخطابه الذي القاه في مؤتمر الطلاب العرب في الولايات المتحدة الامريكية وقال فيها - نحن عرب الغد لنا فلسفتنا القومية الداعية الى بناء مجتمع عربي افضل على اسس المثل العليا الاسلامية ... وسنناضل من اجل وحدة العرب وتخليصهم من الصهيونية ومن الاستعمار وفي الجزائر وامارات الخليج العربي وقد عد عبدالكريم قاسم والشيعيين هذه الرسالة رجعية وعنصرية فكانت احد الاسباب المهمة في عزله. قال العميد المتقاعد خليل ابراهيم حسين عن جابر عمر بانه ضعيف يصلح ان يكون استاذ مدرسة لا وزيراً سياسياً لانه لا يحسن منها شيئاً وقد ذكرناه هذا في الفصل الثاني^(٣٩).

له عدة كتب مؤلفة منها المدخل في التربية عام ١٩٥٣ ، الاعمار ومشاريعه في العراق، الوجه الاقتصادي لاوروبا. وجدت هذه المؤلفات في المكتبة المركزية في الوزارة.

• محي الدين عبدالحميد {١٩٥٩/٢/٧-١٩٦٠/٥/٣}

استلم وزارة المعارف في عهد عبدالكريم قاسم ، ينحدر محي الدين عبدالحميد من اهالي بغداد وهو عربي عسكري، وفي ١٦/٩/١٩٥٨ تم تبديل اسم وزارة المعارف الى التربية والتعليم أي ان التبديل جرى قبل استيزاره^(٤٠).

• اسماعيل عارف {١٩٦٣/٣/٨-١٩٦٠/٥/٤}

استلم وزارة المعارف في عهد عبدالكريم قاسم ، ينحدر اسماعيل عارف من اهالي ديالى وهو كردي عسكري. سقطت الوزارة على اثر انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ الذي قام به حزب البعث العربي الاشتراكي بالتعاون مع بعض الضباط القوميين واستمرت المواجهة حوالي ٣٦ ساعة من القتال للسيطرة على وزارة الدفاع التي كانت مقر عبدالكريم قاسم ثم اعدم بدون محاكمة. علماً بان مجلس السيادة هو اعلى سلطة دستورية في العراق يتألف من ثلاثة اعضاء هم محمد نجيب الربيعي (توفي ١٩٦٥ دفن في جامع الامام الاعظم في مقبرة الخيزران بجوار ابيه) رئيساً وعضوية محمد مهدي كبة وخالد النقشبندي وهكذا انتهت وزارة عبدالكريم بثلاثة وزراء للمعارف وهم جابر عمر ومحي الدين عبدالحميد واخرهم اسماعيل العارف^(٤١).

اكمل الدراسة المتوسطة في المدرسة الشرقية الواقعة بمحلة السنك توفيت والدته سنة ١٩٣٤ بعد ان رفضت ان تجري لها عملية مفضلة الموت على ان تعرض نفسها للاطباء. وقد كان اسماعيل العارف من مواليد ١٩٢١^(٤٢).

❖ تطهير المدارس والمؤسسات التربوية من الشيوعيين

بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ فصل الكثير من المدرسين المواليين والمنظمين الى صف عبدالكريم قاسم واغلبهم من الشيوعيين وقد قامت الحكومة في عهد عبدالسلام عارف بتطهير المدارس من المدرسين المنتمين الى الحزب الشيوعي والمعارضين للمد القومي في العراق وقد سمي هذا القانون بقانون التطهير. وبعد سيطرة الحكومة على الامن قامت بارجاع المدرسين المفصولين، وبين ايدينا وثيقة امنية نادرة جدا وغير منشورة توضح حال المعلمين والمدرسين الشيوعيين لحد نهاية حكم عبدالكريم قاسم، وسوف نستعرضها مع قليل التصرف.

الجمهورية العراقية

((سري))

رئاسة مجلس الخدمة العامة

بغداد

مديرية التعيين

الرقم ١٥٢

التاريخ ١٩٦٥/٧/٧

الى / مديرية الامن العامة (٤٣)

الموضوع / معلومات

كتابكم المرقم ٨٦١٧ والمؤرخ في ١٩٦٥/٦/٥ ندرج ادناه المعلومات المتوفرة
لدينا عن الاشخاص المشار اليهم في كتابنا المرقم ٧٢٦٨ والمؤرخ في
١٩٦٥/٥/٢٤

صاحب خميس

سكرتير مجلس الخدمة العامة

١- الحاج محمود عبدالوهاب

مدرس مدرسة الجمهورية في لواء البصرة استقال من الخدمة في
١٩٦٢/٩/٣ للالتحاق بالبعثة العلمية وبناء على طلب وزارة التربية بكتابها المرقم
س /٣١٤/ في ١٩٦٥/٤/١٠ ولاستكمال كافة الشروط المطلوبة قرر المجلس
اعادة تعيينه بقراره المرقم ٨٤٦ في ١٩٦٥/٤/١٨ وبلغ القرار الى وزارة التربية
بكتابنا المرقم ٥٨٤٧ في ١٩٦٥/٤/١٩.

٢- نصر عباس عمارة :

مدرس متوسطة ابي صيدا في لواء ديالى سابقاً فصل من الخدمة لمدة
سنة واحدة اعتباراً من ١٩٦٤/١/٧ لصدور الحكم عليه للمدة المذكورة وفق المادة
١٤٣/١٥ ق.ع.ن ولمدة ستة اشهر وفق المادة (٤٣) جمعيات وبناء على انتهاء
مدة فصله وتوجيه وزارة التربية بكتابها المرقم س/٥٨٤ في ١٩٦٥/٥/٦

سياسة التربية والتعليم في عهد عبدالكريم قاسم واثرها على النظام التربوي في
العراق (١٩٥٨-١٩٦٣).....

ولاستكمالها كافة الشروط المطلوبة قرر المجلس اعادة تعيينه بقراره المرقم ٩١٦ في ١٠/٥/١٩٦٥ وبلغ القرار بكتابنا المرقم ٦٦٩٧ والمؤرخ في ١١/٥/١٩٦٥.
٣- اسعد عبدالجبار الكبيسي :

مدرس متوسطة الجمهورية العراقية في طهران سابقاً استقال من الخدمة في ٢٥/٤/١٩٦٥ وبناء على طلب وزارة التربية بكتابها المرقم ٩٠٨٥ والمؤرخ في ١١/٥/١٩٦٥ قرر المجلس اعادة تعيينه بقراره المرقم ٩٢٨ في ١٥/٥/١٩٦٥ وبلغ القرار بكتابنا المرقم ٦٨٣٣ في ١٦/٥/١٩٦٥.
٤- حازم عبدالستار عزيز الحكيم :

مدرس سابق عزل من الخدمة في ٣٠/٤/١٩٦٤ لصدور الحكم عليه بالاشغال الشاقة لمدة خمسة سنوات وفق المادة ١٢١٣١ ق.ع.ب وقد اطلق سراحه بمرسوم جمهوري بتاريخ ٧/٢/١٩٦٥ وعدل امر عزله الى الفصل بمقدار مدة حبسه واعتبرت جريمته سياسية وبناء على طلب وزارة التربية في كتابها المرقم س / ١٥٨٤ في ٦/٥/١٩٦٥ ولاستكمالها كافة الشروط المطلوبة قرر المجلس اعادة تعيينه بقراره المرقم ٩١٣ في ١٠/٥/١٩٦٥ وبلغ القرار بكتابنا المرقم ٦٦٩٧ في ١١/٥/١٩٦٥.
٥- اديب عبدالكريم عجينة :

مدرس سابق فصل من الخدمة لمدة ستة اشهر اعتباراً من ١٥/٩/١٩٦٤ استناداً الى احكام قانون التطهير وبناء على طلب وزارة التربية المرقم س / ١٥٨٤ والمؤرخ في ٦/٥/١٩٦٥ ولانتهاء مدة فصله ولاستكمالها كافة الشروط

سياسة التربية والتعليم في عهد عبدالكريم قاسم واثرها على النظام التربوي في العراق (١٩٥٨-١٩٦٣).....

المطلوبة قرر المجلس اعادة تعيينه بقراره المرقم ٩١٢ في ١٠/٥/١٩٦٥ وبلغ القرار بكتابنا المرقم ٦٦٩٧ في ١١/٥/١٩٦٥.

٦- مكية حسين احمد :

معلمة مدرسة مهجران في لواء البصرة سابقاً فصلت من الخدمة لمدة ستة اشهر اعتباراً من ١٣/٨/١٩٦٣ استناداً الى قانون التطهير وبناء على انتهاء مدة فصلها وتوصية وزارة الداخلية بكتابها المرقم ٦٢٢١ في ١١/٥/١٩٦٥ واستكمالها كافة الشروط المطلوبة قرر المجلس اعادة تعيينها بقراره المرقم ٩٤١ والمؤرخ في ١٧/٥/١٩٦٥ علماً انه تنسب خارج لواء البصرة وبلغ القرار بكتابنا المرقم ٧٠١٣ في ١٨/٥/١٩٦٥ الى وزارة الداخلية.

٧- مرتضى ياسين حسن المولى :

مدرسة في متوسطة قلعة دزه سابقاً عزل من الخدمة في ١٤/١١/١٩٦١ لصدور الحكم عليه لمدة تسعة اشهر وفق المادة ٣١/١٢ ق.ع.ب ثم ابدل العزل بالفصل للمدة المذكورة باعتبار جريمته سياسية وبناء على توصية وزارة التربية بكتابها المرقم س/١٥٨٤ والمؤرخ في ٦/٥/١٩٦٥ ولانتهاء مدة فصله واستكمالها كافة الشروط قرر المجلس اعادة تعيينه بقراره المرقم ٩١٥ والمؤرخ في ١٠/٥/١٩٦٥ وبلغ القرار بكتابنا المرقم ٦٦٩٧ في ١١/٥/١٩٦٥ الى وزارة التربية.

٨- ناهدة احمد محمد الامين :

معلمة سابقة في واء الناصرية استقالت من الخدمة في ١٩٦٢/٩/١ وبناء
على طلب وزارة الداخلية بكتابها المرقم ٥٢٤٢ والمؤرخ في ١٩٦٥/٤/١٨
واستكمالها كافة الشروط المطلوبة قرر المجلس اعادة تعيينها بقراره المرقم ٨٦٩
في ١٩٦٥/٤/٢٦ وبلغ القرار بكتابنا المرقم ٦٣٨٦ في ١٩٦٥/٥/٤.

٩- علية حسين السالم :

معلمة مدرسة الزهراء في الكرخ سابقاً فصلت من الخدمة لمدة احد عشر
شهرًا لصدور الحكم عليها بالحبس للمدة المذكورة وفق المادة ١٤/١٥ مرسوم
والمادة (٤٣) جمعيات اعتباراً من ١٩٦٤/٤/٦ ولانتهاء مدة فصلها وتوصية وزارة
الداخلية بكتابها المرقم ٤٧٣١ والمؤرخ في ١٩٦٥/٤/٤ ولاستكمال كافة الشروط
المطلوبة قرر المجلس اعادة تعيينها بقراره المرقم ٨٤٢ والمؤرخ في ١٩٦٥/٤/١٨
وبلغ القرار المذكور الى وزارة الداخلية بكتابنا المرقم ٧٠١٧ في ١٩٦٥/٥/١٨.

١٠- خضير عباس العبود :

معلم مدرسة الجنبلاطية سابقاً فصل من الخدمة لمدة سنة واحدة لصدور
الحكم عليه بالحبس الشديد لمدة عشر اشهر وفق المادة ٣/٤/١٩ مرسوم ولمدة
شهرين وفق المادة ٢/١٩ من قانون الاسلحة النارية ينفذ بالتعاقب اعتباراً من
١٩٦١/٤/٣٠ واعتبارها تهمة مخلة بالشرف ولانتهاء مدة فصله وتوصية وزارة
الداخلية بكتابها المرقم ٦١٥٧ في ١٩٦٥/٥/١٠ لاستكمالها كافة الشروط
المطلوبة قرر المجلس اعادة تعيينه بقراره المرقم ٩٣٧ في ١٩٦٥/٥/١٧ وبلغ
القرار المذكور الى وزارة الداخلية بكتابها المرقم ٧٠٢٦ في ١٩٦٥/٥/١٨.

١١- طارق كاظم الكراز :

معلم سابق فصل من الخدمة لمدة سنة ونصف لصدور الحكم بالحبس الشديد للمدة المذكورة وفق المادة ٣/٤/١٩ جمعيات ولانتهاء مدة فصله وتوصية وزارة الداخلية بكتابها المرقم ٦١٥٧ في ١٠/٥/١٩٦٥ ولاستكمال كافة الشروط القانونية المطلوبة قرر المجلس اعادة تعيينه بقراره المرقم ٩٣٠ في ١٥/٥/١٩٦٥ وبلغ القرار بكتابنا المرقم ٦٨٩٧ في ١٧/٥/١٩٦٥.

١٢- يوسف يونس التكريتي :

معلم في مدرسة الشاكرية سابقاً عزل من الخدمة في يوم ١٩/١٠/١٩٦٠ ثم ابدل العزل الى الفصل لمدة سنة واحدة بالحبس للمدة المذكورة وفق المادة ١٢/٣١ ق.ع.ب وبناء على انتهاء مدة فصله وتوصية وزارة الداخلية بكتابها المرقم ٦١٥٧ في ١٠/٥/١٩٦٥ ولاستكمال كافة الشروط المطلوبة قرر المجلس اعادة تعيينه بقراره المرقم ٩٣٤ في ١٩/٥/١٩٦٥ وبلغ القرار الى وزارة الداخلية بكتابنا المرقم ٦٨٩٢ في ١٧/٥/١٩٦٥ هذا مع العلم ان الموما اليه قد فصل في ١٨/٨/١٩٥٥ واعيد تعيينه في ١٥/٩/١٩٥٨.

١٣- هاشم عبدالامير الشديدي :

معلم مدرسة التعاون سابقاً فصل من الخدمة لمدة سنة واحدة استناداً الى قانون التطهير اعتباراً من ٨/٨/١٩٦٣ ولاستكمال كافة الشروط المطلوبة قرر المجلس اعادة تعيينه بقراره المرقم ٩٣٨ في ١٧/٥/١٩٦٥ وبلغ القرار الى وزارته بكتابنا المرقم ٦٩٠٩ في ١٧/٥/١٩٦٥.

١٤- خيرالله سهيل :

معلم في لواء كربلاء سابقاً فصل من الخدمة لمدة ثلاثة اشهر لصدور
الحكم عليه بالحبس للمدة المذكورة وفق المادة ٤٣ جمعيات ولانتهاء مدة فصله
وتوصيه وزارة الداخلية بكتابها المرقم ٦٢٢٠ في ١١/٥/١٩٦٥ ولاستكمال كافة
الشروط المطلوبة اعيد تعيينه بقراره المرقم ٩٣٨ في ١٧/٥/١٩٦٥ وبلغ القرار
الى وزارته بكتابنا المرقم ٦٩٠٩ في ١٧/٥/١٩٦٥.

١٥- ماجد عبدالجليل :

معلم مدرسة الفلاح في كربلاء سابقاً سحبت يده من الوظيفة في
١٠/٩/١٩٦٠ وعزل من الخدمة لصدور الحكم عليه بالحبس الشديد لمدة ثلاثة
سنوات وفق المادة ١٢/٣١ ق.ع.ب والمادة ٨/٤/١٥ مرسوم ثم ابدل العزل الى
الفصل للمدة المذكورة باعتبار جريمته سياسية وبناء على طلب وزارة الداخلية
بكتابها المرقم ٦٢٢٠ في ١١/٥/١٩٦٥ ولانتهاء مدة فصله ولاستكمال كافة
الشروط المطلوبة قرر المجلس اعادة تعيينه بقراره المرقم ٩٢٦ والمؤرخ في
١٥/٥/١٩٦٥ وبلغ القرار المذكور الى وزارة الداخلية بكتابنا المرقم ٦٨١٨ في
١٦/٥/١٩٦٥.

١٦- شاكر جواد العصامي :

معلم في لواء بغداد / الكرخ سابقاً فصل من الخدمة لمدة سنة واحدة
اعتباراً من ٨/٨/١٩٦٣ استناداً الى قانون التطهير وبناء على توصية وزارة
الداخلية بكتابها المرقم ٥٧٨٩ في ٢/٥/١٩٦٥ ولانتهاء مدة فصله واستكمال
الشروط المطلوبة قرر المجلس اعادة تعيينه بقراره المرقم ٩٠٩ في ١٠/٥/١٩٦٥
وبلغ القرار الى وزارة الداخلية بكتابنا المرقم ٦٦٩١ في ١١/٥/١٩٦٥.

١٧- صفوان ياسين :

معلم في لواء الكوت فصل من الخدمة لمدة خمسة اشهر اعتباراً من
١٩٦٣/١٠/٨ لصدور الحكم عليه بالحبس للمدة المذكورة وفق المادة ٤٣
جمعيات وبناء على توصيه وزارة الداخلية بكتابها المرقم ٥٩٢٠ في ١٩٦٥/٥/٤
ولانتهاء مدة فصله واستكمالها كافة الشروط المطلوبة قرر للمجلس اعادة تعيينه
بقراره المرقم ٩١٠ في ١٩٦٥/٥/١٠ وبلغ القرار بكتابنا المرقم ٦٦٩١ في
١٩٦٥/٥/١١.

١٨- حسن جاسم محمد :

معلم في لواء الناصرية سابقاً عزل من الخدمة ثم ابدل العزل الى الفصل
لمدة سنة واحدة لصدور الحكم عليه بالحبس للمدة المذكورة وفق المادة ٤٣
جمعيات وبناء على توصيه وزارة الداخلية بكتابها المرقم ٥٧٧٣ في ١٩٦٥/٥/٢
ولاستكمالها كافة الشروط المطلوبة قرر المجلس اعادة تعيينه بقراره المرقم ٩١١
في ١٩٦٥/٥/١٠.

١٩- موسى على الدوهان :

معلم في لواء البصرة سابقاً فصل من الخدمة لمدة خمسة اشهر لصدور
الحكم عليه بالحبس للمدة المذكورة وفق المادة ٤٣ جمعيات وبناء على توصية
وزارة الداخلية بكتابها المرقم س/٢٠٤ في ١٩٦٥/٤/٢٧ ولانتهاء مدة فصله
واستكمالها الشروط المطلوبة قرر المجلس اعادة تعيينه بقراره المرقم ٩١٢ في
١٩٦٥/٥/١٠ وبلغ القرار الى وزارة الداخلية بكتابها المرقم ٦٦٩١ في
١٩٦٥/٥/١١.

٢٠- خالد عبد الباقي السامرائي :

معلم سابق في لواء بغداد / الكرخ فصل من الخدمة لمدة سنة واحدة
استناداً الى قانون التطهير اعتباراً من ١٩٦٣/٨/٨ ولانتهاء مدة فصله وتوصية
وزارة الداخلية بكتابها المرقم ٥٧٩٠ في ١٩٦٥/٥/٢٠ ولاستكمال كافة الشروط
المطلوبة قرر المجلس اعادة تعيينه بقراره المرقم ٩٠٨ في ١٩٦٥/٩/١٠ وبلغ
القرار بكتابنا المرقم ٦٦٩١ في ١٩٦٥/٥/١١.

٢١- ثابت فهد علي الزبيدي :

معلم فصل من الخدمة من ١٩٦٤/١٢/٢٩ لصدور الحكم عليه بالحبس
للمدة المذكورة وفق المادة ٨/١٤/١٩ مرسوم وحتى ١٩٦٥/٢/٢٤ لاطلاق
سراحه بقرار من القائد العام للقوات المسلحة وبناء على توصية وزارة الداخلية
بكتابها المرقم ٥٧٣٩ في ١٩٦٥/٤/٢٩ ولاستكمال كافة الشروط المطلوبة قرر
المجلس اعادة تعيينه بقراره المرقم ٩٠٧ في ١٩٦٥/٥/١٠ وبلغ القرار بكتابنا
المرقم ٦٦٨٨ في ١٩٦٥/٥/١١.

٢٢- عبدالستار عبدالامير مهدي

٢٣- صادق عبدالمهدي الناشيء

٢٤- صالح حسين محمد صالح :

معلم سابق فصل من الخدمة لمدة ستة اشهر استناداً الى قانون التطهير
اعتباراً من ١٩٦٣/٩/١ ولانتهاء مدة فصله

٢٥- جودت سليم نعوم : معلم فصل من الخدمة لمدة سنة واحدة استناداً الى
قانون التطهير اعتباراً من ١٩٦٣/٨/٨.

٢٦- جابر اسماعيل الجابر :

٢٧- عبود توما الساعور : معلم سابق فصل من الخدمة لمدة ستة اشهر استناداً
الى قانون التطهير اعتباراً من ١٩٦٣/٧/١٩.

الخاتمة :

((عبارة مكتوبة في جامعة هارفورد تقول: ألم الدراسة لحظة وتنتهي لكن
اهمالها ألم يستمر مدى الحياة))

ساهمت المنازعات بين الاطراف القومية والشيوعية في بروز تكتلات من
الطلاب والاستاذة في المدارس المؤسسات التربوية والتعليمية، وقد سخرت هذه
المجاميع الطلابية والاكاديمية للتظاهرات من اجل القضايا القومية وابعاد
الشخصيات الساعية الى تقوية الروح الوطنية والانسانية في المناهج الدراسية
العراقية، علما بانه لم يكن هناك كتاب يخص تاريخ العراق في الكتب المدرسية
خلال هذه الفترة الممتدة من عام ١٩٥٨ - ١٩٦٣ وهذا مما ادى الى بروز خلل
كبير في النظام التربوي انعكس سلباً على الطلاب العراقيين، وكان هناك كتاب
وحيد اسمه تاريخ التمدن العراقي يدرس في دار المعلمين العالية التي تأسست
عام ١٩٢٣ والتي اصبحت تعرف فيما بعد بكلية التربية وقام بتدريس هذا الكتاب
يوسف غنيمه (توفي في لندن عام ١٩٥٠ ونقلت جنازته الى بغداد) وانتهت هذه
الصراعات بين القوميين والشيوعيين بنهاية حكم عبدالكريم قاسم في ٨ شباط
١٩٦٣ وسيطر القوميين على النظام التربوي والتعليمي وتسييره حسب افكارهم

ومعتقداتهم السياسية والتاريخية ولم يتقدم المجتمع نتيجة سياساتهم التربوية الخاطئة والتي لم تتلائم مع المفاهيم التربوية والتعليمية السائدة في الدول المتقدمة.

ونختم كلامنا بمقولة احد فلاسفة الالمان وهو يتحدث عن ضرورة تغيير المجتمعات نحو الرقي والتقدم فذكر قائلاً ما يلي:
(لكي تغيروا المجتمع ينبغي أولاً ان تغيروا العقليات السائدة فيه عن طريق التعليم والتنقيف والتهديب))

المصادر العربية :

- ١- احمد فوزي، اين الحقيقة في مصرع عبدالكريم قاسم، بغداد، ١٩٩٠.
- ٢- ابراهيم خليل احمد، تطور التعليم الوطني في العراق (١٨٦٩-١٩٣٢)، البصرة، ١٩٨٢.
- ٣- ابراهيم خليل العلاف، تاريخ الفكر القومي العربي منذ البواكير الاولى لنشوء الامة العربية حتى عصر القائد صدام حسين، بغداد، ٢٠٠١.
- ٤- العراق في الوثائق البريطانية ١٩٥٨-١٩٥٩، ترجمة وتعليق العميد المتقاعد خليل ابراهيم حسين، بغداد، ٢٠٠٠.
- ٥- اللجنة العليا لاحتفالات ١٤ تموز، ثورة ١٤ تموز في عامها الثاني، بغداد، ١٩٦٠.
- ٦- حازم زكي نسيبة، القومية العربية فكرتها-نشأتها-تطورها، ترجمة عبداللطيف شرارة، ط٢، بيروت، ١٩٦٢.

- ٧- حسن العلوي، عبدالكريم قاسم، رؤية بعد العشرين، لندن، ١٩٨٣.
- ٨- جابر عمر، اتجاهات وآراء في التربية والتعليم، بغداد، بلا.
- ٩- خليل ابراهيم حسين، اللغز المحير عبدالكريم قاسم، ج ٤، بغداد، ١٩٩٠.
- ١٠- خليل ابراهيم حسين، الصراعات بين عبدالكريم قاسم والشيوعيين ورفعت الحاج سري والقوميين، بغداد، ١٩٨٨.
- ١١- ستار نوري العبيدي، السيرة العلمية والانسانية للعالم العراقي الدكتور عبدالجبار عبدالله، بغداد، ٢٠٠٧.
- ١٢- طلعت الشيباني، واقع الملكية الزراعية في العراق، بغداد، ١٩٥٨.
- ١٣- عبدالكريم الازري، مشكلة الحكم في العراق من فيصل الاول الى صدام، بغداد، ١٩٩١.
- ١٤- عقيل الناصري، قراءة اولية في سيرة عبدالكريم قاسم (٢١-١١-١٩١٤) - (٩-٢-١٩٦٣)، دمشق، ٢٠٠٣.
- ١٥- عماد احمد الجواهري، نادي المثنى وواجهات التجمع القومي في العراق، بغداد، ١٩٨٤.
- ١٦- قحطان حبيب الملاك، ناس من بلدنا، بغداد، ٢٠٠١.
- ١٧- ليث عبدالحسين الزبيدي ، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، ط ٢، بغداد، ١٩٨١.
- ١٨- محمد حمدي الجعفري، نهاية قصر الرحاب تفاصيل ماحدث ليلة تموز ١٩٥٨ وصبيحتها، بغداد، ١٩٨٩.

- ١٩- نوري عبدالحميد العاني، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري
١٤ تموز ١٩٥٨ - ٧ شباط ١٩٥٩، جزئين، بغداد، ٢٠٠٠.
- ٢٠- وميض جمال عمر نظمي، ثورة ١٩٢٠ الجذور السياسية والفكرية
والاجتماعية للحركة القومية العربية، ط٢، بيروت، ١٩٨٥.

الصحف والمجلات:

- ١- جرجيس الهامس، الجذور اللغوية للارامية، مجلة الحوار المتمدن، العدد
١٧٥٧، بلا، ٢٠٠٦.
- ٢- جريدة المشرق، العدد ٨٦٧، ٩ كانون الثاني، ٢٠٠٧.
- ٣- صباح مال الله (رئيس تحرير مجلة المندائية)، اللغة المندائية نشأتها
اهميتها تأثيرها كيفية الحفاظ عليها، مجلة المندائية، لندن.
- ٤- كاظم حسوني، جامعة بغداد في يوبيلها الفضي، صحيفة الصباح، العدد
١٠٩٧، بغداد، ٢٠٠٧.
- ٥- فؤاد حمه خورشيد، وحدة البلدان العربية وضचितها عبدالكريم قاسم،
صحيفة التآخي، العدد ٤٢٢٤، بغداد، ٢٠٠٤.
- ٦- علي الساعدي، عبدالجبار عبدالله، صحيفة البيّنة، العدد ٣٣، بغداد،
٢٠٠٦.
- ٧- ماهر موسى العبيدي، متي عقراوي مؤرخ ومربي، صحيفة الزمان، العدد
٢٦٤٤، بغداد، ٢٠٠٧.

٨- ماهر موسى العبيدي، قبسات من حياة الدكتور عبدالجبار عبدالله،
صحيفة الصباح، العدد ١١٠١، بغداد، ٢٠٠٧.

الهوامش :

(١) ((في الخامسة من عمره دخل الطفل كرومي (اسم التليل الذي يطلقه العراقيون على كل من يحمل اسم كريم) الى احد الكتاتيب مقابل جامع الفضل بن ربيع ليتعلم القراءة والكتابة ويحفظ ما يتيسر له من القرآن الكريم التي كانت تديره الملاية فاطمة الحاج مصطفى عبدالله الجبوري ، ابنة امام وخطيب جامع الفضل، هذه الدراسة مكنته من الولوج المبكر في عالم القراءة)) وبسبب الحاجة والفقر سافرت عائلته عام ١٩٢١ الى مدينة الصويرة ليعمل رب الاسرة في ارض تعود ملكيتها الى العائلة والتي كان يشرف عليها اخوه الضابط المستشهد، دخل انذاك عبدالكريم قاسم المدرسة الابتدائية ودرس فيها لمدة اربع سنوات قبل ان تعود العائلة الى بغداد عام ١٩٢٦. تسكن هذه المرة في محلة قنبر علي المجاورة لمحلته السابقة والمعروفة بفقر سكانها وتعدد انتماءاتهم من عرب وكرد ويهود ومسيحيين، وقد شكلت هذه المعاشية الاجتماعية اضافة نوعية جديدة الى منظومة افكار عبدالكريم قاسم والتي تمحورت حول فكرة الهوية الوطنية العراقية. انهى دراسته الابتدائية من مدرسة الرصافة عام ١٩٢٦ وتخرج منها ليدخل الثانوية المركزية -الفرع الادبي- وينتهي منها بتفوق عام ١٩٣١. عين في وزارة المعارف بتاريخ ١٠/٢٢/١٩٣١ بوظيفة معلم ونسب الى احدى المدارس الابتدائية في قضاء الشامية. ذكر عبدالكريم قاسم في خطاب له القا في المؤتمر الاول للتربية والتعليم في ١٥ ايلول ١٩٦١ ((مازلت ذلك الفرد البسيط من زمركم، من زمرة التعليم، فقد سبق لي ان

اشتغلت بمهنة التعليم مدة من الزمن وخبرت بنفسها الصعوبات والمصاعب التي يعانها ويلاقها اخواني واخواتي المعلمون والمعلمات)) كان يرفض تكرار الجلوس في مضايقات الشيوخ لاجل قتل الفراغ بعد انتهاء الدوام الرسمي، واكد هديب الحاج حمود الذي اصبح وزيرا في الحكومة الاولى للثورة، ان عبدالكريم كان يؤثر العزلة على مخالطة الناس الذين ينعدم احساسهم بالوقت. وكان معلما للغة الانكليزية التي يجيدها بطلاقة. وعندما اصبح رئيسا للعراق كان الحاضرون في سينما الخيام يهتفون اعدم جيش وشعب وياك اعدم فترك عبدالكريم المنصة وقال بعصبية واضحة لماذا لا تطلبون مني بناء مدرسة او بناء مصنع، اطلبوا اي شيء الا الاعدام، واستشهد ولم يكن يملك سوى دينارا ومئتي فلس لا غير.

عقيل الناصري، قراءة اولية في سيرة عبدالكريم قاسم (٢١-١١-١٩١٤) (٩-٢-١٩٦٣)، دمشق، ٢٠٠٣، ص ٩٧-٢٦.

انظر: احمد فوزي، اين الحقيقة في مصرع عبدالكريم قاسم، بيروت، ١٩٩٠، ص ١٠ وما بعدها، عبدالكريم الازري، مشكلة الحكم في العراق من فيصل الاول الى صدام، بغداد، ١٩٩١.

(٢) الدكتور جابر عمر (١٩١٣-١٩٩٣)، هو وزير المعارف في بداية حكم عبدالكريم قاسم، ذو ميول واضحة الى افكار حزب البعث العربي الاشتراكي، حضر الى بغداد يوم ١٧ تموز حيث وصلها قادماً من دمشق التي كان لاجئاً سياسياً فيها منذ العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، وقد اخطر حينها لمغادرة العراق لانه استنكر العدوان، ويبدو ان الدكتور جابر عمر حين سمع بتعيينه قد فوجئ بهذا الامر، اذ يقول ((دهشت لاختياري لانني لم اكن اعرف عبدالكريم قاسم ولا عبدالسلام عارف وفي اليوم التالي اي يوم وصولي الى بغداد ذهبت الى وزارة

الدفاع حيث كان الاثنان هناك في غرفة واحدة ولم استطع اعرف ايهما قاسم وايهما عارف)).

انظر: نوري عبدالحميد العاني، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري ١٤ تموز ١٩٥٨-٧ شباط ١٩٥٩، ج١، ٢، بغداد، ٢٠٠٠، ص ٢٥-٣٦، ٢١٣.

(٣) نوري عبدالحميد العاني، المصدر نفسه، ص ٣٦.

للمزيد من التفاصيل انظر: محمد حمدي الجعفري، نهاية قصر الرحاب تفاصيل ما حدث ليلة تموز ١٩٥٨ وصبيحتها، بغداد، ١٩٨٩.

(٤) نوري عبدالحميد العاني، المصدر السابق، ص ٢١٨.

يذكر خليل ابراهيم حسين انه عرض على مجلس الوزراء مرشحين لاختيار احدهما لرئاسة جامعة بغداد اولهما الدكتور عبدالجبار عبدالله، فاعترض احد اعضاء مجلس السيادة على ترشيح عبدالجبار عبدالله لانه صابئي فاستغرب احمد محمد يحيى وزير الداخلية (كردي) من هذا الاعتراض، قائلاً نحن نريد اماماً لجامعة لا اماماً لجامع.. وكانت جامعة بغداد الرسمية اشترت ارضها من اصحابها بسعر دينارين للمتر الواحد فضارب المتنفذون على الاراضي المجاورة حتى ارتفع سعر الاراضي بشكل جنوني حتى وقع الناس في ازمة سكنية رهيبة. انظر: خليل ابراهيم حسين، اللغز المحير عبدالكريم قاسم، ج٤، بغداد، ١٩٩٠، ص ٣٣١.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢١٣.

يقول جابر عمر ان عدد المدارس في السنة الاولى من تاسيس الدولة العراقية كان ٨٨ مدرسة ابتدائية فيها ٤٨٦ معلماً وتضم ٧٤٥٢ طالبا ، فاذا به يصبح في السنة التي تليها اي سنة ١٩٢٢ (١٥١) مدرسة ابتدائية فيها ٦٦٣ معلماً وتضم

١٥٢٧٥ طالباً، وهذا يعني ان الدولة العراقية استطاعت تجنيد اكثر المتقنين في
البلاد للخدمة التعليمية.

انظر : جابر عمر، اتجاهات واره في التربية والتعليم، بغداد، بلا، ص ٣١.
للمزيد من التفاصيل انظر : ابراهيم خليل احمد، تطور التعليم في العراق
(١٨٦٩-١٩٣٢)، البصرة، ١٩٨٢.

انظر : نوري عبدالحميد العاني، المصدر السابق ، ص ٢٢٨.

(٦) نوري عبدالحميد العاني، المصدر السابق ، ص ٢١٣.

(٧) العراق في الوثائق البريطانية ١٩٥٨-١٩٥٩، ج ٢، ترجمة وتعليق العميد المتقاعد
خليل ابراهيم حسين، بغداد ٢٠٠٠ ، ص ٢١٣.

للمزيد من التفاصيل انظر: عماد احمد الجواهري، نادي المثني وواجهات التجمع
القومي في العراق، بغداد، ١٩٨٤.

تم اعفاء جابر عمر من منصب وزارة التربية والتعليم لمسايعه الحثيثة من اجل
الوحدة العربية وذلك بالتمهيد لها بتحقيق الوحدة الثقافية بين البلدين اولاً ثم تبادل
العديد من الوفود الفنية من اجل دراسة توحيد النظم والمناهج التعليمية والثقافية،
وكذلك تعود لرغبته في اختيار مرشح مصري لرئاسة جامعة بغداد هو الدكتور
سليمان حزين الذي صاغ اهداف الاتفاقية الثقافية التي وقعها العراق مع الجمهورية
العربية المتحدة والتي نصت على توحيد المناهج وتشكيل مجلس مشترك لتنفيذها،
بينما كان عبدالكريم قاسم يفضل تعيين الدكتور عبدالجبار عبدالله لهذا المنصب،
واعتقد ان عبدالكريم قاسم كان يفضل كفاءة ابن وطنه وافساح المجال لها لتخدم
الوطن لهذا وجد جابر عمر بعيداً عن الولاء للوطن انما ولاءه لقوميته على حساب
العراق والعراقيين.

فضلا عن عدم رضا عبدالكريم قاسم وكذلك الشيوعيين عن جابر عمر بسبب ما ورد في كلمته التي القيت في مؤتمر الطلاب العرب الذي عقد في الولايات المتحدة الامريكية والتي قال فيها: ((نحن عرب الغد لنا فلسفتنا الواعية خلاصتها بناء مجتمع عربي افضل على اسس من المثل العليا الاسلامية، وخير ما في العلم الصناعة خطتنا مع العالم الخارجي حياذ ايجابي مبني على التعاون مع الشعوب شرقيها وغربيها ومنفعة اقتصادية مشتركة تقاوم الاستغلال ، وتضع المصلحة العربية فوق كل اعتبار في التزاماتنا الدولية مع الجيران والبعيدين، نقاوم الاستعمار اي لون اختار واي ثوب تقمص وسنناضل من اجل وحدة العرب وتخليصهم من الصهيونية ومن الاستعمار في الجزائر وامارات الخليج)) وقد اعتبر عبدالكريم قاسم هذه الرسالة موجهة ضد سياسية الثورة وعدها الشيوعيون رسالة رجعية اشادت بالقومية العربية ، خاصة وقد عرف عن جابر عمر ميوله القومية من خلال مشاركته في حركة ١٩٤١. وبعد اعفاء جابر عمر اسندت وزارة التربية والتعليم في ٣٠ ايلول ١٩٥٨ الى هديب الحاج حمود وزير الزراعة. ويذكر العميد خليل ابراهيم حسين ان جابر عمر لن يصلح ان يكون بهذا المنصب لانه ضعيف ويصلح ان يكون استاذ مدرسة لا وزيراً سياسياً لانه لا يحسن فيها شيئاً.

انظر: نوري عبدالحميد العاني، المصدر السابق، ص ٢٣٦-٢٣٩.

انظر: خليل ابراهيم حسين، اللغز المحير عبدالكريم قاسم، المصدر السابق، ص ٩٦.

(٨) العراق في الوثائق البريطانية ...، المصدر السابق، ص ١٦٢.

(٩) المصدر نفسه ، ص ٢١٥.

(١٠) العراق في الوثائق البريطانية ج ١، المصدر السابق، ص ٢٩٦.

للمزيد من التفاصيل انظر: ابراهيم خليل العلاف، تاريخ الفكر القومي العربي منذ
البواكير الاولى لنشوء الامة العربية حتى عصر القائد صدام حسين، بغداد،
٢٠٠١.

(١١) المصدر نفسه، ص ٣٣٠.

(١٢) تكون الاقطاع في ظل الاحتلال التركي الثالث للعراق (١٨٣١-١٩١٤) من
ملتزمي ضرائب يجبون الخراج لخزينة الدولة لقاء عمولة ١٢.٥% من الاراضي
الخارجية.

وعندما عين مدحت باشا واليا على العراق سنة ١٨٦٩ بدأ بتطبيق نظام الطابو
وهو من حيث الشكل ملكية خاصة لافراد الطبقة الاقطاعية.

انظر: ليث عبدالحسين الزبيدي، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، ط٢، بغداد،
١٩٨١، ص ٣٠.

للمزيد من المعلومات انظر: طلعت الشيباني، واقع الملكية الزراعية في العراق،
بغداد، ١٩٥٨.

(١٣) نوري عبدالحميد العاني، ج ٣، المصدر السابق، ص ٨٥-٨٧.

(١٤) وثيقة غير منشورة، من جبهة الاتحاد الوطني الى الزعيم عبدالكريم قاسم، بغداد،
٢٨ حزيران ١٩٥٩.

للمزيد من التفاصيل انظر: جاسم مخلص المحامي، مذكرات الطبقي وذكريات
جاسم مخلص المحامي، بغداد، ١٩٨٥.

(١٥) المصدر نفسه، ص ٩٠-٩٢.

للمزيد من التفاصيل انظر: خليل ابراهيم حسين، الصراعات بين عبدالكريم قاسم
والشيوعيين ورفعت الحاج سري والقوميين، بغداد، ١٩٨٨.

- انظر: فؤاد حمه خورشيد، وحدة البلدان العربية وضحيته عبدالكريم قاسم، صحيفة
التآخي، العدد ٤٢٢٤، بغداد، ٢٠٠٤.
- (١٦) العراق في الوثائق البريطانية ج٤، المصدر السابق، ص ١١٥.
- (١٧) العراق في الوثائق البريطانية، ج٤، ص ٣٦.
- (١٨) حسن العلوي، دولى الاستعارة القومية، لندن، ١٩٩٣، ص ٢٧-٣٢.
- للمزيد من التفاصيل انظر: جلال السيد، حقيقة الامة العربي وعوامل حفظها وتمزقها،
بيروت، ١٩٧٣.
- (١٩) المصدر نفسه، ص ١٧٥-١٧٦.
- (٢٠) كان عبدالكريم قاسم والشيوعيون في العراق يعتقدون بان الارهاب القادم على
العراق سيكون من تلك المجاورة للعراق ومن القومييين الذين يعملون لصالح تلك
الدول ، لذلك ذكروا في عام ١٩٥٩ هذا النص ((ان اخواننا العرب لن يتركونا
بسلام ابدأ وسيظل الخطر المنبعث من هذه الزاوية قائماً ومائلاً وحقيقياً. ان للتأمر
على نظامنا الجمهوري اسانيده الفلسفية وراياته التي تحمل اسم الحق وهي تبغي
باطلاً)). وهذا يدل على مدى الوعي الكبير لافراد الحزب الشيوعي واستيعابهم
للخطر القادم من هذه الدول.
- انظر: نوري عبدالحميد العاني، ج٢، المصدر السابق، ص ٤٨.
- انظر: حازم زكي نسيبه، القومية العربية فكرتها - نشأتها - تطورها، ترجمة
عبداللطيف شرارة، ط٢، بيروت، ١٩٦٢.
- للمزيد من التفاصيل انظر: وميض جمال عمر نظمي، ثورة ١٩٢٠ الجذور
السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية، ط٢، بيروت، ١٩٨٥.
- (٢١) نوري عبدالحميد العاني، ج٢، المصدر السابق، ص ١٩٠.

(٢٢) المصدر نفسه، ص ١٩١.

(٢٣) د. نوري عبدالحميد العاني، ج ٢، المصدر السابق، ص ١٩١-١٩٢.

(٢٤) تاسيس جامعة بغداد سنة ١٩٥٧ لم تكن فكرتها وليدة العهد في العراق، اذ سبقها تاسيس دار المعلمين العالية سنة ١٩٣٢ على صورة بدائية ناقصة ثم تكاملت حتى اخذت شكلها النهائي سنة ١٩٣٩ مثلما انشئت كلية الطب سنة ١٩٢٧ وكلية الصيدلة سنة ١٩٣٦ ثم تلتها سائر الكليات، فانشأت كلية الهندسة سنة ١٩٤٢ والتجارة سنة ١٩٤٧، وكانت هذه المدارس مهنية لاعداد الموظفين او المتخصصين بمهن معينة. لكن تأسيس كلية الاداب والعلوم سنة ١٩٤٩ يمكن عدّها اللبنة الاولى للتعليم الجامعي في مساره الصحيح او النواة الحقيقية لجامعة بغداد. وهذا ما مهد لتشريع قانون جامعة بغداد في ايلول ١٩٥٦ الذي مثل حجر الاساس لبناء الجامعة وتأسيسها رسمياً رغم ذلك بقي القانون معطلاً اكثر من سنة كاملة ولم يشرع في تنفيذه حتى اواخر سنة ١٩٥٧ حين عين الدكتور متي عقراوي (توفي عام ١٩٨٢) اول رئيس لجامعة بغداد. وبعد ثورة ١٩٥٨ الغي قانون ١٩٥٦، واستعيض عنه بقانون اخر لجامعة بغداد لسنة ١٩٥٨. الاعتراف بقيام الجامعة وضم الكليات المقررة اليها، كما تقرر فتح معاهد عالية هي معهد العلوم الادارية ومعهد اللغات ومعهد السياحة، اضافة الى استئناف الدراسات المسائية في عدد من الكليات كالحقوق والتجارة.

وقد بلغ عدد الطلبة في عام ١٩٥٩-١٩٦٠ (١١٨٩٩) يقابل ذلك (٥٧٤١) في عام ١٩٥٧-١٩٥٨ اي قبل الثورة، ومعنى ذلك ان الزيادة العددية خلال سنتي الثورة قد بلغت (٦١٥٨)، وان نسبة الزيادة ١٠٧%. وفي حفل تخرج اول دورة في جامعة بغداد، حضر عبدالكريم قاسم حفل التخرج وهو سبب رغبته للزواج من

ابنة اللواء الركن صالح زكي توفيق حيث كانت احدى الخريجات وكان هذا الضابط امرا لعبدالكريم قاسم.

انظر: كاظم حسوني، جامعة بغداد في يوبيلها الفضي، صحيفة الصباح، العدد ١٠٩٧، بغداد، ٢٠٠٧، ص ٨-٩.

انظر: جريدة المشرق، العدد ٨٦٧، ٩ كانون الثاني، ٢٠٠٧.

انظر: اللجنة العليا لاحتفالات ١٤ تموز ، ثورة ١٤ تموز في عامها الثاني، بغداد، ١٩٦٠، ص ٣٥٨.

(٢٥) الدكتور متي عقراوي، هو اول رئيس لجامعة بغداد عند تأسيسها عام ١٩٥٧، وهي اول جامعة في العراق الحديث، كان يهيمه ان يكون جميع الافراد حاملين العلم والاخلاص، وهذا ما جعله يشترط حتى على عامل الخدمة ان يكون حاملا على الشهادة الاعدادية، ليكون اداء اعمالهم يليق بالمكان الذين هم فيه. تقلب في المناصب التربوية ابتداء من التعليم الابتدائي حتى اصبح اول رئيس لجامعة بغداد، وهو مسيحي كردي من محافظة الموصل. بعد ان اعفي من رئاسة جامعة بغداد بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، كتب رسالة الى الدكتور عبدالجبار عبدالله جاء فيها ((انا مطمئن ان جامعة بغداد الان في ايد امينة تسهر عليها، لقد وجدت الحكومة الشخص المناسب والاحسن في العراق الذي يستطيع المضي بمشروع الجامعة على اسس علمية سليمة)) لذا يمكن ان نقول انها خطوة مباركة وصائبة التي قام بها عبدالكريم قاسم بتعيين الدكتور عبدالجبار عبدالله بمكانه المناسب.

انظر : ماهر موسى العبيدي، متي عقراوي مؤرخ ومربي، صحيفة الزمان، العدد ٢٦٤٤، بغداد، ٢٠٠٧.

انظر : ستار نوري العبيدي، السيرة العلمية والانسانية للعالم العراقي الدكتور
عبدالجبار عبدالله، دار المرتضى، ٢٠٠٧.
(٢٦) نوري عبدالحاميد العاني، ج ١، المصدر السابق، ص ٢١٨.
(٢٧) علي الساعدي، عبدالجبار عبدالله ، صحيفة البيئة، العدد ٣٣، بغداد، ٢٠٠٦،
ص ١١.

يقول حسن العلوي بهذا الشأن ((كان عهد عبدالكريم قاسم ملتزماً بتكافؤ
الفرص واحترام الكفاءات بغض النظر عن انتماءاتها الطائفية، ففي ذلك العهد
تولى رئاسة الجامعة عالم صابئي وتوزعت العمادات في الكليات على الاساتذة
القديرين دون عملية نبش في ملفاتهم المذهبية، ولم تظهر طيلة حكمه حالة مما
اصبح مألوفاً بعد مقتله من حالات السيادة العشائرية والعنصرية لقرية او ناحية
على مقدرات البلد وكانت شؤون ادارة موظفي الدولة تجري بوتائر متوازية خالية
من شوائب التكتلات المذهبية والعنصرية في اجهزة الدولة، ولم يكن لمسؤول فيها
ان يستجمع حوله عددا من ابناء العمومة والخؤولة الامر الذي منح فرصا واسعة
امام كثيرين، لكي يتقدموا خطوات الى الامام دون كارت العشيرة او المذهب))
ويضيف حسن العلوي في مصدر اخر قائلاً، انه عندما كان مدرسوننا يطالبون
بكتابة تقارير عن شخصات تاريخية او ادبية ، وكنا نحتاج الى مصادر لم تكن
متوفرة في قريتنا انذاك ، وكثيراً ما اسررت الى ام حامد (والدة الزعيم) رغبتني
باستعارة كتاب لهذا الغرض من خزانة عبدالكريم، فتصحبني لانتقي احد الكتب
وهي حافلة بكتب الجغرافية والتاريخ واللغة والادب مع مجموعة من الكتب
الاجنبية، وكنت كلما فتحت كتابا وجدت الخطوط بالقلم بين السطور فاريتها ذلك
كي لا تتهمني بالعبث فتولول قائلة (هذه عادة عبدالكريم).

- انظر : حسن العلوي، عبدالكريم قاسم رؤية بعد العشرين، لندن، ١٩٨٣، ص ٣٥.
- انظر : عقيل الناصري، المصدر السابق، ص ٨٦.
- (٢٨) ماهر موسى العبيدي، قبسات من حياة الدكتور عبدالجبار عبدالله، صحيفة الصباح، العدد ١١٠١، بغداد، ٢٠٠٧، ص ١٤.
- (٢٩) كاظم حسوني، المصدر السابق، ص ٨-٩.
- (٣٠) المندائي او المندائية هي احدى اللهجات الشرقية للغة الارامية ، ظهرت الى الوجود مع الظهور الاول للاراميين منذ حوالي ثلاثة الاف سنة ، وفي سوريا اقام الاراميون ممالك عديدة جاء ذكرها في العهد القديم، وتبنى الاشوريون اللغة الارامية لغة رسمية لامبراطوريتهم في بداية الالف الاول قبل الميلاد. وقد كانت اللغة الرسمية للعراق هي اللغة الارامية، ومازالت الذاكرة العراقية تحتفظ بالعشرات من المفردات والتعابير الارامية الى يومنا هذا مثل مسكوف-حريشي-اسليمة-بلابوش-نياحة-بزخ-انثر-طركاعة. وصيغ افعال مثل صعديت-اكلت-شربت-لعبت ومئات الكلمات غير ذلك.
- ومن المعلوم ان الصابئة المندائيين منتشرون بكثرة في العراق وخصوصاً في جنوب بابل ومملكتي ميشان وعيلام بكل حيوية الى ما بعد الفتح الاسلامي باكثر من ثلاثة قرون. وقد احصاهم المستشرق بيترمان في عام ١٨٤٠ فوجد انهم بحدود الخمسمائة عائلة في المنتفك والقرنة وجنوب العراق. وكانت اللغة المندائية وهي تعنى العرفانية لغة العلم والمعرفة ولغة التداول اليومي الى جنب اللهجات الاخرى مثل النبطية والبابلية والكلدانية القريبات جدا من المندائية الى ان اخذت بالضعف والانكماش التدريجي امام اللغة العربية التي هيمنت على العراق بعد الفتح الاسلامي العربي. ويذكر ان اللغة المندائية تحتوي على الكثير من المكونات

السومرية، ان هذه اللغة استمرت منذ حكم الملك البابلي نبوخذ نصر الى يومنا هذا هي فعلا مهددة بالانقراض، ولم تحض بالاهتمام الاعلامي باعتباره اللغة الوحيدة التي قدر لها البقاء بالرغم من الكوارث، فينبغي ان تتولاها المؤسسات العراقية الرسمية وغير الرسمية مثل وزارة الثقافة ووزارة التربية ووزارة التعليم العالي، ومخاطبة المنظمات التي تدافع عن الاقليات واللغات المهددة بالانقراض. ان من يستخدم المندائية كلغة تخاطب حاليا هم فقط مندائيو ايران، فقد دأب المندائيون في خوزستان (الاحواز) على الاستمرار بالتحدث بالمندائية فيما بينهم الى هذا اليوم، ويسمح لهم في ايران باقامة مند (معبد) صغير في الاحواز ومدرسة بسيطة لتعليم المندائية، ومدرسة بسيطة لتعليم اللغة المندائية للأطفال لكنهم مع الاسف لازالوا يعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية في الجمهورية الاسلامية، حيث لا يسمح لهم بتبوء اي منصب رفيع في الدولة. ويذكر الاستاذ انستاس الكرمللي ان كلمة اكو ماكو من الصابئة المندائية، وهناك الكثير من الكلمات المندائية الموجود في اللهجة العراقية مثل طب وتعني ادخل، وناطور تعني حارس ومي تعني ماء وغيرها.

انظر : صباح مال الله (رئيس تحرير مجلة المندائية)، اللغة المندائية نشأتها اهميتها تأثيرها كيفية الحفاظ عليها، مجلة المندائية، لندن.

انظر: جرجيس الهامس، الجذور اللغوية للارامية، مجلة الحوار المتمدن، العدد ١٧٥٧، بلا، ٢٠٠٦.

(٣١) ستار نوري العبيدي، المصدر السابق، ص ١٤ وما بعدها.

(٣٢) المصدر نفسه.

(٣٣) ستار نوري العبيدي، المصدر السابق، ص ١٦ وما بعدها.

(٣٤) المصدر نفسه.

(٣٥) المصدر نفسه.

(٣٦) ستارنوري العبيدي، المصدر السابق، ص ٣ وما بعدها.

(٣٧) يقال ((ان ما خفف عن غريته ان حكومة ثورة ١٧-٣٠ تموز بادرت تستدعيه لتتصفه، تتصف الرجل العالم، وكان سعيداً بتلك الدعوة، وبدأ يستعد لشد الرجال، رجال العودة الى الوطن، لكن الزمن لم يسعفه ان يرى ارض الوطن مرة اخرى، او يجلس تحت نبكة الحديقة ، فلقد عادت به الطائفة الى سماء الوطن وكان مطلقاً العينين ليحتضنه التراب العراقي)) وقد اوصى الدكتور عبدالجبار عبدالله ان يدفن في العراق، وقبره في مقبرة الطائفة المندائية في ابي غريب، ليشهد بان هذا الانسان عاش عراقيا ومات عراقيا وعلى حب الوطن العراق.

انظر : قحطان حبيب الملاك، ناس من بلدنا ، بغداد، ٢٠٠١ ، ص ٧٩-٨٥.

(٣٨) جريدة المشرق، العدد ٦١٧، بغداد، ٤ شباط ٢٠٠٦.

(٣٩) شاكر مصطفى سليم، من مذكرات قومي متأمر، بغداد، ١٩٥٩، ص ١٢-١٥.

(٤٠) قسم البحوث والدراسات، دليل الوزارات العراقية، ١٩٢٥-٢٠٠٣، بغداد، ٢٠٠٧، ص ٢١٦ وما بعدها.

(٤١) حسن لطيف الزبيدي، موسوعة الاحزاب العراقية، بير وت، ٢٠٠٧، ص ٤٥٣.

(٤٢) المصدر نفسه.

(٤٣) وثيقة غير منشورة، من رئاسة مجلس الخدمة العامة (مديرية التعيين) الى مديرية الامن العامة، الرقم ١٥٢، بغداد، ١٩٦٥/٧/٧.

**ادأب الشفخ والتلمفذ (المرفذ)
فف كئاب الحكم الرفاعفة للإمام الرفاعف**

ت٥٧٨هـ / ١١٨٢

أ.م.د. نوال ناظم محمود

جامعة بغداد

كلفة الاداب/قسم التاريخ

اداب الشيخ والتلميذ (المريد) في كتاب الحكم الرفاعية
للامام الرفاعي ت ١١٨٢/هـ

أ.م.د. نوال ناظم محمود

المقدمة :

وبعد الشيخ احمد بن علي الرفاعي (ت ١١٨٢/هـ) من ابرز واشهر المتصوفة في العصر العباسي الثاني حيث استمرت طريقته من ذلك الحين الى الوقت الحاضر . ولجله خصصت هذه الدراسة وعن كتابة (الحكم الرفاعية) .

وهو نصائح وتوجيهات الشيخ والاستاذ احمد الرفاعي الى الشيوخ والتلاميذ في مجالس وحلقات العلم والمعرفة من حيث آداب الشيخ في الحلقة وكيفية تعامله مع طلابه ، مع آداب الطالب في المجلس وحلقة الشيخ وتعامله مع شيخه . وتؤكد بأن الاستاذ هو العالم الكبير يحمل الكثير من العلوم والمعرفة ميزته عن الآخرين مما جعل الشيخ محط الانظار - طلاب العلم والحضور في حلقاته ومجلسه .

ويشارك الطالب والشيخ في ضرورة الاخلاص في طلب العلم والاخلاص في بذله واكد هذا الكتاب على الكثير من النصائح مهمه مستمراً الى وقتنا الحاضر ويمكن تطبيقها في المدارس والجامعات .

وسوف نتناول في البحث مباحث منها :

التصوف في العصر العباسي :

ان هذه النزعة جاءت من صميم الاسلام الحنيف حيث ان التعاليم جاءت تحت الناس على الاعتدال في امور الدنيا والحرص على العمل للاحرة . وقد سارت هذه

الامور حسب قواعد الدين اول الامر وسرعان ما تحول الزهد الى التصوف وذلك للفهم الخاطي، في الالتزام ببعض الامور الواردة في تعاليم الرسول (ﷺ) وسيرته .

وكان التصوف في اول امره يدور حول العكوف على العبادة يولد في النفس وتصديق القلوب بما اعلمه الحق من الغيوب^(١) . ومن يسلك هذا الطريق يمر في مقام الطالب ، ومقام السالك ، ومقام المريد^(٢) الكامل في اخلاصه^(٣) .

والتصوف ((علم تعرف به احوال تركية النفوس وتصفية الاخلاق وتطهير الظاهر والباطن لنيل السعادة الابدية))^(٤) ، اما ابن خلدون فعرفه قائلاً: "هو من العلوم الشرعية الحادثة في الملة واصله ان طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الامة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة مراجعة الحق والهداية واصلها العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف فلما فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده . وجنح الناس الى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة"^(٥) . ومن سمات التصوف الاخرى هي الاسناد :- وعلى حد علمهم انه يصل سلسلة شيوخهم بالنبي محمد (ﷺ) كما هو الشأن في الحديث وطبقات رجال الغيب ، كما يزعمون ان العالم يدوم بقائه بفضل تدخل طبقة من الاولياء والمستورين عددهم محدود وكلما قبض منهم واحد خلفه غيره^(٦) .

ورد لفظ الصوفي لقباً مفرداً لأول مرة في التاريخ في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي اذ لقب به جابر بن حيان^(٧) (ت ٢٠٠هـ / ٨١٦م) من اهل الكوفة له في الزهد مذهب خاص^(٨) .

كما يذكر البعض ان هذا اللفظ جاء من الصوف لان لباس الصوف كان يكثر عند الزهاد، والبعض يجعله نسبة الى الصفة في المسجد النبوي التي ينتسب اليها كثير

من الصحابة ، فيقال اهل الصفة وهم من زهاد المهاجرين فقراء غرباء كانوا سبعين ولا مكان لهم ولا مال ولا ولي ، يسكنون صفة المسجد وهو موضع مظلل في مسجد المدينة^(٩) .

ثم اصبح منذ القرن الثالث الهجري التاسع للميلاد متميزاً عن الفقه بكل عناصره ، واصبحت هذه ظاهرة اجتماعية موروثية منذ العهود السابقة وقد عظم الناس الزهاد والمتصوفة^(١٠) ونظروا اليهم نظرة ترفعهم فوق مستوى البشر ، وذلك لما اتصفوا فيه من صدق واخلاص في الدعوة الى الله . ولم يكن هؤلاء بمنزلة واحدة بل كانوا مختلفين باختلاف مقدرتهم على الوعظ وقدرتهم على التعبير والاقناع^(١١) .

ومن اسباب شيوع التصوف في المجتمع الاسلامي هو تشجيع الدولة للزهاد وشيوخ المتصوفة حيث اصبحوا يرتبون من قبلها ويكونون تحت اشرافها ومراقبتها. ويعدون الزهد والتصوف ركناً من اركان العبادة^(١٢) .

تعددت وتتنوع الطرق الصوفية في العالم الاسلامي باختلاف اسماء مؤسسيها، إذ اصبح لكل شيخ جماعة ينسبون اليه ويخضعون لنظام دقيق في السلوك الروحي ، ويحيون حياة جماعية في الزوايا^(١٣) او يجتمعون في المناسبات المعينة وقد ظهر الكثير من الصالحين والعارفين في البلاد الاسلامية^(١٤) ، ومن هؤلاء شيخنا وامامنا احمد الرفاعي الذي كان قدوة للكثير من المتصوفة . واما كتابه "" الحكم الرفاعية "" فيعتبر من الكتب التي تقدم النصيحة والارشاد الى الشيخ والطالب في حلقات العلم والمعرفة .

سار عليه الكثير من طلاب العلم والشيوخ في التعليم والتعلم . ويعتبر من الكتب المهمة التي تحتاج الى الدراسة ومعرفة مدى ما طبق من هذه النصائح في حلقات العلم والمعرفة .

ويعد الشيخ احمد بن علي الرفاعي (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢م) من ابرزهم واشهرهم ممن استمرت طريقته من ذلك الحين والى الوقت الحاضر ، ولأجله خصصت هذه الدراسة .

المبحث الأول

أولاً : اسمه:-

احمد بن السيد علي بن احمد بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاعه الرفاعي المغربي^(١٥) ثم البطائحي^(١٦).

ذكر عدد منهم المؤلفين ان نسبه يرجع الى الامام الكاظم موسى بن جعفر (عليه السلام) (ت ١٤٨هـ / ٧٦٥م) ، فهو (احمد الرفاعي بن علي بن يحيى بن ثابت بن حازم بن احمد بن علي بن رفاعه الحسن المكي بن المهدي بن ابي القاسم محمد بن الحسن بن الحسين بن احمد الاكبر بن موسى الثاني بن ابراهيم المرتضى بن الامام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر)^(١٧).

اما الفاروئي قال (لم اعلم للرفاعي نسباً صحيحاً الى علي بن ابي طالب (رض) ، ولا احد من ذريته الاطاييب^(١٨)) ، وانما وصل اليها ورواه الحفاظ هو(ابو العباس احمد بن ابي الحسن علي بن احمد بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاعه المغربي الاصل ثم البطائحي، الرفاعي نسبه الى جده الاعلى رفاعه)^(١٩). قدم والده ابو الحسن من بلاد المغرب الى العراق وسكن البطائح . وقال ابو الهدى الصيادي: "" ما رأينا ممن يملئ النسب للحسين ذكر ولداً اسمه محمد ابو القاسم "" ثم قال: "" ... لم يدع السيد الرفاعي هذا النسب وانما ادعاه اولاد اولاده ""^(٢٠) .

اما الالوسي فقد تتبع النسب الصيادي مؤكداً ان دعوى الانساب الى ابراهيم المرتضى بن موسى الكاظم (رض) لا اصل لها^(٢١) ولا يذكره الشعراي ولا السبكي لعدة اسباب:

١. لا يوجد ما يؤكد صحة هذا النسب.
 ٢. اذا كان مؤرخاً صوفياً كالشعراني يبدي الشك في نسبة الرفاعي الى اهل البيت مع تعظيمه له فلماذا يلام غيره على عدم اثباته لهذا النسب ما دام مشكوك به عند الصوفية قبل غيرهم.
 ٣. ما يذكره المؤرخ انما يجب ان يكون موثقاً به لا شك فيه ، مما يدل على اصالتهم ويوثقون مما يدونونه في كتبهم فهذا مما يبعث على الثقة بهم^(٢٢) .
والحقيقة انه من عائلة (بني رفاعه) سكنت في المغرب، جاءت خلال الفتوحات الى المغرب وسكنت بها وبعد ذلك رجع والد (احمد) الى العراق وسكن واسط^(٢٣) ، والظاهر من كثرة حبهم لهذا المتصوف الزاهد أرجعه الناس ومن حوله الى نسب الهاشمي المكي حيث اني لم اجد في كثير من المصادر عنه بأن له هذا النسب الا القليل وفي كتاب تلميذه (حالة اهل الحقيقة مع الله) ابو الفتح الواسطي^(٢٤) الشافعي (ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) والزركلي في كتابه الاعلام^(٢٥) .
- ثانياً : ولادته ونشأته:

ذكر الكثير من المؤرخين ان ولادة الامام الرفاعي في محرم سنة (٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م) في زمن الخليفة المستظهر بالله (٤٨٧ هـ - ٥١٢ هـ / ١٠٤٩ - ١١١٨ م) في البطائح بقرية يقال لها (حسن)^(٢٦). وذكر البعض انه ولد سنة (٥١٢ هـ / ١١٣٤ م) في عهد الخليفة (المسترشد بالله ٥١٢ هـ - ٥٢٩ هـ)^(٢٧) . والارجح انه ما ذكر في

اداب الشيخ والتلميذ (المريد) في كتاب الحكم الرفاعية للامام الرفاعي
ت ١١٨٢/هـ ٥٧٨.....

الكتب المعتمدة ان عمره عند وفاته ثمانية وسبعون عاماً^(٢٨). وهذا يدل على ان ولادته كانت في عام (٥٠٠/هـ ١١٠٦م).

اما نشأته فبعد وفاة والده (ت ٥١٩/هـ ١١٢٥م) كفله خاله الشيخ منصور البطائحي (ت ٥٤٠/هـ ١١٤٥م)^(٢٩) هو وافراد عائلته فرباهم واحسن تربيتهم جميعاً وافرد له داراً بجانب رواقه واصبح برعاية الله وخاله منذ صغره، وحفظ القرآن وهو صغيراً على يد والده قبل وفاته وكان قد برع في الحفظ والترتيل^(٣٠). وروي بأن خاله الشيخ منصور قد رأى في المنام من يبشره بأن الله سوف يعطي اخته ولداً وسوف يكون امام اهل الطوائف ومرجع اهل الله ودعا له دعاءً عظيماً^(٣١). وبالفعل سار الامام الرفاعي على البر والتقوى واعتصم بالحبل الاقوى وهجر الدنيا وتخلق باخلاق المصطفى (ﷺ)، وما انحرف عن سنته وسيرته فعلت منزلته وعظمت مرتبته ونفذت في بلاد الله كلمته^(٣٢).

ثالثاً : نسب والدته:

اما امه فهي السيدة فاطمة ام الفضل البخارية بنت الشيخ ابي سعيد يحيى البخاري الانصاري بن الشيخ موسى ابي سعيد بن الشيخ كامل بن الشيخ الكبير بن الامام الصوفي محمد بن ابي بكر الواسطي بن موسى بن محمد بن منصور ابن خالد بن زيد بن مَتِ ابي ايوب بن زيد الانصاري البخاري الصحابي الجليل^(٣٣).

رابعاً : زوجاته :

تزوج الشيخ احمد الرفاعي اولاً بالشيخة الصالحة العارفة خديجة بنت ابي بكر الواسطي البخاري خاله اخو الشيخ منصور، فولدت فاطمة ذات النور والسيدة ام المكارم زينب والدة الاقطاب (ت ٥٥٣/هـ ١١٥٨م) ثم توفيت ودفنت بمقبرة أم عبيدة وكانت صالحة وصابرة وحليمة وذات نسب^(٣٤). وبعد وفاتها تزوج بأختها رابعة كانت نقية القلب سليمة الصدر مهذبة اللسان . سماها السيد احمد الرفاعي ست الفقراء

اداب الشيخ والتلميذ (المريد) في كتاب الحكم الرفاعية للامام الرفاعي
ت ١١٨٢/هـ.....

(ت ١٢٣٣/هـ) فأنجبت له ولد اسمه صالح وتوفي في حياته ودفنت عند مقبرة زوجها وابيها^(٣٥).

خامساً : اولاده:

رزق الامام الرفاعي اولاداً منهم السيد صالح (ت ١١٧٤/هـ) درس العلوم على يد والده وكان حافظاً لكتاب الله فقيهاً حسن الخط صحيح الرواية ، وقد جلس على الكرسي في حياة والده ووعظ الناس. ويروي كان يقرأ كل ليلة سورتا يس وتبارك. وتوفي وعمره سبعة عشر عاماً^(٣٦). اما ابناؤه الاخرون قد توفوا وهم صغار (السيد ابو القاسم والسيد ابراهيم والسيد عبد المحسن). وبناته السيدة فاطمة ذات النور لقبها بهذا والدها (احمد الرفاعي) ، فهي اكبر من السيدة زينب وكانت عارفة في امور الدين. ولدين (ابراهيم الاعزب واحمد نجم الدين احمد الاخضر) وزوجها والدها من ابن اخته وابن ابن عمه السيد مهذب الدولة ابن سيف الدين عثمان. اعقب منها توفيت في سنة (١٢١٢/هـ) . واما السيدة زينب تبعت اباها في حفظ القرآن وتفقحت وسمعت الحديث من خالها ابي البدر الانصاري الواسطي ، وزوجها والدها من ابن عمته وابن عمه مهدي^(٣٧) الدولة عبد الرحيم الرفاعي (ت ١٢٠٧/هـ) توفيت دفنت بمقبرة والدها^(٣٨) ، وما عقب منها ذرية طيبة منهم شمس الدين محمد ، وقطب الدين احمد ، وابا الحسن علي وعز الدين احمد من الصياد واحمد ابا القاسم وابا الحسن والسيدة عائشة والسيدة فاطمة^(٣٩) وانتشرت ذريتهم في البلاد الاسلامية .

سادساً : صفاته:

كان الشيخ احمد الرفاعي غني النفس ، حسن المعاشرة، كثير الحلم ، كاتماً للسر، حافظاً للعهد، كثير الدعاء للمسلمين ، واتسم بالتواضع والاشفاق وكرم الاخلاق هيناً ليناً ، ويعفو عن من ظلمه ويحسن مجاورة من جاوره^(٤٠). ويطعم الجائع ويكسي

العيان ويعود المريض ، ويجالس الفقراء ويصبر على الاذى ويبذل المعروف، ويحث على فعل الخير ويرشد الى مكارم الاخلاق ويقبل عذر المعتذر له ، حزنه اكثر من فرحه ، يأخذ بيد العمي ويقودهم ، ويتردد في الليل الى ابواب المساكين ، ويحمل لهم الطعام ولا يعرفهم بنفسه^(٤١) . وكان لا يجمع بين لبس قميصين ، يأكل كل يومين او ثلاث اكله واحدة. وكان الخلفاء والامراء لا يحضر مجالس ويقول "" النظر الى وجوههم يقسي القلوب ""^(٤٢) .

وكان لا يملك في خزانه رواقه^(٤٣) ولا درهم واحد يتصدق بما يملكه على الضعفاء ، وكان يقول: "" لسان الورع يدعوا الى ترك الافات ولسان التعبد يدعوا الى دوام الاجتهاد "" ويقول ايضا: "" طريقي دين بلا بدعة وعمل بلا كسل ، ونية بلا فساد وصدق بلا كذب ... ""^(٤٤) وهذا الشيخ والمتصوف مناقبه كثيرة حيث قيل "" مناقبه اكثر من ان تحصى "" .

سابعاً : مرضه ووفاته :

تتفق الروايات التاريخية على ان الشيخ احمد الرفاعي اصيب بمرض الاسهال الشديد واستمرت معاناته اكثر من شهر وبالرغم من ذلك كان يقوم بتأدية فرائضه، قائلاً: "" عاهدت ربي ان لا اخرج من الدنيا وعليّ شيء من لحم الدنيا ""^(٤٥) ، وكانت وفاته يوم الخميس ٢٢ جمادي الاولى سنة ١١٨٢/هـ ١١٨٢م^(٤٦) .

ارجعت بعض الروايات ان سبب وفاته يعود الى ابيات انشدت بين يديه وعند سماعها مما ادى الى مرضه الذي مات فيه وقال المنشد :

اذا جن ليلي هام قلبي بذكركم

انوح كما نوح الحمام المطوق

وكان اخر كلامه في الدنيا "لا اله الا الله محمد رسول الله"^(٤٧) ، واوصى قبل وفاته ان يغسله الفقيه تقي الدين مكي الطستاني^(٤٨) وحضر معه الشيخ علي بن عثمان

اداب الشيخ والتلميذ (المريد) في كتاب الحكم الرفاعية للإمام الرفاعي
ت ١١٨٢/هـ ٥٧٨.....

(ت ١١٨٨/هـ ٥٨٤م) ، ويفيض عليه الماء ابراهيم الاعزب^(٤٩) (ت ٦٠٩/هـ ١٢١٢م)
ويحمله علي بن الطراي^(٥٠) خادمه وتوفي وله من العمر عشر السبعين^(٥١) ودفن في
مقبرة جده لأمه وقبره معروف ويزوره الناس الى الوقت الحاضر^(٥٢) .

المبحث الثاني

اولاً : مكانته العلمية :

أ- طلبه للعلم وتصدده للتدريس والافتاء :

طلب العلم وهو صغير فحفظ القرآن وعمره سبع سنوات على يد الشيخ عبد
السميع الحربوني^(٥٣) (ت ١١٥٦/هـ ٥٥١م).

ويتردد ايضاً الشيخ الرفاعي على حلقة خاله الشيخ منصور (ت ١١٤٥/هـ ٥٤٠م)
وتلقى بعض العلوم منه^(٥٤) . ويروى انه حفظ عن شيخه الحربوني كتاب التنبيه (فقه
شافعي) للإمام ابي اسحاق الشيرازي^(٥٥) (ت ١٠٨٣/هـ ٤٧٦م) عن ظهر قلب وشرحه
شرحاً ويقال ضاع في واقعة التتار (١٢٥٨/هـ ١٢٥٨م)^(٥٦) .

وعندما بلغ العشرين من عمره اجازه شيخه ابو الفضل علي الواسطي
(ت ١١٤٤/هـ ٥٣٩م) بجميع علوم الشريعة واللبسه خرقته ولقبه بابي العلمين (الظاهر
والباطن)^(٥٧) . وفي عمر ثمانية وعشرون عهد اليه خاله الشيخ منصور المشيخة
ومشيخة الاروقة والربط المنسوبة اليه وامره بالاقامة برواق جده لأمه الشيخ يحيى
البخاري في نفس العام الذي توفي فيه خاله^(٥٨) ، وهذا يدل على وجود اروقة كثيراً
ومنها رواق جده الذي كان يدرس فيه.

وبعد ان نال الامام الرفاعي الاجازة العلمية من شيخه علي الواسطي تصدر
للتدريس والافتاء فبدأ بتعليم الناس علوم القرآن وسنة المصطفى (ﷺ)^(٥٩) . ويجلس

لتدريس الفقه والحديث والتفسير والعقائد كل يوم صباحاً ومساءً عدا الاثنين والخميس بعد الظهر فإنه يجلس فيه للوعظ في الجامع ويلقي على الناس كلاماً يذهل القول ويدحض الالباب ويخفق القلوب^(٦٠) . وكان اذا صعد الكرسي ليحدث (يجري الحديث على قلبه ولسانه كالبحر المتدفق تقشعر له الجلود ، وتخشع له القلوب وتصدع له الصدور وتذرف له العيون ، فالأدباء تأخذ نصيبها من فصاحته والعلماء من معارفه والفلاسفة من تحقيقه وحكمه والاولياء من حقائقه وموابه)^(٦١)، وكان حلقات علمه يعظم ويحترم العلم والعلماء ويخدمهم بنفسه ويأمر بتعظيمهم ويقول (هؤلاء اركان الامة وقادتها)^(٦٢) .

ولما بلغ من العمر الخامسة والثلاثين عاماً كان عدد الحضور في حلقاته اكثر من مئة الف شخص منهم الامراء والعلماء والشيخ والعامة^(٦٣) قد يكون في ايام او اشهر . واما مجلسه في الوعظ وفيه عدد غفير من علماء العراق فبادروا بأسئلة في التفسير واخرون بالحديث وجماعة في الفقه وجماعة في الخلاف وجماعة من الاصول ، ويجيب على كل اسئلتهم من مختلف العلوم^(٦٤) . هذا يعني ان مجلسه يدرس فيه مختلف العلوم. ويؤكد لاصحابه وتلاميذه ضرورة الالتزام بالكتاب في كثير من كلامه وكان يرد على خصوم التصوف واتهامهم لاصحابه بالابتعاد عن نهج السنة النبوية قائلاً : (كل الاداب منحصرة في متابعة النبي ﷺ) قولاً وفعلاً وحالاً وخلقاً. فالصوفي ادابه تدل على مقامه زنوا اقواله وافعاله واخلاقه بميزان الشرع يعلم لديكم ثقل ميزانه وخفته)^(٦٥). وعده السبكي فقيهاً شافعيّاً وافسح له مكاناً في كتابه طبقات الشافعية ووضعه في الطبقة الخامسة ، ولهذا كان يحث اتباعه وتلاميذه على طلب العلم وانفاق الوقت في مدارسته والارتحال الى اهله ، مردداً لهم نصيحة شيخه له قائلاً: (من لا يعرف في العلم نقصانا فكل وقته نقصان)^(٦٦).

وكان الشيخ الرفاعي يعمل حتى يضمن لنفسه لقمة العيش التي تمكنه من عدم الاعتماد على احد وتحفظ كرامته من سؤال الناس. بالرغم من انه بوسعه ان يحيا في سعة ، وتكفي اشارة منه لاتباعه الذين كانوا يستجيبون لاي لمحة منه ولكنه متعففاً قدوة لاصحابه في العلم والعمل لا بالكلام والثرثرة يهتف باصحابه قائلاً : (طريق دين بلا بدعه). وقد بلغ من حرصه على احترام قيمة العمل ، انه كان يرفض ان يحضر مجالسة عاطل لا يعمل اشتراط على من يأتي دروسه ان يكون له صنعه او حرفه يقاتل منها فان عجز عن ذلك هياً له (الرفاعي) حرفة يعمل بها^(٦٧). مما يدل على انه كان يفضل الطالب المجتهد بعلمه وعلمه ويؤكد على ان الصوفي (له الحق بأن يواجه الظلم ويقوم المعوج وينصح الحكام ، لانه بطول المجاهدة والاقبال على الله انقطعت علائق قلبه بزينه الدنيا وضاعت هيبه ذوي الجاه والسلطان من نفسه واصبح له من الله عون ومدد ، وآمن ورجاء ، فلا تترتب عليه بعد ذلك ان وقف يصدع بالحق ولا يخشى في الله لومه لائم ويجهر به ، لا طمعاً في شهره ولا رغبة في دنيا ولا خوفاً من سلطان)^(٦٨) وهنا يبين بأن العالم وطالب العلم يجب ان يواجه الحكام الظالمين عند الحق .

ثانياً : نصائحه للحكام :

لم يكتفِ الشيخ الرفاعي بتركيزه من جلس عنده واقام في زاويته من التلاميذ بل وحتى الملوك والحكام المعاصرين له وركز جهده عنايته الى الامراء والسلاطين فدعاهم الى التوحيد والحق . وامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وكان هؤلاء السلاطين يحترمون ويحضررون مجالسه يلتزمون النصيحة والدعاء. ومثال على ذلك منه ارسل الخليفة^(٦٩) المستجد بالله العباسي ابو المظفر (٥٥٥-٥٦٦هـ/١١٦٠-١١٧٠م) الى الشيخ احمد الرفاعي كتاباً في عام (٥٥٧هـ/١١٦١م) مع حاجبه نصر بن عماد^(٧٠) وقال له : "ان السيد احمد يحيى اوتي الحكمة وزهد في

غير الله فاذهب اليه بكتاب مني فاني مستتصحه وانا اهل البيت اكرمنا الله بطاعته
وطاعة رسول الله (ﷺ). وسلم الحاجب الكتاب للامام وقرأه وقال : " ماذا اقول ان قلت
لا اقدر على النصيحة خفت الرياء وان قلت اقدر خفت الفضيحة ، ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم " ثم أمر بدواة وقرطاس وقال لخادمه علي الطري : اكتب فأنتك
مبارك ان شاء.

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد من التقدير (٧١) :

"يا امير المؤمنين ان انت نفذت احكام الله تعالى في نفسك نفذت احكام كتبه في
ملكك ، وان عظمت امر الله تعالى باتباع رسول عليه (ﷺ) ، عظم الله اعمالك وولاه
الامور من قبلك ثم زن يا أمير المؤمنين على ما يصل خويصه نفسك في هذه
الدنيا من الطعام تأكله وشراب تشربه ، ورداء ترتديه ، واجعل الشره على الدنيا بقدر
ذلك فان ردائك ماسترك وطعامك ما اشبعك ومالك مالك منه شيء ، وعليك بالعقل
والدين واياك واياك القسوة والغدر والضلالة، فهم اعداؤك ، واذا احببت فحكم الانصاف
في عملك واذا كرهت فاذكر الله ، والخطأ من العفو خير من الخطأ في العقوبة وساو
بين الناس باراً وفاجراً ومؤمناً وكافراً) وهذا مما يدل ان الخليفة العباسي كان يستشير
ويستمع الى الامام الرفاعي ، ويحترم نصائحه وينفذها (٧٢) ، وهو من خيرة الخلفاء
العباسيين حيث انعم على الناس خلال حكمه بالعدل والامن واسقطت لمكوس
والضرائب (٧٣) .

ثالثاً: شيوخه وتلاميذه :

أ- شيوخه: -

كان السيد احمد الرفاعي صاحب همه عظيمة في طلب كل شيء يؤدي الى رضا الله ، فدخل في طلب العلم لانه واجب على كل مسلم ومسلمه وطريق السلوك والتصوف هو الاسمى للبحث عن معرفة الله تعالى ولا يمكن معرفته الا عن طريق العلم. وكان حقاً عليه ان يلتزم العلم من والعلماء الصادقين منهم شيخه عبد السميع^(٧٤) الحبروني الواسطي في قرينته (قرية حسن) وتعلم على يديه قراءة القرآن وترتيله^(٧٥) . وذكر ان الرفاعي قال: " مررت وانا صغير بعبد الملك الحبروني فاوصاني وقال لي : يا احمد احفظ ... ثم رجعت وقلت اوصني ، قال ما اقبح الجهل بالالباء ، والعلة بالاطباء ، والجفا بالاحباء"^(٧٦) .

وعندما انتقل الى القرب من نهر دقلى في واسط بعد وفاة والده مع خاله وادخله الى الشيخ ابي الفضل علي بن محمد بن ابي بكر بن عبد الرحمن بن احمد بن علي بن الحسن القرشي الواسطي القاريء (ت ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م) في واسط ولقبه القوم بالقاب كثيرة منها المقرئ، الواسطي ، الشافعي ، شيخ الشيوخ ، الصالح ، الفقيه ، العابد^(٧٧) . وقد قال الشيخ الرفاعي في حقه: " شيخنا ابو الفضل جبل من جبال السنة، وامام من ائمة الهدى والمصطفى الاخيار ، كان يفتح مجلس الدرس للفقهاء كل يوم بعد صلاة الصبح والى طلاب الحديث بعد صلاة الضحى ويفتح دروس علم الكلام بعد صلاة الظهر ودرس التصوف بعد العصر ويعقد مجلس الذكر بعد العشاء كل ليلة ، كان حسن الاخلاق صبوراً حمولاً للاذى متمسك بسنة المصطفى (ﷺ) " ^(٧٨) من خلال النص تبين بأن استاذ الامام الرفاعي علومه متنوعة ، وبأوقات معينة . وكان يفتخر

لوجود الامام الرفاعي في حلقة حبه للعلم والمواظبة على الحضور قائلاً عنه : " كل طلاب العلم تتفاخر بأساتذتها اما انا فأفني اتفاخر بتلميذي الرفاعي " .^(٧٩)
ومن شيوخه خاله منصور البطائحي^(٨٠) ، (ت ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) وكان فقيهاً عالماً وقد امر قبل وفاته بتعيين الامام والشيخ احمد مكانه في المشيخة عبيدة^(٨١).

ب- تلاميذه :-

تخرج على يد الشيخ احمد الرفاعي عدد كبير من من التلاميذ وسلك على طريقته العديد من العلماء والفقهاء والمحدثين. فانتفع به خلق كثير وان خلفائه الذين اجازهم الشيخ الرفاعي منهجه الرياني بلغ عددهم ١٨٠ الف في حياته. روي انه عند رجوعه من الحج عام (٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) جلس في زاويته وحوله طلاب العلم وعددهم يبلغ و ١٠٠ الف واخذوا منه الاجازة ولبسوا خلعة الخلافة واجلسهم في الامكنة والبلدان للارشاد ولا تخلو مدينة في العراق خاصة من هؤلاء العلماء. وهذا يؤكد على عدد الحضور الكبير في مجالس الشيخ ، وبعضهم اخذ الاجازة منه^(٨٢) ، ولا نستطيع ذكرهم في هذا البحث لكثرتهم ولكن استطعنا ان نحصي بعض منهم وهم:

١. الشيخ القطب ارسلان الدمشقي ابو نجم بن يعقوب بن عبد الرحمن (ت ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م) وله حلقات ومجالس في داره بدمشق ويذكر بأنه خدم الامام الرفاعي ثلاثة عشر سنة ، وهو من المقربين الى الشيخ وله مصنفات ويقول على كرسيه بداره بدمشق خدمت سيدنا احمد الرفاعي ثلاثة عشر سنة. وهو من اقرب الخلفاء لديه وله مصنفات^(٨٣).

٢. الامام المعمر محمد بن عبد السميع الهاشمي الواسطي (ت ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م) . العادل المأمون المقرئ المحدث شيخ واسط المعدل وتنتهي نسبه الى الامير الشهير الهاشمي الكبير جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس (رض) من نجباء بني العباس . ومن افضل علماء عصره وهو من اصل العلم والدين ثقة، حسن الرواية،

اداب الشيخ والتلميذ (المريد) في كتاب الحكم الرفاعية للامام الرفاعي
ت ١١٨٢/هـ ٥٧٨.....

معروف بالصدق ، والزهد والعبادة. وهو الذي جمع كتاب (البرهان المؤيد) رواية من فم
شيخنا احمد الرفاعي^(٨٤).

٣. الشيخ العارف ابو المعالي بدر العاقولي (ت ١١٧٤/هـ ٥٧٠م) الواسطي الشافعي
الاحمدي تخرج بصحبة السيد الرفاعي واليه انتمى وبه عرف توفي قبل شيخه^(٨٥).

٤. الشيخ عثمان سيف الدين (ت ١١٨٢/هـ ٥٧٨م) الاخ الاصغر للامام الرفاعي اخذ
عن اخيه الكثير من العلوم. وقال عن البطائحيون كافة بعلو مقامه وانه من الاقطاب
توفى في حياة اخيه (الرفاعي) ودفن في مقابرهم^(٨٦).

٥. الشيخ حياة بن قيس الحرائي الانصاري : الشيخ الكبير الولي الشهير^(٨٧) ولد
(١١٠٧/هـ ٥٠١م) وتخرج على يده الكثير من التلاميذ . وكان له احوال وكرامات
واخلاص وتعفف وكانت الملوك تزوره ويتبركون بلفائه، وزاره السلطان نور الدين زنكي
(ت ٥٦٩/هـ ١١٧٤م) والسلطان صلاح الدين الايوبي (ت ٥٨٩/هـ ١١٩٣م) وقوى من
عزمه لقتال الفرنج^(٨٨). هذا يدل على ان السلاطين والملوك يتباركون بزيارة الشيوخ قبل
قتالهم^(٨٩) وتوفي عام (٥٨١/هـ ١١٤٧م) .

٦. الشيخ الحجة عمر ابو الفرج بن احمد عز الدين الفاروشي بن سابور بن علي بن
غنمة الواسطي (ت ١١٨٩/هـ ٥٨٥م) محدث حافظ وشيخ جليل ، وهو من كان مع
الشيخ احمد الرفاعي عندما حج الى مكة عام (٥٥٥/هـ ١١٦٠م) . وكان تلميذ وصاحب
الشيخ الرفاعي ويقال انه لبس خرقة الامام^(٩٠). اما ولده محي الدين
ابراهيم (٦٤٩/هـ ١٢٩٤م) قال: "كنت طفلاً في حياة الرفاعي وحضرت مجلسه مع
ابي. وانتهت اليه رئاسة العلم والطريق بواسط"^(٩١) .

٧. الشيخ الفقيه ابو شجاع الامام شهاب الدين احمد بن الحسين بن احمد الاصفهاني
صاحب المتن المشهور في الفقه الشافعي (ت ١١٩٦/هـ ٥٩٣م) ، درس ما يزيد على
اربعين سنة في مدارس البصرة وعمر ابو شجاع طويلاً وعلى الرغم من ذلك لم يختل

اداب الشيخ والتلميذ (المريد) في كتاب الحكم الرفاعية للامام الرفاعي
ت ١١٨٢/هـ ٥٧٨.....

له عضواً من اعضائه . واشتهر صيته وتولى القضاء سنة (٤٤٧/هـ ١٠٨٤م) فكان مثلاً للقاضي العادل مكه حتى توفي ودفن بمسجده الذي بناه في منزله عند باب جبريل (عليه السلام) ولم يصل إلينا من بين مؤلفاته الا كتابين هما: شرح الاقناع لقاضي قضاة ابي الحسن الماوردي (ت ٤٥٠/هـ ١٠٥٨م). غاية الاختصار المسمى (غاية التقريب) او متن ابي شجاع.^(٩٢)

٨. الشيخ ابو احمد جعفر بن عبد الله بن سيد يونه الخزاعي المغربي (ت ٥٩٤/هـ ١١٩٧م)، بقطبناية في شمال شرق اشبيله ، عمل مع النساجين في اوقات فراغه ويقضي الليل في طلب العلم.

٩. الشيخ عبد الملك بن حماد الموصلي المعروف بالغزلاني (ت ٦٠٥/هـ ١٢٠٨م) احد تلاميذ وخلفاء السيد احمد الرفاعي واجازه الشيخ الرفاعي بقراءة كتاب الجليل المعروف بين السادة الرفاعية بـ (السيف القاطع) وروى عنه هذا الكتاب الشيخ احمد الغزلاني (ت ٦٢٠/هـ ١٢٢٣م).^(٩٣)

١٠. الشيخ الكبير حسن القطناني المعروف بالشيخ حسن الراعي (ت ٦٠٦/هـ ١٢٠٩م) المغربي ، وهو من كبار العلماء المسلمين في القرن السادس الهجري. وكان يدرس في زاويته وله القاب هي حامي الحمى، الكبير، ودفن في بلدة قطنا بريف دمشق والنقى في البراري بالاقطاب الاربعة البدوي (ت ٦٧٥/هـ ١٢٧٥م)^(٩٤)، الكيلاني (ت ٥٦١/هـ ١١٦٥م)^(٩٥) ، واحمد الرفاعي ، وعدي الهكاري (ت ٥٥٧/هـ ١١٦١م)^(٩٦) وطريقهم الى الحج ومنحوه الاجازة في عام (٥٥٥/هـ ١١٦٠م) وحماله معه الى دمشق وسلمها الى مشايخ الجامع الاموي وهو من اقرب الخلفاء لدى الامام الرفاعي (اي تلميذه وخليفته بعده)^(٩٧)

١١. ابراهيم الاعزب الرفاعي (ت ٦٠٩/هـ ١٢١٢م) : وهو الامام الانجب ابو اسحق محي الدين السيد ابراهيم الاعزب بن السيد علي بن السيد عثمان بن السيد حسن ابن

السيد محمد عسله ، وله شعر صوفي حسن ، وجمع كتاب المعارف المحمدية في الوظائف الاحمدية وهو كتاب خاص عن حياة الشيخ احمد الرفاعي (خاله) ^(٩٨).

١٢. عبد المحسن الواسطي ابن شيوخه علي الواسطي (ت ٦٣٠/هـ ١٢٣٢م) ^(٩٩) الشيخ ابو الحسن علي كان محدثاً عالماً فقيهاً واعظاً يتلو كتاب الله ليلاً ونهاراً . وكان ذا جاه كبير وقدر رفيع وتوفي ودفن في مقبرة جده ^(١٠٠).

١٣. الامام الكبير ابو الفتح الواسطي (ت ٦٣٢/هـ ١٢٣٤م) تقي الدين ابو عبد الله بن محمد بن علي الواسطي نزيل الرحلة والحجر . وهو من اعظم تلامذه السيد احمد الرفاعي وانتمى اليه وبه عرف ، وهو الذي اشار اليه (اي الشيخ احمد) الاقامة بالإسكندرية وهو من أجل اصحابه ^(١٠١).

١٤. احمد البدوي، المعروف بالسطوحي اصله من بني بري قبيلة من عرب الشام وتعلم على مشايخ العراق ودرس على يد الشيخ احمد الرفاعي ولد (٥١٦/هـ ١١٢٢م) وتوفي (٦٧٥/هـ ١٢٧٦م) ^(١٠٢).

١٥. الفقيه بقية الصالحين ابو زكريا يحيى بن يوسف العسقلاني الحنبلي ويذكر انه مرض مرضاً شديداً ظن انه ميت لا محالة فقال له الشيخ ابراهيم الاعزب : (انت لن تموت في حيث المدة قد بقي من عمرك زمان طويل وعاش بعدها خمسين عاماً). وهذا مما يؤكد ملازمة طالب العلم والسير على نهج شيوخه . وكان يحضر مجالس الامام احمد ^(١٠٣).

١٦. يعقوب الكراز الواسطي ، وكان تلميذ وخادم الشيخ احمد الرفاعي وبالرغم من علمه وصلاحه قد حبس نفسه لخدمة الامام ^(١٠٤).

رابعاً: مشايخ رواق ام عبيدة :-

كان السادة الرفاعية بعد وفاة السيد الرفاعي يتوارثون المشيخة على الرواق في واسط وكانوا في خدمة الشريعة والقوم وخدمة الائمة والفقهاء والخلفاء والسلطين وبعد

اداب الشيخ والتلميذ (المريد) في كتاب الحكم الرفاعية للامام الرفاعي
ت٥٧٨هـ/١١٨٢.....

اجماع رأي الخلفاء العظام كان الوالي على واسط يرسل من قبل الخليفة بشرط كونه
تحت نظر شيخ الرواق ام عبيدة وقد لقب الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥هـ -
٦٢٢هـ/١١٧٩-١٢٢٥م) احد مشايخ رجال سيدنا احمد الرفاعي الامام علي بن عثمان
(ت٥٨٤هـ/١١٨٨م) ب (مذهب الدولة) ثم بعد وفاته لقبه اخاه الشيخ عبد الرحيم
(ت٦٠٤هـ/١٢٠٧م) ب (ممهد الدولة) ثم بعد وفاته لقد ولده الاعزب
(ت٦٠٩هـ/١٢١٢م) ب(نظام الدولة) (١٠٥).

١. مذهب الدولة علي بن عثمان (ت٥٨٤هـ/١١٨٨م) : كان ذا خلق عظيم
وكف كريم مراعيًا لاصحاب خاله ويكرمهم ويجلهم وكانت خلافته خمسة
سنين واشهر وتوفي في يوم الاربعاء قبل صلاة الظهر ودفن في قبة خاله
(الشيخ احمد الرفاعي) (١٠٦).

٢. السيد ممهد الدولة السيد عبد الرحيم بن عثمان (ت٦٠٤هـ/١٢٠٧م) : وجاء
بعد اخيه علي وكانت خلافته ٢٢ سنة ، وهو عالم الاولياء ثقة واصبح شيخ
الرواق.

٣. الغوث الاقرب ونظام الدولة ابراهيم الاعزب (ت٦٠٩هـ/١٢١٢م) (١٠٧) :
وهو السيد المقرب العالي محي الدين ابو اسحاق خلف بعد عمه وكان يقول
: انا يتيم الرواق وكان رجل علم ومن اعيان المشايخ صحب خاله والشيخ
احمد الرفاعي واخذ عنه الطريقة وتخرج على يد الكثير من المشايخ العراق
واصبح ملازمًا وصاحب للشيخ احمد الرفاعي ويخدمه (١٠٨).

وبعده كان القطب الرابع الاعظم شمس الدين محمد الرفاعي استلم سنة
(٦١٠هـ/١٢١٣م) والخامس القطب الاجل السيد ابو الحسن علي الرفاعي سنة

اداب الشيخ والتلميذ (المريد) في كتاب الحكم الرفاعية للامام الرفاعي
ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢.....

(١٢٣١هـ / ١٢٣١م) اما السادس فقطب الدوائر السيد نجم الدين احمد الرفاعي استلم
(١٢٤١هـ / ١٢٤١م).... واخرون^(١٠٩)

اما خلفائه في علمه وتصوفه ومن كانوا بصحبته منهم :

١. الشيخ مزيد الشيباني العسقلاني والد القطب سعد الدين الجبائي
(ت ٦١٢هـ / ١٢٢٤م) .

٢. الشيخ ارسلان الدمشقي : (ت ٥٤١هـ / ١١٤٦م) وكان اكثرهم خدمة
لشيخنا^(١١٠)

٣. حسن القطناني الراعي (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) : المغربي وهو من كبار العلماء
المسلمين في القرن السادس الهجري^(١١١).

خامساً : معارفه وعلومه :

كان الشيخ الرفاعي يعظم كتاب الله تعالى وكثير الادب مع من يقرأ القرآن
ويحترمه الواسطي انه كان ويروى انه : (اذا رأى قارئاً يقرأ القرآن لا يمر عليه حتى
يسكت او يبقئ واقفاً)^(١١٢)

ثاني عشر : علمه بالقرآن والتفسير :

الامام الرفاعي وصفه العلماء بأنه مقرئ ومفسر القرآن الكريم . وقد نهج منهج
من سبقه من علماء التفسير له الباع الطويل في فهم القرآن العظيم ومعانيه فقد اشار
الرفاعي لا يمكن فهم الحقيقة الا صاحب المعرفة الحقيقة بالله تعالى ومن لم يكن له
معرفة لا يفهم القرآن الا ما ظهر من لفظه^(١١٣) ، حيث يقول الله تعالى: ﴿يَعْمُونَ
ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غٰفِلُونَ﴾^(١١٤).

ثالث عشر : علمه بالحديث الشريف والفقه :

الرفاعي استوعب العلوم الدينية على يد شيخه ابي الفضل القارئ الواسطي (ت ٥٣٩هـ / ١١٤٤م) ومنها القرآن الكريم والحديث الشريف وقد اجازه في جميع علومه والبسه خرقة وعمره عشرون عاماً. (١١٥)

اما الحضور في مجالسه في قرية ام عبيدة بواسط برواقه تذكر المصادر بأنهم اكثر من مئة الف (١١٦) من العلماء والاحرار والشيخ والعامة فيسألوه في التفسير واخرون في الحديث وجماعة في الفقه وجماعة في الخلافة والاصول. (١١٧)

فلما بلغ عمره خمسة وثلاثين عاماً احصيت الرقاع التي وردت اليه من مريديه الذين دخلوا (الخلوة المحرمة) (١١٨) فزادت عن ٧٠٠٠٠٠٠ رقعة (١١٩) وبهذا فان طلابه لم ينقطعوا عنه وعن علمه واستشارته بالرغم ما وصلوا اليه من مكانة في العالم الاسلامي.

روى السيد احمد الرفاعي اربعين حديثاً عن شيوخه وشرح هذه الاحاديث شرحاً صوفياً يعالج بعض امراض نفوس التلاميذ والمريدين ، وعالج مواطن الضعف منها شرحاً يقوي عقيدة المريد ويحبب الناس الى الله ورسوله (ﷺ) واستدل ايضاً بشرحه بأحكام القرآن وآياته وروى عنه تلاميذه الكثير من هذه الاحاديث في مجالسهم (١٢٠).

رابع عشر : علمه بالعقيدة :

وهو علم شامل فهو يتناول الالهيات (١٢١) والنبؤات (١٢٢) والسمعيات (١٢٣) (١٢٤). وهو ذو باع طويل في ميدان العقيدة ومن يتصفح كتبه يجد واضحاً وقد املى كتاباً بالعقيدة بمجلس واحد فقال احد جلسائه : (يا سيدي لو كتبت لنا في العقيدة كتاباً نعول عليه ومثلنا يعول عليه مريدوك بعدك) فأجاب وامر بالدواة والقرطاس يوم الجمعة بعد الصلاة وقال (اكتبوا) (١٢٥) فكتبوا متناً مهماً في العقيدة وشاملاً بكل جوانبها.. عن

صفات الله تعالى فيقول (حياً عالماً قادراً سميعاً بصيراً متكلاً بالحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد عن الذات) (١٢٦) .

فمن كلامه في الالهيات قوله: (انه واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضد له، منفرد لا ند له ، وانه قديم لا اول له ازلي لا بداية له . مستمر الوجود ابدى لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دائم لم يزل ولا يزال موصوفاً بنعوت الجلال بجوهر محدد القدر) (١٢٧).

اما في النبوءات فقال: (بعث الله الرسل واطهار صدقهم بالمعجزات الظاهرات فبلغوا امره ونهيه ووعدده ووعدده . فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا وانه بعث النبي الامي القرشي محمداً (ﷺ) برسالته الى كافة العرب والعجم والجن والانس وجعله سيد البشر ومنع كمال الايمان وبشهادة التوحيد وهي قوله: لا اله الا الله مالم يقترن بها شهادة الرسول وهي قول محمد رسول الله ولزم الخلق بتصديقه في جميع ما اخبر عنه) (١٢٨).

وتكلم عن السمعيات عن اليوم الاخر فقد تحدث عن البرزخ وعذاب القبر ونعيمه والحساب والصراف والشفاعة اذ يقول: (واوله سؤال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان يقعدان العبد في قبره سوياً ذا روح وجسد فيسألونه عن التوحيد والرسالة يقولان من ربك وما دينك وعن نبيك وهما فتنة القبر . وسؤالهما اول فتنة بعد الموت وان يؤمن بعذاب القبر انه حق وعدل على الجسم والروح كما يشاء) (١٢٩).

وكذلك بين ان الصالحين مع علو منزلتهم وقربهم من ربهم لا يسقط عنهم شيء من الفرائض والواجبات من الصلاة والزكاة والحج والصوم وغير ذلك (١٣٠).

خامس عشر : إهتمامه بالشعر :

كان الامام الرفاعي يحب الشعر ويستشهد به ، وشعره فيه حكم ومواعظ وتذكير
واستغاثات بالله وبرسول الله . وعندما حج عام (٥٥٥هـ / ١١٦٠م) وزار قبر الرسول (ﷺ)
ووقف اتجاه الروضة الشريفة فسلم عليه وانشد الشعر:-

في حالة البعد روعي كنت ارسلها

تقبل الارض عني وهي نائبتني

فهذه دولة الاشباح قد حضرت

فأمدد يمينك كي تحضى بها شفتي^(١٣١)

وعن تلميذه يعقوب بن الكراز يقول "" ان الشيخ احمد كان لا يقوم لابناء
الدنيا""(الخلفاء والسلاطين والامراء) وكان يذكر هذا البيت :

اذا كان لي عند سليمان قبول

فلا ابالي ما يقول الفرد

ويقول :

مستخبر عن سر ليلي تركته

بعمياء من ليلي بغير يقين^(١٣٢)

وهذا مما يدل على ان الشيخ احمد الرفاعي لا يحب رجال الدولة والاغنياء ولا
يهتم بهم وانما يهتم بطلاب العلم والفقراء ويعتبر هو لهم عون بكل احتياجاتهم كقوله:

اذا رأيت الملوك الارض اجمعها

بلا جِراءٍ ولا شك ولا حين

وقيل هو فوقهم في الناس مرتبة

فقل نعم ملك في زي مسكين

ذات الذي حسنت في الناس سيرته

وصار يصلح الدنيا والدين^(١٣٣)

وتذكر المصادر التاريخية والدينية بأنه قبل وفاته كان يذكر بعض الابيات التي جعلته مريضاً وتوفي بعد ما ذكرها بفترة وهي حبه لله سبحانه وتعالى ولرغبته في لقائه ولقاء حبيبه المصطفى (ﷺ) ويقول :

اذا جن ليلى هام قلبي بذكركم

انوح كما نوح الحمام المطوق

وفوق سحاب يمطر الهم والاسى

وتحتي نار بالجوى تندفق

سلوا ام عمرو كيف بات اسيرها

يفك الاسارى دونها وهو واثق

فلا هو مقتول ففي القتل راحة

ولا هو ممنون عليه فيحترق^(١٣٤).

سادساً : مؤلفاته :

الامام الرفاعي كغيره من العلماء والصالحين قام بتأليف وشرح عدد كبير من المؤلفات العقلية والنقلية بمختلف العلوم من تفسير وفقه وحديث وعقائد وارشاد وغيرها. واخذ تلامذته كتبه بالدراسة والانتفاع الا ان معظم هذه الكتب فقدت اما بالتلف او بواقعة التتار وما زالت مثبته في كتب الفهارس والمطبوعات ومنها :

أ.	الصراط المستقيم في معاني بسم الله الرحمن الرحيم	مفقود الرفاعي ، مجلس الرفاعي ، ص ٣٠.
ب.	البرهان المؤيد: يعتبر من الكتب المهمة في بيان اصول ومزوع الطريقة الرفاعية وقد طبع عدة طبعات في المكتبات الاسلامية	مطبوع عدة طبعات وترجمة الى عدة لغات البرهان المؤيد طبعة نادرة وعلى

اداب الشيخ والتلميذ (المريد) في كتاب الحكم الرفاعية للامام الرفاعي
ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢.....

		هامش النظام الخاص لاهل الاختصاص مطبعة الظاهر ، القاهرة ، ١٣٢٢ هـ ، الرفاعي ، المجلس الرفاعية ، ص ٢٨-٢٩ .
ت.	تفسير سورة القدر	مفقود الرفاعي ، مجالس الرفاعية ، ص ٣٠ .
ث.	الرواية في حديث النبي (ﷺ)	مفقود الرفاعي ، مجالس الرفاعية ، ص ٣٠ .
ج.	الطريق الى الله ذكر الصياد في المعارف المحمدية ص ١٩	مفقود الرفاعي ، مجالس الرفاعية ، ص ٣٠ .
ح.	البهجة في الفقه	مفقود النداوي ، سيرة وترجمة الامام الرفاعي ، ص ١٨ .
خ.	حالة اهل الحقيقة مع الله تعالى : شرح فيه اربعين حديثاً رواها عن شيوخاً في العلم والطريقة وقد طبع عدة طباعات .	مطبوع تحقيق الاستاذ صلاح عزام واخرى اخراج احاديثها وعلق عليها محمد حسنين مصطفى موقع يوسف طبعة دار الشعب بالقاهرة ١٩٧٢ و طبعة دار جوامع الكلم بالقاهرة ١٩٩٢ م و طبعة الازهرية للتراث عام

اداب الشيخ والتلميذ (المريد) في كتاب الحكم الرفاعية للامام الرفاعي
ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢.....

٢٠٠٩ م		
د.	شرح التنبيه لابي اسحاق الشيرازي ٦ مجلدات يعتبر من اهم كتب الفقه الشافعي وضاع في هجوم النتر على بغداد ، ص ٥٨ .	مفقود الرفاعي ، مجالس الرفاعية
ذ.	المجالس الاحمدية: مازال مفقود الا اننا جمعنا بعض هذه المجالس في هذا الكتاب (المجالس الرفاعية للسيد محمود السامرائي)	مفقود مطبوعة الرشاد ، بغداد ، ١٩٧١ م .
ر.	كتاب الحكم :وهو رسالة مهمة جداً في اداب الشيخ والمريدين وقد حققها ونشرها الاستاذ محمود السامرائي وقد تمت ترجمتها الى اللغة الاردية في باكستان ١٩٩٤ واللغة التركية بتركيا	مطبوع مكتبة الشرق الجديد ، بغداد ، ١٩٩٠ . طبعة نادرة ، بيروت ، ١٣٠١ هـ حلب ، ١٤٠٧ هـ
ز.	النظام الخاص لاهل الاختصاص في التصوف والاخلاق تحقيق (السيد محمود السامرائي)	مطبوع وموقع الطريقة الرفاعية ، الرفاعي ، مجالس الرفاعية ، ص ٢٩ .
س.	وصايا السيد الصياد في كتابه المعارف ص ١٩ .	مطبوع طبعة دار الشعب ، ١٩٧٤ م للاستاذ صلاح عزام
ش.	الاحزاب الرفاعية في التصوف :جمعت فيه احزاب الرفاعي وعددها ٦٦٣ حزباً ولم نقف عليها ونشرت بأسم (السير والمساعي في احزاب أوراد السيد احمد الكبير الرفاعي) قام بجمعها السيد ابراهيم الراوي الرفاعي الحسيني في بغداد.	مفقود الرفاعي ، مجالس الرفاعية ، ص ٢٩ . ١ ط ، دار التقوى للطباعة والنشر ، ٢٠٠٨ .
ص.	الكليات الاحمدية المؤلفة من كلمات الامام الرفاعي جمعه والفه ابو الهدى الصيادي	مطبوعة الواعظ ، مصر ١٩٠٨ م (١٣٥)

وهذه المؤلفات مشهورة بين اتباعه وذكرت في كتب متعددة منها (الوظائف
المحمدية في المعارف الاحمدية) لمؤلفها احمد الصياد (ت٦٧٠هـ/١٢٧١م) نقل فيه
مقاطع كثيرة من كتاب البرهان المؤيد والحكم الرفاعية وامور العقيدة ورسالة صغيرة
سماها التحفة ، وجهها الى مريده ابراهيم الاعزب (ت٦٠٩هـ/١٢١٢م) وكتب فيه
مجالس يوم الاثنين (للامام احمد الرفاعي)^(١٣٦) الا ان معظم هذه المؤلفات فقدت ولم
يبق بين ايدينا الا قلة نادرة .

سابعاً : كرامات السيد الرفاعي :

الكرامة هي امر خارق للعادة وتظهر على يد المؤمن المستقيم بطاعة الله وبذلك
تختلف الكرامة عن السحر والشعوذة وتفترق عن كرامة المعجزة . وان المعجزة تكون
لاثبات النبوة ، اما الكرامة فتكون للدلالة على صدق اتباع صاحبها . وكل ما يصح ان
يكون معجزة لنبي تكون كرامة لولي الا ما كان من خصائص النبوة ويجب الايمان
بالاولياء وكرامتهم . والولي هو المؤمن المستقيم بطاعة الله وبأداء الواجبات واجتناب
المحرمات والاكتثار من النوافل العبادات لذلك لا ينكر الكرامات التي حصلت وتحصل
مع اولياء الله الصالحين الا الجاهل بأمر الدين^(١٣٧) لان الله سبحانه وتعالى خص في
كتابه الكريم على كرامات اوليائه المتقين قوله تعالى ﴿لِلّٰهِ وَلِیُّ الَّذِیْنَ ءَامَنُوْا
یُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمٰتِ اِلَی النُّوْرِ ۗ وَالَّذِیْنَ كَفَرُوْا اُولِیٰٓاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ
یُخْرِجُوْنَهُم مِّنَ النُّوْرِ اِلَی الظُّلُمٰتِ ۚ اُولٰٓئِکَ اَصْحٰبُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا
خٰلِدُوْنَ ﴿٥٧﴾ هذه معجزات الانبياء وكحاكية ابراهيم الخليل مع الطيور
الاربعة وكيف اتت اليه سعياً بعد ان قطعهن وفرق اجزاءهن على الجبال وكعصا

موسى التي انقلبت حيه تسعى ، كأبراء عيسى الاكمه والابرص والاعمى واحياء الموتى ، وذكر القرآن ايضاً كرامات لاولياء كحمل السيدة مريم بلا دنس وقصة اهل الكهف .
والرفاعي هو احد اولياء الله العارفين الذي انعم عليهم بكثير من الكرامات المشهورة والمدون كثير منها في الكتب ومن اشهر الكرامات التي تكرم الله بها عليه واعلاه شأناً هي :

تقبيله بيد الرسول محمد (ﷺ) وقد تلقى الناس خلفا عن سلف حتى بلغت مبلغ التواتر ولا عبره بعد ذلك بمن انكرها وردھا وقد ذكرھا واثبتھا كثير من العلماء في كتبهم منهم المحدث الواسطي والصيادي والحافظ السيوطي^(١٣٩) وغيرهم من العلماء والفقهاء ، ويذكر في سنة (٥٥٥هـ) دخل الامام الرفاعي المدينة يوم دخول القوافل اليها من الشام والعراق واليمن والمغرب وعندما اشرف على المدينة ترجل من مطيته ومشى حتى وصل الى الحرم الشريف ووقف باتجاه الحجرة العطرة النبوية (وقال السلام عليك : فقال رسول الله له: وعليك السلام ، واخرج يده (الرسول محمد (ﷺ)) وقبلها الامام الرفاعي) وكان بحضور عدد من اصحابه منهم الشيخ حياة بن قيس الحراني ، وعدي بن مسافر الهكاري، والشيخ عقيل المنبجي^(١٤٠)، ومن خلال هذا النص اصبحوا من الملازمين للشيخ الرفاعي.

ومن كراماته يقال كان يسمع صوته عند جلوسه للوعظ والارشاد البعيد منه في المجلس والقريب والاصم^(١٤١) ، وروي كذلك بأنه قد حضر بعض الاكابر معهم مريض ليدعوا له الشيخ (احمد الرفاعي) وبقي اياماً لم يكلمه (فقال يعقوب: اي سيدي ، ما تدعوا لهذا المريض ! فقال: اي يعقوب، وعزه العزيز ، الاحمد كل يوم عليه حاجه مقضية وما سألته منها حاجة واحدة ، فقلت اي سيدي ، فتكون واحدة لهذا المريض المسكين..... ثم تعافى المريض بعد يومين)^(١٤٢).

وهنا يمكن القول بأن الكثير قد ذكر عن الشيخ احمد الرفاعي وخاصة تلاميذه عن اعماله لا يقدر عليها البشر حيث انه يمكن اياما لا وبل شهراً بدون طعام ولا ماء ، وما ذكر عن كراماته انها مبالغ فيها ، ولكن من خلال المصادر عن حياة هذا العابد الزاهد لا اجد الا انه رجل فقير الى الله متواضع يطلب عطاءً واستغفاراً من الله وله اقوال وافعال كثيرة وتقل وتتفي كل ما ذكر عنه في مؤلفات تلاميذه واقوال اقاربه، ويروى انه كان طريقه الكتاب والسنة^(١٤٣) . وقوله بالتصوف "" ليس التصوف بالخرق وقال هذا قد مرق ان التصوف يا فتى حرق يمازجها قلق""^(١٤٤) هذا يؤكد ما ذكرناه انه رجل ذات علم ومعرفة واسعة بعيدة عن ما ذكره تلاميذه .

ويذكر انه عندما حضرته الوفاة قيل له "" ما تقول بعدك ، وايش توارثنا ؟ فقال: قل عني انه ما نام ليلة الا وعلى الخلق افضل منه واما ما اورثه فيا ولدي تشهد ان ليس مال حتى اورثكم ؟ انما اورثكم قلوب الخلق ""^(١٤٥) . وبهذا فان الشيخ الرفاعي يلزم . اتباعه ومريديه بالالتزام بالكتاب والسنة وموافقة السلف على حالهم ولباس ثوب التعرية من الدنيا والنفس وتحمل البلاء .

وتشير بعض من المصادر بان اتباعه اشتهروا بالقيام بأفعال عجيبة كاللعب بالثعابين وركوب الاسود، والدخول في النيران المشتعلة دون ان تحرقهم او تؤثر فيهم وغيرها^(١٤٦) ، فهذه لم تكن معروفة عن الشيخ لكنها استحدثت بعد وفاته ، وقد عرف عن الشيخ بحنانه الشديد على الانسان والحيوان^(١٤٧) .

ثامناً : ثناء العلماء عليه :

لقد اثنى على الامام الرفاعي الكثير من العلماء والفقهاء والمحدثين وافردت المصنفات في ذكر وهذا الامام علي بن الحسن الواسطي المتوفي سنة (٥٣٩هـ/١١٤٤م) حيث قال فيه : (كان السيد احمد الرفاعي سيد اهل الحقيقة والشرعية في عصره وامام الوقت ، انتهت اليه مكارم الاخلاق)^(١٤٨) .

شيخه منصور البطائحي (خاله) (ت ٥٤٠/هـ ١١٤٥م) فقد قال بحقه (وزنته
بجميع اصحابي وبى ايضاً فرجنا جميعاً) (١٤٩).

وذكره صاحبه وطالبه الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١/هـ ١١٦٥م) (انه
رجل لا يعرف ولا يجد ولا يصل الى مرتبته احد...) (١٥٠) [الشيخ ابو شجاع (١٥١) محمد
بن منبج بن عبد الله (ت ٥٨١/هـ ١١٨٥م) قائلاً: (كان السيد احمد الرفاعي علماً شامخاً
وجيلاً راسخاً وعالماً جليلاً، ومحدثاً ومفتياً ومفسراً ذا روايات عاليات واجازات رفيعات
وقارئاً مجوداً حافظاً مجيداً حجة متمكناً من الدين] (١٥٢). (ابن خلكان
(ت ٦٨١/هـ ١١٦٥م) وصفه (كان رجلاً صالحاً فقيها شافعي المذهب) (١٥٣)
ووصفه ابن خلكان صاحب كتاب وفيات الاعيان .

واشار ابن الاثير (ت ٦٣٠/هـ ١٢٣٢م) في كتابه الكامل قال : (وكان صالحاً
ذا قبول عظيم عند الناس وعنده من التلاميذ ما لا يحصى) (١٥٤).

والصفيدي (ت ٧٦٤/هـ ١٣٦٢م) ذكره بانه (الامام القدوة العابد الزاهد شيخ
العارفين) (١٥٥).

وابن قاضي شعبة في كتابه (ت ٨٥١/هـ ١٤٤٧م) طبقات الشافعية قال (الشيخ
الزاهد الكبير احد اولياء العارفين والسادات المثرمين اهل الكرامات) (١٥٦).

والشيخ عبد الوهاب الشعراني (ت ٩٧٣/هـ ١٥٦٥م) وصفه (هو الغوث الاكبر
والقطب الاشهر احد اركان الطريق وائمة العارفين الذين اجتمعت الامة على امامتهم
واعتقادهم) (١٥٧).

واخيراً ما ذكر ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩/هـ ١٦٧٨م) في كتابه شذرات
الذهب (الشيخ الزاهد القدوة والكبير) (١٥٨) .

وقال النبهاني (ت ١٣٠٥/هـ ١٨٨٧م) عنه في كتابه جامع كرامات الاولياء
(ابي السراج الوفاء وتاج العارفين....) (١٥٩) ومن خلال ما ذكر عنه من اقوال العلماء

المبحث الثالث

أداب الشيخ والطالب في كتاب الحكم الرفاعية :

للشيخ والمريد مكانه رفيعة في الدولة العربية الاسلامية وحسب المعلم شرفاً وان
النبي (ﷺ) وصف نفسه بالمعلم حيث قال: " ان الله لم يبعثني مصنفاً ولكن بعثني
معلماً وميسراً " (١٦٠). وبهذا فان الشيخ قد وصف بتلك الاوصاف فهو ميسر لا مضيق
ولا معنفاً ، ولا متعنت. وللعلم والعالم والتعليم والتعلم موضع فريد ومكان يوشك ان لا
يشبهه شيء في الحياة العلمية الا مكارم الاخلاق التي بعث من اجلها الرسول (ﷺ)
ونعته الله تعالى بالخلق العظيم في قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (١٦١).
ويتبع تكريم الشيخ في تاريخ الامة من مكانه (العلم) و (العقل) في القرآن الكريم،
والسنة النبوية ، وألادب الحافل بالطرائف البيان وبدائع الاخبار في فضل العلماء .

وما جاء عن ابي الاسود الدؤلي ظالم بن عمرو التابعي (ت ٦٩هـ/ ٦٨٨م) (١٦٢)
قال :

ما الفخر الا لاهل العلم انهمو

على الهدى لمن استهدى ادلاء

وقدر كل امرئ ما كان يحسنه

والجاهلون لاهل العلم اعداء^(١٦٣)

فالعلم والتعليم والتدريس رباط روحاني محكم وثيق ، يمثلته حديث "" تواضعوا لمن تتعلمون منه ""^(١٦٤).

وقد ذكر الرفاعي في كتابه الحكم من الكثير اداب الطالب مع الشيخ والشيخ مع المتعلمين والطلاب وهي التي تحدد علاقتهما مع بعضهم . ومما يدل على قيمة الشيخ الكبيرة وهو الاب الحقيقي والوالد الروحاني، والكثير من هذه الاداب في هذا الكتاب . وتوضح منزلة الشيخ ومكانته واهميته.

والامانة توجب علي ان ابين ان هذه الصورة الباهرة التي رسمت في نصفين من خلال في كتابه (الحكم). وبالرغم من انه كتاب صغير في الحجم لكنه نفيس مليء بالانوار الربانية التي تتم عما وصل اليه هذا الامام الجليل من مقام رفيع في الطاعة والتقوى خلد ذكره بين الناس وهي نصائح مستمرة الى وقتنا الحاضر يجب تطبيقها في المدارس والمعاهد والجامعات .

وذكر الامام الرفاعي في كتابه الحكم الرفاعية عن اداب الشيخ والعالم والفقير في الحلقات والمجالس العلمية مايلي :

١- ورد في كتابه قول له : "" العقل كنز الفوائد وكيمياء السعادة ""^(١٦٥) والعقل في غور الحكم ودور الكلم زين وقرية وشفاء وفضيلة وصديق وحسام قاطع وسلاح هو اشرف ميزه واحسن حلية ، واجمل زينة وافضل النعم للشيخ والعالم عاقلاً متزناً متواضعاً . والعلم والحلم والصمت من علامات العالم . كما قال شيخنا الشافعي (٢٠٤هـ / ٨١٩ م)^(١٦٦) رحمه الله (من اراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن اراد الآخرة فعليه بالعلم)^(١٦٧).

٢- اشار في كتابه بقوله : (العلم شرف في الدنيا وعز في الآخرة)^(١٦٨) فالعلم الذي يعلمه الانسان وينشره في حياته هو ما يلحقه من بعد موته من عمله

وحسناته ولا خير في عبادة لا علم فيها ، وافضل الناس العالم وقد اقتدى
شيخنا بالرسول (ﷺ) واصحابه والتابعين وشيوخ العلم فقد ذكر عن الحسن
البصري (ت ١١٠ هـ / ٧٢٨ م) ^(١٦٩) قال : (لان اتعلم بابا في العلم فاعلمه
مسلماً احب الي من ان تكون لي الدنيا كلها في سبيل الله) ^(١٧٠) .

٣- وان يكون الشيخ عاملاً بعلمه وان يصدق في قوله فعله فان العلم مقرون الى
العمل والشيخ اذا لم يعمل زالت موعظته عن القلوب قائلاً: (.. الشيخ ظاهره
الشرع وبطانه الشرع) ^(١٧١) . وعن الامام علي (رضي الله عنه) قال لكميل بن
زياد النخعي ^(١٧٢) (.. العلم دين يدان به، به يكسب الانسان الطاعة فيه حياته
وجميل الا حدوثه بعد وفاته...) ^(١٧٣) . وهكذا فأن العلم لا كنز انفع منه ولا
عز اشرف منه ولا دليل انجح منه . ^(١٧٤)

٤- ومن نصائحه للشيخ والعالم ان (كل حقيقة خالفت الشريعة فهي زندقة) ^(١٧٥)
وهنا يريد القول عالمنا وشيخنا اظهار الحق بحسب الطاقة من غير مجاملة ،
فاذا رأى من احد ميلاً عن الحق او تقصيراً وعضله باللفظ ثم بالعنف فأن لم
يقبل هجره فأن لم ينجح رده الى الحق بمراتب الامر بالمعروف . ^(١٧٦)

٥- وورد ايضاً في كتابه ان (غاية المعرفة بالله الايقان بوجوده تعالى بلا كيف ولا
مكان) ^(١٧٧) . ويقصد به ان ينتفع بما تعلم ، ويعلم ما ينفع ، وان يعوذ بالله من
ان يضل او يضل او يزل او يزل او يظلم او يظلم او يجهل او يجهل عليه ،
وبيلغ الاحكام التي أوتمن عليها وان يقصد اظهار الصواب ، والرجوع الى
الحق ^(١٧٨) الشيخ في طلبه للعلم لوجه الله تعالى كقوله تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا

لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ
وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥٦﴾ ^(١٧٩)

٦- وعلى الشيخ ان لا يمتنع من تعليم احد لكونه غير صحيح النية فأن الامتناع من تعليمه يؤدي الى تفويت كثير من العلم ، ثم ان العلم ما يزال بالمتعلم حتى يريد به الله وما عنده والا فأن الحكمة لا يحدث بها الجهال فتظلم^(١٨٠) .بقوله (رب علم ثمرته الجهل ، ورب جهل ثمرته علم)^(١٨١) . وقد اخذ الله عهداً على العلماء ببذل العلم، وزكاة العلم ان يُعلم وان لا يمنع اهله^(١٨٢) . وان لا يمتنع من تعليم احد لكونه غير صحيح فانه يرجى له حسن النية ، وربما عسر عن كثير من المبتدئين بالاشتغال تصحيح النية لضعف نفوسهم وقلة انسهم بموجبات تصحيح النية ، فالامتناع عن تعليمهم يؤدي الى تفويت كثير من العلم^(١٨٣) .

٧- ويقول شيخنا ان العالم والشيخ عليه ان يصون العلم وينزهه عن الطمع وان يعظمه في النفوس وان لا يذله ولا يبذله لغير اهله ، وان لا يدنس محياه بالاطماع والاغراض^(١٨٤) كقوله (كيف يصبح لك عز العلم وانت كسوت علمك ثوب الذل)^(١٨٥) . وهذا يعني ترده على ابواب الاغنياء والحكام ونهله من الدنيا الفانية، ويجب ان لا يطلب على افادة العلم اجراً ولا يقصد به جزاء ولا شكر بل يعلم لوجه الله تعالى^(١٨٦) . بل يصون العلم عن ذلك كما صانه السلف.

٨- وكتب الشيخ الرفاعي لصاحبه بقوله (... العلم مارفعك عن رتبة الجهل وابعذك عن منزلة العزة وسلك بك اولى العزم...)^(١٨٧) . ويعني بأنه ان يكون كامل الاهلية ونظير استحقاقه لان يكون شيخاً وان العلم والحكم والصمت من علامات الشيخ^(١٨٨) ، والحكمة تعمر بالتواضع لا بالتكبر .

ونصح شيخنا الرفاعي صاحبه بقوله : (.. تخلق بخلق نبيك ، كن لين العريكة ، حسن الخلق عظيم الحلم ، وكثير العفو ، وصادق الحديث ، رقيق القلب...)^(١٨٩) . وهنا يقول له ان لا يتعاضم على المتعلمين بل يلين لهم ويتواضع

ويخفض صاحبه فان اعظم خير من المعنف وان يكون حسن الخلق والتلطف والشفقة والبشاشة . وقال الرسول (ﷺ) عن الشفقة للمتعلمين (انما انا لكم مثل الوالد لولده اعلمكم) (١٩٠).

٩- اما مجلسه اي مجلس الشيخ كما ذكره الامام الرفاعي (... ليكن مجلسك مجلس حكم وعلم ، وتقوى وحياء وامان ...) (١٩١) . وهكذا يكون الشيخ مجلسه لتعليم العلم ونشره ، وبث الفوائد ، وتبليغ الاحكام التي اوّتمن عليها وأمر ببيانها. (١٩٢)

ويجلس بسكينه ووقار وتواضع وخشوع مع ان يكون سمحاً ببذل العلم، سهلاً طلبته بالقائه ،وان لا يدخر عن طلبه شيئاً من العلم يحتاجون اليه ويسألون عنه (١٩٣).

01- وذكر الرفاعي ان الشيخ لا يتعاضم على المتعلمين بل يلين لهم ويتواضع ، فان المعلم خير من المعنف كقول الله تعالى (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) (١٩٤). ويدعوهم الى الاقتصار عن الميسور وقدر الكفاية من الدنيا والقناعة عما يشغل القلب من التعلق بها ، وتفرق لهم بسببها كقوله (التواضع يورث المحبة والقناعة تورث الراحة) (١٩٥). وقال تعالى في كتابه العزيز ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١٩٦).

11- ومن نصائح الشيخ الرفاعي لتلميذه وصاحبه في ضرورة الاخلاص في طلب العلم والاخلاص في بذله وان لا يبتغي بطلب العلم مجارة العلماء ومجارة السفهاء ولا حب المال والشرف والجاه كقوله (... اي اخي . اخذتني سكرة التعليم . الا اني جريت الزمان واهله . وعاركت النفس وحزمت الشرع. وانتفعت بصحبة اهل الصفا...) (١٩٧).

21- ويكون مجتهداً بالعلم بقراءة ومطالعة ومذاكرة وتصنيفاً ، ولا يتكبر او يستكف من التعلم من دونه في السن او الشهرة او دين او علم بل يحرص على الفائدة مما كانت عنده ولا يستحي من السؤال كما لم يعلم وقال مجاهد^(١٩٨) (لا يتعلم العلم مستح ولا مستكبر)^(١٩٩). وقال الرسول (ﷺ) في مصاحبة العلماء والفقهاء (رب حامل فقه الى من هو افقه منه)^(٢٠٠).

١٣- تلقتي معظم الطرق الصوفية في نقاط مشتركة يجب ان تتوفر في الشيخ وبشكل يسهل وصول المريد السالك الى الحق وقد رسم الرفاعي صورة مشرفة لما ينبغي ان يكون عليه حال الشيخ والصفات التي يتحلى بها والواجبات الملقات على عاتقه ليكون جديراً بحمل اعباء هذه المسؤولية . ومنها انه (اذا نصحك افهمك ، واذا قادك ذلك ، واذا اخذك نهض بك)^(٢٠١). وان (الشيخ من يلزمك الكتب والسنة ويبعدك عن المحدثه والبدعة)^(٢٠٢) . والشيخ لدى الرفاعي (ظاهرة الشرع وباطنه الشرع)^(٢٠٣) ، وعليه مسؤولية كبرى ان يكون مع طلابه كألاب مع ابنه . وينبغي عليه ان يرغبه في العلم ويذكره بفضائله وفضائل العلماء وانهم ورثة الانبياء ولا رتبة في الوجود اعلى من هذه^(٢٠٤).

ثانياً : اداب الطالب :-

لقد وضع الرفاعي في كتابه (الحكم) نظاماً متكامللاً للحياة التي يمارسها طالب العلم في ظل الطريقة الرفاعية ، ووضع القواعد الكفيلة بتنظيم حياة طلاب العلم مع اخوانهم وكذلك علاقتهم مع شيخهم وواجباتهم اتجاهه، ويذكر الرفاعي لطالب العلم ان لا يخطو اي خطوة ما لم تكن مفيدة بالشرع ، فيقول في ذلك (من لم يزن اقواله وافعاله واحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره لم يثبت ديوان الرجال)^(٢٠٥).

ويؤكد الامام الرفاعي في نصائحه لطالب العلم بالاخلاص فانه نهج مسلك العارفين ، وعليك بقلة العجلة ، وقلة الكلام ولينه ، وعليك بالورع فهو سيد الاعمال وعليك بالصدق في كل مال ، وكثرة التواضع ، وكثرة العبادة وكثرة الحزن ورقة القلب والجهد بخدمة الفقراء^(٢٠٦). وهذا مما يؤكد عليه الكثير من كتب واقوال الشيوخ والعلماء والفقهاء وتلامذته بعده.

اما اداب المريد مع شيخه فقد ورد الكثير من النصائح لعالمنا وشيخنا المريد ومنها :

١- يوصي الطالب بالرفق بنفسه اذا سلك في التحصيل وطلب العلم . ويشير على الطلبة بترك العلم الذي يغلب على ظنه انهم لا يفلحون فيه ، وان يكون له من الخشية ما يحول بينه وبين المعصية كقوله (العارف من كان على جانب كبير من سلوك طريق الحق مع المواظبة والاستقامة عليه ... لان ليس كمثله شيء يعلم ذلك علما بقينا ليخرج من باب العلم الظني ...) ^(٢٠٧).

٢- كما ذكر في وصاياه (لا تجعل رواق شيخك حرماً....) ^(٢٠٨). وقال الشافعي (ت ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م) في ذلك (لا يطلب احد هذا العلم بالملك وعز النفس فيفلح ، ولكن من طلبه بذل النفس وضيق العيش وخدمة العلماء) ^(٢٠٩). وهنا يذكر الشيخ الرفاعي ان على الطالب لا يعتمد على شيخ واحد وانما يأخذ العلم من عدة شيوخ وان يوسع على الطالب طريق التعلم وان لا يقبح العلوم الاخرى التي لم يختص هو نفسه بها . وان يرشده الى من هو اعلم ما فأن ذلك اتم دليل على اكمال الشيخ .

٣- وينبغي ان يكون حريصاً على التعلم مواظباً عليه في جميع اوقاته ليلاً ونهاراً حضراً وسفراً ولا يذهب اوقاته في غير العلم^(٢١٠). كقول الخطيب البغدادي (ت

٤٦٣هـ/١٠٧١م) اجود اوقات الحفظ الاسحار ثم نصف النهار ثم الغداة وحفظ الليل انفع من حفظ النهار.. (٢١١).

٤- وذكر الرفاعي بقوله (من ادرع بدرع الصبر ، سلم من سهام العجلة) (٢١٢) .
على طالب العلم ان يكون صابراً ومتحملاً المشاق لاجل الحصول على العلوم والمعرفة، وان لا يكون متسرعاً ما اخذه من شيخه واعتبر انه قد نال العلم كاملاً . وان يصبر على شدة شيخه فانما يريد به الخير من حيث لا يدري .
والحذر من العجلة في التحصيل هو الانتظام في التدرج في طلب العلم فيبدأ بصغار المعلم قبل كباره . ولما ينتقل من متن في فن من العنوان الى متن اعلى منه حتى يتقن الاول ويضبطه (٢١٣).

٥- وان يكون طالب العلم مواصلاً في طلبه بجعل للعلم اعز اوقاته واحلاها ولا يجعل للعلم الاوقات التي كل فيها ذهنه وضعف فيها فهمه بجعلها للعلم وللدرس ، اذن العلم تغطيه من وقتك اعز الاوقات التي فيها صفاء الذهن وقوة الذهن .وان يكون شغفاً بالعلم ليلاً ونهاراً فيفضي بعض وقته في القراءة وحضور المجالس العلمية ويمضي ليله في طلب العلم، اذن يجب على طالب العلم ان يكون من خصاله ملازماً للعلم ويعطي العلم كل الوقت او جله في فترة شبابه كقول الرفاعي : "" الوقت سيف يقطع من قطعه ، علامة العاقل الصبر عند المحنة "" (٢١٤).

٦- اما قوله ""... الشيخ اذا نصحك افهمك واذا قادك ذلك واذا اخذك نهض بك.."" (٢١٥) ، وذكر هنا شيخنا العالم بأن على الشيخ ان يشجع طلاب العلم على الاشتغال والمذاكرة في كل وقت ، ويطالبهم باعادة محفوظاتهم ويسألهم عما ذكره لهم من علوم ومعرفة ، وان يثني على من فهمه وشكره ، ومن لم يفهمه يعنفه ومن ثم يتلطف به اعادة عليه مرة اخرى. وذكر عن الامام ابي حنيفة

(ت ١٥٠هـ/٧٦٧م) بأنه قال "... رأيت ابا حنيفة بين يدي مالك كالصبي بين يدي ابيه..."^(٢١٦). وقال سعيد بن جبير^(٢١٧) (ت ٩٢هـ/٧١٠م) "... لا يزال الرجل عالماً ما تعلم فاذا ترك التعلم وظن انه قد استغنى واكتفى بما عنده فهو جهل ما يكون..."^(٢١٨). اما الشافعي فقال "... ما ناظرت احداً الا على النصيحة..."^(٢١٩) والنصيحة تكون ليس فقط من الشيخ قد تكون من طلاب العلم البارزين ويذكر الغزالي (ت ٥٠٥هـ/١١١١م) في كتابه احياء علوم الدين ان يحيى بن يزيد النوفلي^(٢٢٠) كتب الى مالك بن انس (ت ١٧٩هـ/٧٩٥م) :

"... بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسوله محمد اما بعد فقد بلغني انك تلبس الدقاق وتأكل الرقاق وتجلس على الوطيء وتجعل على بابك حاجباً وقد جلست مجلس علم ... فكتب اليه مالك "... بسم الله الرحمن الرحيم وصل الله على سيدنا محمد اما بعد فقد وصل كتابك فوق مني موقع النصيحة والشفقة والادب اقنعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيراً..."^(٢٢١). وعلى الطالب ان يسمع النصيحة من شيخه في العلم ويذكرهم بفضائله وفضائل العلماء ويهز نفوسهم ويدعوهم الى الاقتصار على الميسور وقدر الكفاية من الدنيا والقناعة عما يشغل القلب من التعلق بها ، وتفرق الهم بسببها .

٧- كما كتب في وصاياه لصاحبه قال "... الشيخ من يلزمك الكتاب والسنة ويبعدك عن المحدثه والبدعة..."^(٢٢٢). وهكذا فإن طالب العلم اذا اراد العلم واراد ان يشرح الله صدره للعلم ويبارك علمه فعليه تجنب كبائر الذنوب وصغائرها^(٢٢٣).

وقد ذكر احمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م) واصفاً شيخه واستاذه الشافعي "... الشافعي من احباب قلبي ، وقد باينا وبيناه ، ما راينا منه الا خيراً وكان شديد الاتباع للسنن..."^(٢٢٤).

وعلى طالب العلم ان يفتخر به شيخه لا ان يفتخر هو بشيخه وذلك ما ذكره عبد الله بن الامام احمد (قلت لابي: اي رجل كان الشافعي ، فأني سمعتك تكثر من الدعاء له ، فقال : يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا ، وكالعافية للناس فانظر: هل لهذين من خلف ، او عنهما من عوض) (٢٢٥).

٨- وذكر شيخنا عن العلوم والمعرفة " ... اول ابواب المعرفة الاستئناس بالله سبحانه وتعالى والزهد اول قدم القاصدين ... " (٢٢٦). هي الاستئناس بذكره سبحانه وتعالى وعبادته والوحشة من كل قاطع يقطع عنه سبحانه وتعالى تخففاً بقوله (ﷺ): " من احب لقاء الله احب الله لقاءه " (٢٢٧). اما الزهد فهو اول القاصدين الى الله تعالى ولذلك عليه ان يبدأ باصلاح القلب وتطهير الباطن.

٩- ومن نصائح الشيخ قائلاً: " ... من الحكمة ان تودع المعروف اهله، ومن الصدق ان لا تمنعه غير اهله... " (٢٢٨). وهنا يقصد له بذل العلم عند وجود المستحق وعدم البخل به ، فقد اخذ الله عهداً على العلماء ببذل العلم وزكاة العلم ان يُعلم ، وان لا يمنع اهله.

١٠- وعلى طالب العلم الانتظام في حضور مجالس الشيوخ فلا ينتقل الطالب بين الشيوخ فتراه مع هذا تارة ومع ذاك تارة ، بل يلتزم ماتيسر من الشيوخ المتقين ويصبر معهم ويلتزم ، ويحذر الطالب من يتبع طرق المشايخ المختلفة في طلب العلم ومحاولة اتباعها وترك ما ابتدأ . وقد يكون لكل شيخ طريقة خاصة مع الحرص على اختيار المشايخ المعروفين بسلامة المنهج والعقيدة والسائرين على طريقة ومنهج العلماء الربانيين والبعد عن المخالفين فهو لا يؤخذ عنهم العلم قال الشيخ مالك بن انس " لا يؤخذ العلم عن اربعة

سفيه معن السفه ، وصاحب هوى يدعو الناس اليه ، ورجل معروف بالكذب
في احاديث الناس ورجل له فضل وصلاح ولا يعرف ما يحدث به^(٢٢٩).

١١- ولقول الرفاعي (... اذا رأيت الرجل يطير في الهواء فلا تعتبره حتى
تزن اقواله وافعاله بميزان الشرع)^(٢٣٠). وهذا مما يدل على ان طالب العلم ان
يختار الشيخ الصالح ، فأذا رأى العالم مقبلاً على دنياه يدخل في زمرة
السلطين وعلى موائد الاغنياء فلا يؤخذ منه الفقه والدين فقد ورد عن
الامام الباقر (ت ١١٤ هـ / ٧٣٢ م) عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ
إِلَى طَعَامِهِ﴾^(٢٣١). " فلا نتعلم العلم ممن لم ينتفع به ، فإن من لم ينفعه
علمه لا ينفعك " وهكذا فيجب ان يكون لطالب العلم لا يعتمد فقط على الكتب
والتعليم وانما المجاهدة والمراقبة وحضوره بمجالس العلم^(٢٣٢).

١٢- وقد نهى شيخنا الرفاعي طلابه عن الاعتقاد بعصمة الشيوخ بقوله "لا
تعمل عمل اهل الغلو فتعتقد العصمة في المشايخ او تعتمد عليهم فيما بينك
وبين الله ، فإن الله غيور ، لا يحب ان يدخل في الذالة وبين عبده " ^(٢٣٣).
هذا يدل على ان طالب العلم يأخذ علمه ممن كملت اهليته ، وظهرت ديانته ،
وتحقت معرفته واشتهرت ^(٢٣٤) . وهذا العلم دين فأنظروا عن تأخذون دينكم
ولا يكفي في اهلية التعليم ان يكون كثير العلم بل ينبغي مع كثرة علمه بذلك
الفن كونه له معرفة في الجملة ، ويكون له دين وخلق جميل وذهن صحيح
واطلاع تام^(٢٣٥).

١٣- ويقدم الامام والشيخ نصيحة اخرى في هذا المجال بقوله: " لا تجعل
رواق شيخك حرماً ، وقبره صنماً " ^(٢٣٦). وهذا يعني ان يأخذ علمه ممن كملت
اهلية وتحقت معرفته ، وان لا يأخذ العلم ممن كان اخذه له من بطون الكتب

من غير قراءة على شيوخ او شيخ صادق، فمن لم يأخذه الا من الكتب يقع في التصحيف ، ويكثر منه الغلط والتحريف وان يقتصر بشيخه^(٢٣٧).

ان طالب العلم الصادق الذي ينبغي الوصول الى مبتغاه "" ان يطمس حاله السيئ بفنائه في حال شيخه الصالح فيمحو كذبه تحققاً بصدق الشيخ ، ويخله بسخاء الشيخ وكذلك فيمحو كل وصف مردود له تحققاً لكل وصف مقبول من اوصاف الشيخ ثم تصحيح الحال بمحو الحال بمحو رؤية الحال ادباً مع النبي (ﷺ) ""^(٢٣٨). ويعني بذلك ان ينظر طالب العلم بعين الاحترام لشيخه ، ويعتقد كمال اهليته ورجحانه على اكثر طبقاته فهو اقرب الى انتفاعه به ورسوخ ما سمعه منه في ذهنه^(٢٣٩). وقال الشافعي "" كنت اصفح الورقة بين يدي مالك رحمه الله صفحاً رقيقاً هيبه له لئلا لا يسمع وقعها ""^(٢٤٠). وكذلك من اداب المتعلم ان يتحرى رضى المعلم وان خالف رأي نفسه ولا يعاتب عنده ولا يفشي له سره وان يرد بخيبته اذا سمعها فان عجز فارق ذلك المجلس^(٢٤١). فالتواضع من الاصول الاساسية في طلب العلم عالماً او متعلماً . وعن الامام زين العابدين (ت ٩٤ هـ / ٧١٢ م) (عليه السلام) في رسالة الحقوق المروية عنه في حقوق المتعلم على المعلم قال: "" اما حق رعبتك بالعلم : فأنت تعلم ان الله عز وجل انما جعلك فيما اتاك من العلم ، وفتح لك من خزائنه ، فاذا احسنت في تعليم الناس ولم تخترق بهم ولم تضجر عليهم زادك الله من فضله ، وان انت منعت الناس علمك او خرقت بهم عند طلبهم العلم كان حقاً على الله عز وجل ان يسلبك العلم وبهائه ويسقط من القلوب محلك ""^(٢٤٢).

١٤ - بقوله : "" العلم نور والتواضع سرور ""^(٢٤٣). وأشار الى طالب العلم ان يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته ولا يتكبر عليه ، ولا يستفاد

الامن المرموقين المشهورين وهي عين حماقة فأن العلم سبب النجاة والسعادة
فلا ينال العلم الا بالتواضع والقاء السمع^(٢٤٤).

١٥- وان يصاحب العالم العاقل الفقيه قال ذو النون المصري^(٢٤٥) (ت

٢٤٥ هـ) رحمه الله عليه: " ما خلق الله على عبد من عبيده خلقه احسن من
العقل ، ولا قلادة اجمل من العلم ولا زينة افضل من الحلم ، وكمال ذلك التقوى
". وقال ايضاً: " من سعادة المرء ان يكون اخوانه صالحين " ^(٢٤٦).

١٦- و اشار الرفاعي الى ان طالب العلم يجب ان يتعلم العلوم النافعات
وابتاعده عن غيرها ، ومنها علوم شرعية وغير شرعية بعيداً عن العلوم الضارة
كقوله (انما العلم ما نفع)^(٢٤٧) ويقصد به ايضاً عليه ان يكون العلم الذي تعلمه
نافعاً لنفسه ولغيره بعيداً عن غضب الله سبحانه وتعالى لقول الرسول (ﷺ) " من
تعلم علماً لغير الله واراد به غير الله فليبنوا مقعده من نار " ^(٢٤٨).

١٧- وبعض العلماء يحجمون العلم عن طالبه ، فذلك في الدرك الاول من
النار . وخرج معنا في هذه الوصية ان كل علم لا يقرنا الى الله تعالى يكون
خسارة على صاحبه يوم القيامة^(٢٤٩). كقوله " واحذر صحبة الفرقة التي رأيها
تأويل كلمات الاكابر " ^(٢٥٠).

١٨- وهنا يؤكد شيخنا على ان لا يخالط الا من يفيد او يضستفيد منه وان
يكون صاحبه صالحاً تقياً ذكياً قليل الشر وصاحب الطبع المستقيم
والمتفهم^(٢٥١) ، وقد قال ابن عينية^(٢٥٢) (ت ١٩٨هـ/٨١٣م) " يلوموني على
حب علي ابن المديني^(٢٥٣) والله لما اتعلم منه اكثر مما يتعلم مني " ^(٢٥٤).

وبهذا فإنه يكون مع رفاقه من طلبة العلم بارشادهم الى مواطن الاشتغال
والفائدة ويذكر لهم ما استفاده من جهة النصيحة والمذاكرة وبارشادهم ليبارك
في العلم ويستعير قلبه.

١٩- وقال الشيخ الرفاعي "..." والبس خشن الثياب كي يقتدي بك
الاغنياء... " (٢٥٥) وينبغي عليه ان يدخل الشيخ وطالب العلم لانها صفة
ملزمة للانسان كامل الهيئة فتظهر البدن والثياب نظيفة في مجلس العلم
والعبادة.

ذكر الشيخ ان مالك بن انس (ت ١٧٩هـ/٧٩٥م) كان يخرج الى مجلسه لطلاب
العلم مطيباً ويلبس احسن الثياب وقال " ما ادركت فقهاء بلدنا الا وهم يلبسون الثياب
الحسان " (٢٥٦).

وبعض العلماء والشيخ يلبسون افخر الثياب ويأكلون اطيب المأكول ويسكنون
بأحسن الدور ويركبون اجمل المراكب (٢٥٧). وهذا لا يدل على ان الشيخ او طالب العلم
لا يهتم بعلمه ، وانما يكون بما تفضل عليه الله سبحانه وتعالى من النعم ، والبعض
الاخر نجد انه يلبس الطيلسان من القطن ويتجنب لبس الابريس (٢٥٨). وان ملابس
الخشنه المهلهلة ليست صفة من صفات العالم او طالب العلم الضرورية حتى يبعد عنه
الاغنياء وانما يكون متواضع في مجلسه ويتلطف بالحضور ويتبعد عن قلة المرأة وعن
رجال السلطة والاغنياء الذين يحبون حياة الدنيا ونعيمها ويتبعون عن ذكر الله تعالى
وشكره ونعمه لهم (٢٥٩).

٢٠- "... اعط كل جليس لك نصيبه ولا تدخر عن الناس .. " (٢٦٠) هذا

حديث عالمنا وشيخنا الرفاعي عنه وعن الآخرين من الشيخ اي ان لا يدخر
عنهم من انواع العلوم شيئاً يحتاجون اليه اذا كان الطالب اهلاً لذلك ، وان

يكون مجلسك واسع ولا يطول مجلسه حتى يملون ، او يمنعهم منهم بعض
الدروس او ضيقه لان المقصود افادتهم وضبطهم ، فأذا صاروا الى هذه الحالة
فانه المقصود^(٢٦١) . كقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ
وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ
اللَّعِينُونَ ۝١٥٩ ﴾^(٢٦٢) . وسورة اخرى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
لَتُبَيِّنُنَاهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا فَبُشِّرُوا ۝١٧٧ ﴾^(٢٦٣) .

وقال الامام الشافعي في ذلك (اذا ناظره انسان في مسألة الى غيرها يقول تفرغ
من هذه المسألة ثم نضير الى ما تريد)^(٢٦٤) . واذا سأل طالب عن مسألة لا يسخر
منه ولا يستنكف عن ذلك وانما علم العالم ان يقول لا يعلم لا علم لي او الله اعلم^(٢٦٥) .
وان لا يزجر من تعدى في بحثه او ظهر منه لود في بحثه او سوء ادب^(٢٦٦) .

٢١- اما عن اخذ العلم ومنفعته للطالب يقول ""... وخذ من العلم ما ينفعك

اذا اقبلت على بك...""^(٢٦٧) . وهنا يؤكد شيخنا على ان طالب العلم ان يأخذ
العلوم النافعة وهي القرآن الكريم والحديث والنحو وعلوم اخرى تكون نافعة له
ولغيره وان يقدم الالهم على اقل الاهمية كقول احد النحويين (اذا اردت ان
تكون عالماً فاقصد لفن من العلم وان اردت ان تكون ادبياً فخذ من كل شيء
احسنه)^(٢٦٨) . وحيث ان يكون حسن النية في طلب العلم و يقصد به وجه الله
تعالى العمل به واحياء الشريعة^(٢٦٩) . ويؤكد شيخنا لطلابه وطلاب العلم بهذا

القول (تقرب الى الله بعلم اليقين..)^(٢٧٠) اي العلوم النافعات الذي تقيد الشيخ
وطالب العلم وما حولهم وهي العلوم الشرعية.

٢٢- وعلى الطالب ان يكون حريصاً على التعليم والمواظبة في جميع
الافاق ليلاً ونهاراً حضراً او سافراً ولا يذهب من اوقاته شيئاً في غير العلم ،
وان يتحرى رضى شيخه وان خالف رأي نفسه ، والا لا يدخل عليه بغير اذن ،
واذا لم يجده في مجلسه انتظره حتى لا يفوت عليه الدرس^(٢٧١) وقيل ان ابن
عباس كان يجلس في طلب العلم على باب زيد بن ثابت حتى
يستيقظ...^(٢٧٢) وان يجلس حلية الادب كما يجلس الصبي بين يدي المقرئ
بخضوع وخشوع^(٢٧٣). قال الشافعي (كنت اصفح الورقة بين يدي مالك رحمه
الله صفحاً رقيقاً هيبه له لئلا يسمع وقعها)^(٢٧٤).

اما اخذ العلوم وهي صفة يشترك بها طالب العلم والعالم والشيخ والفقير والصوفي بأن
ياخذ العلوم ممن كملت اهلية وظهرت ديانتهم وتحققت معرفتهم واشتهرت صيانتهم وسيادتهم
، وقول ابن سيرين (١١٠هـ/٧٣٣م)^(٢٧٥) ومالك " هذا العلم دين ، ما نظروا عمن
تأخذون دينكم " ^(٢٧٦) ، وان لا ياخذ العلم ممن كان اخذه له من يطوون الكتب .
اما ما ذكر عن لباس الشيوخ وطلاب العلم ومكان التعليم لديهم كقوله " ... والرواق
الوسيع وتألق الشيخ الكبير العمامة . الوسيط الكم . الكثير الحشمة... " ^(٢٧٧) وهنا
شيخنا ذكر لباس العلماء وطلاب العلم من اللباس العريض والكثير الحشمة والتواضع
مع العمامة وهنا يقصد بها الوقار ونظافة ثيابه وان لا يتفاخر بالثياب^(٢٧٨). وقال في
ذلك الامام ذو النون (ت ٢٤٥هـ/٩٥٦م)^(٢٧٩) وتعظيم الناس له وللتوسع في

المجالس ، وكثر الاشباع...^(٢٨٠) واحذر صحبة الرفقة التي دابها تأويل
كلمات الاكابر...^(٢٨١).

وعليه ان يكون مع رفاقه من الطلبة بارشادهم الى مواطن الاشتغال والفائدة
ويذكر لهم ما ستفاده من جهة النصيحة والمذاكرة وبارشاهم ليبارك في علمه ويستتير
قلبه...^(٢٨٢) والبس خشن الثياب كي يقتدي بك الاغنياء...^(٢٨٣).

٢٣- وان يتعلم لدى الشيوخ من لم يأخذ علمه هو تحويل الكلمة عن البيئة
المتعارفة اتي عبرها الا من الكتب يقع في التصحيف ، ويكثر منه الغلط
والتحريف^(٢٨٤). كقول شيخنا فان العاقل يأخذ الحكمة لا يبالي على اي
حائط كتبت وعن اي رجل نقلت^(٢٨٥) وهنا يؤكد العالم ان لا يحتقر
فائدة يراها او يسمعها في اي من كانت ، بل يبادر الى كتابتها ثم يواظب
على مطالعة وكتبه ويلزم حلقات الشيوخ وليعتني بكل الدروس^(٢٨٦). من
الشيوخ حتى ولو لم يكن له سمعه او شهره بين الناس وانما قد يكون لديه علم
ينتفع به .

٢٤- ونصح شيخنا الفاضل الغوث الكبير طالبه بقوله "... اياك والتقرب
من اهل الدنيا فان التقرب منهم يقسي القلوب...^(٢٨٧) . وهذه النصيحة
تكون للشيخ ولطالب العلم والمعرفة لان لما لهما من مكانة وعزة وفخر في
قلوب العامة لذلك فقد قال رسول الله (ﷺ): (ان العلماء ورثة الانبياء)
^(٢٨٨). وقد شرفهم نبينا الكريم وجعلهم افضل خلقه وهم الانبياء، وهذا ليس
للمتعبدين وانما للعالم ولان العلم يبقى بعد موت صاحبه^(٢٨٩). وان يصونه
ويبتعد عن الاغراض الدنيوية وهي التقرب الى رجال السلطة والدولة وان ينتزه

عن دنى المكاسب ورذيلها، وقال ابو الاسود الدؤلي "" ليس شيء اعز من العلم ، الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك "" (٢٨٩). اما لقمان الحكيم فقال لابنه "" يابني ان الحكمة اجلست المساكين مجالس الملوك "" (٢٩٠). وبهذا فأن على العالم وطالب العلم لانها صفة مشتركة بينهما حتى لا يذهب علمهم على موائد ومجالس رجال الدولة بأن يخالطوا العلماء لانهم يكملوا عقولهم ويعلمهم خشية الله سبحانه وتعالى ، وان بالعلم تدرك درجة الحلم . وان لآفة العلماء حسب الرياسة والحصول على مناصب في الدنيا ، لذلك فان العلم زين الاغنياء وغنى الفقراء (٢٩١).

وقال شيخنا في نصيحته لصاحبه وتلميذه في الرحلة في طلب العلم والتنقل من شيخ الى اخر لاخت العلم منهم يقول "" .. كم طيرت طقطقة الخال حول الرجال من راس وكم اذهبت من دين .. "" (٢٩٢). وذلك على الطالب ان يقدم النظر ويستخير الله فيمن يأخذ العلم عنه ويكتسب حسن الاخلاق والاداب منه وليكن ان امكن ممن كملت اهليته وكان احسن تعليماً واجود تفهيماً ولا ان يكون الطالب بزيادة العلم مع نقص في درع او دين ... كقول احد العلماء (مثل العلماء في الارض مثل النجوم في السماء ، اذا بدت الناس اهدتوا بها واذا اخفيت عليهم تحيروا) (٢٩٣). اما احدهم فكان قوله (بتشعب من العلم الشرف وان كان صاحبه دنيئاً ، والعز وان كان مهيناً ، والغرب وان كان قصياً ، والغني وان كان فقيراً، والنبل وان كان حقيراً ، والمهابة وان كان وضيعاً ، والسلامة وان كان سفيهاً) (٢٩٤).

لقد وضع السيد احمد الرفاعي اسس ودعائم لطريقة التعليم والتعلم استنادا لاصول استقاها من القرآن الكريم والسنة النبوية ، وقد رسم الرفاعي صورة مشرفة لما ينبغي ان يكون عليه حال الشيخ والصفات التي يتحل بها والواجبات الملقاة على عاتقه ليكون جديراً بمجمل اعباء هذه المسؤولية .

وبنى السيد الرفاعي نظاماً متكاملأ لحياة الطالب من خلال علاقته مع شيخه وواجباته تجاهه ، وحضوره في مجالس العلم .
وكتاب الحكم الرفاعية يعتبر من الكتب المهمة جداً في شرح اداب الشيخ والطالب .

المصادر والمراجع :

اولاً المصادر :

١. ابن الاثير ، عز الدين (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ، الكامل في التاريخ، تحقيق ابو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م.
٢. البخاري ، محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م) ، صحيح البخاري، صححه وضبطه ورقمه د. مصطفى النبار ، دار ابن كثير ، ١٩٩٣ ، حديث رقم ٦١٤٢.
٣. الترمذي ، محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) ، سنن الترمذي ، دار الكتب العلمية.
٤. ابن تغري بردي ، جمال الدين ابي المحاسن (ت ٨٧٤هـ/١٤٩٦م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين ط ١ دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢ م .

اداب الشيخ والتلميذ (المريد) في كتاب الحكم الرفاعية للامام الرفاعي
ت ١١٨٢/هـ.....

٥. ابن تيمية، شيخ الاسلام ابو العباس احمد (ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٦م) ، مجموعة فتاوي جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، طباعة وزارة الشؤون الاسلامية والاوقاف بالمملكة السعودية ، ٢٠٠٤م .
٦. ابن تيمية ، ابو العباس احمد (ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٦م) ، النبوءات ، تحقيق : عبدالعزيز بن صالح الطويان ، ط ١ ، المدينة المنورة الرياض ، ٢٠٠٠م .
٧. ابن جماعة بدر الدين محمد بن ابراهيم (ت ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م) ، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم طبع جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٥٣ هـ .
٨. ابن الجوزي، عبد الرحمن (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) ، المنتظم ، الدار الوطنية ، بغداد ، ١٩٩٠ .
٩. ابن حجر ، احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) ، لسان الميزان ، حيدر اباد الدكن، ط ١ ، ، ١٣٣١م .
١٠. ابن حنبل، احمد ، (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م) مسند الامام احمد بن حنبل وبهامشه كنز العمال ومعه فهرس المسند للالباني، المطبعة الميمنية ، مصر ١٣١٣هـ)
١١. حنبل ، عبدالله بن احمد (ت ٢٩٠هـ ، ٩٠٣م) ، السنة ، تحقيق ودراسة د. محمد بن سعيد سالم القحطاني ، ط ١ ، دار ابن القيم ، الدمام ، ١٩٨٦م .
١٢. الخطيب البغدادي ، احمد ابن علي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) ، تاريخ بغداد ، حققه بشار عواد ، دار الغرب الاسلامي، ط ١ ، ٢٠٠١م .
١٣. ابن خلدون ، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) ، المقدمة ، ط ١ ، دار القلم ، بيروت لبنان ١٩٧٨ .
١٤. ابن خلدون ، عبد الرحمن (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٨٥م .

١٥. ابن خلكان، شمس الدين ابو العباس (ت ٦٨١/هـ/١٢٨٢م)، وفيات الاعيان
وابناء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ص
١٧١.

١٦. الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد (ت ٧٤٨/هـ/١٣٤٧م)، سير اعلام
النبلاء، تحقيق محمد الدين ابي سعيد العمري، دار الفكر، لبنان ١٩٩٧م.

١٧. تاريخ الاسلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب
العربي، بيروت ٢٠٠٣.

١٨. الرفاعي، الامام احمد (ت ٥٧٨/هـ/١١٨٢م)، حالة اهل الحقيقة مع الله، علق
عليه الاستاذ محمد نجيب، نشر وتوزيع مكتبة ربيع، حلب ١٩٦٣م.

١٩. الحكم الرفاعية، المطبعة الادبية، بيروت ١٣٠١ هـ.

٢٠. الوصايا، تقديم وتحقيق وتعليق د. محمد زينهم محمد
غرب، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩١٢ م.

٢١. المجالس الرفاعية، جمعه وحققه محمود السامرائي، ط١،
مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٧١م.

٢٢. البرهان المؤيد، قدمه الشيخ احمد الهاشمي حقه عبد الله
الهروي الحبشي، مطبعة الظاهر، مصر ١٣٢٢ هـ.

٢٣. الرفاعي، عبد الكريم بن محمد (ت ٦٢٣/هـ/١٢٢٦م)، سواد العينين في مناقب
الغوث، ط١، مطبعة المنيرية، مصر ١٣٠١ هـ.

٢٤. الرواس، محمد مهدي الصيادي الرفاعي (ت ١٢٨٧/هـ/١٨٧٠م)، طي
السجل، تحقيق حسن عبد الحكيم عبد الباسط، دار البشائر، دمشق ١٩٩٧م.

٢٥. الزرنوجي، برهان الدين (ت ٦٢٠/هـ/١٢٢٣م)، تعليم المتعلم طريق التعلم،
ط١، الدار السودانية للكتب ٢٠٠٤م.

٢٦. السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١/هـ ١٣٦٩م) ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق د. محمد حمد الطناجي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤١٣ هـ .

٢٧. الشعراني: عبد الوهاب (ت ٩٧٣/هـ ١٥٦٥م) ، لواقع الانوار في طبقات السادة الاخيار (الطبقات الشافعية الكبرى).

٢٨. الصفي ، صلاح الدين خليل بن ايبك، (ت ٧٦٤/هـ ١٣٢٦م)، الوافي بالوفيات ، تحقيق احسان عباس ، ط ١، دار النشر فرانز شنايز بفيسبادن ، ١٩٦٩ م .

٢٩. الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠/هـ ٩٢٢م) ، جامع البيان عن تأويل اي القرآن تفسير الطبري، تحقيق احمد محمد شاكر (مطبعة دار المعارف، مصر ١٩٦٠ م) .

٣٠. العاملي ، زين الدين بن علي (٩٦٥/هـ ١٥٥٧م) ، منية المريد في اداب المفيد والمستفيد ، تحقيق رضا المختاري ، مؤسسة تحقيقات ونشر معارف ال البيت (عليهم السلام) .

٣١. ابن عبد البر القرطبي ، يوسف (ت ٤٦٢/هـ ١٨٧٠م) ، جامع بيان العلم وفضائله ، حققه ابو الاشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي ، ١٩٩٤ م .

٣٢. ابن العماد الحنبلي ، ابي الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩/هـ ١٦٨٧م) ، شذرات الذهب بأخبار من ذهب ، دار المسيرة ، دار الكتب العلمية، بيروت ، سنة النشر ١٩٩٨ .

٣٣. الغزالي ، ابو حامد (ت ٥٠٥/هـ ١١١١م) ، احياء علوم الدين ، بقلم د. بدوي طبانه ، مكتبة ومطبعة كرابطة فوترا ، سماراغ ، اندنوسيا ، بلا تاريخ .

٣٤. الغزي، شمس الدين ابن عبد الله محمد (ت ٩١٨/هـ ١٥١٢م) ، شرح ابن قاسم لمتن ابي شجاع ، قدم له وعلق عليه يوسف عبد الرزاق ، مكتبة الحسين التجارية ، المقدمة ص هـ - و .

اداب الشيخ والتلميذ (المريد) في كتاب الحكم الرفاعية للامام الرفاعي
ت ١١٨٢/هـ.....

٣٥. اداب العشرة وذكر الصحبة والاخوة ، حققه د. عمر موسى
باشا ، دمشق ١٩٦٨ م .

٣٦. الفاروئي ، احمد بن ابراهيم (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٤م) ، المرشحات الحسنية على
النفحة المسكية، تحقق شرف الدين حسن عبد الحكيم عبد الباسط ، ط١، دار
البشائر للطباعة والنشر ، دمشق ١٤٢٠ هـ .

٣٧. ارشاد المسلمين لطريقة شيخ المفتين، مطبعة الافندي
مصطفى، ص ٢١ .

٣٨. العقود الجوهريّة، المطبعة الخيرية، مصر ١٣٠٦.

٣٩. القادري، ظهر الدين محمد رشيد (ت ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م)، الفتح المبين فيما
يتعلق بترياق المحبين، طبعة الخيرية ، مصر ١٣٠٦ هـ .

٤٠. ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ/٨٨٩م) ، المعارف ،
حققه وقدم له ، د. ثرت عكاشة ، ط٤ ، دار المعارف ، مصر ، بلا تاريخ .

٤١. ابن قدامة المقدسي ، ابو محمد عبد الله بن احمد بن قدامة ، (ت ٦٢٠هـ
/١٢٢٣م) لمعة الاعتقاد ، المكتب الاسلامي ، ط٤ ، بيروت ١٣٩٥ هـ .

٤٢. القشيري، عبد الكريم بن هوازن النيسابوري (ت ٤٦٥هـ/١٠٧٢م) ، الرسالة
القشيرية ، دار صادر ، ط٢، بيروت ٢٠٠٦ .

٤٣. ابن كثير، اسماعيل (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) ، البداية والنهاية ، راجعه وصححه:
د. محمد يوسف الدقاق، ط٤، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ٢٠٠٤م

٤٤. ابن ماجة ، ابو عبد الله محمد القزويني (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م) ، السنن ، تحقيق
شعيب ارنؤوط ، ط١ ، دار الرسالة العالمية ، مصر ، بلا تاريخ، حديث ٣١٣

٤٥. ابن الملقن، سراج الدين ابو حفص الشافعي (ت ٨٠٤هـ/١٤٠١م) طبقات
الاولياء، تحقيق نور الدين شريبه، ط٢، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٤٥م.

اداب الشيخ والتلميذ (المريد) في كتاب الحكم الرفاعية للامام الرفاعي
ت ١١٨٢/هـ.....

٤٦. ابن النديم ، وابو الفرج محمد (ت ٣٨٥/هـ ٩٩٥م) ، الفهرست ، تحقيق رضا تجدد، طهران ١٩٧١م .
٤٧. النووي ، يحيى بن زكريا (ت ٦٧٦/هـ ١٢٧٧م) ، اداب العالم والمتعلم ، ط١، مكتبة الصحابة ، مصر طنطا ١٩٨٧ م. الهيثمي ، نور الدين علي (ت ٨٠٧هـ) ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، بتحري الحافظين في العراق ، ط دار الفكر ، بيروت ١٩٩٢م .
٤٨. ابو الهدى الصيادي (ت ١٣٢٨/هـ ١٩١٠م) ، محمد بن حسن ، قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي واتباعه الاكابر، دار احياء التراث العربي ، مطبعة الادبية ، بغداد، ١٩٨٤م .
٤٩. الطريقة الرفاعية، مطبعة السعادة، مصر ١٣٢٥ هـ .
٥٠. الواسطي الشافعي ، الامام علي ابي الحسن (ت ٧٣٣/هـ ١٣٤٤م) ، خلاصة الاكسير في نسب سيدنا الغوث الرفاعي الكبير ، ط١، المطبعة الخيرية، مصر ١٣٠٦ هـ .
٥١. الواسطي الشافعي ، عبد الرحمن بن عبد الحسن (ت ٧٤٤/هـ ١٣٤٣م) ، ترياق المحبين في سيرة سلطان العارفين، محي الدين بن ابي الحسن علي الرفاعي، المطبعة البهية ١٣٠٥ هـ .
٥٢. الوتري ، احمد بن محمد (ت ٩٨٢/هـ ١٥٧٤م) ، روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين ، ط١ ، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٦ هـ .
٥٣. اليافعي ، ابو محمد عبد الله (ت ٧٦٨/هـ ١٣٦٦م) ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٩٧م .
٥٤. ياقوت الحموي ، شهاب الدين بن عبد الله (ت ٦٢٦/هـ ١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٥ م .

ثانياً : المراجع :

١. الالوسي ، محمود شكري (ت١٣٤٢هـ)، الاسرار الالهية في شرح القصيد الرفاعية، ط٢ ، المطبعة الخيرية ، مصر ١٣٠٥ هـ .
٢. الالوسي ، محمود شكري (ت١٢٧٣هـ) ، غاية الاماني في الرد على النبهاني، ط٢ ، ١٣٩١ هـ .
٣. بوزورث ، كليفورد ، جوزيف شاخت ، تراث الاسلام ، ترجمة د. حسين مؤنس ، احسان صدقي العمدة ، مراجعة د. فؤاد زكريا ، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، الكويت .
٤. الحنفي ، د. عبد المنعم ، الموسوعة الصوفية، ط١، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م .
٥. دمشقية ، عبد الرحمن ، الطريقة الرفاعية، دار المصرية السعودية، القاهرة ٢٠٠٤ م .
٦. السبقاني الدمشقي ، عبدالحكيم بن سليم ، سبيل النجاة الامين ، مصر ، بلا ، ص ٩ .
٧. الصيادي ، محمد حسن، التاريخ الاوحد للغوث الرفاعي ، مطبعة المحروسة مصر ١٩١٣ م .
٨. فهد ، بدري محمد ، تاريخ العراق في العصر العباسي المتأخر، طبعة الارشاد، بغداد ١٩٧٣ م .
٩. الزركلي ، خير الدين بن محمود (ت١٣٩٦هـ)، الاعلام، ط٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٨٠ م، ج ١ .
١٠. العصيمي ، صالح بن عبد الله ، امتاع المشيخة الاحمدية بطرق حديث فضل المريدات الاربعينية ، ط١، دار اهل الحديث، الرياض ، (١٤١٣ هـ)

١١. ابن عمر باعمر، الشيخ حسن محمد ، الكوكب الساعي في مولد الامام الرفاعي، البیداء للنشر، بیروت ٢٠١٣ م .
١٢. الموصلي ، احمد هزت باشا ، العقود الجوهريّة في مدائح الحضرة الرفاعية ، المطبعة الخيرية ، مصر ١٣٠٦هـ.
١٣. ماسينيون ، لويس ، الاسلام والتصوف ، اعداد ابراهيم زكي خورشيد ، د. عبد الحميد يونس حسن عثمان ، مطبعة دار الشعب بالقاهرة ١٩٧٩ م.
١٤. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م.
١٥. مجموعة من المؤلفين ، دائرة المعارف الاسلامية ، ترجمة محمد ثابت وآخرون، دائرة المعارف الاسلامية، ط١، مطبعة مصر ١٩٣٤م، ج١.
١٦. النداوي ، ابو الحسن علي ، سيرة وترجمة الامام السيد احمد الرفاعي مؤسس الطريقة الرفاعية ، دائرة الشيخ علم الله الحسني ، بريل ، الهند ، ١٩٧٨م.

الهوامش:

- (١) القشيري ، عبد الكريم بن هوازه النيسابوري (ت ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م) ، الرسالة القشيرية ، دار صادر ، ط٢، بيروت ٢٠٠٦، ص ٦٦، ٨٧، ١٦٩، ٢٠٦؛ ماسينيون ، لويس ، الاسلام والتصوف ، اعداد ابراهيم زكي خورشيد ، عبد الحميد يونس حسن عثمان ، مطبعة دار الشعب بالقاهرة ١٩٧٩ م، ص ٢٠ .
- (٢) المريد: هو من انصرفت ارادته لشيخه وانصرفت عن غيره وثبتت ارادته لشيخه فاسقطت مرادته له، وصحت رابطته معه، بقوة محبته له واعتقاده به . ينظر: القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٢٥٣-٢٥٤.
- (٣) القشيري ، الرسالة ، ص ٢٥٤-٢٥٥؛ بوزورث ، كليفورث ، شاخت ، تراث الاسلام ، ترجمة د. حسين مؤنس ، احسان صدقي ، مراجعة د. فؤاد زكريا ، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، الكويت ، ص ١٠٢.

(٤) القشيري، الرسالة القشيرية، ص ١٣؛ الشعراني، عبد الوهاب بن احمد الانصاري (ت ٩٧٣هـ/١٥٦٥م) ، لوائح الانوار في طبقات السادة الاخيار (الطبقات الشافعية الكبرى)، وبهامشه الانوار القدسية في بيان اداب العبودي للمؤلف ، ط ١ ، مطبعة شركة ومكتبة الباب الحلبي واولاده ، مصر ١٩٥٤م-١٣٧٣ هـ ، ج ١ ، ص ٥ .

(٥) عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، المقدمة ، ط ١، دار القلم ، بيروت -لبنان ١٩٧٨، ص ٤٦٧ .

(٦) القشيري، الرسالة، ص ٢٣٦؛ ماسينيون ، الاسلام والتصوف ، ص ٢٦ .
(٧) جابر بن حيان ،بن عبد الله الازدي الذي هاجر من اليمن الى الكوفة ،وعمل بها وكان والده مناصرا للعباسيين اما هو فكان من انصار جعفر الصادق ومارس الطب وهو شيخ الكيمائيين سجن في الكوفة حتى وفاته. ينظر: ابن النديم ، وابو الفرج محمد (ت ٣٨٥هـ/٩٨٥م) ، الفهرست ، تحقيق رضا تجدد، طهران ١٩٧١م ، ص ٤٢٠ .

(٨) ابن النديم، الفهرست ، ص ٤٢٠؛ ماسينيون ، الاسلام والتصوف ، ص ٢٩ .
(٩) ابن تيمية، شيخ الاسلام احمد (ت ٧٢٨هـ /١٣٢٧م)، مجموعة فتاوي ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، طباعة وزارة الشؤون الاسلامية والاوقاف بالمملكة السعودية ، ٢٠٠٤م ، ج ١٠ ، ص ٣٦٦-٣٦٩ .

(١٠) ابن خلدون، المقدمة ، ص ٤٦٩ ؛ محمد ، د. بدري فهد ، تاريخ العراق في العصر العباسي المتأخر، طبعة الارشاد، بغداد ١٩٧٣م، ص ٣٨٩-٣٩٠ .

(١١) ابن خلدون، المقدمة، ص ٤٦٨ ؛ ماسينيون ، الاسلام والتصوف ، ص ٢٠-٢٦ .

(١٢) ابن خلدون، المقدمة، ص ٤٧٣؛ بوزورث ، تراث الاسلام ، ص ٩٤.
(١٣) الزوايا : من فعل زوى الشيء يزويه زويا وزيا جمعة وقبضة هي الركن من المكان. وهي مكان معد للعبادة وايواء المجاهدين وطلبة العلم والمحتاجين واطعامهم وتزويدهم بما يحتاجون . ينظر : ابن منظور ، جمال الدين محمد (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م)، لسان العرب ، اعاذ بناءه يوسف خياط ، دار لسان العرب ، بيروت ، مجلد ٢، ص ٦٦-٦٧ .

(١٤) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٤٧٢ - ٤٧٣ ؛ بوزورث ، تراث الاسلام ، ص ٩٤ .
(١٥) الذهبي ، محمد بن احمد (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧ م) ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق محمد الدين ابي سعيد العمري ، دار الفكر ، لبنان ١٩٩٧م ، ج ١٥ ، ص ٣١٨ ؛ الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ابيك ، (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢ م) ، الوافي بالوفيات ، تحقيق احسان عباس ، ط ١ ، دار النشر فرانز شنايز بفيسبادن ، ١٩٦٩م ، ج ٧ ، ص ٢١٩ ؛ ابن الملقن ، سراج الدين ابو حفص الشافعي (ت ٨٠٤هـ / ١٤٠١ م) طبقات الاولياء ، تحقيق نور الدين شريبه ، ط ٢ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٤٥م ، ص ٩٣ .

(١٦) البطائحي : مفردتها البطيحة وهي ارض واسعة بين واسط والبصرة . ينظر : ياقوت الحموي ، شهاب الدين بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨ م) ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٥ م ، ج ١ ، ص ٤٥٠ ؛ ابن تغري بردي ، جمال الدين ابي المحاسن يوسف ، (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩ م) ، النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٦ م ، ج ٦ ، ص ٩٢ ؛ ابن العماد الحنبلي ، ابي الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٨٧ م) ، شذرات الذهب بأخبار من ذهب ، دار المسيرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٨م ، ج ٤ ، ص ٩٥٢ .

(١٧) الرفاعي، الامام احمد (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢م) ، حالة اهل الحقيقة مع الله ، علق عليه الاستاذ محمد نجيب ، نشر وتوزيع مكتبة ربيع ، حلب ١٩٦٣م، ص ٧ ؛ الزركلي ،خير الدين بن محمود (ت ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م)، الاعلام، ط ٥ ، دار العلم للملايين ،بيروت، ١٩٨٠م، ج ١، ص ١٧٤.

(١٨) القادري، ظهر الدين محمد رشيد (ت ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م)، الفتح المبين فيما يتعلق بترياق المحبين، الطبعة الخيرية ، مصر ١٣٠٦هـ ، ص ١٠٢ ، ١٠٥ .

(١٩) ابن خلكان، شمس الدين ابو العباس (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)، وفيات الاعيان وابناء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس ، ط ١، دار صادر، بيروت، ص ١٧١؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء ، ج ١٥، ص ٣١٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٩٢.

(٢٠) محمد حسن (ت ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م)، التاريخ الاوحد للغوث الرفاعي ، مطبعة المحروسة مصر ١٩١٣م ، ص ٤٦-٥٠ .

(٢١) محمود شكري (ت ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م) ، غاية الاماني في الرد على النبهاني، طبع على نفقة عبدالعزيز ومحمد العبدالله ، ط ٢ ، ١٣٩١هـ ، ج ١ ، ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٢٢) السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م) ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق د. محمد حمد الطناجي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤١٣هـ ، ج ٥، ص ٢٣ ؛ الشعراني ، الطبقات ، ج ١ ، ص ١٤٠ - ١٤٥ .

(٢٣) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج٧، ص٢١٩؛ ابو الهدى الصيادي، محمد بن حسن (ت ١٣٢٨هـ/١٩١٠م)، قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي واتباعه الاكابر، دار احياء التراث العربي ، مطبعة الادبية ، بغداد ١٩٨٤م، ص ٨٣ .
(٢٤) شيخ مشايخ بلاد الغربية بارض مصر وكان من اصحاب احمد الرفاعي وتلميذه واخذ من علماء وعقدوا له المجالس ودفن في الاسكندرية ، ينظر : الشواني ، طبقات ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .

(٢٥) الرفاعي ، حالة اهل الحقيقة، ص٧؛ الاعلام، ج١، ص ١٧٤ .
(٢٦) وهي من اعمال واسط ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج١ ، ص ١٧١؛ الواسطي الشافعي ، الامام علي ابي الحسن (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) ، خلاصة الاكسير في نسب سيدنا الغوث الرفاعي الكبير ، ط١، المطبعة الخيرية، مصر ١٣٠٦هـ ، ص ٤٥ ؛ ابن كثير، اسماعيل (ت ٧٧٤هـ/١٣٢٧م) ، البداية والنهاية ، راجعه وصححه د. محمد يوسف الدقاق، ط٤، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ٢٠٠٤م ، ج١٠ ، ص١١٨؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ٤٤٥ .

(٢٧) الواسطي الشافعي ، خلاصة الاكسير ، ص ٢٨؛ الفاروخي ، عز الدين احمد الشافعي (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٤م)، ارشاد المسلمين لطريقة شيخ المتقين، مطبعة محمد افندي مصطفى، ص ٢١ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج١، ص ١٧٤ .
(٢٨) اليافعي ، ابو محمد عبد الله (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان، تحقيق : خليل منصور ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٩٧م ، ج٣، ص ٣١٠ ؛ السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج٤، ص ٢٧ .

(٢٩) منصور ، البطائحي : وهو ابو بكر امام المتصوفة شافعيًا في ذلك الوقت وله الكثير في الاتباع والمريدين ، وهو الذي اعتنى باحمد الرفاعي . ينظر: الواسطي ، الاكسیر ، ص ٦٨ .

(٣٠) الفاروئي، ارشاد المسلمين ، ص ٧-٨ .

(٣١) الفاروئي ، ارشاد المسلمين ، ص ٧ .

(٣٢) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٩٢ .

(٣٣) الواسطي الشافعي ، خلاصة الاكسیر، ص ٢٦-٢٨ ، ؛ الوتري ، احمد بن محمد (ت ٩٨٢هـ/١٥٧٤م)، روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين ، ط ١ ، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٦ هـ ، ص ٢٩-٣٠ .

(٣٤) الواسطي ، الشافعي ، الاكسیر ، ص ٣٠ ، ؛ الالوسي ، محمود شكري (ت ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م)، الاسرار الالهية في شرح القصيد الرفاعية، ط ٢ ، المطبعة الخيرية ، مصر ١٣٠٥ هـ ، ص ٢١ .

(٣٥) الواسطي الشافعي ، الاكسیر ، ص ٣٠ ؛ الالوسي ، الاسرار الالهية، ص ٢١ ؛ دمشق ، عبد الرحمن ، الطريقة الرفاعية، دار المصرية السعودية، القاهرة ٢٠٠٤م، ص ٥٥ .

(٣٦) الفاروئي ، ارشاد المسلمين ، ص ٩١ ؛ الفاروئي ، احمد بن ابراهيم (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٤م) ، الرشحات الحسنية على النفحة المسكية، تحقيق شرف الدين حسن عبد الحكيم عبد الباسط ، ط ١ ، دار البشائر للطباعة والنشر ، دمشق ١٤٢٠ هـ ، ص ١٩٠ ؛ الشعراني ، طبقات ، ج ١ ، ص ١٤٣ .

(٣٧) ترجم له .

(٣٨) الفاروئي ، ارشاد المسلمين ، ص ٩٢-٩٣ ؛ الواسطي الشافعي ، الاكسير ، ص

٣١.

(٣٩) الواسطي الشافعي ، الاكسير ، ص ٣١.

(٤٠) ابن الاثير ، عز الدين (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) ، الكامل في التاريخ ، تحقيق ابو الفداء

عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٧م ، ج ١٠ ، ص ٢٤٩ ؛ ابن تغري بردي

، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٩٢.

(٤١) الذهبي ، محمد بن محمد (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م) ، تاريخ الاسلام ، تحقيق عمر

عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ٢٠٠٣ ، ج ١٥ ، ص ٢٥٠ ؛

العصيمي ، صالح بن عبد الله ، امتاع المشيخة الاحمدية بطرق حديث فضل

المرديات الاربعية ، ط ١ ، دار اهل الحديث ، الرياض ، (١٤١٣ هـ) ، ص ٦ .

(٤٢) الرفاعي ، حالة اهل الحقيقة ، ص ٨ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ١٥ ،

ص ٢٥٢.

(٤٣) الرواق : هو سقفة الدراسة في المسجد او الدار او غيره. ينظر : مجمع اللغة

العربية ، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، ط ٤ ، ٢٠٠٤ م ، ص ٣٨٣.

(٤٤) الفاروئي ، الرشحات الحسنية ، ص ٧٨ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ١٥ ، ص

٢٥٣ .

(٤٥) الفاروئي ، الرشحات الحسنية ، ص ٧٨ ؛ ابن الملقن ، طبقات الاولياء ، ص

٩٧-٩٨ .

(٤٦) الرفاعي ، احمد ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢م ، المجالس الرفاعية ، جمعه وحققه محمود

السامرائي ، ط ١ ، مطبعة الرشاد ، بغداد ، ١٩٧١م ، ص ٢٥ ؛ ابن خلكان ، وفيات

- الاعيان ، ج ١، ص ١٧٢؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ١٥ ، ص ٢٥٤؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢، ص ٣١٢ .
- (٤٧) الفاروئي ، الرشحات الحسنية ، ص ٧٩ .
- (٤٨) الطستاني : لا ترجمة له.
- (٤٩) ابراهيم الاعزب : السيد الاهيب والامام الانجب ابو اسحق محي الدين السيد ابراهيم بن السيد علي بن السيد عثمان بن حسن بن محمد وله شعر صوفي حسن ومناجاة روحيه ، وجمع كتاب المعارف المحمدية في الوظائف الاحمدية ، دفن في قبة جده احمد الرفاعي. ينظر : الرفاعي ، المجالس الرفاعية ، ص ٥٢ .
- (٥٠) علي بن الطراي : هو خادم الامام احمد . ينظر :ابو الهدى الصيادي ، قلادة الجواهر ، ص ٨٨.
- (٥١) الواسطي الشافعي ،عبد الرحمن بن عبد الحسن (ت ٧٤٤هـ/١٣٤٣م)، ترياق المحبين في سيرة سلطان العارفين، تحقيق : محي الدين بن ابي الحسن علي الرفاعي، المطبعة البهية ١٣٠٥ هـ، ص ٣٧ .
- (٥٢) الرفاعي ،الامام احمد (ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م)، البرهان المؤيد ، قدمه الشيخ احمد الهاشمي حققه عبد الله الهردي الحبشي، مطبعة الظاهر مصر ١٣٢٢ هـ ، ص ٨.
- (٥٣) لا ترجمة له .
- (٥٤) السبكي ، طبقات ج ٥، ص ٢٤.
- (٥٥) هو ابراهيم بن علي بن يوسف الفيروز ابادي العلامة المناظر ورحل الى البصرة ثم بغداد سنة (٤١٥هـ) للدرس والبحث وتبع في علوم الشريعة الاسلامية له مصنفات كثيرة .ينظر : ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٤٣٢ .
- (٥٦) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٥ ، ص ٢٤.

- (٥٧) الرفاعي، برهان المؤيد ، ص ٥ ؛ الواسطي ، الاكسير ، ص ٤٦-٤٧ .
- (٥٨) الفاروئي ، المجالس الرفاعية ، ص ٢١ ؛ السبكي، طبقات ، ج ٥، ص ٢٦ ؛ بن عمر باعمر، الشيخ حسن محمد ، الكوكب الساعي في مولد الامام الرفاعي، البيداء للنشر، بيروت ٢٠١٣م، ص ١٤ .
- (٥٩) الرفاعي، حالة اهل الحقيقة ، ص ١٥ ؛ بن عمر باعمر ، الكوكب الساعي في مولد سيدنا احمد الرفاعي ، ص ١٤ .
- (٦٠) الرفاعي ، البرهان المؤيد ، ص ٥؛ الواسطي ، خلاصة الاكسير ، ص ٤٦-٤٧ .
- (٦١) الفاروئي ، الرشحات الحسنية، ص ٤٦-٤٧؛ الشعراني طبقات ، ص ١٤٢ .
- (٦٢) الرفاعي ، البرهان المؤيد ، ص ٥، الامام الرفاعي ، الشيخ احمد بن علي (ت ١١٨٢هـ / ١١٨٢م)، الوصايا ، تقديم وتحقيق وتعليق د. محمد زينهم محمد غرب ، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩١٢م ، ص ٢٧ .
- (٦٣) الفاروئي ، الرشحات الحسنية ، ص ٤٧ .
- (٦٤) الفاروئي ، المرشحات ، ص ٤٧ ؛ الواسطي ، خلاصة الاكسير، ص ٦٨ .
- (٦٥) الصيادي ، عز الدين احمد بن عبد الرحيم ، المعارف المحمدية في الوظائف الاحمدية ، مطبعة محمد افندي مصطفى ، مصر ، ص ٦ .
- (٦٦) طبقات الشافعية ، ج ٥، ص ٢٦-٢٧ ؛ الواسطي الشافعي ، الاكسير ، ص ٦١ .
- (٦٧) الرفاعي ، برهان المؤيد ، ص ٤ .
- (٦٨) الرفاعي، البرهان المؤيد ، ص ١٧ ؛ ابو الهدى الصيادي محمد بن حسن وادي (ت ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م)، قلائد الزبرجد على حكم مولانا الغوث الرفاعي ، مطبعة المعارف ، بيروت ١٨٨٥م ، ص ٥٥ .

(٦٩) المستجد بالله : ابن المقتفي لامر الله ولد سنة ٥٥١هـ وبويع بالخلافة بعد والده ٣ ربيع الاول سنة ٥٥٥هـ واستمر الى ان مات في ٩ ربيع الاخر سنة ٥٦٦هـ فكانت خلافته ١١ سنة . ينظر : ابن الجوزي، عبد الرحمن (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) ، المنتظم ، الدار الوطنية ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ج ١٠ ، ص ٢٣٦ .

(٧٠) لا ترجمة له.

(٧١) الرفاعي ، المجالس الرفاعية ، ص ٣١-٣٨ ؛ النداوي ، ابو الحسن علي ، سيرة وترجمة الامام السيد احمد الرفاعي مؤسس الطريقة الرفاعية ، دائرة الشيخ علم الله الحسيني ، بريل ، الهند ، ١٩٧٨م ، ص ٢٤ .

(٧٢) الرفاعي المجالس الرفاعية، ص ٣١-٣٨ ؛ ابو الهدى الصيادي ، محمد بن حسن (ت ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م) ، الكليات الاحمدية ، مطبعة الواعظ ، مصر ١٩٠٨م ، ص ١٧٩ - ١٩٤ .

(٧٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٠ ص ١٩٣ - ١٩٤ .

(٧٤) عبد السميع: هو من اعيان ونجباء بني العباس ومن افضل علماء عصره وكان من اكابر واسط ومن خواصها ، ثقة امام حسن الرواية معروف بالصدق والزهد والعبادة . ينظر : ابو الهدى الصيادي ، قلائد الزبرجد ، ص ٢ .

(٧٥) ابو الهدى الصيادي ، قلائد الزبرجد ، ص ٢ .

(٧٦) الدميري ، عبد العزيز احمد (ت ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م) ، غاية التحرير في نسب احمد الرفاعي، تهذيب فادي علم الدين ، الولايات المتحدة ، ص ٤٩-٥٠ ؛ ابو الهدى الصيادي ، قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي واتباعه الاكابر، ص ٣٧ .

(٧٧) ابن الملقن ، طبقات الاولياء ، ص ٩٤ ؛ ابو الهدى الصيادي ، قلائد الزبرجد ، ص ٣٤ ؛ النبھاني ، جامع كرامات الاولياء ، ج ١ ، ص ٤٩٣ .

- (٧٨) الوتري ، روضة الناظرين ، ص ١٨ ؛ الفاروئي ، ارشاد المسلمين ، ص ٦-٧ .
- (٧٩) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، سنة ٥٧١هـ - ٥٨٠هـ ، ص ٢٤٨ .
- (٨٠) الصيادي ، المعارف المحمدية في الوظائف الاحمدية ، ص ٨٤ .
- (٨١) الوتري ، روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين ، ص ١٧ .
- (٨٢) الواسطي ، خلاصة الاكسير ، ص ٦٨ ؛ النداوي، سيرة وترجمة الامام احمد
الرفاعي، ص ٢٣ .
- (٨٣) الفاروئي، ارشاد المسلمين ، ص ١٣٠ ؛ البغدادي ، اسماعيل
(ت ١٣٩٩هـ / ١٩٨٧م) هدية العارفين ، اسماء المؤلفين هدية العارفين ، ج ١، ص
١٩ .
- (٨٤) ابو الهدى الصيادي، قلائد الزبرجد ، ص ٢ ؛ الصيادي ، قلاده الجواهر ، ص
٣٩٧ .
- (٨٥) الصيادي ، المعارف ، ص ٨٨-٩٢ .
- (٨٦) الواسطي ، الاكسير ، ص ٧٣ ؛ ابو الهدى الصيادي ، تنوير الابصار ، ص ٢٥ ؛
الموصللي ، احمد عزت باشا ، العقود الجوهريّة في مدائح الحضرة الرفاعية ، المطبعة
الخيرية، مصر ١٣٠٦ ، ص ٧٢ .
- (٨٧) السبكي ، طبقات ، ج ٥، ص ٢٤ ؛ ابو الهدى الصيادي، قلائد الجواهر، ص
٨٧ .
- (٨٨) ابن الملقن ، طبقات، ط ١، ص ٤٣٠ ؛ ابو الهدى الصيادي، قلائد الجواهر، ص
١٠٩ .

(٨٩) الفاروئي ، ارشاد المسلمين ، ص ١٢٩ ؛ ابن الوردي، عمر مظفر
(ت ١٣٤٨/هـ) ، تاريخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٦م ، ج ٢ ، ص ٩٣ ؛
ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ٤٥٥-٤٥٦ .

(٩٠) الوتري ، روضة الناظرين ، ص ٦٣ ؛ ابو الهدى الصيادي ، قلائد الجواهر ، ص
٢١٩ .

(٩١) الفاروئي، ارشاد المسلمين ، ص ١١٩-١٢٠ ؛ ابو الهدى الصيادي ، قلائد الجواهر ،
ص ٧٩ .

(٩٢) الغزي، شمس الدين ابن عبد الله محمد (ت ٩١٨/هـ ١٥١٢م) ، شرح ابن قاسم لمتن
ابي شجاع ، قدم له وعلق عليه يوسف عبد الرزاق ، مكتبة الحسين التجارية ،
المقدمة ص - ه - و .

(٩٣) الفاروئي ، ارشاد المسلمين ، ص ١٢٣ ؛ السقباني الدمشقي ، عبد الحكيم بن سليم
، سبيل النجاة الامين الممهّد ، مصر ، بلا ، ص ٩ .

(٩٤) ابن الملقن ، طبقات ، ص ٤٢٢ .

(٩٥) او الجيلاني ، امام صوفي لقب بياز الله الاشهب ، تاج العارفين وتنسب اليه
الطريقة القادرية ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٢١٩ .

(٩٦) وهو عدي بن مسافر بن اسماعيل بن موسى الهكاري مسكنا ، كان عالماً صوفياً
شيخ للشافعية الاكراد في جبال الهكار ولد في بيت قار من اعمال بعلبك وانقطع
للعبادة حتى توفي ، ينظر :ابن الاثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٤٥٩ .

(٩٧) الفاروئي ، ارشاد المسلمين ، ص ١٢٢-١٢٣ .

(٩٨) الفاروئي ، ارشاد المسلمين لطريق شيخ المتقين ، ص ٩٦-٩٧ ؛ الرفاعي ،
المجالس الرفاعية ، ص ٥٢ .

- (٩٩) علم الدين ، السيد فادي، المناقب اليفاعية في مناقب الرفاعية ، ص ٦ ؛ الندوي،
سيرة وترجمة الامام احمد الرفاعي، ص ٢٣ .
- (١٠٠) ابو الهدى الصيادي ، تنوير الابصار ، ص ٢٥ .
- (١٠١) الصياد ، المعارف المحمدية في الوظائف الأحمديّة ، ص ٨٨-٩٢ ؛ ابو الهدى
الصيادي ، قلائد الزبرجد ، ص ٣٤ .
- (١٠٢) ابن الملقن ، طبقات ، ص ٤٢٢ ؛ مجموعة من المؤلفين ، دائرة المعارف
الاسلامية، ترجمة محمد ثابت وآخرون، ط١، مطبعة مصر ١٩٣٤م، ج ١، ص
٤٦٥-٤٦٧-٤٦٩ .
- (١٠٣) الوتري ، روضى الناظرين ، ص ٨٩-٩٠ ؛ ابو الهدى الصيادي ، قلادة
الجواهر، ص ٣٣٦ ؛ التاريخ الاوحد ، ص ٦٥ .
- (١٠٤) الفاروئي ، ارشاد المسلمين ، ص ١٣٠ .
- (١٠٥) الوتري، روض الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين ، ص ٨٣ ؛ الندوي، سيره
وترجمة الامام الرفاعي ، ص ٢٢ .
- (١٠٦) ابو الهدى الصيادي ، قلائد الجواهر، ص ٣٢٣ .
- (١٠٧) ابو الهدى الصيادي، قلائد الجواهر ، ص ٣٢٨-٣٢٩ .
- (١٠٨) الوتري ، روضى الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين، ص ٨٥-٨٦ ؛ ابو
الهدى الصيادي ، قلادة الجواهر ، ص ٣٢٩-٣٣١ .
- (١٠٩) الوتري، روضى الناظرين ، ص ١٠٠ .
- (١١٠) الشواني ، طبقات ، ج ١ ، ص ١٥٣ - ١٥٤ .
- (١١١) الرواس ، محمد مهدي الصيادي الرفاعي (ت ١٢٨٧/هـ ١٨٦١م) ، طي السجل،
تحقيق حسن عبد الحكيم عبد الباسط ، دار البشائر، دمشق ١٩٩٧م ، ص ٣٢ ؛

- النداوي ، سيرة وتراجم الامام السيد احمد الرفاعي ، ص ٢٣؛ النبھاني ، جامع
الكرامات ، ج ٢، ص ٣٣.
- (١١٢) الواسطي الشافعي ، خلاصة الاكسير ، ص ٤٦.
- (١١٣) الواسطي الشافعي ، خلاصة الاكسير ، ص ٤٦ ؛ الفاروشي ، لعقود الجوهريّة ،
ص ٢٧.
- (١١٤) سورة الروم ، الاية ٧ ، الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) ، جامع
البيان عن تأويل اي القرآن تفسير الطبري، تحقيق احمد محمد شاكر ، مطبعة دار
المعارف، مصر ١٩٦٠ ، ج ٢٠، ص ٧٧.
- (١١٥) الرفاعي ، البرهان المؤيد، ص ٤ ؛ الرفاعي ، عبد الكريم بن محمد (ت
٦٢٣هـ/١٢٢٦م)، سواد العينين في مناقب الغوث ، ط ١، مطبعة الميرية، مصر
١٣٠١هـ ، ص ٦ ؛ النداوي ، سيرة وترجمة ، ص ٢١ ؛ ابو الهدى الصيادي ، قلادة
الجواهر، ص ٢٧٤ .
- (١١٦) هذا الرقم مبالغ به ولكن لشدة حبهم لشيخهم او قد يكون عدد الحضور لعدة ايام
او شهور.
- (١١٧) الرفاعي، البرهان المؤيد ، ص ٥.
- (١١٨) الخلوة المحرمية: وهي الخلوة الاسبوعية في كل عام تبدأ في اليوم الثاني من
عاشوراء اي يوم ١١ محرم وجعلوها شرطاً على كل من انتسب الى هذه الطريقة،
وهي خلوه مع الله سبحانه وتعالى بعيداً عن البشر وما حوله. ينظر : ابو الهدى
الصيادي ، الطريقة الرفاعية، مطبعة السعادة، مصر ١٣٢٥هـ ، ص ٤٢.
- (١١٩) الواسطي ، البرهان المؤيد ، ص ٦٨ ؛ الشعراني ، طبقات ، ج ١ ص ١٤٢ .
- (١٢٠) الواسطي ، حالة اهل الحقيقة ، ص ١٧٥-١٨٤.

- (١٢١) الالهيات : هو علم ينظر في الوجود المطلق فاولا في الامور العامة للجسمانيات والروحانيات وهو علم ماوراء الطبيعة . ينظر : ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٤٩٥ .
- (١٢٢) النبوءات : هي المعجزة دليل حسي او معنوي يعجز جميع البشر الموجودين عند ارسال الرسول عن الاتيان بمثله . ينظر : ابن تيمية ، ابو العباس احمد (ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م) النبوءات ، تحقيق المنوره ، ط ١ ، الرياض ، ٢٠٠٠ م ، ص .
- (١٢٣) علم السمعيات: كل ما ثبت بالسمع اي بطريق الشرع ولم يكن للعقل ولم يكن فيها مدخل ، وكل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من اخبار فهي بحق يجب لتصديقه سواء شاهدانه بدون اسناد او غاب عنا . ينظر : ابن قدامة المقدسي ، ابو محمد عبد الله بن احمد بن قدامة ، ت ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م ، لمعة الاعتقاد ، المكتب الاسلامي ، ط ٤ ، بيروت ١٣٩٥ هـ ، ص ٥-١٠ .
- (١٢٤) الواسطي ، الاكسير ، ص ٦١ ؛ الصياد، المعارف المحمدية ، ص ٦ .
- (١٢٥) الصيادي ، المعارف المحمدي ، ص ٤ .
- (١٢٦) الصيادي ، المعارف المحمدي ، ص ٦ .
- (١٢٧) الصيادي ، المعارف المحمدية ، ص ٦ .
- (١٢٨) الصيادي ، المعارف المحمدية ، ص ٦-٧ .
- (١٢٩) الصيادي ، المعارف المحمدية ، ص ٦-٧ .
- (١٣٠) الصيادي ، المعارف المحمدية ، ص ٤١ ؛ النداي ، سيرة ، ص ١٩ .
- (١٣١) النبهاني ، حليه الاولياء، ج ١ ط ، ص ٨٣ .
- (١٣٢) الذهبي ، تاريخ الاسلام ٥٧١-٥٨٠ هـ ، ص ٢٥٢ .
- (١٣٣) الذهبي ، ٥٧١ هـ - ٥٨٠ هـ ، ص ٢٥٣ ؛ النداي ، سيرة ، ص ٧٨ .
- (١٣٤) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ١٧١ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ص ٢٥٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣١٢ ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ٤٤٦ .

- (١٣٥) السامرائي ، محمود ، المجالس الرفاعية ، ص ص ٢٩-٣٠ .
- (١٣٦) الواسطي ، البرهان المؤيد ، ص ص ٤ ، ١٤ ، ٩ ، ٢٩ ، ٣٦-٣٨ ، ٥٧ .
- (١٣٧) الشعراني ، طبقات الفقهاء الشافعية ، ص ٤ .
- (١٣٨) سورة الاعراف ، الاية ١٩٦ .
- (١٣٩) الرفاعي ، حالة اهل الحقيقة ، ص ١١ . السيوطي ، جلال الدين بن عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥م) ، الشرف المختوم من الله على وليه احمد الرفاعي من تقبيل يدي النبي (ص) مطبعة شركة التمدن الصناعية ١٨٨٣ ، ص ٦ ، ٧ ، ٨ ؛ الصيادي ، المعارف المحمدية ، ص ٥٩ . .
- (١٤٠) الرفاعي ، البرهان المؤيد ، ص ١٠ ؛ الواسطي ، خلاصة الاكسير ، ص ص ٢٨-٢٩ ؛ الحنفي ، د. عبد المنعم ، الموسوعة الصوفية ، ط ١ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢٠٠٣م ، ص ٢٤٧ . .
- (١٤١) ابن الملقن ، طبقات الاولياء ، ص ٩٦ .
- (١٤٢) السبكي ، طبقات ، ج ٦ ، ص ٢٦-٢٧ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، سنة وفاة ٥٧١-٥٨٠هـ ، ص ٢٥١ .
- (١٤٣) الواسطي ، الاكسير ، ص ٦٠-٦١ .
- (١٤٤) ابن الملقن ، طبقات الاولياء ، ص ٩٥ .
- (١٤٥) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ص ٢٥٤ .
- (١٤٦) ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية ، ج ٢ ، ص ٥ .
- (١٤٧) الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) ، العبر في خبر من غير ، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ج ٣ ، ص ٧٥ .

- (١٤٨) الرفاعي ، سواد العينين ، ص ٣٩ .
- (١٤٩) المصدر نفسه ، ص ٦ .
- (١٥٠) الواسطي ، خلاصة الاكسير ، ص ٣٠ .
- (١٥١) الفاروئي ، ارشاد المسلمين لطريق شيخ المتقين ، ص ٩٦-٩٧ ؛ الرفاعي ،
المجالس الرفاعية ، ص ٥٢ .
- (١٥٢) الرفاعي ، سواد العينين ، ص ٦ ؛ العمري الموصلي ، العقود الجوهريّة ، ص ٢٧ ؛
النداوي ، سيرة ، ص ٦٧ .
- (١٥٣) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ١٧١ .
- (١٥٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ١١٩ .
- (١٥٥) الوافي بالوفيات ، ج ٧ ، ص ٢١٩ .
- (١٥٦) طبقات الشافعية ، ج ٢ ، ص ٥ .
- (١٥٧) الشعراني ، طبقات ، ج ١ ، ص ١٤٠ - ١٤١ . النبهاني ، جامع كرامات ،
ج ١ ، ص ٤٩٢ .
- (١٥٨) شذرات ، ج ٤ ، ص ٤٤٥ .
- (١٥٩) ج ١ ، ص ٤٩٠ .
- (١٦٠) ابن حنبل ، احمد ، (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م) مسند الامام احمد بن حنبل وبهامشه كنز
العمال ومعه فهرس المسند للالباني ، المطبعة الميمنية ، مصر ١٣١٣ هـ ، ج ٣ ،
ص ٣٢٨ .
- (١٦١) سورة القلم ، الاية ٤ .
- (١٦٢) الدؤلي : ويقال الديلي العلامة الفاضل قاضي البصره . وحدث عن عمرو وعلي
وابي كعب وآخرون . قرأ القرآن على عثمان بن عفان وعلي وهو اول من تكلم في

- النحو . اسلم في حياة الرسول واخذ من الامام علي (رض) العربية وتوفي بالطاعون . ينظر : الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٤ ، ص ٨٢-٨٦ .
- (١٦٣) النووي ، يحيى بن زكريا (ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م) ، ادا ب العالم والمتعلم ، ط ١ ، مكتبة الصحابة ، مصر طنطا ١٩٨٧ م ، ص ١٩ .
- (١٦٤) الهيتمي ، نور الدين علي (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م) ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، تحقيق : عبدالله الدرويش ، ط دار الفكر ، بيروت ١٩٩٢م ، ج ١ ، ص ١٥٥ .
- (١٦٥) الرفاعي ، الامام احمد (ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م) ، الحكم الرفاعية ، المطبعة الادبية ، بيروت ١٣٠١ هـ ، ص ٧ .
- (١٦٦) الشافعي : ابو عبد الله محمد بن ادريس المطلبي القرشي ، هو امام علم التفسير والحديث عالم باصول الفقه ومؤسس المذهب الشافعي الفقهي وعمل قاضياً وتوفي في مصر . ينظر : الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ١٠ ، ص ص ٥-١٧ .
- (١٦٧) النووي ، ادا ب العالم والمتعلم ، ص ١٤ .
- (١٦٨) الرفاعي ، الحكم الرفاعية ، ص ٧ .
- (١٦٩) الحسن البصري : بن ابي الحسن بن يسار يكنى بابي سعيد موسى الانصار وهو امام وعالم وكان فقيها وثقة كثير العلم فيما كان بجانب الربيع بن زياد الحارثي بخراسان وتوفي في البصرة ؛ ينظر : ابو قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩م) ، المعارف ، حققه وقدم له ، د. ثروت عكاشة ، ط ٤ ، دار المعارف ، مصر ، بلا تاريخ ، ص ٤٤٠-٤٤١ .
- (١٧٠) النووي ، ادا ب العالم والمتعلم ، ص ١٦ .
- (١٧١) الرفاعي ، الحكم ، ص ٩ .

(١٧٢) كميل : ابن نهيك بن خيثم النخعي الكوفي ولد باليمن سنة ٧هـ اسلم صغيراً ادرك النبي (صلى الله عليه وسلم) وقيل انه لم يره ، ارتحل مع قبيلته الى الكوفة في بدء انتشار الاسلام، وكان من سادات قومه وكان احد اعضاء الوفد القادم من الكوفة للاحتجاج على تصرفات والي الكوفة عند عثمان (رض) قتله الحجاج (ت ٨٢هـ).

الذهبي ، تاريخ الاسلام، ج ٢، ص ٩٩٣.

(١٧٣) ابو نعيم ، الاصفهاني ، حلية الاولياء، ج ١، ص ٨٠-٨١.

(١٧٤) الآمدي ، ناصح الدين عبد الواحد بن محمد التميمي ت (٥٠٧هـ / ١١١٤م) غرور الحكم ودرر الكلم باهتمام احمد بن باقر الكشميري ، مطبعة عمدة المطبعيين ، داووميان سنة ١٣١٢ هـ ، ص ٧.

(١٧٥) الرفاعي ، الحكم ، ص ١٢.

(١٧٦) الرفاعي ، الحكم ، ص ٨.

(١٧٧) الآمدي ، ص ٩٩-١٠٠.

(١٧٨) النووي، ادا ب العالم والمتعلم ، ص ١٦-١٧.

(١٧٩) سورة البينة ، الآية ٥.

(١٨٠) النووي ، ادا ب العالم والمتعلم، ص ٣٤.

(١٨١) الرفاعي، الحكم ، ص ٨.

(١٨٢) النووي، ادا ب العالم والمتعلم، ص ٣٤.

(١٨٣) المصدر نفسه، ص ٣٤.

(١٨٤) الرفاعي ، الحكم، ص ٨.

(١٨٥) النووي، ادا ب العالم والمتعلم، ص ٢٩-٣١.

- (١٨٦) الغزالي ، ابو حامد (ت ٥٠٥هـ / ١١١١م) ، احياء علوم الدين ، بقلم د. بدوي طبانة ، مكتبة ومطبعة كرياضة فوترا ، سماراغ ، اندنوسيا ، بلا تاريخ ، ج ١ ، ص ٥٠ ؛ النووي ، اداب العالم والمتعلم ، ص ٣١ .
- (١٨٧) الرفاعي ، الحكم ، ص ٩ .
- (١٨٨) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج ١ ، ص ٥٠ - ٥١ .
- (١٨٩) الرفاعي ، الحكم ، ص ٢٣ .
- (١٩٠) ابن ماجه ، ابو عبد الله محمد القزويني (ت ٢٣٧هـ / ٨٥١م) ، السنن ، تحقيق شعيب ارنؤوط ، ط ١ ، دار الرسالة العالمية ، مصر ، بلا تاريخ ، حديث ٣١٣ ، ص ٢٠٨ ؛ الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج ١ ، ص ٥٠ .
- (١٩١) الرفاعي ، الحكم ، ص ٢٣ .
- (١٩٢) النووي ، آداب العالم والمتعلم ، ص ٣١ .
- (١٩٣) المصدر نفسه ، ص ٣٠ .
- (١٩٤) سورة الانبياء ، الآية ١٠ .
- (١٩٥) الرفاعي ، الحكم ، ص ٢٤ .
- (١٩٦) سورة الحجرات ، الآية ١٣ .
- (١٩٧) الرفاعي ، الحكم ، ص ٣٠ .
- (١٩٨) مجاهد بن جبر ابو الحجاج التابعي المكي ، القرشي المخزومي . شيخ انواء والمفسرين حول السائب بن ابي السائب روى عن ابن عباس واخذ عنه القرآن والتفسير والفقه وعن ابي هريرة وعائشة (ت ١٠٢هـ) ، ينظر ابو نعيم الاصفهاني ، حلية الاولياء ، ج ٣ ، ص ٢٧٩ .
- (١٩٩) النووي ، اداب العالم والمتعلم ، ص ٣٢ .

- (٢٠٠) الرفاعي ، الحكم ، ص ٣٠ ؛ الحاكم النيسابوري ، ابو عبد الله محمد
(ت ٤٠٥هـ / ١٠٤١م) ؛ المستدرك على الصحيحين، صححه عبد السلام بن محمد ،
دار المعرفة ،بيروت ١٩٩٨م ، ج ١، ص ٣٠٤.
- (٢٠١) الرفاعي، الحكم ، ص ١٠.
- (٢٠٢) المصدر نفسه، ص ٩.
- (٢٠٣) الرفاعي ، الحكم ، ص ١٩.
- (٢٠٤) النووي ، ادا ب العالم والمتعلم ، ص ٣٤-٣٥.
- (٢٠٥) الرفاعي ، الحكم ، ص ١٩.
- (٢٠٦) الرفاعي، الحكم ، ص ٩ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٩.
- (٢٠٧) الرفاعي ، الحكم ، ص ١٨.
- (٢٠٨) الرفاعي، الحكم ، ص ١٠-١١.
- (٢٠٩) ابن عبد البر القرطبي ،يوسف بن عبدالله (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧١م) ، جامع بيان
العلم وفوائده ،حققه ابو الاشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي ، ١٩٩٤م ، ج ١، ص
٦٨ ؛ النووي ، ادا ب العالم والمتعلم ، ص ٤٤.
- (٢١٠) النووي، ادا ب العالم والمتعلم ، ص ٤٩.
- (٢١١) الرفاعي ، الحكم ، ص ٤٩.
- (٢١٢) النووي ، ادا ب العالم والمتعلم ، ص ٥٠ - ٥١.
- (٢١٣) محفوظ ، د. حسين علي ، الاستاذ الفاضل ، ندوة اقامها مركز احياء التراث
العلمي العربي ، جامعة بغداد ١٩٨٨ ، ص ٢٨ .
- (٢١٤) الرفاعي، الحكم ، ص ٣ ، ٩. النووي ، آدا ب العالم والمتعلم ، ص ٥٠-٥١ .
- (٢١٥) الرفاعي ، الحكم ، ص ٩.

(٢١٦) ابن جماعة بدر الدين محمد بن ابراهيم (ت ٧٢٣/هـ ١٣٢٣م) ، تذكرة السامع
والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ، طبع جمعية داشرة المعارف العثمانية ، حيدر
آباد الدكن ، ١٣٥٣ هـ ، ص ٢٨ .

(٢١٧) سعيد بن جبير: ابو محمد الامام الحافظ الشهيد الاسدي الوالي مولا هم الكوفي
روى عن ابن عباس قتله الحجاج . ينظر : ابو نعيم ، الاصفهاني حلية الاولياء ،
ج ٤ ، ص ٢٧٢ .

(٢١٨) تذكرة السامع ، ص ٢٨ .

(٢١٩) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الارنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط ١١
، ج ١٠ ، ص ٢٩ .

(٢٢٠) يحيى بن يزيد النوفلي: بن عبد الملك المدني روى عن ابيه وعنه ابراهيم بن سيد
الجوهري وكان خيراً. ينظر :ابن حجر ، احمد بن علي (ت ٨٥٢/هـ ١٤٤٨م) ،
لسان الميزان ، حيدر اباد الدكن ، ط ١ ، ، ١٣٣١م ، ج ٩ ، ترجمة ٨٥٣٨ .

(٢٢١) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج ١ ، ص ٦٨ ، ج ١ ، ص ٦٨ .

(٢٢٢) الرفاعي ، الحكم ، ص ٩ .

(٢٢٣) ابن عبد البر القوطي ، جامع بيان العلم وفضله ، ج ٢ ، ص ١٦٩ .

(٢٢٤) عبد الله ابو عبد الرحمن ابن احمد حنبل بغداد ، نشأ في بيت ورع وزهد وعلم ،
سمع احاديث والده ، واخذ يروي الحديث بعج والده ابو عبد الرحمن الشيباني ، عبد
بن احمد بن حنبل ت (٢٩٠/هـ ٩٠٢م) ، السنة ، تحقيق ودراسة د. محمد بن سعيد

سالم القحطاني ، ط ١ ، دار ابن القيم ، الدمام ، ج ١ ، ص ٣٧

(٢٢٥) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ١٠ ، ص ٤٥ .

(٢٢٦) الرفاعي ، الحكم ، ص ٨ .

(٢٢٧) البخاري ، محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م) ، صحيح البخاري، صححه
وضبطه ورقمه د. مصطفى النبار ، دار ابن كثير ، ١٩٩٣ ، حديث رقم ٦١٤٢ ،
ج ٢ ، ص ٢٣٨٧ .

(٢٢٨) الرفاعي، الحكم ، ص ٨ .

(٢٢٩) ابن عبد البر القرطبي ، جامع بيان العلم وفضله ، ج ١ ، ص ٨١١ .

(٢٣٠) الرفاعي ، الحكم ، ص ٧ .

(٢٣١) سورة عبس ، اية ٢٤ .

(٢٣٢) الغزالي، احياء علوم الدين ، ج ١ ، ص ٧٠ .

(٢٣٣) الرفاعي ، الحكم ، ص ٢٢ .

(٢٣٤) النووي ، اداب العالم والمتعلم ، ص ص ٤٥-٤٦ .

(٢٣٥) النووي ، اداب العالم والمتعلم ، ص ٤٦

(٢٣٦) الرفاعي ، الحكم ، ص ١١ .

(٢٣٧) النووي ، اداب العالم والمتعلم ، ص ٤٦

(٢٣٨) المصدر نفسه ، ص ٤٥ .

(٢٣٩) النووي ، اداب العالم والمتعلم ، ص ٤٦ .

(٢٤٠) المصدر نفسه ، ص ٤٦ .

(٢٤١) النووي ، اداب العالم والمتعلم ، ص ٤٧ .

(٢٤٢) زين العابدين ، الامام علي بن الحسين (ع) ت (٩٤هـ/٧١٢م) ، رسالة الحقوق،

ترجمة علي بيروي وليس زينب مرجان ، ص ٤٠ ، نت-رسالة الحقوق للامام زين
العابدين .

(٢٤٣) ابو الهدى الصيادي، الحكم ، ص ١٥ .

- (٢٤٤) الامام الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج ١ ، ص ٥٠-٥١ .
- (٢٤٥) ذو النون : نون بن ابراهيم احد اعلام التصوف ومن المحدثين الفقهاء ولد في مصر الزاهد العابد ، وكان ابوه نوبياً واول من تكلم بالترتيب الاحوال ومقامات اهل الولاية ، توفي في مصر ، ينظر: ابن التغري بردي ، جمال الدين ابي المحاسن (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ج ٢ ، ص ٣٨٣ .
- (٢٤٦) الغزي، بدر الدين محمد (ت ٩٨٤ هـ / ١٥٧٦ م) ، اداب العشرة وذكر الصحبة والاخوة ، حققه د. عمر موسى باشا ، دمشق ١٩٦٨ م ، ص ٢٠ .
- (٢٤٧) الرفاعي ، الحكم ، ص ٢٤ .
- (٢٤٨) الترمذي ، محمد بن عيسى (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) ، سنن الترمذي ، دار الكتب العلمية ، باب كتاب العالم ، ج ٥ ، ص ٤٧ .
- (٢٤٩) العاملي ، زين الدين بن علي (٩٦٥ هـ / ١٥٥٧ م) ، منية المريد في اداب المفيد والمستفيد ، تحقيق رضا المختاري ، مؤسسة تحقيقات ونشر معارف ال البيت (ع) ، ص ٢٦ .
- (٢٥٠) الرفاعي ، الحكم ، ص ٢١ .
- (٢٥١) الزربوجي ، برهان الدين (ت ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م) ، تعليم المتعلم طريق التعلم ، ط ١ ، الدار السودانية للكتب ٢٠٠٤ م ، ص ١٠ ؛ ابن جماعة ، تذكرة السامع ، ص ٨٣-٨٤ .
- (٢٥٢) ابن عيينه ، سفيان بن ابي عمر ميمون مولى محمد بن مزاحم الهلالي امام ومحدث شهير وعرف بالزهد والورع (ت ١٩٨ هـ / ٨١٣ م) واجمع الناس على صحة

حديثه ورواية .ينظر : الذهبي ، سير اعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة ، ج٨، ص٤٥٤.

(٢٥٣) علي بن المديني : هو ابو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجلج بن بكر بن سعد وهو من اكابر شيوخ البخاري وهو محدث (ت ٢٣٤هـ) . ينظر : الخطيب البغدادي ، احمد ابن علي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) ، تاريخ بغداد ، حققه بشار عواد ، دار الغرب الاسلامي، ط١، ٢٠٠١م، ج١٣، ص ٤٢١.

(٢٥٤) ابن جماعه ، تذكرة السامع ، ص ٨٤.

(٢٥٥) الرفاعي ، الحكم ، ص ٢٣.

(٢٥٦) ابن جماعه ، تذكرة السامع ، ص ٩٥.

(٢٥٧) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة ، سنة ٦٥٣هـ ، ص ٢٣.

(٢٥٨) المصدر نفسه ، سنة ٦٣٣هـ ، ص ٨١.

(٢٥٩) النووي ، ادا ب العالم والمتعلم ، ص ٤٠.

(٢٦٠) الرفاعي ، الحكم ، ص ٢٣.

(٢٦١) النووي ، ادا ب العالم والمتعلم ، ص ٤١ ؛ ابن جماعه ، تذكرة السامع ، ص ٣٨ .

(٢٦٢) سورة البقرة، اية ١٥٩.

(٢٦٣) سورة ال عمران ، اية ١٨٧.

(٢٦٤) النووي ، ادا ب العالم والمتعلم ، ص ٤١ ؛ ابن جماعه ، تذكرة السامع ، ص ٤٠.

(٢٦٥) النووي، ادا ب العالم والمتعلم ، ص ٤١-٤٢.

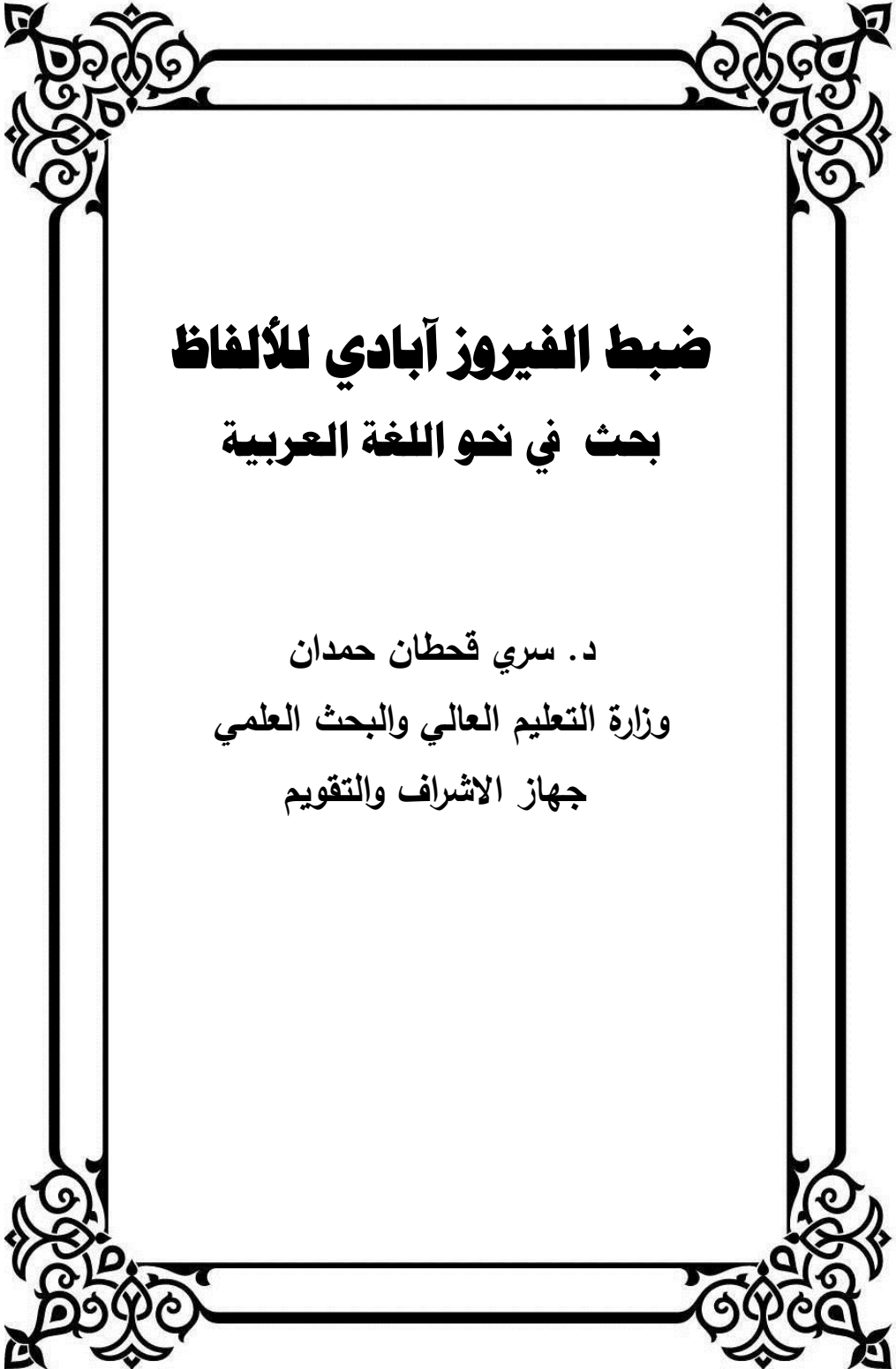
(٢٦٦) ابن جماعه ، تذكرة السامع ، ص ٤١.

(٢٦٧) الرفاعي، الحكم ، ص ٢٤.

(٢٦٨) ابن جماعه ، تذكرة السامع ، ص ٥٧-٥٨.

- (٢٦٩) المصدر نفسه ، ص ٦٨ .
- (٢٧٠) الرفاعي ، الحكم ، ص ٢٦ .
- (٢٧١) النووي ، اداب العالم والمتعلم ، ص ٤٧ .
- (٢٧٢) ابن جماعة ، تذكرة السامع ، ص ٩٦ .
- (٢٧٣) ابن جماعة ، تذكرة السامع ، ص ٩٧ .
- (٢٧٤) النووي ، اداب العالم والمتعلم ، ص ٤٦ .
- (٢٧٥) ابن سيرين : ابو بكر محمد بن سيرين البصري التابعي الكبير والامام القدير في التفسير والحديث والفقه ، وكان زاهد ورعاً . الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٤ ، ص ٦٠٦-٦٢٠ .
- (٢٧٦) النووي ، اداب العالم والمتعلم ، ص ٤٥-٤٦ .
- (٢٧٧) الرفاعي ، الحكم ، ص ١٩ .
- (٢٧٨) النووي ، اداب العالم والمتعلم ، ص ٤٠ .
- (٢٧٩) ذو النون المصري ، فيض بن ابراهيم النوبي الزاهد ، شيخ الديار المصرية . الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ١١ ، ص ٥٣٣-٥٣٦ .
- (٢٨٠) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ج ٩ ، ص ٣٦١ .
- (٢٨١) الرفاعي ، الحكم ، ص ٢١ .
- (٢٨٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣ .
- (٢٨٣) النووي ، اداب العالم والمتعلم ، ص ٤٦ .
- (٢٨٤) ابو الهدى الصيادي ، الحكم ، ص ٢٨ .

- (٢٨٥) النووي ، ادا ب العالم والمتعلم ، ص ٥٢؛ السخاوي ، محمد بن عبدالرحمن
(ت ٩٢٠هـ/١٤٩٦م) ، فتح المغي ب بشرح الفقه الحديث ، تحقيق : عبدالكريم بن
عبدالله ، دار المناهج ١٤٢٦هـ، ج ٣ ، ص ٧٢.
- (٢٨٦) الرفاعي، الحكم ، ص ٢٩.
- (٢٨٧) ابن ماجه ، ابن عبد الله القزويني (ت ٢٧٥هـ/١٨٨٨م) ، سنن ابن ماجه ، تحقيق
شعيب الارنؤوطي ، دار الرسالة العالمية ، ج ٥ ، ص ٩-١٠.
- (٢٨٨) ابن جماعة ، تذكرة السامع ، ص ١٣.
- (٢٨٩) المصدر نفسه ، ص ١٠.
- (٢٩٠) ابن عبد البر القرطبي ، جامع فضل العلم ، ج ١ ، ص ١٠٧.
- (٢٩١) الآمدي ، الدرر والغرر ، ص ٣٩ ، ١٦٠ ، ١٨٩ ، ٢٠٣.
- (٢٩٢) الرفاعي، الحكم ، ص ٧. الشعراني ، طبقات ، ط ١ ، ص ١٤٢
- (٢٩٣) النووي، ادا ب العالم والمتعلم ، ص ١٤.
- (٢٩٤) النووي ، ادا ب العالم والمتعلم ، ص ١٤.



ضبط الفيروز آبادي للألفاظ

بحث في نحو اللغة العربية

د. سري قحطان حمدان
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جهاز الاشراف والتقويم

ضبط الفيروز آبادي للألفاظ بحث في نحو اللغة العربية

د. سري قحطان حمدان

ملخص البحث

يدور هذا البحث حول مسألة مهمة في اللغة تتعلق بالضبط اللغوي وصيانة الألفاظ والأسماء والكلام عموماً من اللحن والخطأ ، لأن ذلك فيه خطر على اللغة ويؤدي الى تفشي الفساد في اللسان العربي ، والخوف من وصوله الى كتاب الله عزو جل ، وكان الفيروزآبادي من علماء اللغة الذين أولوا هذا الجانب اهتماماً كبيراً ، فلم يكن مصنف من مصنفاته - في اللغة و غيرها - يخلو من عنايته بضبط الألفاظ والتصحيح والتنبيه على الغلط في الكلام و في الشعر ، وحتى في أسماء الأماكن و الأشخاص والأعلام ، فكان يضبط الألفاظ على عدة صور، منها وصف الحركات ، و منها بالقياس على كلمة مناظرة ، و منها بوصف الحروف ، و كان يستند في ضبطه إلى القراءات القرآنية ، وإلى الشعر العربي ، و يصحح الأغلاط التي تقع عند العامة وعند العلماء ، فهو قد أسدى خدمة جليلة لعلوم اللغة العربية ، فجزاه الله و جزى العلماء جميعهم عنا كل خير، والحمد لله دائماً أبداً ، و صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

abstract

Going on this research on an important issue in the language relating to the linguistic exactly and maintenance of words and names, and generally speak of melody and error, because it poses a danger to the language and lead to widespread corruption in the Arab tongue, and the fear of arriving in the Book of Allah Izzo Gel, and it was Al-Fayroozabaadi of linguists who Ulloa this aspect much attention, it was not a workbook from his

works - in the language and others - without his care set the terms and the patch and alert the mistake in speech and in poetry, and even the names of places and people, flags, was adjusts words on several pictures, including description movements, and which by analogy with the word debate, and of them as characters, and was based in the set to the readings, and to the Arab poetry, and corrects mistakes, which is located at the public and the scholars, he has done a great service to science Arabic, Vdzah God and all of them scientists rewarded us all the best, and thank God always at all, and God bless our Prophet Muhammad and his family and him.

المقدمة

يمثل هذا البحث محاولة لإبراز دور الفيروزآبادي في ضبط الألفاظ على الوجه الصحيح و العمل على تصحيح ما وقع فيه بعض العلماء من أوهام ، و ما كان عند العامة من الغلط و اللحن ، و قد عني الفيروزآبادي بهذا الجانب عناية كبيرة ، فلا يكاد يخلو كتاب من مصنفاته من هذا الجانب ، وقد وقفتُ على عدد من مصنفاته وما دار فيها من ضبط ، فوجدته يستحق البحث و الدراسة ، فوضعت عنوان (ضبط الفيروزآبادي للألفاظ) لما أردت كتابته ، و كان على مبحثين : الأول: أساليب الضبط ، و الثاني : تصحيح الضبط ، تضمن المبحث الأول : وصف الحركات ، والضبط الناقص ، والضبط بتعيين الحرف ، ووزن الكلمة المناظرة ، والجمع بين وصف حركة الكلمة و وزنها، والضبط استناداً إلى اللغات، والضبط مع اختلاف المصطلح، و الضبط المتعدد، و الضبط على الوزن الصرفي . و تضمن المبحث الثاني : تصحيح أغلاط اللغويين ، و منع الغلط و التنبيه عليه ، و الاضطراب في الضبط ، و تفضيل

ضبط الفيروز آبادي للألفاظ بحث في نحو اللغة العربية.....

الضبط ، و أدلة الضبط ، و بعد ذلك ملخص بنتائج البحث ، و بعدها ثبتت المصادر والمراجع ، ثم الفهرس ، و هو جهد علمي لعل فيه فائدة لمن يطلع عليه من الباحثين أو غيرهم ، و لا أدعي أنني وفيته حقه إلا أنني حرصت أن أجمع فيه كل ما له علاقة بضبط الألفاظ عند هذا العالم الذي طالما خدم هذه اللغة و كتاب الله تعالى بما جاد من مصنفاته التي أتحف بها المكتبات العربية في علوم القرآن و اللغة .

الحمد لله الذي وفقنا لخدمة هذه اللغة لغة القرآن الكريم و لغة سيد الأنبياء والمرسلين عليه صلوات الله و سلامه أبد الآبدين وعلى آله و أصحابه أجمعين.

المبحث الأول: أساليب الضبط

هذا المبحث يدرس أساليب ضبط الألفاظ لأن الضبط جاء على صور متعددة و كل منها لها صفة تختلف عن الأخرى ، فلا بد من عرض كل أسلوب و بيان ما فيه من الألفاظ على وفق ما بينه المصنف ومعرفة الفرق بين كل أسلوب و آخر.

١- وصف الحركات

في هذا الأسلوب يذكر الكلمة ثم يذكر نوع الحركة على كل حرف من حروف الكلمة ، و له طريقتان في ذلك ، فمرة يستوفي ضبط جميع الحروف في الكلمة ،ومنه قوله ((: بَيَّسَانُ - بالفتح ، و سكون المثناة تحت ، بعدها سين مهملة وألف و نون : موضع في جهة خيبر قريب من المدينة ، و إياه أراد كثير بقوله^(١) :

فقلت و لم أملك سوابق عِبْرَةٍ سقى أهل بيسان الدجائن الهواضب^(٢)))

ومرة يضبط بعض الحروف و يهمل بعضها ، ومنه قوله : ((وسِنْدِيُونُ ، بكسر السين وفتح الدال وضمّ المثناة التحتيّة: قَرَيْتَانِ بِمِصْرَ ، إِحْدَاهُمَا بِفَوْءٍ وَالْأُخْرَى بِالشَّرْقِيَّةِ.))^(٣) زاد الزبيدي على هذا الضبط ضبط النون الساكنة الذي أهمله الفيروزآبادي ، لكنه

ضبط الفيروز آبادي للألفاظ بحث في نحو اللغة العربية.....

اكتفى بذكر الحركات دون الحروف فقال: ((سِنْدِيُون، بكسر فسكونٍ ففتحٍ فضمٍ: قَرَيْنَانِ بِمِصْرٍ إِحْدَاهُمَا فِي الْقَلِيوبِيَّةِ، وَالْأُخْرَى بِالْمَزَاهِمِيَّتَيْنِ))^(٤).

ومنه قوله: ((الإِصْفَعِيدُ، بكسر الهمزة وفتح الفاء وكسر العين المهملة: الْخَمْرُ.))^(٥)

ضبطه الزبيدي على نحو ما ضبطه الفيروزآبادي ، ونسبه الى الأزهري .^(٦)

ومن أمثلة هذا الضبط قوله: ((إِسْمٌ وَأُسْمٌ - بكسر الهمزة وضمّها -))^(٧)

وقوله: ((الْجَنَّةُ - بكسر الجيم - بمعنى الْجَنِّ {مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ} {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ} .))^(٨)

٢- الضبط الناقص:

و هو ضبط بعض الحروف دون بعض ، ومنه قوله : ((وَالشَّيْطَرُجُ، بكسر الشَّينِ: دَوَاءٌ م^(٩) ، مُعَرَّبٌ: جَبْتَرَكُ بِالْهِنْدِيَّةِ، نَافِعٌ لَوَجَعِ الْمَفَاصِلِ وَالْبَرَصِ وَالْبَهَقِ.))^(١٠).
اكتفى بضبط الشين و أهمل بقية الحروف . أما الزبيدي فقد أوفى الضبط حقه في حروف الكلمة إذ قال: ((وَالشَّيْطَرُجُ، بِكَسْرِ الشَّيْنِ، وَسُكُونِ التَّحْتِيَّةِ ، وَفَتْحِ الطَّاءِ وَالزَّاءِ: دَوَاءٌ مَ أَي مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْأَطِبَّاءِ، مُعَرَّبٌ عَنِ (جَبْتَرَكُ بِالْهِنْدِيَّةِ) ، اسْتَعْمَلَهَا الْعَرَبُ، نَافِعٌ لَوَجَعِ الْمَفَاصِلِ وَالْبَرَصِ وَالْبَهَقِ.))^(١١).

٣- الضبط بتعيين الحرف

يذكر الحرف بحسب تسلسله ويعطي ضبطه ، كقوله: ((النَّيْلَنُجُ، بكسر أوله: دُخَانُ الشَّحْمِ، يُعَالَجُ بِهِ الْوَشْمُ لِيَخْضَرَ.))^(١٢) وكان ضبط الزبيدي له أكثر تفصيلاً و توضيحاً ، قال: ((النَّيْلَنُجُ، بِكَسْرِ أَوَّلِهِ ، وَسُكُونِ التَّحْتِيَّةِ وَالنُّونِ الثَّانِيَةِ، وَفَتْحِ اللَّامِ، هَكَذَا هُوَ مُضْبُوطٌ عَلَى الصَّوَابِ.))^(١٣) وقال في موضع آخر : ((القطن - بالضم - والقطن - كعُتْل - والقطننة - بضم النون الأولى وبفتحتها -

(١٤) وقال أيضاً : ((يُونْتُ، بضم أوله وسكون النون: د بالمغرب، منه: إسماعيل بن عمر البونتي.)) (١٥) ومنه قوله : ((دُبَيْتِي، بضم أوله مقصوراً: ة (١٦) بواسط.)) (١٧) وقوله : ((بُزْرَج، بضم أوله وثانيه، ويُفْتَحُ أوله: عَلم، مُعَرَّب: بُزْرَك، أي: الكبير.)) (١٨) وقوله : ((وَجَلَنْدَاء، بضم أوله وفتح ثانيه ممدودة، وبضم ثانيه مقصورة: اسمُ ملكِ عُمَانَ)) (١٩) ومنه ما يتعلق بتقديم الحرف أو تأخيره ، كقوله : ((الحَبْجُ ، والحَبْجُ ، والحَبْجُ - مثلثة الأول - : خلية النحل ، وهو مقلوب الحَبْج - بتقديم الجيم ..)) (٢٠).

٤- الضبط بوزن الكلمة المناظرة :

يضبط الكلمة بالقياس على كلمة أخرى مشهورة تساويها في عدد الحروف و الوزن، و منه قوله: ((وشَغَفَه: أصاب شَغَافَه؛ ككَبَدَه: أصاب كِبَدَه..... وقوله تعالى: {قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا} أي أصاب حُبُّه شَغَافَهَا.)) (٢١) قاس كلمة (شَغَفَ) على كلمة (كَبَدَ) و كلاهما فعل ماضٍ صحيح ، وقوله : ((والجَلَعَيْ، كَحَبَنْطَى، ويُمَدُّ: الجافي الشَّرِيرُ،)) (٢٢) وزن كلمة (جلعى) على كلمة (حبنطى) ، و هما على وزن (فَعَنْلَى) (٢٣).

قال المبرد : ((إِنَّمَا هُوَ مِنْ حَبَطَ بَطْنَه، فالنون وَالْألف زائدتان؛ لتبلغ بهما بِنَاءَ سفرجل، وعلى هَذَا نَقُولُ لِلْمَرْأَةِ: حَبِنَاةٌ وَلَوْ كَانَتْ الْألف للتأنيث لم تدخل عَلَيْهَا الْهَاءُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ تَأْنِيثٌ عَلَى تَأْنِيثٍ)) (٢٤) ومن ذلك قوله : ((وَبَيْتُ الْمُقَدَّسِ، كَمَجْلِسٍ وَمُعَظَّمٍ. ومُحَدِّثٍ: الرَّاهِبُ. وَتَقَدَّسَ: تَطَهَّرَ. وَقُدَيْسَةٌ، كَجُهَيْنَةَ: بِنْتُ الرَّبِيعِ أُمُّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الزُّبَيْرِ بْنِ سَهْلٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ.)) (٢٥) ضبط كلمة (المقدس) على كلمة توافقها في الوزن هي مجلس ، وكذلك كلمة قُدَيْسَة ضبطها

بقياسها على كلمة (جهينة) ، و منها قياس كلمتي طابة وطيبة ، قال: ((طَابَةُ : مثال طَاقَةٍ و طَاعَةٍ ، و طَيِّبَةٌ : مثال غَيِّبَةٍ و عَيِّبَةٍ))^(٢٦)

ومن ذلك قوله : ((وسخِرت منه : إذا سخَّرتَه للهْزَم منه. وقيل: رجل سُخْرَة - كهَمْزَة - لمن يَسْخَرُ كِبْرًا. وسُخْرَة كَصِبْرَة لمن يُسَخَّر منه.))^(٢٧)
ومن نماذج هذا الضبط قوله : ((السَّلْعَفُ ، و الشَّلْعَفُ - كَجِرْدَحِلٍ - : الطويل المضطرب الخلق))^(٢٨).

وكذلك جاء هذا النوع من الضبط في ضبط الكلمات المثلثة على حسب أبواب الفعل ، كقوله : ((طَهَّرَ مِنَ الذَّنوبِ ، و طَهَّرَ ، و طَهَّرَ - كَنَصَرَ ، و كَرَّمَ ، و فَرَحَ : خَلَصَ و تَنَقَّى . و طَهَّرَتِ الْمَرْأَةُ مِنَ الْحَيْضِ - مثلثة الهاء - كذلك))^(٢٩) و منه قوله : ((الْخَرَسُ و الْخَرَشُ ، يقال : رجل خَرَسٌ ، و خَرَشٌ على وزن كَتَفٍ فيهما إذا كان لا ينام بالليل))^(٣٠) ومن ذلك ضبط الكلمة على وزن اسم العلم ، كقوله : ((أَخْرَمَ بَزَنَةً أحمد : اسم جبل بقرب المدينة ، بين ناحية ملل و الروحاء))^(٣١) و قوله : ((رَيْمَةٌ على وزن ديمة : وادٍ لبني شيبية قرب المدينة))^(٣٢).

٥- الجمع بين وصف حركة الكلمة و وزنه

في بعض المواضع يضبط الكلمة بوصف الحركات على حروفها ثم يضبطها بالقياس على كلمة مناظرة لها في الوزن ، و منه قوله : ((بئر أنا : بضم الهمزة ، وتخفيف النون ، كهْنا . و قيل : بالفتح و التشديد ، كحَتَّى . و قيل : أنَّى بالفتح ، وكسر النون المشددة بعده ياء))^(٣٣) وجمع بين الوصف و الوزن في قوله : ((إِمْدَانٌ، بكسر الهمزة والميم المُشَدَّدَة، كإِفْعِلَانٍ: ع.))^(٣٤).

٦- الضبط استنادا إلى القراءات

يذكر اللفظة و يضبطها كما وردت في القراءات القرآنية ، ومنه قوله : ((وَنَقَبَ الْجِدَارَ نَقْبًا: نَقَبَهُ، واسم تلك النُقْبَةِ نَقَبٌ أيضا. وَنَقَبَ الْخُفُّ الْمَلْبُوسَ، أَيْ تَخَرَّقَ. وَقَرَأَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ: {فَنَقَبُوا فِي الْبِلَادِ} بكسر القاف المخففة، أَيْ سَارُوا فِي الْأَنْقَابِ حَتَّى لَزِمَهُمُ الْوَصْفُ بِهِ. وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَ [أَبُو] عبيد: فَنَقَبُوا بفتح القافِ الْمُخَفَّفَةِ عَلَى أَصْلِ الْفِعْلِ، أَيْ سَارُوا.))^(٣٥) و منه قوله : ((وَقَرَأَ حَمْزَةُ بْنُ حَبِيبٍ الزِّيَّاتِ وَعَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ الْكِسَائِيُّ: الْمُثْنِثَاتُ بِكسر الشين، ومعناها المبتدئات في الجري.))^(٣٦).

٧- الضبط استنادا الى اللغات

يذكر الكلمة ويضبطها ثم ينسب الى لغة من لغات العرب ، ومنها كسر الحرف الأول من المضارع ، وجاء في قوله : ((وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا {إِنَّهُ لَا يَبْنِئُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ} وهذا على لغة تميم وأسد وقيسٍ وربيعه، يكسرون أَوَّلَ الْمُسْتَقْبَلِ إِلَّا مَا كَانَ فِي أَوَّلِهِ يَاءٌ نَحْوَ يَعْلَمُ لاسْتِقَالِهِمُ الْكُسْرَ عَلَى الْيَاءِ، وَإِنَّمَا يَكْسِرُونَ فِي يَبْنِئُ وَيَنْجَلُ لِنَقْوَى إِحْدَى الْيَاءَيْنِ بِالْأُخْرَى.))^(٣٧) يكسرون ياء المضارع (يبأس)، ومن ذلك قوله : ((وَقَرَأَ أَبُو عمرو وعيسى بن عمر وأبو السَّمَّالِ: {سَنَفْرُغُ لَكُمْ} بكسر النون وفتح الرَّاءِ^(٣٨) على لغة من يكسر أَوَّلَ الْمُسْتَقْبَلِ. وَقَرَأَ أَبُو عمرو أيضاً: {سَنَفْرِغُ} بكسر الرَّاءِ مع كسر النون، وزعم أن تميماً تقول نَعْلِمُ.))^(٣٩) كسر نون المضارع. ومنها قراءة (ملك) بتسكين اللام وكسرها ((وَقَرَأَ {مَلِكٌ} كسهل وروي عن أبي عمرو. وَأَصْلُهُ مَلِكٌ ككَتَفَ فَسَكَّنَ، وَهِيَ لُغَةُ بَكْرِ بْنِ وائِلٍ.))^(٤٠)

ومنها قراءة نعم بفتح العين و كسرها ((وَقَرَأَ الْكِسَائِيُّ: نَعِمٌ بِكسر الْعَيْنِ، وَهِيَ لُغَةُ كِنَانَةَ وَالْبَاقُونَ نَعَمٌ بفتح الْعَيْنِ. وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ نَحْمُ بِإِبْدَالِ الْعَيْنِ حَاءً.))^(٤١) أجمع اصحاب القراءات على نسبة قراءة الكسر إلى الكسائي^(٤٢).

ومن ضبط الألفاظ بالاستناد إلى اللغات قوله : ((وَجَدَ مَطْلُوبُهُ يَجِدُهُ وَجُوداً، وَيَجِدُهُ بِالضَّمِّ لُغَةً عَامَرِيَّةً لَا نَظِيرَ لَهَا فِي بَابِ الْمِثَالِ. وَوَجَدَ بِكسر الجيم لُغَةً، قَالَ جَرِيرٌ: (٤٣)

لَمْ أَرْ مِثْلَكَ يَا أَمَامَ خَلِيٍّ — أَنَا بِي بِحَاجَتِنَا وَأَحْسَنَ قِيلاً
لَوْ شِئْتُ قَدْ نَفَعَ الْفَوَادُ بِشَرْبَةٍ — تَدْعُ الصَّوَادِي لَا يَجِدُنْ غَلِيلاً
بِالْعَذْبِ مِنْ وَصْفِ الْقَلَاتِ مَقِيلَةً — قَضَّ الْأَبَاطِحَ لَا يَزَالُ ظَلِيلاً
وَوَجَدَ ضَالَّتَهُ وَجَدَاناً.)) (٤٤)

٨- الضبط مع اختلاف المصطلح

يضبط الكلمة بوصف الحركات ، فيذكر الحرف ، وإذا كانت حركته الفتح مرة يصفه مفتوحاً ومرة يصفه منصوباً ، وما كان حركته الضمة يصفه مضموماً وأحياناً يصفه مرفوعاً ، وجاءت على النحو أمثلة متعددة ، منها :

أ - مصطلحات الحركات

الضم والرفع

جاء ذلك في عدة مواضع ، إذ يستخدم المصطلحين الضم و الرفع ، فيصف الحرف بأنه مرفوع ، منها قوله : ((وَيُقَالُ هَذَا صِرَاطٌ عَلِيٌّ رَفِيعٌ إِنْ قَرَأْتَ بِكُسْرِ اللَّامِ وَرَفَعَ الْبَاءَ)) (٤٥) ، وقوله : ((قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {تَلَقَّفْ مَا صَنَعُوا} ، وَقَرَأَ ابْنُ ذَكْوَانَ: {تَلَقَّفْ} بِرَفْعِ الْفَاءِ عَلَى الْاسْتِثْنَاءِ)) (٤٦) وهذه القراءة لم تنسب إلى ابن ذكوان فحسب (٤٧) ، وإنما نسبت إلى ابن عامر ، قال ابن زنجلة: ((قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ {تَلَقَّفْ} بِرَفْعِ الْفَاءِ جَعَلَهُ فِعْلاً مُسْتَقْبِلاً فَأَضْمَرَ فَاءَ يَكُونُ جَوَابُ الْأَمْرِ كَأَنَّ التَّقْدِيرَ: أَلْقِ عَصَاكَ فَإِنَّهَا تَلَقَّفُ قَالَ الرَّجَاجُ وَيَجُوزُ الَّرْفَعُ عَلَى مَعْنَى الْحَالِ كَأَنَّهُ قَالَ أَلْقَهَا مُلْقَفَةً عَلَى حَالٍ مُتَوَقَّعةً كَمَا قَالَ {وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْثِرُ} أَيِ مُسْتَكْثِرًا)) (٤٨) ، و يذكر مصطلح الضم أحياناً

كما في قوله : ((وَقَصِرَ مَشِيدٍ { حُصَيْنٌ طَوِيلٌ لَيْسَ فِيهِ سَاكِنٌ إِنْ قُرِئَتْ بِنَصْبِ الْمِيمِ وَيُقَالُ مَجْصَصٌ إِنْ قُرِئَتْ بِضَمِّ الْمِيمِ وَتَشْدِيدِ الْيَاءِ))^(٤٩) وفي قوله : ((وقال تعالى: {وَأَتَيْنَا دَاوُودَ زَيْبُورًا} ، وقرئ بضَمِّ الزَّاءِ ، وذلك جمع: زَبْرٌ كظَرْفٍ وظُرُوفٍ.))^(٥٠) كذلك يستخدم مصطلح الضم في قوله : ((وَصَدَّاقُ الْمَرْأَةِ وَصِدَّاقُهَا - بالكسر - وَصَدَّقْتُهَا - بضم الدَّال - ما تعطى من مهرها. وقد أَصْدَقْتُهَا.))^(٥١) . وجاء المصطلحان في نص واحد ، كما في قوله : ((ويُقَالُ تَهْيَأْتُ لَكَ مَعْنَاهُ إِنْ قَرَأْتَ بِنَصْبِ الْهَاءِ وَالتَّاءِ هَلُمَّ لَكَ وَإِنْ قَرَأْتَ بِكَسْرِ الْهَاءِ وَضَمِّ التَّاءِ وَالهَمْزَةِ تَهْيَأْتُ لَكَ وَإِنْ قَرَأْتَ بِنَصْبِ الْهَاءِ وَرَفْعِ التَّاءِ تَعَالَ أَنَا لَكَ))^(٥٢) .

الفتح والنصب

ويستخدم مصطلحي الفتح و النصب في ضبط الحروف ، من ذلك قوله يشير الى النصب: (({وَيَذَرُكَ} يتركك {وَالِهَتَكَ} وَعِبَادَةُ آلِهَتِكَ إِنْ قَرَأْتَ بِكَسْرِ اللَّامِ وَنَصْبِ التَّاءِ وَيُقَالُ عِبَادَتُكَ بِالْإِلَهِيَّةِ إِنْ قَرَأْتَ بِنَصْبِ اللَّامِ وَالتَّاءِ))^(٥٣) . ومنه قوله: (({فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا} من تحت أَسْفَلِهَا يَعْنِي جِبْرِيلَ {أَلَّا تَحْزَنِي} يَا مَرْيَمُ عَلَى وَلَادَةِ عِيسَى {قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا} نَبِيًّا وَيُقَالُ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا إِنْ قَرَأْتَ بِنَصْبِ الْمِيمِ يَعْنِي عِيسَى أَنْ لَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا نَهْرًا صَغِيرًا))^(٥٤) .

وقوله وهو يشير إلى الفتح: ((وقال بعضهم : البُرُّ - بالفتح - من تتوالى منه أعمال البر))^(٥٥) ، و قوله : ((زَهَقَتْ نَفْسُهُ - بكسر الهاء وفتحها - : خرجت ، أو خرجت أَسْفًا))^(٥٦) وقوله ((والمسكين - بكسر الميم وفتحها - : من لا شيء له ، وهو أبلغ من الفقير.))^(٥٧) .

لكن وصف الحرف بأنه منصوب لم ينفرد به الفيروزآبادي ، فقد ورد في كتاب العين : ((والتَّجْفَافُ - بنصب التاء - : مصدر بَدَلُ التَّجْفِيفِ ، وتقول: جَفَفْتُ التَّجْفَافَ تَجْفَافًا أَي تَجْفِيفًا))^(٥٨) وفي كتاب غريب الحديث لابن سلام : ((وَأَمَّا السَّكَنُ بِنَصْبِ

ضبط الفيروز آبادي للألفاظ بحث في نحو اللغة العربية.....

الْكَافُ فَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ تَسْكُنُ إِلَيْهِ وَتَأْنِسُ بِهِ))^(٥٩) وفي كتاب تهذيب اللغة : ((يَوْمُ الْأَرْبَعَاءِ بِكَسْرِ الْبَاءِ مَمْدُودٌ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: أَرْبَعَاءٌ بِنَصْبِ الْبَاءِ،))^(٦٠) و في كتاب مقاييس اللغة : ((وَرُبَّمَا قَالُوا: عِدَاءٌ، بِنَصْبِ الْعَيْنِ. وَهُوَ الطَّلُقُ الْوَاحِدُ. قَالَ: يَصْرَعُ الْخَمْسَ عِدَاءً فِي طَلُقٍ))^(٦١) وفي لسان العرب : ((وَالْأَدَمُ، بِنَصْبِ الدَّالِ: اسْمٌ لِلْجَمْعِ عِنْدَ سَبْيَوَيْهِ مِثْلُ أَفِيقٍ وَأَفَقٍ.))^(٦٢) و في تاج العروس : ((وَأَجْمَعَ السَّبْعَةُ عَلَى جَرِ الْكَافِ وَالْإِضَافَةِ. وَقُرِئَ مَالِكٌ بِنَصْبِ الْكَافِ وَالْإِضَافَةِ، وَرُويَ ذَلِكَ عَنِ الْأَعْمَشِ.))^(٦٣) لكن أصحاب القراءات نسبوا هذه القراءة (كسر الكاف) الى عاصم، والكسائي، ويعقوب الحضرمي^(٦٤) ((وَقَرَأَ أَبُو صَالِحٍ (مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ) بِالْفِ وَالنَّصْبِ عَلَى النَّدَاءِ، وَكَذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ السَّمِيعِ الْيَمَانِيُّ (...))^(٦٥).

الكسر و الخفض و الجر

يضبط الحرف أو الكلمة ، فيستخدم أحد هذه المصطلحات ، ومن نماذج استخدام مصطلح الخفض قوله : ((فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ {تَمْنَعُوهُنَّ} {أَنْ يَنْكِحْنَ} أَنْ يَتَزَوَّجْنَ {أَزْوَاجَهُنَّ} الْأَوَّلِ وَإِنْ قَرَأْتَ بِخُفْضِ الضَّادِ فَهُوَ الْحَبْسُ))^(٦٦) وقوله : ((كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ} مَذْعُورَةٌ وَيُقَالُ ذَاعِرَةٌ إِنْ قَرَأْتَ بِخُفْضِ الْفَاءِ يَقُولُ مُسْتَكِينًا وَخَوْفًا {لَلَّيْنِ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ} الْأَهْوَالِ وَالشَّدَائِدِ {لَلنَّكُونِ مِنَ الشَّاكِرِينَ} مِنَ الْمُؤْمِنِينَ))^(٦٧) وقد يستخدم مصطلحين مختلفين في عبارة واحدة أو نص واحد ، مثل قوله : ((الفاء المفردة حرف مهمل. وقيل: حرف ناصبة نحو: ما تأتينا فتحدثنا. وقيل: يخفض نحو:

– فَمِثْلُكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقَتْ وَمُرْضِعٍ –^(٦٨)

بجَرِّ مِثْلٍ.))^(٦٩) ، إذ استخدم الخفض و الجر ، ومن ذلك قوله : ((وَقُرِئَ: {وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ} بِخُفْضِ (حِينَ))^(٧٠) و من استخدامه مصطلح الجر ((تَدْعُوهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً} سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَإِنْ قَرَأْتَ بِجَرِّ الْخَاءِ وَتَقْدِيمِ الْيَاءِ مِنَ الْفَاءِ))^(٧١) ومنه قوله :

((والتاء المفردة محرّكة في أوائل الأسماء وفي أواخرها، وفي أواخر الأفعال، [ومسكنة في أواخرها] .

والمحرّكة في أوائل الأسماء حرف جرّ للقسم...))^(٧٢) وكذلك قوله : ((وقرأ الكسائي وعاصم: {مالك يوم الدين} ، وقرأ باقي السبعة (مَلِك) كَفَرِح. وأجمع السبعة على جرّ الكاف والإضافة))^(٧٣).

ب - مصطلحات الحروف:

لم تكن اصطلاحاته في الحروف موحدة في جميع ما كتب ، و إنما تختلف بين حين وآخر، فهو يستعمل المصطلحات الحديثة في وصف الحروف ، لكنه في بعض المواضع يستخدم المصطلحات القديمة ، فيسمي الباء أحياناً الموحدة التحتية، والياء المثناة التحتية ، والتاء المثناة الفوقية ، والحروف المنقوطة معجمة ، وغير المنقوطة مهملة . إلى غير ذلك من المصطلحات .

المهمل و المعجم:

الحرف المهمل هو الذي ليس فيه نقط ، و المعجم هو المنقوط ، و قد يكون النقط فوق الحرف ، فيسمى فوقياً ، أو تحت الحرف فيسمى تحتياً.

وقد ورد ذكر المهمل في قوله : ((نَعَقَ الرَّاعِي بَغْتَمَهُ يَنْعِقُ بِالْكَسْرِ نَعِيقاً وَنُعَاقاً، أَيْ صَاحَ بِهَا وَزَجَرَهَا قَالَ الْأَخْطَلُ: ^(٧٤)

فَانْعِقْ بِضَانِكَ يَا جَرِيرُ فَإِنَّمَا مَنَّتْكَ نَفْسُكَ فِي الْخَلَاءِ ضَلَالاً

قال الله تعالى: {كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ} ، وحكى ابنُ كَيْسَانَ نَعَقَ الْغُرَابُ بَعِينَ مهملة أيضاً.))^(٧٥) وورد ذكر المعجم في قوله : ((سَلَّغَزَ، بِالْغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ: عَدَا عَدُوّاً شديداً.))^(٧٦)

واجتمع المعجم والمهملة في قوله : ((بَحْطَل: قَفَزَ قَفْزَانِ الْيَرْبُوعِ وَالْفَأْرَةِ، وَالظَّاءُ مَعْجَمَةٌ،
وَالْحَاءُ مَهْمَلَةٌ.))^(٧٧)

الموحدة والمثناة الفوقية والتحتية

جاء ذكر الموحدة و المثناة التحتية في قوله : ((بَلْيَا، بفتح الباء الموحدة وسكون
اللام بعدها مثناة تحتية))^(٧٨) و جاء ذكر المثناة الفوقية في قوله : ((عُنْثَم، كَفْنُفْ
والتاءُ مثناةٌ فَوْقِيَّةٌ: ابْنُ ثَوَابَةِ الطَّائِي، مُحَدَّثٌ.))^(٧٩) و جاء ذكر المثناة في قوله :
((وَرَجُلٌ مُقْنَعٌ اللَّحْيَةِ، بِكسر التاءِ الْمُثَلَّثَةِ: عَظِيمُهَا مُنْتَسِرُهَا.))^(٨٠).

الضبط المتعدد

يذكر الكلمة و يضبطها على أكثر من وجه ، ولكن قد يبقى المعنى نفسه،
وقد يتغير، ومن ذلك قوله : ((وَالسَّدَّ - بِالْفَتْحِ وَالضَّمَّ - وَاحِدٌ، أَوْ بِالضَّمِّ: مَا كَانَ
خَلْفَةً، وَبِالْفَتْحِ: مَا كَانَ مِنْ صُنْعِنَا. وَأَصْلُ السَّدِّ مَصْدَرٌ سَدَدْتَهُ. وَشَبَّهَ بِهِ الْمَوَانِعَ نَحْوُ:
{وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا} قرئ بِالضَّمِّ وَبِالْفَتْحِ.))^(٨١) . قال ابن مجاهد في نسبة
هاتين القراءتين : ((وَاخْتَلَفُوا فِي فَتْحِ السَّيْنِ وَضَمِّهَا مِنْ قَوْلِهِ {وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
سَدًّا وَمَنْ خَلْفَهُمْ سَدًّا} ، فَقَرَأَ حَمْرَةَ وَالْكَسَائِيُّ وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ {سَدًّا وَمَنْ خَلْفَهُمْ سَدًّا}
مَفْتُوحَتِي السَّيْنِ ، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَنَافِعٌ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ وَأَبُو بَكْرِ عَنْ عَاصِمٍ
{سَدًّا وَمَنْ خَلْفَهُمْ سَدًّا} مَضْمُومَتِي السَّيْنِ))^(٨٢) . و لكل من قراءة الضم و الفتح توجيه
لغوي ، وفصل القول في ذلك بعض علماء القراءات ، إذ ((قَالَ أَبُو عبيد: كل شيء
وجدته الْعَرَبُ مِنْ فَعَلَ اللهُ مِنَ الْجِبَالِ وَالشَّعَابِ فَهُوَ سَدٌّ بِالضَّمِّ وَمَا بَنَاهُ الْآدَمِيُّونَ فَهُوَ
سَدٌّ بِالْفَتْحِ وَكَذَا قَالَ أَيْضًا عِكْرِمَةُ فَذَهَبَ حَمْرَةُ وَالْكَسَائِيُّ فِي قَوْلِهِ {أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
سَدًّا} أَنَّهُ مِنْ صَنَعَ النَّاسِ وَفِي يَسٍ إِلَى الْمَعْنَى وَذَلِكَ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْفَتْحُ فِيهِمَا

ضبط الفيروز آبادي للألفاظ بحث في نحو اللغة العربية.....

على معنى المصدر الذي صدر عن غير لفظ الفعل لأنه لما قالَ {وَجَعَلْنَا من بَيْنَ أَيْدِيهِمْ سدا} كَأَنَّهُ قَالَ وسدنا ثم أخرج المصدر على معنى الجعل إذا كَانَ معلوماً أَنَّهُ لم يرد بقوله في يس {سدا} مَا أُريد بِهِ فِي قَوْلِهِ {بَيْنَ السَّيْنِ} لَأَنَّهُمَا جَبَلَانِ وَهِيَ هَا هُنَا عَارِضٌ فِي الْعَيْنِ))^(٨٣) وقال في موضع آخر : ((وَتَحْلُبَةُ، بضم التاء واللام، وبفتحهما وكسرهما، وضم التاء وكسرها مع فتح اللام: إذا خَرَجَ من ضَرْعِهَا شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ يُنْزَى عَلَيْهَا.))^(٨٤) وقال في ضبط بعض المواضع على وجهين ((بئر رُومَة - بضم الراء ، وسكون الواو ، وفتح الميم ،بعدها هاء - وقيل : بعد الراء همزة ساكنة - و هي بئر في عقيق المدينة))^(٨٥) ومن ذلك ما يكون ضبطه على الأصل وعلى التصغير، كقوله: ((الْبَجْرَاتُ - : بفتح الباء والجيم - ويقال فيه : البَجِيرَاتُ - بالتصغير - : وهي مياه كثيرة من مياه السماء في جبل شوران المطل على عقيق المدينة))^(٨٦).

الضبط على الوزن الصرفي

في بعض المواضع يضبط الكلمة بالقياس على وزنها الصرفي ، ومنه قوله : ((الْحَنِئُ، وَالْحَنِئُ ، وَالْحَنِئُ - مثلثة الحاء - : الْقِسِيُّ . الواحدة حَنِئَةٌ عَلَى فَعِيلَةٍ))^(٨٧) وقوله : ((و الجَعِيلَةُ - عَلَى فَعِيلَةٍ - : ما جعلته للإنسان على عمل أردته))^(٨٨) ومنها ما ضبطه قياساً على اسم الفاعل ، مثل قوله ((ضاجِكُ ، بلفظ اسم الفاعل ، من : ضَجِكَ : جبل من أعراف المدينة))^(٨٩) ومنه ما يورده قياساً على مفرد كلمة مجموعة ، كقوله : ((ظَبْيَةٌ بلفظ واحدة الظباء: موضع قرب المدينة، بديار جهينة))^(٩٠) ومن الكلمات التي يضبطها ما يذكر دلالتها الصرفية أو بناءها الصرفي ، مثل قوله : ((التفاوت والتفاوتُ و التفاوتُ - مثلثة الواو - مصدر تَفَاوَتَ الشَّيْئَانِ تَفَاوُتًا))^(٩١).

ضبط الفيروز آبادي للألفاظ بحث في نحو اللغة العربية.....

و قد يذكر الضبط للتفريق بين مدينتين قد يلتبس على السامع أنهما واحدة ، كأن تزداد التاء في إحداهما ، فيفرق بين يثرب ، ويثربة ، لأن يثرب هي الاسم القديم للمدينة المنورة، ((و أما قول الراعي^(٩٢) :

أَوْ رَعْلَةً مِنْ قَطَا فِيحَانَ حَلَّاهَا عَنْ مَاءِ يَثْرِبَةَ الشُّبَّاكُ وَالرَّصَدُ

فيثربة بزيادة هاء اسم لموضع آخر ببلاد العرب))^(٩٣)، وكذلك يفرق بين ما يمكن أن يلتبس لتشابه الحروف ، مثل يثرب بسكون التاء وكسر الراء وهي المدينة ، ويثرب بسكون التاء وفتح الراء ، فقال: ((أجمعوا على تثنية التاء و فتح الراء في قول الأشجعي :

وَعَدَتْ وَكَانَ الْخُلْفُ مِنْكَ سَجِيَّةً مَوَاعِيدَ عُرْقُوبٍ أَخَاهُ يَثْرِبُ

ويثرب هذه مدينة بحضرموت نزلها كندة، و يقال إن عرقوب صاحب المواعيد كان بها))^(٩٤) .

المبحث الثاني

تصحيح الضبط

في هذا المبحث عرض لعدد من المواضع التي ذكرها الفيروزآبادي في ضبط الألفاظ وهي التي ضبطها غيره على وجه لم يكن يراه صحيحاً ، فيشير إلى خطأ اللغويين ثم يذكر اللفظ الصحيح عنده استناداً إلى قواعد اللغة ، أو يصحح الخطأ الذي يجده شائعاً، فيذكر الوجه الصحيح ثم ينهى عن اللفظ بغيره ، بقوله : لا تقل كذا....، و أذكر هنا أمثلة على ما مر ذكره :

١- تصحيح أغلاط اللغويين:

ومما ذكره الفيروزآبادي في هذا النوع من التصحيح قوله : ((وَجَاءَ أَنِي، وَهَمَ فِيهِ الْجَوْهَرِيُّ، وَصَوَابُهُ: جَايَأَنِي، لِأَنَّهُ مُعْتَلٌّ الْعَيْنِ مَهْمُوزٌ اللَّامُ، لَا عَكْسُهُ، فَجَنَّتْهُ))^(٩٥) ،

قال الجوهري : ((وجاء أني على فأعلني فجنته أجيئه، أي غالبني بكثرة المجيء فغلبيته.))^(٩٦) ، ومن ذلك ما يرد عن غيره منبهين على أنه لحن لكنه يرد ما ذهبوا إليه و يصححه ، و هذا يتبين في قوله : ((وغير بمعني: سوى، وتكون بمعني لا: لمَن اضطرَّ غير باغٍ} ، أي: جائعاً لا باغياً، وبمعني إلا، وهو اسمٌ مُلَازِمٌ للإضافة في المعنى، ويُقَطَّع عنها لفظاً إن فهمَ معناه وتقدَّمت عليها ليسَ، قيلَ وقولهم: لا غير لَحْنٌ، وهو غير جيِّدٍ، لأنَّه مَسْمُوعٌ في قول الشاعر^(٩٧):

جواباً به تنجو اعتمد قورينا
لَعْنِ عَمَلٍ اسْلَفَتْ لا غيرُ تُسألُ))^(٩٨)

ومن ذلك قوله : ((الفَصُّ: لِلخَاتِمِ، مُثَلَّثَةً، والكسر غير لَحْنٍ، ووهَم الجوهريُّ ج: فُصُوصٌ، ومُنْتَقَى كُلُّ عَظَمَيْنِ))^(٩٩) ومن التصحيح ما يقع في صيغة الكلمة عند رواية الحديث فينبه على الغلط ثم يصححه ، و جاء في قوله : ((وفى الحديث الصحيح من قول خديجة: "إنَّكَ لتصل الرَّحِمَ، وتحملُ الكَلَّ، وتكسبُ المَعْدُومَ". هكذا يروونه. والصَّوابُ وتكسبُ المَعْدِمَ أي: تعطي العائل وتُرفده. وتكسب بفتح التاء أفصح من ضمها.))^(١٠٠) . لكن الرواية الصحيحة كما في الصحيحين (المَعْدُوم) وهذا خلاف ما ذكره الفيروزآبادي ، إذ ورد في صحيح البخاري ((فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ))^(١٠١) ، وذكر بعض الألفاظ التي توهم المصنفون فيها فصحوها ، ومنها قولهم الهدراء بدل العذراء ، وهي من أسماء المدينة ، فصح الخطأ وأعاد ضبطها ، ثم أشار إلى وجود مدينة أخرى على هذا الاسم ، فقال: ((وتصحف على بعض المصنفين هذه اللفظة ، فأثبت مكان العذراء الهدراء بالهاء ، فلا تغتر بها فإنها زلة ناسخ أو عثرة راسخ ، وبالله التوفيق. و أما قول الراعي^(١٠٢):

و كم من قتيلٍ يوم عذراء لم يكن
لصاحبه في أول الدهر قاليا

فإنما أراد العذراء التي بغوطة دمشق))^(١٠٣)

ومن ذلك تنبيهه على الخلط بين البقيع و النقيع و ما وقع من خطأ عند بعضهم ثم صححه بقوله : ((و قال الزبير بن بكار : أعلى أودية العقيق: البقيع . هكذا قاله ياقوت في باب الباء^(١٠٤) ، و هو خطأ ، و الصواب : النقيع - بالنون - و تصحف على ياقوت ، و الذي ذكره الزبير بالنون))^(١٠٥) و من ذلك ما يروى بالإهمال و الإعجام ثم يختار الصحيح فيقول : ((تعار - بالكسر ، و يروى بالغين المعجمة ، و الصحيح الإهمال : جبل من أعمال المدينة))^(١٠٦).

٢- منع الخطأ والتنبيه عليه

هنا يذكر اللفظ الصحيح و ينهى عن اللفظ غير الفصيح ، ومنه قوله في منع رفع (عند) : ((وعند معناه حضور الشيء وذنوه. وفيها ثلاث لغات: عند وعند وعند: وهي ظرف في المكان والزمان، تقول: عند الليل، وعند الحائط إلا أنها ظرف غير متمكن، لا تقول: عندك واسع بالرفع.))^(١٠٧) ومن ذلك قوله في منع بعض صيغ التصغير: ((والشيء تصغيره شيءٌ وشيءٌ بكسر الشين. لا تقل: شويء. والجمع: أشياء غير مصروفة.))^(١٠٨) وقوله في منع فتح دال (ضفدع) : ((الضفدع ، والصفدع ، و الضفدع - كجعفر ، وقنفذ، وزبرج - ولا تقل : ضِفْدَع - بفتح الدال - لأنه ليس في الكلام فِعْلٌ ، سوى دِرْهَمٍ ، وَهَجْرٍ ، وَهَيْلٍ))^(١٠٩) وقد يشير الى تصحيح بعض الكلمات التي يظن الناس أنها أعجمية ، فيزيل هذا الوهم و يرجعها إلى العربية ، ومنه قوله : ((الدَّسْتُ و الدَّسْتُ - بفتح الدال - : الصحراء الواسعة ، ولا يتوهم أن الدست فارسية ، بل إنما هي عربية أغاروا عليها ، قال في كساء من صوف :))^(١١٠)

مَنْ كَانَ ذَا بَتْ فَهَذَا بَتَّى مُقَيِّظٌ مُصَيِّفٌ مُشَتَّى

تَخَذْتُهُ مِنْ نَعَجَاتٍ سِتٍّ سَوْدٍ سِمَانٍ مِنْ نَعَاجِ الدَّسْتِ^(١١١)

وفي بعض المواضع يذكر الألفاظ ويضبطها ويبين معانيها ثم ينبه على اللحن الذي يقع فيه الناس بنطقه على غير ما وضع له ، فمنها ما يقع في الحركات ، و من ذلك قوله : ((و أَوْشَكَ الْأَمْرُ أَنْ يَكُونَ ، يَوْشِكُ - بكسر الشين - ويلحن العامة في فتحه))^(١١٢) ومنه قوله : ((وَالْغَلِيُّ وَالْغَلِيَانُ فِي الْقَدْرِ إِذَا طَفَحَتْ. وَقَدْ غَلَّتْ وَأَغْلَاهَا وَغَلَّاهَا، وَلَا تَقُلْ: غَلِيَتْ فَإِنَّهَا لَحْنٌ. قَالَ يَفْتَخِرُ بِالصَّاحَةِ: (١١٣)

وَلَا أَقُولُ لِقَدْرِ الْقَوْمِ قَدْ غَلِيَتْ وَلَا أَقُولُ لِبَابِ الدَّارِ مَغْلُوقٌ

لَكِنْ أَقُولُ لِبَابِي مُغْلَقٌ وَغَلَّتْ قَدْرِي وَقَابِلُهَا دَنْ وَابْرِيْقُ

وقال تعالى: {يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلِي الْحَمِيمِ} ، وبه شبه غَلِيَانُ الْغَضَبِ (والحرب))^(١١٤) ومنه قوله : ((وَالدَّبْرِيُّ، مُحْرَكَةٌ: رَأْيٌ يَسْنَحُ أَخِيْرًا عِنْدَ قُوْتِ الْحَاجَةِ، وَالصَّلَاةُ فِي آخِرِ وَقْتِهَا، وَتُسَكَّنُ الْبَاءُ، وَلَا تَقُلْ بَضْمَتَيْنِ، فَإِنَّهُ مِنْ لَحْنِ الْمُحَدِّثِينَ.))^(١١٥).

ومنه ما يقع في الحروف ، كتغيير الحرف أو إبداله بحرف مقارب ، و مثال ذلك قوله : ((وَالشَّحَاتُ: لِلشَّحَاذِ، مِنْ لَحْنِ الْعَوَامِّ.))^(١١٦) و قوله : ((تُسَنَّرُ، كَجُنْدَبٍ: د. وَشُسْتَرٌ (بمعجمتين) : لَحْنٌ، وَسُوْرُهَا أَوَّلُ سُورٍ وُضِعَ بَعْدَ الطُّوفَانِ.))^(١١٧)، و من ذلك زيادة حرف إلى الكلمة ، وقد نبه عليه في قوله : ((النَّمُوْدَجُ، بفتح النون: مِثَالُ الشَّيْءِ، مُعَرَّبٌ. وَالْأَنُمُوْدَجُ لَحْنٌ.))^(١١٨) و قوله : ((وَالْمَاسُ: حَجَرٌ مُتَقَوِّمٌ، أَعْظَمُ مَا يَكُونُ كَالْجَوْزَةِ نَادِرًا، يَكْسِرُ جَمِيعَ الْأَجْسَادِ الْحَجَرِيَّةِ، وَإِمْسَاكُهُ فِي الْفَمِ يَكْسِرُ الْأَسْنَانَ، وَلَا تَعْمَلُ فِيهِ النَّارُ وَالْحَدِيدُ، وَإِنَّمَا يَكْسِرُهُ الرِّصَاصُ، وَيَسْحَقُهُ، فَيُوْخَذُ عَلَى الْمَنَاقِبِ، وَيُنْقَبُ بِهِ الدُّرُّ وَغَيْرُهُ. وَلَا تَقُلْ: أَلْمَاسٌ، فَإِنَّهُ لَحْنٌ..))^(١١٩). ومن ذلك ما يقع في التنقيط و التخفيف ، و جاء في قوله : ((وَمَسَارٌ: حِصْنٌ بِالْيَمَنِ، وَتَخْفِيفُ الرَّاءِ لَحْنٌ. وَسَرٌّ جَاهِلًا: لَقَبٌ، كَتَابَطٌ شَرًّا.))^(١٢٠) وقد يحدث تصحيف في بعض الكلمات فينبه عليه و

ضبط الفيروز آبادي للألفاظ بحث في نحو اللغة العربية.....

يصح الضبط ، و منه قوله: ((بئر مَعُونَة - بفتح الميم ، و ضم العين ، ثم واو ، و نون مفتوحة ، و هاء - ، وقد تتصحف ببئر معاوية التي بين عسفان و مكة ، و ليست بها ، فإن تلك بالياء وضم أوله ، و أما هذه التي بالنون ، فبئر بين جبال يقال لها : أبلَى في طريق المصعد من المدينة الى مكة ، وهي لبني سليم))^(١٢١) وقال في تصحيح ضبط بعض ألفاظ التصغير : ((و البُحَيْرَةُ ليست بتصغير بحر ، ولو كان تصغيره لكان بُحَيْرٌ ، و لكنهم أرادوا بالتصغير حقيقة الصغر ، ثم ألحقوا به التأنيث على معنى أن المؤنث أقل قدراً من المذكر ، و شبهوه بالمتسع من الأرض))^(١٢٢).

الاضطراب في الضبط

في هذا الموضع لا يحسم القول في الضبط برأي قاطع، و إنما يضبط الكلمة على وجهين فيذكر أن أحدهما صواب و الآخر لحن ، أو هو صواب ، مثل قوله : ((والجَبْرِيةُ، بالتحريك: خِلافُ القَدْرِيةِ، والتَّسْكِينُ لَحْنٌ، أو هو الصَّوابُ، والتَّحْرِيكُ للزَّادِواجِ.))^(١٢٣) و من ذلك قوله : ((الزَّئْبُرُ ، كضِبْلٍ، وقد تضمُّ الباءُ أو هو لَحْنٌ: ما يَظْهَرُ من دَرَزِ النَّوْبِ،))^(١٢٤) و منه ما يتردد بين الفتح و الضم ، وذلك في قوله: ((وسُرٌّ من رأى، بضم السين والراء، أي: سُروْرٌ، وبفتحهما وبفتح الأول وضم الثاني، وسامرًا، ومَدَّه البُحَيْرِيُّ في الشَّعْرِ، أو كِلَاهُمَا لَحْنٌ.))^(١٢٥) و من ذلك قوله : ((المَجْرُ: ما في بَطُونِ الحَوَامِلِ من الإِبِلِ والغَنَمِ، وأن يُشْتَرَى ما في بَطُونِها، وأن يُشْتَرَى البعيرُ بما في بَطْنِ الناقةِ، وبالتحريك لُغِيَّةٌ أو لَحْنٌ.))^(١٢٦)، و من ذلك قوله : ((والأَرِطُ، ككَتِفٍ: لَوْنٌ كَلَوْنِ الأَرِطَى. وأَرِطَتِ الأرضُ: أَخْرَجَتْهُ، كَأَرِطَتِ إِرْطَاءً، أو هذه لَحْنٌ للجوهريِّ. وبخطُّ بعض الأَدْبَاءِ: أَرِطَتِ، مُشَدَّدَةُ الرَّاءِ، وهي لَحْنٌ أيضاً.))^(١٢٧) وقوله في ضبط بعض المدن : ((عَرْنَاطَةُ: د بالأنْدَلُسِ، أو لَحْنٌ والصواب: أَعْرَنَاطَةُ، ومعناها: الرُّمَّانَةُ، بالأنْدَلُسِيَّةِ.))^(١٢٨)

ومنها ما يتردد بين كونه لحناً أو لغة ، وجاء في قوله : ((والمُسَمَّكَاتُ ، كَمُكْرَمَاتٍ : السماواتُ . والمَسْمُوكَاتُ ، لَحْنٌ ، أو هي لُغَةٌ.))^(١٢٩)

تفضيل الضبط

هنا يذكر الكلمة ويضبطها بوجهين ، ثم يختار الوجه الذي يفضلهُ هو ، ومنه قوله : ((يوم بَعَاثٍ ، وبُعَاثٍ ، و بِعَاثٍ - بتثليث الأول - : يوم معروف كان بين الأوس و الخزرج . وبُعَاث اسم الموضع الذي كانت فيه الوقعة ، وقيل : هي بالغين المعجمة ، و الأول أصح))^(١٣٠) و منه قوله في تفضيل الكسر على غيره من الحركات عند ضبط الكلمة : ((الحَجْرُ بالكسر والفتح والضمّ - والكسر أفصح - الحرام ، قال تعالى {وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا} أى حراماً محرماً ، يظنون أنّ ذلك ينفعهم كما كانوا يقولونه لمن كانوا يخافونه في الشهر الحرام))^(١٣١) و كذلك قوله : ((وَالْمَحْشَرُ وَالْمَحْشِرُ - بفتح الشين وكسرها - موضع الحشر ، والكسر أفصح))^(١٣٢) و منه ما يذكره في تفضيل التعدية بالحرف على التعدية بغير حرف مثل قوله : ((يقال : شَكَرْتُهُ ، وشكرت له . وتعديته باللام أفصح ، قال الله تعالى : {واشكروا لي} ، وقال جَلَّ ذكره : {أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ} .))^(١٣٣) و منه ما يفضل فيه التحريك على التسكين ، كقوله : ((فَهَمَّه فَهَمًّا ، وَفَهَمًا - بالتحريك وهي أفصح - وَفَهَامِيَّةٌ : علمه.))^(١٣٤) ، ومن الضبط ما يروى من الكلمات على وجهين كل منهما يروى بحرف لكنهما يتقاربان في الصوت ، ومنه قوله : ((واللازب : الثابت . صار الشيء ضَرْبَةً لازب ، وهو أفصح من لازم ، قال النابغة الذبياني :))^(١٣٥)

يصونون أجسادا قديما نعيمها بخالصة الأردان خُضر المناكب

ولا يحسبون الخير لا شرَّ بعده ولا يحسبون الشرَّ ضربة لازِب))^(١٣٦) ،

ومثل ذلك جاء في قوله : ((والتَّوَكُّيد والتَّأَكُّيد واحد ، وبالواو أفصح ، قال الله تعالى : {وَلَا تَتَّقُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا} .))^(١٣٧) ومن أساليب هذا الضبط أن يذكر الكلمة

ضبط الفيروز آبادي للألفاظ بحث في نحو اللغة العربية.....

وضبطها وكيف ينطقها الناس ثم يذكر الصواب ، كقوله : ((بئر غَرْسٍ - بفتح الغين، وسكون الراء ،وسين مهملة - و الغرس : الفسيل ، أو الشجر الذي يغرس لينبت ، والغرس: مصدر غرس الشجر، وهي بئر بقاء على منازل بني النضير..... وضبطه بعض الناس بالتحريك، مثال : جَبَلٍ ، وشَجَرٍ، وسمعت كثيراً من أهل المدينة يضمنون الغين ، و الصواب الذي لا محيد عنه ما ذكرته بادي بداء))^(١٣٨) ويذكر ما يلفظ به العامة من الألفاظ ثم يذكر الضبط الصحيح ، فيقول((جَجْرٌ - بكسر الحاء وسكون الجيم بعدها راء . وعوام المدينة يفتحون الحاء، والصواب الكسر))^(١٣٩).
أدلة الضبط :

يستدل الفيروزآبادي على صحة ضبط الكلمات بالشعر ، فهو يرجح ضبط الكلمة على الوجه الذي يراه هو باستناده الى ورودها في قول الشعراء المعروفين بالفصاحة، ومن ذلك قوله في ضبط كلمة (جمدان) : ((جُمدَانُ - بالضم ثم السكون ، وإهمال الذال تنثية جُمْدٍ ، و الجُمْدُ : قارةٌ ليست بطويلة في السماء ، و هي غليظة تغلظ مرة وتلين أخرى تنبت الشجر ، سميت جمداً من جمودها ويبسها .. وجمدان ها هنا كأنه تنثية جُمْدٍ، يدل عليه قول جرير لما أضافه إلى نعامة أسقط النون ، فقال:^(١٤٠)

طَرِبْتُ و هاج الشَّوقَ منزلةً قَفَرُ تراوَحَها عَصْرٌ خلا دونه عَصْرُ
أقولُ لعمروِ يومَ جُمْدِي نعامةٍ بك اليومَ بأْسٌ لا عزاءٌ و لا صَبْرُ))^(١٤١)
ومن ذلك ضبط كلمة أظفور ، فقال ((الظُّفَرُ، بالضم ويضمتين، وبالكسر شاذٌّ، يكون للإنسان وغيره، كالأظفُورِ، وقول الجوهري: جَمْعُهُ أَظْفُورٌ غَلَطٌ، وإنما هو واحدٌ. قال الشاعرُ: ^(١٤٢)

ما بينَ لُقْمَتِها الأولى إذا انْحَدَرَتْ وبينَ أُخْرَى تَلِيها قَيْسُ أَظْفُورِ
ج: أَظْفَارٌ وَأَظْفِيرُ.))^(١٤٣)

من خلال دراسة موضوع البحث تبين أن الفيروزآبادي من العلماء الذين أولوا الضبط اللغوي اهتماماً كبيراً ، وكان يتحرى ضبط الألفاظ على وجهها الصحيح و إن وقع خطأ في ضبطها ينبه عليه و يصححه سواء وقع من عالم من علماء اللغة أو من غيره أو من عامة الناس ، وهذا لا شك جهد بذل فيه وقتاً كبيراً وسنوات كثيرة من عمره لينجز هذا العمل الذي يخدم العربية أي خدمة و يحفظ الألسنة من اللحن والزلل و الخطأ ، وهو في النهاية يصب في خدمة كتاب الله تعالى.

وكانت للفيروزآبادي طرائقه في ضبط اللغة ، منها وصف حركات الحروف ، وقياس الكلمة على نظيرتها في الوزن ، و تعيين الحرف المضبوط ، و الجمع بين وصف الحركة ووزن الكلمة على النظير، وقد يستدل بالضبط بلغات العرب ، وكذلك بالقرائات القرآنية، و لزيادة التوضيح في الضبط يذكر الكلمة ثم يعطي وزنها الصرفي ، وقد يفضل ضبط على آخر إذا ضبطت الكلمة على أكثر من وجه واحد، فقد تتعدد روايات في عدة في ضبط الكلمة ، فيذكرها ثم يفضل ما يراه أقرب الى الصواب و الفصاحة ، و ينبه على الغلط الذي يقع في ضبط الكلمات مما يرويه اللغويون ، ومما يكود شائعاً عند العوام ، و تتعدد عنده المصطلحات التي يستخدمها عند الضبط ، فيصف الحرف الذي حركته الضم مرفوعاً مرة و مضموماً أخرى ، والذي حركته الفتح ، منصوباً مرة ، و مفتوحاً أخرى ، أما المكسور فيذكر له ثلاث صفات ، فيصفه مرة مجروراً ومرة مكسوراً و مرة مخفوضاً. وعلى الرغم من عنايته بضبط الألفاظ وإنه يحرص على ضبط جميع أحرف الكلمة لكنه يهمل أحياناً ضبط بعض الأحرف ويكتفي بضبط قسم منها . و بعد فهو من أكثر العلماء عناية بضبط الألفاظ ، وهذا الشيء واضح في جميع مصنفاته سواء كانت في اللغة أم في موضوعات أخرى. فيضبط

أسماء الأشخاص، وأسماء المدن والجبال والمواضع عندما ترد في موضعها من الكتاب.

المصادر والمراجع :

- ١- الإبانة عن معاني القراءات - أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمَّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ) - تحقيق: الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي - دار نهضة مصر للطبع والنشر.
- ٢- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي، شهاب الدين الشهير بالبناء (ت: ١١١٧هـ) - تحقيق: أنس مهرة - دار الكتب العلمية - لبنان - ط ٣ - ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ.
- ٣- أساس البلاغة - أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ) - تحقيق: محمد باسل عيون السود - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٤- الإقناع في القراءات السبع - أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي، أبو جعفر، المعروف بابن الباذش (ت: ٥٤٠هـ) - دار الصحابة للتراث.
- ٥- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز - مجد الدين أبو طاهر محمد ابن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ) - تحقيق: محمد علي النجار - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

- ٦- تاج العروس من جواهر القاموس - محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) - تحقيق: مجموعة من المحققين - دار الهداية.
- ٧- تحبير الموشين في التعبير بالسين و الشين - مجد الدين الفيروزآبادي - حققه و علق عليه : محمد خير البقاعي - دار قتيبة - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٨- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس - ينسب: لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - (ت: ٦٨هـ) - جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ) - دار الكتب العلمية - لبنان.
- ٩- تهذيب اللغة - محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ) - تحقيق: محمد عوض مرعب - دار إحياء التراث العربي - بيروت ط ١ - ٢٠٠١ م.
- ١٠- التنيسير في القراءات السبع - عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ) - تحقيق: أوتو تريزل - دار الكتاب العربي - بيروت - ط ٢، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ١١- حجة القراءات - عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (ت : ٤٠٣هـ) محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني.
- ١٢- الخصائص - أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ) - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ط ٤.
- ١٣- الدرر المبتثة في الغرر المثلثة - الفيروزآبادي - شرح و تحقيق: الطاهر أحمد الزاوي - الدار العربية للكتاب - ط ١ - ١٩٨٧ م.

ضبط الفيروز آبادي للألفاظ بحث في نحو اللغة العربية.....

- ١٤- ديوان الأخطل - شرحه و صنف قوافيه و قدم له : مهدي محمد ناصر - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ٢ - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- ١٥- ديوان امرئ القيس - ضبطه وصححه الاستاذ مصطفى عبدالشافى - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ٥ - ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
- ١٦- ديوان جرير بن عطية الخطفي (ت ١١٤ هـ) - دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- ١٧- ديوان الراعي النميري - الراعي عُبَيْد بن حُصَيْن بن معاوية بن جندل، النميري، أبو جندل (ت : ٩٠ هـ) - جمعه و حققه : راينهت فايرت - المعهد الألماني للأبحاث الشرقية - بيروت - لبنان - ١٤٠١ هـ - - ١٩٨٠ م.
- ١٨- ديوان كثير عزة - جمعه و شرحه : الدكتور إحسان عباس - نشر و توزيع : دار الثقافة - بيروت - لبنان - ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.
- ١٩- ديوان النابغة الذبياني - شرح و تقديم عباس عبدالساتر- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط ٣ - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- ٢٠- السبعة في القراءات - أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت: ٣٢٤ هـ) - تحقيق: شوقي ضيف - دار المعارف - مصر- ط ٢ - ١٤٠٠ هـ.
- ٢١- الشافية في علم التصريف (ومعها الوافية نظم الشافية للنيساري - المتوفى في القرن ١٢) - عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (ت: ٦٤٦ هـ) - تحقيق: حسن أحمد العثمان - المكتبة المكية - مكة - ط ١ - ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م .

ضبط الفيروز آبادي للألفاظ بحث في نحو اللغة العربية.....

٢٢-الصاح تاج اللغة وصاح العربية - أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري

الفارابي (ت ٣٩٣هـ) - تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين

- بيروت - ط ٤ - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٢٣-العنوان في القراءات السبع - أبو طاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد المقرئ

الأنصاري السرقسطي (ت: ٤٥٥هـ) - تحقيق: الدكتور زهير زاهد - الدكتور

خليل العطية - كلية الآداب - جامعة البصرة - عالم الكتب، بيروت -

١٤٠٥هـ

٢٤-العين - أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي

البصري (ت ١٧٠هـ) - تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي -

دار ومكتبة الهلال.

٢٥-غريب الحديث - أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي

(ت: ٢٢٤هـ) - تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان - مطبعة دائرة المعارف

العثمانية، حيدر آباد- الدكن - ط ٣ - ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ .

٢٦-القاموس المحيط - مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت:

٨١٧هـ) - تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة - بإشراف:

محمد نعيم العرقسوسي - مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت -

لبنان - ط ٨ - ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .

٢٧-الكتاب - عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه

(ت ١٨٠هـ) - تحقيق: عبد السلام محمد هارون - مكتبة الخانجي، القاهرة

- ط ٣ - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- ٢٨- لسان العرب - محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ) - دار صادر - بيروت - ط ٣ - ١٤١٤ هـ.
- ٢٩- مجموع أشعار العرب و هو مشتمل على ديوان روبة بن العجاج - و على أبيات مفردة منسوبة اليه- تصحيح وترتيب: وليم بن الورد البروسي - دار ابن قتيبة للطباعة و النشر و التوزيع - الكويت.
- ٣٠- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها - أبو الفتح عثمان ابن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ) - وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٣١- صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي - تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر - دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) - ط - ١٤٢٢ هـ .
- ٣٢- معاني القراءات - محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ) - مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود - المملكة العربية السعودية - ط ١ - ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.
- ٣٣- معجم البلدان - شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ) - دار صادر، بيروت - ط ٢ - ١٩٩٥ م.
- ٣٤- المغانم المطابة في معالم طابة - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة - ط ١ - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

ضبط الفيروز آبادي للألفاظ بحث في نحو اللغة العربية.....

٣٥-مقاييس اللغة - أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت:

٣٩٥هـ) - تحقيق: عبد السلام محمد هارون - دار الفكر - ١٣٩٩هـ -

١٩٧٩م.

٣٦-المقتضب - محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس،

المعروف بالمبرد (ت: ٢٨٥هـ) - تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة - عالم

الكتب. - بيروت تحبير الموشين في التعبير بالسين و الشين - مجد الدين

الفيروزآبادي - حققه و علق عليه : محمد خير البقاعي - دار قتيبة -

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٣٧-النشر في القراءات العشر- شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن

محمد بن يوسف (ت : ٨٣٣ هـ) - تحقيق : علي محمد الضباع (ت ١٣٨٠

هـ) - المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية]

الهوامش :

(١) ديوان كثير عزة ١٥٣

(٢) المغانم المطابة في معالم طابة ٦٩١/٢

(٣) القاموس ٢٩٠/١ (سندن)

(٤) تاج العروس ٢٤٥/٣٥ (سندن)

(٥) القاموس ٢٩٣/١ (صفعد)

(٦) ينظر: تاج العروس ٢٩٠/٨ (صفعد)

(٧) بصائر ذوي التمييز ٧٥/٢

(٨) المصدر نفسه ٣٥٣/٢

- (٩) الحرف (م) في مصطلح الفيروزآبادي معناه (معروف) وهذا من الرموز التي دأب على استعمالها اختصاراً.
- (١٠) القاموس ١٩٥/١
- (١١) تاج العروس ٦٣/٦-٦٤ (شطر ج)
- (١٢) القاموس ٢٠٨/١
- (١٣) تاج العروس ٢٤٩/٦ (نلنج)
- (١٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢٨٥/٤
- (١٥) القاموس ١٤٨
- (١٦) الحرف (ة) معناه (بلدة) في مصطلح الفيروزآبادي .
- (١٧) المصدر نفسه ١٦٩ (دثث)
- (١٨) نفسه ١٨٠ (بزر ج)
- (١٩) نفسه ٢٧٣ (جلد)
- (٢٠) الدرر المبتثة في الغرر المثثة ٦٠
- (٢١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٣٢٧/٣
- (٢٢) القاموس المحيط ٦٩/١
- (٢٣) ينظر : الكتاب ٢٠٦/٣، الخصائص ٩٩/٣
- (٢٤) المقتضب ٣٣٨/٣، و ينظر: شرح شافية ابن الحاجب ٣٥١/١
- (٢٥) القاموس المحيط ٥٦٥/١ (قدس)
- (٢٦) المغانم المطابة في معالم طابة ٣٠٧/١
- (٢٧) بصائر ذوي التمييز ٢٠٣/٣
- (٢٨) تحبير الموشين في التعبير بالسين و الشين ٤١
- (٢٩) الدرر المبتثة في الغرر المثثة ٩١
- (٣٠) تحبير الموشين في التعبير بالسين و الشين ٣١

- (٣١) المغانم المطابة في معالم طابة ٥٩٨/٢
- (٣٢) المصدر نفسه ٨٢٧/٢
- (٣٣) المغانم المطابة في معالم طابة ٦٢٠/٢
- (٣٤) القاموس ٣٢٠
- (٣٥) بصائر ذوي التمييز ١١٠/٥
- (٣٦) بصائر ذوي التمييز ٥٢/٥
- (٣٧) المصدر نفسه ٣٧٤/٥
- (٣٨) هذه القراءة نسبها ابن جني الى عيسى النقي (المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات ٣٠٤/٣٠٣٢)
- (٣٩) بصائر ذوي التمييز ١٨٤/٤
- (٤٠) المصدر نفسه ٢٥١/٤
- (٤١) المصدر نفسه ٨٨/٥
- (٤٢) ينظر: معاني القراءات للأزهري ٤٠٦/١، حجة القراءات ٢٨٢، العنوان في القراءات السبع ٩٥، الإقناع في القراءات السبع ٣٢٣، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ٤٧٢
- (٤٣) ديوان جرير ٣٦٤
- (٤٤) بصائر ذوي التمييز ١٦٢/٥
- (٤٥) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ٢١٨
- (٤٦) بصائر ذوي التمييز ٤٣٩/٤
- (٤٧) ينظر : التيسير في القراءات السبع ١٥٢، العنوان في القراءات السبع ١٣٠، الإقناع في القراءات السبع ٣٤٨
- (٤٨) حجة القراءات ٤٥٧
- (٤٩) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ٢٨١

- (٥٠) بصائر ذوي التمييز ١٢٢/٣
- (٥١) المصدر نفسه ٤٠٨/٣
- (٥٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ١٩٥
- (٥٣) المصدر نفسه ١٣٥، والآية من سورة الاعراف: ١٢٧
- (٥٤) المصدر نفسه ٢٥٥، والآية من سورة مريم: ٢٤
- (٥٥) المغانم المطابة في معالم طابة ٢٧٥/١
- (٥٦) بصائر ذوي التمييز ١٤٢/٣
- (٥٧) المصدر نفسه ٢٤١/٣
- (٥٨) العين ٢٣/٦
- (٥٩) غريب الحديث ٣٤٣/٤
- (٦٠) تهذيب اللغة ٢٢٧/٢
- (٦١) مقاييس اللغة ٢٥١/٤
- (٦٢) لسان العرب ١٠/١٢ (أدم)
- (٦٣) تاج العروس ٣٦٣/٢٧ (ملك)
- (٦٤) معاني القراءات للأزهري ١٠٩/١
- (٦٥) النشر في القراءات العشر ٤٧/١ ، و ينظر : الإبانة عن معاني القراءات ١٢٠
- (٦٦) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ٣٢، والآية من سورة البقرة: ٢٣٢
- (٦٧) المصدر نفسه ٤٩٣، والآية من سورة المدثر: ٥٠
- (٦٨) هذا صدر بيت من معلقة امرئ القيس ، وتمام البيت : (فألهيته عن ذي ثنائم محول
- (ديوان امرئ القيس ١١٣
- (٦٩) بصائر ذوي التمييز ١٥٨/٤
- (٧٠) المصدر نفسه ٤٦٤/٤، والآية من سورة ص: ٣
- (٧١) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ١١١، والآية من سورة الانعام: ٦٣

- (٧٢) بصائر ذوي التمييز ٢٨٣/٢
(٧٣) المصدر نفسه ٥٢١/٤
(٧٤) ديوان الأخطل ٢٥٠
(٧٥) بصائر ذوي التمييز ٨٦/٤
(٧٦) القاموس المحيط ٥١٣
(٧٧) المصدر نفسه ٩٦٥ (بحظل)
(٧٨) بصائر ذوي التمييز ٧٦/٦
(٧٩) القاموس المحيط ١١٤٣ (غمم)
(٨٠) المصدر نفسه ٧٥٦
(٨١) بصائر ذوي التمييز ٢٠٤/٣
(٨٢) السبعة في القراءات ٥٣٩
(٨٣) حجة القراءات ٤٣١
(٨٤) القاموس المحيط ٧٦ (حلب)
(٨٥) المغانم المطابة في معالم طابة ٦٤٠/٢
(٨٦) المغانم المطابة في معالم طابة ٦٥٥/٢
(٨٧) الدرر المبنثة في الغرر المثثة ٦٢
(٨٨) المصدر نفسه ٥٨
(٨٩) المغانم المطابة في معالم طابة ٨٩٧/٢
(٩٠) المصدر نفسه ٩١٢/٢
(٩١) الدرر المبنثة في الغرر المثثة ٥٤
(٩٢) ديوان الراعي النميري ٥٩
(٩٣) المغانم المطابة في معالم طابة ٢٦٦/١
(٩٤) المغانم المطابة في معالم طابة ٢٦٧/١

- (٩٥) القاموس المحيط ٣٦/١ (جاء)
- (٩٦) الصحاح ٤٢/١ (جياً)
- (٩٧) القائل غير معروف ، ينظر: شرح شذور الذهب ٢٦٠/١، شرح التصريح على التوضيح ٥٦٧/١، ٧١٨، حاشية الصبان ٤٠٢/٢، مختصر مغني اللبيب ٦٥،
- (٩٨) القاموس المحيط ٤٥٣ (غير)
- (٩٩) المصدر نفسه ٦٢٦ (فصص)
- (١٠٠) بصائر ذوي التمييز ٣٤٩/٤
- (١٠١) اخرجه البخاري في باب بدء الوحي: ٧/١ برقم: ٣
- (١٠٢) ديوان الراعي النميري ٢٨٧
- (١٠٣) المغانم المطابة في معالم طابة ٣١٦/١
- (١٠٤) ينظر : معجم البلدان ١٢٧/٤
- (١٠٥) المغانم المطابة في معالم طابة ٦٨١/٢
- (١٠٦) المصدر نفسه ٦٩٩/٢
- (١٠٧) بصائر ذوي التمييز ١٠٥/٤
- (١٠٨) المصدر نفسه ٣٦٤/٣
- (١٠٩) الدرر المبتثة في الغرر المثلثة ٨٨
- (١١٠) تنسب الى رؤية بن العجاج وهي في زيادات ديوانه ١٩١
- (١١١) تحبير الموشين في التعبير بالسين و الشين ٣٢
- (١١٢) الدرر المبتثة في الغرر المثلثة ١٣٠
- (١١٣) هو أبو الأسود الدؤلي، و البيتان في ديوانه ٣٥٣
- (١١٤) بصائر ذوي التمييز ١٤٨/٤، والآية من سورة: ٤٥-٤٦
- (١١٥) القاموس المحيط ٣٩٠ (دبر)
- (١١٦) المصدر نفسه ١٧١ (شحت)

- (١١٧) نفسه ٣٥٦ (ترر)
(١١٨) نفسه ٢٠٨ (نوج)
(١١٩) نفسه ٥٦٧ (موس)
(١٢٠) نفسه ٤٠٧ (سرر)
(١٢١) المغانم المطابقة في معالم طابة ٦٥٣/٢
(١٢٢) المصدر السابق ٢٧٧/١
(١٢٣) القاموس المحيط ٣٦٠ (جبر)
(١٢٤) المصدر نفسه ٣٩٨ (زأر)
(١٢٥) نفسه ٤٠٦ (سرر)
(١٢٦) نفسه ٤٧٣ (مجر)
(١٢٧) نفسه ٦٥٨ (ارط)
(١٢٨) القاموس المحيط ٦٨٠ (غبط)
(١٢٩) المصدر نفسه ٩٤٣ (سمك)
(١٣٠) الدرر المبيثة في الغرر المثلثة ٥٢
(١٣١) بصائر ذوي التمييز ٤٣٥/٢
(١٣٢) المصدر نفسه ٤٦٨/٢
(١٣٣) نفسه ٣٣٤/٣
(١٣٤) نفسه ٢٢٢/٤
(١٣٥) ديوان النابغة الذبياني ٣٣
(١٣٦) بصائر ذوي التمييز ٤٢٨/٤
(١٣٧) المصدر نفسه ٢٦٤/٥
(١٣٨) المغانم المطابقة في معالم طابة ٦٥٠-٦٤٨/٢
(١٣٩) المصدر نفسه ٧٤٢/٢

(١٤٠) ديوان جرير ٢٠١

(١٤١) المغانم المطابة في معالم طابة ٧٢٤/٢

(١٤٢) القائل غير معروف ، ينظر: لسان العرب (ظفر) ، أساس البلاغة (ظفر) ٦٢٤/١ ،

زاد المسير ١٤٢/٣

(١٤٣) القاموس المحيط ٤٣٣ (ظفر)